المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

موسوعة
أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الألف

1

الأبري - الأسير

دار الجيل

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الألف / المجلد الأول

بترخيص من

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الطبعة الأولى

1425هـ ـ 2004م

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تونس: القباضية الأصلية ـ ص.ب. : 1120

هاتف : 784466 ـ 0021671

فاكس : 782091 ـ 0021671

784965 ـ 0021671

E.mail: Alesco@Email.ati.tn

Website: www.alesco.net

دار الجيل

بيروت: البوشرية ـ شارع الفردوس ـ ص.ب. :

8737 (11) ـ برقياً دار جيلاب

هاتف : 689950 ـ 689951 ـ 689952

فاكس : 689953 (009611)

E.mail: daraljil@inco.com.lb.

Website: www.daraljil.com

القاهرة: هاتف : 5865659

فاكس : 5870852 (00202)

تونس: هاتف : 71922644

فاكس : 71923634 (00216)

أ

الآبري - الأسير

مقدمة

د. المنجي بوسنينة

المدير العام

من الأهداف الأساسية لإنشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في السبعينات من القرن الماضي، كما حددها ميثاق الوحدة الثقافية العربية سنة 1964، ودستور المنظمة سنة 1970 : إقامة المؤسسات النوعية العربية التي تخدم الثقافة العربية من المنظور القومي، وتوثيق التراث الحضاري العربي الإسلامي، وترجمة عيون الآداب والمعارف لإغناء الثقافة العربية، والتعريف بإبداعات الأدباء والمفكرين والفنانين العرب، وتوفير المراجع الكبرى، وإصدار الموسوعات، إبرازا لإسهامات علماء الأمة في الارتقاء بالحضارة الإنسانية. وما إصدار هذه الموسوعة النوعية الأولى المتخصصة في سلسلة ما نزمع إصداره تباعا من موسوعات مماثلة إلا حلقة من تلك الحلقات، وخطوة واحدة على طريق طويلة نحن عازمون على قطعها والوصول بهذه الأهداف إلى نهاياتها المرسومة إن شاء الله.

إن مشروع الموسوعة العربية بدأ مشروعا طموحا وشاملا، طرحته كلّ المراجع الدستورية للمنظمة منذ السبعينات، وتردّد تباعا على جداول أعمال وزراء الثقافة العرب في دوراتهم المختلفة منذ أوّل دورة جمعتهم سنة 1976 حتى آخر دورة سنة 2002، وكان المؤمل أن يشرع في تنفيذه منذ الموافقة عليه في سنة 1981 حيث أقيمت له إدارة خاصة في بغداد، وجهاز تنفيذي، وتشكل مجلس علمي للإشراف عليه، ووضعت له دراسات جدوى متعددة، وتصوّرات ووثائق عمل بالمئات، واستنفذ جهدا قوميا لا جدال في أهميته، إلا أنّ المشروع لم يراوح مكانه مع الأسف بسبب إشكالات وظروف أبرزها الحروب التي عصفت بالمنطقة وحالت دون تحقيق أية خطوة منه.

وكان من المفترض أن يؤدي هذا الإحباط إلى وأد الفكرة، وصرف النظر عن المشروع برُمته بعد التجربة المريرة التي خاضتها المنظمة وفشل مساعيها في دفعه إلى الأمام، غير أن الإرادة التي كانت تحدو المجلس التنفيذي ووزراء الثقافة العرب في أن تكون لهذه الأمة العربية العزيزة موسوعتها الخاصة التي تحفظ تراثها وتعرّف به، وتصل بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وبين أجيالها المختلفة فضلا عن إبراز دورها الفاعل في إغناء الحضارة البشرية حتّمت الحفاظ على الفكرة وتقليب النظر فيها، ولم يكن من المنطقي أو المعقول، وما كان من الإنصاف في شيء أن تواصل الدول جميعها، الأوروبية والآسيوية والإفريقية، الإسلامية والمسيحية، الدول الناطقة بكلّ اللغات في إنجاز موسوعاتها الوطنية والقومية وبعضها لا يتوفر على ما تتوفر عليه، أمتنا من غنى فكري، ومن عمق جغرافي، ومن تاريخ حافل، ومن عطاء موصول، ومن إرث حضاري، ومن تأثير في صنع التاريخ والحضارة البشرية في حين تتقاعس أمتنا عن كتابة سجلها المعرفي الشامل لتقديم نفسها لهذه الأمم، وتلك الأقوام، وهاتيك الحضارات، مكتفية بالاتكال على الموسوعات الأجنبية مصدرا وحيدا، ومرجعا فريدا لاستمداد المعلومات عنها وعن تراثها الفكري، رغم تقادم بعض هذه المراجع، ورغم ما يداخل معلومات بعضها ومناهجها من خلفيات ووجهات نظر ربما لا تكون كلها علمية وصائبة، وربما لا تكون كلها موضوعية وخالية من الأغراض والمفاهيم الملتبسة، بغض النظر عن إكبارنا لهذه الأعمال، وتنويهنا بجهود أصحابها، سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أم مؤسسات، لأن ما بادروا إليه خدم فكرنا وثقافتنا وأرشد إلى مظان تراثنا في المكتبات الخاصة والعامة، ووفر مراجع زودت أبناءنا وعلماءنا بما كانوا بحاجة إليه من المعلومات، وسدت فراغا ظلت تشكوه المكتبة العربية طوال عقود من الزمن.

إن افتقار المكتبة العربية إلى مرجع عربي موسوعي هو الذي حدا بعدد من الدول العربية إلى القيام بمبادرات مشكورة فأقدمت على إصدار موسوعات كتلك التي تتابع الجمهورية العربية السورية مشكورة إصدارها منذ سنوات، أو تلك التي صدرت عن المملكة العربية السعودية بمبادرة كريمة من صاحب السموّ الملكي سلطان بن عبد العزيز آل سعود تحت مسمّى «الموسوعة العربية العالمية»، وقد كانت

عملا مزدوجا واءم بين الترجمة والتأليف. ومما لا شك فيه أن هذا الجهد الموسوعي كان ينم على الشعور العميق الذي يساور الجميع بافتقار المكتبة العربية إلى الأعمال الموسوعية التي يبدعها العرب، ولعلّ هذا القلق ذاته هو الذي حدا بالدول العربية إلى النهوض بإصدار موسوعات وطنية كالمعلمة المغربية، والموسوعة اليمنية، وموسوعة بيت الحكمة بالجمهورية التونسية، وموسوعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية، والموسوعات السعودية المتعددة، وتلك مبادرات مشكورة ستفيد منها موسوعة الأعلام في المنظمة، وستثري المكتبة العربية، وتعتبر قاعدة ومعينا لكل عمل فكري مماثل.

كما أننا لاحظنا بسعادة غامرة ارتقاء درجة الوعي لدى الناشرين العرب الذين أخذوا في الآونة الأخيرة يركزون عنايتهم لإصدار عدد من الموسوعات مترجمة وموضوعة، تغطي مجالات المعرفة المختلفة، وتلبّي حاجيات الشرائح الاجتماعية المختلفة، ولا سيما الشباب الذي أصبح بأمس الحاجة في عالم اليوم إلى مراجع شتى وإلى موسوعات تلبي حاجته إلى المعارف المتعددة.

هذا الجهد العربي المحمود ما كان ليُسقط عن المنظمة واجبها القومي في إصدار الموسوعة العربية الشاملة التي ظلت حلم المواطن العربي، ودَيْنا ثقافيًا وفكريًا يثقل كاهلها، ومشروعا قوميا واجب التنفيذ، ممّا حدا بها إلى تكوين لجنة ممّن لهم خبرة في الإشراف على إنجاز الموسوعات ومن أصحاب التجارب المماثلة إضافة إلى عدد من الخبراء والعلماء والمثقفين ممّن شاركوا في أعمال موسوعية عالمية، إشرافًا، ومتابعةً وتحريرًا، أوكلت إليهم إعادة النظر في الخطة السالفة ومراجعتها وتبيُّن الوسائل الكفيلة بإنجازها، وقد أفضت اجتماعاتُ هذه اللجنة الفنية إلى صياغة تصور جديد لمشروع الموسوعة الشاملة، يقوم على تفكيك الموسوعة التي استعصى إنجازها بسبب الأحداث التي استنزفت نحو عشرين سنة من الزمن المهدور، وبسبب ضخامة الميزانية التقديرية للمشروع التي استعصى توفيرها، إلى جملة من الموسوعات النوعية المتخصصة، تشمل جميع المعارف، وتفضي في نهاية المطاف إلى الهدف نفسه وهو إنجاز موسوعة شاملة تتكون من أجزاء متعددة تؤدي إلى حصيلة واحدة.

ومن بين إيجابيات الخطة المشار إليها الضغط على التكاليف المالية المفترضة، وعدم إثقال المشروع بالعناصر الإدارية المستنزفة للموارد، والتجاوب مع طبيعة المرحلة التي تحتّم الاقتصاد في الإنفاق قدر الإمكان، ومراعاة الجدوى وتوخي الواقعية عند إنجاز كلّ مشروع قومي.

لقد تبين للمنظمة أن من بين ما وقع فيه المشروع السابق من سلبيات هو التقديرات المالية الضخمة التي افترضت لإنجازه عند وضع دراسة الجدوى، حيث قدرت آنذاك في سنة 1985 بنحو ثلاثين مليون دولار، لإصدار ما يصل إلى نحو ثلاثين مجلدا من الموسوعة، وزاد الأمر تعقيدا إقامة مؤسسة ضخمة للإشراف على الإنجاز مع ما كانت تتطلبه هذه المؤسسات من كوادر إدارية وتجهيزات فنية ونفقات تسيير، وممّا لا شك فيه أن هذه العوامل مجتمعة كانت وراء الإخفاق الذي أشرنا إليه. ومن خلال دراسة التجربة، والاستفادة من خبرات الخبراء، واستحضار الظروف العامة للوطن العربي، والخاصة بعمل مؤسسات العمل العربي المشترك، أمكن الخروج بالتصور الجديد الذي بدا لنا أكثر واقعية وإيجابية، حيث استعيض عن المؤسسة بإنشاء وحدة صغيرة تتولى الإشراف والتنفيذ بميزانية محدودة، تتطور وتتوسع في الإنفاق بحسب ما يقتضيه نسق العمل وتقدم الإنجاز.

كان هدف المنظمة أن يشرع في التنفيذ الفوري بهذه الإمكانات المتواضعة، وبدءًا من سنة 2000 كانت الانطلاقة الحقيقية للمشروع، بعد إنضاج التصور وإعداد الوثائق التعريفية الأولى، وكان من رأي اللجنة الفنية أن تخصص المرحلة الأولى لإنجاز (موسوعة عن أعلام العلماء العرب والمسلمين) نظرا إلى افتقار المكتبة العربية إلى مرجع علمي شامل عن هؤلاء الأعلام؛ وحددت الفترة التاريخية التي ستغطيها الموسوعة منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث أي نهاية القرن العشرين، على أن تشمل كل مجالات المعرفة في الحضارة العربية الإسلامية: من علوم دينية، وعلوم إنسانية، وعلوم صحيحة، وطبيعية وتطبيقية، وطبية، وصيدلية، وفنون وآداب، وعمارة، وكلّ المجالات التي كان للعرب والمسلمين إسهام بارز فيها وتفوق وإبداع وتميز بما كتبوا وألفوا ونقلوا وأثروا الفكر البشري.

وقد تقرر أن تستوعب علماء المشرق والمغرب والأندلس وصقلية، إلى جانب العلماء الذين عاشوا في بلاد فارس، والعالم الإسلامي العثماني، وآسيا الصغرى والكبرى، وشبه القارة الهندية، وشرقي إفريقيا وغربها، وكلّ من كتب باللغة العربية، كليا أو جزئيا، إضافة إلى استيعاب الموسوعة للأعلام من ديانات أخرى ممّن ارتبطت كتاباتهم باللغة العربية، واندمجوا في الحضارة العربية الإسلامية.

ولإحاطة المشروع بالضمانات العلمية اللازمة لنجاحه كونت المنظمة لجنة علمية عربية إسلامية للإشراف والمتابعة تضم في عضويتها علماء وأساتذة أجلاء من عدد من الدول العربية، ومن اختصاصات متعددة فضلا عن علماء من بلاد فارس، وتركيا. تعززهم وترفدهم بالمعلومات والخبرة ثلة من الباحثين في الهند وأندونيسيا، وقازاخستان، ونيجيريا، وبوركينا فاصو، والسنغال، ومالي وغير ذلك من البلدان التي كان للحضارة العربية الإسلامية فيها حضور وتأثير.

وعلى غير ما انتهجته الموسوعات المماثلة فإن اللجنة العلمية وضعت قواعد فنية للكتابة توحيدا للأساليب، وضبطا للمنهج العلمي، بغاية مساعدة الخبراء على تفهم طبيعة هذه الموسوعة التي لا تكتفي بمجرد الإشارات العابرة للعلم، والتأريخ له في بضعة سطور، وإنما هي تترجم لحياته ومراحلها المختلفة وعصره، والمؤثرات المختلفة في سياق مدخل علمي دقيق عن شخصيته، وإسهاماته، واستعراض آثاره، ووضع قائمة مفيدة وشاملة بالمصادر والمراجع التي استند إليها الكاتب، على أن توكل كتابة هذه المداخل إلى المتخصصين في العلم ذاته فإن لم يكن فللمختصين في المرحلة الزمنية التي عاش خلالها العلم المذكور.

ولأنّ الهدف من إنجاز موسوعة الأعلام أن تكون مرجعًا علميًا معتمدًا وموثُوقًا فيه فإن اللجنة العلمية وضعت في الاعتبار كذلك الاحتكام إلى المقاييس العلمية عند اختيار الأعلام بغض النظر عن أقطارهم وأقاليمهم وطوائفهم ومذاهبهم، فالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية والانخراط فيها، والاندماج في نسيجها اللُغوي والثقافي والحضاري، والتميز والإنتاج والإبداع هو المعيار الأساسي لهذا الاختيار. ذلك أن الإسلام دين سماحة وإخاء وتعايش بين كلّ المنتمين إليه من أعراق وملل ونحل، وما المذاهب إلاّ طرائق للاجتهاد وأساليب للحوار ووسائل للتفاهم والجدال

والكشف عن أفضل السُّبل لإدراك جوهر الحقيقة الواحدة. وأخال أن الأسلوب الذي توخّته المنظمة في أن تجمع هذه الموسوعة أكبر قدر من الأعلام من كلّ الأقوام والشعوب كان في نظرنا الأسلوب الأمثل للتعبير عن سماحة هذه الحضارة ورحابة صدرها، وقدرتها على توفير المناخ الأفضل لإطلاق العنان لإبداع العلماء والأدباء أيّا كانت مواطنهم، ومهما اختلفت أجناسهم وألوانهم، وأنّى كان تواجدهم.

إنّ موسوعة الأعلام هذه تُعدّ في نظرنا نقلة نوعية بين الموسوعات المماثلة، فهي تقتصر على العلماء والمفكرين والمبدعين ورجال الإصلاح والدعوة والنهضة وحدهم، وهؤلاء هم الصفوة والطليعة في كلّ أمة، دون أن تهتم بغيرهم من الأعلام كما تفعل الموسوعات الأخرى التي تتّسم بالشمول والاستيعاب وحشد الأسماء والوجوه من مختلف الاهتمامات، وهي موسوعة محرّرة بأقلام الخبراء العرب والمسلمين باعتبارهم أقدر على النفاذ إلى تراثهم وفهمه فهما رشيدا استنادا إلى الأدلة والحجج والمصادر والمراجع، ثم إنّها موسوعة جماعية يشارك في تأليفها والكتابة فيها آلاف المحررين من الأساتذة والباحثين من كلّ الجامعات العربية، والجامعات الإسلامية، وبعض الجامعات الأجنبية ممّن يعمل بها أساتذة من العرب على خلاف الموسوعات الأخرى التي يقوم على تحريرها فئة قليلة من الناس، أو بعض المجتهدين من الأفراد.

وإذا كان عيب المؤلفات الجماعية تعدّد الأساليب، وتفاوت المستويات اللغوية، والتعبيرية فإن اللجنة تحسبت لهذا الأمر بأن أوكلت إلى لجان صياغة تلافي مثل هذا المحظور، وإعادة كتابة المداخل كلما اقتضى الأمر ذلك تحقيقا لوحدة المنهج والأسلوب على أن يؤخذ في الاعتبار عند التحرير الحفاظ على جوهر النص واحترام خصوصية الكاتب، وهو نفس ما تولت لجنة الصياغة تمثله عند إجراء عمليات الدمج للمداخل التي يقوم بإعدادها أكثر من باحث واحد حول العلم الواحد.

وكي تكون الموسوعة في متناول كلّ الناس : الطالب والتلميذ، والباحث المتعمّق، والقارئ العادي، فإن اللجنة لم تدخر وسعًا عند الصياغة في استحضار جميع الفئات، فأدخلت ما ينبغي إدخاله ممّا يعين على الفهم، ويبعد الغموض والالتباس، وييسر الإقبال ويُرغّب في المطالعة.

لقد وضعت المنظمة نصب عينها أن تتحقق من خلال إصدار هذه الموسوعة الأهداف التـالية:

* تعريف العالم بحضارة العرب وإسهاماتهم الفكرية في مسيرة الحياة البشرية وبآثار علمائهم في مجالات العلوم المختلفة.

* إحياء ذكرى العلماء والمبدعين والمفكرين الذين كتبوا في مختلف ضروب المعرفة، والتمثل الجاد لمكانة الحضارة العربية الإسلامية في تاريخ العلم في العالمين الإسلامي والغربي.

* التصدي للمحاولات التي قامت بها دور النشر الأجنبية لإصدار طبعات لموسوعاتها باللغة العربية بما تضمنت من تحريف متعمد يسيء للعرب وحضارتهم.

* تكوين وعي جديد لدى المثقف العربي يجعله يثق في التراث العربي ودوره في تنمية المعرفة ورقيّ الإنسانية.

* إدامة الاتصال المتجدد والدائم بين الأجيال العربية عن طريق الموسوعة التي سوف تتعهد بالتحديث والتطوير جيلا بعد آخر، حيث يساهم كلّ جيل من العلماء في المراجعة المستمرة لمادتها العلمية.

* توفير مصدر علمي عربي موثوق به، يكون مرجعا أمينا لكلّ طلاب المعرفة من الأساتذة والباحثين والطلبة.

* إتاحة الفرصة للعلماء والباحثين العرب لكتابة تاريخهم الثقافي والحضاري من وجهة نظرهم، وتصويب الأخطاء التي تسربت إلى هذا التاريخ من غيرهم، سواء كانت متعمدة أو عن جهل.

* اللحاق بالأمم والدول والشعوب التي استكملت إصدار موسوعات عن حضارتها، سواء منها الدول المتقدمة، أو دول الجوار، أو دول العالم الثالث.

وإذ يخالجنا اليقين أن بعض هذه الأهداف أو كلّها قد يتحقق عندما تستكمل هذه الموسوعة كلها وفق الخطة المرسومة لإصدارها، فإن ما يجعلنا أكثر تفاؤلا، ويرفدنا بالعزيمة والإصرار والثقة بالنفس، التفاف النخب العلمية التي تعاونت معنا

في إنجاز هذا العمل، وتشجيعها لنا بكلّ السبل، سواء في ذلك أعضاء اللجنة العلمية للموسوعة الذين عملوا بنكران ذات وعلى سبيل التطوع المحض انطلاقًا من إيمانهم بأمتهم العربية، ودعمًا لحضورها، وإصرارًا على تواجدها وحفاظًا على ديمُومة خلودها، وكذلك العلماء الذين تجاوبوا معنا وتعاونوا مع المشروع ووضعوا ثقتهم فيه ورفدوه بالخبرة وبما يملكون من الإرشاد والنصح والتوجيه. شأنهم في ذلك شأن أعضاء المجلس التنفيذي الموقّرين الذين بدّدوا اليأس من تنفيذ المشروع بالصبر عليه والإصرار العنيد على أن يجد طريقه إلى التنفيذ ولو بعد كلّ هذا العناء، وهم الذين تتجلى رسالتهم في رفع مشعل الأمل سراجا منيرا تستضيء به الأجيال في الدروب المعتمة، وإدامة الأمل في النفوس كلّما ادلهمّت السُبل.

كلمة شُكر مُستحقة لكلّ الذين مدّوا يد المساعدة ماديًا ومعنويًا وفي مقدمتهم السيدة الفاضلة الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح، وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة أحد أبرز رعاة الثقافة في الوطن العربي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بالجماهيرية العظمى التي تساند كلّ عمل خادم للحضارة العربية الإسلامية، وذلك لثقتهم في هذا العمل، وتلبيتهم النداء القومي الذي توجهنا به لرعاة الثقافة لمساندة هذا الجهد الذي كنا على يقين من أنه سيكون حدثًا أدبيًا وفكريًا في مسيرة المنظمة العربية وفي مسيرة العمل العربي المشترك، وهدية للأجيال العربية التي تتطلع إلى أعمالنا كي تقتدي بها وتنسج على منوالها في هذه المرحلة التي نحتاج فيها جميعا إلى بعضنا البعض كي نتقي شرّ ما تتعرض له أمتنا وثقافتنا وفكرنا من ضربات موجعة، وتشكيك، وتقزيم ومحاولات طمس وإلغاء، في ظل عولمة مُتهوّرة، تعبث بكلّ المقدسات، وفي طليعة هذه المقدسات الفكر والثقافة والتراث الإنساني.

والله الموفق

أبريل 2004

مدخل المداخل

د. محمد صالح الجابري

مدير الموسوعة

العمل الموسوعي له بداية، وليست له نهاية. وكلّ الموسوعات بإمكانها تحديد مواعيد بداياتها؛ لكنّها قلّ أن تقدّر تقديرا دقيقا نهاياتها، والحجم الذي ستكون عليه مهما كان تخصّصها، والمجال الذي تعنى به.

عندما انطلقنا في إنجاز هذه الموسوعة، موسوعة أعلام العلماء العرب والمسلمين، كنّا قد حدّدنا نقطة البداية، وضبطنا مجال التخصّص، وحدّدنا الفترة الزمنيّة التي تعنينا، وكانت منذ فجر الحضارة العربيّة الإسلاميّة وحتى نهاية القرن الماضي الميلادي؛ لكنّنا ما إن شرعنا في وضع التصوّرات والرُّؤى وإعداد القوائم والفهارس وتوسيع الاستشارة حتى وجدنا أنفسنا نسبَح في محيط من المعلومات لا حدّ له، فالثّقافة العربيّة شأنها شأن الثقافات الأخرى ارتبط إبداعها وعطاؤها ارتباطا وثيقا بأعلامها ومُبدعيها حتى أنّ علومَها ومعارفها وتراثها حملت أسماء أصحابها وأصبحت عنوانا عليهم مثل جابر بن حيان، وابن الهيثم، وابن رشد، وابن خلدون، وغيرهم.

ومثلما يتكوّن المحيط من روافد مختلفة، فقد تكوّنت الثقافة العربيّة الإسلاميّة من جهود كلّ العلماء بلا استثناء، يستوي في ذلك الصغير والكبير، الشهير والأقل شهرة؛ ويستوي في ذلك العالم الذي تكوّن العلماء على يديه ونبغوا بفضل توجيهه، والعالم الذي ترك العديد من المؤلفات شاهدة على عبقريّته ونبوغه وعبقريّة العصر الذي عاش فيه، والأمّة التي أنجبته؛ كما يستوي في ذلك العالم الذي كان يقيم بتخوم فارس، وغيره ممّن كان مقامه في جبال الأطلس، أو على ضفة نهر السنغال، أو ببلاد البلقان، أو سمرقند، أو بخارى، أو بلاد الخزر... إلخ.

إنّ من عوامل غنى الثقافة العربيّة الإسلاميّة وخصوبتها أنّها كانت حصيلة تلاقُح

أمم، وإبداع أعراق وأقوام، وخلاصة جهد إنساني لا فرق فيه بين عربيّ وأعجمي إلاّ بالتميّز ودرجة التفوّق. وكان من الحتمي أن تُلمَّ هذه الموسوعة بكل أعلام الأمة التي تنتمي إلى حضارة واحدة أداتُها التعبيريّة المشتركة اللغة العربيّة؛ لغة الحضارة والتفكير وحاملة الدعوة الإسلاميّة إلى تلك الشعوب التي شرُفت باستعمال هذه اللّغة، فأكّدت بذلك انتماءها إلى هذه الحضارة، حتى أصبح من الموضوعي قدر الإمكان التوسّع لاستيعاب كلّ الأعلام الذين كتبوا باللّغة العربيّة واستعملوها في إنتاجهم سواء أكانوا من المسيحيّين أم اليهود، أم السريان والكلدان، أم الأفارقة، أم الفرس والروم، أم الأتراك والهنود... أم غيرهم.

وبينما كان مشروع الموسوعة في خطته الأولى يقتصر على الأعلام المعروفين ممّن تردّدت أسماؤهم في كلّ كتب التراجم القديمة والحديثة، وممّن كانت ستعتبر الكتابة عنهم اجترارًا لما قيل وأعيد بشأنهم، فإنّ اللجنة العلميّة التي تُشرف على المشروع وتواكب تنفيذه قرّرت أن تكون هذه الموسوعة سجلاً شاملاً قدر الإمكان، ومستوعباً أكثر ما يمكن لأسماء العلماء من مختلف المستويات، شريطة أن تنطبق عليهم مواصفات العلَم، احتكاما لسِيَرهم وإنتاجهم ومستوى أعمالهم وإضافاتهم؛ ثم توسّعت النظرة لتلم بالأدباء والنقّاد والشعراء باعتبار أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة لم تخصب ولم تُبدع إلاّ بالتئام هذه العناصر وتثاقفها وتواصُلها وتمازُجها؛ وباعتبار أنّ العالِم العربي، أو المسلم، كان في الغالب الأعمّ عالِما شاملا يأخذ من كلّ شيء بطرف، فلا يكتمل علمه، ولا يصحّ فقهه، ولا يرتقي إلى درجة المجتهد، والمؤرخ، والمحدّث، والمفسّر إلاّ أن يكون شاعرا، ونحويا، ومترسّلا، ومنجّما، وطبيبا، وصيدليا، وهو الأمر الذي أوجب على الموسوعة أن تتحسّب لهذا الشمول وتأخذه في الاعتبار، وذلك بتكليف أكثر من أستاذ باحث بالكتابة عن العلَم الواحد لاستيفاء جوانبه العلميّة المختلفة، واستقصاء البحث فيها. وقد اكتشفنا من خلال هذا أنّه قلّما توفّق الباحث الواحد إلى الإحاطة بالعالِم الذي يكلّف بإعداد مدخل عنه إلاّ فيما ندر. فالكتابة المشتركة عن العلَم الواحد كثيرا ما أضاءت جوانب مجهولة من شخصيّته تكون خَفِيت عن الباحث الواحد الذي يجتهد في نطاق اختصاصه، وقلّ أن يتجاوزه إلى غيره.

وقد كان ماثلاً في الأذهان أنّ الحركة العِلميّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت حركة انسيابيّة تقوم على الترحّل والتنقّل من موطن إلى آخر بهدف التعلُّم المستمر، عن قرب أو عن بعد، وبغرض نشر العِلْم على أوسع نطاق وإيصاله إلى الأقاصي لمن يريده ولمن هو بحاجة إليه وبالمجّان في كلّ الأحوال؛ فترى العالِم يغادر منابته، وربّما دونما عودة، ليسيح في هذه القارة أو تلك طلبًا للإجازة والإفادة، تاركا في هذا الوطن أو ذاك كتبًا وآثارا وأصداء، كان واجب البحث يفرض أن تتضافر الجهود للكشف عما لا يزال منها بحاجة إلى الكشف، وعما لا يزال منها مجهولا ومبثوثا في خزائن لم تكن في متناول الجميع.

لهذه الأسباب ولغيرها سعينا إلى الاستعانة بمعظم الباحثين من الجامعات العربيّة والإسلاميّة، من تركيا، إلى بلاد فارس وإلى بلاد الهند، فضلا عن جامعات الدول العربيّة ومجامعها العلميّة، ومراكز البحث والدراسات فيها، لنجعل من هذا السجل كتابا جماعيا، تشترك في تأليفه وكتابته نخبة من الباحثين، وصفوة من العلماء، يتحمل فيه كلّ واحد منهم - وهم من أصحاب الكفاءة والخبرة - المسؤوليّة كاملة بما كتب وقدّم. ومع الحرص الشديد على التدقيق في اختيار الخبراء من المتخصّصين فإنّ ذلك لم يُعْفِنا من المراجعات وإعادة النظر في بعض المداخل لتطبيق القواعد الفنيّة التي كنا أجملناها في كتيّب للاسترشاد بها إحكاما للصياغة والمواءمة بين أجزاء الموسوعة، وقد اضطررنا في بعض الأحيان إلى الاستغناء عن مداخل بأكملها عندما لم نرها موفية بالغرض وغير مستجيبة للمنهج المقرّر.

وكما استفدنا من زخم الجامعات العربيّة وكرم خبرائها الذين تعاونوا معنا بسخاء لا محدود، وواكبوا عملنا بحُب واندفاع وحماس محمود، فقد كانت استفادتنا ضروريّة وشرعيّة من المراجع والمصادر المختلفة للتراث العربي الإسلامي، ومن الجهود الموسوعيّة السابقة عنا، والتي هيّأت لنا الأرضيّة لإنجاز هذا المشروع في المستوى الذي نطمح إليه. ولقد كانت أمامنا طرائق شتى ومناهج مختلفة للتصنيف والفهرسة وترتيب أسماء الأعلام. فإما أن نتوخّى المنهج التاريخي وفق الولادات والوفيات، وإمّا المنهج الذي اصطفاه وتوخّاه مصنّفو الأعلام بإيراد الأسماء وإسقاط الأب والابن ممّا درجت عليه الموسوعات الأخرى التي اعتبرت

الابن والأب أصلا في الاسم؛ وإذ كان لكل منهج إيجابياته وسلبيّاته فقد ارتأت اللجنة العلميّة أن تعتمد شهرة كلّ علم، أو نسبته العائليّة إن لم توجد له شهرة معلومة، ثمّ تلي ذلك الكنية فاللقب إن وُجِدا، فالاسم الصغير واسم الأب والجدّ والقبيلة إن لزم الأمر للتمييز. ذلك أنّ اشكاليات عديدة ما تزال قائمة بين الموسوعات في هذا الصدد تبعا لتعدّد انتساب الأعلام إلى الحِرَف، والبلدان، والمذاهب، ومواطن الإقامة وغير ذلك، فضلا عن أنّ كتّاب الفهارس والمدونات تباينت توجهاتهم من عصر إلى عصر ومن إقليم إلى آخر في اعتماد الأسماء والكنى والألقاب والنّسب، وتيسيرا على القارئ لم ندخل الكنى والألقاب في الترتيب الألفبائي، فبعد اسم الشهرة يأتي اسم العلم مباشرة.

إنّ الأعمال الموسوعيّة مهما كان حجمُها وتخصُّصها لا تعدو أن تكون مشروعات قابلةً للاكتمال والاستزادة والإثراء مهما تطاول بها الزمن وامتد. وما من عمل موسوعي إلاّ استنفد أعمارا، واستغرق إعداده حِقَبا طويلة من الزمان؛ والمثال على ذلك الموسوعة الإسلاميّة التي استغرق إعدادها أكثر من نصف قرن، والموسوعة العربيّة التي تشارف الربع قرن من الزمان قبل أن تظهر بواكير ثمراتها، ودائرة المعارف الإسلاميّة الإيرانيّة التي انطلق العمل فيها منذ أوائل الثمانينات من القرن الماضي ولم تقطع إلاّ بعض الأشواط، والموسوعة الإسلاميّة التركيّة التي لا يقلّ عمرها عن النصف قرن دون أن تستكمل العشرين جزءًا، إضافة إلى أنّ كلّ موسوعة من هذه الموسوعات لا يقلُّ عدد العاملين فيها عن المئات ولها ميزانيات ضخمة، وتُموّل من موارد سخيّة ومن هِبات لا تقلّ سخاء.

إنّ هذه الموسوعة التي نستهلّ إصدارها في هذه السنة، سنة 2004، لم ينطلق العمل فيها إلاّ منذ سنة 2000؛ وبكل المقاييس والمعايير فإنّها ستعدّ أسرع الموسوعات إنجازًا قياسا إلى الموسوعات الخاصة والعامة، وإلى مواردها وعدد القائمين عليها. وذلك أنّها أرادت بدفع من مديرها العام الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينة، وبحرص من المؤتمر العام للمنظمة ومجلسها التنفيذي، ومن اللجنة الاستشاريّة المشرفة عليها، أن تتحدّى الصُّعوبات وتتجاوز الكَبْوة التي حرمتها من إنجاز موسوعتها الشاملة، فتُنْجز هذا العمل في وقت قياسي وقد أعطته من الجهد

والبذل ما هو به جدير ؛ عَوْنها في ذلك تضحيات الخبراء العرب والمسلمين الذين كانوا سنَدًا لهذا العمل، فآزروه دون منّ، وخدموه بأريحية المقدّرين لأهدافه، الشاعرين بأهميّة صدوره في هذا الظرف المفعَم بالتحدّيات والصعوبات؛ رائدهم في ذلك إنصاف أمتهم، وتخليد ابداعات رجالها وأعلامها ممن كان لهم دور ثابت في إغناء التراث الوطني والقومي والإنساني معا.

ولما كان الكمال للّه وحده، فإنّ كلّ ما نأمله أن يتقبل العلماء والباحثون هذا العمل بعين الرضا، وأن يتكرّموا علينا بالملاحظات التي تُعين على إعادة النظر في بعض ما يُحتاج إليه من تصويب، واستدراك وإتمام.

وباللّه التوفيق

الآبري أبو الحسن، محمد بن الحسن

(... هـ/ ... م - 363 هـ/ 974م)

محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عاصم. أبو الحسن الآبُري السجستاني. نسبة إلى الآبُر، قرية من قرى سجستان. المحدِّث، الحافظ، الإمام، المؤرخ.

رحل إلى الشام، وخراسان والجزيرة، وفي رحلته روى عن أبي بكر بن خزيمة، وأبي العبّاس السراج، وأبي عروبة الحراني، ومحمد بن يوسف الهروي، ومكحول البيروتي، ومحمد بن الربيع الجيزي، وطبقتهم. وصف الآبُري بأنه كان حافظا، مجتهدا، ثبتا، مصنفا.

روى عنه علي بن بشر بن الليثي، ويحيى بن عمار السجستاني وجماعة. توفي في رجب سنة 363هـ/ 974م عن نحو ثمانين سنة.

آثاره

كتاب مناقب الإمام الشافعي

المصادر والمراجع

● الذهبي، تذكرة الحفاظ، اعتناء مصطفى علي، دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، 3/ 165 ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، طبقات الحفاظ، تح. علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، مصر، ط 1، 1393هـ/ 1973م، ص383 ● الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، اعتناء هلموت ريتر، ط2، 1381هـ/ 1962م ● ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 3/ 46 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1380هـ/ 1960م، 9/ 231.

الحبيب بن طاهر
وزارة الشؤون الدينية - تونس

الآبِلي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(681 هـ / 1282 م - 757 هـ/ 1356م)

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبِلي، أصله من مدينة آبلة الإسبانية، من مقاطعة قسطنطينة يحلّه تلميذه عبد الرحمن بن خلدون مكانة خاصّة، وقد اتّصل به لما قدم على تونس سنة 748هـ/ 1347م في حملة السلطان أبي الحسن «فلزمه وأخذ عنه». ويقول عنه «شيخ العقلية» مفتتحا هذه العلوم بالتعاليم (أي الرياضيات)، ثم قرأ عليه المنطق وما بعده من الأصلين وعلوم الحكمة، «وكان شيخه يشهد له بالتبريز في ذلك». ويعود ابن خلدون مرارا إلى ذكر شيخه منوّهًا بعلمه وبراعة تلقينه للعلوم الحكمية، فيقول: «لما يفع وأدرك سبق إلى ذهنه محبّة التعاليم، فبرّع فيها واشتهر، وعكف الناس عليه في تعلّمها وهو في سنّ البلوغ... وكان أبو حمّو صاحب تلمسان يومئذ قد استفحل ملكه، وبلغه عن شيخنا تقدّمه في علم الحساب، فدفعه إلى ضبط أمواله، ومشارفة عماله وتفادى شيخنا من ذلك، فأكرهه عليه، فأعمل الحيلة في الفرار منه... فاختفى بفاس عند شيخ التعاليم من اليهود، خلّوف المغيلي، فاستوفى عليه فنونها، وحذق، وخرج متواريا من فاس، فلحق بمرّاكش أعوام العشر والسبعمائة، ونزل على الإمام أبي العباس بن البنّاء (720هـ/ 1321م) شيخ المعقول والمنقول والمبرّز في التصوّف علما وحالا، فلزمه وأخذ عنه، وتضلّع من علم المعقول والتعاليم والحكمة» [التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، 33-36].

ومن بين من أخذ عن الآبلي محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بالشريف التلمساني [نيل الابتهاج، 255]. وقد أحكم عليه كتاب «الإشارات» لابن سينا حتّى إنه حين رحل إلى تونس سنة أربعين وسبعمائة، كان يخلو به الشيخ ابن عبد السلام في بيته، فيقرأ عليه فصل التصوّف من هذا الكتاب، كما قرأ عليه فصل التصوّف من «شفاء» ابن سينا، ويشير تلميذه المقّري أيضًا إلى أنه كان مولعا بمصنّفات الفخر الرازي حتّى إنه رُفع له أنّ بعض الطلبة استشكل ما وقع في تفسير الفخر في سورة الفاتحة، كما استشكله الشيخ ابن المسفر الباهلي وهذا نصّه: «شبّ في بعض العلوم العقليّة أنّ المركّب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأنّ الجنس أقوى من الفصل»، فتأمّله الآبلي وقال: «فهمته، وهو كلام مصحّف، وأصله: إن المركّب قبل البسيط في الحسّ، والبسيط قبل المركّب في العقل، وإنّ الحسّ أقوى من العقل... فطلبوا نسخ الأصل، ووجدوا في بعض كما قال الشيخ» [محمد بن أبي الرازي، الطب الروحاني، 18].

وتدل هذه الرواية على أنّ الآبلي، عند إقامته بالشرق، بين مصر والشام والحجاز والعراق، - وقد دامت سبع سنوات - اطّلع على كتب

أهل الرأي من المشارقة، ولا سيما كتب الرازي وشرح الطوسي وكتب ابن سينا، فإن لم يتجاهر بتدريسها فقد يكون ذلك راجعا لما كان يسود البلاد في عصره من جوّ ديني سياسي، وقد طغى مذهب أهل السنّة على المغرب الكبير كافة.

هذا، ولا شكّ أنّ تكوين ابن خلدون الأصلي، وأثر شيخه الآبلي قد صهرتهما شخصيته الفذّة وذكاؤه المتأجج، فنتج عنهما تأليف طريف تمثّل في فلسفته الذاتية إزاء مشكل المعرفة بصفة خاصة، وإزاء النظرة إلى الكون بصفة عامّة.

وممّن تتلمذ على أبي عبد الله الآبلي أيضًا الإمام محمد بن محمد بن عرفة الورغمّي التونسي، شيخ الإسلام «العالم المبعوث على رأس المائة الثامنة» (ولد سنة ستّ عشرة وسبعمائة وتوفّي عام ثلاثة وثمانمائة) [حسب نيل الابتهاج، 274].

ويقول صاحب نيل الابتهاج: «أخذ العلوم العقلية عن ابن الدرّاس والآبلي وابن الحباب...» ويكرّر قائلا: «أخذ الحساب وسائر المعقول على الآبلي، وكان يثني عليه». ويروي عن القلصادي «أنه أخذ سائر المعقولات على الشيخ الآبلي، وكان يثني عليه كثيرا، ويقول إنه لم ير ممّن قرأ عليه مثله والشريف التلمساني».

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ط. القاهرة 1370هـ/1951م، ص ص 22-36 ● ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط. مصر 1351هـ، وبها نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بن أحمد... عرف ببابا التنبكتي ● السويسي، محمد، ابن خلدون والعلوم العقلية، مقال في كتاب «ابن خلدون والفكر العربي المعاصر»، ص ص 158-173، تونس 1400هـ/1980م.
- N.Nassar, Le maître d'Ibn Khaldoun; Al Abili, Studia Islamica, XX 1964.

د. محمد سويسي
الجامعة التونسية

الآثاري، أبو سعيد شعبان بن محمد بن داود

(765 هـ / 1363 م - 828 هـ/ 1424 م)

شعبان بن محمد بن داود بن علي القرشي، الموصلي، الشافعي، يكنى بأبي سعيد، ويلقّب بزين الدين، وجلال الدين.

نحوي، وأديب وشاعر، وعالم في الخط وأصوله. والآثاري، نسبة إلى الآثار النبوية الشريفة بمصر، لأنه كان خادمها، قال في بديعيته الكبرى:

لأنّني خادم الآثار لي نسبٌ
أرجو به رحمةَ المخدوم للخدم

والآثار المشار إليها هي: قطعة من عصا النبي ﷺ ومزود، ومخصف، وملقط من فضة وأشياء أخر، وقد اشتراها الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن علي المصري (ت 707هـ/ 1307م) بمبلغ ستين ألف درهم من بني إبراهيم أهل ينبع الذين كانوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل، وقد قام الصاحب تاج الدين ببناء رباط لهذه الآثار بظاهر الفسطاط يطلّ على نهر النيل بالقرب من بركة الحبش [الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 315؛ المقريزي، الخطط، 4/ 295]. وبهذا الرباط أقام مدة، ونظم فيه ألفيته في الخط «العناية الربانية في الطريقة الشعبانية» فقال:

نظمتها بمصر في الآثار
بشاطىء النيل السّعيد الجاري

ولد بالقاهرة ليلة النصف من شعبان سنة 765هـ/ 1363م، كما وجد مكتوبًا بخطه، وأصل سلفه من مدينة الموصل بالعراق، والظاهر من قول ابن حجر -المعاصر له- أن جده داود هو أوّل من دخل مصر وسكنها.

درس الآثاري على جماعة من علماء العصر بمصر وبلاد الشام، واشتغل في بداية أمره على أبي علي شمس الدين محمد بن أحمد ابن علي الزفتاوي (ت 806هـ/ 1403م) حتّى مهر في الخط المنسوب، وصار رأس من كتب عليه، وأجازه، فصار يكتب للناس. ولازم في علوم العربية الشيخين شمس الدين الغماري محمد بن محمد بن علي (ت802هـ/ 1399م)، وبدر الدين الطنبذي أحمد بن محمد بن عمر (ت 809هـ/ 1406م) فقرأ على الغماري الكثير من كتب النحو والقراءات بالمدرسة السالمية بالفسطاط، وعلى هذين الشيخين تخرّج في علوم العربية وآدابها، وحفظ على أيديهما في وقت قصير الكثير من المختصرات العلمية ممّا كان سائدًا في مدارس ذلك العصر. وبقية شيوخه مذكورون في نهاية كتابه [كفاية الغلام، نسخة مكتبة الأوقات بالموصل: ضمن مجموع برقم 40/ 20 زيواني ورقة 169-171] فذكر منهم: سراج الدين عمر بن رسلان الكناني البلقيني (ت 805هـ/ 1402م) سمع منه في المدرسة المنسوبة إليه بحارة بهاء

الدين بالقاهرة وبرهان الدين إبراهيم بن موسى ابن أيوب الأبناسي (ت 802هـ/ 1399م) سمع منه في الزاوية التي أقامها بالمقس بظاهر القاهرة. ودرس بالمدرسة السيوفية على مجد الدين إسماعيل ابن إبراهيم الحنفي (ت802هـ/ 1399م)، وبالمدرسة السابقية على ابن الملقن عمر بن علي الأنصاري الأندلسي (ت 804هـ/ 1401م)، وبالمدرسة الشريفية على بدر الدين أحمد بن إسماعيل الأبشيطي (ت 835هـ/ 1431م)، وسمع بالجامع العمري، وجامع القراء من ابن القطان محمد بن محمد بن عمر الشافعي (ت813هـ/ 1410م)، وبجامع الأقمر من ابن جماعة محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز (ت 819هـ/ 1416م)، وسمع في حانوت الشهود بالقاهرة من برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عثمان الدجوي (ت802هـ/ 1399م).

سعى الآثاري إلى موسوعية الثقافة، وأجهد نفسه في الطلب والدراسة، فأخذ من كل علم أحسنه، قال في العناية الربانيّة (ص278):

وكلّ علم عشت غمرًا فيه
تموتُ قاصرًا ولا تنتهيه
فاجهدْ وخذ من كلّ علم أحسنَهْ
لكيْ تفوز بالصِفات الحسَنَهْ

ومع ذلك فقد كان شديد الميل إلى علوم العربية وآدابها، فأولاها عناية خاصّة، ودرس علم النحو، والصرف، والعروض، دراسة تحقيق وتدقيق، واهتمّ بالقراءات ومخارج الحروف والمعاني والبديع والبيان، وتعاطى الكتابة ودراسة الخط وأصوله حتّى نبغ فيه.

وقد استحقّ وبجدارة «العالمية» في هذه العلوم، فكان نحويًا وأديبًا، وشاعرًا مجيدًا، وإمامًا في علم الخط وأصوله. أثرى عصره بالكثير من المؤلّفات المنظومة والمنثورة، وأتى في بعضها بروائع قلّ نظيرها باعتراف علماء العصر.

اشتغل في بداية أمره بالكتابة، وتكسّب بالشهادة، وعمل موقعًا للحكم بمصر، ثمّ نقيبًا، ثم موقعًا بين يدي المحتسب نور الدين علي بن عبد الوارث البكري، واستقرّ في حسبة مصر بعد عزله في الثاني والعشرين من شعبان سنة 799هـ/ 1396م في دولة الظاهر برقوق، ولم يستمر فيها طويلاً إذ عزل في السابع والعشرين من صفر سنة 800هـ/ 1397م، وحلّ مكانه شمس الدين الشاذلي ثم عزل الشاذلي وعاد الآثاري للمرة الثانية إلى أن عزل في ثامن من ذي القعدة من السنة نفسها. وقيل في سبب عزله إنه ولي الحسبة بمال وعد به فلم ينهض بما وعد به فركبهُ الديْن بسبب ذلك ثمّ إن جماعة من أهل مصر اشتكى منه عند بيبرس الدوادار وادّعوا عليه بقوادح، فأمر الدوادار أن ينادي عليه، وأهين إهانة بالغة [أنباء الغمر، 2/ 8؛ السلوك، 3/ 901]، فاضطرّ إلى مغادرة مصر سنة 801هـ/ 1398م فدخل الحجاز، ومنها إلى اليمن، وبعد مدة قضاها في اليمن نفي بأمر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف إلى الهند، وهناك اتّصل بالسلطان كرانا بن هبيرانا صاحب تانة فمدحهُ ونظم له المقدمة الصغرى في النحو: «الحلاوة السكرية» سنة 806هـ/ 1403م، وغادر الهند سنة 807هـ/ 1404م، فدخل اليمن ثم الحجاز، فأقام

بمكة نحو عشر سنين [السخاوي، 3/ 301] اشتغل فيها بالخط، واشتهر ذكره، وحمل عنه طلبة العلم بعض مؤلفاته، وفي سنة 816هـ/ 1413م عاد إلى اليمن فمكث فيها حتّى سنة 820هـ/ 1417م فغادره إلى بلاد الشام ثم مصر، ثم عاد إلى بلاد الشام، فسكن دمشق سنة 821هـ/ 1418م، واتّصل بأعيان الدولة ولازم زين الدين عبد الباسط ابن خليل ناظر الجيش فمدحه، وأوقف كتبه بمدرسته المعروفة بالباسطية بالجسر الأبيض من دمشق [النعيمي، الدارس، 2/ 141].

والذي يثير الدهشة والاستغراب أن ابن حجر العسقلاني - وهو من معاصري الآثاري- عقد له ترجمتين: الأولى في كتابه «ذيل الدرر الكامنة» ضمنها ترجمة معتدلة عن أحواله وتنقلاته في البلاد، ووصفه بطلب العلم، وجودة النظم. والثانية في «أنباء الغمر»، جمع فيها كل ما يشين ويحط من قدر الرجل ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية، وذكر عنه الكثير مما لا يليق، وتأثّر بأقوال ابن حجر جماعة من مؤرّخي العصر، فقال المقريزي في درر العقود الفريدة: ولم يكن مرضيَّ الطريقة، ولا رضيَّ الأخلاق، يرميه معارفه بقبائح.

وقال ابن قاضي شهبة: وكان ممّن يُتَقى لسانه ويخاف شرّه، وتابع السخاوي شيخه ابن حجر، فنقل أقواله في الآثاري كلمة بكلمة ولم يعقب عليها، ومهما تكن أقوال ابن حجر وغيره في الآثاري، فإن ذلك لا يُعَدّ دافعا مانعا في تزكية الرجل، وتقويمه بما يستحق من العلم والأدب والمكانة بين أقرانه. فقد أثنى عليه القلقشندي في «صبح الأعشى» [3/ 14 و 23 و43 و144] ثناء جميلاً، وحلاه بالشيخ والعالم وبصاحبنا. وأجمع على إمامته في علوم العربية والشعر والخط كل من ترجم له من المتأخرين.

ومن المفيد الإشارة إلى أنّ الآثاري كان وفيّا لابن حجر، مكبرا فيه مكانته وقدره بين علماء العصر، وقد مدحه في سنة 827هـ/ 1423م بقصيدة تائية مطوّلة [أنباء الغمر، 3/ 355] وهنّأه بقصيدة نونية بمناسبة حلول شهر رمضان، وأجاز لولده محمد، وكان يصفه بكل جليل وينعته بـ «شيخنا وسيدنا وبركتنا» [السخاوي، 3/ 302]. وظلّ هذا ديدنه إلى أن مات.

درس على الآثاري جماعة من طلبة العلم، وحملوا عنه مؤلفاته ومروياته من أمثال: محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الحنيفي (ت 846هـ/ 1442م)، ومحمد بن محمد السخاوي نزيل طيبة، ويحيي بن عبد الرحمن بن صالح (ت849هـ/ 1445م)، وعلي بن محمد المعروف بابن يفتح الله (ت 862هـ/ 1475م)، وأحمد بن أسد بن عبد الواحد الأميوطي (ت872هـ/ 1467م)، وحمزة بن يوسف الحلبي، ومحمد بن محمد الشبراوي، القاهري، ومحمد بن الشيخ بن حجر العسقلاني، وأحمد بن إبراهيم الزهري (ت878هـ/ 1473م).

آثاره

خلف الآثاري أكثر من ثلاثين أثرًا ما بين منظوم ومنثور نعرف منها:

1 - بديعيات الآثاري، للآثاري ثلاث بديعيات في مدح الرسول ﷺ:

أ - الأولى: بديع البديع في مدح الشفيع، وهي بديعيته الصغرى، في ستين ومائة بيت مطلعها:

إنْ جئت بدار خطب وانزل بذي سلم
سلّم على من سَبَى بدرًا على علم

وفي اسمها قال:

تدعى البديع منْ محاسنها
وفي مديح الشفيع ابديت العجَبَا

ب - الثانية: البديعية الوسطى، وهي في ثلاثمائة وثمانية أبيات مطلعها:

دع عنك سلْمًا وسل عن ساكِن الحرَمِ
وخلّ سلمَى وسلْ ما فيه من كَرَمِ

ج - والثالثة: العقد البدِيع في مدح الشفيع، وهي البديعية الكبرى ومنها قوله:

لأنّني خادمُ الآثار لي نسبٌ
أرجو به رحمةَ المخدوم للخدم

وقد حقّق هلال ناجي بديعيات الآثاري وطبعت بمطبعة الأوقاف، بغداد، 1977م.

2- الفرج القريب في معجزات الحبيب: قصيدة في مدح الرسول ﷺ، عارض فيها قصيدة البردة وهي في مائة وعشرين بيتًا مطلعها:

سل ما عراني عن سلْمى بذي سَلَمِ
يومَ الرحيل منَ الأحزان والألَمِ

3 - نزهة الكرام في مدح طيبة والبيت الحرام: قصيدة في مدح الرسول الكريم ﷺ ومدح مكة والمدينة المنوّرة، وهي في تسعين بيتا مطلعها:

ابدًا محبّك في مديحك يشرَعُ
يا مَنْ له الجاهُ العظيم الأرفعُ

ثم قال:

شعبان عند البابِ يرجو عَتقه
من حرِّ نار في القيامة يفزَعُ

4 - الخير الكثير في الصلاة والتسليم على الرسول الكريم ﷺ والخير الكثير في الصلاة والسلام على البشير النذير: أربعون حديثًا في الصلاة والتسليم على الرسول الكريم ﷺ، محذوفة الأسانيد.

5- شفاء السقام في نوادر الصلاة والسلام: ذكر فيها أربعين نادرة في فضل الصلاة والسلام على الرسول الكريم ﷺ، وجعلها وسيلته للشفاء من مرض شارف معه على الهلاك أيام سكناه بمكة.

6 - مسك الختام في أشعار الصلاة والسلام: قصيدة في مدح الرسول الكريم ﷺ، رتّب أبياتها على البحور الستة عشر، وجعل لكل بحر بيتين، ومنها قوله:

إذا شئت أن تحيا حياةً طويلة
وتغنم في الدنيا أمانًا وفي الأخرى
فصلّ على خير الأنام محمد
يصلّي عليكَ الله عن مرّة عشرًا

والمؤلّفات الخمسة آنفة الذكر، حقّقها هلال ناجي، ونشرت تحت عنوان: خمسة نصوص إسلامية للآثاري. عن دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

7 - وسيلة الملهوف عند أهل المعروف: قال الآثاري في مقدمة القصيدة بعد البسملة، فهذه

قصيدة ضارعت فيها (بانت سعاد..) في مدح سيد العباد ﷺ، وهي قصيدة مباركة دعوت بها على الفقيه أبي بكر بن المستأذن (ت816هـ/ 1413م) خطيب جامع عدن، وكان يؤذيني كثيرًا بلسانه فحول اللـه تعالى فكَّه من مكانه وهو على المنبر قائمًا يخطب بالناس، كرامةً لتعلّقي بسيّد المرسلين، ثم لما شاع ذلك في خبرها استحسنها غالب الأصحاب، وصاروا يدعون بها على الظالم فيجعل اللـه بالفرج كرامة للحبيب ولهذا سميتها: "وسيلة الملهوف إلى -كذا- أهل المعروف" وهي من بحر البسيط أولها:

خيرُ الأنام هو المقصودُ والسولُ
بالحق للخلق مبعوثٌ ومرسولُ

المصطفى أحمدُ المختار من مضر
لهُ من اللـه تعظيمٌ وتبجيلُ

حقّقها هلال ناجي، ونشرها في مجلّة المورد، بغداد 1974، م3، ع1 .

8- العناية الربانية في الطريقة الشعبانية: ألفية في الخط، وهي أول نتاج علمي للآثاري، فرغ من نظمها سنة 790هـ/ 1388م، وقد نظمها لأنه لم يجد في الخط كتابًا يجمع أصولاً ينتفع بها الطالب والكاتب حيث قال:

ولم أجد فيه كتابًا نافعا
لطالب ولا لأصلٍ جامعا

حققها هلال ناجي، ونشرها في مجلّة المورد، بغداد 1979م، ج2، ع2 .

9- الوجه الجميل في علم الخليل: أرجوزة في علم العروض نظمها تيسيرًا لطلب العلم، وتناول فيها كل ما يتعلّق بهذا العلم، وفرغ من نظمها في رجب سنة 793هـ/ 1390م مطلعها:

الحمدُ للـه على أفضالِه
أحمده شكرًا على نَوالِه

حققها هلال ناجي، ونشرها في مجلّة المورد، بغداد، ج2، ع2، 1979م.

10 - كفاية الكلام في إعراب الكلام: ألفية في النحو، جاءت بألف وثلاثين بيتًا، الثلاثون بيتًا هي خطبة الألفية وضعها للمبتدئين من طلبة علم، وانتهى من نظمها بمكة المكرّمة في رمضان سنة 809هـ/ 1406م فقال:

وهذه ألفية للمُبْتَدي
معينةٌ على بلوغِ المقْصَدِ

حققها هلال ناجي، وزهير غازي زاهد، وطبعت في بيروت، 1987م

11 - عنان العربية: لامية في النحو في خمسمائة بيت، قصَدَ من نظمها تقريبَ النحو لدارسيه فقال:

وهذا نظام للبعيد مقرّب
لحافظِهِ أن لا يجازي فيخذلا

حققها هلال ناجي، وطبعت في بيروت 1999م.

12 - المنهج المشهور في تلقيب الأيام والشهور: أرجوزة في واحد وأربعين بيتًا، نظمها جوابًا لسائل سأله عن تدشينه أسماء الأيام والشهور وجمعها، مطلعها:

الحمدُ للـه على الافْضَالِ
شكرًا مدَى الأيام والليالي

يا سائلي تشديني الأيام
والجمع للشهور والأعوام

حققها محمد علي إلياس العدواني، ونشرت في مجلة المورد، بغداد 1981، م9، ع 4.

13- نيل المراد في تخميس بانت سعاد: قصيدة في تخميس بانت سعاد، مطلعها:

قل للعواذل مهما شئتمو قولوا
فليس لي بعدَ من أهواه معقُولُ

تابيت يوم الندى والدمعُ مسبولُ
بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

متيمٌ إثرها لم يفدَ مكبُول

توجد منها نسخة خطّية في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم: 19/ 20 زيواني، ونسخة أخرى في مركز بغداد للمخطوطات، بغداد برقم [29 مخطوطات عباس العزاوي، قسم الأدب والشعر] وفي بلوغ المراد، وهو تأليف لمجهول تضمين لستة عشر تخميساً لقصيدة بانت سعاد، منها تخميس الآثاري هذا، كتبت سنة 1230هـ/ 1814م وهي برقم 11272 [مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، ص66 و67] وقد سمعت أن هلال ناجي قد حقّقها وهي تحت الطبع.

14- الوافي في علم العروض والقوافي: قصيدة ذكرها بروكلمان [الملحق 2/ 17] ومنها نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

15- مجمع الأرب في علوم العرب: أرجوزة في علوم العربية وصفها بقوله:

جامعةٌ بمثلها لم يسمع
من أجل ذا سميتها بالمجمع

نظمها لطلبة العلم لتكون لهم عونا على الحفظ، وتغنيهم عن الكتب المطوّلة فقال:

وهذه أرجوزةٌ ألّفتها
عدًا وللتدريب قد ألّفتها

تغني جريدَ النفع في الأسفار
بحفظ ما فيها عن الأسفار

توجد منها نسخة خطيّة في مكتبة الأوقاف بالموصل، برقم 4/ 20 زيواني، فرغ منها ناسخها سنة 824هـ/ 1421م.

16- حل العقدة في تخميس البردة: قصيدة مطلعها:

يا قلب قد فاضَ دمعُ العين كالديم
وصرتُ من حرقة الأشواق في ألَمِ

حتّى استحال وجود منك للعدم
أمن تذكّر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى منْ مقلة بدَم

منها نسخة خطّية في مكتبة الأوقاف، بغداد، ضمن مجموع برقم 535 ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية برقم 1410 .

17- الآثاري العمدة في المختار من تخاميس البردة: ذكر في مقدّمتها أنه اطّلع على تخاميس البردة فاختار منها أربعة، وأضاف إليها في الآخر تخميسه على البردة الذي مطلعه:

يا قلب قد فاض دمع العين كالديم...

منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية برقم 169 .

18- مفتاح باب الفرج: ديوان شعر، أوله، الحمد لله الذي جعل مدح الرسول ﷺ سببًا

إلى بلوغ المأمول. . . قصد فيه تنويع البدائع، ورتّبه على مقدّمة وعشرة أقسام وخاتمة. ذكر في المقدّمة أربعين حديثًا، وذكر في القسم الأوّل تخميس بانت سعاد، وفي الثاني تخميس البردة. . . وكلّها قصائد في مدحه عليه الصلاة والسلام. ذكره حاجي في [كشف الظنون، ص1759]، والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417]، وبروكلمان [2/ 17]، ومنه نسخة خطّية في مكتبة ليدن برقم 739 .

19- المنهل العذب: ديوان شعر في النبويات، ذكره [السخاوي، 3/ 303] و[حاجي خليفة، ص1885] والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417]، و الزركلي وكحالة، وبروكلمان [الملحق 2/ 10] وسمّاه: «المنهل العذب البديع في مدح الطيب الشفيع». منه نسخة خطّية في بيش، رقم 1143 .

20- الحلاوة السكرية في علم العربية: أرجوزة في النحو في مائة بيت، جمع فيها مسائل النحو كلها بإيجاز شديد قال فيها:

وهذه حلاوة بَعد الشبَع
جئتُ بها فمن يذق منها انتفع

في مائة مريحةِ التعبان
طالبُها راض عن الشعبان

نظمها في الهند للسطان كرانا بن هبيرانا سنة 806 هـ/ 1403م، ذكرها [السخاوي، 3/ 303]، والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417]، و في [إيضاح المكنون، 1/ 415] والزركلي، وبروكلمان، وعن نسخها الخطّية ينظر أدناه: «القلادة الجوهرية في شرح الحلاوة السكرية».

21- القلادة الجوهرية في شرح الحلاوة السكّرية: شرح على الحلاوة السكرية، انتهى منه في ذي الحجّة سنة 821هـ/ 1418م بالصالحية من دمشق، ذكرها البغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417] و[إيضاح المكنون، 2/ 237] والزركلي وبروكلمان، [2/ 17] منها نسخة خطّية في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم 1/ 32 حجيات، تاريخ نسخها سنة 822هـ، وفي المكتبة الوطنية بباريس برقم 4165 عربيات، وفي برلين برقم 6761، وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة مكتوبة بخط المؤلّف برقم 266 نحو .

22- الهداية في شرح الكفاية: ذكرها البغدادي في [هدية العارفين 1/ 417]، وهي شرح مفصل على ألفيته في النحو المسماة: «كفاية الغلام» منها نسخة خطّية تقع في مجلّدين في دار الكتب المصرية برقم 372 نحو.

23- المرقص والمطرب في إرشاد المعرب: أرجوزة في النحو في مائة وخمسين بيتًا، نقل فيها أبيات الحلاوة السكرية المائة، وأضاف إليها خمسين بيتًا جديدًا منها نسخة خطّية في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم 41/ 20 زيواني.

24- آثار العشرة في تخميس قصيدة البردة: ذكره البغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417] وفي [إيضاح المكنون، 1/ 1] واسمه في فهرست مخطوطات الأدب في المتحف العراقي (ص15) «آثار المعشوق» وهي مجموعة تخاميس على قصيدة البردة للبوصيري، وتتضمّن عشرة تخاميس، منها تخميس للآثاري، وبقيّة التخاميس لشعراء

آخرين، وقد وضع الآثاري لكل تخميس حرفًا يرمز إلى اسم الشاعر الذي يعود له التخميس، وسمى هذا الكتاب بـ «آثار العشرة» منها نسخة خطّية ترقى إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ناقصة الأول برقم 27337/ 1.

ومن مؤلّفاته التي ما زالت في عداد المفقودات:

25- حل العقدة في شرح قصيدة البردة: ذكرها البغدادي، في [هدية العارفين، 1/ 417]، وفي [إيضاح المكنون، 1/ 417].

26- مناهج القرائح في مختار المراثي والمدائح: ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، ص1847]، والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417].

27- هداية الضليل إلى علم الخليل: ألفية في العروض ذكرها [القلقشندي، 1/ 294 و469] وأشاد بها وذكر مطلعها وهو:

الحمد لله المليكِ الغافرُ
ذي الطولِ والفضلِ المديدِ الوافر
سبحانه ماذا يقول البارع
في كاملٍ ليس له مضارعُ

28- لسان العرب في علوم الأدب: منظومة ذكرها [السخاوي، 3/ 303] والزركلي. وذكر [السخاوي أيضًا، 11/ 62] أنّ أبا بكر بن عمر بن أحمد البعلي المولود سنة 808هـ/ 1405م كان يحفظها.

29- الرد على من تجاوز الحد: ذكرها [السخاوي، 3/ 303] والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417] وفي [إيضاح المكنون، 1/ 556] والزركلي.

30- المنهاج الأصلي

31- المنهاج الفرعي: ذكرهما [السخاوي، 1/ 192]، وقال إنّ أحمد بن إبراهيم بن الزهري (ت 878هـ/ 1473م) كان يحفظهما.

32- شرح ألفية ابن مالك: وهو شرح في ثلاثة مجلّدات ولم يتمّه. ذكره [السخاوي، 3/ 303]، والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 417]، والزركلي وكحالة.

قضى الآثاري سنوات عمره متنقّلا بين مصر، والشام، والحجاز، واليمن، ولا نعرف عن أسرته الكثير غير أنه كان قد تزوّج جارية من جواري الأشرف تدعى خود [أنباء الغمر، 3/ 354]، وأن له ولدا ألف له بديعيته الكبرى [بديعيات الآثاري، ص105]. وفي سنة 821هـ اختار سكنى مدينة دمشق، ومع ذلك فقد تكرر دخوله إلى القاهرة مرة بعد أخرى إلى أن وافته المنية بها ثاني يوم قدومه إليها، وذلك في سابع عشر جمادى الآخرة سنة 828هـ عن بضع وستين سنة. وخلف تركة جيّدة بلغت ما قيمته خمسة آلاف دينار ورثها عنه إخوة. وقيل استولى على ماله شخص ادّعى أنه أخوه وأعانه على ذلك بعض أهل الدولة فتقاسما المال.

المصادر والمراجع

● الآثاري، بديعيات الآثاري، تح. هلال ناجي، مطبعة الأوقاف، بغداد 1977 ● م.ن، وسيلة الملهوف، تح. هلال ناجي، مجلة المورد، م3، ع2، بغداد 1974 ● م.ن، المنهج المشهور في تلقيب الأيام والشهور، تح. محمد علي العدواني، مجلّد المورد، م3، ع4، بغداد

1981 • م.ن، العناية الربانية، تح. هلال ناجي، مجلّة المورد، م8، ج2، بغداد 1979م • م.ن، كفاية الغلام، نسخة مكتبة الأوقاف بالموصل ضمن مجموع برقم 4/ 20 زيواني، ورقة 169-171 القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، 3/ 14 • ابن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة، تح. عدنان درويش، القاهرة 1992، ص 303 و 304 • أنباء الغمر بأبناء العمر، تح. حسن حبشي، القاهرة 1972، 3/ 353-353 • المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، نسخة فريدة لدى الدكتور محمود الجليلي، الموصل، وهي في مجلّدين • م.ن، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1972، 4/ 701 • السخاوي، الضوء اللامع، 3/ 301-303 • ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 15/ 128• ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 4/ 184 • الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، تح. حسن حبشي، القاهرة 1971م، 2/ 404 و417 • السكسكي اليمني، طبقات صلحاء اليمن، صنعاء 1994، ص344 و345 • حاجي خليفة، كشف الظنون، منشورات المثنى، بغداد 1050 و 1497 و1676 و1759 و1847 و 1946 • البغدادي، هدية العارفين، إستانبول 1951، 1/ 416-417، • إيضاح المكنون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1/ 415 و 417 و556 و2/ 104 و126 و237 و594 • الزركلي، الأعلام، ط3، 3/ 241 • كحالة، معجم المؤلّفين، دمشق 1959، 4/ 300 و301 • الكردي، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة 1939، ص221 • سليم، محمد رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، القاهرة، 8/ 278 • فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة 1948، 3/ 5

• Brockelman, G, 2, 17. S, 2, 10.

د. صالح ناطق مطلوب
جامعة الموصل - العراق

ابن آجُزوم، أبو عبد الله محمد بن داود

(672 هـ/1273 م ـ 723/1323 م)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، ولعلّ معنى أجروم باللّغة الأمازيغية الفقير الصّوفي. ولد بفاس، وكانت إقامته بها، ويعرف باكروم.

كان ابن آجروم فقيها متضلّعا في علوم الفقه والقراءات والتجويد، قال عنه ابن مكتوم في تذكرته حسب ما جاء في «الشذرات» و«بغية الوعاة» : «نحوي مقرئ، له معلومات من فرائض وحساب وأدب، وله مصنّفات وأراجيز».

آثاره

اتّسعت شهرة ابن آجروم شرقا وغربا بفضل مقدمته الشهيرة الخاصة بقواعد النحو والإعراب المعروفة بالآجرومية لسهولة فهمها وحفظها بالنسبة إلى المبتدئين، قال عنها ابن الحاج : «فصار غالب الناس أول ما يقرأ بعد القرآن العظيم هذه المقدّمة فيحصل له النفع في أقرب مدّة»، ولقد انتشرت في أغلب البلدان العربية والإسلامية، كما اهتمّ بها عدد من المستشرقين مع بداية القرن السادس عشر، واعتبرت بالنسبة إليهم من المداخل الأساسية لمعرفة الطبيعة النحوية لقواعد اللغة العربية، كما ترجمت إلى عدّة لغات أوروبية.

ينتمي ابن آجروم حسب رأي السيوطي إلى مدرسة الكوفة، إذ قال عنه في «بغية الوعاة»: «وهنا شيء آخر، وهو أنّا استفدنا من مقدّمته أنّه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبّر بـ «الخفض» وهو عبارتهم، وقال «الأمر مجزوم بها»، وهو ظاهر في أنّه معرب، وهو رأيهم، وذكر في الجوازم «كيفما»، والجزم بها رأيهم، وأنكره البصريون، فتفطّن».

ويشير السيوطي أيضا عن الراعي أنه «ألّف مقدمته تجاه الكعبة الشريفة»، وهذا ما يفسّر حسب شرّاحه المكانة التي احتلتها مقدمته بين كتب النحاة.

المصادر والمراجع

● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات النحاة، ط. 1، مطبعة السعادة، مصر 1326 هـ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ص62، مكتبة القدسي، سنة 1350 هـ ● السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج. 9، ص 82، مكتبة المقدسي، القاهرة 1353هـ ● ابن الحاج ابن حمدون السلمي، حاشيته على شرح الإمام الشهير الشيخ خالد الأزهري على متن الآجرومية، ط. 6، سنة 1377هـ ● الكفراوي، حسن، شرح على متن الآجرومية في علم النحو، ومعه في الصلب حاشية العلاّمة الشيخ اسماعيل

الحامدي المالكي على الشرح المذكور مفصولا بينهما بجدول المطبعة الحسنية، مصر، طبع عدّة مرات ● المكناسي، أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، القسم الأوّل، ص 221، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973 ● محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنيّة بشرح المقدّمة الآجرومية، القاهرة، 1353 هـ ● الزركلي، الأعلام، ج. 7؛ ط. 2، ص 263 ● محمد مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنحو، جامعة القاهرة، 1953، بغداد، ط. 1 1955، ط. 2، القاهرة 1958 ● الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط. 2، مطبعة السعادة، مصر، 1969 ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج. 3، تر. عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر.

- IBN ADJURRUM, in, Encyclpédie de l'Islam E.J. Brill, Maison-neuve, 1990, tome, III, P. 719.
- Gérard Troupeau, trois traductions latines de la mogaddima d'Ibn Adjurrum, dans Etudes d'orientalisme, dédiées à la mémoire de Levis- provençal, Paris, 1962, p. 65 - 359.

د. عبد الغني أبو العزم
جامعة عين الشق
الرباط ـ المغرب

الآجُرّي، أبو بكر محمّد بن الحسين

(... هـ/ ... م ـ 360 هـ/ 970م)

الإمام الفقيه الشافعيّ المحدّث القدوة أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الجامع بين العلم والصلاح [ابن الجوزي، المنتظم، ج 14 ص 208؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174؛ الذهبي، العبر، ج 2 ص318؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2 ص 373؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4 ص60؛ السّيوطي، طبقات الحفّاظ، ص 379؛ الزّركلي، الأعلام، ج 6 ص97؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 9 ص243].

والآجريّ بفتح الألف الممدودة وضمّ الجيم وتشديد المهملة نسبة إلى عمل الآجر وبيعه، ونسبة إلى درب الآجر أيضا، وهو محلّة كانت ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي سكنها غير واحد من أهل العلم [ياقوت، معجم البلدان، ج 1 ص 69-70؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج 4 ص293]، انتسب إليها جماعة من القدماء

منهم أبو بكر محمد بن خالد بن يزيد، والزاهد إبراهيم الآجري، وأبو حفص عمر بن أحمد بن هارون بن الفرج بن الربيع المقري المعروف بابن الآجري من أهل بغداد، وأبو الحسن محمّد بن محمّد بن أحمد بن الروزبهان الآجري البغدادي [السمعاني، الأنساب، ج 1 ص 59-60؛ ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص 18].

حدّث ببغداد قبل سنة 330 هـ ثمّ انتقل إلى مكّة فسكنها حتى توفي بها، قال أبو سهل محمّد بن عمر العكبري: لما وصل أبو بكر الآجري إلى مكّة استحسنها واستطابها، ودعا الله أن يرزقه الإقامة بها، فعاش بعد ذلك 30 سنة [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 2 ص 243؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 14 ص208؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص 149؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ص 270؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97].

كان محدّثا فقيها ديّنا صالحا ورعا ضابطا ذا تصانيف كثيرة [ابن الجوزي، المنتظم، ج14 ص208؛ صفة الصفوة، ج 2 ص265؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2 ص 374؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 ص 373؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4 ص60؛ السّيوطي، طبقات الحفّاظ، ص 379]، عدّله الخطيب بقوله «كان ثقة صدوقا ديّنا»، [تاريخ بغداد، ج 2 ص243]، وقال فيه الذّهبي: «كان عالما عاملا صاحب سنة وأتباع» [تذكرة الحفاظ، ج 3 ص936].

نازع بعضهم في كونه شافعيّا، وادّعى أنه حنبليّ، لذلك ترجمه ابن أبي يعلى الفرّاء في طبقات الحنابلة وقال فيه: «أبو بكر محمد بن الحسين الآجري الفقيه الحنبلي من أكابر الأصحاب» [ص332]، وقال الفاسي في العقد الثمين «وفيما ذكره ابن خلّكان من أنّ الآجري كان شافعيّا نظر، لأنّه حنبليّ» [ج2 ص4]، والأكثر على أنه شافعيّ وهو ما جزم به الصّفدي، والإسنوي، وابن الأهدل، وغيرهم [الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج 2 ص373؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1 ص 80؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 4 ص317].

روى عن أبي مسلم الكجّي وهو أكبر شيوخه، وأبي شعيب الحرّاني، وأحمد بن يحيى الحلواني، وجعفر بن محمد الفريابي [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 2ص243؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص273؛ تذكرة الحفاظ، ج 3 ص936؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص149]، وعن خلف بن عمرو العكبري، والحسن بن علي بن علويه القطّان، وموسى ابن هارون، وعبد الله بن ناجية، ومحمد بن صالح العكبري، وجعفر بن أحمد بن عاصم الدمشقي، وعبد الله بن العباس الطيالسي، وحامد بن شعيب البلخي، وأحمد بن سهل الأشناني المقرىء، وأحمد بن موسى بن زنجويه القطّان، وعيسى بن سليمان وراق داود بن رشيد، وأبي علي الحسن بن الحباب المقرىء، وأبي القاسم البغوي، وابن أبي داود [الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3 ص 936؛ سير أعلام النبلاء، ج 12 ص273]، وعن المفضل بن محمد الجندي، وأحمد بن عمر بن زنجويه القطّان، وقاسم بن زكرياء المطرّز، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار

الصّوفي، وهارون بن يوسف بن زياد، وخلق من أقرانهم [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 2 ص243].

وعنه روى جماعة من الحفاظ منهم المقرئ أبو الحسن الحمامي، وعبد الرحمان بن عمر ابن النحاس، وأبو الحسين بن بشران، وأخوه أبو القاسم، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء، وخلق كثير من الحجاج والمغاربة والمجاورين [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 2 ص243؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص273؛ تذكرة الحفاظ، ج 3 ص 936].

وقد روى أبو بكر الآجري بسنده جملة من الأحاديث النّبويّة منها ما حدّث به عن خلف ابن عمرو العكبري عن الحميدي عن عبد العزيز بن أبي حازم عن العلاء بن عبد الرّحمان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا مات الرّجل انقطع عمله إلاّ من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلم ينتفع به. وهو حديث صالح الإسناد على شرط مسلم، أخرجه مسلم في كتاب الوصيّة باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته [ج 2 ص1255]، والترمذي في كتاب الأحكام باب في الوقف [ج 3 ص660] وعن محمد بن اللّيث الجوهريّ عن محمّد بن عبيد المحاربيّ عن قبيصة بن اللّيث الأسدي عن مطرّف بن طريف عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته قبل العتمة أو بعدها، قال الذّهبيّ: غريب من الأفراد [سير أعلام النّبلاء، ج 12 ص274]، وهو حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده [ج 1 ص104] وعن أحمد هارون بن يوسف التّاجر عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعير بن الخمس عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدا رسول الله، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت» [ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ص 332]، وهو حديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبيّ ﷺ بني الإسلام على خمس [ج 1، ص7]، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام [ج 1، ص 45]، وعن أبي جعفر أحمد بن يحيى الحلواني عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير بن معاوية عن يحيى بن سعيد عن محمّد ابن إبراهيم التّيمي عن علقمة بن وقّاص اللّيثي عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحهما، فهجرته إلى ما هاجر إليه أو هو حديث صحيح [الفاسي، العقد الثّمين، ج 2، ص 5]، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي [ج 1، ص2]، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيّة» [ج 2، ص1515]، وعن أبي بكر عبد الله بن أبي داود عن أبي طاهر أحمد بن عمرو المصري عن بشر بن بكر عن الأوزاعي عن عبد السّلام بن سليمان عن يزيد ابن سمرة عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ولفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر

الكواكب، إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما إنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر» [أخلاق العلماء، ص 12 -13].

توفي أبو بكر الآجري بمكّة يوم الجمعة أوّل يوم من المحرّم سنة 360هـ، وكان بلغ من العمر ستا وتسعين سنة أو نحوها [كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 9 ص243]. قال الخطيب: قرأت ذلك على بلاطة قبره بمكّة [تاريخ بغداد، ج 2 ص243].

■ آثاره

صنّف في الحديث والفقه كتبا مفيدة اشتهرت في عصره، وانتفع بها خلق كثير [الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 374؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 292] فقد ألّف:

1- أخبار عمر بن عبد العزيز [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 28؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 9 ص 243؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97] 2- أخلاق حملة القرآن [الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97] 3- أخلاق العلماء [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص28؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص27]، وقد تكفّلت بطبعه دار الكاتب العربي 4- أدب النّفوس [الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص 40] 5- كتاب الأربعين، قال السبكي. وقع لنا بإسناد عال [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 273؛ تذكرة الحفّاظ، ج 3 ص936؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2 ص373؛ طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص149؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج 11 ص270] 6- تحريم الشطرنج والملاهي، توجد منه نسخة بدار الكتب الشامية [البغدادي، إيضاح المكنون، ج 1 ص 235؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 9 ص 243؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97] 7- التصديق بالنظر إلى الله عزّ وجلّ وما أعدّ لأوليائه، خ. في الظاهرية، وفي مخطوطات الرباط (323ك) نسخة في خمس ورقات من تأليف له باسم (جزء فيه ثمانون حديثا عن ثمانين شيخا [الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97] 8- التفرّد والعزلة [الفاسي، العقد الثمين، ج 2 ص 4؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4 ص60؛ الكتّاني، الرّسالة المستطرفة، ص40؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص97] 9- التّهجّد [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 273؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 523، 1430، 1037] 10 - كتاب الثّمانين في الحديث [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 273؛ الفاسي، العقد الثمين، ج 2 ص 4؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون، ص523] 11 - الرّؤية 12 - الشبهات [الزركلي، الأعلام، ج 6 ص27] 13 - الشّريعة في السّنة [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 273؛ تذكرة الحفّاظ، ج 3 ص936؛ الفاسي، العقد الثمين، ج 2 ص4؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون، ص 1430؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 9 ص243؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص27] 14 - صفة قبر النبي عليه الصلاة والسلام [حاجي خليفة، كشف الظنون ص1255، 1433] 15 - الغرباء [الزّركلي، الأعلام، ج 6 ص27] 16 - فرض طلب العلم، [حاجي خليفة، كشف الظّنون، ص 1255؛ الزركلي،

الأعلام، ج 6 ص27] 17 - مختصر الفقه [ابن النديم، الفهرست، ص302] 18- النصيحة، ويحتوي على عدة كتب في الفقه [ابن النديم، الفهرست، ص 302؛ الزركلي، الأعلام، ج 6 ص27] 19 - مسألة الطّائفين.

المصادر والمراجع

● أحمد، أبو عبد الله بن محمّد بن حنبل ابن هلال (ت 241هـ)، المسند، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413هـ/ 1993م، ج 1 ص 104 ● البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة الجعفي (ت 256 هـ)، الجامع الصحيح، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413 هـ/ 1993م، ج1 ص2-7 ● مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، الصحيح، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413 هـ/ 1993م، ج. 1 ص45، ج 2 ص1255 ● الترمذي، أبو عيسى محمد ابن عيسى بن سورة (ت 279هـ)، السنن، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413 هـ/ 1993م، ج 3، ص 660 ● الآجري، أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت 360هـ)، أخلاق العلماء، ط دار الكاتب العربي ● ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة بيروت - لبنان، 1398هـ/ 1978م ص301-302 ● الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ (ت463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السّلام، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ج 2 ص 243 ● ابن أبي يعلى محمّد بن الحسين بن الفرّاء، أبو الحسين محمّد (ت 526هـ)، طبقات الحنابلة، تصحيح أحمد عبيد، مطبعة الاعتدال والترقّي، ط1 1350 هـ/ 1931م، ص332 ● السّمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت 562هـ)، الأنساب، تح عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت-لبنان، ط1، 1408هـ/ 1980م، ج1 ص 59-60 ● ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي (ت 597هـ)، صفة الصفوة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ط1 1355هـ/ 1936م، ج 2 ص 265 - 266 ● م. ن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1412 هـ/ 1992م، ج 14 ص 208 ● ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت 626 هـ)، معجم البلدان، تح فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1 1410 هـ/ 1990، مج. 1، ص69 - 70 ● ابن الأثير، عزّ الدين الجزري (ت 630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، 1400هـ، 1980م، ج1 ص18 ● سبط بن الجوزي، أبو المظفّر شمس الدّين يوسف (ت 654 هـ)، مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان الخفيّة (345-447 هـ)، تح جنان جليل محمّد الهموندي، الدار الوطنيّة للنّشر والتّوزيع والإعلان بغداد 1410هـ/ 1990م ● ابن خلّكان، أبو العبّاس شمس

الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تح إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ج 4 ص 293 ● الذهبي، أبو عبد الله شمس الدّين محمّد أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت748 هـ)، تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التّراث العربيّ، ج 3 ص 936 ● م. ن، العبر في خبر من غبر، تح فؤاد سيّد، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية، الكويت 1380هـ/ 1961م. ج. 2 ص 318 ● سير أعلام النبلاء، تح محب الدّين أبي سعيد عمر بن غامة العمروي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان ط 1، 1417هـ/ 1997م، ج 12 ص 273 ● الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح ديدرينغ، دار النشر فرانز شتايلز بفيسبادن، 1401 هـ/ 1981م، ج2 ص 373-374 ● اليافعي، أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن علي (ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دائرة المعارف النامية، الكائنة بمدينة حيدر آباد الدّكن، ط 1، 1338هـ/ 1919م، ج 2 ص 373 ● السّبكي، أبو نصر تاج الدّين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطّناحيّ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 1، ج 3 ص149 ● الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت772هـ)، طبقات الشافعية، تح عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد بغداد ط 1، 1390هـ/ 1970م، ج. 1 ص79-80 ● ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدّمشقي (ت 774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ببيروت ط 1، 1385 هـ/ 1966م، ج. 11 ص 270 ● الفاسي، أبو الطيّب تقيّ الدّين محمّد بن أحمد الحسني المكّي (ت 832هـ)، العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين، تح فؤاد سيّد أمين المخطوطات بدار الكتب المصريّة - القاهرة، 1381هـ/ 1962م، ج 2 ص 4 - 5 ● ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهري الأتابكي (ت 874هـ)، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1352هـ/ 1933م، ج 4 ص 60 ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت 911 هـ)، طبقات الحفّاظ، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان ط 1، 1403هـ/ 1983م، ص379 ● ابن العماد، أبو الفلاح شهاب الدّين (ت 1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت ج 4 ص317 ● الكتّاني، جعفر (ت 1345 هـ)، الرّسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة المشرّفة وما يتبعها من كتب الوسائل التي تبتغى للقاصد والسّائل، بيروت ط 1، 1332 هـ/ 1914م ● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت 1067هـ)، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا، وكالة المعارف

1362هـ/ 1943م، ص 523، 1037، 1430 ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 9 ص 243.

د. برهان النفاتي

جامعة الزيتونة - تونس

■ ابن آد، سيدي أحمد

(... هـ/ ... م - 1044 هـ/ 1634م) ■ ■ ■

هو سيدي أحمد بن آد بن محمد بن أبي بكر بن قوسي بن بلال بن نور. محدث وفقيه من مالي. أصله من بلدة السوق إلى كيدال ثمّ إلى أروان، وهي من مدن جمهوريّة مالي، غير أنّ بلدة السوق بعد ازدهارها في فترة من تاريخ هذه المنطقة أصبحت اليوم مهجورة ومنطقة سياحيّة، وإليها ينسب الخطّ السوقي في غرب إفريقيا.

ويعد الشيخ سيدي أحمد من الأوائل الذين سكنوا هذه البلدة، وقد أقام فيها مسكنا ومسجدا. ولم يستقرّ الشيخ في أروان إلاّ بعد مجيء جيش المنصور الذهبي المراكشي لغزو بلاد السودان الغربي مملكة سنغاي (Sanghai) في عهد إسحاق الثاني سنة 1591. وقد التقى الجيشان في منطقة بمدينة غاو يسمّى توندبي (Tandibu).

درس ابن آد على شيخه العلاّمة محمد بغيغ الونكي الذي كان أيضا أستاذ أحمد بابا السوداني الشهير، صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج. درس عليه صحيحي البخاري ومسلم، وكتاب الشفا، والموطأ.

ولمّا قصد الشيخ أحمد بن آد الديار المقدّسة للحجّ أسند أمور المسجد وما إليه إلى ابنه، وبعد رجوعه من الحجّ وافته المنية في أروان سنة 1044هـ/1634م، ودفن بمسجد فيها، وقبره والمسجد معروفان لدى سكّان منطقة أروان إلى اليوم، وكان ابنه تولّى بعده أمر القضاء في مدينة أروان.

■ آثاره

لا نعرف من نشاطه الفكري شيئا كبيرا، سوى أنّه كان مدرّسا وفقيها وعالما نشيطا، وهو إلى جانب ذلك محدّث ولغوي، ليس له نظير في زمنه.

■ المصادر والمراجع

● الدالي الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، مطابع الوحدة العربيّة، الزاوية، ليبيا، 2001 ● أحمد أكادين عبد الله بن الشيخ محمد، تاريخ السوقيّين، مركز أحمد بابا، تمبكتو، مالي، رقم 280 ● الأرواني

محمد محمود، الترجمان في تاريخ الصحراء وأروان ● الأرواني، أبو الخير عبد الله، نبذة من تاريخ أروان، مركز أحمد بابا تمبكتو، مالي، رقم 1121 ● مؤلف مجهول، حديقة البستان على تاريخ أهل أروان.

عيسى نسوكي
مركز بابا أحمد - مالي

ابن آدَرَّاق، عبد الوهاب بن أحمد

(... هـ / ... م - 1159 هـ / 1746 م)

عبد الوهاب بن أحمد بن محمد آدرّاق، أو آدَرَّاق، ويقال آدراق الطبيب، وكنيته أبو اليُمْن. وينتسب في كثير من المؤلفات إلى فاس فيقال: الفاسي، وبعضهم ينسبه إلى مكناس، فيقول: ابن آدراق المكناسي، ولكنه عاش معظم عمره في فاس حاضرة العلم في المغرب، وتوفي فيها في الثامن والعشرين من شهر صفر 1159 هـ/ 1746 م عن سن عالية نحو الثمانين، ودفن في قلعتها بداخل قبّة محمد بن الطالب، وكان يعد من أهلها، وانتهت إليه في زمانه الرئاسة في فن الطبّ في المغرب.

تلقى علم المداواة والطب عن عدة شيوخ، كالشيخ البوسي، والشيخ البحر وغيرهما. كما تتلمذ على يد الشيخ العارف بالله أحمد بن عبد الله الذي تأثر به كثيرًا، إذ كان يذكر عنه مسائل كانت قد عرضت له في علاج المرضى عن طريق الإيمان بالقضاء والقدر، والتسليم بإرادة الله.

كان ابن آدراق الطبيب الخاص للسلطان أبي النصر إسماعيل وأسرته في المغرب، ولا سيما ابنه أبي محمد عبد الله، وكانت له حظوة رفيعة لدى هذه الأسرة فلازمها. وقد تربّى في كنف أسرة أخذ عنها الطب، إذ كان أهله أصحاب هذه الحرفة فورثها عنهم. وكانت له مكانة متميزة عند الناس، يُجلّونه ويثقون بعلمه وخبرته، ولا تُرَدُّ له شفاعة عند الحاكم أينما حلّ، ويُحتفى به، فينزل في مضارب أو بيوت كانت تخصص للولاة وذوي المناصب السامية في الدولة. يحبه العامة والخاصة، فيقصدونه، أو يتردد عليهم، لمعالجتهم من أمراض شتّى، ويلقى من الجميع التكريم والمكافأة اللائقة، ولا سيما من السلطان وابنه اللذين كانا يجزلان له العطاء بما يساوي حصيلة الجزية المستوفاة من أهل الذمة القاطنين بعاصمة المكناسة، كما منحاه دارا على وجه الإقطاع والتمليك من بيوت العاصمة المكناسية، والرسوم المحصلة من ميزان قاعة العطارين في مدينة فاس، وما يضاف إلى ذلك داخل المدينة وخارجها من ضرائب إعانة له على ما يقوم به

من خدمات للسلطان وملازمته القصر والتفرغ لمعالجة أهله وتطبيبهم [معجم الأطباء، 279]، وذلك بمراسيم سلطانية رسمية.

ويلغ تقدير الناس له لكفاءته في العلاج أن جعله أهل العلم في مكانة أسمى من مكانة أبقراط وابن سينا وسواهما من أطباء الإغريق والعرب المسلمين.

وقد ساعده على الوصول إلى تلك المنزلة نجاحه وصيته الذائع نتيجة للتوفيق الذي كان يلازمه في ممارساته العلاجية.

وكان إضافة إلى حذقه الطب ومهارته فيه عالمًا بالفقه، وأديبًا ناثرا مع قرضه الشعر، ونحويا ضليعا في أبوابه، ولغويا متمرسا في علوم اللغة لا تفوته مسائلها المعقدة، وله في هذه الفنون آثار مخطوطة ضاعت، وبعضها تمّ تحقيقه.

قامت شهرة ابن آدراق الطبية على فلاحه في الإفا · من الأعشاب والفواكه التي خبر منافعها، وعرف فوائدها في العلاج وخواص كل صنف وفصيلة منها، حتّى تفوق على معاصريه من الأطباء في المغرب في معرفة الأعشاب الطبّية، والاستشفاء بالفواكه.

ويروى عن حذاقته الفذة في الطب، أن شخصين ماكرين أرادا أن يختبراه في الطب. وكان ابن آدراق يتّبع طريقة علمية أقرب ما تكون إلى الطرق الطبية العصرية، وهي فحص بول المريض لتشخيص مرضه، فكان يطلب من كل مريض يقصده للعلاج أن يأتيه في الصباح بزجاجة فيها مقدار من بوله يقال له الهراقة. فعمد أحد الشخصين إلى كبش له، فأخذ بوله، وجعله في زجاجة، وعمد الآخر إلى سقف بيت قديم تتسرب منه قطرات من الماء، وملأ بها بعضًا من الزجاجة كأنها الهراقة المطلوبة. وجاء الاثنان صباحًا إلى الطبيب، واختلطا بين المرضى حتى يريا ما يصنع الطبيب. فراح ابن آدراق ينظر في هراقة يقدمها المرضى له، فيشخص مرض المتقدم منه، ويصف له الدواء. حتّى وصل لصاحب الكبش، فتوقف عنده، وجعله في ناحية بعد أن تفحص هراقته. ثم وصل لصاحب السقف فجعله هو الآخر في ناحية، حتّى فرغ من أمور الناس الآخرين. فانبرى لصاحب الكبش، وقال له: هذا غلب عليه الشحم، إن لم تذبحه في القريب العاجل فإن مصيره الموت. ثم التفت إلى الشخص الآخر، صاحب السقف، وقال: اجعل لهذا حريرة، أي سندًا ودعامة وإلا سقط وانهار. وعرف مكرهما، فقبض عليهما، وأراد أن يسلمهما للحاكم لينالا جزاء مكرهما، لكنه عفا عنهما وسامحهما.

ومن الروايات التي تتحدث عن حذقه في الطب، ومهارته في التشخيص الطبي أنه كان يمر على رجل كان ينشد الأبيات الشعرية بصوت جميل، وهو يعمل في مصنع للثياب الفاخرة. فمر يومًا على عادته، وإذا به يلاحظ أن صوته متغيّر. فدخل إليه وسأله عن الآنية التي يشرب منها، فوجدها برّادة يضع الماء فيها ليبرد، فكسرها، فإذا بداخلها وَزَغَة (دويبة ضارة)، فقال هذه هي السبب في تغير صوته.

ومن فراسته بالطب أنه كان مارًّا في إحدى الطرق وبرفقته عبده، فوقع نظره على رجل يحمل بإحدى يديه لبنًا، وفي الأخرى سمكة. فطلب إلى عبده أن يمشي وراء الرجل حتى يعرف مكان الدار. ولما كان الغد، أمره أن يذهب إلى تلك الدار وينظر هل كان فيها

جنازة؟ فذهب العبد، ثمّ أقبل عائدًا وأخبره أن ثمة جنازة في الدار التي عاينها في اليوم السابق. فذهب الطبيب ابن آدراق إلى تلك الدار، ودخل على الميت، وفصده في محل، وقال لأهله: أخّروا دفنه حتى تنظروا في أمره، وإذا بالميّت يتحرّك وقد زال ما به، وعادت إليه الحياة.

وكان من عادته أن يقدّم ويروّج لوصفاته العلاجية بالأعشاب والنباتات بمنظومات شعرية، ومنها قوله في المعالجة بالكبَّر، وهو شجرة ذات أشواك منبسطة على الأرض، كان يستخدم لأغراض تسكين الأوجاع، ومنها وجع الأسنان والمعدة، ولتفتيت الحصى وإدرار البول، وفتح الشهية للطعام، وطرد الغازات من الأمعاء، ومعالجة الالتهابات والقروح، وغيرها من العلل والأمراض:

أفضل شيء للتداوي يؤكلُ
الكَبَّر المملَّح المخلَّلُ

فطبعه الحرّ وقيل البردُ
والحرّ أشهر على ما يبدو

وقيل بل بحسب الأقاليم
حرًا وبردًا عن ذوي التعاليم

مسخن للمِعَدِ المبروده
مفتح للكبد المسدوده

يفتت الحصاة وللبول يدر
وفي الطحال سره أمر شهر

منبه لشهوة الغذا
بعد سقوطها بلا امذا

ويخرج الحام من المفاصل
إن حلّها من خارج أو داخل

ويطرد الرياح والسموما
يبرئها والبهق المنموما

والريق والسعال للمبرود
والخل في المحرور من مفيد

ويبرىء القروح والأسنانا
يعيدها قوتها استنانا

ويبرىء الكسر وما ضهاه
من هتك أو وهن جواه

كذا يحل كل صلب من ورم
وشبهه وفي الخنازير أتم

ويخرج الديدان عن قريب
ولو من الأذن على تجريب

وهذه الخصائص المذكوره
لقشر أصله ترى مسطوره

وقد ينوب اللب عن أصله في
خصاله وبالمزيد قد يفي

والكبّر الحائز كل فخر
ما كان منه نابت في الصخر

آثاره

تذكر المصادر لابن آدراق عددًا من المقالات الطبية، منها:

1 - تعليق على النزهة المبهجة لداود الأنطاكي 2 هز السّمهريّ فيمن نفى عيب الجدري، وقد ردّ فيها على من يدّعي أن الجدري ليس من عيوب الرقيق 3 - منظومة في مدح الطلحاء في مكناسة الزيتون، وهي إحدى المدن المغربية، وتقع على ساحل البحر، ومنها كانت تجلب الحنطة إلى شرق

الأندلس 4 - أرجوزة ذَّيل بها أرجوزة ابن سينا في الطب 5 - أرجوزة في حبّ الإفرنج، المعروف لدى العامة بالنّوار 6 قصيدة في مزايا النعناع الطبية، يقول في مطلعها:

الا هل من الاعشاب نبت يوافق
موافقة النعناع بل ويطابق

ويقول في آخرها:

فما لي لا اثني عليه واعتني
بنظمي لآليه وفضلك سابق

والقصيدة مؤلفة من ثلاثين بيتًا [مخطوط الرباط 540، 18، بروكلمان 545].

المصادر والمراجع

● الأزهري، محمد البشير ظافر، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مصر، 1324 هـ، 1/ 220-221
● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، العصر العثماني، ترجمة محمود فهمي حجازي، القسم التاسع، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 51 ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، 1955، 1/ 634 ● حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية والإسلامية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، 5/ 332-333 ● الخيلي، محمد، معجم أدباء الأطباء، النجف، 1946، 1/ 253-255 ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1984، 4/ 181 ● عيسى بك، أحمد، معجم الأطباء، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة ثانية، 1982، 278-281 ● الكتاني، محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبع بفاس عام 1316 هـ، 1938م، 2/ 341 ـ 350.

د. أحمد هبو
جامعة حلب ـ سوريا

آدم، الهادي

ولد الأستاذ الشاعر الهادي آدم بمدينة الهلالية، على شاطئ النيل الأزرق، جنوبي الخرطوم.

نشأ بالهلالية، وتلقى فيها تعليمه الأولي، ثم سافر إلى مصر ليتلقى تعليمه الجامعي بكلية دار العلوم الجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول)، وهي جامعة القاهرة (حالياً)، وتخرج فيها بدرجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. ثم نال دبلوماً عالياً ـ بعد ذلك ـ في التربية من جامعة (عين شمس).

عاد الشاعر الهادي آدم بعد تخرجه في الجامعة إلى وطنه السودان، حيث عمل معلماً

بوزارة التربية والتعليم، وتقلد خلال فترة عمله مناصب إدارية، منها رئاسته لشعبة اللغة العربية بمدرسة حنتوت الثانوية، ومنصب المدير لعدد من المدارس الثانوية.

هذا وقد منح درجة الدكتوراة الفخرية في التربية، من جامعة الزعيم الأزهري.

برز الهادي آدم كشاعر مجيد، في كثير من المحافل الأدبية في السودان، كما مثل السودان في العديد من المؤتمرات والمهرجانات الأدبية في عدد من العواصم العربية. وقد كان عضواً بجامعة الأدب السوداني.

كما نال الأستاذ الشاعر، وسام جمهورية السودان الذهبي للعلوم والآداب والفنون، تقديراً لاسهاماته في الحياة الأدبية داخل وخارج السودان، وهو أيضاً عضو بجمعية المؤلفين بفرنسا.

أول عمل شعري مطبوع للشاعر الهادي آدم، تمثيلية شعرية أصدرها عام 1955م وأهداها (إلى المرأة السودانية المجاهدة التي وقفت تتحدى عوامل الزمن، وأعاصير الرجعية، وسارت مرفوعة الرأس، في طريق الكرامة والتحرر).

قدم الدكتور عبد الله الطيب لتمثيلية «سعاد» الشعرية للأستاذ الهادي آدم، بقوله: يسرني أن أقدم لقراء العربية «رواية سعاد» وهي مسرحية شعرية قصيرة، مكونة من ستة فصول... ولعله يكون أصدق لو وصفنا «رواية سعاد» بأنها قصيدة تمثيلية، لا بأنها مسرحية شعرية، لأن روح القصيدة أطغى عليها وأوضح فيها، فالمؤلف لا يهتم بإبراز الشخصيات، وتصوير عقدها الخلقية واتجاهاتها النفسية، وإنما يهتم بإبراز المواقف العاطفية بصورة مجملة عامة، وقد التزم في أكثر القصيدة وزناً واحداً، ولم يخرج عنه إلا عند هذه المواقف العاطفية التي تحتاج إلى إبراز وتوضيح، مثال ذلك الحوار المثير بين عياد وحليمة. تقول حليمة:

عباس شيخٌ جاوز السـ
بعين من عمْر قصي
وسعادُ في عمر الورو
د، ترفّ كالزهر الندي
في أي دين في الشرا
ئع زوّجُوا ميتاً لحي

فيعترض عياد قائلاً في خشونة وفظاظة:

كفى أيها الحمقاء هذراً وخسة
فعباس من نسل الرجال الأطايبِ
سعاد ابنتي وحدي وإن شئت قتلها
فعلت ولا يعلو صداك بجانبي
قطعت بها عهداً فإن كنت حانثاً
قطعت يميني أن تمس شواربي

أصدر الشاعر الهادي آدم ديوانه الشعري الأول في عام 1964م، وهو يحوي تسعاً وخمسين قصيدةً، يغلب عليها الشعر الوطني والسياسي، مع شيء غير قليل من الرثاء والشعر الاجتماعي، وقليل من الشعر العاطفي.

وقد استهل الديوان، بقصيدة عنوانها «الشاعر»، جاء فيها:

انا في الحياةِ حقيقةٌ كبرى وكونٌ هائلُ
يصحُو ويرقد في فؤادي عالم متكاملُ
روحي مجنحةُ النزوع حنينُها متواصلُ

هي في زحام الحادثات نسائم وأصائلُ

ويمضي الشاعر في قصيدته قائلاً:

وأبيت أستوحي مصائرَ أمتي شوقاً وسهدًا
وأظل أرشف من بقية كأسها صاباً وشهدًا
كم ذاب شعري أدمعاً فيها وكم هدهدت مهدًا
ولكم تحرق في مجامرها دمي عطراً وندًا

ومن شعره الوطني، نقف عند أبيات من قصيدته «ثوري، بلادي» التي كتبها في عام 1957م، بعد الاستقلال:

هبّي بلادي حان الخطب أو صعبا
في ذمة الله والتاريخ ما ذهبا
وهذه الثورة الشعواء مضرمةٌ
ترنو إليك فزيدي نارها حطبا
إن الزمان ليعطي من يسابقه
فإن توانى عليه ارتد ما وهبا

ويحيّي الشاعر الوفد الجزائري الذي زار السودان، بعد انتصار الثورة الجزائرية، فيقول:

دقي طبولكِ بالبشائرْ
واستقبلي وفد الجزائرْ
وقفي بلادي قلعةً
شمَّاء تَحمْي كلَّ ثائرْ
وافاك أنبل من عرفت
من الوجُود وخيرُ زائرْ
شعبٌ له عَنَتِ الجباهْ
وباسمه لَهجتِ المنابرْ

ومن قصيدته «كوخ الأشواق» الأثيرة لدى الشاعر، حتى سمي بها ديوانه الأول، نختار هذه الأبيات التي استهل بها القصيدة:

من كوخ أشواقٍ أطل على معالم ذكرياتي
وأظل أدفن في جوانبه الكئيبة أمسياتي
تتململ الآهات في صدري فيعييها التفاتي
أهفو إلى الفجر الحبيس وراء لمع الترهات

ويخاطب شاعرنا الهادي آدم، زميله الشاعر المبدع إدريس جماع، وهو يعيش دوامة ذهوله وأزمته النفسية:

أفقْ شاعرَ الأنداء والصبحِ والرؤى
وحرَّ المعاني والعتاق الشواردِ
أفق ساحرَ الأسماع من حيثُ لا طلا
تدار ولا تَحنان هيمان واجدِ
أفق فالذي ما زال وسنان حالماً
وإن كان في عين الكرى غير هاجدِ
عزيز على الأنداء ترنو بعينها
إليك فترميها بنظرة زاهدِ

وهذه أبيات من قصيدته «طيف»:

يا مالئاً من مهجتي كفاً ومن نومي جفونا
أخليت من روحي يدي فطفقت أسكبها حنينا
ونضوت عن عيني الكرى فسهرت أنشده حزينا
لا ترث لي وأسلك إذا ما شئت في هجري فنونا
حسبي من الهجران طيف لم يعد يخشى العيونا

صدر للشاعر الهادي آدم ديوانه الثاني «نوافذ العدم» في عام 1997م، ونلاحظ أن هناك فترة زمنية طويلة ما بين صدور ديوانه الأول في عام 1964م، وبين صدور ديوانه الثاني.

يحوي ديوان (نوافذ العدم) ثماني وأربعين قصيدة، يواصل من خلالها الشاعر اهتمامه الظاهر بهموم وطنه الصغير السودان ووطنه العربي الكبير. ويلاحظ أن الشاعر في هذا

الديوان يجنح إلى النفس الطويل في قصائده، كما يبدو واضحاً روح التديّن في قصائده النبوية.

هذا الديوان يذخر بعدد من القصائد تنحو نحو «شعر التفعيلة»، مما يخالف ما ذهب إليه الشاعر في ديوانه الأول «كوخ الأشواق» من التزام بعمود الشعر العربي القديم. ففي قصيدة بعنوان «إنها غير بعيد» يقول:

إن تكن دنياكم دنيا سلام
وسرور ليس يغني وابتسام
فلماذا يطرح النور الظلام
ولماذا تلد النار الرماد
خبروني إن تكونوا تعلمون
ما الذي يهتف بالطفل الصغير
وهو لا يعرف معنى للسأم
أن يمل البسمة الكبرى... وتدليل الملاح
دونما داع
ويختار النواح

وفي قصيدته «حزمة أعصاب»، يقول الشاعر الهادي آدم:

إلى متى
نبيع في سوق المنى
أعصابنا المرهقه
ونشتري المستقبل المرتجى
فتحتسي أيامنا المشرقه
ونصنع السراب من خيالنا
فنعشق السراب
وندفق الشراب
وكلنا ثقه
يا حزمة الأعصاب في سموق الطموح
كم للنفاق من حيل؟
وكم لبائعي الأمل؟
وكم لما تبقى... بعد
من كرامة البشر؟
يا شملة ممزقه

ونلاحظ أن الشاعر قد أتيح له أن يزور عدداً من البلاد العربية، وغيرها. فنجد له قصيدة كتبها في بيروت، بعنوان «عجبت للبنان من آسر» سنة 1973م، وأخرى في حضرموت اليمن سنة 1969م، وثالثة في سويسرا سنة 1978م، ورابعة في دمشق سنة 1973م. ونختار من هذه القصائد، أبياتاً من قصيدته بعنوان «دمشق» يقول فيها:

رُبى الفيحاء خلجان وظلُّ
ووجه الأرض أنداء وطلُّ

وجنات على الآفاق أزكت
منابتها سماء تستهلُّ

متى أرسلتَ طرفك في مداها
بعيداً خلتَ فاتنة تدلُّ

تريك الشمس رونقها فتربو
ويحجبها الغمام فتضمحلُّ

أتلك دمشق أم جنات عدن
وهل كدمشق في الدنيا محلٌّ

سقى بها بردى الحور العوالي
تكاد بها السحائب تستظلُّ

وتستوقفنا قصائد الشاعر في رثاء بعض أصدقائه من الشعراء النوابغ: محمد عبد القادر كرف، محمد المهدي المجذوب، محمد محمد علي، نختار منها أبياتاً من قصيدته في رثاء الشاعر محمد محمد علي «ألحان وأشجان»:

غاضت مع الفجر ألحان وأشجانٌ
فهاجت القلب آلام وأحزانُ

وخر عن أيكه مزمار وارفة
عروشه أبدا زهر وأغصانُ

وأوحشت دار أنس ظلماً عمرت
فازورّ عن سامر بالدار ندمانُ

أخلى محمد في السمار مقعده
كما خلا من هتاف الورق بستانُ

ويختم الهادي آدم ديوانه الثاني «نوافذ العدم» بثلاث قصائد، يقدم خلالها لأول مرة لوناً جديداً من شعره، يظهر فيه تعلقه برسول الله ﷺ. أولى هذه القصائد بعنوان «القلب النظيف»، والثانية بعنوان «مناجاة»، بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ، والثالثة بعنوان «يا صاحبي غار ثور» بمناسبة الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الشريفة.

يقول الشاعر في قصيدته «مناجاة»:

كم فيك للروح من فيض ومن زادِ
يا ليلة في الليالي ذاتِ أمجادِ

بحسب روحي من علياك منزلة
ما بت توحين من شدو وإنشادِ

يا مولد النور هي قيثارتي نغماً
واشدد قديتك من أوتار أعوادي

حتى أردد في أفياء سامرها
أشجى اللحون لأشجى عيد ميلادِ

ويقول الشاعر الهادي آدم في مطلع قصيدته «يا صاحبي غار ثور»:

من لي برؤياك في مرآة أحلامي
ونور محياك يطوي ليل أوهامي

أمكرمي أنت بالرؤيا وإن عبرت
فهي الشفاء لأدوائي وأسقامي

إني لأبصرت وجهاً من رآه رأى
شمس النهار بلا ريب وإبهام

وجهاً يصلي عليه الله في ملأ
من الملائكة حفت عرشه السامي

فيه هدى الله يسعى فاستجاب له
من قد هدى الله من وحي وإلهام

آثاره

1 - سعاد، تمثيلية سودانية شعرية، سنة 1955م. 2 - كوخ الأشواق، ديوان شعر، سنة 1964م. 3 - نوافذ العدم، ديوان شعر، سنة 1997م. 4 - عفواً أيها المستحيل، ديوان شعر، سنة 1999م. 5 - المجموعة الكاملة، تضم الدواوين الثلاثة للشاعر، سنة 2002م.

المصادر والمراجع

● الدواوين الثلاثة للشاعر: أ - كوخ الأشواق. ب - نوافذ العدم. ج - عفواً أيها المستحيل. ● سعاد - تمثيلية شعرية. الهادي آدم - ط 1 - 1955م. ● الحصيلة - قصائد 21 أكتوبر - الكتاب الثاني - جماعة الأدب المتجدد - ط 1 - يوليو سنة 1965م. ● المجموعة الكاملة - الهادي آدم - الناشر: مؤسسة (أروقة) للعلوم والثقافة - الخرطوم - 2002م.

د. حديد السرّاج
كلية الإعلام والدعوة - جامعة القرآن الكريم
أم درمان - السودان

آده، ابن أحمد فال محمد مولود

(1260 أو 1259 هـ / 1844 م - 1323 هـ/1905 م)

هو محمد مولود الملقب (آده) بن أحمد فال بن محمذ فال اليعقوبي الموريتاني، فقيه ذائع الصيت، غزير العطاء العلمي، ولد بمنطقة الترارزة بجنوب غرب موريتانيا لأب فقيه يزاول مهام الفقهاء من تدريس وفتيا وقضاء وكان آباؤه معقلا للفقه والقضاء منذ أمد بعيد، [ابن السعد، تاريخ القضاء، ص 65]، وقد وصف جده لأمه محمد مولود بن الناهي بأنه عالم مؤلف، له مكتبة غنية، جاء ببعض ذخائرها العلمية من رحلة الحج. [أحمد سالم يحيظه، مقدمة مرام المجتدي، ص 55].

نشأ محمد مولود في بيئة بدوية شديدة الحرص على العلم والتعلّم وأدواتهما، فبدأ التعلّم في وقت مبكر ونال حظا وافرا من علوم الثقافة العربية الإسلامية، واشتهر بعلوم القرآن والفقه والنحو واللغة والتصوف والأخلاق.

والظاهر أنه أخذ العلم عن ناس كثيرين. من أشهرهم، إضافة إلى ذويه الأقربين، محمذ فال بن متال (ت 1287هـ)، ومحمد مختار بن حبيب الله اليعقوبي (ت 1303 هـ)، ومحمد عال بن سعيد الحيبلي (ت 1310هـ). وكانت خزانة كتب الأسرة غنية فساعده ذلك على استكمال تعليمه وتبوُّؤ رتبة العلماء. فإضافة إلى الخزانة التي أحضرها جده لأمه من رحلة الحج يذكر أن والده رحل إلى المغرب بحثا عن الكتب، ثم التحق به ابنه محمد مولود هناك وعادا بأحمال منها [ابن محمد المامي، شخصية محمد مولود، ص 15].

أدار محمد مولود مدرسة تلقّى فيها العلم رجال كثيرون صارت لبعضهم مدارسهم وعطاؤهم العلمي، منهم محمد الأمين بن أبّوه اليعقوبي (ت 1336 هـ)، ومحمد الخضر بن حبيب الله اليعقوبي (ت 1344 هـ)، وحبيب بن الزائد التندغي (ت 1364 هـ)، وأبو المعالي بن أمينة اليعقوبي (ت1362هـ).

والظاهر أن نشاطه في التأليف كان يأخذ جلّ وقته، فأثمر ذلك آثارا علمية يمكن وصفها بما يلي:

- **الكثرة والتنوّع**: فقد تجاوزت مؤلّفاته سبعين، بينها النظم والنثر، وبينها كتب طويلة ورسائل وكتب صغيرة لا تتجاوز عدة ورقات، وتعالج مختلف جوانب الثقافة العربية الإسلامية [أحمد سالم، مقدمة مرام، ص63-79].
- **التجاوب مع مقتضيات واقع مجتمعه**: فقد كتب مؤلّفات ورسائل كثيرة تعالج قضايا محدّدة بطريقة ميسّرة تستجيب لمستوى عامة الناس وحاجاتهم، ولا تتطلب دراستها جهدا كبيرا، وعمد في مؤلفاته الكبيرة والصغيرة إلى التركيز على الأحكام التي تدعو إليها حاجة الناس في بيئته، وتجاوز بعض الأبواب الفقهية التي تتناول أحكاما لا يجري بها عمل

في البلد آنذاك، وصرّح بأنه أعرض عن تلك الأبواب لأنها تتّصل بأعراف أهل بلاد أخرى ومعاملاتهم، وكأنه يسعى إلى إعادة النظر في مقررات التعليم لجعلها مراعية لخصوصية بيئة المتعلّم ملبّية لحاجاته، ليسهل تعلمها وتحصل بها الفائدة. وانطلق في ذلك من الإشارة إلى البون الشاسع بين ظروف مجتمعه الشنقيطي البدوي في غياب سلطة مركزية وبين الظروف التي نبتت فيها المؤلفات المعتمدة في أغلب مدارس البلاد آنذاك قائلا: «ولما كانت متون الفقه المتداولة هنا تصانيف أهل المدن الشاغرة، الأندلس والقيروان في المائة الرابعة والسابعة، ونحن أهل عمود بأقصى المغرب في المائة الرابعة عشرة وقد تعرّضوا كثيرا لما لا يقع بنا أو يقع نادرا... ككثير من ألفاظ الطلاق والحبس التي لا نستعملها، والأطعمة التي ليست في بلادنا كفلفل وكزبرة إلخ... ما لا يعد مما جمع الصعوبة وعدم الوقوع فينا أو ندوره... رأيت من أنفع ما يؤلف اليوم كتاب يغني العوام عن الرسالة والتحفة والمختصر وعما تشتّت في الثلاث من معضل لم يقع بنا ويفنى بالاشتغال به العمر وضعت فيه متنا لطيفا» [محمد مولود، شكر النعمة بنشر الرحمة، ص 113-114]، فهو يسعى بكتابه هذا وبكتب له أخرى إلى وضع مقرّر علمي يراعي البيئة ويستجيب لحاجات المتعلمين وقدراتهم لأن الكتب المتداولة في نظره لا تلائم واقع الناس، ولذا عاشوا تناقضا نجم عنه استعصاء استيعاب تلك الكتب على غير الخاصة.

- **الغاية الإصلاحية**: فقد دار كثير من كتبه ورسائله حول المبادئ والمعايير الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم في علاقته مع خالقه، وفي علاقته مع محيطه الاجتماعي. ويكفي في التدليل على طبيعة آثاره العلمية وشموليتها ذكر بعض عناوينها، مثل محارم اللسان، والسمع، والبصر، ومأدبة الأنداب في ما للإنفاق من الآداب، والظفر بالمراد في البر بالآبار والأجداد، وآداب المسجد... إلخ...

آثاره

1 - المترادف من القرآن العظيم، تح. محمد الأمين بن محمد محمود بالمدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1983 (مرقون) 2 - محارم اللسان، تح. محمد عثمان بن محيي الدين، نشر أحمد سالك، نواكشوط 1983 3 - إحكام المقال في أحكام السؤال، نشره أحمد سالك بن أبوه 1983 4 - إنارة الأبصار والأفكار بشواهد النحو من الآثار والأخبار، تح. محمد بن أحمد في بحث بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1986 (مرقون) 5 - شرح نظم عبيد ربه في النحو، تح. عبد الله بن محمد أحمد في البحث بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنواكشوط 1986 (مرقون) 6 - الظفر بالمراد في البر بالآباء والأجداد، تح. أحمد بن سيدي محمد بن الشيخ أحمد في بحث بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1987 (مرقون) 7 - الكفاف (كفاف المبتدي في فني العادات والتعبد)، مراجعة وتح. محمد عثمان بن محيي الدين، نشر أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبوه، طبع دار العلم للطباعة والنشر، جدة، السعودية، ط 1، 1986 8 - تأليف في ما أجمع عليه

القراء مع بيان ما اختصت به رواية ورش، تح. محمد عثمان ونشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة 1996. وكان قد حققه المختار بن محمد يحظيه بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنواكشوط 1987 (مرقون) 9 ـ شكر النعمة بنشر الرحمة، مراجعة وتح. محمد عثمان، نشر أحمد سالك بن أبوه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1991 . 10 ـ آداب التلاوة، وآداب المسجد، وإشراق القرار والحسبة ونظم التفكر مع شرحه للمؤلف وما يسقط فريضة الحج والنقلة حول تحقيق وقتي الصبح والمغرب، ورسالة وجهها إلى قرينة محمد الأمين بن أبوه، طبعت هذه الآثار جميعا في مجلد واحد بتحقيق محمد عثمان ونشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1996. 11 ـ تحريم مس المصحف بالنجاسة، وتعليم الصبيان، والنقش على القبور، نشرت في كتاب واحد بتحقيق محمد عثمان ونشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة 1996. 12 ـ مطهرة القلوب من فترة العيوب، تح. محمد عثمان، نشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة بالمغرب 1996. 13 ـ القول السديد في وجوب التجويد، تح. محمد عثمان بن محيي الدين، نشر أحمد سالك بن أبوه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1996. 14 ـ أدبة الأدب في مأكل ومشرب، تح. محمد عثمان، نشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1996. 15 ـ بصائر التالين لكتاب ربّ العالمين، تح. محمد عثمان، نشر أحمد سالك، مطبعة النجاح الجديدة 1996.

المصادر والمراجع

● ابن أباه، محمد المختار، دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، نشر الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981، ص 75-82 (القسم الفرنسي) ● محمد الأمين بن محمد محمود، مقدمة تحقيق كتاب المترادف من ألفاظ القرآن لمحمد مولود، مذكرة نهاية الدراسة بالمدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1983، ص 8-26 ● فال، محمد مولود بن أحمد، الكفاف، تح. محمد عثمان، نشر أحمد سالك، ط1، 1986 ● أحمد سالم بن محمد المام، شخصية العلامة محمد مولود بن أحمد فال، بحث لنيل الإجازة من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1988 (مرقون) ● المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس 1990، ص 343. وجزء إديقب بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط (مرقون)، ص 130 ● الخديم، محمد الحسن بن أحمد، مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي، تح. وتقديم محمد سالم بن محمد الحسن وأحمد فال بن أحمد يحيى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 1994، ص 53-96 ● محمد المختار بن أباه، تاريخ النحو في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1996، ص 520-521 ● م. ن، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 2001، ص 661-662 ● محمد المختار بن السعد وزميلاه، تاريخ القضاء في موريتانيا، نشر المدرسة الوطنية للإدارة بالتعاون مع المدرسة القومية للإدارة في تونس 1997، ص 65 ● محمد مولود بن أحمد فال، شكر النعمة بنشر الرحمة، تح. محمد عثمان بن محيي الدين المغرب، 1990 قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، فيه نسخ من أهم كتب محمد مولود بن أحمد فال.

د. سالم أحمد ولد محمدو
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

■ آزاد البلكرامي، غلام علي بن نوح الحسيني

(سنة 1116 هـ/1704 م - 1200 هـ/1785م)

هو سيد غلام علي بن نوح الحسيني الواسطي المتخلص بآزاد البلكرامي، كان والده لسبع سنوات نائبا من قبل الدولة على بهكر وسيستان، كما عمل آزاد نفسه في نفس المنصب في مدينة سيستان حتى 1737م/ 1150هـ. وقد حج بيت الله الحرام في العام نفسه، وبقي في مكة عامين، وهناك درس الحديث على الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري، وإثر عودته إلى الهند استقر في مدينة أورنج آباد حيث كانت له علاقة طيبة بالأمير نظام الدولة ناصر جنج، إلا أن آزاد البلكرامي لم يقبل أن يتولى أي منصب في حكم هذا الأمير، وقد توفي 1200هـ/ الموافق 1785م.

كان آزاد عالما جليلا، وله باع طويل في مختلف العلوم الإسلامية، وقد أطلق عليه حسان الهند لكثرة مدحه للرسول في شعره، كما كان شاعرا كبيرا تتلمذ في الشعر على يد جده لأمه عبد الجليل البلكرامي، الذي كان من السادة الأشراف، وتتلمذ على يد الشيخ الأترولي، وأخذ العروض والقوافي عن خاله محمد عبد الجليل.

ويعد آزاد الشاعر الوحيد في شبه القارة الهندية، الذي ترك سبعة دواوين في الشعر العربي، طبع منها ثلاثة وتوجد نسخ خطية منها كلها بمكتبة صديق حسين بلكنَهو، وقد نشرت منتخبات من هذه الدواوين تحت عنوان «السبعة السيارة».

بلغ شعر آزاد العربي حوالي أحد عشر ألف بيت صاغه في قالب الترجيع بند، والترجيع بند عبارة عن مجموعة من الأبيات متحدة في القافية كوحدة واحدة، ثم يليها بيت أو شطر يتكرر بعد كل وحدة شعرية، وهو يشبه المسمط العربي.

ولآزاد محاولات كثيرة في إخضاع الشعر

العربي لبعض الخصائص الفنية في الشعر الأردي ، وإن كانت هذه المحاولات لم تنجح بشكل قاطع، ومنها محاولته النظم في العربية في قالب الغزل الأردي، وهو عبارة عن قالب فني متحد القافية والرديف، والقافية هي الكلمة التي تسبق الرديف، وتتفق في حرف الروي منها، أما الرديف فهو الكلمة أو الجملة أو شبه الجملة التي تلي الرديف ولا تتغير، وإنما تتكرر في كل أبيات الغزلية التي يكون عدد أبياتها في الغالب ما بين سبعة أبيات إلى خمسة عشر بيتا، وقد تزيد أو تنقص، ولكن يظل هذا قليلا . هذا وكل بيت في الغزلية يعد وحدة قائمة بذاتها من حيث المعنى، ومن الممكن أن تتحد بعض أبيات الغزلية في الموضوع، وحينئذ يطلق على هذه الأبيات المتحدة قطعة.

أما إذا اتحدت الغزلية كلها في الموضوع فتسمى غزلا مسلسلا، ولكل غزلية في الغالب مطلع ومقطع.

فأما المطلع فهو البيت الأول، وتتحد شطرتاه قافية ورديفا، وأما المقطع فيذكر فيه الشاعر في الغالب تخلصه، وهو الاسم الأدبي الذي يختاره الشاعر لنفسه ليعرف به، وقد يكون اسمه الحقيقي وربما لا يكون كذلك. أما موضوعات الغزل فهي مختلفة، وليست بالمعنى العربي لها الذي يقتصر على الحديث عن النساء وما شابه ذلك، ولآزاد ديوان كامل مردف ، وهذا نموذج لأشعاره المردفة:

إن الشعر العربي في شبه القارة الهندية اتصف ببعض السمات التي نجدها غالبا في كثير من الدول غير العربية التي دخلها الإسلام، وسوف نلمس هذه الخصائص بشكل عام في شبه القارة، وبصفة خاصة عند آزاد.

إن أول سمات الشعر العربي في شبه القارة، هو أنه شعر مقلد وبعيد عن الإبداع الحقيقي، حتى ليشعر القارئ بهذا أن لغته أقرب إلى لغة المعاجم منه إلى اللغة العربية التي يتحدث بها الناس، وهذا أمر طبيعي لأن مصادر اللغة العربية في شبه القارة لم تكن عن طريق الاحتكاك مع أهل اللغة بقدر ما كانت نابعة من الإطلاع والدراسة، فظهر شعرهم وكأنه شعر.

والسّمة الثانية أن الشعر العربي في شبه القارة لم يجن فائدة كبيرة من تجارب اللغات التي سبقته في هذا المجال، اللهم إلا بعض المفردات البيئية أو المنتجات الخاصة بتلك البلاد التي تسللت إلى الشعر العربي، وربما كان السبب هو كثرة اللغات في شبه القارة الهندية، وهى لغات زاحمت على أي حال وجود اللغة هناك، على عكس الأندلس التي لم تزاحم لغاتها اللغة العربية بنفس القدر.

والسّمة الثالثة أن الشعراء في شبه القارة الهندية لم يحاولوا الخروج عن الموضوعات التقليدية إلا في القليل، وندرت محاولات التجديد لديهم، وربما كان مرد ذلك إلى نظرة التقديس إلى اللغة العربية هناك، والتي منعتهم من محاولات التجديد. ومن هنا خلا الشعر العربي في شبه القارة من المنظومات الروائية والتاريخية ، واقتصرت على موضوعات اللغة والبلاغة وعلومها.

آثاره

من أهم مؤلفاته كتابه «سبحة المرجان في آثار هندوستان»، والذي تحدث فيه من خلال

أربعة أبواب عن فضل شبه القارة الهندية وأهميتها في كتب المفسرين والمحدثين، كما تحدث فيه عن علماء المسلمين في تلك البلاد، وترجم لثلاثة وأربعين من مشاهيرها، وبترتيب تاريخي محكم، بدأهم بأبي حفص ربيع الذي كان من تابعي التابعين، ثم هاجر إلى السند وتوفي هناك عام 160هـ/ الموافق 776م، واختتمهم بترجمة لنفسه.

وتحدث آزاد البلكرامي في سبحة المرجان عن فن الخطابة ، ثم عن العشق (محبت)، والصورة بين الهندية والعربية، كما أن له مؤلفات قيمة باللغة العربية والفارسية منها: كتاب «تحفة الثقلين» وهو ديوان شعري، ويوجد في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، و«تسلية الفؤاد في قصائد آزاد»، و«شفاء العليل، في إصلاح كلام المتنبي»، و«غزلان الهند، في أنواع النسوان»، و«مظهر البركات»، وتوجد نسخة منه بمكتبة الجامعة الإسلامية بعليكره بالهند، و«مزدوجة في البحر الخفيف» على وزن مثنوي جلال الدين الرومي تحتوى على سبعة عشر قصة، و«مرآة الجمال» قصيدة في وصف أعضاء المعشوق، و«مآثر الكرام في تاريخ بلكرام»، و«الشجرة الطيبة» و«سند السعادات».

كما أن له مؤلفات بالفارسية منها «سرور آزاد»، و«يد بيضا»، و«خزانة عامرة»، وكلها في أخبار شعراء الفارسية وله ديوان بالفارسية فيه تسعة آلاف بيت.

المصادر والمراجع

● زبيد أحمد، عربى أدبيات مين باك وهند كاحصه صاكستان 1987م ● جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي صاكستان ● اللكنهوي، عبد الحي، نزهة الخواطر، ج 8 صاكستان 1976م ● مولوى كريم الدين، فرائد الدهر، الهند ● آزاد، غلام علي، سبحة المرجان في آثار هندوستان الهند 1980م ● إدريس، أحمد، الأدب العربي في شبه القارة الهندية، القاهرة 1998م.

د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمان
جامعة الأزهر - مصر

آزاد، مولانا أبو الكلام محيي الدين أحمد

(1306هـ / 1888 م - 1375 هـ/ 1956م)

هو محيي الدين أحمد بن خير الدين، مولانا أبو الكلام آزاد الدهلوي ولد بمكّة المكرمة لأب هندي وأم عربية عام 1306هـ/ 1888م وسمي باسم «محيي الدين أحمد»، وسيتخذ آزاد أي الحر لقبا له للدلالة على نزعته التحررية في فكره. انتقلت الأسرة بعد مولده بسنتين من مكة إلى مدينة كلكتا جنوب الهند، وكانت أمه بنت عالم فاضل من علماء الحديث النبوي في المدينة المنورة يدعى طاهر الوتري. ماتت بعد مجيئها إلى الهند بعام واحد. وكان والده قد مكث في مكة ثلاثين عاما ثم عاد إلى كلكتا مع جميع أسرته بسبب كسر أصابه في ساقه بجدة ولم يجد من يجبرها فأشار عليه أصدقاؤه بأطباء كلكتا . . .

كانت دلهي وطن والده، فكان أبو الكلام آزاد دهلويا، وكان يكتب «الدهلوي» مع اسمه في بعض جرائده، ولكن في الحقيقة لم تكن أسرته هندية الأصل وإنما وفدت إلى دلهي في عهد الملك المغولي ظهير الدين محمد بابر، وحظي بعض أفراد أسرته بوظائف في البلاط الملكي، فخدم أجداده في الدولة التيمورية في الهند، وولد خير الدين والد مولانا آزاد في دلهي. ولما توفي والده، وهو صغير، كفله جده لأمه وهاجر به إلى الحجاز. وشب والد مولانا آزاد في مكة وتعلم هناك. فكان عالما جليلا، وله أتباع ومريدون في الهند، وكان يتنقل بين مكة وكلكتا في الهند، وتزوج في مكة من بنت أحد كبار العلماء في المدينة المنورة.

بدأ مولانا آزاد دراسته كعادة أسرته منذ صغره. وكان والده حريصا على حسن تربية ابنه وتعليمه فلم يرسله إلى المدارس مثل بقية أبنائه بل أخذ يعلمه هو بنفسه، وكان يستدعي المدرسين الأكفاء إلى منزله فكانوا يتولون تعليمه تحت رعايته وتوجيهه، ثم استمر في دراسته باطلاع واسع. وفكر وقاد حتى ظهرت علامات الذكاء والنبوغ عليه، ففاق أقرانه وتخرج في عام 1904م ولم يلتحق مولانا آزاد بأي مدرسة حكومية أو نظامية كما لم يدرس في كلية ولا جامعة ولم يحصل على شهادة علمية من أي معهد من المعاهد العلمية في الهند.

يقول آزاد في مذكراته: «وكان والدي من المؤمنين بالتقاليد القديمة، ولم يقل قط بالتعليم الغربي، فلم يخطر بباله أن يدربني تدريبا حديثا أو يعلمني على المنهج الجديد، فكان يعتقد أن التعليم الحديث سيقضي على العقيدة الدينية. ومن أجل هذا اهتم بتعليمي وفق الطرق التقليدية المعهودة».

وحسب التقاليد السائدة لدى مسلمي الهند منذ زمن قديم والتي لا يزال معمولا بها إلى حدّ ما حتى يومنا هذا بدأ آزاد دراسته بتعلّم اللغة

العربية وحفظ القرآن عن ظهر قلب وقراءة كتب الحديث والتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى تعلمه اللغة الإنجليزية: وانهمك في القراءة والكتابة، ورغب في السياسة حتى أصبح من أهم زعماء مسلمي الهند آنذاك، وكان له دور بارز في إيقاظ المسلمين من سباتهم ودعوتهم إلى التحرير، وكان يجري المفاوضات مع الانجليز كممثل للهند حتى نالت استقلالها. وكان قد بدأ حركته الإصلاحية الدينية بين المسلمين منذ أن كان شابا وبعث فيهم روح الإسلام التي ترفض المهانة وعمل على إزالة كل العراقيل والحواجز التي كانت تحول بينهم وبين الهندوس، لأنهم أي المسلمون والهندوس كانوا يعيشون تحت سماء واحدة وعلى أرض واحدة، لذا كانوا مرتبطين بالأخوة الوطنية.

كان مولانا آزاد من زعماء حركة تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، وله دور بارز في تاريخ الهند السياسي، وهو شخصية نادرة في مسيرة تاريخ المسلمين في الهند، جمع بين الإمامة في الدين والعلم، والزعامة في الأدب والسياسة، وبين الريادة في الكتابة والصحافة. وكان له دور قيادي فعال في إيقاظ المسلمين وفي حركة تحرير الهند. كانت شخصيته فذة عصامية، نال علما وافرا، وثقافة واسعة بذكائه الوقاد النادر وعبقريته العجيبة، فذاع صيته في العالم. وكان أديبا وشاعرا ومؤلفا وصحفيا ومفسرا للقرآن، ومترجما لمعانيه، وخطيبا مصقعا.

يقول عن نفسه «سواء كان المجال مجال الأدب أو الدين، سواء كان ميدان السياسة أو الأفكار، فقد سافرت وحدي في كل المجالات حتى تركت الزمن خلفي، ولما نظرت إلى الوراء لم أر إلا آثار خطواتي وتراب أقدامي».

أسس آزاد مجلة شهرية باسم «المصباح» في مدينة كلكتا باللغة الأردية في عام 1901م، ثم أنشأ مجلة «الندوة» الأردية بمدينة لكنهو التي كانت تعتبر لسان حال «ندوة العلماء»، وذلك باقتراح من شبلي النعماني (1857 - 1914م)، ولكنه بعدما قضى فترة في لكنهو انتقل إلى مدينة أمرتسر وأسس صحيفة «الوكيل» الأردية نصف الأسبوعية، ولكن لم تطل مدة إقامته فيها إلا سنة واحدة. وانتقل إلى كلكتا وأصدر هناك صحيفة «الهلال» الأسبوعية باللغة الأردية سنة 1330هـ، ثم قام بإصدار صحيفة «البلاغ» ثم صحيفة «الإقدام» الأرديتين.

وبدأ رحلاته إلى البلاد الإسلامية الأخرى بداية من عام 1908، فسافر إلى تركيا والبلاد العربية ليزيد من معرفته بالعلوم الدينية بالإضافة إلى الحركات الدينية والوطنية والإصلاحية في هذه البلاد، ولكي يتعرف على تطوراتها وزعمائها وشخصياتها، واتصل برجال الأزهر ووقف على آراء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده التي كانت تؤثر تأثيرا شديدا في نفوس المصريين آنذاك، وكانت هذه الآراء قائمة على الدين الحنيف، وتهدف إلى تحرير البلاد، واستفاد منها في معرفة الطرق التي يجب أن يسلكها في توعية الشعب وبث روح الثورة والتمرد في نفوس الناس ضد المستعمر من خلال الدروس والصحف والخطابة. ومن مصر اتجه إلى تركيا ثم زار فرنسا ورجع إلى الهند إثر نبأ مرض والده ولم يكمل رحلته إلى لندن.

كان لهذه الرحلات أثر بالغ في تكوين شخصيته، وكان يعالج الأمور بالنظر إلى الصالح العام لا إلى المنفعة الشخصية، وبذل جهودا جبارة في دعوة المسلمين إلى الوحدة. وذلك عن طريق مجلاته وصحفه التي تصدر باللغتين الأردية والعربية، وكان يكتب بأسلوب عربي فصيح قليل الكلمات كثير المعاني، وكان في بعض الأحيان يكتب افتتاحية بعض الجرائد الأردية باللغة العربية مثال ذلك نجده في جريدة «البلاغ» حيث كتب يقول: «مضت الأيام والأعوام، وتوالت القرون والأجيال، علت فيها الأقوام وسقطت، وارتفعت وانحطت، وخسرت وكسبت، وتخالفت واتفقت، وذاقت من الأيام آلاما، وتقلبت في السعادة والشقاء أياما، فانتقل البشر من حال إلى حال، وارتفعوا من طور إلى طور حتى إذا ما ارتفعت عقولهم بتقلب الزمان، واستعدوا لتحكيم العقل والتفكير في مدركات الحس والوجدان، بعث منهم خاتم النبيين، ومنحه دين الإسلام الذي هو كالعقل العام والمرشد الحكيم لجميع الأنام، الموافق لهم في كل مكان، المنطبق على مصالحهم في كل زمان. فهو للقبائل الساذجة كالمربي الحكيم، وللشعوب الراقية كالإمام الحكيم».

لم تكن شخصية مولانا آزاد شخصية محلية أو إقليمية، وإنما كانت شخصية عالمية إذ كانت نظرته في السياسة العالمية ثاقبة، فكان ينظر إلى الاستعمار الانجلبزي نظرة بغض وعداء، وكان يود أن يستأصل جذور الأخطبوط البريطاني ليس من أرض وطنه الهند فقط بل من جميع الدول المستضعفة، وكان يريد من الأمم الإسلامية والشعوب الشرقية الأخرى أن تتحد تحت راية واحدة ضد سيادة الغرب. وكان يعبر عن هذه الوحدة، وحدة الأمم الشرقية والإسلامية بكلمة الجامعة.

وبما أن اللغة العربية كانت لغة أم مولانا آزاد، وعلّمه إياها أبوه قراءة وكتابة في صباه، وصقلها هو بدراسته وقراءته لها، وهذبها بعد ذهابه إلى مصر، فإنه اختار أسماء عربية للمجلات والصحف التي أصدرها بالأردية مثل: المصباح، والندوة، والوكيل، والهلال، والبلاغ، والإقدام. إلى جانب أنه أصدر مجلتين باللغة العربية هما: «الجامعة» التي صدرت في كلكتا عام 1923م، ومجلة «ثقافة الهند» الصادرة في نيودلهي منذ عام 1950م وحتى الآن.

كان المسلمون في الهند ينظرون إلى الخلافة العثمانية نظرة تقدير واحترام، فانزعجوا بسبب سيطرة الانجليز على الحجاز، وكان للشريف حسين بن علي دور كبير في هذا. وفي هذه الأثناء كان مولانا آزاد حبيسا في السجن بعد اعتقاله من قبل الإنجليز في عشرين ديسمبر سنة 1921م. ورغم هذه الظروف والأحوال النفسية التي عاصرها في سجنه حزن كثيرا على ما حدث في الحجاز، ومن هنا عزم على إصدار مجلة باللغة العربية في الهند لتلعب دورا هاما في تغيير الرأي العام ضد حاكم الحجاز، ولتكون مساندة للخلافة العثمانية، وذلك بعد إطلاق سراحه في السادس من يناير عام 1932م. وكان آزاد من المؤمنين بأثر القلم في تغيير الرأي العام، فأصدر مجلة عربية باسم «الجامعة» في أول إبريل عام 1932م من مدينة كلكتا. وكانت مجلة نصف

شهرية أي تصدر مرتين في الشهر، وكان مولانا آزاد يقوم بنفسه بالإشراف عليها، وكانت جمعية الخلافة المركزية الهندية تقوم بالإنفاق عليها، وفوض إدارة تحريرها إلى الشيخ عبد الرازق مليح آبادي الندوي.

وكانت المجلة تهدف إلى اتحاد جميع المسلمين في العالم، وجميع أمم الشرق، وتهدف إلى تعارف مسلمي شبه القارة الهندية والبلاد العربية والإسلامية، ومساندة بعضهم بعضا لكي يتمكن المسلمون من النهوض والتقدم والتحرّر، وتكون بمثابة مسرح لتبادل الآراء والأفكار بين الكتاب والمفكرين والعلماء في جميع البلاد الإسلامية والعربية، حتى يتمكن المسلمون في كل مكان من التوحد، وكانت «الجامعة» مثل المجلات العربية الأخرى في الهند تهدف إلى نشر اللغة العربية وتطويرها في بلاد الهند والأفغان، لأنها اللغة المقدسة للمسلمين في كل بقاع الأرض، كما أن حياتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية مرتبطة بهذه اللغة. وقامت هذه المجلة بدور كبير في إحياء العلوم الإسلامية، وذلك عن طريق نشر المقالات الدينية والعلمية، وكذلك عن طريق البحث والتحقيق. كما قامت بدور مؤثر في إيقاظ المسلمين وتعريفهم بأمور دينهم ومبادئه الطيبة، كما أدت واجبها في إثارة شعور المسلمين بمسؤوليتهم وواجباتهم السياسية، وأثارت الحمية الإسلامية داخلهم على الرغم من أن عمرها لم يطل ولم يمتد الزمان بها كثيرا إذ توقف إصداراها لسوء أوضاعها الاقتصادية كما حدث لكثير من المجلات العربية غيرها في الهند فتوقفت في مارس عام 1923م. هذا بالإضافة إلى انهيار حكومة الشريف حسين بن علي في الحجاز الذي كان السبب الأول في تأسيس هذه المجلة، وكانت من العوامل الرئيسية التي ساعدت على الإطاحة بحكمه حيث جاء في افتتاحية المجلة قولها: «كانت حركة تأسيس مجلة الجامعة صحيحة وفي الوقت المناسب، فبسببها اضطرب مسلمو الهند بصفة خاصة وعامة المسلمين الذين قاموا يناهضون الشريف. ليس هذا فحسب بل شجعت ابن سعود الذي كان يقدم القدم ويؤخر الأخرى خوفا من الإنجليز، حيث أوضحت له المجلة أنه من حيث السياسة الدولية أن الإنجليز لا يستطيعون مساعدة الشريف، ولهذا تشجع ابن سعود وشمر عن ساعده وطرد الشريف حسين وأسرته من بلاد الحجاز؛ وبهذا انتهت مهمة مجلة «الجامعة» التي أسست من أجلها وهي تحرير الحرمين الشريفين من الشريف حسين، لذلك توقف إصدارها».

وتعتبر هذه المجلة مصدرا مهما للمعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية خلال عامي 1923 - 1924م في الهند وتركيا والحجاز، ومن خلالها اطلعنا أيضا على حركة تحرير الهند من المستعمرين الانجليز ومظاهرها آنذاك، فهي بمثابة مصدر تاريخي وسياسي في آن واحد.

وحول مساندة مسلمي الهند للدول العربية قال مولانا آزاد في خطبة له ألقاها في اجتماع لمؤتمر الجمعية الوطنية الكبرى: «إن الهند تؤكد لمصر وسوريا وفلسطين والعراق ومراكش وجميع الأقطار الشرقية، أن مئات الملايين من القلوب بالهند متململة لنجاحها وفوزها، وأن الهنود بأجمعهم يتمنون لها الحرية والاستقلال كما يتمنونها لأنفسهم...

إن الهند تؤكد لجميع سكان البلاد العربية بأن صون استقلالهم وحفظ بلادهم من النفوذ الأجنبي لا يزال اليوم أيضا غاية كبيرة بجهادها كما كان في سنة 1920م الماضية، وأنها لا تزال تجاهد وتناضل حتى لا يبقى في أي ناحية من البلاد العربية أدنى نفوذ للأجانب».

ومدح خليفة المسلمين في تركيا مجلة «الجامعة» في رسالة إلى مولانا آزاد يقول فيها: «قد تشرفنا بمطالعة العدد الأول من مجلة «الجامعة» الغراء، وقد تبين لنا من المقاصد المهمة التي تلخص خطة «الجامعة» أن العالم الإسلامي سيجني منها فوائد عظيمة، ولهذا فإنني، امتثالا لما أمر به صاحب المقام المعلى الذي أتشرف بالانتماء إليه من قرب، وبصفتي فردا مسلما، أسأل الله تعالى أن يكتب لكم التوفيق، كما أنني أرى من واجبي أن أتابع ما تنشره مجلتكم الغراء بكل اهتمام».

عندما استقلت الهند عام 1947م وشكلت أول حكومة بها، وعين مولانا آزاد وزيرا للمعارف في هذه الحكومة المستقلة، قام بتأسيس المجلس الهندي للروابط الثقافية بدلهي لكي تتبادل الهند من خلال العلاقات الثقافية والفكرية مع دول العالم خاصة مع مصر وتركيا وبقية البلدان الإسلامية في 21 أغسطس عام 1949م. ورأس آزاد هذه الإدارة وأصدر مجلة علمية ثقافية باللغة العربية، لتلعب دورا بارزا في نشر اللغة العربية في الهند، وهي مجلة «ثقافة الهند».

وتهتم «ثقافة الهند» بالإضافة إلى اهتمامها بالحضارة الهندية قديما وحديثا بنشر مقالات في الأدب والسياسة والتاريخ والاجتماع، وتعتمد المجلة في كثير من مقالاتها على الترجمة من اللغات المختلفة كالإنجليزية والأردية والهندية والبنغالية وغيرها من لغات الهند الأخرى إلى اللغة العربية، وتهتم المجلة أيضا بأن تنشر مقالة أو مقالتين على الأقل كتبت أصلا باللغة العربية وغير مترجمة، وإلى جانب الكتاب الهنود قام بعض الكتاب والمفكرين العرب بكتابة مقالات تتعلق بالحضارة الهندية أو بآدابها ولغاتها ونشرها على صفحاتها. وهذا يدل على أن المجلة تبدي الاهتمام بالتبادل الثقافي والفكري.

ومن خلال هاتين المجلتين العربيتين ساهم مولانا آزاد في الصحافة العربية في الهند.

وترك آزاد مؤلفات عديدة باللغة الأردية والعربية، وأهمها تفسيره وترجمته للقرآن الكريم والمعروف باسم «ترجمان القرآن» حيث فسر سورة الفاتحة في مجلد ضخم يضم أكثر من خمسمائة صفحة، وكانت له آراء جديدة لم يطرقها المفسرون قبله في تفسيره لشخصية «ذو القرنين» في سورة الكهف، وأكد على أنه الملك الفارسي «قورش»، ولأهمية هذا التفسير ترجم إلى اللغة الإنجليزية واللغة الهندية وبعض اللغات الهندية المحلية.

ولقد كان مولانا آزاد في مقدمة الزعماء والقادة، الذين أبلوا بلاء حسنا في خدمة الخلافة العثمانية ومساندتها، ودعوة المسلمين بقلمه ولسانه، إلى شد أزرها، والوقوف بجانبها، وإعلان الثورة على الإنجليز المستعمرين، مما حملهم على اضطهاده، وإغلاق مجلاته، ومصادرة مطابعه، وسجنه

عدة مرات. كان مسلما عميق الإيمان بدينه، شديد الإحساس بالروابط الدينية، التي تربطه بإخوانه المسلمين في كل مكان. وكثير العناية والاهتمام بمشاكلهم منذ كان شابا.

وكتب آزاد كتابا عن الخلافة الإسلامية ذكر فيه رأيه ورأي الإسلام في هذه المسألة. وهذا الكتاب بعنوان «مسألة خلافت وجزيرة عرب» نشر في مجلة «المنار» بالقاهرة. بدأ آزاد بحثه عن الخلافة بتأصيل لمصطلح الخلافة: المصطلح اللغوي، والمصطلح العام، ورأي القرآن في هذا المصطلح، وفكرة الاستخلاف كما جاءت في القرآن والسنة النبوية المطهرة. ثم تحدث عن الخلافة النبوية الخاصة والخلافة الملكية، وعهد الاجتماع والائتلاف، ودور التشتت والانتشار، واجتماع القوى والمناصب، وأهمية طاعة الخليفة والالتزام برأي الجماعة وأولي الأمر وشرح بالتفصيل حديث الحارث الأشعري عن الجماعة. ثم عقد فصلا عن شروط الإمامة والخلافة، وأيد ذلك بنصوص من السنة وإجماع الصحابة وجمهور الفقهاء وإجماع أهل السنة والشيعة، وتحدث عن واقعة الإمام الحسين. وفي نهاية بحثه تناول شرط القرشية في الخلافة الإسلامية، وكان آزاد من الذين اختلفوا مع من قال إن الخلافة العثمانية غير شرعية، لأنها لا يتوفر فيها شرط القرشية، أي أنهم ليسوا من قريش، ومنهم محمد رشيد رضا، يقول: «قد علمت مما مر أن الخليفة إذا انتخب فله شرط، وقد ظل العلماء إلى زمن طويل يحسبون منها القرشية أي أن الخليفة مع سائر الشروط يجب أن يكون قرشيا وإلا لا تصح خلافته. هذا في صورة الانتخاب وانعقاد حكومته ولا خلاف في أنه لم توجد بعد الخلافة الراشدة خلافة جامعة لسائر الشروط، فخلافة بني أمية وبني العباس إن كانت قرشية، فقد كانت فاقدة لشروط أخرى كثيرة سيما الشرط الأساسي لها، وهو أن تكون بانتخاب الأمة لا بالسيف والدم. وهذا الشرط لا يوجد في أي خلافة بعد الخلافة الراشدة. ثم انتقلت الخلافة من العباسيين الذين كانوا بمصر إلى الترك والعثمانيين، فهي فيهم من ذلك الحين إلى الآن بلا نزاع، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على طاعة هذه الخلافة العثمانية، فإن كان العثمانيون ليسوا من العرب ولا من قريش فلا يقدح ذلك في خلافتهم، لأن المسألة هنا ليست مسألة انتخاب الخليفة حتى ينظر في شروطه، وإنما الذي يهم في هذه الصورة أن يقوم قائم بالخلافة والحكومة الإسلامية».

وفي إحدى رسائل آزاد إلى محمد رشيد رضا في ديسمبر 1912 تبادل الرأي فيها معه حول موضوع الخلافة، يقول فيها: «الفاضل الجليل الشيخ النبيل، سلام عليكم. طبتم ودمتم فوق ما رمتم وبعد، فإنه غير غارب عنكم ما لحضرتكم من المكانة في فؤادي، وما ذلك إلا لأني أرى أنكم تخدمون الإسلام والمسلمين، خدمة لا تشوبها صوالح الشخصية والجنسية، لأجل ذلك كلما سمعتم كلمة سوء فيكم أجدني مدفوعا إلى ردها في نحر قائلها. ولقد كتبت بعض الجرائد الهندية بأن لكم يدا في الحركة اللامركزية الحديثة (يريد انفصال بعض البلاد العربية عن حكومة الخلافة). وما لبث هذا النبأ أن ذاع في طول الهند وعرضه، وطفق الناس يتكلمون في هذا

الباب بين مصدق أن علي باشا وإن نفع مصر من وجوه شتى إلا أنه فارق المركز (يريد الخلافة)، وأضر بمصر والدولة العثمانية كلتيهما. لا أرى لهذا النبأ نصيبا من الصحة لأن اللامركزية مما صنع محمد علي باشا، وكلما أصرف النظر عن هذا النعي وأقرأ ما نشرته الجريدة فلا أجد سبيلا لإنكاره، راجين منكم جوابا شافيا لكي ننشرها في الهند ونبرئ ساحتكم... المخلص أبو الكلام الدهلوي».

آثاره

1- إعلان الحق، دهلي، 1903م 2- المرأة المسلمة، ترجمة من العربية للأردية لكتاب محمد فريد وجدي «المرأة المسلمة» 1905م 3- تذكره، ساهيته آكاديمي، نيودلهي، 1919م 4- مسألة خلافت أور جزيرة العرب، كلكتا، 1920م 5- الحرية في الإسلام، كلكتا، 1921م 6- قول فيصل، دهلي، 1922م 7- تازه مضامين مولانا أبو الكلام، دهلي، 1933م 8- جامع الشواهد في دخول غير المسلم في المساجد، 1923م 9- ترجمان القرآن، الجزء الأول، ساهتيه أكاديمي، نيودلهي، 1931م 10- ترجمان القرآن، الجزء الثاني، ساهيته آكاديمي، نيودليهي، 1936 11- ترجمان القرآن، الجزء الثالث، ساهيته آكاديمي، نيودلهي، 1964م 12- مقالات آزاد، دهلي، 1944م 13- غبار خاطر، ساهيته آكايمي، نيودليهي، 1967م 14- أنبياء كرام، لاهور، 1972م 15- الجهاد والإسلام، دهلي، 1974م.

المصادر والمراجع

● افتتاحية مجلة البلاغ 4 من المحرم 1334هـ/ 12 نوفمبر 1915م ● أبو سعيد بزمي، مولانا أبو الكلام آزاد، إقبال أكادمي، لاهور، 1940م ● عظمت الله مليح آبادي، سوانح حيات، مولانا أبو الكلام آزاد، أنصاري، بريس، دهلي 1940م ● قاضي محمد عبد الغفار، آثار أبو الكلام آزاد، آزاد كتاب كهر، دهلي 1958م ● زيدي، علي جواد، أنوار أبو الكلام آزاد، مكتبة ما حول، كراجي، 1959م ● آبادي، عبد الرازق مليح، ذكر آزاد، كلكته دفتر، آزاد هند، 1960م ● الهندي، أبو سلمان، شاهجها نبوري، إمام الهند، تعمير وأفكار، مكتبة أسلوب، كراجين، 1962م ● عابد رضا بيدار، مولانا أبو الكلام آزاد، رامبور 1968م ● عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 2، القاهرة، 1993م ● م.ن، كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م ● عزيز أحمد، هندوباك مين إسلامي كلجر، ايجوكيشنل ببشنك هاوس، دلهي، 1991م ● الندوي، محمد أيوب تاج الدين، مولانا أبو الكلام آزاد وإسهامه في الصحافة العربية في الهند، ثقافة الهند، مج. 52، عدد 2، نيودلهي 2001م ● الزركلي، الأعلام، بيروت 1999، ج. 1، ص 122، (وفيه تواريخ ولادته ووفاته على هذا النحو: 1302هـ/ 1885م - 1377هـ/ 1958م).

د. جلال السعيد الحفناوي
جامعة القاهرة

آغا بـــرزك الطهراني، محمد محسن بن علي

(1293هـ / 1876 م – 1389 هـ/ 1970م)

محمد محسن (أو محسن) كان من كبار فقهاء الشيعة الإمامية، له خبرة واسعة بالحديث والكتب المخطوطة والمطبوعة وأصحابها وأماكنها. كان جده الأكبر تاجرا ومؤسس أول مطبعة بإيران. تلقى علومه الأولية في عدة مدارس بطهران حيث ولد يوم 11 ربيع الأول 1293/ 7 نيسان 1876. ومن مشايخه هناك محمد حسن الخراساني، والسيد عبد الكريم المدرسي، وميرزا إبراهيم الزنجاني.

توجه إلى «النجف» بالعراق وبقي بها ثلاثة عشر عاما (1897 - 1910م) درس خلالها على الحاج حسين النوري، والسيد مرتضى الكشميري، والسيد محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد كاظم الطبطبائي اليزدي.

وفي عام 1913م، انتقل إلى سامرا وحضر دروس ميرزا محمد تقي الشيرازي الذي وضع باسمه أحد مؤلفاته فيما بعد. وتركها سنة 1935م ليعود إلى النجف حيث بدأ في طباعة «الذريعة» موسوعته الأولى. وقام من أجلها برحلات كثيرة، فزار عشرات المكتبات العامة والخاصة في العراق وإيران وسوريا وفلسطين ومصر والحجاز، وطالع فهارس مكتبات أخرى أيضا.

اشتهر لعدة عقود بعلوم الحديث، وصدر عنه أكثر من ألفي إجازة بروايته لمعاصريه من مذهبه ومن غيرهم، مثل: السيد حسن الصدر، والشيخ محمد علي الأزهري المالكي (شيخ المدرسين بالمسجد الحرام)، والشيخ إبراهيم بن أحمد الأحمدي (أحد فقهاء المدينة)، والشيخ عبد الرحمن عليش الحنفي (المدرس بالأزهر).

وقد تزوج مرتين، ورزقه الله خمسة بنين وأربع بنات. وتوفي في 13 ذي الحجة 1389/ 20 شباط 1970، و دفن في مكتبته بالنجف التي سجلها وقفا سنة 1961م لإفادة العلماء والطلاب كما جاء في وصيته، وكان يتولى إرشادهم حتى قبل وفاته بشهرين، كما ذكر ذلك أحد مرافقيه في كتابه عنه.

كان الشيعة منذ وقت طويل يتطلعون لتأريخ عطاءاتهم في الفكر الإسلامي والعربي، وقد تحقق لهم ما أرادوا على يدي آغا بزرك الطهراني في موسوعتيه «الذريعة»، و«الطبقات». ولعلّ السبب المباشر للقيام بهما، هو عدم الارتياح لما جاء في «تاريخ آداب اللغة العربية» لجورجي زيدان، بشأن دور الشيعة في بناء الثقافة الإسلامية والفكر العربي. فقد اتفق ثلاثة منهم على التأريخ لعلماء الشيعة، وحصر آثارهم. فقام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بنقد كتاب زيدان، وتولى السيد حسن الصدر بيان دور

الشيعة في العلوم الإسلامية، في كتابه المنشور بعنوان «تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام»، وجمع أسماء كبار الشيعة في كتاب «وفيات الأعلام من الشيعة الكرام» نشر منه جزء صغير للقرون الثلاثة الأولى من الهجرة.

أما آغا بزرك فتابع عمل «الصدر» في موسوعتيه «الذريعة» و«الطبقات». أولاهما للمؤلفات واكتملت قبل وفاته، والثانية لرجال أحد عشر قرنا بعد الثلاثة الأولى، وجعل لكل قرن عنوانه مثلا: «نوابغ الرواة في رابعة المئات» مع العنوان العام «طبقات أعلام الشيعة»، وصدرت أجزاء القرون الأولى (4-8هـ) ببيروت في سنتي 1971-1972، وصدر «الضياء اللامع في أعيان القرن التاسع» عن جامعة طهران في 1983م. أما القرون (10 11 12هـ) فهي على الترتيب «تحت الطبع»، «معدّ للطبع»، «مخطوط»: وقبلها جميعا صدر في حياته «الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة» بالنجف، خلال سنوات 1954-1958م، ومعه في العام الأول «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» خاتمة الموسوعة. وله غيرهما أعمال كثيرة، بعضها تقديمات لكتب تراثية كأعمال محمد بن الحسن الطوسي مؤسس «النجف» قبل ألف عام، وبعضها ما يزال مخطوطا.

■ آثاره

حرصت بضع عشرات من المكتبات في (شبكة المعلومات لمكتبات البحث: Network Information Library Research-RLIN-) بأمريكا وأوربا، على اقتناء مؤلفاته منذ البداية حتى اليوم. وهذه «الشبكة» التي بدأت سنة 1973م بخمسة أعضاء، لها حاليا موقع على «الانترنيت»:

www.nilr.org/html.nilr يشترك فيه بضع مئات من المكتبات، ويتيسر من خلاله التعرف الدقيق، على الطبعات المختلفة لأعماله المقتناة في أي منها وكثافة اقتنائها (ك. ق) مقيسًا بنقط معيارية (ن.م).

1 - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، توالى صدور أجزائها ومجلداتها بالعراق «النجف» ولبنان «بيروت» وإيران (بوشهر، طهران، قم، مشهد) لبضعة عقود (1936-1998م) بالعربية أو الفارسية، عند حوالي عشرة ناشرين، منها إصدارة «مؤسسة إسماعيليان» في بيروت المؤرخة بـ(1937-1978م) في 25 جزءا و28 مجلدا. ومنها الجزء التاسع «الشعر والشعراء من الذريعة إلى تصانيف الشيعة» نقحه وزاد فيه ابنه ع. المنزي، على أربعة أقسام في (1539 صفحة) حيث سجل فيه دواوين الشعر بالعربية والفارسية وغيرهما، وأصحابها وتواريخها وأماكنها المطبوعة والمخطوطة.

ويلحق بها «تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لأحمد الديباجي الأصفهاني، أصدرته بطهران المكتبة الإسلامية سنة 1973م. ـ ك ق لها جميعا: 25 ن م 2 - طبقات أعلام الشيعة، توالت الإصدارات لبعض أجزائها بدرجة أقل من «الذريعة» في الأقطار الثلاثة، خلال الفترة 1954-1996م لبعض من بيوت النشر بها. منها إصدارة «المطبعة العلمية» في النجف المؤرخة بسنوات 1954-1958م لأجزاء القرنين 13و14 الهجريين. ـ ك ق لها جميعا: 23 ن م 3 - مصفى المقال في

مصنفي علوم الرجال، صدر مرتين (طهران 1958م. بيروت 1988م) لناشرين (جابخانه دولتي إيران: دار العلوم) وتقتنيه المكتبات الإسلامية والعربية وحوالي 50% من المكتبات الغربية السابقة. ـ ك ق لهما: 16 ن م 4 - المشيخة أو الإسناد المصفى إلى المصطفى، صدر في النجف عام 1937، وتقتنيه في شكل مصغر مكتبة جامعة برينستون. - ك ق: 1 ن م 5 - هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، صدر في كربلاء بالعراق سنة 1963، وفي طهران بالعربية أيضا 1982م، ثم فيها 1984م، بالفارسية. وتقتنيه المكتبات الإسلامية والعربية، وحوالي 40% من المكتبات الغربية السابقة. ـ ك ق لهما جميعًا: 10 ن م 6 - توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد. صدر في «خوانسار» عام 1980، كما صدرعام 1981م في «قم». ـ ك ق لهما: 2 م ن 7 - حياة الشيخ الطوسي، طبع في تقديم كتاب «التبيان في تفسير القرآن» للطوسي. ـ النجف، المطبعة العلمية، 1957-1963، وصدر مستقلا في طهران عام 1982م بالفارسية. - ك ق لهما: 4 ن م 8 - مستدرك كشف الظنون، صدر بآخر كتاب «هدية العارفين» لاسماعيل باشا البغدادي عند طباعته ثانية بالأوفسيت عام 1967 في طهران. - ك ق: 2 ن م 9 - تقديم كتاب «الغيبة للطوسي»، صدر سنة 1965 في النجف. ـ ك ق: 6 م ن 10 - تقديم كتاب «الأمان من أخطار الأسفار والأزمان لرضي الدين علي بن طاوس» صدرسنة 1951م في النجف. - ك ق: 1 ن م 11 - ذيل المشيخة، صدر في 1937م في النجف. ـ ك ق: 1 ن م 12 - تفنيد قول العوام بقدم الكلام (مخ) 13 - ضياء المفازات في طريق مشايخ الإجازات (مخ) 14 - إجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة (مخ) 15 - النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف (مخ).

■ المصادر والمراجع

● مقدمة كتاب «الذريعة»، والأجزاء: 2-5، 7-8، 10-11، 13، 15، 18، 20-21، 24-25 ● مقدمة كتاب الطبقات، القرن 4 الهجري، ط. بيروت 1971م ● كتابه تاريخ حصر الاجتهاد، ط. قم 1981م، ص 55-66 ● ع. المنزي(ابنه)، «الذريعة وآقابزرك تهراني»، في: آينده، س 6، أعداد 3/ 4، 7/ 8 (1359 ش)، ص 147-153، 588-596 ● عبد الرحيم محمد علي (مرافقه). شيخ الباحثين آغا بزرك الطهراني: حياته وآثاره، ط. النجف 1970 في 103 ص ● جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط. القاهرة 1957م، 2/ 384 ● الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ط. بغداد 1965م، 2/ 261-262 ● كحالة، الذريعة، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج. 43، ج. 1 (يناير 1968م)، ص 193-194 ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، ط. بغداد 1969م، 1/ 121-122 ● عبد الجبار عبد الرحمان، دليل المراجع العربية ط. البصرة 1970م، ص 33، 159 ● كحالة، المستدرك على معجم المؤلفين، ط. بيروت 1985م، ص 131

● الزركلي، الأعلام، ط. 4 بيروت 1979م، ط. 14، 5/ 288-289 ● كاظم الموسوي النجبوري، آغا برزك الطهراني، في دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مج. 1 المترجم من الفارسية إلى العربية، ط. طهران 1991م، ص19-20.

د. سعد الهجرسي
جامعة القاهرة

آغة، مصطفى

(1294 هـ / 1877 م - 1365 هـ / 1946 م)

هو الشّاعر التونسيّ مصطفى آغة الصغير حفيد مصطفى آغة الكبير وزير الحربيّة بالمملكة التونسيّة من سنة 1837 إلى 1855 أصله شركسيّ من المماليك الذين استخدمهم الملوك الحسينيّون بتونس في مناصب الدولة الرّفيعة. ولد بقصر جدّه بـ «الكرم» وهي إحدى ضواحي تونس عام 1877م/ 1294هـ. يقول الصادق الزمرلي إنه ولد عام 1871م/ 1288هـ.

تلقّى، على عادة الأسر الأرستقراطيّة بتونس، تعليما خاصّا بغير المدارس العموميّة فدرس اللّغة العربيّة وحفظ القرآن كما تعلّم المبادئ الأساسيّة للّغة الفرنسيّة، من شيوخه عثمان بن المكّي التوزري المدرّس بجامع الزيتونة ومحمّد القرطبي. لم يعهد إليه بأيّ خطّة إداريّة أو سياسيّة رغم أنّه كان معروفا في الأوساط السيّاسيّة الحاكمة. لكنّه حصل في عهد الباي محمّد المنصف [1942م / 1361هـ.] على لقب فخريّ هو لقب أمير الأمراء. اختار الانتماء إلى جمعيّات ثقافيّة كجمعيّة الآداب وجمعيّة التمثيل العربيّ والمعهد الرشيديّ وأسس «النادي الأدبي» الذي كان منتدى حقيقيا للادب والفكر وحتّى السياسة. ومن هذا النادي تولدت جمعيّة قدماء الصادقية (1905) وجريدة «التونسيّ» (1907). كان آغة من مؤسسي حزب إصلاحي ترأسه حسن قلاتي وأصدر صحيفة «البرهان» وكانت لهذا الحزب خلافات جذريّة وخصومات كلاميّة مع الحزب الحرّ الدستوري الأكثر شعبيّة في ذلك الوقت.

كان يعقد في قصره بالكرم مجالس للأدباء والسّاسة كل يوم ثلاثاء فمن الأدباء كان يحضره حسن حسني عبد الوهاب (1388 هـ/ 1967 م) صاحب التصنيفات الأدبيّة والتّاريخيّة المعروفة، وأمير الشعراء الشاذلي خزندار الذي تعلّم منه الشّاعر العروض، والشاعر جلال الدين النقاش واضع أوّل نشيد رسميّ للبلاد التونسيّة، وشيخ الإسلام أحمد بيرم قبل أن يتولّى هذا المنصب. ويبدو أنّ محمد المنصف باي قد زاره في قصره يوم

قدم إلى الكرم في سبتمبر 1942 وقد أشار إلى ذلك دون أن يصرّح صديقه الشاعر خزندار [الديوان : 3/ 55-56].

توفّي مصطفى آغة مفتتح سبتمبر 1946 / شوّال 1365 بتونس.

ترك مصطفى آغة ديوان شعر نشر الجزء الأوّل منه في حياة الشّاعر سنة 1920 / 1339 عن المطبعة الرسميّة.

كان شعره متعدد الأغراض منه الرسمي في مدح العائلة الحسينيّة الحاكمة وقد عرف عنه أنّه كان شاعر محمد الناصر باي الذي حدثت في عهده أزمة أفريل 1922 بين البلاط الأميري والإدارة الفرنسية.

وفي شعره قسم اجتماعي يصوّر فيه ضروبا من حياة النّاس مبديا التعاطف والنّقمة. وفي شعره نقد خفيف للمستعمر لا يصل في قوّته ما وصل إليه في الغرض نفسه شعر صديقه خزندار. وقد غلبت على شعره المحاورات فكان شعر فكرة أكثر منه شعر صورة وشعر عبارة أكثر منه شعر إشارة. ونحن لا نعني بهذا التصنيف ما عناه بعض نقاد شعره حين وسموه، ظلما، بالفلسفي وصاحبه بالفيلسوف بل نعني به انشغال الشاعر بعرض الأفكار أكثر من عنايته برونق النص.

وإلى جانب شعره نشرت لآغة مجموعة نثرية عنوانها : أحاديث مع المعرّي و مقامات اجتماعيّة (تونس 1992) و«الأحاديث» و«المقامات» هما في الأصل مسامرات قدمها آغة في الإذاعة التونسية. أحاديثه مع المعري (عددها : 31 حديثا) هي من حيث الشكل والمحتوى شبيهة بـ «رسالة التوابع والزوابع» لابن شهيد الأندلسي وان كان آغة يقتصر في لقائه على شاعر واحد هو أبو العلاء المعري يتطارح معه قضايا الشعر وتعامل النقاد المعاصرين معه فضلا عن مسائل أخرى عامّة كالكفر والإيمان .. وقد أبانت هذه الأحاديث عن ثقافة المحاور المتينة وإن أظهرت كذلك تصوّرا لنقد الأدب يقوم في أساسه على الذّوق والانطباع. وهذا لا يعكس ما وصل إليه النّقد أيّامها مع نقّاد أفذاذك زين العابدين السنوسي، ومحمد الحليوي وغيرهما.

أمّا المقامات وعددها 23 فقد كانت في أغلبها صورا واقعيّة لتقابل رمزين اجتماعيين أو فكريّين أحدهما يمثّل الفضيلة والثاني الرذيلة، ولا يخفى الطّابع الأخلاقي الوعظيّ لهذا الأدب.

كتبت الأحاديث والمقامات بأسلوب فني قوامه السجع جملته في الغالب قصيرة وكأنّ الكاتب كان يخشى أن يضيع طول الجملة صدى السجعة. لغتها بسيطة. التصوير في نثره قليل لكنّه مقبول لا تكلّف فيه يوشي نثره بأشعار من عنده أو من اقتباسه. وعموما فإنّ نثر الرّجل يحمل صورة للأديب أفضل من صورة الشاعر. ولعل رغبة الأدباء في تلك الفترة في الجمع بين الشعر والنثر لم يكن ليسلم إلا لفئة قليلة منهم كالشّابّي.

المصادر والمراجع

- السنوسي زين العابدين، الأدب التونسي في القرن الرابع عشر، الدار التونسيّة للنشر، تونس 1973، 1/ 131-176
- الجابري محمد صالح، ديوان الشعر

التونسي الحديث، تراجم ومختارات الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1976، 41-47 ● الجابري محمد صالح، الشعر التونسي المعاصر، الدار العربية للكتاب ليبيا / تونس 1989، 52-45 ● خزندار محمد الشاذلي، الديوان، ج 3 المنصفيّات تونس 1991 ● شيبوب الحبيب، مقدمة أحاديث مع المعري، تونس 1992، 8-9.

د. توفيق قريرة
جامعة منوبة - تونس

آل خليفة، محمد العيد بن محمد

(1322 هـ / 1904 م - 1399 هـ / 1979 م)

محمد العيد بن محمد بن علي بن خليفة. ولد في 27 جمادى الأولى 1322 هـ / 28 أوت 1904 م بمدينة عين البيضاء بالشرق الجزائري.

استهل تعلمه في (الكُتاب) بحفظ القرآن الكريم، وكان في الوقت ذاته يزاول تعلمه بمدرسة بلدته، على أيدي الشيخ محمد الكامل بن عزوز، والشيخ أحمد بن ناجي الصائغي.

وفي سنة 1918 انتقلت أسرته إلى مدينة (بسكرة)، فواصل تعلمه بها، ولم يكن حينئذ قد أكمل حفظ القرآن، فختمه حفظًا بها، وهو ابن أربع عشرة سنة على أحد أئمة مساجدها، ثم اختلف إلى بعض دروس علمائها من بينهم: الشيخ علي بن إبراهيم العقبي والشيخ الجنيدي أحمد مكي.

وفي سنة 1921 التحق بجامع الزيتونة في تونس، فمكث بمجالس العلم به سنتين اثنتين رجع بعدهما - لمرض طارئ ألّم به - إلى مدينة بسكرة سنة 1923، دون أن يكمل دراسته به: «وما كاد ينقضي عام 1342هـ حتى خارت قواي وضعفت عزيمتي لما طرأ عليّ من الآلام التي كانت حجرة عثرة في سبيلي، فاضطررت للرجوع إلى بسكرة» [شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس1926، ج1، ص12].

وقد أخذ العلم بالزيتونة عن شيوخ أجلاء من بينهم: الشيخ عبد القادر الباوندي، والشيخ محمد مناشو، والشيخ محمد الدامرجي، والشيخ البشير النيفر.

وفي مدينة بسكرة عكف على تعميق معارفه من مناهل الثقافة والعلوم العربية الإسلامية، واتصلّ لهذا الغرض ببعض من كان بها من العلماء في هذه الفترة فأخذ عنهم، من بينهم: الشيخ الطيب العقبي، والشيخ البشير

الإبراهيمي، والشيخ المختار اليعلاوي أرطباز.

كان محمد العيد واقعًا إلى جانب هذه الروافد التعليمية المتنوعة والمناهل الثقافية الأصلية تحت مؤثرات بيئته الدينية المحافظة، وملابسات مجتمعه المستهدف من المخطط التغريبي في قيمه ومقومات شخصيته. فكان لهذه العوامل مُجتمعة فاعليتها في تغذية شخصيته بالمدد العربي الإسلامي، مما طبعها بطوابع صدق الإيمان وحسن التديّن وكرم الخصال ونُبل الفعال، فشبَّ لذلك وهو يجمع في مزاجه النفسي وتكوينه الفكري ما بين النزعة الصوفية التي انتهت إليه عن طريق العامل الوراثي من أسرته، ومن والده بخاصة الذي كان صُوفيًا مُقدمًا للطريقة التيجانية من جهة، وبين أفكار الحركة الإصلاحية التي كانت بذورها الأولى قد غرست في نفسه أيام الطلب بجامع الزيتونة من جهة أخرى، ثم ازدادت هذه الفكرة نماءً ووضوحًا عقب استقراره في بسكرة وانضمامه إلى جماعة الإصلاح بها، وكانت هذه المدينة تشهد في هذه الفترة (أوائل العقد الثالث من القرن العشرين) كغيرها من الحواضر الجزائرية الأخرى بوادر حركة إصلاحية يشرف عليها كوكبة من الأعلام الرُواد من أبناء المنطقة، يتقدمهم الشيخ الطيب العقبي والشيخ حمزة بوكوشة والشيخ محمد الهادي السنوسي والشيخ محمد السعيد الزاهري.

وكان من ذلك أن اصطنع على تكوينه فكريا وسلوكيا [هذه الثنائية: الإصلاح والصوفية] ومن نقطة تقع في الوسط ما بين هذه الضفة وتلك دخل محمد العيد مُعترك الحياة العملية عبر ميادين ثلاثة: نهج الإصلاح، وحقل التعليم، ومنبر الأدب.

وقد استطاع أن يكون دائم الحضور، معطاءً طوال معظم مراحل حياته في هذه الميادين الثلاثة، ويُسهم بفاعلية وإخلاص واستمرارية في مختلف النشاطات بها.

دخل محمد العيد الحياة العملية من باب الحركة الإصلاحية، ومضى يُسهم في معظم ميادين العمل بها: يعظ ويرشد، يُربي ويُهذب، يقرض الشعر ويكتب النثر.

وكان لهذه الجهود المخلصة المتكاتفة التي كان يجود بها الأعلام الرُواد في هذا الحقل أو ذاك، هنا وهناك، من أرجاء الوطن، أن صنعت الحدث بتلاقيها في يوم الخامس من مايو (أيار) 1931 على منبر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان محمد العيد من بين المؤسسين لها وأحد الأعضاء العاملين بها.

وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها رسالة النهوض بالأمة من خلال ما اضطلعت به من جهاد عن طريق إرساء دعائم حركة دينية وطنية، إصلاحية تهذيبية، علمية حضارية.

كان محمد العيد إلى جانب إسهاماته في هذا الحقل الدعوي الإصلاحي قد نهض برسالته التربوية النظامية منذ سفره إلى الجزائر العاصمة سنة 1927، استجابة للدعوة التي وُجهت إليه من (جمعية الشبيبة الإسلامية) تطلب منه أن يكون أحد المعلّمين بمدرستها التي أسستها للتعليم العربي الحر، فأصبح من ذلك التاريخ معلما بهذه المدرسة ثم مديرا لها

ابتداءً من سنة 1930، واستمر يشغل هذا المنصب إلى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939.

وكان الاحتلال يخشى على وجوده من انتشار حركة التعليم العربي الحر، ولكي يتفادى ذلك ما فتىء يكيد لهذه الحركة، يُضيق عليها الخناق، ويضع في طريقها العراقيل، ويبطش بالقائمين عليها.

وقد ازدادت مخاوفه في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الثانية من نشاطات مؤسسات الحركة الإصلاحية، فزاد من مظالمه وإجراءاته التعسفية ضدها. وانتهى ذلك بالمحتلين إلى إغلاقهم مدرسة محمد العيد في جملة ما أغلقوا من مؤسسات النهضة التعليمية، فاضطر محمد العيد إلى مغادرة العاصمة والتوجه إلى بسكرة، بيد أنه لم يلبث بهذه المدينة إلا حوالي ثمانية أشهر، انتقل بعدها إلى مدينة (باتنة) ليُصبح مديرا لمدرستها، إلا أن المحتل الذي تركه وراءه في العاصمة وجده أمامه بباتنة فقام بإغلاق مدرسته وتقديمه إلى المحاكمة، ثم أخلي سبيله فولّى وجهه شطر مدينة (عين مليلة) سنة 1947، ليواصل نهوضه بمشروعه التربوي على رأس إدارة مدرستها.

وقد استمر محمد العيد ينهض برسالته التربوية في عين مليلة إلى قيام الثورة المجيدة في الفاتح من نوفمبر 1954، وإلقاء المحتلين القبض عليه في سنواتها الأولى وتحديد إقامته طوالها ببيته.

كان محمد العيد إلى جانب إسهاماته في مجال الإصلاح داعية، وفي حقل التربية معلما، كما كان له كذلك حضوره المشهود في درب صناعة الكلمة: أديبا ملتزمًا، واكب بعطاءاته الأدبية جهاد شعبه، ونثر بين يديه من المعالم ما أنار الطريق أمامه إلى النهضة فالثورة فالحرية.

كان محمد العيد قد خطا أولى خطواته على درب الإبداع وهو ما يزال طالبًا ببسكرة في سن السادسة عشرة من عمره، ومما وصلنا من شعره في هذه المرحلة قصيدته «إحياء الأدب» التي نشرها في صحيفة «العصر الجديد» بتونس في 28/ 09/ 1920، [الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس].

ويمكن القول إن محمد العيد كان من أكثر الشعراء الجزائريين المعاصرين اندماجا في أحداث الواقع الوطني، ومن أبرزهم التزاما بالتعبير عن قضايا الأمة. فكان صوت الجزائر الذائد عن حياض أصالتها وسيادتها، وكان حادي مسيرة النهضة الوطنية المواكب لتطوراتها، وكان لسان الحركة الإصلاحية المعبر عن تطلعاتها.

وكان بعض المعاصرين قد أطلقوا عليه - لهذه المهام التي اضطلع بها، وهذه المواقع التي رابط في ساحاتها مجاهدا بالرغم من تواضعه وعزوفه عن الأضواء - جملة من الألقاب من بينها: شاعر الجزائر، شاعر الشمال الإفريقي، حسّان الحركة الإصلاحية، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، كما كان لبعض الأعلام رأي في شعره، من ذلك ما قاله الأمير شكيب أرسلان: «كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك علي

جميع مشاعري ...» [مجلة الشهاب، ج 1، م 13-1356هـ/ 1937م].

وقد استمر محمد العيد ينهض بهذه الرسالة الشعرية النضالية من فجر النهضة، إلى اندلاع الثورة، إلى استرجاع السيادة الوطنية.

فقد كان في طليعة من دعا إلى الثورة وهي في ضمير الأمة حُلمًا، وفي ساحات النضال الفكري والسياسي صُمودا وتضحيات.

كما كان من أوائل المباركين للثـــورة عند اندلاعها، المناضلين في صفوفها، المستهدفين من طرف الاحتلال منذ شرارتها الأولى.

وانتهى ذلك بالمحتلين إلى فرضهم الإقامة الجبرية عليه ببسكرة، فظل في قيود الأسر سجينًا ببيته، إلى أن دكت بطولات المجاهدين الميامين قلاع المعتدين، وأجلت تضحيات الشهداء الأبرار فلول الغزاة من أرض الوطن صاغرين، فانجلى ليل الظلم وأشرقت شمس الحرية على ربوع الجزائر المجاهدة، فخرج الشاعر الأسير حينئذ من سجنه وفرحة الاستقلال تغمر صدره ونسيم الحرية يهز جوارحه، فمضى يغني للبشائر، للثورة المظفرة، للشعب البطل، في عيد انتصاره الكبير، وفي معركة جهاده الأكبر.

واستمر محمد العيد يحدو مسيرة الدولة الجزائرية المستقلة إلى أن حدث ما عكر عليه صفوه، وليس ذلك مما يتعلق بأموره الشخصية، وإنما كان ذلك بما طرأ على الجزائر من أحداث في هذه الآونة، كان لها تأثيرها السلبي على نفسيته فرجع من جديد إلى ما ألفه طوّال سني الثورة من أجواء العزلة وألوان التعبد، فأمست صلته بالناس من جراء ذلك ضعيفة، وظل على هذا النحو حتى لقي ربه - رحمه الله - راضيا مرضيا، وذلك يوم الثلاثاء 17 رمضان 1399هـ/ 31 جويلية 1979م، ووُوري جثمانه الطاهر في صعيد (مقبرة العزيلات) بمدينة بسكرة.

تتركز اهتمامات محمد العيد في شعره في دائرة الاندماج في الواقع، والالتزام بالنهوض به، والتعبير عن قضاياه، وذلك لشعوره بأنه صاحب رسالة شعرية واقعية نضالية.

وأما صنعته الفنية فقد نهج فيها منهج شعراء جيله (الاتجاه الإحيائي المجدد) فتميزت صنعته بذلك، بالمزاوجة ما بين احتذاء النموذج الفني التراثي، وبين بعض ما استجد في العصر من صور وأساليب.

آثاره

يمكن القول إن بعض الآثار المجهولة لمحمد العيد ما تزال مبثوثة في أحضان بعض الصحف الوطنية، وفي غيرها. يثبت الدكتور محمد صالح الجابري في كتابه [النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، سابق ص364]، خمسة أعمال للشاعر نشرت بالصحف التونسية.

وإن من أهم آثار محمد العيد شعره، وأهم ما وصلنا من ذلك ما يلي:

1 - مسرحيته الشعرية «بلال بن رباح» طبعت بالمطبعة العربية، الجزائر 1938
2 - مخطوطة ديوانه : جزءان جمعهما تلميذه أحمد بوعدو الجزائر 1952 3 - النسخة المطبوعة من ديوانه، طبعت بالجزائر ثلاث مرات، الأولى سنة 1967، والثانية 1979،

والثالثة 1992 4 - العيديات المجهولة، صنعة الكاتب طبع مرتين، الأولى بدار الغرب الإسلامي بيروت سنة 1997، والثانية بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - وحدة الرغاية - الجزائر 2003.

كما أن لمحمد العيد مجموعة من المقالات وبعض التمثيليات المدرسية لم تجمع بعد.

انتخب محمد العيد سنة 1973 عضوًا مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق.

المصادر والمراجع

إن مصادر نتاج محمد العيد هي ذاتها ما سبق الوقوف عنده في الحديث عن آثاره.

أما المراجع فهي ثلاثة :

1 ـ كتب التراجم وهي :

أ - السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس 1926، ج 1، ص 11-12 ب - د. خرفي صالح، شعراء من الجزائر، معهد البحوث والدرسات العربية، القاهرة 1969، ص155 ج - السائحي محمد الأخضر عبد القادر، روحي لكم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص57.

2 ـ مراجع عامة وهي :

أ - د. سعد الله أبو القاسم، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر في العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة 1961

ب - مؤيد صلاح، الثورة في الأدب الجزائري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د-ت، ص11 ج - Ali Merad: Le réformisme en Algérie de 1925 a 1940, Paris Mutont 1976, P. 111.

د ـ د. خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970 هـ - د. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية، رسالة دكتوراه الدولة - مخطوطة، جامعة الجزائر 1983 و - د. الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983 ص 36، 50، 189.

3 ـ رسائل جامعية :

أ - د. بن سمينة محمد، محمد العيد آل خليفة وشعره الإسلامي، ماجستير - مخطوطة، جامعة الجزائر 1985 ب - نصر الدين بن زروق، الأسلوب في شعر محمد العيد، ماجستير - مخطوطة، جامعة الجزائر 1996 ج - حمودي السعيد، الأسلوب في شعر محمد العيد من خلال النماذج البلاغية، ماجستير، مخطوطة، جامعة الجزائر 2001.

د. محمد بن سمينة
جامعة الجزائر - الجزائر

آل سعدي، عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله

(1307هـ/ 1889م-1376هـ/ 1956م)

الشيخ عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، واحد من العلماء الأجلاء، تبحّر في علوم الشريعة، على منهج السلف الصالح من هذه الأمة، وتفرّغ منذ حداثة سنّه لطلب العلم، فحرص على أخذه من مظانّه بصدق وعزم، ومع ما يعانيه من شظف العيش، وفقدان الحنان والتّشجيع من الأبوين، حيث ماتت أمه وعمره أربع سنوات، وتوفي والده، وهو في السابعة، إلاّ أنه سار في الطريق لطلب العلم، وجدّ واجتهد في سبيله، مستهينًا بالتّعب.

ولد في مدينة عنيزة المدينة الثانية بالقصيم، وذلك في يوم 12 محرم عام 1307هـ.

ينتهي نسبه إلى قبيلة النواصر من تميم، حيث نزح جدهم من قفار قرب حائل، وسكن عنيزة حوالي عام 1120هـ. تربى يتيمًا في بيت أخيه الأكبر، فنشأ نشأة صالحة، وعرف منذ حداثته بالتّقوى والصلاح، كما عرف بالجدّ والوقار، فأقبل على العلم، حيث حفظ القرآن عن ظهر قلب، قبل أن يتجاوز الثانية عشرة، واشتغل بالعلم على علماء بلده، ومن يفد إليها من العلماء، وتطلّع إلى العلماء المجاورين، فانقطع إلى العلم لأنه هاجسه، وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيل العلم: حفظًا وفهمًا، ودراسة ومراجعة واستذكارًا، حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل.

وكبرهان على نبوغه المبكّر، وقدرته العلمية، بما منحه الله من فطنة وذكاء، فإن زملاءه في الدراسة لمّا رأوا تفوّقه عليهم، واهتمام مدرّسيه به لنبوغه، صار أولئك الزملاء يأخذون عنه العلم، وهو في مجلس الطّلب، ومناهز للبلوغ، فصار في هذا الشباب المبكر: متعلّما معلمًا..

وما إن تقدمت به الدراسة شوطًا، حتى تفتحت أمامه آفاق العلم، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبليّ فقط، إلى الاطّلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد، وتعمق في علومها وكيفية استظهار الدليل، والتوثّق من المصادر، وهذا ما أتاح له المقارنة وتغليب الأقوى بقرائنه..

واهتمّ بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية (661-728هـ/ 1263-1328م)، وتلميذه ابن القيم (691-751هـ/ 1292-1350م)، التي فتّقت ذهنه، ووسّعت مداركه، فخرج من طور التقليد، إلى طور الاجتهاد المقيّد، وصار يرجّح من الأقوال، ما رجّحه الدليل العقليّ والنّقليّ. وصار له منهج متميّز في الفتوى، اختلف معه فيها بعض علماء عصره، مما دفع الملك عبد العزيز في عام 1358هـ، أن يجمعه بالعلماء الذين اختلفوا معه في بعض المسائل، فتم ذلك في الرياض وحصل نقاش برهن فيه عن طريقته ومأخذه وأدلّة ذلك..

فشجّعه الملك عبد العزيز على المضيّ في مجاله العلمي، دون الالتفات لما يوضع في طريقه من المعوّقات. وقد رشح أيضا في عام 1360هـ لقضاء عنيزة، ولكنه امتنع لعزوفه عن القضاء، والاعمال التي تشغله عن الاطلاع والبحث والتدريس.

قلّة من الكتب تناولت سيرة الشيخ عبد الرحمان بن سعدي، مع أن المترجمين له من تلاميذه، فقد حصل بينهم تقارب وتباين، ومع أنه لم ترد ترجمته إلاّ في ستة مصادر، مع شهرته وطول باعه: في العلم والفتيا إلاّ أنّنا نجمل ما ورد فيها عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وبعضهم حدّد المادة العلمية في هذا الشيخ أو ذاك، وبعضهم لم يحدد وهم:

الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، درس عليه الحديث.

الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه والنحو.

الشيخ صالح بن عثمان..قاضي عنيزة، قرأ عليه التوحيد، والتفسير، والفقه، وأصول الفقه، والنحو، وهو أكثر من قرأ عليه، حيث لازمه، ملازمة تامّة حتى توفي.

وعلى الشيخ عبد الله بن عايض، والشيخ صعب بن عبد الله التويجري، والشيخ علي السناني..ولم تحدد المادة أو التخصّص الذي قرأه على كل من هؤلاء الثلاثة.

أما الشيخ علي بن ناصر بن وادي، الذي تعلّم في الهند، فقد قرأ عليه في الحديث..وفي أمهات كتب الحديث الستّ، وقد أجازه الشيخ علي في ذلك.

كما قرأ على الشيخ محمد الشّنقيطي نزيل الحجاز قديمًا، ثم بلد الزبير المواد التالية: التفسير، والحديث، ومصطلح الحديث، وذلك أثناء إقامة الشيخ الشنقيطي بمدينة عنيزة، والعلوم العربية أيضا.

في بريدة قرأ على الشيخ محمد بن عبد الله آل سليم، كبير علمائها في ذلك الوقت، وإليه المرجع. وفي بلده عنيزة قرأ على الشيخ، محمد بن عبد الله المانع.

كما كان حفظه القرآن الكريم عند الشيخ سليمان بن دامغ، في مدرسته بأم ضمار، ثم حفظه وهو يافع، عن ظهر قلب.

أما الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، فقرأ عليه عندما وَفَدَ إلى عنيزه: أصول الدين، كما أعطاه إجازة في الحديث الذي قرأه عليه.

كما قرأ على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف في المملكة العربية السعودية، عندما كان الشيخ محمد في عنيزة. وغير هؤلاء، وذلك لاهتمامه بطلب العلم متى تيسّرتْ سبله، ولم يعرف عنه أنه سافر خارج البلاد في سبيل طلبه العلم.

يقول عنه محمد بن عثمان القاضي عندما ترجم لحياته: وكان مشايخه كلهم معجبين بفرط ذكائه ونبله واستقامته، وكان يحضر هو وأبو عثمان، ومحمد العبد الله المانع، فيراجعون دروسهم على مشايخهم في كل مساء، وفي كل ليلة حتى يذهب معظم الليل، ويقول والدي عثمان: إن فائدتنا فيما بيننا من المناقشة والبحث، تعادل أو تقارب الفائدة على مشايخنا.

كما كان الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، عندما يتحدث عن شيخه إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه، يصفه بحفظه للحديث، وورعه ومحبته للفقراء ومواساتهم، وكثيرًا ما يأتيه الفقير، في اليوم الثاني، فيخلع عليه أحد ثوبيه، ويلبسه إياه، مع حاجته إليه، لقلة ذات يده.

كما تتلمذ بواسطة المراسلة، وعلى الكتب والمثابرة على المطالعة، في تراث السلف الأقدمين، إذْ كان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيميّة، وتلميذه ابن القيم، وحصل على علم غزير بسببها في علم الأصول، والتوحيد، والتفسير، والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وعن استنارته بكتب الشيخين المذكورين، صار لا يتقيّد بالمذهب الحنبليّ، بل يرجّح ما ترجّح عنده بالدليل الشرعيّ، ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوّسين.

كما يعتبر ابن بسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»، أن ابن سعدي لم يقتصر على الأخذ من شيوخه السالف ذكرهم، ولا على قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيميّة، وتلميذه ابن القيم، التي فتقت ذهنه، ووسّعت مداركه. فخرج عن طور التقليد، إلى طور الاجتهاد، بل كاتب علماء الأمصار، ومفكري الآفاق في كل مكان، بجديد المسائل، وعويصات الأمور، حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق بعض النّصوص الكريمة، على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه، وهذه من همته وعزيمته في اكتساب العلوم وتحصيلها.

والشيخ عبد الرحمن بن سعدي، الذي عاش يتيمًا قد هيأ الله من يعينه على الطريق الموصل لبغيته من العلم، عندما تفتّحت مواهبه للنهل من موارده المتاحة، وقد تمثّلت فيه سيماء العلم: بالورع والصلاح والاهتمام بشعائر الدين، والمحافظة عليها، كما أبان ذلك الإمام الشافعي مع شيخه بقوله:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي
فأرشدني إلى ترْك المعَاصي

وقال:

اعلم بأن العلم نور
ونُور الله لا يُؤْتاه عاصي

ولذا نجد تلاميذه وعارفي مكانته يتحدثون عن مكانته العلمية.

يقول تلميذه عبد الله بن بسّام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»، عن مكانته بعد أن ذكر دأبه في تحصيل العلوم، واكتساب المعارف: «كما وردت إليه الأسئلة العديدة، من داخل البلاد وخارجها، فأجاب عليها بالأجوبة السديدة، وكان حاضر الجواب، سريع الكتابة، بديع التّحرير، سديد الحث، فلمّا بلغ أشدّه ونضج علمه، ورسخ قدمه، شرع في التأليف، ففسر القرآن الكريم، وبيّن أصول التفسير، وشرح جوامع الكلم النبويّ، ووضّح أنواع التوحيد وأقسامه، وهذب مسائل الفقه، وجمع أشتاتها، وردّ على الملاحدة والزّنادقة، والمخالفين، وبيّن محاسن الإسلام، كل ذلك في كتب ورسائل طبعت ووزّعت، ونفع الله بها، وقد انقطع للعلم، وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله: حفظًا وفهمًا، ودراسة ومراجعة، واستذكارًا حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل».

والقصد أنه صار مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، فهو مدرّس الطلاب، وواعظ العامّة، وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد، وكاتب الوثائق، ومحرر الأوقاف والوصايا، وعاقد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يهمهم.

ويقول عنه المؤرخ عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه «مشاهير علماء نجد وغيرهم»: «في عام 1350هـ انتهت إليه المعرفة التّامة، ورئاسة العلم في القصيم، فاشتهر علمه، وارتفع قدره، فاقبل عليه أهل ناحية القصيم للقراءة، وتلقّى العلوم والمعارف عنه»، وبمثل هذا، قال أحد تلاميذه الذي ترجم له في كتاب «المختارات الجليّة، من الفتاوى السعدية».

أمّا تلميذه محمد بن عثمان القاضي فقال عنه في كتابه «روضة الناظرين»: «في عام 1351هـ انتهى التدريس إليه، وكان يميل في فتاويه ومؤلفاته وتدريسه، إلى اختيارات ابن تيمية وابن القيم، وينصح تلاميذه على مطالعتها، والتّضلع منها، وربما خرج عنها إذا قوي عنده الدليل، فهو يجعل مذهب الإمام أحمد أساسًا له، فيما لم يترجح عنده دليل بخلافه، فإذا ترجّح لديه الدليل تابع الدليل، وكان يفتي تارة شفويًا، وتارة تفد إليه الرسائل فيجاوب عليها كتابيًا. وبالجملة فقد كرّس حياته للنفع تعلّما وإفتاء وتأليفًا».

والشيخ عبد الرحمان بن سعدي، واحد من علماء الإسلام، الذين اهتموا بالعلم أخذًا، وبأداء أمانته بذلاً وتعليمًا. فكان يدرس نفسيات تلاميذه، ويقيس مداركهم، فيحرص على المداخل، التي تزيل الفوارق بين الطالب والمعلم، ويلتمس ما يزيد الطالب ثقة بنفسه، ويقوّي صلته بمعلمه، وبهذا تبرز مواهب الأذكياء، وتشرئب نفوسهم إلى المزيد من المعرفة، باشتياق وارتياح، ومما برز فيه تجديدًا في أسلوب التّعليم ما يلي:

- تبسّطه مع تلاميذه: حديثًا وتعليمًا، ومشاركة في الرأي.
- استشارته لتلاميذه فيما يقرؤون به، كلّما انتهى من كتاب إلى كتاب.
- حسمه الرأي إذا رأى منهم اختلافًا، ليكون رأيه الحكم، أما إذا اتّفقوا أو بالأكثرية على كتاب بعينه، فإنه يميل لما يميلون إليه.
- ومن محاسنه في التعليم: إتيانه بالمسائل العلمية بدلائلها.
- أما إذا رأى للنظائر مجالاً للاستطراد، فإنه يتوسع بفصاحة وبلاغة بديهية.
- كما كان له طريقة متميزة في جذب أنظار الطلبة إليه، وشحذ قرائحهم حتى يتابعوا ويتعمقوا، حيث يطرح المسائل على الطلبة ليختبر أذهانهم، ويتعمد أحيانًا تغليط نفسه، في حلقة التدريس، ليرى من هو الحاضر ذهنًا لتقديره، ومن هو الشارد ذهنًا لتنبيهه، ولمعرفة النّجيب والفطن من ضده. وقد أدرك منه تلاميذه هذا المنهج، فكانوا يتفاعلون معه، ويحسبون لكل موقف حسابه.

وإذا تعرض لأي فن ليخوض فيه، مع طلابه فإنه يهتم بإيراد الأدلة ويجمع بينها ويورد أدلة المعارضين، للرأي، ثم يعمل نفسه حكمًا بين

الحالين، كما هي طريقة ابن القيم، رحمه الله، في الإعلام وزاد المعاد، وطريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في ترسيخ العقيدة لدى طلابه في حلقات التدريس.

ولذا كان المسافرون للحج، يرغبون صحبته ليتعلموا منه، ويستفيدوا في شؤون دينهم، وقد كان جلوسه للتدريس عندما بلغ من العمر 32 سنة، فكان يعلم ويتعلم في آن واحد ويقضي أوقاته في ذلك، وفي الانكباب على مطالعة الكتب. وقد ألف رسالة في آداب المعلمين والمتعلمين أملاها على تلاميذه، وأخرى في حسن الخلق كذلك.

وقد انتهج هذا الأسلوب تلميذه الشيخ محمد ابن عثيمين وجلس في مسجده بعد وفاته خطابة وتعليمًا وإفتاء منذ توفي الشيخ، إلى أن توفي التلميذ، فكان حريصًا على ترسّم خطاه والسير على طريقته.

ولما جعل الله له من القبول، فإن تلاميذه لا يحصون كثرة، يفيدون إليه من كل مكان، يزين ذلك ما عرف عنه من حسن الخلق والكرم وبشاشة الوجه والتواضع.

للشيخ منهج متميز في الفتاوى، وتجديد في متابعة ما جد في الحياة، ومقارنته بالقياس: الحالات الحديثة بالحالات القديمة عند الفقهاء، فيخرج برأي متميز في الفتوى يتضح ذلك في مثل:

1 - خروجه من طور التقليد، إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما يعضده الدليل، وما يصدقه التعليل، خاصة وأن الله وهبه، دراية برجال السند، ومعرفة بالجرح والتعديل.

2 - جرأته وجسارته على محاولة تطبيق بعض النصوص الكريمة، على بعض المخترعات في هذا العصر وحوادثه، بعد أن كاتب علماء الأمصار، ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور.

3 - في عام 1358هـ ألف رسالة عن يأجوج ومأجوج، فتسبب له في بعض المشكلات من وشاية مغرضة. فجمعه الملك عبد العزيز بالعلماء ومعه تفسيره، وفي الرياض اجتمع في يوم الخميس مع العلماء وحصلت المناظرة فأقنعهم بما وصل إليه من رأي فقال له الملك عبد العزيز: إننا نعتبرك في القصيم من العلماء الربانيين وأكرمه قبل عودته لبلده.

4 - في كتابيه: «المختارات الجلية من المسائل الفقهية»، و«الفتاوى السعدية» يبرز عدم تقيده بالمذهب واهتمامه بالقياس والاجتهاد، وفق ما يدعمه الدليل في معالجة ما جد في حياة الناس، كزرع الأعضاء والتبرع بالدم وغيرهما.

ذلك أن اتصاله بالعلماء، كتابة ومناقشة، واهتمامه بما برز أمامه من أمور حديثة، جدّت في حياة البشر، أوجد عنده نظرة لما برز في حياة المسلمين، يحسن أن تعالج، وفق نظرة الإسلام الشمولية تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ [النحل: 89].

5 - لسعة اطلاعه في فنون عديدة، نراه

يخوض في كل فن بالرأي الصائب، حتى يقول المتابع له: هذا فنه الذي اختص به.

ومع رفضه القضاء والأعمال الأخرى، إلاّ أنه مع تفرغه للتاليف والتدريس والفتيا، سعى في تأسيس جمعيات خيرية متعددة لمساعدة المحتاجين، وبناء المساجد، والمكتبات وغير ذلك.

اتفقت المصادر على انه توفي في مدينة عنيزة من بلاد القصيم في عام 1376هـ، وبعض هذه المصادر توسعت في ذكر المرض الذي استمر معه خمس سنوات أو أكثر، وهو تصلب الشرايين وضغط الدم.

وقد سافر إلى لبنان للعلاج عام 1372هـ، ونصحه الأطباء بالراحة، وقلة التفكير والإجهاد، إلا أنه بعدما عاد إلى عنيزة لم يصبر عن العلم والتعليم، ولا على ترك الاشتغال به، تعليمًا وتأليفًا وبحثًا، فعاد إليه المرض أشد مما كان. وقد ذكر تفاصيل مرضه وحالته صاحب كتاب: «مشاهير علماء نجد وغيرهم».

وفي ليلة الاربعاء 23 جمادى الآخرة، أغمي عليه، وطلب له طائرة لنقله إلى الرياض، إلا أن أجله المحتوم عاجله قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 23 جمادى الثانية 1376هـ، وبعد صلاة الظهر صلى عليه في جامع عنيزة، ودفن في مقابر الشهوانية شمال عنيزة عن 69 سنة قضاها في العلم والتدريس، والفتيا والتأليف.

آثاره

لقد كان للشيخ ابن سعدي، شهرة علمية في حياته بطلابه، وكثرة الوافدين عليه وبفتاواه ورسائله، وامتد أثرها بعد وفاته بمؤلفاته، التي تعبر عما وهبه الله من علوم وقدرة على استخلاص النتائج ومن ثم تبسيطها.

وقد طبع غالب مؤلفاته في حياته، فأعطت ثمارًا يانعة، حيث اهتم العلماء بتدريسها وبثها بين طلاب العلم، في داخل المملكة وخارجها.

وكان غاية قصده من التصنيف، هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولذا قال أحد تلاميذه: «يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضًا زائلاً، أو يستفيد منها مطلبًا دنيويًا، بل يوزعها مجانًا، رغبة في تعميم العلم والنفع منه».

ومؤلفاته التي قيل بأنها تزيد على الأربعين، نذكر منها إجمالاً ما وصل إلينا علمه، وما حرص مركز صالح الصالح الثقافي بعنيزة على نشره ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته:

1 - التفسير المسمى: تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، ويقع في ثمانية مجلدات، وكان قد أكمله في عام 1344هـ، وقد ذكر أن الطبعة الأولى كانت في حياته في المطبعة السلفية بمصر. وقد أعيد طبعه عدة مرات، ويذاع في وسائل الإعلام لما فيه من فوائد وعلم غزير، وفي الطبعات الأخيرة أضيف:

أ - القواعد الحسان لتفسير القرآن

ب - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.. وقد طبع في حياته؛

2 - الحديث وهو جزء واحد في مجلد واحد؛ 3 - العقيدة الإسلامية وهو جزء

واحد في مجلد واحد؛ 4 - الفقه ويقع في جزأين مجلدين؛ 5 - ثقافة إسلامية ويقع في مجلدين؛ 6 - الخطب المنبرية ويقع في مجلد واحد؛ 7 - إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأيسر الأسباب رتبه على السؤال والجواب، طبع في دمشق 1365هـ؛ 8 - الدرة المختصرة في محاسن الإسلام طبع في مصر عام 1366هـ؛ 9 - الخطب العصرية القيمة، لما آل إليه الخطاب في عصره بحسب المناسبات؛ 10 - تنزيه الدين وحماته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع بمصر عام 1366هـ؛ 11 - القول السديد في مقاصد التوحيد؛ 12 - الرياض الناضرة طبع أول مرة بمطبعة الإمام بمصر عام 1365هـ؛ 13 - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء؛ 14 - توضيح الكافية الشافية: شرح نونية ابن القيم؛ 15 - وجوب التعاون بين المسلمين؛ 16 - بهجة قلوب الأبرار في شرح جوامع الأخبار، طبع في القاهرة سنة 1372هـ/ 1951م؛ 17 - الإرشاد إلى معرفة الأحكام؛ 18 - طريق الوصول إلى علم المأمول بمعرفة الضوابط والقواعد؛ 19 - الدين الصحيح يحل جميع المشاكل؛ 20 - الفروق والتقاسيم البديعة النافعة؛ 21 - فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام؛ 22 - الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين؛ 23 - شرح تائية ابن تيمية في الرد على القدرية؛ 24 - الفتاوى السعدية مجلد في 665 صفحة الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م؛ 25 - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان؛ 26 - فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد؛ 27 - التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية؛ 28 - الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية لا تخالف السنة؛ 29 - منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين؛ 30 - الفواكه الشهية في الخطب المنبرية يقع في 232 صفحة؛ 31 - المناظرات الفقهية؛ 32 - مختارات من الفتاوى وفيه جاءت فتاوى في الكهرباء ونتائجها، وحكم أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في آخر، العمل بالبرقية وأصوات المدافع في ثبوت الصوم والفطر، حكم الورق النقدي وحكم ما تتلفه السيارات ويتلف من جرائها. وغير ذلك؛ 33 - رسالة لطيفة في أصول الدين المهمة؛ 34 - المختارات الجلية يقع في 412؛ 35 - فوائد قرآنية؛ 36 - منظومة سميت «الدليل» تبلغ 400 بيت، وغير هذا من كتبه ورسائله وفي حياته كان يطبع كتبه على حسابه، ويوزعها مجانًا، على طلاب العلم، ومع هذا فقد كان شاعرًا مجيدًا لكنه لم يهتم بجمع شعره ولا طباعته.

المصادر والمراجع

- ابن عثمان القاضي، محمد، روضة الناظرين، الطبعة الثانية بمصر الحلبي عام 1403هـ/ 1983م، 1/ 320-326؛
- البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة

الأولى مكة عام 1398هـ/ 1978م، 2/ 422-431؛ ● الفتاوى السعدية نشر مكتبة المعارف بالرياض 1402هـ/ 1982م الطبعة الثانية، 647-658؛ ● المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي نشر المركز الثقافي، الصالحية، بعنيزة، 1/ 5-61؛ ● المختارات الجلية من فتاوى الشيخ ابن سعدي جمعها أحد تلاميذه طبعت بمصر عام 1378هـ/ 1958م، مطبعة المدني، 411-412؛ ● آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الطبعة الثانية لوزارة المعارف بالرياض عام 1394هـ/ 1973م؛

● الشويعر، محمد بن سعد، من مشاهير علمائنا، الطبعة الأولى الطائف عام 1421هـ/ 2000م، 191-222؛ ● الشويعر، محمد بن سعد، نجد قبل 250 عامًا، نشر دار النخيل بالرياض الطبعة الأولى عام 1412هـ/ 1992م؛ ● المجذوب، محمد، علماء ومفكرون عرفتهم، الطبعة الثالثة، دار الاعتصام بالقاهرة.

د. محمد بن سعد الشويعر
المستشار ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية

آل السقاف، علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن

(818هـ / 1412 م - 895 هـ/ 1489م)

يعد آل السقاف من بين المشهورين من علماء حضرموت (تريم - سيئون)، وصاحب الترجمة واحد منهم، وهو المولود بمدينة تريم، بل نشأ بها وحفظ القرآن وتزوّد بعلوم الدين على يد جُل علمائها [باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص135؛ سالم بن عبد الله الشاطري، وصيتان عظيمتان، من مقدمة الكتاب].

كفله عمه عمر المحضار (ت 833هـ) بعد وفاة والده وجده وأخذ عنه وعن غيره من علماء الفقه والحديث وعلوم اللغة العربية وبالذات عن العلامة أحمد بن محمد بافضل، ثم رحل الى مدينتي الشحر وغيل باوزير بحضرموت لطلب العلم، ومكث هناك أربع سنوات يدرس على الفقهاء آل باهارون، وآل باعمّار، والفقيه محمد بن علي باعديلة، والعلامة ابراهيم بن محمد باهرمز، والفقيه محمد بن أحمد باغشير، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن باوزير [الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص135، 136؛ محمد بن عوض بافضل، صلة الأهل، ص 143].

ومن رحلاته في طلب العلم ذهابه الى مدينة عدن فأخذ عن الامام مسعود بن سعد باشكيل وتوجه بعد ذلك الى الحرمين الشريفين، فأخذ عن جمع من علمائها. واستفاد من علمه عديد من التلاميذ وطلاّب العلم [الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص 136].

آثاره

1 - معارج الهداية الى ذوق جنى المعاملة في النهاية 2 - البرقة المشيقة في إلباس الخرقة الأنيقة 3 - الدرّ المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن عليّ 4 - مؤلف في النكاح 5 - مؤلف في قواعد النحو 6 - مؤلف في علم الميقات 7 - وله رسائل ووصايا وشعر في التصوّف.

المصادر والمراجع

- بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل في تدوين مناقب آل أبي فضل، (مخ)، تم طبعه في كتاب، بدون دار نشر، د.ت
- باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، مصر 1381هـ/ 1961م
- الشاطري، سالم بن عبد الله بن عمر، كتاب وصيتان عظيمتان، للسيد الامام محمد بن علي مولى عيديد، والإمام عبد الله بن عمر الشاطري، مطبعة كرجاي المحدودة، سنغافورة، 1410هـ/ 1989م.

د. محمد بن هاوي باوزير

جامعة عدن - اليمن

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم

(1311هـ/1893م - 1389هـ/1969م)

ولد الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في مدينة الرياض، في اليوم السابع عشر من شهر محرم عام 1311هـ/ 1893م، ونشأ في بيت علم وفضل، فأبوه إبراهيم بن عبد اللطيف كان عالـمًا أسند إليه الملك عبد العزيز قضاء الرياض من عام 1321هـ إلى أن توفي عام 1329هـ، إلى جانب جلوسه للتدريس.

وجده، عبد اللطيف بن عبد الرحمن، درس في الأزهر بمصر بعدما نقله إبراهيم باشا (1204هـ-1264هـ) وقد نال مكانة علمية كبيرة في مصر، ثم بعدما عاد منها في الدعوة والتأليف والتعليم.

وجد والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مؤلف كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وقد قدم

من مصر عام 1241هـ، أثنى عليه المؤرخ عثمان بن بشر [1210هـ-1290هـ]، في علمه وسعة أفقه.

وكل واحد من فروع هذه الشجرة له شهرة علمية، وفضل لا يضاهى في سبيل نشر الدعوة وتصحيح العقيدة، وحماية جناب التوحيد، توارثوا العلم كابراً عن كابر، فكانوا علامات يسترشد بها الساري في الذود عن العقيدة.

في الرياض نشأ مجدد الدعوة، ومحيي السنة، الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي ربوعها درج حيث بانت علائم النجابة والذكاء عليه منذ صغره، وفي حي دخنة حيث مجالس العلماء من آل الشيخ وغيرهم، ترعرع وتفتح ذهنه على طلب العلم،فحفظ القرآن الكريم صغيرًا، عند الرحمن بن مفيريج على مرحلتين: الأولى وهو مبصر من الثامنة حتى الحادية عشر، فختمه نظرًا، والثانية بعدما أصيب بمرض الرمد في عينيه، الذي استمر معه سنة كاملة بعدها كف بصره، فعوضه الله البصيرة فعاد إلى الكتاتيب وحفظ القرآن عن ظهر قلب.

لم ييأس الشيخ محمد بعدما فقد بصره بل رضي واستسلم لقضاء الله وقدره، ولما كان والده إبراهيم مقصدًا لطلاب العلم في مجالسه ودروسه، فإن ابنه محمدًا قد استمد العزيمة في طلب العلم مما حوله، يحدوه لذلك أمران:

- دافع وجداني: لأن العلم تغلغل في جوانحه، والإصرار على الأخذ بأسبابه استحوذ على مشاعره.
- ودوافع ممن حوله شد عضده، وشجعه على الطلب، من الأب الذي يمحضه نصحه، ومن الأسرة العلمية التي اهتمت به أخذًا وعطاء ودعوة.

ولما كان صادقًا في طلب العلم، فقد حرص على أن يتخلّق بآداب طالب العلم في الأخذ، ووجوب التواضع، فوضع أمام عينيه الحق اللاّزم في تبليغه، والنصح لله في القول والعمل، وعدم مماراة السفهاء فيه.

ومن توفيق الله للشيخ محمد، أن كانت مناهل العلم تحت سمعه وبصره، فدفعه ذلك إلى المزاحمة والمثابرة، فبدأ بقراءة المختصرات العلمية من مؤلفات جده الأعلى، الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفقه والعقيدة، وهي رسائل مركزة في محتوياتها، مبسطة في أسلوبها، سهلة في فهمها، مما ترغّب الطالب، ولا تثقل على المبتدئ، وإلى جانبها كان يأخذ مبادئ النحو والفرائض.

كانت هذه البداية على يد والده الشيخ إبراهيم الذي كان له خير موجه ومعين ومرغِّب، فكان، يعطيه من هذه العلوم، بقدر ما يتلاءم مع قدرته ورغبته فلا يزيده ليملّ، ولا ينقصه ليتألم ويتحسّر. لكن همة التلميذ وما حباه الله من ذكاء وفطنة، جعله يستوعب المختصرات في فترة وجيزة، مع حفظها عن ظهر قلب ثم زادت رغبته بالتحصيل، وسمت نفسه إلى المزيد من العلم، فالتحق بحلقة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، عالم الرياض وحكيم علمائها في العقيدة، حيث بدأ بكتاب التوحيد ثم العقيدة الواسطية، فالحموية لابن تيمية فحفظ ذلك، كما قرأ عليه في أصول التفسير والحديث أيضًا.

أما فقيه الرياض ومحدثها الشيخ سعد بن

الشيخ حمد بن عتيق، فقد قرأ عليه الحديث والفقه ومصطلح الحديث، وقد استفاد من ملازمته كثيرًا، كما أخذ العربية عن الشيخ العلامة اللغوي البارع، حمد بن فارس فقد قرأ عليه ألفية ابن مالك وشرحها، وغيرها من كتب النحو، والصرف، والأجرومية والملحة والقطر.

وشيخه في الفرائض عبد الله بن راشد بن جلعود بعدما نزل الرياض واستوطنها، فقرأ عليه ألفية الفرائض وشرحها، والعقيدة وعلومها. وهكذا نرى الشيخ محمد بن إبراهيم يوزع وقته بين علماء الرياض الذين كانت تزخر بهم ذلك الوقت، ليأخذ عن كل واحد مجال تخصصه، حتى تبحّر فيها جميعًا. وأعانه الله على ذلك بقدرة عجيبة على الحفظ وعدم النسيان لما حفظ. وذلك أن المستفيض عن الشيخ محمد، أنه كان كثير الدأب على المطالعة في مختلف الكتب وتدريسها، فكان هذا مصدرًا ثانيًا نمّى حصيلته العلمية، ومكّن توسيع أفقه، ما جبلت عليه نفسه منذ حداثته، فقد وهبه الله ذكاءً حادًا وذاكرةً قوية في الحفظ، مع رجاحة العقل وبعد نظر.

وقد أجمع كل من كتب عن الشيخ محمد، على أنه أخذ عن مشاهير العلماء في نجد، وأن مثابرته وفطنته أهّلتاه إلى النبوغ مبكرًا، والتهيُّؤ بما أخذ من علم، وما منحه الله من حلم وعقل لمناصب علمية كبيرة.

جرت العادة بين العلماء، ألا يتصدّر حلقات العلم، ولا يجلس للطلاب يقرأون عليه ويأخذون عنه، إلا من تشبع بالعلم، وأدرك من العلماء ما يخوله لذلك، فإن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عالم الرياض، قد أدرك من ابن أخيه محمد بن إبراهيم، علائم الذكاء، وسيماء النجابة، في وقت مبكر، فزكاه عند الملك عبد العزيز من جوانب عديدة أهمها: الوقار و الحلم وبعد النظر. ولما توفي الشيخ عبد الله في عام 1339هـ، أدرك الملك عبد العزيز، أن الشيخ محمد بن إبراهيم كفؤ لما يسند إليه من أعمال، وأنه بموجب ذلك جدير بأن يكون خليفة لعمه عبد الله من بعده، في إمامة المسجد بدخنة والتدريس، وحل ما يعرض عليه من مشكلات.

وتناقل المدركون وما روي عنهم: أن الملك عبد العزيز تحدث مع العلماء والمشايخ عند قبر الشيخ عبد الله في وداعه الأخير قائلاً: الله يخلف على المسلمين بمن فيه السداد، اليوم دفنا العلم والورع من ترون يحل مكانه، فسكتوا. ثم قال: إن صدق ظني فلا أجد أحدًا يقوم مقامه إلا هذا الكفيف، ولو أنه أصغركم بعلمه وعمله، وعقله ونظرته للأمور.

قم يا شيخ محمد تراك محل عمك في جميع أموره من اليوم، الله يجعل فيك بركة، صلّ بمسجده وأجلس للطلبة يقرأون عليك، فهم في حاجة لمثلك.

فوالى نشاطه في الفتيا والتدريس والخطابة، وخصص للطلبة أوقاتًا: بعد صلاة الفجر إلى الضحى، وبعد الظهر ساعة، وبعد العصر وبعد المغرب مثلها..وانضم إلى حلقته طلبة لا حصر لهم، ووفد إليه طلاب العلم من كل صوب. وظلّ في تدريسه حوالي نصف قرن، ولم تصدّه الأعمال الكثيرة الموكولة إليه من نفع الناس في التعليم، وتخرج عليه علماء عاملون، نفع الله بهم، ما بين أساتذة ومدرسين وقضاة وغيرهم.

فكان مسجده جامعة علمية، وكان حسن التعليم رحب الصدر يرتب الطلبة حسب مستوياتهم، فالمبتدئون يجمعهم على المختصرات، والمتوسطون والمنتهون على المطولات. ويحدد الكتب التي يتدرج فيها تلاميذه في كل فن بحسب المقدرة، يبدأ بالأسهل ثم التدرج في الأعلى، ليرتقوا حسب استيعابهم ومقدرة كل واحد منهم.

وكان ذكيًا بحيث يعرف مستوى كل طالب مع كثرتهم، ولا يخطئ في ترتيب مستوياتهم. ويعتبر غالب علماء المملكة من تلاميذه، ترده الجموع من طالبي العلم، ولما تكاثر عددهم، ورأى حاجة البلاد بعد استقرارها، وتشعب الأعمال فيها، فقد اقترح على الملك عبد العزيز رحمه الله، فتح المعاهد والكليات في عام 1370هـ الموافق لعام 1950م حيث تحول طلابه إلى الدراسة فيها.

أسند إليه الملك عبد العزيز أعمال عمه عبد الله بن عبد اللطيف بعد وفاته في عام 1339هـ، في الفتيا والخطابة وصلاة الجمعة في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض مع الجلوس لطلاب العلم. وفي عام 1370هـ صدر الأمر بافتتاح معهد الرياض العلمي، وتبعه معاهد في انحاء المملكة، ثم كلية الشريعة عام 1373هـ، وكلية اللغة العربية عام 1374هـ، وأن يكون الجميع بإشراف الشيخ محمد بن إبراهيم، مع الإشراف على دور الأيتام في المملكة. وفي عام 1372هـ عين مفتيًا أكبر للمملكة العربية السعودية، ومرجعًا للعلماء ورجال الدين، نظرًا لما يتصف من الكفاية والصفات الحميدة، وقد نشر ذلك في الجريدة الرسمية «أم القرى». وفي عام 1374هـ أنشئت دار الإفتاء، والإشراف على الشؤون الدينية، ورئاسة المعاهد، فأسندت رئاسة هذه الأمور إليه، ومن تواضعه فقد رفض ان يخاطب بالمفتي الأكبر، وأمر بالإبقاء على كلمة «المفتي» وإلغاء اللقب. وفي عام 1376هـ بعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن ضمت إليه رئاسة القضاة بالحجاز والمنطقة الغربية مع عمله فكان رئيسًا للقضاة في المملكة العربية السعودية. وفي عام 1373 هـ تم توحيد الجهات التالية: دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية؛ المساجد ودور الأيتام، تحت رئاسته، فكان هو المرجع للقضاء تعيينًا وعزلاً وتأديبًا، وتمييز الأحكام حيث أنشئت رئاسة القضاء في المملكة.

فأخذ من عام 1376هـ لقب المفتي ورئيس القضاة في المملكة العربية السعودية.

وفي عام 1379 هـ رأى أهمية تعليم المرأة فقدم مشروعًا وافق عليه الملك سعود، بافتتاح مدارس للبنات في مدن المملكة في عام 1370 هـ، وصدر بذلك مرسوم ملكي بإيجاد رئاسة عامة لتعليم البنات، أسند فيه الإشراف لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فاختار الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، ليكون رئيسًا مباشرًا لتعليم البنات.

وفي عام 1371هـ صدر أمر بافتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والشيخ محمد بن إبراهيم هو رئيسها، وقد اختار نائبًا له هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز فكان الشيخ محمد رائدًا للتعليم في المملكة.

وقد سعى للإيجاد مكتبة عامة بالرياض وتم

افتتاحها وأسندت رئاستها إليه، ثم أنشئت رابطة العالم الإسلامي، وكان هو أول رئيس للمجلس التأسيسي الأعلى بالرابطة.

ومع فضله وعلمه فقد يستنير بآراء كبار المشايخ، ويعرض عليهم ما يمر به من قضايا، ويقدّر العلماء، ويلين الجانب لصاحب الحاجة، فكان فذًا في صفاته وحسن خلقه مع العام والخاص.

والشيخ محمد بن إبراهيم قد منحه الله عقلاً وعلمًا، فكان العلم بالنسبة له زينة وجمالاً، واضفى عليه العقل سربالاً من المهابة والإجلال.. فكان دمث الخلق، متواضعًا محبًا للخير، رقيق القلب، حريصًا على تلمس حاجات الناس، شجاعاً في كلمة الحق، لا يخاف في هذا السبيل لومة لائم، شديدًا في قمع الفتنة، قوي الذاكرة.

اتفقت الروايات عند من كتب عن الشيخ محمد بن إبرهيم على أن وفاته كانت في عام 1379هـ، لكن الاختلاف في اليوم وفي المرض، وأصح ما جاء في ذلك ما ذكره صاحب كتاب «مشاهير علماء نجد وغيرهم»، بأن الشيخ توفي يوم الاربعاء 24 رمضان عام 1389هـ، عن عمر بلغ 78 عامًا، وثمانية شهور وثمانية أيام.

والشيخ عبد الله البسام، قال في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» إنه ناهز الثمانين من عمره، وهو في نشاطه، وفي أعماله ومهام منصبه، ثم أصيب بمرض عضال، فسافر من أجل علاجه إلى لندن مرتين، وعاد في الثانية وقد أثقله المرض، وفي يوم الأربعاء بعد الظهر من اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام 1389هـ، انتقل إلى رحمة الله، فصلي عليه بعد صلاة العصر في جامع الرياض الكبير، وكان الجمع حاشدًا، والزحام شديدًا وعلى رأس المشيعين جلالة الملك فيصل، وأمّ الناس بالصلاة عليه الشيخ عبد العزيز بن باز، وقد رثاه جمع من العلماء والأدباء في داخل المملكة وخارجها، شعرًا ونثرًا، وقد صُلّيَ عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين وفي جميع مساجد المملكة.

آثاره

كبار العلماء أصحاب المناصب المتعددة، تكثر مشاغلهم، وتزداد أعباؤهم بحكم ما أنيط بهم من أمور الخاصة والعامة، ولذا تقلّ مؤلفاتهم.

والشيخ محمد بن إبراهيم مع علمه الوافر، وفهمه لأقوال العلماء واستظهار المسائل، فإن لديه قدرة على الاستيعاب والتحليل، عجيبة، ومقدرة على الفهم والحفظ نادرة، لكنه لم يتفرغ للتأليف، لأنه كان في الدور التأسيسي للمملكة من ناحية التعليم والقضاء، وتنظيم الأمور في مملكة واسعة الأرجاء، حديثة البناء، فكان من حصافة الشيخ: الاهتمام بانتقاء الرجال والجلوس لهم تعليمًا وتوجيهًا، وتهيئتهم لتحمل المسؤولية العلمية في القضاء والدعوة والتعليم.

فكان طلابه وهم كثيرون جدًا، يأخذون عنه ما طبقوه عملاً بعدما تحملوا المسؤولية، في أعمالهم المناطة بهم: ورعًا عند إصدار الأحكام وغيرة على الدين، واستشارة معه وتأدبًا برفع الأمور إليه، وحرصًا على انتهاج

طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين، في مكانة العلماء وعبادتهم وعفة نفوسهم.

وفي مقابل الأعمال الكثيرة التي قام بها، فإننا نرى كثيرًا ممن كتب عن سيرة الشيخ محمد قد ذكروا له بعض الكتب منها:

1 - مجموع في علم الحديث؛ 2- مجموع خطب منبرية؛ 3- نبذة من رسائل ونصائح موجهة للأمة الإسلامية؛ 4- الجواب المستقيم؛ 5- تحكيم القوانين مجموعة أحاديث الأحكام؛ 6- رسائل صغيرة في حكم زكاة العروض، وفي حكم الدخان والقات، وفي معالجة غلاء المهور وغيرها؛ 7- وقد تصدى تلميذه الشيخ محمد بن قاسم لفتاواه جمعًا وتنظيمًا وتبويبًا على أبواب الفقه واشرافًا في الطبع، فخرجت في (13) ثلاثة عشر مجلدا، فلو لم يكن له أثر سواها لكفى به فائدة، حيث عالج فيها كثيرًا من المسائل المعاصرة.

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام، الطبعة الثانية، ج1/ 66، بيروت لبنان بدون تاريخ؛ ● ابن عتيق، إسماعيل، تاريخ من لا ينساه التاريخ، الطبعة الأولى، ص51-52؛ ● جريدة أم القرى، الجريدة الرسمية للدولة عدد يوم الجمعة 9/ 4/ 1372هـ تصدر بمكة المكرمة اسبوعية ص. 36؛ ● جريدة البلاد تصدر بمكة المكرمة، ثم الآن في جدة عدد يوم الخميس 25 رمضان 1392هـ؛ ● القاضي، محمد بن عثمان، روضة الناظرين، ج. 1/ 363-365 الطبعة الثانية؛ ● ابن رويشد، عبد الله بن سعد، قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، الطبعة الأولى القاهرة ص. 405؛ ● جريدة اليوم الصادرة بالدمام، يوم الجمعة 24/ 1/ 1418هـ؛ ● البسام، عبد الله، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الطبعة الثانية الرياض ج.1/ 89-93-95؛ ● مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن هيئة كبار العلماء بالمملكة، الرياض العدد 18 ص. 226-229؛ ● مجموع فتاوى سماحة الشيخ محمد، جمع وإشراف محمد بن عبد الرحمن القاسم، ج. 1 ص. 16-18؛ ● آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الطبعة الأولى الرياض، ص. 109، 177؛ ● كحالة، المستدرك على معجم المؤلفين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1406هـ/ 1985م؛ ● الشويعر، محمد بن سعد، من مشاهير علمائنا، الطبعة الأولى الطائف 1461هـ، 2000م ص. 28-43؛ ● المقاصد الحسنة، المختصر، الطبعة الأولى 1401هـ/ 1981م، من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض.

د. محمد بن سعد الشويعر
المستشار ورئيس تحرير
مجلة البحوث الإسلامية
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

آل الصّدر، حسن بن هادي بن محمد عليّ الحسينيّ

(1272 هـ / 1856 م – 1354 هـ / 1935 م)

ولد السيد حسن الصّدر بمدينة الكاظميّة بالعراق من أسرة علميّة علويّة تدعى (آل الصّدر) وهي من أشهر الأسر العلويّة المعروفة بالعلم والفضل والرّئاسة، والفتوى والصّلاح، خرج منها جماعة من كبار العلماء الأجلاء، وجهابذة الفقه الفضلاء، وأساطين الفكر والأدب النّبهاء في لبنان، والعراق، وإيران.

ويرجع نسب السيد حسن الصّدر إلى بيت (آل شرف الدّين) فهو من ذرّية السيد ابراهيم الشّهير بشرف الدّين، واشتهر بالصّدر نسبة إلى عمّ والده السيد صدر الدّين أخي جدّه السيد محمد عليّ بن السيد صالح الموسويّ العامليّ. وأصلهم من جبل عامل، ومن قرية شدغيث وقرية معركة وكلتاهما على ساحل صور بلبنان. وقد هاجر جدّهم السيد صالح بن السيد إبراهيم الشهير بشرف الدّين في فتنة الجزّار المشهورة، إلى العراق ثمّ إلى أصفهان بإيران، وهكذا توزّع أفراد الأسرة وانتشروا في الكاظميّة بالعراق، وأصفهان بإيران، وبقي قسم كبير منهم في جبل عامل بلبنان حيث موطنهم الأصلي.

درج السيد حسن في هذا البيت الجليل المفعم بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق، وتربّى في كنف والده السيد هادي (ت 1218هـ/ 1900م) العالم الفاضل الفقيه الذي ازدانت الكاظميّة بعلمه وفضله وكرمه. فأنشأ ولده السيد حسن نشأة علميّة – كما هو حال أبناء هذه الأسرة – وبذل غاية الجهد في تربيته وتعليمه، وإفادته العلم النافع، فدرس على والده أوليات العلوم الشّرعيّة واللّغويّة، ولما كبر تفقّه عليه فأخذ عنه الفقه والأصول ثمّ واصل تحصيله العلمي بنفسه، فسعى إلى حلقات الدّرس في صحن الكاظميّة الشّريف وفي مساجدها الكثيرة، فدرس علوم اللغة، والنّحو، والصّرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق على جملة من شيوخ الكاظميّة وعلمائها الأفاضل، وتخرّج بهم، وذكر ملازمته لعدد منهم، لفائدة علميّة كبيرة اقتضت الصّحبة الطّويلة والرّفقة الجميلة والطّاعة التّامة، وهم:

– الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت 1290هـ/ 1873م) – والسيد باقر بن السيد حيدر الحسنيّ (ت 1297هـ/ 1880م) – والشيخ أحمد العطّار (ت 1299هـ/ 1882م) – والعالم الميرزا باقر بن زين العابدين السّلماسيّ (ت1301هـ/ 1884م) – والشيخ محمد بن الحاج كاظم الكاظمي (ت 1314هـ/ 1896م).

وبعد أن أتقن هذه العلوم اتّجه صوب علم الفقه وأصوله، يدرس هذا العلم، ويقرأ المصنّفات الجليلة التي ألّفت فيه على شيوخ

الكاظميّة وفقهائها المعروفين حتّى أنهى قراءة «شرائع الإسلام» للمحقّق الحلّيّ (ت 676هـ) و«الروضة البهية في شرح اللّمعة الدمشقيّة» للعلامة الشّهيد الثّاني (ت 966هـ) و«معالم الدّين» لأبي منصور الحسن بن الشّهيد الثّاني العامليّ (ت 1011هـ) وغيرها من المؤلّفات المعروفة في هذا العلم.

ولمّا بلغ السيد حسن القصد من علوم ومعارف بلدته الكاظميّة فيما أخذه عن شيوخها، رغب في الرّحلة إلى النّجف الأشرف، وكانت محطّ أنظار العلماء والطّلبة ومقصد الأدباء والشّعراء، لكثرة ما فيها من العلماء المتميّزين والفقهاء المجتهدين، والأدباء البارعين، والشّعراء المجيدين، فهي مركز من مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي، فهاجر إليها سنة 1289هـ/ 1872م وهو في السّابعة عشرة من عمره، منتظما في حلقات درس جماعة من العلماء الأفاضل في الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والعلوم العقليّة وغيرها من العلوم، ومن أصحاب المؤلّفات الكثيرة الجليلة في تلك العلوم، فدرس عليهم وأخذ عنهم مدّة إقامته بالنّجف، كان منهم:

- الشيخ الفقيه الأصولي مرتضى بن محمد أمين الأنصاري (ت 1281هـ/ 1864م)، والشيخ الجليل الميرزا باقر الشّكيّ (ت 1290هـ/ 1873م)، والشيخ العالم أستاذ العلوم العقليّة محمد تقي الكلبايكانيّ (ت 1293هـ/ 1876م)، والشيخ الأصولي الملا عليّ بن الميرزا خليل بن إبراهيم الطّهرانيّ (ت 1296هـ/ 1879م)، والسيد العلامة والمؤرّخ النّسّابة محمد المهدي بن الحسن بن أحمد الحسينيّ القزوينيّ (ت 1300هـ/ 1883م)، والشيخ الفقيه الفهامة محمد حسين بن هاشم بن ناصر الكاظميّ النّجفيّ (ت 1308هـ/ 1891م)، والعالم الجليل الميرزا حبيب اللّه بن محمد عليّ خان الكيلانيّ الرّشتيّ (ت 1312هـ/ 1894م)، الفقيه البارع الذي انتهت إليه رئاسة البحث والتدريس في النّجف، والمولى المحقّق المتبحّر الميرزا محمد هاشم بن زين العابدين الأصفهانيّ النّجفيّ (ت 1318هـ/ 1900م)، وغيرهم من علماء النجف، ولاسيما علماء الحديث الشريف، إذ قرأ أمّهات كتب هذا العلم على جملة من علماء الحديث في النّجف الأشرف ممّن كانت لهم سمعة علميّة طيبة، وتصدّر للتدريس والبحث والتأليف.

لقد أكسبته إقامته بالنّجف، واختلافه إلى علمائها، علما وافرا، واطّلاعا واسعا أفضى إلى قوّة الحفظ، وسرعة الانتقال في الجواب والمناظرة، حتّى برع وتميّز، وفاق أقرانه في الدّراسة والتحصيل، وشهد له شيوخه بالاجتهاد وهو في سنّ الشباب.

ثمّ ترامت إلى مسامع السيد حسن شهرة العالم الكبير المجدّد السيد محمد حسن الشّيرازيّ (ت 1312هـ/ 1894م) نزيل سامراء، الذي انثال عليه الطلبة من كل حدب وصوب لمزيد علمه، وطريقته المستحسنة في قوّة الاستنباط للأحكام الشّرعيّة، فرحل إلى سامراء في سنة 1297هـ/ 1880م، وانضمّ إلى طلبة هذا العالم الجليل، ساعيا مجدّا، مثابرا على الدراسة، فأعجب به السيد الشّيرازي، وحلّ منه مكانا ساميا، وأدنى مجلسه وقرّبه إليه،

لذكائه وفطنته وثاقب ذهنه، ولم تمض مدة طويلة إلاّ والسيد حسن من جملة طلبة السيد الشّيرازي النّابهين الذي يعتمد عليهم، ويعوّل في المهمّات على علمهم، فكان من أبرز طلابه، وأخصّهم زلفة لديه، فطالت صحبته للسيد الشّيرازي خمس عشرة سنة كان في أثنائها مثال الطالب البارّ، والصّاحب الوفي لشيخه الإمام الشّيرازي حتّى وفاته سنة (1312هـ/ 1894م). وبعد وفاته لم تطل مدّة بقاء السيد حسن الصّدر في سامراء فغادرها إلى مدينة الكاظميّة في سنة (ت 1314هـ/ 1896م). وفي هذا التاريخ كان السيد حسن قد بلغ من العمر اثنتين وأربعين سنة. فحطّ عصا التّرحال واستقرّ به المقام في بلدته الكاظميّة، فاشتغل بالعلم بحثا وتدريسا، وأكبّ على التّصنيف في العلوم الإسلاميّة، ممّا هو واضح في قائمة مؤلّفاته، وتردّد الطلبة إلى داره ومجلسه العلمي يأخذون عنه، ويقرؤون عليه، ويسمعون منه مروياته ومؤلّفاته، وقد حصل على الإجازة منه جماعة من الطلبة، كان منهم:

- الشيخ محمد مرتضى الجنفوريّ الهنديّ، وقد سمّى السيد حسن الصّدر إجازته له «بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات»، - والشيخ مهدي بن الشيخ محمد علي الأصفهاني، وقد سمّى إجازته له «اللّمعة المهديّة إلى الطرق العليّة»، - والسيد صدر الدّين بن السيد إسماعيل الصّدر، وقد سمّى إجازته له «الطبقات في الرّواة ومشايخ الإجازات»، - والعلامة الكبير الشيخ أغا بزرك الطّهراني (ت 1390هـ/ 1970م)، وقد أجازه السيد حسن الصّدر سنة 1330هـ/ 1912م، وهي كبيرة ذات فوائد جليلة وتزيد على ثلاثة آلاف بيت، وقد استنسخها جمع من الأعلام لفائدتها العلميّة.

كان السيد حسن الصدر أوحد عصره، وفريد دهره في فنون العلوم والآداب، وكان كثير المحاسن، جمّ الفضائل، حسن الصّفات، من أهل الصّلاح والتّقوى، نشأ والفضل له طبع، ودرج والعلم له ملّة وشرع، وبرع في الأمور الشّرعية، وشهر في الآداب الأدبيّة، أثنى عليه المؤرّخون، ووصفوه بالمروءة والكرم والفضل، وأشادوا بغزارة علمه، وعظيم شأنه، فقد أثنى عليه السيد محسن العامليّ قائلا: «كان علما فاضلا بهيّ الطّلعة، متبحّرا منقّبا، أصوليا، فقيها، متكلّما، مواظبا على الدّرس والتأليف والتّصنيف طول حياته، رأيناه وعاصرناه في العراق، وكان مدّة إقامتنا في النجف مقيما في سامراء، ورأيناه عند تشرفنا بزيارة المشاهد الشريفة في العراق عام 1352هـ/ 1933م، وكان طريح الفراش فزرناه في داره، وجمع مكتبة حافلة بأنواع الكتب من مخطوط ومطبوع».

وامتدحه الشيخ أغا بزرك الطّهرانيّ فقال: «من أعاظم علماء عصره المتفنّنين... اشتغل بالتّصنيف والتّأليف في جميع العلوم الإسلاميّة من الفقه، والأصول، والرّجال، والدّراية، والحديث، والنّسب، والتّاريخ، والسّير، والتّراجم، والأخلاق، والحكمة، والكلام، والجدل، والمناظرة، والمناقب، والدّعاء وغيرها من فنون العلم، وكان طويل الباع، واسع الاطّلاع، غزير المادة في تمام هذه العلوم... وكان على جانب عظيم من الورع والصّلاح والتّقوى والعبادة والزّهد والمراقبة

والمجاهدة. وبالجملة فقد كان المترجم من الأبطال الأبدال، والعبّاد الأوتاد، والنّوابغ الذين لا يجود بهم الزمن إلاّ في فترات قليلة، وقد عاشرته مدّة طويلة، وسنين كثيرة، فشاهدته مراقبا للّه سالكا إليه، مجاهدا للنّفس، مسلّطا عليها. وكانت بيننا مودّة كاملة وصحبة متواصلة دامت قرب ثلاثين سنة...».

توفّي السيد حسن الصّدر ليلة الخميس - بعد غروب الشمس - الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النّبويّة الشّريفة، وحُمل نعشه ضحوة يوم الخميس على الرّؤوس من بغداد إلى الكاظميّة.

آثاره

خلف السيد حسن الصّدر ثروة علميّة كبيرة، وبضاعة نفيسة تمثّلت بتلك الآثار الجليلة، والتّصانيف الممتعة الجميلة، وزادت في قول على السّبعين مؤلفا في فنون العلم من: الفقه وأصوله، وأصول العقائد، والحديث الشّريف وعلومه، والتاريخ وفروعه، والنّحو العربيّ، والمناقب والفضائل، ومكارم الأخلاق، والجدل والمناظرة، والأدعية والزّيارات وغيرها من المعارف التي لا يستغنى عنها في مجالات الحياة العلميّة كافة، وهي في الغاية من حيث جودة التّصنيف، وحسن التّرتيب، وغزارة المادة. أثنى عليها العلامة آغا بزرك الطّهرانيّ قائلا: «وهو من النّادرين الذين جمعوا في التأليف بين الإكثار والتّحقيق، فتصانيفه على كثرتها وضخامة مجلّداتها، وتعدّد أجزائها هي الغاية في بابها، فقد كان ممعنا في تتبّع آثار المتقدّمين والمتأخّرين من الشّيعة والسّنّة، موغلا في البحث عن دخائلهم وممحصاً لحقائقهم ومستجلياً ما في آثارهم من الغوامض، ومستخرجا المخبّآت بتحقيقات أنيقة، وبيانات رشيقة، فقد تجاوزت تصانيفه السّبعين وكلّها نافعة جليلة وهامّة مفيدة». وبالنّظر إلى كثرة مؤلّفاته اقتصرنا على ذكر قسم منها، وهي:

1- الآثار الباقية من مصنّفات الفرقة النّاجية 2 - آداب الحجّ وأسراره 3 - الإبانة عن كتب الخزانة، يعني خزانة كتبه الجليلة التي أوقفها قبل وفاته 4 - إحياء النّفوس بآداب السيد علي بن طاووس (ملتقط من كلماته في مصنفاته) 5 - الانتخاب القريب من التّقريب. وهو فيمن نصّ ابن حجر العسقلانيّ في التّقريب على تشيّعهم مع رواية أهل السّنّة عنهم، وتعيين من أخرج أحاديثهم، والجوامع التي أخرجت فيها 6 - بغية الوعاة في طبقات مشايخ الإجازات. وهي إجازته للسيد محمد مرتضى الهنديّ، وهي تشتمل على مقدّمة مهمّة وعشر طبقات 7 - تأسيس الشّيعة الكرام لعلوم الإسلام (لغاية المائة الثامنة). وهو موضوع مبتكر، أثبت فيه تقدم علماء الشّيعة على سائر علماء الإسلام في تأسيس أنواع العلوم الإسلاميّة. مطبوع 8 - تحيّة أهل القبور بالمأثور 9 - تكملة أمل الآمل. كتاب كبير في ثلاثة مجلدات يشمل المجلد الأوّل منه على تراجم علماء جبل عامل، والمجلدان الآخران لسائر العلماء 10 - جواز الجمع بين الصّلاتين سَفَرا وحضرا من صحيحي البخاريّ ومسلم ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرها 11 - حدائق الوصول إلى علم الأصول 12 - الحواشي الرّجالية على تلخيص الرّجال

13 - خلاصة النّحو 14 - الدّرر الموسويّة في شرح العقائد الجعفريّة (للشيخ جعفر الجناحيّ النّجفيّ الشهير بكاشف الغطاء) 15 - ذكرى المحسنين في ترجمة السيد محسن الأعرجيّ. مطبوع 16 - رسالة في الرّدّ على الوهابيّة. مطبوع 17 - سبيل الرّشاد في شرح نجاة العباد. مطبوع 18 - سبيل الصّالحين في السّلوك وبيان طريق العبوديّة. مطبوع 19 - شرح وسائل الشّيعة للحرّ العامليّ 20 - الشّيعة وفنون الإسلام - وهو مختصر تأسيس الشّيعة - مطبوع 21 - عيون الرّجال الرّواة للحديث الموثّقين بالتّعدّد. مطبوع 22 - فصل القضا في الكتاب المشتهر بفقه الرّضا. (اثبت فيه أنّه كتاب التّكليف لابن أبي العزاقر المعروف بالشّلمغانيّ، وليس للإمام الرّضا عليه السلام) 23 - فصل الكتب 24 - قاطعة اللّجاج في إبطال طريقة أهل الإعوجاج. (يعني الإخباريّة المنكرين للاجتهاد) 25 - كشف الالتباس عن قاعدة النّاس. (أي القاعدة المستفادة من حديث: النّاس مسلّطون على أموالهم) 26 - اللّمعة المهديّة إلى الطّرق العليّة، وهي إجازته للشيخ مهدي الأصفهانيّ 27 - اللّوامع الحسيّة في الأصول الفقهيّة 28 - مجالس المؤمنين في وفيات الأئمّة المعصومين 29 - مختلف الرّجال. مطبوع 30 - المسائل المهمة. مطبوع 31 - منى النّاسك في المناسك. مطبوع 32 - مناقب آل الرّسول من طريق الجمهور 33 - مناقب الآل المستخرجة من الجامع الصّغير للسّيوطيّ (على ترتيب الحروف) 34 - نزهة أهل الحرمين في تواريخ عمارة المشهدين (في النّجف وكربلاء). مطبوع 35 - نهاية الدّراية في شرح (الوجيزة) للبهائيّ في دراية الحديث. مطبوع 36 - هداية التّجدين وتفصيل الجنديـن (في شرح الحديث: جنود العقل وجنود الجهل) 37 - وفيات الأعيان من الشّيعة الكرام. (مرتّب على الطّبقات).

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م ● العاملي، أعيان الشيعة، للعلامة السيد محسن بن عبد الكريم الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1406هـ ● الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء، 1403هـ ● الموسوي، الشيعة وفنون الإسلام، والمقدّمة النّفيسة التي كتبها الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي، بيروت، دار المعرفة ● الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1972م ● الطباطبائي، الفوائد الرجاليّة، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، طهران، 1363هـ ● الخوئي، معجم رجال الحديث، النجف الأشرف، مطبعة النعمان (لا.ت) ● معجم المؤلّفين، تراجم مصنفي الكتب العربيّة، دمشق 1957.

د. صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
بغداد - العراق

آل صفا، محمد جابر بن الحاج طالب

(1292 هـ / 1875م – 1364 هـ / 1945 م)

هو محمد جابر بن الحاج طالب بن محمد جابر آل صفا العاملي، مؤرّخ، وشاعر. أبصر النّور في مدينة النبطيّة العام 1875م. انتظم في سلك مدرسة النبطيّة الصّغرى ثمّ في المدرسة الحميديّة، وتلقّى فيهما الآداب، والمنطق، والبيان.

لازم العلاّمة السيّد محمد إبراهيم الحسيني فأخذ عنه أصول البيان، والمنطق، واللّغة، والآداب العربيّة.

مال إلى التّاريخ، واكتسب ثقافته من مطالعاته الواسعة ومشاركته في الأحداث. برع كذلك في الآداب وعني في شبابه بنظم الشّعر.

شارك في العديد من الأحداث في خلال العقد الأخير من القرن التّاسع عشر حتّى ثلاثينات القرن العشرين، ودوّنها في نصوص.

في العام 1894م عهد إليه الرّئيس السيد حسن يوسف وإلى الشّيخين أحمد رضا، وسليمان الظاهر، كتابة نصّ منشور عام لأبناء الشّيعة في جبل عامل يدعوهم فيه إلى الاجتماع في قرية الخيام للدّفاع عنها ضدّ دروز حاصبيّا ووادي التيم.

وكان محمد جابر من جملة الّذين ساروا إلى الخيام وشهد حوادثها عن كثب، وعهد إليه بإنشاء الرّسائل والجواب على الكتب الّتي كانت ترد من زعماء العشائر.

انضمّ إلى عدد من الجمعيّات السّياسيّة قبل الحرب العالميّة الأولى. ففي العام 1908م انتمى إلى فرع جمعيّة الاتّحاد والترقي في النبطيّة، وتألّفت هيئتها المركزيّة منه ومن الشّيخين أحمد رضا وسليمان الظاهر. ولكنّهم لم يلبثوا أن انسحبوا منها وأقفلوا نواديها بسبب سياسة التتريك الّتي اتّبعتها الجمعيّة. فاعتقل وكاد يُنفى إلى الأناضول لولا حزم الوالي بكر سامي بك.

وفي العام 1913م، ومن خلال انعقاد المؤتمر العربي في باريس، شكّل مع الشّيخين رضا والظاهر شبه جمعيّة سياسيّة في النّبطيّة كانت تنظّم القصائد والمقطوعات في مظالم التّرك، وتبثّ بين الشّعب العاملي فكرة الانتفاض على الحكومة ومناوأتها والمطالبة بإصلاح جبل عامل وإعطائه الحكم الذّاتي على طريقة اللاّمركزيّة.

في العام 1914م انضمّ إلى جمعيّة الثّورة العربيّة الّتي أسّست لها فرعًا في النبطيّة. وظلّ ناشطًا فيها حتّى العام 1915م عندما اكتشف جمال باشا أمرها، فاعتقله مع جميع أعضائها وأحالهم إلى المجلس العرفي في عاليه. وكاد يفتك بهم لولا بروز أوراق حزب اللاّمركزيّة فأفرج عنهم لعدم ثبوت التّهمة عليهم.

قاوم محمد جابر الانتداب الفرنسي، وأوقف في العام 1918م بتهمة إلصاق إعلانات

ومناشير ثوريّة في النبطيّة تحرّض النّاس على مقاومة الفرنسيّين وطردهم من جبل عامل ورفع راية الحكومة العربيّة برئاسة الأمير فيصل.

وفي 24 نيسان من العام 1920م شارك في مؤتمر الحجير الّذي تقرّر فيه بالإجماع انضمام شيعة جبل عامل إلى الوحدة السّوريّة والمناداة بفيصل ملكًا على سوريا ورفض الدّخول تحت حماية أو انتداب الفرنسيّين. وكان من بين أعضاء اللّجنة الّتي اختيرت لكتابة القرار.

امتاز محمد جابر بروح وطنيّة وبتفكير ثوري في كلّ مجال، ولا سيّما في التّحرّر من الجمود والتّحجّر. وكان من دعاة التّقدّم والنّهوض. استأنس برأيه الشّبّان المتوثّبون إلى نهضة وطنهم.

وصلت شهرته في كتابة التّاريخ إلى العالم العربي، فأرسل له قنصل العراق في بيروت العام 1932م كتابًا ورسالة خاصّة من ساطع الحصري، مدير المعارف العام في المملكة العراقيّة، يدعوه فيها إلى كتابة ما لديه من الوثائق والمستندات والآراء الخاصّة لإدماجها في التّاريخ العربي العام الّذي أقرّت المملكة العراقيّة تدوينه. وبالفعل قام بإرسال كلّ الوثائق الّتي جمعها إلى العراق.

توفّي محمد جابر في بيروت العام 1945م ودفن في النبطيّة مسقط رأسه.

آثاره

1 - كتاب الشذرات في الفلسفة والطّبيعيّات، يضمّ أشهر الآراء العلميّة والأبحاث الكونيّة مع بعض الحواشي التّعليقات 2 - الكناش في الآداب والقريض، خمسة أجزاء 3 - المذكّرات في التّاريخ والآداب، ستّة أجزاء 4 - مختارات من الشّعر القديم والحديث، خمسة أجزاء 5 - الطّليعة، ديوان شعر صغير ضمّ ما نظمه في عصر الشّبيبة وأيّام الاشتغال في طلب العلم 6 - جبل عامل في مائتي عام، وصفحات من تاريخ جبل عامل الحديث، فصول متابعة من أبحاثه نشرها في مجلّتي العروبة، والعرفان 7 - تاريخ جبل عامل، منشورات دار متن اللّغة، بدون تاريخ، وأعادت دار النّهار طباعته العام 1981م.

والكتاب الأخير من أهمّ مصادر التّاريخ الشّيعي في لبنان، وبخاصّة في منطقة الجنوب أو ما يصطلح على تسميته تاريخيًا جبل عامل. فقد فكّر في تأليف كتاب عن تاريخ تلك المنطقة وهو على مقاعد الدّراسة. لذلك سعى لجمع مختلف الحوادث، والأخبار، والبحث، والتّنقيب في بطون الكتب والمؤلّفات وأوسع المجلاّت العربيّة انتشارا وأغزرها أبحاثًا وسؤال أهل العلم والمعرفة.

وهو أوّل كتاب في تاريخ جبل عامل بعد «أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل» وبعض المقالات الّتي نشرها الشّيخ أحمد رضا في مجلّة «العرفان» وغيرها بعنوان «المتاولة في جبل عامل». كما سبقه إلى ذلك أيضًا الشّيخ سليمان ظاهر في كتابته بعض المقالات بعنوان «معجم قرى جبل عامل وقلعة الشّقيف» الّتي كتبها في مجلّة «العرفان».

يتحدّث محمد جابر في كتابه عن الأصول التّاريخيّة لجبل عامل ويعرف به مصطلحًا جغرافيًا : «بلاد بشارة» أو «جبل عامل»، ويحدّد جغرافيّته وسكّانه. ثمّ يعرض تاريخ

جبل عامل السّياسي ضمن ثلاثة أدوار حكمت فيها أسر إقطاعيّة متعدّدة.

في الدّور الأوّل يربط جبل عامل بتاريخ المنطقة، فيذكر المصادر الّتي وردت فيها تسمية الجبل، مركزًا على أنّه كان يتمتّع بنوع من الاستقلال الدّاخلي تحت حكم أسرة حسام الدين بشارة بن أسد الدين الإقطاعيّة. ثمّ يلقي أضواءً على حقبة الصّليبيّين وعلى دخول آل وائل إلى الجبل ونزاعهم مع آل سودون وآل شكر. ثمّ يستعرض مشاهير آل علي الصّغير.

في الدّور الثّاني الّذي يبدأ في العام 1517م وينقسم إلى سبعة فصول، يحاول أن يعطي فكرة عن الإدارة التّركيّة في الجبل وعن اضطهادها الشّيعة، وعن الثّورات الأهليّة وحروب الشّيعة ومعاركهم فيما بينهم ومع أمراء جبل لبنان. ويقسّم الحكم الإقطاعي إلى ثلاث حكومات: تنتهي الأولى في عهد الجزار، والثّانية في عهد الإدارة المصريّة، والثّالثة في العام 1865م.

أمّا الدّور الثّالث فينقسم إلى ثلاثة فصول، يتحدّث فيها عن الأوضاع السّياسيّة في جبل عامل في نهاية القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين وعن مراحل نشوء الفكر القومي العربي وتطوّره بشكل عام. ثم يورد معلومات عن الحياة الثّقافيّة في جبل عامل مع إشارات قليلة إلى إسهام المرأة في هذه الحياة، ومع تعريف بحسن كامل الصباح.

لقد أرّخ محمد جابر لمنطقة محدّدة هي جبل عامل، ولطائفة معيّنة هي الطّائفة الشّيعيّة، وحاول إدخال الاثنين في السّياق العام لتاريخ المنطقة.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● آل صفا، محمد جابر، تاريخ جبل عامل، ط. 2، دار النّهار للنّشر، بيروت، 1981م ● العلاّمة الشّيخ سليمان ظاهر، جبل عامل في الحرب الكونيّة، ط. 1، ص81، دار المطبوعات الشّرقيّة، بيروت، 1986م ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، مكتبة المثنّى، بغداد 2/ 145، دار إحياء التّراث العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ب. ت ● مجموعة من الباحثين، مؤرّخون أعلام من لبنان، بإشراف الدّكتور مسعود ضاهر، ط. 1، ص 377 - 389، دار النّضال، بيروت، 1997م ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 68-69.

2 ـ الدوريات:

● تاريخ العرب والعالم، السّنة الرّابعة، العددان 83 - 84 (أيلول - تشرين الأوّل 1985م)، ص 84 ● العرفان، 31، ص 437 - 438 ● المؤرّخ العربي، 52 (1995م).

د. جوزف لبكي

الجامعة اللبنانية

آل طاووس، أبو الفضائل أحمد بن موسى

(... هـ / ... م - 673 هـ/ 1270م)

ولد السيد جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر الحسني آل طاووس في مدينة الحلّة، وقد أغفلت المصادر تاريخ مولده.

يرتقي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب من جهة الأب، وإلى الصحابي مالك الأشتر النخعي من جهة الأم، وكان قد نشأ في أحضان أسرة علميّة تولّت نقابة العلويين في العراق، تتلمذ على أعلام عصره ومنهم المشائخ: شمس الدين فخار بن معد الموسوي، ومحيي الدين بن زهرة الحلبي، وأبو علي الحسين بن حشرم، والحسين بن أحمد السوراوي، ونجيب الدين محمد بن نما الحلي، ومحمد بن غالب، وصفي الدين محمد بن معد الموسوي، وشهاب الدين بندار بن منكدار القمي، ورضي الدين الحسن بن محمد العدوي العمري.

وأصبح السيد جمال الدين بن طاووس فقيها محدثا وشاعرا مفلقا، وبليغا منشئا، وتبوّأ مركزا علميا واجتماعيا بين أعيان الإمامية في عصره. ورث نقابة العلويين عن آبائه وأجداده، وورثها من بعده ولده السيد عبد الكريم آل طاووس، وأشارت المصادر إلى موقع السيد جمال الدين أحمد من علوم الدين، إذ إنه كان فقيها مجتهدا واسع العلم، إمامًا في الفقه والأصول والأدب والرجال، وكان أتقن وأثبت وأجلّ علماء عصره. فقد حقق في الرجال والرواية والتفسير تحقيقًا لا مزيد عليه، وإليه يعزى تقسيم الأحاديث والأخبار عند الإمامية إلى أربعة أقسام هي: الصحيح، والحسن، والموثق، الضعيف، وقد كان الإماميون قبله يعتمدون على القرائن الخارجة والداخلة في تقسيم الخبر، وقد اقتفى أثره تلميذه العلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت 726هـ) وسائر من تأخر عنه من مجتهدي الفكر الإمامي، وكان قد جمع الأصول الرجالية المعتمدة في كتابه «حلّ الإشكال في معرفة الرجال»، وقد تتلمذ عليه جمع من العلماء والفقهاء منهم: الحسن بن علي بن داود الحلي، والعلامة جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي، وشمس الدين محمد بن أحمد القسيني، والسيد عبد الكريم آل طاووس.

آثاره

ألف السيد جمال الدين أحمد آل طاووس كتبا في الفقه والرجال والمواعظ والأدب وغيرها من العلوم والمعارف وهي:

1 - الاختيار في أدعية الليل والنهار
2 - الأفاحي النجدية في إيمان أبي طالب
3 - الأزهار في شرح لامية المهيار
4 بشرى المحققين في الفقه، في ستة مجلّدات 5 - بناء المقالة العلوية في نقض

الرسالة العثمانية للجاحظ 6 - الثاقب المسحر على نقض المشجر، في أصول الدين 7 - حلّ الإشكال في معرفة الرجال 8 - ديوان شعر 9 - الروح في النقض على ابن أبي الحديد 10 - زهرة الرياض في المواعظ 11 - السهم السريع في تحليل المداينة أو المبايعة مع القرض 12 - شواهد القرآن في مجلدين 13 - عمل اليوم والليلة 14 - عين العبرة في غبن العترة 15 - الفوائد العدّة في أصول الفقه 16 - كتاب الكر 17 المسائل في أصول الدين 18 - ملاذ علماء الإمامية في الفقه، في أربعة مجلّدات.

ومن نماذج تأليفه في كتاب «عين العبرة في غبن العترة» أنّه قسّم الكتاب إلى فصول دون أن يضع لها عناوين تتضمّن محتوى كل فصل، وقد تميّزت الفصول بالقصر، وكان يعتمد في تفسير بعض الآيات الكريمة على تفاسير قديمة كتفسير أبي إسحاق الثعلبي المعروف باسم «الكشف والبيان»، وعلى الروايات المرفوعة للصحابة، وكان يستشهد بالشعر في كثير من مواضيع الكتاب، ويعطي لفظ «قصّة» في حديثه عن موقعة أو غزوة للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام كقوله: «ما دلّت عليه القصص الخيبرية والأحدية والحنينية» وهو يقصد بذلك الغزوات التي خاضها النبي الكريم في خيبر وأُحُد وحُنيْن، وإذا أورد لفظ «قصّة» مّا وانتقل الى مواضيع أخرى تلتقي معانيها مع تلك القصة قال: «ومما يشبه هذه القصة». وإذا كانت القصّة طويلة اختصرها بقوله «ذكر الثعلبي قصّة مطولة من معناها» أو «الحديث في ما يتعلّق بالمشار اليه طويل جدا ذكرت منه جملة حسنة في غير هذا الموضوع». وقد استقى جمال الدين آل طاووس أحاديث نبوية شريفة، وفي حالة ثبوت صحّتها يقول: «وقد ثبت في الحديث المروي» أما اذا شكك في حديث ما فيقول: «ومن غرائب الحديث» أو «وقع عندي أن هذا وهْم في الرواية»، وتحدث عن حياة الأئمة من آل البيت. ونجده أحيانا لا يكتفي بالنقل من المصادر، فيعطي رأيه كقوله: «يوافق هذا ما روى»، ويورد في بعض مضامين الكتاب أخبارا من العصر العباسي، وإذا أراد تعزيز النصوص التي كان يوردها يقول: «وروي من غير طريق فلان».

المصادر والمراجع

● الأمين محسن العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة الإنصاف، بيروت، مطبعة الأمان، دمشق ● بحر العلوم، محمد مهدي الطباطبائي (ت 1212هـ)، الرجال أو الفوائد الرجالية، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى 1385هـ/ 1965م ● البحراني، يوسف بن أحمد (ت 1186هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الثانية 1969م ● الحائري، أبو علي محمد بن إسماعيل (ت 1215هـ)، منتهى المقال في علم الرجال، طبع حجر 1300هـ ● الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت1104هـ)، أمل الآمل، مطبعة الآداب، النجف الأشرف 1385هـ ● الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، دار المعرفة،

بيروت 1974م ● ابن داود، تقي الدين الحسن بن علي، الرجال، مطبعة دانشكاه، طهران 1342هـ ● الطهراني، آغابزرك محمد محسن (ت 1389هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطابع الغرى والآداب، النجف، ومجلس الشورى ودولتي، طهران ● العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت 726هـ)، الرجال، أو خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية 1381هـ/ 1961م ● القمي، عباس (ت 1359هـ)، الكنى والألقاب، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف 1376هـ/ 1956م ●الكنتوري، إعجاز حسين النيسابوري (ت 1286هـ)، كشف الحجب والأسفار عن أسماء الكتب والأسفار، بيتس مشن، كلكتا 1330هـ.

د. حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة - العراق

آل عباس، ياسين عبد الكريم عبد الله

(1333هـ / 1915 م - 1408 هـ/ 1988م)

ولد ياسين عبد الكريم عبد الله آل عباس بقرية حسن كوي ناحية تلعفر التابعة للواء الموصل عام 1915 من أبوين يعيلان عائلة متوسطة الحال تتألف من ستة أفراد. دخل المدرسة الابتدائية في تلعفر عام 1923 وأنهى دراسته فيها عام 1929 ثم واصلها في إحدى متوسطات مدينة الموصل التي تخرج منها عام 1933، ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية ببغداد وأنهى تحصيله الدراسي الأول وبتفوق عام 1935، عين بعدها معلّمًا في سلك التعليم الابتدائي في كركوك، وبعد سنتين من العمل في التعليم الابتدائي حصل على إجازة دراسية فالتحق بدار المعلمين العالية (حاليا كلية التربية).

أنهى دراسته الجامعية عام 1940، ونال شهادة الليسانس شرف في الآداب. ثم التحق بدورة ضباط الاحتياط وأكملها في 17/ 3/ 1941 . عمل ياسين عبد الكريم عقدًا من الزمن في سلك التعليم الثانوي (1941-1951)، وأثبت جدارة ومقدرة في حقل اختصاصه العلوم الاجتماعية وفي تدريس مادة التاريخ خاصة، وأصبح موضع تقدير واحترام مسؤوليه وزملائه وطلابه. قدّم في أثناء عمله طلبًا للحصول على إجازة دراسية لمواصلة دراسته في جامعة إستنبول في تركيا، وقد عقب مدير مدرسته على الطلب بالآتي: «من المدرسين المتميزين علمًا وخلقًا» إلاّ أن الحظ لم يسعفه بسبب تأخر حصول الموافقات من الجهات العراقية ذات العلاقة.

وفي عام 1951 التحق بالبعثة العراقية إلى جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة في اختصاص التاريخ الحديث، فحصل على الماجستير عام 1953 بتفوق. ثم انتقل مباشرة إلى مرحلة الدكتوراه وحصل على الدكتوراه عام 1956 عن رسالته الموسومة: «علاقات الجمهورية التركية الخارجية بين سنتي 1939-1942»، في اختصاص سياسة الاستعمار وسياسة الامبراطوية البريطانية في الشرق.

عاد إلى الوطن والتحق بمدرسته (مدرسة المثنى بالموصل) في 1/ 9/ 1956، وخلال نفس الشهر عين مدرساً في كلية الآداب والعلوم، جامعة بغداد لتدريس مادتي التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر وسياسة الاستعمار. وفي 12/ 1/ 1962 حصل على مرتبة أستاذ مساعد، وتمتع خلال العام الدراسي 1962-1963 بإجازة علمية في إحدى الجامعات البريطانية لاستكمال بحثه: «نشوء الاستعمار الحديث وتغلغله في الشرق». ونظرا إلى سمعته العلمية العالية وأمانته وحرصه وثقة المسؤولين به، فقد كلّف في 12/ 6/ 1964 بمهام الأمين العام للمركز الوطني لحفظ الوثائق بجامعة بغداد، واستمر في إدارته والإشراف على شؤونه إلى غاية نيسان 1969 بعد أن انتقل المركز إلى وزارة الثقافة والإعلام، ورغبة ياسين عبد الكريم الاستمرار بالعمل في حقل التعليم الجامعي بحثًا وتأليفًا وتدريسًا. وقد أتاحت هذه الوظيفة له زيارة تركيا وتصوير الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ العراق والمحفوظة في دوائر الوثائق في إستانبول. كما أصبح عضوًا في مجلس إدارة دار الكتب بجامعة بغداد وعضو اللجنة العراقية - التركية للتعاون الثقافي، فضلاً عن عضويته باتحاد المؤرخين العرب والجمعية العراقية للمؤرخين والآثاريين.

كان ياسين يجيد اللغات العربية والتركية والانجليزية ويعرف الألمانية والكردية، وقد ساعدته معرفته للغات الأجنبية على ترجمة عدد من الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية منها الجزء الثالث من كتاب «تاريخ العالم الحديث» للمؤرخ الأمريكي بالمر، وكتب عدة بحوث باللغة الإنجليزية، منها: «الاستعمار الانجليزي في بورما»، و«الاستعمار الأمريكي في الفلبين».

يعد ياسين عبد الكريم من أوائل المؤرخين العراقيين الذين تصدوا للتفسير الماركسي وتبنوا التفسير الاقتصادي في محاولة للوقوف في وجه التفسير الماركسي للتاريخ الذي وصفه «بأنه تفسير مثالي فلسفي لم يأت نتيجة لدراسة الأحداث التاريخية، بل افترض سلفًا تسويغ آراء سياسيّة لم تثبت صحتها علميًا»، وذلك من خلال بحثه «التفسير الاقتصادي للتاريخ»، الذي نشر ضمن كتاب «تفسير التاريخ» لمجموعة من الباحثين العراقيين المبرزين.

ويرى ياسين أن العراقيين القدماء من سومريين وأكديين وبابليين وآشوريين أنشؤوا حضارة أصيلة، وأسهموا في تكوين الحضارة العالمية، وكانت لهم معرفة واسعة بالزراعة والصناعة والتجارة وتنظيم المجتمع والدولة وعرفوا بعضا من العلوم. وبعد ظهور الإسلام وقيام الدّولة العربية الإسلامية أصبحت بغداد عاصمة الخلافة ومركزًا للسياسة والثقافة والحضارة.

وناقش ياسين أسباب الخلاف بين المؤرّخين في كتابة التاريخ وتفسيره وقال: «إن ذلك يرجع إلى تأثير المذاهب الفلسفية والآراء الحزبية والنظريات العلمية، وما يمكن أن يحصل عليه المؤرخ من وثائق ومعلومات جديدة». وأكد أن التفسير الاقتصادي يؤمن بأن عوامل التاريخ معقدة ومتفاعلة، أما التفسير الماركسي فهو تفسير ميكانيكي يؤكد أهمّية العنصر الآلي. وفي حين يؤكد التفسير الاقتصادي على نشوء المجتمعات والمؤسسات فإن التفسير الماركسي يؤمن بالحتمية الاقتصادية حيث يسير الإنسان بموجبها إلى مصيره المحتوم الذي فسره ماركس بانهيار الرأسمالية وقيام دكتاتورية العمال. وعلى هذا الأساس عدّت الماركسية الفرد آلة من المجتمع، بينما ينظر التفسير الاقتصادي إلى الفرد كإنسان عنده قابلية الإبداع والاختراع والتكيّف، ويعد التملّك غريزة ومن ضروريات المحافظة على الحياة وبذلك يمكن من دراسة الماضي وفهم الحاضر ووضع الخطط للمستقبل.

كان ياسين عبد الكريم، في مقدمة المؤرخين العراقيين الذين التزموا بالمنهج العلمي الموضوعي في دراسة التاريخ، ودعوا إلى الاهتمام بالوثائق، والوثائق العثمانية بخاصة، لما لها من أهمّية في فهم طبيعة وتكوين المجتمع العربي خلال القرون الأربعة التي خضع فيها الوطن العربي للسيطرة العثمانية. وكان له دوره في تأسيس دار الكتب والوثائق ببغداد (المركز الوطني لحفظ الوثائق) سنة 1963 . كما عمل جاهدًا لرفد مكتبة المركز بما اقتناه من مكتبات أهلية تركية. وقد رأس فريق العمل المؤلف من عدد من الأساتذة والمختصين لفهرسة الوثائق وتصنيفها وتسهيل مهمة الباحثين في الاستفادة منها. وله إسهاماته المتميّزة في تنظيم وثائق وزارة الدفاع العراقية.

آثاره

أسهم ياسين مع زملائه في تأليف الكتب المنهجية للدراستين الثانوية والجامعية منها: 1 - كتاب التاريخ الحديث، المرحلة السادسة الإعدادية، الفرع الأدبي 2 - تاريخ الدولة العثمانية المعاصرة، طلبة قسم الدراسات الشرقية، كلية الآداب، جامعة بغداد 1968 3 - تاريخ تركيا المعاصرة، جامعة بغداد 1986 4 - تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، طلبة قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد 1986 5 - الحدود الشرقية للوطن العربي (مشترك) 1987؛ 6 ـ حركة التمرد في الشمال، بغداد 1965 (مشترك). وأسهم كذلك في مشاريع وزارة الثقافة والإعلام الخاصة بوضع كتب تاريخية عامة في تاريخ العراق وحضارته، وبأسلوب سهل وواضح ساهم في تقدم المعرفة التاريخية ملبيا حاجة جمهور القراء والباحثين والمختصين. ومن ذلك إسهامه في كتابة فصل عن «دور العراقيين في المؤسسة العسكرية العثمانية» في كتاب «حضارة العراق»، إضافة إلى «تاريخ الجيش العثماني في العراق من 1831 حتّى 1914» ضمن موسوعة «الجيش والسلاح»؛ «والمؤسسة العسكرية في العراق في عهد الحكم العثماني المباشر 1831-1918» ضمن الجزء الأول من كتاب «تاريخ القوات المسلحة العراقية»، وزارة الدفاع 1986 .

المصادر والمراجع

● ياسين عبدالكريم، أخباره الشخصية، كلية الآداب، جامعة بغداد ● خطاب رجاء حسين، الدكتور ياسين عبد الكريم حياته وسيرته، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002م ● الدوري، عبد العزيز، وآخرون، تفسير التاريخ، بغداد، مكتبة النهضة، 1959م ● العلاف، إبراهيم خليل، ياسين خليل، موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، الموصل 1412هـ/ 1992م، ج5، ص355- 357 ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، بغداد، مطبعة الإرشاد 1969، ج3، ص 464 ● المرزوك، صباح نوري، معجم المؤلفين والكتاب العراقيين، بغداد، بيت الحكمة، 2002، ج8، ص 375 ● المطبعي حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ج2، ص 247 .

د. بهجة كامل عبد اللطيف
جامعة بغداد

آل عبد القادر، محمد بن عبد الله

(1312هـ / 1894 م – 1391 هـ/ 1971م)

ولد محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي بمدينة المبرز بالأحساء. وتلقى علومه الأولية على أيدي شيوخ أسرته آل عبد القادر، فحفظ القرآن على يدي الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل عفالق. وتلقى مبادئ العقيدة واللغة العربية وعلومها والفقه على مذهب الإمام الشافعي على يدي الشيخ عبد الرحمن صالح آل عبد القادر، ودرس التفسير والحديث والفقه الشافعي والنحو والصرف والبلاغة والأدب على يدي عمه وأستاذه عبد الله بن علي آل عبد القادر.

عيّنه الملك عبد العزيز آل سعود قاضيا على المبرز، وخطيبا بها في مسجد الإمام فيصل بن تركي سنة 1343هـ/ 1925م .

وأسندت إليه رئاسة أول مجلس للمعارف بالأحساء منذ تأسيسه سنة 1359هـ/ 1940م وحتى إلغائه سنة 1365هـ/ 1946م.

وكان إلى جانب عمله بالقضاء يقوم بالتدريس في مدرستي الجبري والعتبان بالمبرز ويتفرغ للبحث أيضا.

وإضافة إلى ذلك كان يعقد في بستانه الواقع شرق مدينة المبرز ندوة أسبوعية يوم الثلاثاء، وعرفت تلك الندوة بمجلس العصر وكان

يحضرها الشعراء والأدباء والمثقفون .

ثم آلت مكتبته التي كانت تضم العديد من الكتب المخطوطة والمطبوعة إلى جامعة الملك فيصل بالأحساء حيث وضعت في خدمة الطلاب والباحثين.

آثاره

من مؤلفات محمد بن عبد الله آل عبد القادر :

1 - تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والحديث، وهو يتكون من قسمين: الأول يختص بتاريخ الأحساء حتى العهد السعودي، وإلى جانب الأحداث التاريخية فقد اشتمل هذا القسم على معلومات عن أنساب أهل الأحساء، ومعلومات جغرافية عن القرى والينابيع والآبار. صدرت الطبعة الأولى لهذا القسم الأول سنة 1379هـ/ 1960م بتعليق حمد الجاسر. أما القسم الثاني فكان عن العلم والأدب في هجر عاصمة الأحساء، وأشرف على طبعه وفهرسته محمد زهير الشاويش، وصدرت طبعته الأولى عن المكتب الإسلامي بدمشق سنة 1382هـ/ 1963م. ثم تمت طباعة الكتاب بقسميه الأول والثاني على نفقة أمير قطر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني 2 - مختارات آل عبد القادر: ويضم مختارات شعرية لأفراد آل عبد القادر جمعها المؤلف، واستهدف من ذلك تقديم نصوص أدبية للطلاب. صدرت الطبعة الأولى سنة 1383هـ/ 1964م.

المصادر والمراجع

- آل عبد القادر، علي بن عبد العزيز، محمد بن عبد الله آل عبد القادر. مجلة الدارة - العددان الثالث والرابع - السنة الرابعة والعشرون، سنة 1419هـ، ص 305 ـ 323.

د. عبد الرحمان الأنصاري
جامعة الملك سعود - الرياض

آل كاشف الغطاء، جعفر الجناجي

(1156 هـ / 1743 م - 1228 هـ / 1813 م)

ولد بمدينة النّجف الأشرف في بيت من بيوت العلم والفضل والرّئاسة، فقد كان والده الشّيخ خضر من علماء النّجف الأشرف، فقيها مشهورا ومعدودا من الرّعيل الأول من زعماء الدّين في عصره. وكان من أهل الصّلاح والتّقوى، جمع بين العلم والعبادة حتى تحقّقت بركاته، وظهرت كراماته، وازدحم العلماء والطّلبة على الصّلاة خلفه، وتخرّج به جماعة من الطّلبة وغدا ـ فيما بعد ـ من أعيان العلماء الأفاضل والفقهاء الأماثل.

عاش الشيخ جعفر في هذا البيت وتحت رعاية والده الذي حرص على تربيته وتعليمه، وفي هذا البيت أيضا درس العلوم الإسلاميّة والقرآن الكريم، ثمّ أخذ يسمع من والده ويقرأ عليه، حتّى تمكّن من ناصية العلم، إذ نشأ الشيخ جعفر مجبولا على حبّ العلم والإفادة منه، يحثّ الخطى للحصول على النّصيب الأوفر من العلوم في وقت قصير وفي سنّ مبكّرة، فبذل غاية المجهود في تحصيل ما كان يرغب في تحصيله من العلوم الشّرعيّة على أيدي علماء النجف الأشرف المشهورين في عصره، فحضر مجلس العالم الجليل الشيخ محمد مهدي بن الشيخ بهاء الدين محمد الفتونيّ العامليّ النّجفيّ الفقيه الأصوليّ، المحدّث، المفسّر، أخذ عنه الفقه والأصول والرواية ولازمه مدّة طويلة، وكان غالب تلمذته عليه، وبه تخرّج. ودرس على السيد الجليل العالم الأديب الناثر الناظم صادق بن علي بن الحسن بن هاشم الحسيني الأعرجيّ الفحّام (ت 1205هـ/ 1791م) وأخذ عنه علوم العربيّة. وقرأ على الشيخ الفاضل محمد باقر بن المولى محمد أكمل الأصبهانيّ البهبهانيّ (ت 1206هـ/ 1891م) الأصول، والتفسير، والتاريخ، وطرفا من العربية. وأخذ عن السيد العلامة محمد مهدي بن مرتضى بن محمد الطّباطبائيّ النّجفيّ الشهير ببحر العلوم (ت 1212هـ/ 1797م) العلوم العقليّة والنّقليّة، ودرس عليه مدّة قليلة تقرب من ستّة أشهر لأجل اليمن والبركة، إذ كان السيد بحر العلوم علامة عصره، وإمام المعقول والمنقول، والمحقّق لفنون الفروع والأصول، وقد ظهرت بركة هذا السيد الجليل على الشيخ جعفر، إذ أصبح علامة عصره ووحيد دهره. ودرس على الشيخ محمد تقي الدّورقيّ، وكان من أعيان العلماء وفقهاء العصر، مشاركا في عدّة فنون من العلم.

كان الشيخ جعفر إماما جليلا، وفقيها كبير الشّأن، عظيم المنزلة العلميّة، بارعا في فنون شتّى، قد فاق علماء عصره، وتقدّم عليهم وتميّز، حتى أصبح شيخ الدهر بلا منازع، وواحد العصر بغير مدافع، ذاعت شهرته في الآفاق، وصار المشار إليه في الأصول والفروع، وتصدّر للتدريس، فانتظم الطّلبة في حلقة درسه ينهلون من معين علمه، يتفقّهون عليه، ويأخذون عنه ما سمع من مرويات شيوخه، ويقرؤون عليه مصنّفاته. وفي مقدّمتهم أولاده الأربعة وأصهاره الخمسة، وقد انتفعوا به كثيرا، ونالوا مكانة علميّة رفيعة، وانتشرت مؤلفاتهم في حياتهم، وتصدّروا للتدريس في العلوم الإسلاميّة المختلفة من فقه وأصول وحديث وتفسير وتاريخ ولغة وأدب، وهم:

- الشيخ الفاضل موسى بن الشيخ جعفر الجناجيّ (ت 1243هـ/ 1827م) كان خلاّقا للفقه، بصيرا بقوانينه، له شرح رسالة أبيه من أوّل الطهارة إلى آخر الصلاة في مجلدين - والشيخ الجليل محمد بن الشيخ جعفر الجناجيّ (ت 1247هـ/ 1831م) العالم الفقيه، المتفنّن، المشارك في العلوم الإسلاميّة - والشيخ العلامة علي بن الشيخ جعفر الجناجيّ (ت 1254هـ/ 1838م) مؤلف كتاب «الخيارات» المبسوط الكبير في الفقه، يدلّ على الفضل الكبير لمؤلّفه - والشيخ الكبير حسن بن الشيخ جعفر الجناجيّ

(ت1262هـ/ 1846م) كان فقيها، فهِمًا، علَما، انتهت إليه رئاسة الفقهاء في زمانه، وله الكتب النفيسة منها: «أنوار الفقاهة».

وأصهاره الخمسة هم:

- الشيخ أسد الله بن الحاج إسماعيل الدّزفوليّ الكاظميّ (ت 1243هـ/ 1827م) الفقيه الأصولي المحقّق، مؤلّف كتاب «مقابس الأنوار ونفائس الأبرار» - والشيخ الأقا محمد علي بن محمد باقر الهزارجرينيّ المازندرانيّ (ت 1245هـ/ 1829م) الشهير بالفقيه المطلق، مؤلف كتاب «التفسير الكبير» في مجلدين - والشيخ محمد تقي الأصبهانيّ النّجفيّ (ت 1248هـ/ 1832م) العالم الفقيه الكبير، مؤلف كتاب «الحاشية» - والسيد الجليل صدر الدين محمد بن صالح بن محمد الموسويّ العامليّ البغداديّ (ت 1263هـ/ 1847م) من أفاضل علماء وقته في الفقه والأصول والحديث وفنون الأدب، مؤلف كتاب «القسطاس المستقيم» - والشيخ محمد المالكيّ الجناجيّ النّجفيّ، والد الشيخ راضي الجناجيّ.

ومن طلابه الآخرين: العالم الجليل السيد جواد بن السيد محمد الحسنيّ الحسينيّ العامليّ النّجفيّ (ت ح 1226هـ/ 1811م) من الفقهاء الكبار، مشارك في عدّة فنون، صاحب كتاب «مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة» والعالم الفاضل الشيخ محسن الأعسم النّجفيّ (ت 1238هـ/ 1823م) صاحب كتاب «كشف الظلام» والعالم الجليل السيد محسن بن السيد حسن الحسينيّ الأعرجيّ الكاظميّ (ت 1240هـ/ 1825م) الفقيه الأصوليّ، صاحب المؤلّفات الجليلة منها «المحصول في علم الأصول» والعالم الكبير الشيخ ابن شلآل العفكاويّ النّجفيّ (ت 1255هـ/ 1839م) والعالم الفاضل السيد سلمان الحسنيّ الحسينيّ الطّباطبائيّ اليزديّ (ت 1260هـ/ 1844م) الفقيه الأصولي، من علماء عصره المتفرّدين بالفقه والأصول والكلام، والشيخ الحاج محمد إبراهيم بن الحاج محمد حسن الخراسانيّ الكرباسيّ (ت 1260هـ/ 1844م) الفقيه البارع، كان مصدرا للعلوم والحكم والآثار، مؤلف كتاب «إشارات الأصول» في مجلدين كبيرين والسيد العلامة محمد باقر بن محمد نقي الهاشميّ العلويّ الحسينيّ الأصفهانيّ (ت 1260هـ/ 1844م) علامة الزمان ونادرة الأوان، صاحب المؤلّفات الكثيرة منها «مطالع الأنوار» في الفقه، والشيخ الكبير العلامة محمد حسن بن محمد بن عبد الرحيم الأصفهانيّ النّجفيّ (ت1266هـ/ 1850م) الفقيه الكبير الشهير، صاحب كتاب «جواهر الأحكام في شرح الإسلام» وقد عُرف به فقيل له: «محمد حسن صاحب الجواهر».

وقد أخذ عن الشيخ جعفر خلق كثير من الفقهاء والطّلبة الوافدين على النّجف الأشرف من بلدان العالم الإسلاميّ، وروى عنه الكثير منهم، وأجاز لعدد كبير من الطّلبة مسموعاته ومرويّاته عن شيوخه ومصنّفاته، ممّا لا يسع البحث لذكرهم جميعا.

حظي الشيخ جعفر بمكانة علميّة رفيعة في عصره، وشهرة واسعة بلغت الآفاق وزادت على الإطناب، ولم يكن في زمانه من يدانيه في غزارة علمه، وتقدّمه، وتبحّره في الفقه

والأصول، فقد كان من أساتذة الفقه والكلام وجهابذة المعرفة بالأحكام، منقّحا لدروس شرائع الإسلام، مفرّعا لرؤوس مسائل الحلال والحرام، حتّى حاز بحقّ لقب «الشيخ الأكبر» و«شيخ الطائفة» وهما من الألقاب الدّينيّة العلميّة الرّفيعة التي لا تطلق إلاّ على كبار المجتهدين من الفقهاء والإماميّة المتميّزين. أثنى عليه صاحب «الحصون المنيعة» قائلا: «كان فقيه زمانه، وآية عصره وأوانه، فهّامة، تقيّا، نقيّا، عدلا، ثقة، صالحا عابدا زاهدا، ورعا، جمّ الفضائل...» وخصّه بمزيد من الإجلال والاحترام، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» فقال: «علم الأعلام، وسيف الإسلام، خرّيت التحقيق والتّدقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدّقيق، وهومن آيات اللّه العجيبة التي تقصر عن دركها العقول، وعن وصفها الألسن، فإن نظرت إلى علمه فكتابه «كشف الغطاء» الذي ألّفه في سفره ينبئك عن أمر عظيم، ومقام في مراتب العلوم الدّينيّة أصولا وفروعا». ووصفه السيد محسن العامليّ في كتابه «أعيان الشيعة» فقال: «انتهت إليه رئاسة الإماميّة الدّينيّة في عصره، والزّمنيّة في قطره، فهو الفقيه الأكبر، مفتي الإماميّة، رجع إليه النّاس وأخذوا عنه، ورأس بعد وفاة شيخه السيد مهدي بحر العلوم الطّباطبائيّ (ت 1212هـ/ 1797م) واشتهر باعتدال السّليقة في الفقه، وقوّة الاستنباط من الأدلّة، فكان أعجوبة في الفقه لقوّة استنباطه. واشتهر من باب الملح: «إنّ الشّيخ جعفر عنده دليل زائد وهو دليل الشّمّ، وكان مع ذلك أديبا شاعرا».

وكان للشيخ جعفر مكانة اجتماعيّة لا تقل أهميّة عن مكانته العلميّة، فقد ساد عصره، وترأس على أقرانه، وكان مقدّما عن الخاص والعام، مهيبا، معظّما عند العلماء والحكّام، قائما بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ساعيا في قضاء حوائج النّاس، ومساعدة الفقراء والصّالحين، امتدّ نفوذه وسَمَتْ مكانته، فأفاض العلم ونشر الدعوة الإسلاميّة، وأقام معالم الدّين، وشاد دعائمه. وكان أمراء الدولة العثمانيّة يرمقونه بعين الإجلال والاحترام والإكبار، وينجزون ما قصدهم من أجله للصّالح العام، وكذلك سلاطين الدولة الإيرانيّة، فقد كان مقدّما معظّما عند الدّولتين، وله القبول التّام من الطرفين. وفي هذه الحادثة ما يدلّ على المكانة الرّفيعة للشيخ جعفر: «كان السّلطان الإيرانيّ فتح عليّ شاه القاجاريّ قد أسند إلى ولده الأكبر السلطان محمد عليّ ميرزا ولاية تمام محال كردستان من كرمانشاه إلى خانقين، ومن خرّم آباد إلى حدود البصرة، وذلك حين تعدّى عليّ باشا والي بغداد على إيران، وجنّد ثلاثين ألفا بقيادة ابن أخيه سليمان باشا كهيا الكرجيّ الرّوميّ، فتجاوزوا من خانقين إلى شهرزور، ومنها إلى بحيرة مريوان فتلاقوا هناك، واشتعلت نيران الحرب بينهما حتّى انكسر عسكر الروم وانهزم إلى حدود الموصل وبغداد عن ثلاثة آلاف قتيل، وأكثر منهم أسيرا، وفيهم القائد كهيا المذكور، فالتجأ عليّ باشا والي بغداد إلى شيخ الجعفريّة الشيخ جعفر النّجفيّ، فقبل الشيخ التماسه، وذهب إلى محمّد عليّ ميرزا شفيعا للأسراء، فقبل شفاعته ما عدا كهيا، فأطلقهم جميعا، وبعث كهيا مقيّدا إلى السلطان فتح عليّ شاه، فأمر بحفظه وفك

قيده، إلى أن تهيّأ الشيخ للسفر إلى طهران فوصل إلى السلطان مكرّما مقبول الشفاعة فأخذه معه ورجع إلى بغداد، وكان تشفّع في كهيا: يوسف باشا والي أرزنة الرّوم وبعث معتمده الفيضي محمود أفندي مع عريضة إلى عباس ميرزا فلم يقبل شفاعته، وإنّما شفاعة الشيخ جعفر تكريما له».

عُرف عن الشيخ جعفر التّواضع، واطراح التّكلّف، والابتعاد عن الزّهو والفخر والتّكبّر على الآخرين، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته عن واحد من الأعراب، مع ما كان فيه من الصّولة والوقار، والهيبة والاقتدار، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي كان في بداية أمره فقيرا محتاجا لا يتمكن من القيام بتكاليف الدراسة، فرأى أن يؤجّر نفسه من بعضهم لإتمام ثلاثين سنة من العبادة يستغني بأجرتها عن مؤونات زمان التّحصيل. وكان يحاسب نفسه على الدوام، ويأخذ عليها بالملام، وكان كثيرا ما يقول عن نفسه: «كنت في الصّغر تسمّى جعيفرا، ثم صرت جعفرا، ثمّ سمّيت الشيخ جعفر، ثمّ الشيخ على الإطلاق، فإلى متى تعصي اللّه، ولا تشكر هذه النّعمة». وكان مواظبا على السّنن والآداب والعبادة، والمناجاة في الأسحار، والبكاء والتّذلّل من خشية اللّه تعالى ما يجعله في مراتب العباد الصّالحين.

وكان من أهل الإحسان والفضل، كثير المكارم، كبير المروءة والحلم، يبذل نفسه وماله وجاهه في قضاء حوائج النّاس، مشفقا على أهله وأصحابه ومعارفه، يسافر الأيّام الكثيرة في إنجاز مصالحهم، ودفع الضّرر عنهم. وكان كثير التّعلّق بأبواب الملوك والحكّام، لأجل ما في ذلك من المصالح الدّينيّة باعتقاده، والمنافع اليقينيّة على اجتهاده، وكان يرى استيفاء حقوق اللّه تعالى من أموال الخلائق على سبيل الخرق والقهر، ويباشر أيضا صرف ذلك بمحض القبض إلى مستحقّيه الحاضرين من أهل الفاقة والفقر، وكان يغتنم الفرص والمناسبات من أجل الحصول على المال من الأغنياء والتّجار، وتوزيعه على الفقراء المستحقّين، فيروى عنه: أنّه أبطأ في بعض الأيّام صلاة الظهر، فجعل النّاس يصلّون فرادى، فلمّا دخل الشيخ جعفر المسجد جعل يوبّخهم ويقول: أما فيكم من تصلّون خلفه؟ ثمّ رأى بعض التّجار الأخيار يصلّي فقال: دعونا نأتّم بهذا العبد الصّالح! فأتمّ به هو والجماعة، فخجل التّاجر خجلا شديدا، ولا يمكنه قطع الصلاة! ولمّا فرغ من الصلاة تأخّر خجلا، فقال له الشيخ: لا بدّ أن تؤمّنا في الصلاة الثانية! فامتنع التّاجر، فأصرّ عليه، فقال: هذا لا يمكن، قال: إذًا فافتد نفسك بمال تدفعه للفقراء، فأخذ منه مائتي شاميّ وفرّقها على الفقراء وأعفاه من الإمامة. وله من هذا القبيل مقامات وحكايات وطرائف لو جمعت لكانت رسالة طريفة.

توفي الشيخ جعفر في مدينة النجف الأشرف يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب المعظم سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف من الهجرة النّبويّة الشّريفة، وشيّعه جمع غفير من العلماء والطلبة والنّاس من الطبقات الاجتماعيّة كافة، وازدحموا على نعشه، ودُفن بمقبرته الخاصة الشهيرة قرب داره الكبيرة في محلة العمارة إحدى محلات النجف الأشرف، ورثاه الشعراء ورجال الأدب

والفكر في العراق بقصائد كثيرة، وكلمات مؤثّرة سجّلت مآثره وأعماله الجليلة للعراق عامة وللنجف خاصة، وأقيم له العزاء في سائر البلاد مدّة طويلة زادت على المتعارف عليه.

آثاره

خلّف الشيخ جعفر مجموعة من الكتب النّفيسة في فنون العلم من الفقه، والأصول، والحديث، الشريف، والأخبار، والمناظرة وغيرها، وهي جميعا في غاية الحسن والجودة، ولو لم يكن له سوى كتاب «كشف الغطاء عن خفيات مهمات الشريعة الغراء» لكفاه فخرا وعلما، إذ اشتهر به، ولُقّبت ذريته بعده بهذا الكتاب، فقيل لهم: «آل كاشف الغطاء» وله من الكتب:

1- إثبات الفرقة النّاجية 2 - أحكام المواريث 3 - بغية الطالب في معرفة المفروض والواجب، وهي رسالته العلميّة الفقهيّة في الطهارة والصلاة 4 - الحقّ المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الإخباريّين، مطبوع 5 - رسالة في التّحقيق والتّنقير في المقادير 6 - رسالة في الدّماء الثلاثة 7 - رسالة في الصّوم 8 - شرح كتاب الطهارة من (الشرائع) مجلد كبير، كتبه في أوائل أمره، جمع فيه عبارات الأصحاب والأحاديث الواردة في ذلك الباب 9 - غاية المأمول في علم الأصول 10 - القواعد الجعفريّة، شرح فيه كتاب البيع، من مؤلّف العلامة الحليّ المعروف بالقواعد. وهو مقدّمة لكتابه «كشف الغطاء» وقد شرحه ولده الشيخ حسن، وشرحه أيضا السيد حسن الصّدر، وكتاب القواعد الجعفريّة، كتاب جليل اشتمل على أكثر القواعد الفقهيّة، وهو دليل على تبحّره في الفقه، وعلوّ كعبه فيه. قال العلامة أغا بزرك الطّهرانيّ: «رأيت منه مجلدا في مكتبة الشيخ عبد الحسين الطّهرانيّ بكربلاء شرح فيه كتاب البيع إلى الخيارات شرحا مزجيّا» وقد طبع كتاب القواعد الجعفريّة 11 - كاشف الغطاء عن معايب الميرزا محمد الإخباريّ عدوّ العلماء 12 - كشف الغطاء عن خفيات مهمّات الشريعة الغرّاء. وقد خرج منه أبواب الأصولين، ومن الفقه ما تعلّق بالعبادات إلى أواخر أبواب الجهاد، ولم يكتب أحد مثله، ثم لحق به كتاب الوقف وتوابعه. وهو فائق على كلّ ما تقدّمه من كتب الفن. مع أنّه إنّما صنّفه في بعض الأسفار، ولم يكن عنده من كتب الفقه غير «قواعد العلامة الحليّ». وهو مطبوع مرات كثيرة 13 - مختصر كشف الغطاء 14 - مشكاة المصابيح، وهو في شرح المصابيح، الذي هو منشور (الدرة) 15 - مناسك الحجّ 16 - منهج الرّشاد لمن أراد السّداد، في الرّدّ على الوهابيّين، كتبه جوابا لكتاب ورده من سعود أيّام الوهّابيّة. وهو أوّل كتاب كتب في الرّدّ عليهم، وقد طبع سنة 1342هـ.

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1984 ● العاملي، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1406هـ ● الطهراني، أغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء 1403هـ ● الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد

الله اسماعيليان، طهران، قم، مكتبة اسماعيليان، 1392هـ ● الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1972م ● حرز الدين، مراقد المعارف، تعليق وتحقيق محمد حسين حرز الدين، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، 1969م ● كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربيّة، دمشق 1957م ● حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، 1967م ● عواد، كوركيس، معجم المؤلّفين العراقيين في القرن التاسع عشر والعشرين، بغداد، مطبعة الرشاد، 1969م.

د. صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
بغداد - العراق

آل كمال، محمد سعيد بن حسن

(1335هـ/ 1916م - 1416 هـ/ 1995م)

ولد الشيخ محمد سعيد بن حسن بن عبد الحي كمال في مدينة الطائف عام 1335هـ، من أسرة متميزة بالعلم. وتخرج من مدرستها السعودية الابتدائية عام 1348هـ، وأكمل تحصيله العلمي في حلقات المساجد، لأنه لم تكن آنذاك معاهد ولا كليات ولا جامعات.

ثم التحق معلما بالمدرسة الابتدائية بالطائف عام 1354هـ، وتدرج في سلك التعليم بها، وخلال عمله في التدريس قابله مدير مدرسة الأمراء النموذجية بالطائف، والذي كان مخولا من الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيما بعد) لاختيار مدرسين لمدرسة الأمراء النموذجية بالطائف، وعرض عليه الانتقال للتدريس في المدرسة النموذجية، وفعلا انتقل للتدريس بها اعتبارا من 1367هـ/ 1947م إلى عام 1372هـ/ 1952م، حيث رشح نفسه مديرا للمدرسة السعودية الابتدائية بالطائف. ولم يمض في مهمته الجديدة سوى سنة واحدة، استقال بعدها عام 1373هـ/ 1953م، ليتفرغ لمكتبته التي أنشأها وسماها (مكتبة المعارف)، ولكي يسهم في تأليف الكتاب المدرسي الذي كانت الحاجة ملحة إليه في ذلك الوقت، وكانت مكتبته والتأليف المدرسي يقتضيان سفره إلى مصر لطباعة الكتب، ويمكث بها لفترة قد تصل إلى أربعة أشهر.

ولم تكن المطابع آنذاك موجودة في المملكة العربية السعودية، وإن وجدت فلم تكن بالمستوى أو العدد المطلوب. ولهذا آثر الاستقالة من العمل الحكومي، وتفرغ لمكتبته

ولطباعة الكتاب المدرسي، فألف حوالي ثمانية وعشرين كتابا مدرسيا للمرحلة الابتدائية، وعندما أسهم غيره في هذا الميدان، ترك التأليف المدرسي وانصرف إلى طباعة الكتب الأدبية والعلمية السلفية.

أما الوظائف التي عمل بها خلاف التعليم فهي:

1 - وكالة الغرفة التجارية بالطائف، نائبا عن رئيس غرفة مكة المكرمة.

2 - عضوية إدارية في إدارة العيون والآبار في الطائف.

3 - إمام في دار التوحيد أو في غيرها من معاهد العلم يقصدون مكتبة الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال للاطلاع على الكتب، والاستنارة بتوجيهه في مختلف العلوم، أو المشاركة في هذا المنتدى العلمي، وكانت هذه المحاورات تدور في مراجعة مقال أو نص أو نقد كتاب أو مناقشة أمور شرعية في الكتاب والسنة ورأي الأئمة، وكأنما هي ندوة مفتوحة أدت إلى تلاقح الأفكار، وتبادل الآراء. وخلال هذه المناقشات، كانوا يرجعون إلى المراجع المختلفة التي تغص بها المكتبة، واستفاد الكثير من الشباب من هذه المناقشات في إثراء فكرهم وحصيلتهم، كما سن الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال سنة حسنة في إعارة الكتب لطلاب العلم والمعرفة، وتوجيههم إلى مظان البحث في المراجع المختلفة.

كان يعرف أن الكثير منهم لا يستطيعون شراء الكتب التي يرغبون في الاطلاع عليها، فيسّر لهم القراءة عن طريق الإعارة لقاء دراهم معدودة، وأسهم ذلك في تشجيع الشباب الراغبين في المعرفة على الاطلاع واستعارة ما يودون قراءته من كتب.

توفي الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال رحمه الله يوم الأحد 19/ 11/ 1416 الموافق لسنة 1995م عن عمر ناهز الواحد والثمانين عاما.

آثاره

ألف الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال ثمانية وعشرين كتابا مدرسيا للمرحلة الابتدائية هي:

1 - كتاب الأمالي لقواعد الإملاء 2- كتاب الإنشاء في المراسلات والوثائق 3 - الطائف: جغرافيته، تاريخه، أنساب قبائله 4 - الطائف في كتب المؤرخين 5 - كتاب مقدمة في أصول الفقه الظاهري 6 - كتاب المناظرات بين الفحول من علماء الإسلام وأعلامه 7 - آثار الطائف 8 الفنون والألعاب الشعبية بالطائف، مخ 9 - النسابون ومؤلفاتهم، مخ 10 - قبيلة ثقيف ورجالها، مخ 11 - إعراب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ﴾ [مريم: 54] 12 - شرح ديوان البرعي، والتنبيه على ما فيه من مآخذ 13 - المرأة في عادتها الشهرية 14 - مقدمة في الحب والكتب المؤلفة فيه.

وأما الكتب التي قام بجمعها وتحقيقها فهي:

1 - رسائل قيمة ونادرة في بضعة عشر مجلدا تحت عنوان «المجموعة الكاملة» وهي أكبر موسوعة تراثية في هذا الميدان، وتشتمل كل مجموعة على علم من العلوم، ويضع لكل مجموعة مقدمة ضافية تشمل حياة المؤلف أو المؤلفين، وما يتصل بعلمهم، إضافة إلى الحواشي والتعليقات. فالمجموعة الأولى عن المصاحف والقرآن وأصول التفسير،

والمجموعة الثانية في العقائد والتوحيد، وتشمل اثنتي عشرة رسالة . والمجموعة الثالثة في الاجتهاد والتقليد وفيها مباحث ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم، والحافظ السيوطي، والشوكاني. وهكذا تتنوع المعارف في هذه المجموعة حيث بلغت خمسة عشر مجلدا.

2 - متن عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، ومتن عمدة الفقه للمقدسي، ومتن زاد المستنفع للشيخ شرف الدين أبي النجا، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر.

3 - اشتغل بتدوين شعر البادية، وقام بجمعه في ثمانية عشر جزءا، ويعتبر ما جمعه أكبر موسوعة شعرية نبطية. وعنوان هذه المجموعة «الأزهار النادية من أشعار البادية» .

4 - الصوفية معتقدا ومسلكا للدكتور طعيمة.

5 - كتاب الكبائر للذهبي مع تعليق نفيس عليه.

6 - إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه.

7 - نشر اللطائف في قطر الطائف لابن عراق

8 - تحفة اللطائف في فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف لابن فهد .

9 - جوامع السيرة لابن حزم

10 - عنوان الشرف الوافي في النحو والفقه والتاريخ والعروض والقوافي للعلامة ابن المقري.

11 - التحبير من علم التفسير للجلال السيوطي

12 - إهداء اللطائف من أخبار الطائف للعجيمي .

13 - بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج للميورقي .

وكان محققا جيدا، وينظم الشعر فصيحا ونبطيا، واكتسب - بحكم ثقافته وسعة اطلاعه، وقدرته على التحقيق - معرفة بالمواقع، وقدرة على تحديدها، يقول عن تحديد موقع الطائف: والذي أعتقده وأرجحه أن الطائف القديم يشمل جميع هذا الطائف الحديث. وكان لثقيف، ومن حالفهم من قريش وغيرهم مزارع متفرقة على جانبي الوادي هنا وهناك، وهذا لا خلاف عليه. أما مكان حصنه الذي بنته ثقيف، وحاصرهم رسول الله فيه وقرية سكناهم حين الحصار، فهو في نظري يشمل هضبة باب الريع، جبل ابن منديل، هضبة القلعة، وبعض ما كان يسمى قديما بقرية الهضبة، وبها اليوم مسجد الهادي وما يجاوره. هذا في نظري أهم أجزاء هذه القرية والحصن.

المصادر والمراجع

● صالح بن سليمان آل كمال، التعليم في الطائف وبعض رجاله في القرن الرابع عشر الهجري ● محمد سعيد بن حسن كمال، الأزهار النادية من أشعار البادية ● الشيخ حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران ● جريدة عكاظ الصادرة يوم الاثنين 20/ 11/ 1416هـ، والصادرة يوم الأربعاء 22/ 11/ 1416هـ .

اللواء عبد القادر بن عبد الحي كمال
الرياض - المملكة العربية السعودية

آل محيي الدين، عبد الرزاق بن الشيخ أمان

(1328 هـ / 1910م – 1403 هـ / 1983 م)

ولد عبد الرزاق بن الشيخ أمان بن الشيخ جواد من آل محيي الدين عام 1910 بمدينة النجف الأشرف. وآل محيي الدين من الأسر العلمية والأدبية العريقة في العلم والمتقدمة في الفضل، طار صيتها وانتشر فخرها، وكان مقرها الأصلي في جبل عامل بلبنان ومنه نزحت الى العراق وغيره من البلدان، وهي ترجع في نسبها إلى قبيلة همدان العربية اليمانية. بدأ تعلمه في الكتاب وثقف مبادىء العربية والمنطق والفقه وأصوله في مدارس النجف الدينية ونواديها، واتصل برجال العلم واللغة والفقه والشريعة. ثم أرسلته وزارة المعارف العراقية، وزارة التربية، لإكمال دراسته في مصر، فالتحق بكلّية دار العلوم العليا 1933 وحاز على دبلومها 1937، وعاد إلى وطنه فعين مدرسًا في دار المعلمين الابتدائية في ذات السنة وواصل التدريس إلى 1944م حيث عاد الى القاهرة والتحق بكلية الآداب، فحصل على درجة ماجستير آداب عام 1947 برسالته «أبو حيان التوحيدي» عاد بعدها إلى العراق وعيّن أستاذًا مساعدًا في دار المعلمين العالية (كلية التربية).

وفي عام 1954 حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة بأطروحته «أدب المرتضى»، مارسَ تدريس مادة البلاغة العربية في كلية التربية للمدة 1954-1958، ونال درجة الأستاذية عام 1960، واستمر أستاذًا لكرسي البلاغة إلى عام 1963 حيث عُيّن عميدًا للكلية، وفي العام ذاته نائبًا لرئيس جامعة بغداد. وله دوره في تعزيز نشاطاتها العلمية والأكاديمية والإدراية.

ومن هذا الزاد الوفير (الأسرة، الكتاب، المدارس، الجامعات، المجالس والمنتديات) أخذ ينفق عن سعة، يغرس في تلاميذه روح الوطنية الصادقة والقومية السليمة وينشر العربية الحقة، وهو العالم الأديب والناثر المجيد والشاعر الممتاز والأستاذ البارع.

انتخب عضوًا في المجمع العلمي العراقي عام 1963، ونائبًا لرئيس المجمع عام 1964. وفي عام 1966 رئيسًا للمجمع، وأعيد انتخابه لثلاث دورات متتالية (1966-1979). وفي عام 1966 انتخب عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك خلفًا للعضو العام الشيخ محمد رضا الشبيبي، ومما قاله الدكتور إبراهيم مدكور في معرض استقباله في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «وكم يسعدني أن أنوب عن المجمع في استقباله، وأخوف ما أخاف ألا يتسع الوقت لكي أوفيه حقّه، وما أكثر جوانبه وأخصب نواحيه»، واختير في عام 1973 عضوًا لمجمع اللغة العربية في دمشق.

شغل الدكتور عبد الرزاق حقائب وزارية منها وزير دولة لشؤون الوحدة (1964-1968). وفي عام 1965 انتخب عضوًا غير متفرغ في مجلس الرئاسة المشترك بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. وأمينا عامًا للقيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة عام 1966 التي استقال منها عام 1968.

لم يقف نشاط الدكتور محيي الدين على جوانب البحث والتأليف والعمل السياسي والفكري بل تعددت نشاطاته وتنوعت اهتماماته، فعلى سبيل المثال كان الدكتور محيي من الأعضاء والمؤسسين لجمعيات أدبية وثقافية منها: جمعية الكتّاب والمؤلفين في العراق، وجمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف، وعضوًا في مؤتمرات الكتاب الآسيويين والإفريقيين، ومؤتمرات الأدباء العرب، كما مثّل العراق وترأس وفود بلاده إلى عدة مؤتمرات فكرية وأدبية وسياسية انعقدت في عدد من المدن العربية والإسلامية والأجنبية، وكان حينها مبرزا فنال إعجاب المشاركين وتقديرهم، وطار صيته في الآفاق حتى دعته الجامعات العربية لإلقاء المحاضرات.

ومن بين مآثره الخالدة مجلسه العلمي الذي أسسه عام 1927 ومايزال يواصل نشاطه العلمي والأدبي مساء كل يوم ثلاثاء، حتى بعد وفاته.

توفى الدكتور محيي الدين إثر إصابته بجلطة دماغية في بغداد، ظهر يوم الخميس 14 رجب 1403هـ/ 26 نيسان 1983، وقد نعاه المجمع العلمي ببيان جاء فيه: "ينعى رئيس وأعضاء المجمع العلمي العراقي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين وقد وافاه الأجل المحتوم بعد مرض مفاجىء، لم يمهله طويلاً. فكانت وفاته خسارة كبرى للفكر والأدب، لما عرف عنه من خلق رضيّ، وعقل راجح وبصيرة نفاذة، وتقدير للأدب الرفيع، وإيمان صادق بالعروبة والإسلام".

آثاره

1 - أبو حيان التوحيدي، سيرته وآثاره، القاهرة 1949 2 - أدب المرتضى من سيرته وآثاره، بغداد 1957 3 - الحالي والعاطل، تتمة لملحق أمل الآمل، النجف الأشرف 1391هـ/ 1971م 4 - حياة الشبيبي وسيرته، بغداد 1969 5 - خواطر وملاحظات حول التعليم في العراق بغداد 1951 6 - ديوان القصائد، شعر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، دار أسامة للنشر والتوزيع بمعان 7 - شعب أصيل ومبدأ دخيل، كربلاء 1965 8 - ليل الصبا، معارضات من أجل الإنسان في العراق بغداد (د. ت) 9 - البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، بغداد 1954 10 - المقابسات لأبي حيان التوحيدي، بغداد 1953 11 - الوجيز في تفسير القرآن الكريم، لعلي بن الحسين، بغداد 1953.

المصادر والمراجع

● الجبوري عبد الله، المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاؤه، أعماله، بغداد، مطبعة العاني، 1385هـ/ 965
● الخاقاني، شعراء الغري، النجف، المطبعة الحيدرية 1954 ● الخفاجي

محمد حسين، شعر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، تحقيق ودراسة فنية، كلية الآداب، جامعة الكوفة 1999 ● درويش محمود فهمي وآخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960، بغداد، مطبعة دار التمدن، 1961 ● ساني جولان حسين جودي، عبد الرزاق محيي الدين ناقدا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2001 ● الشيخ جعفر محبوب، ماضي النجف وحاضرها، ج3، النجف، مطبعة النعمان، 1957 ● الصغير، محمد حسين، هكذا رأيتهم، بيروت، مؤسسة المعارف للمطبوعات، 2001م ● عواد كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، ج2، بغداد، 1969 ● غزوان عناد، أوراق مجمعية، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 2000 ● مجموعة باحثين، موسوعة أعلام العرب، بغداد، بيت الحكمة ● محبوبة الشيخ جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ج3، النجف، مطبعة النعمان، 1957 ● المرزوك صباح نوري (دكتور)، معجم المؤلفين والكتاب العراقيين، ج7، بغداد، بيت الحكمة، 2002 ● المطبعي حميد، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1995 .

د. بهجة كامل عبد اللطيف
جامعة بغداد

آل ناصر الدين، أمين علي

(1294هـ ـ 1881م/1373هـ ـ 1953م)

أمين علي ناصر الدين: شاعر، ولغوي، وروائي، وصحافي، ومسرحي. ولد في كفرمتى، إحدى قرى جبل لبنان، وتعلم في مدرسة عبيه الابتدائية الأميركية، ثم بالمدرسة الداودية. وكان يديرها أبوه، ثم علم في هذه المدرسة بعد تخرجه منها.

حرر في جريدة «الصفاء» التي لوالده، ثم تولاها سنة 1899م، واستمر يشرف عليها ويكتب أكثر فصولها مدة ثلاثين عامًا، كما تولى مجلة «الإصلاح» لوالده أيضًا.

آثاره

1 ـ الإلهام (شعر من السنة 1913م إلى السنة 1931م)، مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان، 1931م/ 1350هـ؛ 2 ـ الأمير عامر الكناني (رواية)؛ 3 ـ البينات (مجموعة مقالات في اللغة والأدب والنقد)، مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان، 1927م؛ 4 ـ ثمرات الأفكار باكورة شعره بين سن العاشرة والخامسة عشرة، مطبعة الصفاء، عبيه (لبنان)؛ 5 ـ الجاهل (مسرحية)، مطبعة

الصفاء، عبيه (لبنان) 1908م؛ 6 ـ جزاء الخيانة (تمثيلية)، مطبعة الصفاء، عبيه (لبنان) 1908م؛ 7 ـ حسرات المحبين، رواية قصصية غرامية، مطبعة الصفاء، عبيه (لبنان)؛ 8 ـ دقائق العربية، نشره محمد سعيد مسعود في بيروت، سنة 1952م، وط2، مكتبة لبنان، 1968؛ 9 ـ ديوان الفلك، إعداد وتقديم سامي نسيب مكارم، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، بيروت، 1983م؛ 10 ـ الرافد، معجم في الأسماء العربية الفصيحة لأعضاء الإنسان وما يتعلق بها وأسماء الأمراض والعوارض وأسماء ما يستعمله الإنسان من أدوات وآنية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1971م؛ 11 ـ صدى الخاطر، ديوان شعر في شبابه، مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان، 1913م؛ 12 ـ العاقبة الحسنة (رواية)، مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان، 1899م؛ 13 ـ غادة بصرى، رواية غرامية، أخلاقية، مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان؛ 14 ـ غرائب الظلم (مسرحية)؛ 15 ـ الفتاة المغربية (رواية قصصية غرامية) مطبعة الصفاء، عبيه، لبنان، وهي مترجمة عن الإنكليزية؛ 16 ـ الفكونت كوفان، مترجمة عن الإنكليزية؛ 17 ـ مسرات المحبين (رواية).

المصادر والمراجع

● حداد، يوسف أيوب، أمين آل ناصر الدين الشاعر اللغوي، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1969م، ● جابر عفاف، أمين آل ناصر الدين الشاعر والصحفي، رسالة أعدت لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها، الجامعة اللبنانية، كلية التربية، بيروت، 1979م؛ ● الزركلي، خيرالدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1984م، 2/ 18؛ ● الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، دمشق، 1954م، 1/ 366ـ 367؛ ● قبش، أحمد، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، لاط، لات (تاريخ المقدمة) 1/ 6/ 1971، ص 120؛ ● إبراهيم، علي، شعراء من لبنان، مكتبة منيمنة، بيروت، ط1، 1964م، ص 227ـ 240؛ ● جمال الدين، محسن، العراق في الشعر العربي والمهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1965م، ص 221 ـ 229؛ ● نجم، محمد يوسف، القصة في الأدب العربي الحديث، المكتبة الأهلية، بيروت، ط2، 1961م، ص 196 ـ 198 ● جبر، جميل، لبنان في روائع أقلامه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لاط، لات، (تاريخ المقدمة 1964م)، ص 39 ـ 42؛ ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1972 ـ 1983م، 2/ 47 ـ 49؛ ● الباشا، محمد خليل، معجم أعلام الدروز، الدار التقدمية، ط1، 1990م، 2/ 424 ـ 426؛ ● الفيصل، سمر روحي، معجم الروائيين العرب، جروس برس، طرابلس (لبنان)، ط1، 1995م، ص 71 ـ 72؛ ● ضو، يوسف طوني، معجم القرن العشرين وجه

لبنان الأبيض، دار أبعاد،زوق مصبح، لبنان، لا تاريخ ص 624؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت (تاريخ المقدمة 1957م)، 3/ 14؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، مطبعة سركيس بمصر، ط1، 1928م، ص 477.

الجرائد والمجلات:

● جريدة الحياة، عدد 6/ 11/ 1953

إميل يعقوب
الجامعة اللبنانية

الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد

(551هـ / 1156 م - 631 هـ/ 1233م)

أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم، الآمدي (551-1156هـ/ 631-1233م) فقيه أصولي ومتكلّم، اشتهر بلقب سيف الدين، أو السيف، كما عرف بالتغلبي نسبة إلى بني تغلب، والثعلبي نسبة إلى بني ثعلبة، ورجح الزبيدي نسبة التغلبي [مقدمة تحقيق الإمامة من أبكار الأفكار، 16].

ولد الآمدي في مدينة آمد من ديار بكر، شمال العراق، ونشأ بها، وقرأ بها القرآن والقراءات، ودرس كتابا في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم انتقل إلى بغداد وهو ابن الرابعة عشرة من عمره، حيث قرأ القراءات أيضًا وتفقه في المذهب الحنبلي على يد أبي الفتح بن المُنّي الحنبلي، وسمع الحديث من أبي الفتح بن شاتيل، وبقي على ذلك مدة. ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، فصحب الشيخ أبا القاسم بن فضلان رأس الشافعية آنذاك في بغداد، واشتغل عليه في الخلاف والجدال والمناظرة وأصول الفقه، وقيل إنه حفظ الوسيط للغزالي [الشذرات، 5/ 144]، وتفنّن في علم النظر والكلام والحكمة، وأورد السبكي أنه أحكم الأصلين والفلسفة وسائر العقليات وأكثر من ذلك [طبقات الشافعية، 8/ 306]، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير وتمهّر فيه، وحصل منه شيئا كثيرًا، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم [وفيات الأعيان، 3/ 293].

ويلاحظ أن المصادر لم تنقل معلومات عن مشايخ الآمدي في بلاد الشام، حيث كان يقيم آنذاك فخر الدين الماروني أستاذ الفلسفة واللغة، والصوفي الشهير محيي الدين بن عربي، ويرجح أن يكون قد اجتمع بهما [الإمامة، 19].

بعد اكتمال التحصيل العلمي للآمدي، انتقل إلى الديار المصرية، وانتصب للتدريس بها، حيث تولى التدريس والإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي بالقرافة الصغرى، والمسجد الظفري بالقاهرة، وتلقى عنه الناس وطلبة العلم، وتخرج عنه جماعة منهم، ونظرا للمكانة والشهرة التي حصل عليها بمصر، فقد حسده جماعة من الفقهاء واتهموه في عقيدته، فنسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء ودين الأوائل، وكتبوا محضراً بإباحة دمه. ويروى أنّه عندما حمل مناوؤوه المحضر إلى أحد الفقهاء الفضلاء لتوقيعه كتب في المحضر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم

وهكذا اضطرّ الآمدي إلى مغادرة الديار المصرية متخفّيا نحو الشام، حيث استوطن مدينة حماة، وصحب الملك الأيوبي أبا المعالي المنصور إلى أن توفي سنة 617هـ/1219م [عيون الأنباء، 650] وتولّى التدريس بالمدرسة المنصورية، وصنف عددا من كتبه.

وبعد وفاة الملك أبي المعالي المنصور تمّ اضطهاد الآمدي، فانتقل إلى دمشق متخفيا على ما ذكره الخوانساري [روضات الجنات 1/ 271] حيث استقبله الملك المعظم وأسند إليه التدريس بالمدرسة العزيزية، ثم عزل عنها بعد وفاته من طرف الملك الأشرف الذي قرر أن لا يدرس بالمدارس إلاّ التفسير والفقه والحديث، وأن يتم نفي كل من اشتغل بعلوم الأوائل، فأقام الآمدي بمنزله إلى أن توفي يوم الثلاثاء رابع صفر من سنة 631هـ/1233م، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق. تتلمذ على الآمدي وأخذ عنه العلوم المئات من الناس، اشتهر منهم العز بن عبد السلام، الذي قال عنه: «ما تعلمنا قواعد البحث إلاّ منه» [الشذرات، 5/ 144]، وابن أبي أصيبعة، والدخوار الطبيب، وأبو نصر الجزيري، وأبو شامة المقدسي، وابن يَلَلْبَخت الجزولي البربري المراكشي.

ويقول عنه المؤرخ ابن كثير الدمشقي إنّه «كان حسن الأخلاق، سليم الصدر، كثير البكاء، رقيق القلب، وقد تكلّموا فيه بأشياء اللّه أعلم بصحّتها، والذي يغلب على الظنّ أنّه ليس لغالبها صحّة»[ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 151]. ويقول عنه معاصره وزميله في الشام سبط الجوزي: «كان يظهر منه رقة قلب وسرعة دمعة» [الجوزي، مرآة الزمان، 8/ 691].

آثاره

ألّف الآمدي حوالي عشرين تصنيفا في الأصول وغيرها ومنها: 1 - الإحكام في أصول الأحكام، نشر بالقاهرة سنة 1347، وأعيد نشره مرارا، يعدّ هذا الكتاب أهمّ مؤلفات الآمدي ومن أهمّ كتب أصول الفقه، وينقسم إلى أربعة أبواب يسمّيها المؤلف بالقواعد وهي على التوالي: (أ) في تحقيق مفهوم أصول الفقه، وتعريف موضوعه وغايته، وما فيه من البحث عنه من مسائله، وما منه استمداده، وتصوير مبادئه، وما لا بدّ من سبق معرفته قبل الخوض فيه. (ب) في بيان الدليل الشرعي وأقسامه (القرآن، السنة، الإجماع) وما يتعلّق به من أحكامه. (ج) في المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين.

(د) في الترجيحات (ترجيحات الطرق الموصلة إلى التصديقات الشرعية، وفي الترجيحات الواقعة بين الحدود الموصلة إلى المعاني المفردة التصورية). وقد ألّف الآمدي هذا الكتاب في أواخر حياته، إذ انتهى من تأليفه سنة 625هـ، فجاء جامعا لتحصيله الواسع في أصول الفقه. ويستعرض فيه آراء أصحاب المذاهب المختلفة في كلّ مسألة، ويأتي بحججهم، ويناقشها حجة حجة، وينتهي إلى رأي في الموضوع، غالبا ما يوافق المذهب الشافعي الذي كان عليه عندما ألّف هذا الكتاب. ويعتبر هذا الكتاب من أهمّ كتب الخلاف (أو ما يسمّى اليوم بالفقه المقارن). وقد أحسن تبويب مادته، وصاغ معلوماته بأسلوب سلس ولغة واضحة تخلو من السجع الذي كان شائعا في زمانه، ولم يستخدم السجع إلاّ في مقدّمة الكتاب القصيرة، ولا يحظى هذا الكتاب باهتمام الأصوليين في الوقت الحاضر فحسب وإنما ينال كذلك عناية اللسانيين والمصطلحيين لاحتوائه على قسم بعنوان «المبادىء اللغويّة» اشتمل على دراسات قيّمة في علم الدلالة وعلم المصطلح 2 - أبكار الأفكار، مخطوط بطوبوقبو، وبرلين وآيا صوفيا وبيروت، وينقسم إلى ثمانية أقسام، في العلم، والنظر، والموصل إلى المطلوب، وانقسام المعلوم، والنبوات، والمعاد، والأسماء، والإمامة 3 - المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين، مخطوط بكراستين في المكتبة العربية بدمشق، وذكره البغدادي في «إيضاح المكنون» وفي «هدية العارفين» بعنوان مختلف قليلا هو «الكتاب المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين» 4 - الإمامة من أبكار الأفكار، تحقيق محمد الزبيدي، بيروت 5 - غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن عبد اللّطيف، القاهرة 6 - منتهى السول في علم الأصول وقد اختصر فيه الإحكام في أصول الأحكام 7 - منائح القرائح 8 - رموز الكنوز وهو مختصر أبكار الأفكار 9 - دقائق الحقائق في الحكمة 10 - لباب الألباب في المنطق 11 - غاية الأمل في الجدل 12 - الطريقة في علم الخلاف والجدل 13 - الترجيحات في الخلاف 14 - التعليقة الصغيرة في الخلاف 15 - التعليقة الكبيرة في الخلاف 16 - خلاصة الإبريز تذكرة للملك العزيز في العقائد 17 - المآخذ الجلية في المؤاخذات الجدلية 18 - كشف التمويهات في شرح التنبيهات 19 - شرح كتاب الجدل للشريف المراغي 20 - النور الباهر في الحكم الزواهر 21 - الغرائب وكشف العجائب في الاقترانات الشرطية.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، القاهرة، وزارة الثقافة، د. ت، 6/ 285 ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ب.ت، 3/ 293-294 ● الذهبي، سير أعلام النّبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. 7، 1410هـ/ 1990م، ج 22، تحقيق بشار معروف ومحيي السرحان، ص 364-367 ● الذهبي، العبر، تحقيق زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ب.ت، 3/ 210 ● السيوطي، حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، القاهرة 1387هـ، 1/ 259 • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ بيروت، المكتب التجاري، ب ت، 5/ 144-145 • أبو الفدا، المختصر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1380/ 1960، 5/ 56-57 • ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. 3، 1407هـ/ 1987م، 13/ 51 • حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت، دار الفكر، 1410/ 1990، 1/ 4، 17، 758، 913، 2/ 1113، 1484، 1846، 1857 • البغدادي، إيضاح المكنون، بيروت، دار الفكر، 1402هـ/ 1982م، 1/ 281، 298، 432، 479، 2/ 137، 327، 340، 358، 572 • البغدادي، هدية العارفين، بيروت، دار الفكر، 1402/ 1982، 2/ 707

2 ـ الدوريات:

• كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414/ 1993، 2/ 479
• الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط. 7، 1986، 4/ 332
• دائرة المعارف الإسلامية، ط.ج، مجلد 1، فصل الآمدي.

د. علي القاسمي
منظمة الاسيسكو - المغرب
د. عبد السلام بلاجي
جامعة محمد الخامس - المغرب

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر

(... هـ / ... م - 371 هـ / 981م)

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي أبو القاسم، أديب ناقد لغوي. ولد بالبصرة لكن المصادر لم تحدّد سنة ولادته، ولا شك أنّه تثقّف في البصرة بعلوم عصره وخاصّة ما يتّصل منها بالقرآن واللغة العربية، وذلك قبل أن ينتقل إلى بغداد حيث أتيحت له فرص التتلمذ على كبار أعلامها من النّحاة المرموقين واللغويين المشهورين والرواة ونقاد الأدب الكبار، من أمثال أبي إسحاق الزجّاج، وأبي بكر بن دريد، وأبي بكر السرّاج، كما أخذ عن الحسن بن سليمان الأخفش، وأبي موسى الحامض، ونفطويه... ويبدو من كتابه «الموازنة» أنّه تضلّع أيضا في العلوم الدّينيّة وألمّ بالثقافة الفلسفيّة التي راجت في عصر الترجمة.

وقد أهّلته ثقافته ليتولّى مهمّة الكتابة الديوانية فمارسها بالبصرة، حيث عمل كاتبا لبني عبد الواحد سنة 350 هـ، كما يُروى أنه كتب للقاضيين أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد، وكان كتب من قبل - أيضا - لأبي أحمد طلحة بن الحسن بن

المثنّى، وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة.

وأما في بغداد فقد كتب الآمدي لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان بحضرة المقتدر بالله ووزارته، كما كتب لغيره من بعده دون تحديد لأسماء بعينها. وقضى الآمدي المرحلة الأخيرة من حياته بالبصرة حيث مارس الكتابة قبل أن يتخلى عن المهام الرسمية ويلزم بيته إلى أن مات.

أجمع رواة أخباره على براعته في الكتابة ودرايته بالأدب ورواية الشعر وأخبار الشّعراء، كما اعتبر شاعرا جيّد الصنعة مسْرفا في استعمال التشبيهات، وينسب إليه ديوان شعر، وربما كانت شاعريّته وراء عنايته بدراسة أشعار المتقدّمين وأحد دوافعه إلى نقدها.

كما عُرف بحرصه على تتبّع أحوال معاصريه، وربط ما يسمع من أخبارهم بما نقل من أخبار السّلف، وتقييد ما عرف عن أهل عصره من النوادر والفكاهات، إلى جانب كثرة من الأخبار والمرويّات.

ولا شكّ في أن قيمة الآمدي تتمثّل في عمله النقدي المتمثّل في مصنّفاته النقديّة، وخاصة في كتابه «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» فهذا الكتاب من أهمّ كتب النقد في القرن الرابع للهجرة، ألّفه الآمدي ليوازن بين البحتري وأبي تمام بعد أن احتدم الصّراع بين أنصارهما، وتعالت الأصوات في المجالس ومعاهد الدرس، وقد وفّق في موازنته إلى حدّ كبير إذ كان «حسن الفهم، جيّد الدّراية والرّواية سريع الإدراك» [معجم الأدباء، 3/ 54]، واسع الثقافة، وكان متقنا العربية وأساليبها، وعارفا ثقافات عصره.

كان الآمدي معجبا بشعر الطائييْن، وألّف كتابه ليظهر محاسن كل شعر ومساوئه، وقد تكلم على مذهبيهما في الشعر وما قيل فيهما. ويبدو أنه كان يميل إلى شعر البحتري ويفضّله، وإن قال إنه لا يريد أن يفضّل أحدهما على الآخر وإنّما يقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، ثمّ يعطي الحكم في أيّ الشاعرين أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى.

ولم يقتصر الكتاب على هذه الموازنة. وإنّما أودع فيه الآمدي كثيرا من القضايا النقدية. ومن ذلك «عمود الشعر» الذي انتهى تحديده في كتاب «شرح الحماسة» للمرزوقي. وحدّد مفهوم الشعر، ورسم معالم النّقد، وأولى اللغة والنحو عناية كبيرة. وتدلّ ملاحظاته وتعليقاته على ثقافة واسعة في اللغة، ووقف طويلا عند فنون البلاغة التّي اتّخذ منها معيارا لنقده وموازنته فتحدّث عن المجاز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والجناس، والطباق، والسرقات الشعريّة التّي كانت من أهمّ القضايا التي عالجها النقاد منذ عهد مبكّر.

ولا شكّ في أن الآمدي كان من كبار نقّاد عصره وأعلام النّقد القديم فقد خرج بالنقد العربي لأوّل مرّة من نطاق الجزئيّات إلى مجال النظريّات المترابطة، ففي كتاب الموازنة طرح نظري وآخر تطبيقي يتجاوز منطق الأحكام العامّة ليقف عند الأحكام التفصيليّة مع جنوح واضح إلى تعليلها ورغبة في الاعتدال في الحكم.

وكان يدرك أنّ للنقّاد حاسّة فنية متميّزة تأتي

بكثرة النظر في الشعر، والارتياض فيه، وطول الملابسة له، والانقطاع إليه، والانكباب عليه، والجدّ فيه، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه، وهو يؤثر الشعر المطبوع على المصنوع، ويعيب على الشعراء طلب الإغراق والإبداع، والميل إلى وحشيّ الألفاظ والمعاني، وإن كان ذلك مما يُروى ويُستجاد للأعراب.

آثاره

للآمدي مؤلّفات كثيرة ذكرت المصادر منها ما يلي:

1 ـ الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، ولأهمّيته طبع عدّة طبعات. وهي: طبعة الجوائب بالقسطنطينيّة سنة 1287هـ، وطبعة بيروت 1332هـ، وطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة 1928 م و 1932 م، وطبعة حجازي بالقاهرة سنة 1363هـ/ 1944 م، وطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد في القاهرة سنة 1373هـ/ 1954 م، وحققه أخيرا تحقيقا علميّا دقيقا السيد أحمد صقر وأصدر الجزء الأول منه سنة 1380 هـ/ 1961 م، والجزء الثاني سنة 1965م. وذكر أن جميع الطبعات السابقة ناقصة محرفة ولذلك أقدم على طبعه ليصحح منحرفه ويكمل ناقصه [الموازنة، 1/ 5]

2 ـ المؤتلف والمختلف، وهو كتاب ذكر فيه المؤتلف والمختلف والمتقارب في اللفظ والمعنى والمتشابه في الحروف من أسماء الشعراء وأسماء آبائهم وأمّهاتهم وألقابهم ممّا يفصل بينه الشكل والنقط واختلاف الأبنية. حققه عبد الستّار أحمد فراج، القاهرة 1381/ 1961، وكان الدكتور فريتس كرنكو قد نشره مع معجم الشّعراء للمرزباني في القاهرة سنة 1354هـ 3 ـ معاني شعر البحتري 4 ـ الرّد على عليّ بن عمّار فيما خطّأ فيه أبا تمام 5 ـ نثر المنظوم 6 ـ كتاب في أن الشاعرين لا تتّفق خواطرهما 7 ـ كتاب في إصلاح ما جاء في عيار الشعر لابن طباطبا، أو كتاب ما في عيار الشّعر لابن طباطبا من الخطأ 8 ـ كتاب في الفرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر، قال ياقوت: «وله أيضا كتاب الخاص والمشترك» تكلم فيه على الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها [معجم الأدباء، 3/ 59] 9 ـ كتاب في تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين 10 ـ كتاب في شدّة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه 11 ـ كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر 12 ـ كتاب فعلت وأفعلت، قال ياقوت: «غاية لم يصنّف مثله» [معجم الأدباء، 3/ 58] 13 ـ كتاب الحروف من الأصول في الأضداد، قال ياقوت: «رأيته بخطه في نحو مائة ورقة» [معجم الأدباء، 3/ 58] 14 ـ ديوان شعره نحو مائة ورقة 15 ـ الأبيات المفردة 16 ـ معاني شعر أبي تمام 17 ـ معجم الشعراء 18 ـ شرح الحماسة لأبي تمام 19 ـ شرح ديوان المسيّب بن علس 20 ـ كتاب الشعراء المشهورين 21 ـ كتاب الأمالي 22 ـ كتاب الرباب 23 ـ كتاب أشعار بني يربوع.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح. مرغليوث، الطبعة الثانية ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1369

هـ/ 1950 م ● السّيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1964 م ● السّيوطي، شرح شواهد المغني، تعليق أحمد ظافر كوجان، دمشق 1386 هـ/ 1966م ● الخطيب التبريزي، ديوان أبي تمام، تح. محمد عبده عزام، القاهرة 1964 م ● مطلوب، أحمد، البلاغة عند السكاكي، بغداد 1384 هـ/ 1964 م ● أحمد مطلوب، مناهج بلاغيّة، بيروت 1393 هـ/ 1973 م ● أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، بيروت 1393 هـ/ 1973 م ● أحمد مطلوب، دراسات بلاغيّة ونقديّة، بغداد 1400 هـ/ 1980م... الخ ● القط عبد القادر، مفهوم الشعر عند العرب (على نحوما يتمثل في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري)، رسالة دكتوراه، جامعة لندن سنة 1950، وترجمها عبد الحميد القط، القاهرة 1982، دار المعارف بمصر.. ● دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى، طهران 1999، 1/ 683.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي
د. عبد الله التطاوي
جامعة القاهرة

الآمُلي، حيدر بن علي

(... هـ/ ... م - 787 هـ/ 1385م)

حيدر بن علي بن حيدر بن علي العلوي، الحسيني، المازندراني بهاء الدين الطبري القاشي، المعروف بالآملي. من أهل «آمل» ببلاد «طبرستان». نشأ بالحلة واستقرّ ببغداد.

مفسر، محدث، فقيه شيعي إمامي، صوفي، متكلّم [كحالة، معجم المؤلفين، ج4، ص91؛ الزركلي، الأعلام، 2/ 290؛ باشا البغدادي، هدية العارفين، ج5، ص341].

آثاره

للآملي عدة مصنفات ومؤلفات، منها:

1 - المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم 2 - نص النصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي، أو نص النصوص في شرح الفصوص لابن عربي، فرغ من كتابته في بغداد سنة 782، وهو في مجلدين 3 - جامع الأسرار ومنبع الأنوار، في علم التوحيد 4 - تلخيص اصطلاحات الصوفية، أو لب الاصطلاحات الصوفية، جردها من كتاب عبد الرزاق الكاشاني 5 - البحر الخضم في تفسير القرآن الأعظم 6 - الكشكول في بيان ما جرى على آل الرسول 7 - الأركان في فروع شرائع أهل الإيمان 8 - رافعة الخلاف في

وجه سكوت أمير المؤمنين عن الاختلاف 9 - المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول، مخطوط 10 - مدارج السالكين في مراتب العارفين 11 - منبع الأسرار الإلهية برسم الحضرة الجلالية، مخطوط بشستربتي 4154/2 12 - أمثلة التوحيد 13 - جامع الحقائق 14 - رسالة الأمانة.

■ المصادر والمراجع

● البغدادي، إسماعيل، باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، سنة 1402/ 1982، ج5، ص341 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992، ج2، ص290 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص91.

د. نور الدين المختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

■ ابن آمني، سيدي محمد بن بادي

■ ■ ■

(1308 هـ / 1890 م - 1398 هـ / 1978 م)

هو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ محمد أحمدو بن الشيخ محمدو بن الشيخ سيدي محمد بن آمني، وأمه خادجة بنت زين العابدين بن الشيخ أحمد محمود بن الشيخ سيدي محمد بن آمني، فأبواه إذن ينتهي نسبهما إلى الشيخ سيدي محمد بن آمني وهو القطب الشهير الذي ظهر في منطقة لبراكنه في القرن الحادي عشر الهجري، وأحد أبرز شيوخ الطريقة القادرية في عصره، وباسمه تسمت قبيلة أهل الشيخ بن آمني التي تمتد مضاربها على مشارف ولايات تكانت، ولبراكنه، وغورغول.

ولد سيدي محمد بن بادي حوالي سنة 1308هـ في بيئة علمية راسخة الجذور وفي أحضان أسرة تسلك سبيل المشيخة من علم وصلاح وتربية صوفية، وتربى على يدي والده الشيخ محمد أحمدو الذي اشتهر بالعلم والورع والاستقامة والزهد في الدنيا، وقد نهل ابنه سيدي محمد من معين علمه وترسم خطاه في أخلاقه وسلوكه وتأثر به تأثرا بالغا حتى قيل إنه كان يمثل نسخة طبق الأصل من أبيه.

عكف سيدي محمد على حفظ القرآن وهو في ريعان الصبا على المقرئ محمد عبد الرحمن بن الحابوس، ثم التحق بمحضرة أهل أبات بتكانت، وهي محضرة شهيرة طبق إشعاعها آفاق الإقليم وتميّزت بتعدّد الاختصاصات التي تدرس فيها، فانكب على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، فأخذ الفقه عن العلامة محمد بن

أحمد بن أبات، كما أخذ النحو وغيره من علوم اللغة عن العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات.

وقد استطاع سيدي محمد بن بادي أن يواكب مختلف الفروع المعرفية التي تدرس في هذه المحضرة العريقة وأن يستوعب جملة من العلوم في آن معا، حتى نبغ فيها جميعا خلال فترة وجيزة، تساعده في ذلك همة عالية وبصيرة نافذة وذكاء ثاقب. وهكذا كان تضلعه من علوم الظاهر إلى جانب التربية الروحية التي أسداها إليه والده عاملا في تكوين شخصيته بشكل متوازن. وسنرى أثر ذلك في عطائه المعرفي الذي اتسم بتكامل علوم الحقيقة والشريعة.

على أن سيدي محمد لم يقتصر في مسيرته العلمية على مرحلة التحصيل في محضرة أهل أبات، وإنما استمر في بحثه الدؤوب عن مصادر أخرى للمعرفة، يحدوه ولع كبير للاطلاع على مكامن الثروة العلمية في منطقته وخارجها، فكانت له اتصالات واسعة بالعلماء المعاصرين له أخذا وعطاء، وعرف عنه شغفه بلقيا كل من يأنس فيه فضلا أو صلاحا، وكان لا يسمع لأحد منهم خَلٍّ قريبا إلا زاره وأفاده واستفاد منه، وكثيرا ما تجشم عناء الرحلة ليصل إلى أحدهم رغم بُعد الشقة. وقد حدثنا الفاضل ابنه محمد يحيى أنه كان حتى آخر عمره يقوم برحلة سنوية من تكانت إلى غورغول يتتبع فيها معاقل العلم ومزارات الصالحين توخيا للاستزادة من العلوم، عملا بالآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وتعرضا للنفحات الربانية، وبذلك نرى تواضعه الجم وحرصه على إحراز الخير حيثما وجد، طالبا العلم من المهد إلى اللحد، لا تصرفه عن ذلك ألقاب المشيخة التي يحملها.

ومن أشهر الفضلاء الذين شد إليهم الشيخ سيدي محمد الرحال، الشيخ أحمد بن آدبه، والجيلي بن أحمد امبوسيف، وهما من قبيلة كنته، والشيخ محمد الحسين بن باباه العلوي، وبدين بن عبد الرحمن الجكني، وسيدنا ابن الإمام من قبيلة أهل أبات وغيره من أعيان محضرة أهل أبات، وفي منطقة لبراكنه التقى الشيخ عبد الرحمن بن بلال، والشيخ محمد الخليفة بن محمد بن أحمد، وغيرهم كثيرين.

وقد تمخضت هذه اللقاءات عن تلاقح للأفكار وتقارب وجهات النظر في مسائل شائكة كالعلاقة بين الفقهاء والمتصوفة، والتعريف بدعوة الشيخ سيدي محمد بن بادي إلى التصوف السني النقي من الشوائب والبدع كما سنرى في استعراضنا لمؤلفاته.

بيد أنّ الرحلة التي كان لها الأثر الحاسم، وشكلت منعطفا في حياة الشيخ سيدي محمد كانت رحلته ومقامه مع الشيخ أحمد بن أبي المعالي التاقاطي، الذي أخذ عنه الطريقة القادرية، وارتبط به ارتباطا روحيا عميقا، وهو الذي انتدبه لبث التعاليم القادرية وكان أمين سره ومحل ثقته، حتى أثر عنه قوله: «من كان مع سيدي محمد فأنا منه وهو مني»، وبذلك انتشرت الطريقة في الأوساط التي كانت على احتكاك مباشر بالشيخ سيدي محمد سواء كانوا من أهله أو من غيرهم، وقد طغت النزعة الصوفية على هذا العالم الزاهد واستحوذت على القسط الأوفر من

عطائه العلمي حتى غلبت عليه التربية الروحية، فكان الصادرون عنه يوصفون بمريدي الطريقة قبل أن تطلق عليهم التلمذة بمفهومها العادي. ومن الذين أخذوا عنه الطريقة القادرية أحمد محمود الناجي بن الخليفة رئيس قبيلة «أهل الشيخ ابن آمني»، كما أخذ عنه من أعيان عشيرته، محمد بن محمدو بن زين العابدين، ومحمد بن أعل بن أحمد، وابن أخيه محمد المصطفى بن محمد بن بادي.

أمّا من غير أهله، فمن أشهر الذين أخذوا عنه الطريقة محمد بن أحمد بن سيد امحمد رئيس أولاد سيدي حيبله لأكنتهلا، ومحمد بن سيدنا أحد مشاهير قبيلة كنته كذلك.

وظل الشيخ سيدي محمد بن بادي ينافح عن المنهج الذي ارتضاه ويدعو من له به صلة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة ومعرفة طريق الفضيلة، حتى لبى داعي ربه عام 1398هـ عن عمر ناهز تسعين سنة زاخرة بالعطاء العلمي والروحي، مخلفا آثارا علمية كثيرة نظما ونثرا ضاع جلها.

آثاره

1 - العسل الصافي، وهو نظم في التصوف وقد شرحه أخوه أحمد بن بادي 2 - سلاح المريدين في الرد على الفرق المنكرين والمتصوفة المتزندقين، وفيه تتجلى سمة الوسطية لديه، فلا هو بالمغالي ولا المتعصب لأي من الفريقين، وإنما ينشد الحق وينصره، وهذا الكتاب صدى للمناظرات الحادة التي كانت تدور بين المتصوفة وخصومهم في عصر المؤلف 3 - كشف الحجاب والظلم عن القلوب بمصابيح الحكم. وهو نظم لحكم ابن عطاء الله، عرضها فيه بأسلوب سلس، لكنه تصرف أحيانا في الحكم العطائية بالحذف والزيادة لمقتضيات النظم 4 - منبه الكهول من نومة الغفلة والذهول. وهو نظم في الوعظ والتحذير من مغبة الانغماس في الدنيا ونسيان الدار الآخرة 5 - تحفة اللبيب وبغية الأريب. وهو نظم في آداب الشاي وأحكامه، وتحذير من مجالس الشاي التي قد تصرف عن ذكر الله وعن الصلاة، ومعلوم أن الساحة الثقافية الموريتانية كانت قد شهدت جدلا محتدما بين المبيحين لشرب الشاي والمحرمين له، وحسم النقاش لصالح إباحته شريطة عدم تلبسه بالمناكر، وإلى ذلك مال الناظم 6 - عصابة العروس في جمع أشياخنا الشموس. وهو نظم في سلسلة أشياخ الطريقة القادرية بفرعيها الفاضلية والكنتية 7 - كاشف الأستار عن نسب الشيخ سيد المختار. وهو نظم في نسب هذا الشيخ الجليل الذي ينتمي إلى الفرع الكنتي من الطريقة القادرية 8 - مجموعة قصائد في مواضيع مختلفة. وجميع هذه المؤلفات بحوزة نجل المؤلف السيد محمد يحيى بن الشيخ سيدي محمد بن بادي.

المصادر والمراجع

كان جل اعتمادي على رواية ابنه لأحداث سيرة والده، وذلك خلال سلسلة من اللقاءات أجريتها معه في الفترة ما بين 5 إلى 28 ابريل 2002.

سيدي محمد بن محمد عبد الله
جامعة نواكشوط - موريتانيا

آن تشير نويرو بال، الشيخ أحمد المختار

(... هـ/ ... م ـ 1324 هـ/ 1908م)

ولد الشيخ أحمد المختار آن المعروف بـ«تشير نويرو بال» في بلدة كتشيلون، الواقعة على الضفة الجنوبية لنهر السنغال. وهو ابن عائلة فلانية عريقة في «فوتاتورو»، كان رابع ولد من الذكور في العائلة، وذلك حسب ترتيب الأسماء الفلانية: «صارا، صامبا، ديمبا، يرو»، [أحمد حمباتي با، الكوكب الكبير يتألق، ص 24-67].

ولقد اقترنت ولادة تشير بفترة شهدت فيها منطقة إفريقيا الغربية بداية انحسار القوى الجهادية أو الإصلاحية التي كانت عامّة في القرن التاسع عشر. كما بدأت القوى الغربية تتدخل لتقسيم المنطقة إلى مستعمرات تشتت وحدة الشعوب والأقوام. وفي هذه الفترة بالذات كانت المدرسة القرآنية الوحيدة الباقية في فوتاتورو هي مدرسة «بوكي جاوي» التي أقامها الشيخ عمر تال قبل أن يخرج إلى الجهاد، وقد عيّن عليها أحد كبار الشيوخ في منطقة فوتاجالون، وهو الشيخ محمد مودي العالم با، وكأن عمر تال كان يعرف أنّ العلماء الذين خرجوا معه في الجهاد لن يرجعوا [أبو بكر خالد با، العلانية والعربية، ص 69].

حفظ تشير نويرو بال القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم جعل يجوب المنطقة طولا وعرضا، وانتهى به الأمر إلى بلاد «غنار» (بلاد شنقيط)، فالتحق بمدرسة الحارس ولد محنض سالك من خيام رآب الحسن، وكان الحارس عالما يشهد له بطول الباع في العلوم العربية في المغرب والصحراء، فدرس الفتى عنده المطولات [أبو بكر خالد با، ص 71].

وأقام الشيخ أحمد المختار آن في المنطقة ستة عشر عاما وهو ينتقل بين منخفضات الترارزة والبراكنة، واستطاع خلالها أن يحتلّ مكانة متميّزة بين المثقفين وأن يكون علما بارزا من أعلام المدرسة المذكورة. وحين رجع إلى فوتا تومرو كان أول من درّس البلاغة بجدارة، وكانت له القدرة الفنية لإفهام الطلاّب الذين كانوا يعانون من صعوبات في فهم بعض العلوم العربية نتيجة البون بين اللغة العربية واللغات الإفريقية. بيد أن الشيخ أزاح الستار، وبيّن الغموض، ونوّر العقول، فأوصل الطلاّب إلى مبتغاهم، وكان لا يجلس إليه طالب إلاّ وأفهمه علوم اللسان العربي في أقصر مدّة وأقلّ تكلفة، وإلى جانب ذلك كان شاعرا مفوّها، نادر الوجود خاصة في منطقة وادي السنغال، إلى درجة يستطيع معها أن يرتجل أمام الناس، فيخرج شعرا جميلا حسب المقاييس والأسفاط [أبو بكر خالد با، ص 72].

لقد كان أحمد المختار آن من الشيوخ الذين عمّقوا الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة،

ومن شيوخه نذكر: مودي محمد العالم، مؤسس مدرسة بوكي جاوي، فقد درس على يديه الفقه وأصوله وعلوم التصوّف وغيرها، إلاّ أن الشيخ الذي ترك بصماته على أحمد المختار آن بصفة أوضح هو الحارس ولد محنض سالك الذي درّسه علوم اللّغة والبلاغة، وأسهم هذا في الحقيقة في تعريب المنطقة في الأجيال الموالية، إذ قبل الشيخ أحمد المختار آن لم يكن من السهل أن نجد شيخا يتصدّى لهذه العلوم.

أما تلاميذه فكثيرون، وكلّهم أعلام في المنطقة، نذكر منهم: محمد بابا تال من مدينة تشيلون، قرأ عليه مالا يقل عن مائة عالم؛ والحاج مالك بن عثمان سي من مدينة تيوارون، قرأ على أحمد المختار آن العلوم اللغوية [الاحمرار لابن بونة الجنكي]، وراجعه في البلاغة. ومن تلاميذه أيضا إلهان (الإمام) محمد عبد ربّه من مدينة غوبلو، وهو شاعر من الدرجة الأولى، والشيخ تشيرنوهودي بوبكر من بلدة بوبكي جاوي، قرأ عليه العلوم الشرعية، والشيخ أحمد ديم السكوني، من مدينة سوكن، وهو عالم يشار إليه بالبنان في جنوب السنغال وغامبيا، [أبو بكر خالد با، ص72].

آثاره

للشيخ أحمد المختار آن مؤلفات عديدة، أغلبها في حوزة الخواص في شكل المخطوط، ومن هذه المؤلفات: 1 - شرح قصيدة «بانت سعاد» 2 - مقامات الحريري، وغيرهما.

المصادر والمراجع

● أبو بكر خالد با، العلاقة التاريخية بين اللغة البولارية (الفلانية) واللغة العربية عبر التاريخ، ملتقى داكار حول العلاقات بين اللغات الإفريقية واللغة العربية، أفريل 1981، تونس، الألكسو، 1992.

● Amadou Hampate Ba, christian Saidou et Alfa Ibrahim Sow: L'eclat de la grande étoile, Paris, classiques africains, Armand colin, 1974; ● D.W. Amoh: Litterature in Futa in literature in AFRICAN Languages theoritical issues and Sample Surveys, W. Tyloch (ed) Cambridge univ. Press, 1985.

الحسن سعيد جالو
جمهورية غامبيا

الآيديني، خضر بن علي بن مروان

(.... هـ/.... م - 820 هـ / 1417 م)

خضر بن علي بن مروان بن علي، حسام الدين الآيديني بن الخطاب المشهور بالحاجي باشا. طبيب من مواليد ولاية آيدن، الواقعة في منطقة عرفت باسم الروم إيلّي، وهي في شمال شبه جزيرة الأناضول - لم يرد أي ذكر لتاريخ ولادته - رحل وهو في مقتبل العمر إلى القاهرة طلبًا للعلم، فقرأ الفقه على العالم أكمل الدين، وقرأ المنطق على العالم مبارك شاه. وعرض له بعد ذلك مرض شديد صرفه عن دراسة الفقه والمنطق، فآثر تعلّم الطب، فدرسه ومهر فيه. ولما ذاعت شهرته في الطب أسندت إليه إدارة بيمارستان المنصوري في القاهرة، فأحسن تدبيره.

وجاء في كتاب معجم الأطباء، للدكتور أحمد عيسى، نقلا عما ورد في كتاب الشقائق النعمانية أن خضر بن علي بن الخطاب صنف، قبل ممارسة الطب، حواشي على كتاب «شرح المطالع» للقطب الرازي. وكان ذلك قبل تأليف السيد الشريف حواشيه على ذلك الكتاب، حتى إن السيد ردّ عليه في بعض المواضع، مع أنه كان يشهد له بالفضيلة والعلم.

يعدّ كتاب «شفاء الأسقام ودواء الآلام» أشهر وأجود مؤلفاته وهو يقول في مقدمته: «الحمد للّه الذي خلق الإنسان في أحسن الصور، وعلّمه خواص الأشياء من النفع والضرر، والصلاة على نبيّة ورسوله محمد ﷺ المختص من بين البشر، بشفاعة العاصين من المعاشر في المحشر، وعلى آله وصحبه الهادي لأهل البدو والحضر...». ثم يقول بعد ذلك: «رأيت أن علم الطب أجلّ المفاخر والسعادات، وأجمل المآثر والصناعات. إذ به تحصل صور النفوس والأرواح، وصحّة الأبدان والأشباح...». ثم يشير إلى أهمية المشاهد والتجربة في الطب، وخاصة في علم التشريح ووظائف الأعضاء. ذلك لأن بنية الإنسان التشريحية لا تختلف بصورة عامة من شخص لآخر ولو اختلفت بينهما الملة أو الديانة، أو مكان الإقامة والموطن، أو أنواع الغذاء.

ثم ينتقل الطبيب خضر بن علي إلى الكلام عن نفسه فيقول: «كنت مشغوفًا بتحقيق المسائل الطبية، معرّجًا على مشاهدة الأعمال التجريبية. ومارست في المارستانات سنين عديدة، وكررت فيها الأعمال والتدابير، خصوصا في المارستان المنصوري بالقاهرة. ولازمت فيه خدمة المشايخ الحذّاق، بعدما قرأت جلّ الكتب الطبية، وحققت كل القواعد الكلية عند حكماء يحق على أقوالهم الاعتماد. حتّى اتضحت لي أسرار مباحات... وانفتح لي باب المعالجات... فصرفت العتاد إلى تصنيف كتاب يشتمل معالجات مجرّبة... لم يدونها شخص قبلي

من الأطباء. وزينته بالفوائد التي استفدتها من مجالس شيخي جمال الدين بن الشويكي..». يضم كتاب «شفاء الأسقام ودوام الآلام» أربع مقالات، أطلق الآيديني عليها العناوين الآتية: - في كليات الطب علمه وعمله - في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة - في الأمراض المختصة بعضو عضو، من الرأس إلى القدم، وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها - في الأمراض العامة، والتي لا تخص بعضو دون عضو ومعالجتها. ويقول الآيديني في آخر كتابه: «وليكن هذا آخر ما أردنا جمعه من الفوائد العجيبة، ونظمه من الفوائد الغريبة، والشكر لله تعالى على أن وفقنا للإتمام، وحقق لنا الفوز بهذا المرام. وإياك أن تضنّ بهذا الكتاب على أهله، أو تصرفه إلى غير محله فمن منح الجهال علمًا أضاعه، ومن منع المستوجبين فقد ظلم. والله الهادي للسداد، ومنه المبدأ وإليه المعاد».

ولكتاب «شفاء الأسقام ودواء الآلام» مخطوطات، توجد في المكتبة الظاهرية بدمشق ثلاث نسخ مخطوطة لهذا الكتاب، وهي بحالة جيدة، وأرقامها وصفاتها كما يلي:

أولا - المخطوطة ذات الرقم العام (6761) والرقم الخاص (ط99): عدد أوراقها (560) - القياس (25 × 16) سم - المسطرة (25) سطر في كل صفحة. الخط نسخي جميل ومشكول.

ثانيا - المخطوطة ذات الرقم العام (7065) والرقم الخاص (100ط): عدد أوراقها (453- القياس (31 × 21.5) سم - المسطرة (25) سطر في كل صفحة. الخط نسخي جميل.

ثالثا - المخطوطة ذات الرقم العام (9084) عدد أوراقها (497) - القياس (26 × 17) سم المسطرة (23) سطر في كل صفحة. وهي نسخة نادرة، كتبت بخط فارسي أنيق، وبمداد أسود. وكتبت رؤوس الفقر والعناوين بحبر أحمر. صفحات الكتاب محاطة بإطارات مذهبة، عدا الورقة الأولى فقد زخرفت بنقوش جميلة مذهبة.

وأمّا كتاب «السعادة والإقبال»، فهو كما قيل مختصر لكتاب «شفاء الأسقام ودواء الآلام». ولهذا الكتاب ثلاث مخطوطات موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق:

المخطوطة الأولى: تقع ضمن مجموع عدد أوراقه (171) ورقة - قياس (17 × 25) سم - مسطرته (21) سطرًا، وعدد أوراق مخطوطة السعادة والإقبال (153) ورقة. الرقم القديم لهذا المخطوط (7921) والرقم الجديد [151ط م] أما تاريخ تحريره فهو ذو القعدة سنة 890 هـ/ 1485 م أي بعد وفاة مؤلفه بثمان وستين سنة. وهذا المجموع مصاب بالرطوبة، ومكتوب بخط فارسي صغير الأحرف، وكلماته متراصة،وكل ذلك يجعل من الصعب قراءته.

المخطوطة الثانية: رقمها (9682) - عدد أوراقها (155) ورقة - قياس (17 × 31) سم - مسطرتها (15) سطرًا، ويعود تاريخ نسخها للقرن العاشر للهجرة. وهي مصابة بالبلل ولكن الكتابة فيها واضحة. وفي نهايتها يوجد مجموعة كبيرة من الوصفات الطبية المنقولة من كتب أخرى.

المخطوطة الثالثة: رقمها (9985) - عدد

أوراقها (173) ورقة - قياس (20 × 51) سم - مسطرتها (15) سطرًا، ويعود تاريخ نسخها 974هـ/ 1566 م.

يقول حاجي باشا في فاتحة هذا الكتاب: «الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على رسوله الهادي إلى الصراط المستقيم. وبعد فهذا كتاب السعادة والإقبال، مرتب على أربعة أقوال، **فالقول الأول**: في كليات علم الطب، وفيه تعليمان: **التعليم الأول**: في علم الطب العام، وهو علم لحفظ صحة بدن الإنسان وإزالة مرضه، والصحة سلامة، والمرض آفة. **والتعليم الثاني**: في علم الطب العملي وتدبير الهواء.

والقول الثاني: في الأغذية والأشربة والأدوية.

القول الثالث: في الأمراض الخاصة بعضو عضو، وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها.

القول الرابع: في الأمراض العامة، أي التي تصيب كامل الجسد، وهي تنجم عن كثرة الرطوبة في جسم المريض، أو الناجمة عن غلبة الدم، أو غلبة الصفراء، أو غلبة السوداء.

ولكشف هذه الأمراض تكلم الحاجي باشا عن فحص القارورة، أي فحص بول المريض. وبما أن هذا الفحص يعتمد على لون البول ورائحته وقوامه وراسبه، لذلك يجب التأكد من أن المريض لم يتناول أي مادة تصبغ البول، كالزعفران والخيار شنبر.

وتكلم بعد ذلك عن الأمور الصحية، والتي يجب أن يراعيها الإنسان على مدار السنة، وهو ما دعاه تدبير الفصول، وعدد الأمراض التي تظهر في كل فصل، مع ذكر أسبابها وطرق معالجتها - ومن تلك الطرق: تدبير القيء، والفصد، والحجامة، والحقن.

■ آثاره

تجلّى نشاط الطبيب خضر بن علي بوضع عدة مؤلفات تتعلق بعلم الطب والصيدلة والأغذية وهي: 1 - كتاب شفاء الأسقام ودواء الآلام 2 - كتاب السعادة والإقبال 3 - كتاب التعاليم في الطب 4 - كتاب الفريدة في ذكر الأغذية المفيدة.

■ المصادر والمراجع

● عيسى، أحمد، معجم الأطباء، ص 182 ● عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الجزء 2، ص 101 ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، الجزء 2، ص 233 ● الذيل، الجزء 2، ص 326 ● الشقائق النعمانية الجزء 1، ص 114-115 ● كشف الظنون، الجزء 2، ص 60 ● مخطوطات دار الكتب الظاهرية: الطب والصيدلة للأستاذ صلاح الخيمي ● الزركلي، الأعلام، ط، بيروت، دار العلم للملايين 2/ 307.

د. محمد زهير البابا
مجمع اللغة العربية - دمشق

ابن الأبّار، أبوعبد الله محمد بن عبد الله

(595 هـ/1199 م - 658 هـ/ 1260 م)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي، الشهير بابن الأبار. ويذهب إبراهيم الأبياري في تقديمه للمقتضب أن هذه الكنية خاصة به، وليس بأبيه الذي ترجم له في التكملة دون الإشارة إلى هذه الصفة، وذلك لكونه كان معروفا بالهجاء اللاذع. وهو خطأ، لأنه لقب أصل أجداده، وكان يُوقّع به بعض رسائله.

وهو مؤرّخ، ومحدث، ولغوي، وأديب، وشاعر. ولد ببلنسية بشرق الأندلس في ربيع الثاني سنة 595 هـ/فيفري 1199 م، وتوفّي في 20 محرّم 658 هـ/جانفي 1260 م بمدينة تونس. انحدر من أسرة القضاعيين العربية، الذين استقرّوا في البداية بأنذة بالأندلس. نشأ ببلنسية ودرس فيها، كما تنقل بين المدن الأندلسية، لنفس الغرض.

تعلّم على أبيه الذي كان من أهل العلم، وقد أولاه عناية فائقة، واستجاز له العلماء، وهو في سن الطفولة. وأخذ من عدد من مشايخ بلده، ذكرهم في المعجم، أهمّهم : أبو عبد الله محمد بن أيوب بن نوح الغافقي (ت608 هـ/ 1212 م)، فقيه مشاور، أخذ عنه القراءات؛ وأبو جعفر أحمد بن علي الحصار الداني البلنسي (609 هـ/ 1213 م)، مقرىء ضعّفه ابن الأبار؛ وأبو الخطاب أحمد بن محمد بن عمر القيسي البلنسي، ابن واجب (ت 614 هـ/ 1217 م)، ولي قضاء بلنسية وشاطبة، برع في العلوم النقلية، أخذ عنه الحديث والتاريخ؛ وأبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن خيرة البلنسي (ت 604 هـ/ 1208 م)، محدث وفقيه، تولّى الخطابة؛ وأبو سليمان داود بن حوط الله الأنصاري (ت 621 هـ)، محدث تولّى قضاء مالقة؛ وأبو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سعادة الأنصاري (ت 610 هـ/ 1213 م)، كان مجوّدا للقراءات.

وكانت لابن الأبار مكاتبات مع علماء أندلسيين ومغاربة ومشارقة أخذ عنهم القراءة إجازة. منهم الفقيه أبو عمرو هارون بن عات (ت 609 هـ)، وأبو عبد الله بن عبد الرحمان التجيبي نزيل تلمسان (ت 610 هـ)، وأبو البركات عبد القوي بن حباب المصري (ت 621 هـ/ 1225 م).

لازم المحدث أبا الربيع بن سالم بن موسى ابن حسان الحميدي الكلاعي (624 هـ/ 1227 م) نحو عشرين سنة ببلنسية، وروى عنه عديد الأخبار الخاصة بتراجم العلماء والأدباء. وأفرد له ترجمة في التكملة [ج 2، ص 708-709]، ورد فيها : «كان إمامًا في صناعة الحديث بصيرا به حافظًا حافلا عارفًا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء

الرجال.. وإليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه. وأخذت عنه كثيرا، وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع وحضّني على هذا التاريخ (أي التكملة) وأمدني من تقييداته وطُرفه بما شحنته به.

تولّى خطة الكتابة ببلده بلنسية، في عهد أبي عبد الله حفص بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن (620 هـ/ 1223م) الذي عينه الخليفة الناصر واليا على بلنسية سنة 607 هـ/ 1210م ثم ابنه أبو زيد حسبما ورد في «أزهار الرياض»، وذلك قبل سنة 626 هـ/ 1228 م، تاريخ احتماء أبي زيد بملك الأرقون جاقم الأوّل ولجوئه إليه، هربًا من أبي جميل زيان بن مدافع بن مردنيش الذي سيطر على المدينة.

وبعد أن عيّن على قضاء دانية سنة 633 هـ/ 1235 م، عاد من جديد إلى بلنسية، فألحقه ابن مردنيش بحكومته. وإبان محاصرة ملك الأرقون لبلنسية في شهر رمضان 635 هـ/ أفريل 1238 م، أرسل ابن الأبار على رأس وفد إلى مدينة تونس مستنجدا بأبي زكريا الحفصي. وفي 4 محرّم 636 هـ/ 17 أوت 1238 م ألقى أمامه قصيدته السينية الذائعة الصيت ومطلعها:

أدرك بخيلك خيلَ الله أندلسا
إن السبيلَ إلى منجاتها درسا

مستغيثا به لتخليص بلنسية من الحصار. فأرسل زكريا الدعم إلى الأندلس، لكن بلنسية كانت قد سقطت في يد القطلان، وغادرها ابن مردنيش. وتبعه ابن الأبار قاصدا بجاية، وذلك بعد تسليم المدينة.

عاش ابن الأبّار المرحلة الثانية من حياته بإفريقية، إذ استدعاه السلطان أبو زكريا الحفصي من بجاية إلى مدينة تونس، وولاه الكتابة. لكن متاعب ابن الأبّار لم تنته عند هذا الحدّ، إذ بدأت محنته مع السلطان الذي عزله لوشاية ما، وعيّن بدلا منه أبا العباس الغساني الذي كتب العلامة بالخط المشرقي مما أدّى إلى سخط ابن الأبّار، وتصرّفه بأنفة. وهو ما أغضب السلطان الذي أمره بملازمة منزله، فألّف كتاب «إعتاب الكتاب» وأهداه إياه، فغفر له زلّته وأعاده إلى منصبه. وظلّت حظوته كبيرة لدى المستنصر الذي خلف أباه بعد وفاته، إذ سماه خَبر قضاعة، حسبما ذكر ذلك التجاني [رحلة، ص376]. فكان أبو عبد الله محمد يحضر مجالسه ويقوم بدور سياسي هام. وقد عرف باعتداده بنفسه وطموحه، وبسرعة غضبه وتبرّمه كذلك في زمن الهجرة عن الأوطان والغربة. وهو ما جعله عرضة للدسائس في بلاط شهد تنافسا بين الأندلسيين وشيوخ الموحّدين، فاتّهم بهجائه للسلطان وبقوله :

طغا بتونس خَلْفٌ
سمُّوه ظلمًا خليفَهْ

ويذكر المقري في نفحه أنّ تأليف ابن الأبار لكتاب التاريخ هو الذي أدّى إلى سخط السلطان عليه.

ومهما يكن من أمر، فقد كان هذا العالم ضحية حرية فكره وطموحه السياسي من جهة واستبداد السلطان من جهة ثانية. وانتهت حياته بمقتله، رميا بالرماح في شهر المحرّم (658 هـ/ 1260م)، وبحرق مصنّفاته.

وعنه قال ابن عبد الملك المراكشي [الذيل والتكملة، ج 6، ص 258]، كان آخر رجال الأندلس براعة وإتقانا وتوسّعا في المعارف وافتنانا، محدثا مكثرا، ضابطًا عدلا ثقة، ناقدا يقظا، ذاكرا للتواريخ على تباين أغراضها، مستبحرا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا، كاتبا بليغا، شاعرا مفلقا مجيدا، عني بالتأليف، وبخت فيه.

إنّ المصادر القديمة التي نسبت إلى ابن الأبّار ديوان شعر، قليلة، بل كان يعتقد أنه شاعر مُقِلٌّ. لكن عبد الواحد بن الطراح وهو من تلامذة حازم القرطاجني قد ذكر في «سبك المقال في فك العقال» أنّ له ديوانا ضخما رآه بنفسه [نقلا عن الهرّاس، مقدمة ديوان ابن الأبار، ص 22].

ويبدو أن ديوانه هذا قد ضاع، فلم يظفر منه إلاّ بنسخة يتيمة في الخزانة الملكية بالمغرب، حققها د. عبد السلام الهرّاس ضمن ملحق شهادة الدكتورا (من كلية الأدب والفلسفة بجامعة مدريد 1966).

رتبت قصائد الديوان (204 قصائد ومقطوعات إضافة إلى 41 قصيدة لم ترد في نسخة الديوان) على حروف الهجاء بترتيبها المغربي. وطغى على قصائد ابن الأبار غرض المديح المفرد أو الممزوج بالاستنجاد والاستعطاف، وكانت بقية الأغراض كالغزل، والهجاء، والرثاء (الأشخاص والبلاد) قليلة بالنسبة إليه.

ويتّسم شعره في عمومه بطول النفس، إذ نجد في ديوانه مطولات من مائة بيت كالتي قيلت في رثاء أبي الربيع أستاذه (ص 275-284)، وبجزالة اللفظ وطرافة الصورة والقدرة على توليد المعاني العامة من المناسبات المخصوصة، والبراعة في ربط بعضها ببعض والبحث عن المحسنات من غير ما تفريط في المعاني.

أما المعاني المركزية فلقد دارت حول شحذ الهمم للذود عن أراضي الإسلام، أو حول البكاء على أمجاد الأندلس الضائعة أو تقريض أهلها وطبعها وطبيعتها. يمكن القول إن ابن الأبار كان من طائفة من شعراء الأندلس الذين لم يستطيعوا - بعدما غادروها - أن ينسوا مجدهم الضائع فمضوا يركبون واقعهم المفقود على واقعهم الجديد دون جدوى.

آثاره

لابن الأبار كتب كثيرة تقرب من الأربعين ضاع أغلبها بعد نكبته وحريق كتبه، ولم يسلم منها إلاّ نزر قليل.

1 - كتاب التكملة لكتاب الصلة، ألفه استتماما لصلة ابن بشكوال (ت 578 هـ/ 1183م)، الذي كان بدوره تكملة لكتاب «العلماء ورواة العلم بالأندلس» لابن الفرضي (ت 401 هـ/ 1013م). وهو تواصل لتأليف كتب التراجم والطبقات بالأندلس. وقد حضّه على ذلك شيخه أبو الربيع بن سالم الكلاعي، وأمدّه بوثائقه وتقييداته الشخصية. فشرع في كتابته ببلنسية ابتداء من أول المحرم 631 هـ/ 1233م، رغبة في إنقاذ التراث الأندلسي الذي بدأ في التلاشي على إثر جلاء المسلمين منها، فألفه على حد تعبيره، امتعاضا للجزيرة وارتماضا من كوارثها المبيرة. وانتهى منه بمدينة تونس سنة 646هـ، حسبما ورد في مقدمة التكملة. أما عن المنهج المتبع في تأليفه، فقد قال : «لم أقتصر به على الابتداء

من حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوزته وابن الفرضي. أتولّى التقصي وأتوخى الكمال».

ترجم فيه لأكثر من 3000 علم، حسب الترتيب الأبجدي، وذكر عددا كبيرا من مصنّفاتهم، ومن أسماء المواقع والبلدان، طبع طبعات عديدة غير كاملة، أهمّها : تح. كوديرا F. Codera وزيدان، مجريط 1887، 2152 ترجمة و600 ملحق، مع فهارس؛ تح. الأركون M. Alarcon وبلنسيا Palencia C. A. Conzales وهو ملحق للتحقيق السابق، نشر في: Miscecelaneas de etudios y texto arabes de Madrid, 1915, pp. 147 - 690. تح. ألفريد بل A. Bel ومحمد بن شنب، اعتمادا على مخطوط الرباط، الجزائر 1920، مع فهارس الأعلام والمواقع؛ وتح. عبد العطار الحسيني، اعتمادا على مخطوط القاهرة، جزءان، وقد تضمن 2188 ترجمة لكنه بدون فهارس، بغداد 1956؛ تح. إبراهيم الأبياري، الجزء الأول، 501 ترجمة، القاهرة، بيروت، 1990؛ وتح. عبد السلام هراس، جزءان، فاس 1998 2 - الحلة السيراء، ترجم فيه لأعلام المغرب والأندلس الذين قرضوا الشعر، وعاشوا بين القرنين الأول والسابع هجري، وتضمن مادة تاريخية غزيرة. نشر منها ميللر Miller قسما في المجلّة الآسيوية، 1866، وحققها حسين مؤنس كاملة في جزأين، القاهرة، 1963 3 - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ويعتبر تكملة لمعجم عياض (ت 544 هـ) الذي جمع فيه شيوخ الصدفي السرقسطي (ت 514 هـ)، تعرض فيه ابن الأبّار لمن رووا عن الصدفي، نشره كوديرا Codera مع مقدّمة، مدريد 1886 4 - إعتاب الكتاب، ألّفه للسلطان أبي زكريا الحفصي، لما عزله عن الكتابة وأمره بلزوم بيته، حظي بأطروحة ثانوية، أنجزها صالح الأشتر بالسربون، سنة 1953، ونشرها بدمشق سنة 1961 5 - تحفة القادم، خصصه لتراجم شعراء الأندلس، على غرار كتاب الأنموذج لابن رشيق القيرواني، وقد عارض فيه «زاد المسافر» لصفوان بن إدريس التجيبي المرسي، حسبما ورد في مقدمة الكتاب، اختصره أبو اسحاق البلفيقي، القرن الثامن هجري، في «المقتضب من كتاب تحفة القادم»، وهو الكتاب الذي وصلنا، نشره ألفريد البستاني في مجلّة الشروق، السنة 41، يوليو - سبتمبر 1947، ثم إبراهيم الأبياري، القاهرة 1957 6 - درر السمط في أخبار السبط، يعتبر من بين مصنفات أدب بكاء آل البيت، دون أن تخرج من الإطار السني، الذي عرف به ابن الأبّار في بقيّة كتبه [الحلة السيراء، ج 1، ص 285؛ رسائله في نفح الطيب، ج 4، ص 498]، وبالتالي، فإن ذلك لا يعني تشيّعه، وإن كتب «درر السمط» تمجيدا لآل البيت الذين تعرّضوا لمصاعب في العهد الأموي، فإنه لم يتضمّن آراء شيعية، إذ ظلّ محافظا على عقيدته السنية، وكان على سبيل المثال يقرّ بخلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، دون اعتبار الحسن بن علي خليفة، وقد تماهى هذا الأدب البكائي مع مأساة الأندلس ومأساته الشخصية التي أدت به إلى الهجرة عن الأوطان 7 - مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة

ملقى السبيل للمعري، نشره صلاح الدين المنجد، ضمن مجموع : رسائل ونصوص 8 - الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة 9 - ديوان شعر، ذكره محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، وقال عنه ابن الطواح : له ديوان شعر ضخم وقد طالعته وهو قليل بأيدي الناس، تح. د. عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، تونس 1985 10 - قطع الرياض، تقييد فيه أشعار، ألفه إلى جانب الحلة السيراء، ذكره المقري في نفح الطيب، في ترجمته، ج 2، ص 589 بقوله : له كتاب في متخيّر الأشعار سماه قطع الرياض 11 - معدن اللجين في مراثي الحسين، ذكره ابن الأبّار في التكملة، ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر، وقال عنه الغبريني : ولو لم يكن له من التآليف إلا كتابه المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلوّ منصبه وسمو مرتبته 12 - المعجم في أصحاب ابن عربي، ذكره في التكملة، ترجمة عبد الله بن محمد بن سارة 13 - هداية المعترف في المؤتلف والمختلف، ذكره المقري في نفحه، نفس الإحالة السابقة 14 - المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل، ذكره المراكشي في الذيل والتكملة، ترجمة ابن الأبّار 15 - الأربعون حديثا من أربعين شيخًا، ورد ذكره في الذيل والتكملة 16 - إيماض البرق في أدباء الشرق، ذكره المؤلف في الحلة السيراء، ينظر فهرس أسماء الكتب، وابن شاكر الكتبي في ترجمته له 17 - المآخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح، أشار إليه ابن الأبّار في المعجم، ترجمة محمد بن عبد الرحيم الصدفي 18 - إفادة الوفادة في ذكر الوافدين على الأندلس، ورد ذكره في نفح الطيب، في سياق الحديث عن الرقيق القيرواني 19 - كتاب التاريخ، قال المقري في نفح الطيب، في ترجمته، إنه قتل بسبب تأليفه لهذا المصنّف.

المصادر والمراجع

● ابن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تح. محمد مسعود جبران، بيروت 1995، ص 186-187 ● الغبريني، أبو العباس، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. عادل نويهض، بيروت 1979، ص 309-313 ● ابن عذاري، البيان المغرب، تح. الكتاني وزنيبر وابن تاويت وزمامة، الدار البيضاء، 1985، ج 3، ص 233 ● ابن خلدون، تاريخ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ج 6، ص 601، 652، 655 ● التجاني، رحلة، ليبيا - تونس، 1981، ص 376 ● المراكشي، الذيل والتكملة، تح. إحسان عباس، بيروت، د. ت، ج 6، ص 258 ● ابن سعيد، أبو الحسن علي، القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح. إبراهيم الأبياري، بيروت 1980، ص 191 ● الزركشي، تاريخ الدولتين، تونس 1998، ص 62، 75-76 ● المقري، نفح الطيب، دار صادر بيروت، ج 2، ص 589، ترجمة عدد 218 ● م.ن وأزهار الرياض، تح. ابن تاويت وسعيد اعراب، الرباط، د. ت، ج 3، ص 216-221 ● ابن أبي زرع، الأنيس

المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب ومدينة فاس، الرباط 1972، ص 263 ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، د. ت، ج 5، ص 295 ● ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، دار صادر، بيروت، 1968، ج 3، ص 404، ترجمة 471 ● عبد المجيد، عبد العزيز، ابن الأبّار، حياته وكتبه، تطوان 1951 ● فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج 6، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص210-217 ● الزركلي، الأعلام، ط 14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ج 6، ص 233.

● C. Brockelmann, G. A. L., I, 340-1, S I, 580-1; ● M. Ben Cheneb, Ibn Abbar, E. I., II, P.374 - 5; ● R. Brunchig, La Berbérie Orientale sous les Hafsides, Paris 1942, T I et II, index; ● M. Meouk, La Takmila d'Ibn al-Abbar, notes et observations à propos de ses éditions, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, No 40, 1985, pp. 143-146; ● Ibn al-Abbar, Politic i escriptor arab valencia, Actes del congres international, Ibn al-Abbar i el seu temps, Onda, Valencia 1990.

د. محمد حسن
جامعة تونس
د. توفيق قريرة
جامعة منوبة - تونس

ابن إباض، عبد الله بن تميم بن ثعلبة

(..... هـ/..... م - ..... هـ/ ..... م)

عبدالله بن تميم بن ثعلبة، من بني مرة بني عبيد، رهط الأحنف بن قيس، آل مقاعس التميمي [ابن حزم، جمهرة، 1948، ص 207؛ الحارثي، عقود، 1983 ص 121]، وتميم إحدى قبائل مضر الرئيسية.

لا يعرف شيء عن تاريخ ولادته ولا عن حياته الأولى إلاّ أنّ امحمّد اطفيّش يذكر ان عبد اللّه بن إباض انتقل من نجد موطن قبيلته إلى البصرة [الرسالة الشافية، 1299هـ، ص49]. تجمع كلّ المصادر الإباضية وغير الإباضية على أنّه من طبقة التابعين الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة.

كما تجمع كلّها، باستثناء الملطي [التنبيه، 1968، ص52] على أنّه تنسب إليه الإباضية مع اختلاف بيّن تمثّل في أنّ المصادر غير

الإباضية تعتبر الإباضية فرقة من أهمّ فرق الخوارج، بينما تلحّ المصادر الإباضية على أنّهم من الخارجية براء.

وقبل الخوض في أدلّتهم على ذلك يحسن أن نشير إلى أنّ هذه النسبة ليست قياسيّة، ذاك أنّها نسبة إلى الأب لأنّه أكثر شهرة كما هي الحال في علم الأنساب عن العرب [المبرد، الكامل، 3/ 1051، 1054] وفي ذلك يقول الدّرجيني : «فإليه النسبة اليوم في العقائد، معدولا بها عن اسم الولد إلى اسم الوالد، طلبا للتخفيف واختصاص الأشهر» [طبقات، 2/ 214].

مع العلم أنّ هذه التسمية بالإباضيّة لم ترد في المصادر الإباضية الأولى وإنما كانوا يتّسمون بـ«جماعة المسلمين» أو «أهل الدعوة» أو «أهل الاستقامة». ويؤكد النّامي على أنّ هذه التسمية بالإباضيّة ظهرت لأوّل مرّة عند عمروس بن فتح (280 هـ - 893 م) [الدّينونة الصافية، خ. البارونية، ص4]، وقد استقرّت التسمية بعد ذلك وقبلها أهل العلم وعامّة أتباع المذهب لأنّهم يعتبرون أنّ عبد اللّه بن إباض علم من أعلامهم وإمام من أئمّتهم، الأوّل الذي كان ينافح عن مبادئهم إلى جانب الإمام المرسي لأسس المذهب عندهم بدون منازع الإمام جابر بن زيد (93هـ - 711م)، وسنبيّن العلاقة بين هذين الإمامين مع إثبات الأدلّة على نفي الخارجية عن هذه الفرقة.

يعتبر الإباضيّة أنّ الخارجيّة لقب سلّطه الأمويّون على هذه الطائفة من النّاس قصد تبرير محاربتهم لهم، وهو يعني المروق من الدين استنادا إلى أحاديث مشهورة في كتب الفرق. والأصل أن تعرف كلّ طائفة بما اختارته لنفسها من التّسميات، وهؤلاء الناس اختاروا لأنفسهم تسمية «المحكّمة» لقولهم «لا حكم إلاّ للّه» على أنّها ليست كلمة حقّ أريد بها باطل، وإنّما هي كلمة حقّ أريد بها حقّ، كما أنهم يتّسمون بـ «جماعة المسلمين»، ولم يرفضوا تسميته بأهل حروراء وبأهل النّهروان [الجعبيري، البعد 1987، ص 31، 46؛ وعوامل نشأة الفرق، 2000، كامل الكتاب].

فالإباضية يعتبرون أنّهم ينتمون إلى كتلة الإمام عبد اللّه بن وهب الراسبيّ (38هـ - 658م) الذي قتل في معركة النهروان فخلفه أبو بلال مرداس بن حيدر (61 هـ - 680م) إلى أن قتل غدرا مع أصحابه في معركة توج [المبرد، الكامل، 2/ 187] بقيادة عبّاد بن علقمة المازنيّ من قبل عبيد اللّه بن زياد (67هـ - 687م).

والحقيقة أنّه لا غرابة في أن تكون هذه المرحلة شحيحة بالمعلومات، ذلك أنّ المحكّمة بعد هزيمة النّهروان كانوا يسلكون مسلك الكتمان الذي يقوم على السريّة المطلقة مع تعمية كلّ الأخبار. فلم نعثر على أيّ خبر يفيد مشاركة عبد اللّه بن إباض في معركتي صفّين والنهروان. لكن قد ورد ذكره في المرحلة اللاّحقة في الأخبار التالية:

وجاء في سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصيّ [من فقهاء عمان، 3/ 9]: «فكانت سيرة المسلمين (المحكّمة) بعد أهل النّهروان واحدة وكلمتهم جامعة، غير أنّهم كانوا مقهورين في دارِ تقيّة بين ظهراني الجبابرة، إلاّ من وجد منهم روح الجهاد فنهض إليه

حتّى يستشهد رحمهم الله، فخرج أهل النّخيلة، ثمّ قريب وزحاف، ثمّ المرداس، وغيرهم من الخوارج المسلمين على العدل، حتّى خرج نافع بن الأزرق عدوّ الله فدعا إلى دعوة لم يقل بها أحد قبله. ثمّ إنّه خالف سيرة المسلمين، فانتحل الهجرة، وأضاف الشرك إلى أهل القبلة، واستحلّ السبي والغنيمة، فبرىء منه المسلمون. وقام نجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفّار فدعوا إلى مثل ما دعا إليه نافع، غير أنّهما خالفاه في أمور أخرى... فخالفهم عبد الله بن إباض إمام المسلمين رحمه الله هو والمسلمون وبرئوا منهم ودعوا إلى دعوة المسلمين» [السير والجوابات، عمان. د. ت. 2/ 307-303 و314].

يذكر الطبريّ أنّ عبد الله بن إباض اشترك مع رؤوس المحكمة في الدفاع عن الكعبة المشرّفة إلى جانب عبد الله بن الزّبير ضدّ الجيش الأموي عام 63هـ - 682م (5/ 653).

جاء في «أنساب الأشراف» للبلاذري (269هـ -833 م) : «قال أبو عبيدة معمّر بن المثنى: كان في سجن عبيد الله بن زياد نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفيّ وعبد الله بن إباض وعبيد بن هلال العنزيّ... وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير، وهم لا يرون نصره ولكنّهم احتسبوا في جهاد أهل الشام. ثم انهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم، فيقال إنه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون» [1938، ج3، ق2، ص 101-102].

يذكر البغطوري [6/ 12] ما يلي : «وذلك أنّ المسلمين (يعني المحكّمة) بعد قتل أبي بلال اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج، وفيهم عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق ووجوه المسلين، فلمّا جنّ اللّيل سمع عبد الله دويّ القرّاء وترنين المؤذنين وحنين المسبّحين فقال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج معهم، فخرج وكتم أمره» [سير، خ، ص 3؛ برّادي، جواهر، 1885، ص 155].

وجاء في كتاب الطّبقات للدّرجيني (670هـ-1271م) ما يلي : «كان عبد الله بن إباض إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لمّا وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبيّن لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف...» (2/ 214).

يورد الرقيشي [10/ 16] : «فقد بلغنا أنّ أبا بلال وغيره من أئمّة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلاّ بأمر إمامهم في دينهم جابر بن زيد العمّاني، رحمه الله، ومشورته ويحبون ستره عن الحرب، لئلاّ تموت دعوتهم، ويكون ردءًا لهم» [مصباح الظلام، ورقة 20، خ، القاهرة، دار الكتب].

يذكر الشماخي (928هـ- 1522م): «أنّ عبد الله بن إباض يصدر في أفعاله وأقواله عن جابر بن زيد» [سير، 77].

يتّضح من هذه الأخبار أنّ عبد الله بن إباض رأس من رؤوس المحكّمة إلى جانب أبي بلال مرداس بن حيدر، وأنّهم لم يكونوا يخرجون إلاّ بأمر إمامهم في دينهم جابر بن زيد العماني ومشورته، ويحبّون ستره عن الحرب».

فإمام الجميع حينئذ في الدين على المطلق هو جابر بن زيد في مرحلة الكتمان تلك التي كان يعيشها المسلمون (المحكّمة): «فكانت سيرة المسلمين (المحكّمة) بعد أهل النّهروان واحدة وكلمتهم جامعة، غير أنّهم كانوا مقهورين في دار تقيّة بين ظهراني الجبابرة».

وإن لم تذكر المصادر مشاركة الإمام جابر بن زيد في صفّين والنّهروان فإنّها تذكر أنّه كان قد أتى عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها مع أبي بلال واستتاباها عن موقفها مع طلحة والزبير في معركة الجمل فتابت [الدرجيني، 2/ 206].

وفعلا فقد ظلّ الإمام جابر بن زيد يرسي أسس مسالك المسلمين عقديّا وسياسيا وشرعيّا وظلّ الكلّ لا يتحرّكون إلاّ بمشورته، وطبيعي والحال هذه أن تبرز عناصر على الواجهة العلنيّة تجاه الأحداث الكبرى في دولة بني أميّة.

ومن ذلك بروز عروة بن أدية (58 هـ/ 678م)، وهو أوّل من قال: لا حكم إلاّ للّه، فجيء به إلى زياد بن أبيه، فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، وسأله عن عثمان وعلي فأثنى على عثمان في ستّ سنين وشهد عليه بالكفر (كفر نعمة لا كفر شرك) في البقيّة، وأثنى على علي إلى يوم التحكيم ثم كفره، فسأله عن نفسه فأغلظ له فأبقى عليه إلى أن كانت أيام عبيد الله بن زياد (67هـ ـ 686م) فقتله [الدرجيني، طبقات، 2/ 214-225].

ومن ذلك خروج أبي بلال مرداس بن حيدر (61هـ ـ 680م) وهو أخو عروة، شاريا: «إلاّ من وجد منهم روح الجهاد فنهض إليه حتّى يستشهد رحمهم الله، فخرج أهل النخيلة... ثم المرداس...». وقد أذاع في الناس أنّه لم يخرج ليفسد في الأرض ولا ليروع أحدا، ولكن هربا من الظلم، وأنّه لا يقاتل إلاّ من يقاتله، فوجّه إليهم عبيد الله بن زياد جيشا كبيرا فهزموه في آسك، فوجه إليهم جيشا ثانيا بقيادة عباد بن علقمة المازني فقتلهم غدرا بعد أن تواعدوا لأداء الصلاة [الدرجيني، طبقات، 2/ 214، 225].

ثمّ بعد ذلك استقرّ الرأي بالإجماع على ضرورة الدفاع عن بيت الله الحرام «فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره، ولكنّهم احتسبوا في جهاد أهل الشام» وكان ذلك سنة 63هـ ـ 682م.

والملاحظ أن جميع المصادر الإباضية وغير الإباضية تتفق على مشاركة عبد الله بن إباض في هذا الحدث إلى جانب بقية رؤوس المحكّمة، مما يؤكد أنّه كان له دور قيادي بدون منازع. ولا نغفل هنا عن التذكير بأنّه «يصدر في أفعاله وأقواله عن الإمام جابر بن زيد».

وفعلا عندما انسحب الجيش الشامي عقب موت يزيد بن معاوية حاول ابن إباض ومن معه من المحكّمة إقناع ابن الزّبير بوجهة نظرهم، ووعدوه بالنصرة والمساعدة إن وافقهم، لكنّه أبى إلاّ أن يبقى على عثمانيّته فتخلّوا عنه.

وما إن رجعوا من الحجاز إلى البصرة حتّى التقطهم ابن زياد وسجنهم «كان في سجن عبيد الله بن زياد نافع بن الأزرق... وعبد الله بن إباض...» إلى أن وثب النّاس بابن زياد فكسّر الخوارج أبواب السجون [الطبري، 5/ 566].

وإثر فرارهم من السّجن تتّفق المصادر على تفرّق كلمة المحكّمة إلى تيارين: تيّار دعا إلى العنف المطلق على رأسه نافع بن الأزرق، وفريق دعا إلى الاستمرار على التقيّة والتّخطيط للمستقبل وعلى رأسهم عبد الله بن إباض، وكان ذلك في اجتماع البصرة سنة 64هـ ـ 683م «فقال (عبد الله بن إباض) لأصحابه: أعن هولاء أخرج معهم فخرج وكتم أمره».

إنّها لحظة ميلاد جماعة «أهل الدّعوة» أو «أهل الاستقامة»، هذه الفرقة التي عرفت بعد ذلك بالإباضيّة نسبة إلى عبد الله بن إباض لأنّه أوّل من دعا إلى الاستمرار على مسلك الكتمان والاعتدال، مسلك المحكّمة الأول إثر معركة النّهروان معتبرا أنّ استعمال العنف خروج عن الأصل.

وفعلا سلك عبد الله بن إباض بمشورة الإمام جابر بن زيد مع من انضمّ إليهم من التيميّين والأزديّين وغيرهم مسلك القعود، وانطلقوا يخطّطون في الكتمان المطلق للمرحلة اللاّحقة، وقد أنيطت عهدة الإعلان عن آراء هذه الجماعة لابن إباض عند الحاجة إلى ذلك. وعلى هذا الأساس كانت المكاتبات بين ابن الأزرق وابن إباض كما جاء عند الطبريّ: «فكتب ابن الأزرق لهما كتابا فردّ عليه ابن إباض: قد كذب فيما يقول، إنّ القوم كفّار بالنِعَمْ، وهم براء من الشّرك، ولا تحلّ لنا دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام، فقال ابن صفّار: بريء الله منك، فقد قصرت، وبريء الله من ابن الأزرق فقد غلا، وقال الآخر (عبد الله بن إباض): «فبريء الله منك ومنه. وتفرّق القوم.. [تاريخ، 5/ 566، 568].

وهكذا كان لا بدّ لهذه الجماعة التي يقودها الإمام جابر بن زيد من رجل منها ينافح عنها علنا فلم تجد أفضل من عبد الله بن إباض التميميّ - ولقبيلته وزن لا يستهان به في البصرة - وذلك حتّى تتمكّن السلطة القائمة من التمييز بين خوارج الجور وتطرّفهم وبين القعدة واعتدالهم.

وفي هذا الإطار تندرج المراسلات بين عبد الله بن إباض وعبد الملك بن مروان هذه التي سكتت عنها المصادر غير الإباضيّة وأقرّتها النّصوص الإباضيّة خلفا عن سلف، وهي وثيقة هامّة كشفت عن موقف الإباضيّة من أحداث صدر الإسلام من موت الرسول عليه السّلام إلى فترة عبد الملك بن مروان (86هـ ـ 705م).

ومنها قوله: «إنّا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه. لقد كان حين خرج على الإسلام في ما ظهر لنا، ولكنّه أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه، فنبرأ إلى الله منهم» [البرّادي، جواهر، 165].

هكذا تختفي أخبار عبد الله بن إباض في خلافة عبد الملك ابن مروان، وقد أخطأ الحميري في ما ذكره عن رجوع ابن إباض إلى الاعتزال [الحور العين، 1985، ص227-229].

كما خلط كلّ من الشهرستاني [الملل، 1977، ص 137-140] والرازي [اعتقادات، 1987، ص 64] بين عبد الله بن يحيى طالب الحقّ، وعبد الله بن إباض، والصحيح الذي لا مراء فيه باتفاق جميع

المصادر أنّ الذي ثار على مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة هو عبد الله بن يحيى الكنديّ طالب الحقّ وليس عبد الله بن إباض.

ولا سبيل إلى قبول رواية ابن حوقل التي تشير إلى أنّ ابن إباض وعبد الله بن وهب الراسبي ارتحلا إلى جبل نفوسة وماتا هناك [صورة الأرض، ص 43].

■ المصادر والمراجع

● معجم أعلام الإباضية بالمغرب، دار الغرب الإسلاميّ، 1999، ج 2/ 263 وقد ذكر جميع المصادر والمراجع ● محمد حسن النابودة، عبد الله بن إباض ونشأة المذهب الإباضيّ ● دراسات تاريخيّة، مجلّة علميّة محكمة، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، السنة 14 العددان 45-46، آذار - حزيران 1993، ص 29-50 ● دائرة المعارف الإسلامية الكبرى بإشراف كاظم الموسوي البجنوردي، مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران، 1316/ 1995، م2، ص 14-35.

د. فرحات الجعبيري
الجامعة التونسية

■ أباظة، عزيز بن محمد بن عثمان

(1317 هـ / 1899 م - 1393 هـ / 1973م) ■ ■ ■

ولد عزيز بن محمد بن عثمان أباظة في 13 أغسطس سنة 1899م في الزقازيق بمصر، وهو من أسرة عريقة، تقلّد أبوه وأعمامه مناصب عالية، ونشأ في بيئة أدبية فنمت موهبته الشعرية، وتلقّى دراسته الابتدائية في القاهرة، فالتقى بعدد من أعلام الأدب والشعر، أمثال محمد السباعي، وحافظ إبراهيم، وعبد العزيز البشري، وإمام العبد، ومحمد صادق عنبر، وكان يقضي إجازة الصيف في قراءة كتب الأدب، فقرأ كتب الجاحظ، والأغاني، وحماسة أبي تمام، كما قرأ في هذه الفترة ديوان البحتري، وعددا وافرا من كتب اللغة والنحو والتراث العربي. وقال عن نفسه إنه حاول أن يقرض الشعر وهو في السنة الثانية، أهداه والده قاربًا صغيرا فقال هذين البيتين:

إنّي لأكرم والدي وأعزُّه وأجلّهُ
فلقد هداني قاربًا فوق الجياد محلُّهُ

وقال له أحد أعمامه: إن لفظة «هداني»، وصحتها «أهداني»، فقال له عزيز: «إنّ الشاعر له أن يتصرّف»، واستمرّ في محاولاته الشعرية حتّى امتلك عِنانَ الشعر، واستطاع أن يقول شعرًا جيّدًا، نشر بعضه في جريدتي «السفور» و«الصاعقة».

أنهى عزيز أباظة دراسته الابتدائية فالثانوية ثمّ دخل مدرسة الحقوق، وتخرّج فيها سنة 1923م، واشتغل بالمحاماة لمدّة عامين تقريبًا، ثمّ التحق بخدمة النيابة العمومية سنة 1925م، وعمل في طنطا حتّى سنة 1928م، ثمّ انتقل في هذه السنة إلى ميّت غمر، وهناك رشح نفسه في انتخابات مجلس النواب ونجح. وانتخب فيه مرّة أخرى سنة 1930م، ثمّ عيّن في سنة 1943م مفتّشا بوزارة الداخلية، ثمّ مديرًا لتحقيق الشخصية فوكيلا لمديرية البحيرة، فوكيلا لمديرية الجيزة، إلى أن انتخب في مجلس النواب سنة 1936م، ثمّ عيّن سنتين، نقل بعدها مديرًا للمنيا ثم للقليوبية، فمديرًا مدّة سنتين أخريين، ثمّ نقل إلى بورسعيد محافظًا وحاكما عسكريا لها سنة 1942م في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك عمل مديرًا لأسيوط، واستقال من خدمة الحكومة سنة 1946م، واتّجه إلى الأعمال التجارية.

ومن الثابت عن عزيز أباظة أنه كان يضمن مسرحياته في نهايتها قائمة بالمصادر والمراجع التاريخية التي اعتمد عليها. ويعد عزيز أباظة رائد المسرحية الشعرية بعد أحمد شوقي. وقد اختير عضوا بالمجمع اللغوي، ورئيسًا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1965.

توفي الشاعر عزيز أباظة يوم الأربعاء 11-6-1393هـ/ 11-7-1973م، إثر نوبة قلبية حادة.

آثاره

1- ديوان «أنات حائرة» عام 1943م، وهو رثاء لزوجته، فلمع إثر ذلك اسمه كشاعر متميّز. ثمّ أنتج عزيز أباظة العديد من المسرحيات الشعرية وهي:

2- قيس ولبنى (1943)، وهي أولى مسرحياته وتعتمد قصّتها على أحداث قصّة العاشقَيْن كما وردت في كتاب الأغاني للأصفهاني [قيس ولبنى، ط2، دار المعارف، 1976، ط3، دار المعارف، 1977؛ ط4، دار المعارف، 1979] 3- العباسة (1947)، قدم فيها الصراعات السياسية والشخصية التي حفل بها عصر الرشيد من خلال العباسة أخت الخليفة التي قيل كذبًا أنها تزوّجت جعفر البرمكي [العباسة، تأليف عزيز أباظة، القاهرة، دار المعارف، 1695؛ وطبعة مؤسسة الخانجي، 1961] 4 الناصر (1949)، تناول فيها عصرًا من عصور الأندلس الزاهرة في عهد عبد الرحمن الناصر، لكنه ازدهار أعقبه صراع دموي بين ولديه الحكم، وعبد الله [الناصر، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1950؛ وطبعة دار المعارف 1966] 5- شجرة الدر (1950)، تناول فيها مأساة الملكة شجرة الدر بعد وفاة زوجها السلطان في أيام عصيبة خلال الغزو الصليبي لمصر[شجرة، نظم عزيز أباظة، مطبعة مصر القاهرة، 1951؛ وطبعة دار المعارف1971] 6- غروب الأندلس (1952)، تناول فيها الفساد السياسي والانحلال الخلقي وكيف يتسبّب في تقويض العروش، وقد صوّر نهاية حكم العرب في الأندلس نتيجة المصادمات الضارية بين أفراد الأسرة المالكة في غرناطة والصراع على ولاية العهد بين ابني السلطان [غروب

الأندلس، مطبعة بنك مصر 1952؛ وطبعة الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959] 7- شهريار (1955) طرح فيها معالجة جديدة لقضية شهريار، فهو يضع إلى جوار شهرزاد أختها دنيازاد التي تنازعها حب شهريار. الأولى رمز المعرفة السامية والأخرى رمز الشهوة المثيرة لتستمرّ المباراة ويخرج منها شهريار بما يشابه التصوّف الأخلاقي 8- أوراق الخريف (1957)، وهي تدور في بلاد الحيرة في العام السابع للهجرة إذ اشتدّ الصراع بين سكان الحيرة وولاة كسرى وجنده بعد دخول الإسلام. ويتصدّى أهل الحيرة لجيش رستم، الذي جاء لقمع الفتنة، ويرفض الوثنيون الاعتداء على المسلمين لأنّ الرابطة القومية أقوى من رابطة الدين، وهي الفكرة المحورية في المسرحية دون أن تلتزم معالجة الكاتب بالأحداث التاريخية كما فعل في مسرحياته السابقة 9- قيصر (1963)، قدم فيها عزيز أباظة لحظة حاسمة من التاريخ الروماني، استمدّ أحداثها من روايات بلوتارك لتاريخ يوليوس قيصر، ومحور الصراع بروتس النبيل الذي كان في الحقيقة ابنًا غير شرعي لقيصر، وحين يكتشف بروتس بنوته لقيصر يثور في نفسه صراع بين عاطفة البنوّة والإيمان بالجمهورية [قيصر، تأليف عزيز أباظة، مطبعة مصر، د. ت] 10- زهرة (1968)، وهي آخر مسرحياته، استوحى فكرتها من موضوع فيدرا الإغريقية وجعلها في ثوب معاصر [زهرة، مسرحية شعرية، دار الكتاب العربي 1968] 11- تسابيح قلب، دار الكتاب اللبناني 1974 12- مسرح الشعر، دار الكتاب اللبناني 1969، جزءان في مجلّدين يشتملان على مجموعة من المسحيات الشعرية لعزيز أباظة 13- ديوان عزيز أباظة، القاهرة، دار الكتاب المصري 1978، يشتمل على: «من الشرق والغرب، تسابيح قلب، في موكب الحياة، في موكب الخالدين». وقد جمعه صديقه الأستاذ أنور أحمد، وقدم له، ونشره بعد وفاة الشاعر 14- من إشراقات السيرة الزكية، مكتبة مصر 1971 15- قافلة النور، الشركة العربية للطباعة والنشر 1959.

المصادر والمراجع

● إسماعيل، د. سيد علي، أثر التراث العربي في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ● موسى، فاطمة، موسوعة المسرح، الهيئة المصرية العامة للكتاب ● مندور، محمد، المسرح ● شوكت، محمود حامد، الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ● تيمور، محمود، طلائع المسرح العربي ● داغر، يوسف أسعد، معجم المسرحيات العربية والمعرّبة.

د. محمد أبو الأنوار
دار العلوم - جامعة القاهرة - مصر

أبان اللاحقي، ابن عبد الحميد بن لاحق

(..... هـ/ ..... م - 335 هـ/ 815 م)

أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر، مولى بني رقاش [الأوراق للصولي، الأغاني، ج20، ص73] من أهل البصرة. كان شاعرا أديبا عالما منطقيا، مطبوعا في الشعر أديبا مقتدرا عليه مقدما في العلم بالشعر والحفظ له، يقتضب الخطب (أي يرتجلها) ويرسل الرسائل الجياد، قدم بغداد فاتصل بالبرامكة وانقطع إليهم، وكان شاعرهم، وصاحب جوائزهم للشعراء، وهو الذي نقل كتاب كليلة ودمنة شعرا، بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة، وهي هذه المزدوجة التي في أيدي الناس، وبذلك حسن موقعه منهم.

وكان جميل الطريقة، حسن التديّن متألّها، وكان حسن السريرة حافظًا للقرآن عالما بالفقه.

ويورد الجاحظ عن أبي نواس قوله: بأن أبان ممّن تشبه بعجرد، ومطيع، ووالبة بن الحباب، وعلي بن الخليل، ولقد كان أبان وهو سكران أصح عقلا من هؤلاء وهم صحاة، ويقول إنه من الشعراء المطبوعين على الشعر من المولودين في عصره [الأغاني، مجلد 19].

وذكر الرواة بأنّ بعض الناس طعنوا في دينه، ولكن رد عليهم من يعرفه حقا بقوله إنه ما أخذ عليه شيء في دينه قط مع كثرة قراءته للقرآن وصدقه.

ويذكر آخر فيقول: «كان أبان بن عبد الحميد اللاحقي جارا لي وكان باطنه خيرا من ظاهره وكان يصلي بالليل».

رحل من البصرة إلى بغداد واتصل بالرشيد عن طريق البرامكة، واتّصل بالفضل بن يحيى بن خالد في ذلك، وهو الذي قدمه إلى الرشيد وعرفه به وعن طريقه نال جوائزه من الرشيد وصلاته وعطاياه.

وكان صديقا ودودا لجماعة من أشهر الأدباء والشعراء في عصره، من أمثال: حماد عجرد، ووالبة بن الحباب، ومطيع وغيرهم، وكانوا يتواصلون وكأنّهم نفس واحدة، وكانوا ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وعمدا.

عاش هذا الشاعر في العصر العباسي الأوّل في القرن الثالث الهجري الذي شهد التطوّر الحضاري والعلمي والمعرفي للأمة العربية حيث وصلت فيه إلى قمّة حضارتها وعلومها ومعارفها بما استفادته من ترجمة هذه العلوم والمعارف ونقلها من الفرس والرومان والهنود إلى اللغة العربية، ممّا أوجد حضارة زاهرة في كل حياة الأمة. وكان القرن الثالث الهجري هذا يمثل حشدا علميا وأدبيا كبيرا ونبغ فيه عدة شعراء وأدباء وكتاب وفنانين مغنّيين، وشهد تنوّعا كبيرا في الحياة الأدبية والفنية المزدهرة هذه، وارتبط أبان اللاحقي بهذا

العصر بكل ما فيه من آداب وفنون وحياة لاهية وصاخبة تميّزت عما قبلها كثيرا وارتبطت بالخلفاء والأمراء من بني العباس الذين كانوا يتولون سياسة الحكم وإدارة البلاد.

وممّا نقف عليه من أخبار أبان بأنه ولد في البصرة ونشأ وترعرع فيها، ثم لما قدم بغداد بعد أن اكتملت مواهبه الشعرية وعرف في مجتمع البصرة في تلك الفترة وظهرت مواهبه الشعرية، اتّصل بالبرامكة الذين كان لهم الأمر في خلافة الرشيد وهم الذين أوصلوه للخليفة الرشيد.

جاء في كتاب «أخبار الشعراء» لأبي بكر الصولي ص2:

وخرج أبان من البصرة طالبا الاتّصال بالبرامكة، وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه، فتوسّل إلى من وصل له شعرا إليه، قال له فيه:

يا غريرَ النّدى ويا جوهَر الجو
هَر من آل هاشم بالبطاحِ

إن ظني وليسَ يخلف ظني
بكَ في حاجتي سبيلَ النجاحِ

إن من دونَها المصمت باب
أنت من دون قُفْله مفتاحي

تاقت النفس يا خليل السماح
نحوَ بحْر الندى مجاري الرياحِ

ثم فكرت كيف لي ! واستخرت
الله عند الإمساء والإصباحِ

وامتدحْت الأمير أصلحه
الله بشعر مشهر الأوضاحِ

فقال: هات مديحك، فأعطاه شعرا في هذا الوزن وقافيته:

انا من بغية الأمير وكنزٌ
من كنوز الأمير ذو أرباحِ

كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديب
ناصحٌ زائد على النُّصَّاحِ

شاعر مفلق أخفُّ من الـ
ريشِ ممّا يكون عند الجناحِ

ومنها:

إن دعاني الأمير عاين منّي
شمريا كالبلبل الصياحِ

فدعا به ووصله ثم خصه بالفضل، وقدم منه فقرب من قلب يحيى بن خالد صاحب الجماعة وزمام أمرهم.

وبذلك قويت صلته بالبرامكة وانقطع إليهم وألزمه يحيى بن خالد البرمكي دارا لا يخرج منها حتّى ينقل كتاب كليلة ودمنة من الكلام إلى الشعر فنقله، ويقال إنّه مكث في ذلك ثلاثة أشهر ما كان يخرج من بيته حتّى أتمّه، فوهب له يحيى عشرة آلاف دينار، وكان يقال: إن كل كلام نقل إلى الشعر فالكلام أفصح منه، إلاّ كتاب «كليلة ودمنة» وصاغه في قصيدة مزدوجة عدد أبياتها أربعة عشر ألف بيت.

ومن أعماله الشعرية الخالدة أيضًا قصيدة «ذات الحلل» ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك. وهي

قصيدة مشهورة، وله مدائح في هارون الرشيد وفي الفضل بن يحيى بن خالد.

وله أشعار في الهجاء مع أقرانه من شعراء عصره وعبثيات مع أصدقائه كالمعذل بن غيلان، الذي كان يهجوه بالكفر وينسبه إلى الشؤم، ويهجو أبان بما اشتهرت به قبيلته عبد القيس من نواقص سلوكية وجسدية.

وله أشعار كثيرة في الحكمة ومدح البرامكة، ومن أشعاره في الحكمة قوله:

والعزمُ سيفٌ صارم
والحلمُ أوزنُ من جبَلْ

حُلوٌ وفيه مرارة
مزجًا بعدل فاعتدَلْ

فلذِي العداوة علقمٌ
ولذي الودادِ جنَى العسَلْ

لو كنت تأخذ مثل ما
تعطي أنى لك ان تسَلْ

او كان نلك من الفرا
ت لما رئي فيه بلَلْ

ولو ان مالَ القل حم
ل ما تحمل ما استقَلْ

وله أشعار في وصف الغلمان ومجالس الشرب ووصف الجواري والتغزّل بالنساء ووصف الديار والرثاء والزهد. وكانت له قصائد شعرية متبادلة بينه وبين أبي نواس في الهجاء والتغزّل بالنساء.

وقد أنكر عليه بعض الناس أنه غير متديّن بالإسلام وطعنوا في دينه كما ذكر جماعة بأنه كان كافرا فقال من يعرفه بغضب: «كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط»، وقالوا: «كان أبان ينصرف من دور البرامكة فينام، ثم ينتبه فيصلي حتى يصبح» وقال آخر:

«كان أبان بن عبد الحميد اللاّحقي جارا لي، وكان باطنه خيرا من ظاهره، وكان يصلي بالليل».

وله قصيدة في الزهد فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها قصيدته المزدوجة لكتاب «كليلة ودمنة» قال فيها:

هذا كتابُ الصوم وهو جامع
لكل ما قامت به الشرائع

من ذلك المنزل في القرآن
فضلا على من كان ذا بيان

ومنه ما جاء عن النبي
من عهده المتَّبع الرضي

صلى الإله وعليه سلما
كما هُدى الله به وعلما

وقال في قصيدة أخرى ردا على من اتّهمه بالكفر:

اشهدُ أن لا إله إلاّ
إلهنا الخالق الكبير

محمد عبده رسول
جاء بحق عليه نور

ومن قصائده المشهورة قصيدته المزدوجة التي نقل فيها كتاب «كليلة ودمنة» قال فيها:

هذا كتابُ كذِب ومحنه
وهو الذي يدعى كليلَ دِمنه

فيه دلالاتٌ وفيه رشد
وهو كتاب وضعته الهندُ

فوصفوا آدابَ كل عالم
حكاية عن ألسُن البهائم

فالحلماء يعرفون فضله
والسخفاء يشتهون هزلَه

وهو على ذاك يسير الحفظ
لذٌّ على اللسان عند اللفظ

إلى أن يقول:

والموت من مات كريمًا صابرًا
خير من العيش ذليلاً صاغرا

من كل ذلك نجد أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي قد انتفع عندما انتقل من البصرة مولده ومنشأه إلى بغداد، ثم استفاد من صلته بالبرامكة وانقطاعه إليهم مما يسر له أن يتصل بالخليفة هارون الرشيد وغيره من الأمراء في الدولة العباسية في تلك الفترة، وبذلك انقطع إلى البرامكة في مدائحه لهم وقبوله لديهم...

كذلك نجد أن صلاته الأخلاقية الوادعة الطيبة وروحه المرحة التي تحب المداعبة جعلت صلاته بأقرانه من الشعراء المعاصرين له حميمة ومتواصلة ولذلك لم نجد المداعبة إلاّ في القليل فيما كان بينه وبين أبي نواس معاصره ومنافسه لدى الخليفة هارون الرشيد ولهذه الصلات الطيبة بينه وبين معاصريه من الشعراء وغيرهم ما شهدوا له به من تديّن وتقوى وعمل صالح.

هذا وكانت له أشعار في المجون والخلاعة ووصف الغلمان والجواري وإن كانت لا ترتقي إلى وصفه بالخليع أو كغيره من بعض الشعراء الذين وصفوا بذلك في هذه الفترة.

آثاره

1- نظم كتاب «كليلة ودمنه» شعرا 2- قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة.

المصادر والمراجع

● الصولي (ت 335هـ)، أخبار الشعراء، المسمى كتاب الأوراق، عني بجمعه ج هيوارث، د. ت ● ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح. عبد الستار أحمد فرج، ط2، دار المعارف بمصر، 1968م ● القرشي، علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، ألفه أبو الفرج الأصفهاني، 284هـ- 356هـ، وتح. إبراهيم الأبياري، المجلّد التاسع عشر،دار الشعب بمصر 1389هـ/ 1970م، والجزء العشرين طبعة دار الكتب بمصر، وكذلك الجزء الثاني عشر ● تاريخ بغداد، ● عيون التواريخ، حوادث ● ابن النديم، الفهرس ● ابن رشيق القيرواني، العمدة ● الجاحظ، كتاب الحيوان، ج4، تح. وشرح عبد السلام هارون ● الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ط أولى ● الوافي بالوفيات.

د. بابكر الأمين الدرديري
جامعة الجزيرة - السودان

أبَّاهْ بن أنحوي، مُحَمَّذِنْ بن محمدي بن عبد الله

(1265هـ /1849م - 1355هـ/1936م)

أباه بن أنَحْوِي، مُحَمَّذِنْ بن محمدي بن عبد الله بن أَنَحْوِي الزينبي الشنقيطي. عالم في الفقه واللغة بلغ فيهما شأوا كبيرا. يقول المؤرخ الكبير محمد فال (ت 1349هـ - 1930م) بن بَابَ بن أحمد بيب العلوي الشنقيطي (ت 1276هـ - 1859م)، مشيرا إلى إتقان مُحَمَّذِنْ بن أنحوي لهذين العلمين [طويل] :

فحث عتاق العيس نحو ابن أنْحوي

إذا كنت تبغي متقن الفقه والنحو

وقد عرف بالزهد والورع والبحث الدائم عن العلم. وهو إلى هذا، كان صوفيا. فقد انخرط في التصوف وتربى على يد أحد أشياخ الصوفية فدخل في «الخلوة»، وهي طريقة خاصة في التدريب والرياضة الصوفية يخضع فيها المُرِيدُ لتدريب شاق يجعله ينسى الأكل والشرب والشهوات.

وبعد ذلك انخرط في الطريقة التجانية على يد أحمد بن بَدِّي (ت 1322هـ - 1904م) العلوي الشنقيطي، وأصبح من كبار تلامذته.

ولد مُحَمَّذِنْ بن أنحوي سنة 1265هـ - 1849م في منطقة الترارزة (الجنوب الغربي لموريتانيا) في أسرة معروفة بالعلم والنفوذ والهيبة السياسية.

تنقل مُحَمَّذِنْ بن أنحوي (أبَّاهْ) في محاضر المنطقة حتى اكتسب علما كبيرا. فقد التحق بالمختار بن أبيهْ الجَكَني ومكث عنده 16 سنة يدرس عليه. ودَرَسَ كذلك على أجْذُوذْ بن اكْتَوْشْنِ (ت 1289هـ - 1872م) العلوي، والمصطفى (ففا) بن أحمدْ فَالْ العلوي، ومُحَمَّذِنْ فَالْ (يحيى) بن أحمدُ فَال التَّنْدْغِي (ت 1345هـ - 1926م).

بعد ذلك التحق بأحمد بن بَدِّي (ت 1322هـ - 1904م) العلوي الشنقيطي وأخذ عنه الطريقة التجانية واستقر في قبيلة العلويين حيث نسجت بينه وبينهم علاقات ود ورحم ومصاهرة. وأصبحت أسرة آل أنحوي تتمتع بزعامة كبيرة بين العلويين..

من أهم تلامذته ابنه محمدْ (ت 1388هـ - 1968م) وهو عالم وشاعر. وابنه محمدُو (لا يزال حيا). وهو شيخ صوفية كبير، له نفوذ واسع في موريتانيا والسنغال. والشَّيْخَانِ بن محمد بن الطُّلْبة (ت 1406هـ - 1986م)، وهو عالم وشيخ صوفية وشاعر كبير، والشيخ محمد المختار بن عَمِي، وسيدي محمد بن السالك العلوي، وأحمد بن خَيَّار العلوي.

عاش مُحَمَّذِنْ بن أنحوي في ظل أوضاع سياسية واجتماعية مضطربة، تتمثل في الصراعات القبلية وانعدام الأمن بسبب غياب سلطة مركزية، بالإضافة إلى التغلغل الفرنسي في بلاد شنقيط، وما نجم عنه من صراع سياسي ومقاومة مسلحة وثقافية.

وكانت قبيلة الزينبيين التي ينتمي إليها مُحَمَّذِنْ

تتمتع بنفوذ كبير وهيبة سياسية وعسكرية بين قبائل الزوايا وبني حسان على حد سواء. ولذلك كانت حرما آمنا يحتمي به الناس من بطش الطغاة. يقول العلامة الشيخ سيديا باب (ت 1342هـ ـ 1924م) : «يكفي الزوايا من القوة ما كان عليه الزينبيون أيام مشيخة أنحوي».

غير أنّ هذه القبيلة مزّقتها الحروب الخارجيّة مع القبائل الأخرى والصراعات الداخليّة فيما بينها، فلم يبق منها سوى أسر قليلة العدد مستقرة في قبائل أخرى، ولكنها تتمتع بنفوذ سياسي واجتماعي كبير فيها. وتعد أسرة آل أنحوي المستقرة في قبيلة العلويين من أبرز ما بقي من هذه القبيلة التي يرتفع نسبها إلى عبد الله بن جعفر.

وقد أسّس مُحَمَّذِنْ نفسه هذه العلاقة الوطيدة مع العلويين عندما استقر فيهم وبنى معهم علاقات أسرية وطيدة [انظر ما سبق]. وكان لشخصيته الفذة في الحكمة والحنكة السياسية، إلى جانب علمه، دور كبير في بناء نفوذ سياسي واجتماعي لأسرته بين العلويين خاصة وفي المنطقة عامة.

المصادر والمراجع

• محمدي بن أحمد، ديوان العلامة محمد بن أنحوي جمع وتحقيق المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط 1989 • النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس 1987.

• Paul, Marty: Etude sur L'Islam Et Les Tribus Maures/ Les Brakna: Edition: Ernest Leroux, 1921.

د. محمد بن محمد عالي
جامعة نواكشوط

الأبح البغدادي، الحسن بن إبراهيم

(.... هـ / .... م - 230 هـ / 845 م)

الحسن بن إبراهيم البغدادي الشهير بالأبح، أحد العلماء البارزين الأوائل في علوم الفلك والأرصاد الجوية والرياضيات. وعلى الرغم من عدم ورود ذكر لأسماء كتب له في الرياضيات إلاّ أن كتب الفهارس والطبقات، مثل الفهرست، وهدية العارفين، والأعلام ومعجم المؤلفين اعتبرته من علماء الرياضيات، وهذا أمر منطقي لأن كلّ من اشتغل بالفلك لا بدّ أن يكون مجيدا لفنون الرياضيات. وقد ذكره ابن النديم في كتابه «الفهرست» في الفن الثاني من المقالة السابعة، وهذا الفن يحتوي على أخبار أصحاب التعليم المهندسين، والأرثماطيقيين، والموسيقيين، والحسّاب والمنجّمين، وصنّاع

الآلات وأصحاب الحيل والحركات. فقد ذكر ابن النديم علماء اليونان وبابل والهند، ثم أتبعهم بالحديث عن طبقة محدثين من المهندسين وأصحاب الحيل والأعداد وغير ذلك، فذكر منهم الأبحّ البغدادي.

ولد الأبح البغدادي ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وعاش في ظلّ الدولة العباسية وهي في أوج ازدهارها وقوّتها. في هذا العصر نقل العرب معارف الأمم الأخرى في العلوم المختلفة وترجموا كتبها إلى العربية، واستوعبوا الثقافات والعلوم الفارسية والهندية واليونانيّة.

وكان الخليفة المأمون قد قرب الفلاسفة والمتكلّمين وعلماء الرياضيات والطب والعلوم الأخرى، وجمع في (بيت الحكمة) في بغداد أمهات الكتب العربية وغير العربية مع عدد كبير من العلماء والمفكرين والمترجمين، كذلك جمع في بلاطه مشاهير الأعلام والمفكرين، والأبح البغدادي ممّن قرّبهم المأمون، فأصبحوا من جلسائه.

نشأ الأبح البغدادي في هذه البيئة العلمية حيث وجد كثيرًا من الكتب المترجمة عن علم النجوم مثل كتاب «عرض مفتاح النجوم» المنسوب إلى هرمس الحكيم (ترجم عن اليونانية في أواخر الدولة الأمويّة)، وكتاب «الأربع مقالات» لبطليموس في صناعة أحكام النجوم (ترجم إلى العربية في عهد الخليفة أبي جعغر المنصور)، وكتاب «المجسطي» لبطليموس أيضًا (ترجم عن اليونانية وكان من المراجع الأساسيّة في علم الفلك والنجوم)، وكتاب «السند هند الكبير» الذي ألّفه الفلكي والرياضي الهندي الشهير برهمكيت وترجمه من السنسكريتية إلى العربية الفلكي العربي الشهير محمد بن إبراهيم الفزاري بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور.

فالأبح البغدادي يعدّ من الجيل الثاني للفلكيين الرياضيين المسلمين بعد سهل بن نوبخت الفارسي، وماشاء اللّه بن سارية، وأبي يحيى البطريق، وعمر بن الفرّخان الطبري وغيرهم من فلكيي المنصور. وكانت آلات الرصد قد ظهرت في ذلك الوقت حيث كان الفزاري أوّل مسلم عمل اسطرلابا وألّف فيه كتابًا، وبذلك استفاد الأبحّ البغدادي من أجهزة الرصد الموجودة في عصره.

كانت هناك أيضًا مؤلفات في علم النجوم لعلماء الفلك العرب الذين سبقوا الأبحّ البغدادي واستفاد منهم مثل مؤلّفات الفزاري وأهمّها كتاب القصيدة في علم النجوم، وكتاب المقياس للزوال، وكتاب الزيج على سني العرب، وكتاب العمل بالإسطرلاب وهو ذات الحلق، وكذلك مؤلفات يعقوب بن طارق، ومنها كتاب تقطيع كردجات الجيب (في حساب المثلثات الكروية - والكردجة أصلها هندي ومعناها الوتر المستوي)، وكتاب ما ارتفع من قوس نصف النهار، وكتاب الزيج محلول من السند هند درجة درجة، وكتاب علم الفلك وكتاب علم الدول.

كان هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم بمثابة أساتذة للأبحّ البغدادي تعلّم منهم ووضع مؤلفاته بناء على ما قرأه من كتبهم.

وكان الأبحّ البغدادي معاصرًا لكثير من علماء الفلك والرياضيات والفلسفة العرب المشاهير في زمن الخليفة المأمون أمثال يعقوب بن

إسحاق الكندي فيلسوف العرب، ومحمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات والفلك الشهير.

آثاره

لم تذكر كتب الفهارس والطبقات للأبح البغدادي سوى ثلاثة كتب لم يرد سوى ذكر أسمائها وهي : 1 - كتاب الاختيارات، ذكرت كتب الفهارس والطبقات أنّه عمله للمأمون، وعلم الاختيارات هو أحد فروع علم أحكام النجوم (التنجيم) الذي كان مرتبطًا في ذلك الوقت بعلم الفلك ورصد النجوم والكواكب ومساراتها ودوراتها ومنازلها ومواقيتها فكانا علما واحدا. والمقصود بعلم الاختيارات هو اختيار الوقت المناسب للبدء في عمل ما عن طريق رصد النجوم والكواكب وتحديد هيئة فلك السماء.

وقد كان علم الاختيار منتشرًا في ذلك العصر حيث اهتمّ به خلفاء الدولة العباسية، حتّى أن الخليفة أبا جعفر المنصور لمّا بدأ بناء مدينة بغداد سنة 145 هـ / 762 م، وضع أساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم وما شاء اللّه بن سارية، وقام الذين هندسوا المدينة بعملهم في حضرة نوبخت، وإبراهيم الفزاري، والطبري المنجّمين أصحاب الحساب.

ألّف الأبحّ البغدادي كتابه الاختيارات في وقت لم يكن قد تمّ الفصل فيه بين علم أحكام النجوم (التنجيم) وعلم النجوم (علم الهيئة) الذي نطلق عليه في عصرنا الحديث علم الفلك، والذي يجمع بين العلمين هو عمليّة رصد النجوم والكواكب واستكشاف هيئة الفلك 2 - كتاب المطر، وهو الكتاب الثاني الذي ذكرته كتب الفهارس والطبقات للأبحّ البغدادي والذي يصنّف في كتب العلم كمؤلّف في علم الأرصاد الجوّية. وبذلك يعدّ الأبحّ البغدادي عالما متخصصًا في الطقس والأرصاد الجوّية بالإضافة إلي تخصصه في الفلك والتنجيم 3 - كتاب المواليد، وهو يعدّ أحد كتب علم النجوم، هذا العلم الذي تعلمه العرب من الفرس والهنود واليونانيين وأجادوه واستحدثوا في فنونه، وأضافوا إليه، وألّفوا فيه كتبًا كثيرة.

وعلم المواليد يقصد به الاستدلال على حوادث حياة المولود بما طلع من وجوه البروج في وقت الولادة. ولما كان هذا العلم مبنيًا على رصد النجوم والكواكب فقد دفع اهتمام المشتغلين به إلى تطوير أجهزة الرصد وتطوير علم الفلك النظري والحسابات الفلكيّة. ومن هنا تأتي أهمّية هذا العلم كخطوة في طريق التقدّم نحو علم الفلك الحديث.

المصادر والمراجع

● النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدّم له الدكتور يوسف علي الطويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص 439 ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، سنة 1951، المجلّد الأول، ص 266 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم

لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الثاني، ص191 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، الناشر مكتبة المثنّى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الثالث، ص 193 ● أبو علي يحيى بن غالب بن محمد البغدادي الخيّاط، أحكام المواليد، مخطوط ضمن مجموعة، مكتبة البلديّة بالإسكندرية، رقم 2033 ● الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح، أحداث الجوّ، مخطوط، ضمن مجموعة، مصوّرة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ● أبو الريحان البيروني، القانون المسعودي، وزارة معارف الحكومة العلية الهندية، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرةالمعارف العثمانية 1954-1956 م ● أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشر إدوارد سخاو، ليبزيغ 1923، مكتبة المثنى ببغداد ● نلينو، كرلو، علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، مكتبة الدار العربيّة للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصوّرة عن الطبعة الأولى بمدينة روما 1329 هـ/ 1911 م ● بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ● موسى، علي حسن، التوقيت والتقويم، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان دار الفكر، دمشق، سوريا.

د. ابراهيم مصطفى ابراهيم الصعيدي
جامعة عين شمس - مصر
د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الأبّذي شهاب الدين، أحمد بن محمد

(800 هـ / 1398 م - 860 هـ / 1456 م)

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان، شهاب الدين، البجائي، المغربي، المالكي، نزيل الباسطية، نحوي، لغوي، عالم بالمنطق.

والأَبّذيّ، وينطقها بعضهم بالدال المهملة، نسبة إلى «أُبّذة» مدينة بالأندلس [الحميري، الروض المعطار، ط. 2، 1984، ص6].

وينسب لأبّذة غير الشهاب، عليّ بن محمد بن محمد، أبو الحسن الخشني النحويّ، شارح الجزوليّة (ت 680 هـ).

والبجائي نسبة إلى «بجاية» مدينة على ساحل

البحر المتوسط، تقع الآن داخل حدود البلاد الجزائرية.

طلب العلم في بلاده (الأندلس: أُبّذة) وقرأ في «بجاية» على أبي عبد الله محمد بن يحيى وغيره. ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله البيوسقيّ البجائيّ، قرأ عليه «الشفاء» للقاضي عياض، وأبو عبد الله محمد بن محمد القمّاح الأندلسيّ، قرأ عليه بعض الشفاء. والشيخ القاياتي، وابن قديد، والعز عبد السلام البغدادي، والعز عبد السلام القدسيّ، والجمال الكارزوني بالمدينة وأجازه.

وأخذ عن غير هؤلاء، وقال السّخاويّ: ولا أستبعد أن يكون أخذ عن شيخنا يقصد بشيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ).

وكان حفيًا بما يأخذه عن الشيوخ، يدوّنه، ويكتبه بخطّه، بل درّب زوجه نفيسة، وكانت تكتب له أيضا، كما قيل. وتقدّم في العلوم، ولا سيما العربيّة، حتى قال السخاويّ: «لم يكن بعد شيخنا ابن خضر من يدانيه في إرشاد المبتدئين، وله فيها حدود نافعة.. وتصدّى لنفع الطلبة بالأزهر أوّلا، ثمّ بالباسطيّة حين سكنها برغبة أحد شيوخه العزّ البغداديّ له عنها، إلى أن مات.

وأخذ عنه الأعيان من كل مذهب فنونًا، كالفقه، والعربيّة، والصرف، والمنطق، والعروض، بل كان عالمًا بالمنطق.

وكان متواضعا بشوشًا، رضيًّا، مُجاب الدّعوة، حتّى قيل: «إنّه لكثرة ما كان يرى من تهكُّم الشباسي بالطلبة والشيوخ دعا عليه، فابتُلي بالجُذام. وكان عديم التردُّد لبني الدنيا، بعيدًا عن الشرّ».

ويشير السخاويّ إلى كائنة الشريف الكيمياويّ، وأنّ الأبّذيّ دخل فيها مع أبي الفضل المغربيّ بتلبيس منه ليتقوّى به، ومع ذلك فلم يتكلّم، ولم يزل على وجاهته في العلم والإقراء حتى مات السخاوي، [الضوء اللامع، 2/ 181].

وأرسل الجماليّ ناظره الخاصّ إليه يلتمس منه قضاء المالكيّة بعد وفاة السنباطي، فاعتذر بضعفه، وكان ابن يونس من رفقائه في طلب العلم، والأخذ روايةً عن العزّ عبد السلام القدسيّ.

ومن تلاميذه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السّخاويّ مؤلّف «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، وأخوه. قال السخاويّ: «وكان كثير الميل إلينا».

توفي في رمضان من سنة 860 هـ وقيل سنة 861 هـ بالقاهرة، ودُفن بتربة الصلاحيّة، وقد جاز الستّين، وكان مولده سنة 800 هـ أو 801 هـ.

آثاره

1- شرح إيساغوجي، وإيساغوجي لفظ يونانيّ، معناه الكلّيات الخمس، أي: الجنس، والنّوع، والفصل، والخاصّة، والعرض العام، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق، وله اختصارات، أشهرها مختصر أثير الدين المفضّل بن عمر الأبهريّ (من رجال القرن التاسع)، وله شروح، منها شرح الشيخ شهاب أحمد بن محمد الأُبّذيّ، وهو شرح ممزوج، أوّله: الحمد لله الذي أبدى صور الحقائق عُرُبًا أبكارًا.. الخ. وهو شرح مبسوط بالنسبة إلى غيره [حاجي

خليفة، كشف الظنون، 206-208]، وقال ابن الغزّي: «ألّف شرحا مفيدًا على إيساغوجي» 2- بيان كشف الألفاظ التي لا بدّ للفقيه من معرفتها [الأعلام، 1/ 229] 3- الحدود النحويّة، تح. علي توفيق الحمد ضمن كتابين في حدود النحو، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن. وهذا الكتاب هو رسالة صغيرة استعرض فيها المؤلف تعريف أهم المصطلحات النحوية والصرفية كمصطلحات النحو، وأقسام الكلام وخواصّها، والتنوين، وألقاب الأعراب، والبناء، والتثنية، والجمع، ومختلف وظائف الجملة.

المصادر والمراجع

● السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت، 2/ 180-181 ● الغزي، محمد بن عبد الرحمن، ديوان الإسلام، تح. سيد كسرويّ حسن، دار الكتب العلميّة ط. 1، بيروت 1411هـ/ 1990م، 1/ 84-85 ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنّى، بغداد صورة عن طبعة استانبول، 1/ 207 ● الزركلي، الأعلام، ط. 3، 1/ 218 ● كحالة، معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق 1376هـ/ 1957م، 2/ 150.

د. سليمان إبراهيم العابد
جامعة أم القرى
مكة المكرمة - السعودية

ابن إبراهيم، أحمد بن مصطفى الهاشمي

(1295 هـ / 1878 م - 1362 هـ / 1943 م)

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المصري. من أهل العاصمة المصرية القاهرة، معلم وأديب في مصر. ولد سنة 1295هـ/ 1878م، وتوفي بالقاهرة 1362هـ/ 1943م. تتلمذ للشيخ الأستاذ، المفكر المصلح محمد عبده.

كان مديرا لثلاث مدارس أهلية أو خاصة، واحدة للذكور، واثنتان للإناث. وكان معدودا من رجال الفكر والأدب والثقافة، على الرغم من أنه لم يكن قد ترقى السلم الجامعي والأكاديمي المرموق، وقد دل هذا على سعة اطلاعه وعمق ثقافته، كما دل على أن رسالة الفكر والإصلاح لا ترتبط بالضرورة بأصحاب الشهادات العليا أو المناصب المرموقة.

آثاره

صنف ابن إبراهيم كتبا عدة، في مجال الأدب والبلاغة والحديث النبوي الشريف، ومن هذه الآثار:

1 - أسلوب الحكيم، مطبوع، وهو مجموعة

مقالات 2 - جواهر الأدب، مطبوع 3 - جواهر البلاغة، مطبوع 4 - ميزان الذهب، مطبوع 5 - مختار الأحاديث النبوية، مطبوع [الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج1، ص 90].

المصادر والمراجع

● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

إبراهيم، زكريا

(1342 هـ / 1924 م - 1395 هـ / 1976 م)

أستاذ فلسفة متميّز من مصر يجمع بين وضوح الفكر الفلسفي ودقّة المصطلح وشفافيّة اللّغة. اهتم بالفلسفة المعاصرة، وعلم الأخلاق والجمال، أطلق عليه «بستاني في حديقة الفلسفة». ولد بالقاهرة في الرابع والعشرين من يوليو 1924، وتعلّم بمدارسها، والتحق بكليّة الآداب، حيث حصل على الليسانس، ثمّ الماجستير وموضوعه «فلسفة الفعل عند موريس بلوندل» (1949)، وسافر إلى باريس للحصول على الدكتوراه، وعاد ليعمل بجامعة القاهرة مدرّساً فأستاذا مساعدا، فأستاذا، أعير إلى جامعة عمّان بالأردن وجامعة القاهرة فرع الخرطوم بالسودان، وجامعة محمد الخامس بالرباط بالمغرب. توفّي في أبريل عام 1976.

قدّم العديد من المؤلّفات التي توضّح توجّهه الفلسفي منها: «تأمّلات في الفلسفة الوجوديّة» «دراسات في الفلسفة الوجوديّة»، و «كانط والفلسفة النقديّة»، و«هيجل أو المثالية المطلقة»، و«مشكلة البنية»، بالإضافة إلى دراساته الجماليّة والأخلاقيّة.

يمكن أن نلتمس موقفه الفلسفي عامة في كتابه «مشكلة الفلسفة» الذي يتّضح فيه أيضا موقفه في الأخلاق، كما يظهر بوضوح في «المشكلة الخلقيّة»، بالإضافة إلى بعض القضايا التي نجدها في كتابه «مشكلة الحياة» حيث يؤكد أنّ الإنسان هو الحيوان الناقص الذي يضيف إلى لغة الواقع لغة القيمة. ويبيّن أنّ قيمة الحياة قد ترتبط بمعاني التضحية والبذل والسخاء، وأنّ المثل الأعلى هو زهرة الحياة البشريّة، يرى في الفصل الثامن (بين الفلسفة والأخلاق) من كتابه «مشكلة الفلسفة» أنّ خير وسيلة للثناء على الفلسفة هي العمل على بيان الموضوع «الأشكال» في الفلسفة، والاهتمام بالكشف عمّا تنطوي عليه رسالة الفيلسوف من مخاطرة فكريّة وقلق وجداني

وتجربة روحيّة خصبة، فالفلسفة حوار وجدال، ومواجهة، وجوهر الإيمان الفلسفي هو التواصل. والتفتّح على الآخرين إنّما يبدأ حين يفطن المرء إلى ما يسم خبرته من ذاتيّة أصليّة وقيمة جوهريّة بوصفها حقيقة، فالإنسان يشعر في قرارة نفسه بأنّه وعي وحرية. وهذا الشعور نفسه هو الذي يدفعنا إلى القول بأنّه لن تزول الفلسفة اللّهم إلاّ بزوال آخر مخلوق بشري على ظهر هذه البسيطة.

وهو يعبّر عن نفسه دائما بالاستشهاد بأقوال فلاسفة الوجوديّة خاصة ما يسمّى الوجوديّة المؤمنة عند كارل ياسبرز، وجبريل مارسيل وكيركجورد. ونجد في عناوين فقرات خاتمة كتابه ما يؤكّد توجّهه الفلسفي، فهو يرى «ضرورة» قيام ميتافيزيقا تؤكّد وعي الإنسان وحريّته، وأنّ الفلسفة رسالة نجاة أو خلاص، وأنّ كلّ مشكلة بشريّة هي في جانب منها ميتافيزيقية، وأنّ هناك معرفة وجدانيّة قوامها الإحساس بالقيمة، والشعور بالتعاطف والمحبّة، وأنّ أخصب لحظة من لحظات التفكير الفلسفي هي تلك التي يتحقّق فيها التواصل الحقيقيّ بين المفكّرين.

وتظهر أخلاق زكريا إبراهيم الوجوديّة في ردّه على مزاعم أصحاب «علم الاجتماع الأخلاقي» الذين حاولوا أن يفصلوا «الأخلاق» عن «الفلسفة» لكي يربطوها بعلم «الاجتماع»، وحسبنا - كما يقول - أن نرجع إلى ذواتنا لكي نتحقّق من أنّ كلامنا لابدّ من أن يوجد في هذا العالم مندمجا دائما في موقف خاص، ويؤكّد أنّ المشكلة الخلقيّة هي أوّلا وبالذات مشكلة شخصيّة تتّصف بالطابع التاريخي الدرامي الذي تتّصف به أيّة خبرة أخرى معاشة. ومن الواضح أنّ كلمته في نظرنا تعبّر عن موقفه، وأنّ هذا الموقف هو الموقف الوجودي كما يؤكّد في قوله: «ربّما كان من بعض أفضال الفلسفة الوجوديّة على الأخلاق أنّه قد أظهرتنا على ما للعامل التاريخي الدرامي من أهميّة كبرى في كلّ أخلاق فرديّة، كما ينتقد الأخلاق الاجتماعيّة وينتقد الأخلاق الميتافيزيقيّة التقليديّة من وجهه نظر الوجوديّة.

قدّم زكريا إبراهيم العديد من الكتابات الأخلاقيّة، التي تجعل منه - وهو أستاذ علم الأخلاق - أحد مفكّري العرب البارزين وأكثرهم أهميّة في ميدان علم الأخلاق العربي المعاصر. وهو يوضّح تطوّر كتاباته الأخلاقيّة، فيذكر أنّه قد تناول الحريّة الأخلاقيّة، وعلاقة الفكر والإرادة في كتابه «مشكلة الحريّة»، وناقش مشكلة الشرّ وما يتعلّق بها في «مشكلة الإنسان»، وتناول «أخلاق الواجب» في «كانط والفلسفة النقديّة» إلى جانب عرض موقف المدرسة الاجتماعيّة الفرنسيّة في المشكلة الخلقيّة في كتابه «الأخلاق والمجتمع». وقد عرض لبعض الفضائل الخلقيّة مثل: المحبّة والغيريّة والتعاطف في «مشكلة الحبّ» بالإضافة إلى كتابه «مبادئ الفلسفة والأخلاق» مع عدد من المقالات والأبحاث التي تدور حول الأخلاق مثل «عودة إلى مشكلات الأخلاق»، و «المشكلة الخلقيّة عند الفيلسوف الوجودي»، بالإضافة إلى تناوله المباحث الخلقيّة المتعدّدة عند الفلاسفة المعاصرين في كتابه «دراسات في الفلسفة المعاصرة».

إنّ موقف زكريا إبراهيم الوجودي لن يفهم إلاّ

من خلال الإطار الذي قدّم فيه كتاباته في الخمسينات وبداية الستّينات، حيث قدّم هذا الموقف مقابل الجماعيّة السائدة وقت ازدهار الدعوة إلى الاشتراكيّة. ومن هنا فهو يأخذ على فلاسفة الأخلاق في مجتمعنا العربي المعاصر أنّهم قد تناسوا دورهم الخطير في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا، فتنازلوا عن كلّ شيء لرجل الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة، وكأنّ «الدولة» لا تتكفّل وحدها بحلّ كلّ «مشكلة خلقيّة»، أو كأنّ خلاص «الفرد» رهن بقيام ضرب من «الرفاهيّة المادّيّة»، ويؤكّد «أنّ القيمة الخلقيّة ليست قيمة شاهد عاقل أو متأمّل ذكيّ يقتصر على فهم ما يجري من أحداث، أو يكتفي بملاحظة الوقائع دون أن يتدخّل، بل هي قيمة فاعل نشط، أداة عاملة تنخرط في مجرى الأحداث لكي تسهم في الإنتاج، وعلى هذا فإنّه يؤكّد أنّ الفضيلة أو القيمة الخلقيّة إنّما هي قيمة الحرّيّة من حيث هي إرادة.

وبالإضافة إلى الأخلاق فقد اهتمّ بالفن والقيم الجماليّة وقد تمثّلت جهوده الجماليّة في دراسته «فلسفة الفن في الفكر المعاصر»، و«الفنّان والإنسان» و«مشكلة الفن» بالإضافة إلى ترجمته لكتاب جون ديوي «الفن خبرة»، حيث يرى أنّ من الضروريّ أن يصحب نشاط الحركات الفنيّة في بلادنا تيّارات فكريّة تعرف بها، وهو يقدّم لنا في «فلسفة الفن في الفكر المعاصر» خلاصة لأهمّ الاتّجاهات الجماليّة في الفلسفة المعاصرة، وهذا ما يبرّر لنا تسميته للكتاب بسبب غلبة الطابع الفلسفي على معظم هذه الاتجاهات الجماليّة وكون معظم أصحابها من الفلاسفة.

ويحدّد لنا مهمّة الفن ودوره بأنّه تحليل الخبرة الجماليّة، وهذا هو إسهام الدراسات الفلسفيّة في هذا المجال، فإذا كانت الفلسفة في صميمها وصفا شاملا للخبرة الإنسانيّة فليس بدعا أن نرى الفلاسفة يهتمّون بتحليل «الخبرة الجماليّة»، ويحرصون على فهم «الظاهرة الفنيّة»، ويؤكّد على ذلك بقوله: «إنّ علم الجمال لا يزعم لنفسه حقّ توجيه الفنان في علمه، بل هو يقتصر على دراسة «الفن» بوصفه خبرة بشريّة توسّع آفاق فهمنا للوجود الإنساني بصفة عامة». ويرى أنّه على الرغم من أنّه توجد صعوبة في الحديث عن سمات عامة وخصائص مشتركة تجمع المذاهب المعاصرة في فلسفة الفنّ إلاّ أنّها جميعا تكشف عن حرص معظم الفلاسفة على فهم دور الفن باعتباره نشاطا إبداعيا يكشف عن حريّة الإنسان، ويعبّر عن قدرته على تجاوز الواقع، وهذا ما نجده أيضا في كتابه «الفنّان والإنسان».

يؤكد زكريا إبراهيم على أنّ الظاهرة الجماليّة ظاهرة إنسانيّة، ويناقش مسألة الصلة بين الفن والإنسان، ويتناول الفنّان - في أكثر من موضع وأكثر من كتاب - باعتباره باحثا عن القيم. فالإنسان، أوّلا وقبل كلّ شيء، يحاول أن ينفذ إلى نواة القيمة من خلال قشرة الواقع. وعلى ذلك فمهمته هنا إدراك صلة الخبرة البشريّة وأن يكتشف دور الفن في الحياة الإنسانيّة عامّة. فالفنان إنسان قبل أن يكون فنانا، والخبرة الفنيّة تجربة بشريّة قبل أن تكون إلهاما خارقا أو وحيا فائقا للطبيعة. إن المقصود بالخبرة الجماليّة هنا هو تلك التجربة الكثيفة التي يقوم بها الفنان حين

يحاول أن ينظر إلى الأشياء بطريقة جديدة غير معهودة.

وتظهر رؤية زكريا إبراهيم الفلسفيّة في كتابه «مشكلة الفنّ»، حيث يوضّح لنا أن مهمّته في هذه الدراسة هي القيام بوصف الموضوع الإستطيقي على نحو فينومينولوجي، وأن يحلّل العمل الفني، ويتعمّق الدلالة الإنسانيّة للفنّ موضّحا أنّ الموضوع الجماليّ ليس مجرّد موضوع ميتافيزيقي، أو موضوع طبيعي، أو سيكولوجي يتميّز بنوعيّة خاصة وفرديّة أصيلة، ومن هنا فهو يتناول في فصول كتابه على التوالي، تعريف الفنّ ثمّ العمل الفنّي بناؤه وعناصره، والفصل الثالث بين الطبيعة والفن، والرابع بين الفن والصناعة ثمّ الفن والمجتمع. ومشكلة الإبداع الفنّي في الفصل الثامن في دراسة شاملة تصف لنا الخبرة الجمالية التي هي أساس الإبداع والتذوّق وصفا فينومينولوجيا يكشف لنا عن حقيقة الفنّان باعتباره رائي القيم والبوصلة التي توجه البشر تجاه هذه القيم.

آثاره

1 - المشكلة الخلقيّة، مكتبة مصر، القاهرة، 1969 2 - مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، ط 3، 1971 3 - مشكلة الحريّة، ط 2، القاهرة، 1964 4 - كانط أو الفلسفة النقديّة، مكتبة مصر، القاهرة، 1963 5 - الأخلاق والمجتمع، الدار المصريّة للتأليف والترجمة، القاهرة 1966 6 - مبادي الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، القاهرة 1962 7 - عود إلى مشكلات الأخلاق، مجلّة الفكر المعاصر، العدد 23، أكتوبر 1967 8 - المشكلة الخلقيّة عند الفيلسوف الوجودي، مجلّة الآداب، بيروت، يناير 1963 9 - دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة 1968 10 - مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة 11 - هيجل أو المثاليّة المطلقة، مكتبة مصر، القاهرة 12 - فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة 13 - مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة 14 - مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة 1976 15 - تأملات وجوديّة، دار الآداب، بيروت.

المصادر والمراجع

● مولا، فريال زمخشري، الحريّة والوجود عند زكريا إبراهيم، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الأردنيّة، 1989 ● عطيّة، د. أحمد عبد الحليم، زكريا إبراهيم والأخلاق المبدعة في الأخلاق، الفكر العربي المعاصر، دار قباء، 1999 ● عطيّة، أحمد عبد الحليم، الخبرة الجمالية والكشف عن القيم، في دراسات جماليّة، دار النصر، القاهرة، 1996 ● طلب، حسن، بستاني في حديقة الفلسفة، مجلّة الكاتب، العدد 71، القاهرة.

د. أحمد عبد الحليم عطيّة
جامعة القاهرة

إبراهيم، صلاح أحمد

(1251هـ/1933م ـ 1412هـ/1993م)

صلاح أحمد إبراهيم مبدع موسوعي، شاعر وقاص وناقد ومترجم، شعره نموذج جيد لحداثة الشعر السوداني، نشر ثلاثة مجموعات شعرية، إلى جانب ديوان نشر فيه أشعاره العامية.

لاحظ النقاد ارتباط شعر صلاح بالتراث الإسلامي العربي والبيئة السودانية، من هؤلاء عبده بدوي، وإحسان عباس، وعبد الله الطيب، والطيب صالح، ويوسف نور عوض. وضع صلاح بصماته في خارطة الشعر السوداني ونجح إلى حد بعيد في تحقيق أحلامه بكتابة القصيدة باقتصاد شديد وبساطة، ودمج بين الشعر والنثر دون أن تفقد القصيدة شعريتها. كذلك استخدم صلاح المقطع الشعري بديلا للبيت الواحد ونلمس هذا بوضوح في مجموعتيه «غابة الأبنوس»، و«نحن والردى».

كتب صلاح القصة وأصدر مع صديق عمره علي الملك مجموعة «البرجوازية الصغيرة» وكانت واحدة من أول المجموعات القصصية السودانية وقدم لها إحسان عباس.

كتب صلاح المقالة الصحفية وتميز بأسلوبه الرشيق، كذلك ترجم صلاح إلى العربية كتاب «النقد الأدبي» لمؤلفه وليم فان أكونور، وترجم كتابين بالاشتراك مع علي الملك هما «الأرض الآثمة» لمؤلفه باتريك فان ريتربرج، و«نماذج من الأدب الزنجي» وهو مختارات من كتابات لبعض المبدعين الزنوج.

صلاح واحد من مؤسسي مدرسة الغابة والصحراء التي ترى أن الثقافة السودانية تقوم على مقومين : الغابة أي العنصر الزنجي، والصحراء أي العنصر العربي. ساهم صلاح في النقد الأدبي بدراسة متعمقة عن شعر التجاني يوسف بعنوان : «الجرح والقوس» نشرت في كتاب «دراسات في شعر التجاني».

ولد صلاح بمدينة أم درمان حيث درس الخلوة والمرحلة الابتدائية. درس الثانوي بمدرسة حنتوب، تخرج من كلية الآداب بجامعة الخرطوم عام (1958م). والتحق بإدارة شؤون الموظفين، انتدب لتدريس اللغة العربية التي أحبها بجامعة أكرا في غانا، التحق بالسلك الدبلوماسي عام (1950) وانتدب للعمل ببعثة الأمم المتحدة بنيويورك، ثم عُين سفيرا في الجزائر عام (1970) واستقال من منصبه عام (1976) وانتقل ليعيش في باريس حيث عمل مستشارا لدى سفارة قطر. وتواصل نشاطه الإبداعي وأصدر صحيفة باسم «البديل» وظل يكتب للصحف العربية. توفي في باريس عام (1993).

أنجزت الكثير من الدراسات عن إبداع صلاح وخاصة الشعر، مثل إحسان عباس الذي أشاد بجزالة شعر صلاح وقوته (1972)، وعبده

بدوي في دراسته عن الشعر السوداني (1978)، كذلك يوسف نور عوض الذي يعد صلاحًا رمزًا من رموز الحداثة الشعرية على امتداد الوطن العربي (1959). كذلك كتب الطيب صالح مقدمة ضافية لديوان «غابة الأبنوس» في طبعته الثانية (1990)، أما عبد الله الطيب فقد قدم «نحن والردى» بكلمة نقدية أشاد فيها بشاعرية صلاح (2000). وعن قصص صلاح كتب إحسان عباس مقدمة «البرجوازية الصغيرة» أشار فيها إلى موهبة صلاح القاص (1958)، كذلك درس الناقد مختار عجوبة «العالم القصصي لصلاح» (1972).

آثاره

1 ـ في مجال الشعر :

1- غابة الأبنوس، صدرت طبعته الأولى نهاية الخمسينات، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت) وطبعة ثانية منقحة عن دار أدفرا، باريس 1990 ؛ 2 - محاكمة الشاعر للسلطان الجائر، مطبعة النجم الفضي، الخرطوم 1986؛ 3 - نحن والردى.

2 ـ في مجال القصة :

4- البورجوازية الصغيرة (بالاشتراك)، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1958.

3 ـ في مجال الدراسات والترجمة :

5- نماذج من الأدب الزنجي (بالاشتراك مع علي المك)، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر ؛ 6- الأرض الآثمة، ترجمة عن باتريك فان ريتربر، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم 1975 ؛ 7- النقد الأدبي، وليم فان أكونور، دار صامد للطباعة، بيروت 1960.

المصادر والمراجع

● أمين، آل عزالدين، تراث الشعر السوداني، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1979؛ ● بدوي، عبدة، الشعر في السودان، عالم المعرفة، الكويت 1986 ؛ ● تني، ابراهيم عمر، لقاء مع الشاعر صلاح أحمد ابراهيم، مجلة (الخرطوم) ع2، نوفمبر 1969؛ ● توم، حسن صالح، الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني، سولو للطباعة والنشر، الخرطوم 2001 ؛ ● عباس، إحسان، الشعر السوداني، نظرة تقييمية، مجلة الدراسات السودانية ع1، أكتوبر 1971 ؛ ● عجوبة، مختارات، القصة الحديثة في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط1 1972 ؛ ● عوض يوسف نور، رواد الشعر العربي الحديث، مكتبة الأمل، الكويت، (د.ت).

د. محمد المهدي بشري
جامعة الخرطوم ـ السودان

■ إبراهيم، عـــمـــر

(1341 هـ / 1923 م - ..... / .....) ■ ■ ■

القاضي والشاعر النيجيري الأصل عمر إبراهيم ولد سنة 1923 م وتوفي في نهاية ثمانينات القرن العشرين، عمل بالقضاء في ولاية كدونا بجمهورية نيجيريا. وقد نشأ في بيت علم ديني وتثقف بثقافة عربية تقليدية وتعلم من والده ومن مدرسة العلوم العربية بولاية كانو.

تبرز أهمية الشاعر عمر إبراهيم بين أقرانه من السابقين واللاحقين في الدولة الفودية، لأنه الأغزر شعراً، والأكثر جرأة على الانفتاح الثقافي حيث فتق شرنقة الالتزام الديني وبدأ الاتصال بالأدب العربي الحديث فقرأ لشوقي، والعقاد، والمازني وكان معجباً بابن زيدون والمتنبي، وطالع الثقافة الأوربية ولا سيما الأدب الانجليزي بخاصة ثم فلسفة ديكارت.

وكان من الطبيعي أن تنعكس ثقافته على آرائه وأشعاره معاً، فهو أول من اعترف بأن التخميس ظاهرة ضعف وتكرار، ولذلك لم يخمس إلا قصيدة واحدة وهو صغير.

ويستمد الشاعر أهميته الشعرية من أكثر من زاوية، ولنجمل القول في زاويتين فقط. أما الأولى فهي زاوية الالتصاق بواقعه والتعبير عنه ولاسيما وأنه عاصر الاحتلال والاستقلال في نيجيريا، وأما الزاوية الأخرى فهي التقاط أبرز ملامحه الفنية في ديوانه الذي جمع كل أشعاره.

أ - ارتبط الشاعر بعصره عندما خلّد بأشعاره شخصيات معاصرة من أهله وذويه ومن علماء عصره، أما أهله فقد استأثرت جدته «سودة» بجل أشعاره في الرثاء، ثم رثى ابنته «أم كلثوم» وأستاذه «ماجي إسحق» وعمه «محمد الحبيب».

ب - وثق الشاعر انتماءه لعصره بالحديث عن طه حسين، وداروين، وأرمسترونج، ومحمد عبده... ويعكس هذا الاهتمام حجم الانفتاح الفكري على طه حسين، ومحمد عبده، وهو توجه جديد في نيجيريا ولاسيما في النصف الأول من القرن العشرين.

ج - ثم وثق الشاعر انتماءه لعصره بتسجيل الاكتشافات العلمية المذهلة والمتصارعة آنذاك مثل القنبلة الذرية، والمنظار، والاسطرلاب، والسنغراف... ثم حدثنا عن الحرب العالمية والدعوة إلى السلام، ووثق رحلاته في أشعاره فحدثنا عن كانو، وصقطوا، والقاهرة، وطهران ... قال عن مدينه كانو قصيدة مطلعها :

أباريس هوْسَا عليك السلام
جوابٌ من العاشق المستهام

الزاوية الأخيرة تتمثل في الوقوف على أهم ملامحه الفنية في ديوانه الشعري المخطوط «حديقة الأزهار» [حقق الديوان محمد نجيب التلاوي في رسالته للدكتوراه، مخطوطة بكلية

الآداب، جامعة المنيا، مصر]. وقد جمع في هذا الديوان بين مستويين فنيين حيث نلتقي بالشعر التقليدي البناء والذي هو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر سيراً على نهج شعراء المدرسة الفودية النيجيرية، ثم هو يتطور بأشعاره فيتخفف من المعجم الشعري التقليدي بمفرداته الصعبة وصوره الحسية فيستبدلها بألفاظ تنتمي إلى لازمات العصر التعبيرية، ويعنى عناية خاصة برسم الأحاسيس والمشاعر كقوله من قصيدة «نفثة»:

يمُرُّ الوقتُ في الأحزان مَرًّا
بطيئاً والضحى مثلَ الليالي

فليتك يا زمانَ الحزن تجري
لترفَع بعض أحوالٍ ثقالِ

وبلغ خياله التركيبي حدَّ أن رثى نفسه في قصيدة بعنوان «مأتم عمر» فتخيل مماته.

واعتمد الشاعر على الأوزان القصيرة السريعة حتى أنها طالت بعض قصائد الرثاء فلم تكن مناسبة لمسحة الحزن ووقار الموت كقوله يرثى عمه محمد الحبيب:

ماتَ الحبيبُ
ابن الأمين

رجل نجيب
در ثمين

قد كنت لي
عمًّا شفيق

فضلاً عن أشعاره التي تحمل الألغاز والحكايات والمداعبات وهى أغراض شعرية لم نعهدها قبل هذا الشاعر عند شعراء الدولة الفودية في جمهورية نيجيريا.

ولذلك سيظل ديوانه «حديقة الأزهار» علامة فنية فارقة وسط شعراء الدولة الفودية لأنه مهّد بأشعاره لرحلة فيها قبضة الالتزام التي شرنقت الشعر العربي التقليدي الذي ساد بين الشعراء النيجيريين في الدولة الفودية.

د. محمد نجيب التلاوي
المنيا - جمهورية مصر العربية

إبراهيم، محمد أبو الفضل

(1322 هـ / 1904 م - 1401 هـ/ 1981 م)

هو محمد أبو الفضل إبراهيم، لغوي محقق. ولد بجزيرة شندويل بمحافظة سوهاج بصعيد مصر. التحق بالأزهر، ثمّ بمدرسة القضاء الشرعي، تخرّج في كلّية دار العلوم عام 1930 م. وعمل مدرّسا اللغة العربية بالمدارس الابتدائية والثانوية، وأمضى بالتعليم ما يقرب من عشرين عاما، ثمّ اتّجه نحو التحقيق والتأليف.

وثمّة أمور كان لها الأثر الكبير في اتجاهه نحو التراث والتحقيق، منها حبه للثقافة

والرغبة في الاستزادة من العلم، ومخالطته لأبناء العلماء، كما كان للصداقة التي جمعت بينه وبين كل من عبد السلام هارون (1327هـ ـ 1909م/ 1409هـ ـ 1988م)، ومحمد محمود شاكر (1327هـ ـ 1909م/ 1418هـ ـ 1997م)، دور مهمّ في نبوغه وتفوّقه في هذا المجال. يضاف إلى هذا أنّ الفترة التي أمضاها في دار الكتب المصريّة بالقاهرة – منذ بداية الخمسينات حتّى أحيل إلى التقاعد عام 1964م – كانت ذات أثر مهمّ في هذا الاتّجاه.

عيّن مديرا للقسم الأدبي في دار الكتب المصريّة، وأشرف خلال وجوده بالدار على إخراج الكثير من كتب التراث، منها: «الخصائص» لابن جني (ت 392 هـ)، بتحقيق محمد علي النجار، و«معاني القرآن» للفراء (ت 207 هـ)، الذي أصدرت منه دار الكتب جزءا بتحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ثمّ قامت الهيئة المصريّة العامة للكتب بطبع الجزأين الباقيين، وكان الثاني بتحقيق الشيخ النجار، والثالث، بتحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وكذا «المعارف» لابن قتيبة (ت 276 هـ)، بتحقيق ثروت عكاشة وحقق بدار الكتب المصرية كتاب «إنباه الرواة» للقفطي.

كان عضوا بلجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ثمّ تولّى رئاسة هذه اللجنة عام 1970 م، وأخرجت اللّجنة في عهده العديد من أمّهات الكتب التي صدرها بقلمه، منها: «المقتضب» للمبرد (ت285 هـ)، بتحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، في أربعة أجزاء، و«المحتسب» لابن جني، بتحقيق على النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، وصدر في جزأين.

أشرف في الهيئة العامة للكتاب على إخراج الطبعة الكاملة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ)، الذي بدأت دار الكتب المصريّة بإصدار الجزء الأول منه سنة 1927 م، ثمّ توقّفت عند تمام الجزء السادس عشر، فتولّت الهيئة المصرية العامة للكتاب، بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، استكمال بقية الأجزاء إلى الرابع والعشرين، وبه تمّ الكتاب.

كان عضوا في لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم، كما شارك في تأسيس جمعيّة الشبان المسلمين. وقد منحته الحكومة المصرية جائزة الجدارة عام 1979 م.

حقق نحو مائة مجلد من عيون التراث العربي منها «المزهر» للسيوطي و«بغية الوعاة» للسيوطي، و«درة الغواص» للحريري، و«تاريخ الطبري».

كان له صالون ثقافي، يعقده في بيته كلّ أسبوع، وكان يؤمّ هذا الصالون العديد من العلماء والمفكّرين والأدباء والشعراء، منهم: الشيخ أحمد حسن الباقوري (ت 1405 هـ/ 1985 م)، والشاعر طاهر أبو فاشا (ت1409 هـ/ 1988 م)، والشاعر محمود حسن إسماعيل (ت 1398 هـ/ 1977 م)، والمحقّق إبراهيم الابياري (ت 1414هـ/ 1994 م).

توفّي في السادس من ربيع الأوّل عام 1401

هـ الموافق للحادي عشر من يناير عام 1981م.

آثاره

1 - التحقيقات:

1 - الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت، 1960م 2 - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي. دار المعارف بمصر، 1985م 3 - ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، مطبعة السنة المحمّديّة بالقاهرة، ط 1، 1971م 4 - ديوان النابغة الذبياني، دار المعارف بمصر، ط 2، 1985 م 5 - ديوان امرىء القيس، دار المعارف بمصر، ط 1، 1958 م 6 - ديوان البهاء زهير، (بالاشتراك مع محمد طاهر الجبلاوي)، دار المعارف بمصر 1982م 7 - الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ثلاثة أجزاء، بالاشتراك مع علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط 2، 1971 م 8 - نزهة الألباء في طبقة الأدباء، لأبي البركات الأنباري، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (1386 هـ/ 1967م) 9 - كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، (بالاشتراك مع علي محمد البجاوي)، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1952 م 10 - الكامل في اللّغة والأدب، للمبرد، أربعة أجزاء، (بالاشتراك مع السيّد شحاتة). مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956 م 11 - مجمع الأمثال، للميداني، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1398 هـ/ 1978 م 12 - الوساطة بين المتنبّي وخصومه، لعلي بن عبد العزيز الجرجاني (بالاشتراك مع محمد البجاوي)، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة 1951 م 13 - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون - وهي الرسالة الهزلية - لابن نباتة المصري، دار الفكر العربي، القاهرة (1383 هـ/ 1964 م) 14 - شرح مقامات الحريري، للشريشي، خمسة أجزاء، المؤسسة العربيّة الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، (1389 هـ/ 1969 م) 15 - طبقات النحويين واللّغويين، للزُبيدي، دار المعارف بمصر، (1392 هـ/ 1973 م) 16 - المحاسن والمساوىء، للبيهقي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (1380 هـ/ 1961 م) 17 - مراتب النحويين، لأبي الطيّب اللّغوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (1375 هـ/ 1955 م) 18 - المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، للسيوطي، (بالاشتراك مع محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي)، جزءان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958 م 19 - الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، جزءان، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، (1386 هـ/ 1967م) 20 - أمالي المرتضى - وتسمّى غرر الفوائد ودرر القلائد، جزءان، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (1369 هـ/ 1950 م) 21 - إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، أربعة أجزاء، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، (1369 هـ) 22 - بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، للسيوطي، جزءان دار الفكر، ط 2، (1399 هـ/ 1979م) 23 - تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، عشرة أجزاء، دار المعارف بمصر، (1380 هـ/ 1960 م) 24 - جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، جزءان، (بالاشتراك مع عبد

المجيد قطامش)، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، (1387 هـ/ 1968 م) 25 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، جزءان مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (1387 هـ/ 1968 م) 26 - درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (1975 م).

2 - المؤلفات العامة:

1 - أيام العرب في الجاهليّة (بالاشتراك مع محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1361 هـ/ 1942 م) 2 - أيام العرب في الإسلام (بالاشتراك مع علي محمد البجاوي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1388 هـ/ 1968 م) 3 - قصص العرب، أربعة أجزاء، (بالاشتراك مع محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي)، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (1339 هـ/ 1940 م) 4 - قصص القرآن (بالاشتراك مع السيد شحاتة)، المكتبة التجارية الكبرى، ط 8، 1965 م.

■ المصادر والمراجع

● نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، دار صادر، بيروت، ط1، 1999 م ● أحمد التاجي، محمد أبو الفضل إبراهيم، العالم المحقق، مقال بجريدة الأخبار القاهريّة في 25/ 5/ 1986 م ● الترزي، إبراهيم، التراث المجمعي في خمسين عاما، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة 1984 م ● الطناحي، محمود محمد، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، (1405هـ/ 1984 م).

د. فتح الله أحمد سليمان
جامعة القاهرة

■ إبراهيم، محمد حافظ إبراهيم فهمي

(1287هـ - 1871م / 1351هـ - 1932م)

شاعر النيل، لقب بهذا اللقب في موازاة للقب أمير الشعراء الذي لقب به أحمد شوقي، ولم يصل إلى مكانتهما في جيلهما سواهما، وكانت علاقتهما طيبة وتوفيا في العام نفسه، لكن حافظ سبق شوقي. وفي هذا قال شوقي في مطلع رثائه له بيتيه المشهورين:

قد كنتُ أوثر أن تقولَ رثائي
يا منصفَ الموتى من الأحياء

لكن سبقتَ وكلّ طول سلامة
قدر وكل منيّة بقضاء

وقد كان حافظ إبراهيم من أشد المتحمسين لمبايعة شوقي بإمارة الشعر وقد ألقى قصيدة

رائعة في المهرجان الذي أقيم لمبايعة شوقي بدأها بقوله:

بلابلُ وادي النيل بالمشْرق اسجعي
بشعر أمير الدولتين ورجِّعي

فلما وصل إلى قوله:

أمير القوافي قد أتيتُ مبايعًا
وهذي وفودُ الشرق قد بايعت معي

قام إليه شوقي واحتضنه وبكيا.

اسمه بالكامل محمد حافظ إبراهيم فهمي المهندس، ولد في ديروط من محافظة أسيوط في صعيد مصر كان أبوه مهندسًا وكانت أمه تركية، مات والده وهو طفل صغير في الرابعة من عمره (وقيل وهو في الثانية)، وتوفيت والدته بعد قليل فكفله خاله، وظهر تمرده المبكر على التعليم.

اشتغل بالمحاماة حيث لم تكن هذه المهنة تتطلب مؤهلات للعمل بها غير إجادة الدفاع والمرافعة والإلمام بالقانون، وقد عمل بالمحاماة في طنطا والقاهرة ثم أتيح له أن يلتحق بالكلية الحربية، وقد تخرج منها سنة (1891) فالتحق بخدمة الجيش المصري وكان طوبجيًا، وسافر ضمن حملة الجيش المصري إلى السودان، وأقام في الخرطوم وسواكن ثم اشترك في تمرد على القوات الإنجليزية مع بعض زملائه، واكتشف الإنجليز جمعية سرية وطنية كان أحد أعضائها فأحيل للاستيداع وعاد إلى وطنه حيث بقي في القاهرة بلا عمل. ثم توسط له الشيخ محمد عبده فأعيد إلى العمل ولكن في البوليس ولم يلبث أن أحيل إلى التقاعد فعمل صحفيًا بالأهرام ونشر فيها شعره ونثره ولقب منذ ذلك الوقت بشاعر النيل. وما زال يعمل بالصحافة حتى عين سنة 1911 موظفًا في دار الكتب رئيسًا للقسم الأدبي، وترقى حتى أصبح وكيلا لهذه الدار، وظل في هذا المنصب حتى مطلع العام الذي توفي فيه.

اتصلت علاقات الود بينه وبين كثيرين من الزعماء والمفكرين وعلى رأسهم محمد عبده، ومصطفى كامل، وسعد زغلول، وقاسم أمين.

يُعد حافظ أحد أعمدة النهضة الأدبية الشعرية التي بدأها البارودي. يجمع النقاد ومؤرخو الأدب على تميز شعره بجودة مقوماته الفنية واللغوية، فضلاً عن القدرة على التعبير عن المشاعر الوطنية والقومية والدينية، وعن طبقات المهمشين ومشاعرهم.

تمثل حياته الأدبية صورة صادقة للعصر الذي عاش فيه، فقد كان في العصر الذي سبق تأجج الحركة الوطنية منشغلاً بمديح الخليفة العثماني والخديو عباس حلمي والسلطات الإنجليزية على حد سواء، فلما ظهر مصطفى كامل ودعا دعوته، أسهم حافظ إبراهيم في الحركة الوطنية وتعبئة الجهود الوطنية ضد الإنجليز والتدخل الأجنبي على وجه العموم. وقد وظّف الحديث عن ثوابت الأمة وجذورها من أجل هذا الهدف، كما شارك في إشاعة روح النهضة المصرية منذ بدايات القرن وهي الجهود التي بلغت ذروتها باندلاع ثورة 1919. وقد كان لحافظ إبراهيم دور فيها، وفيما بعدها كذلك. كما شارك بكل طاقته الشعرية في الجهود التي دعت إلى الإصلاح الديني وما يرتبط به من إصلاح اجتماعي، ودعا إلى التمسك بكثير من القيم الجميلة كالاتحاد، والعلم، والعمل، كما انتبه إلى

قيمة اللغة العربية ونظم فيها قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي

وفيها البيت الشهير الذي لم يسبق إليه.

أنا البحرُ في أعماقه الدرُّ كامن
فهلْ ساءلُوا الغوَّاص عن صدفاتي

وبالموازاة لهذا أظهر اعتزازًا بلغ حد الشوفونية بوطنه مصر وتاريخها ومجدها على مر العصور وهو صاحب الأبيات الشهيرة في قصيدته «مصر تتحدث عن نفسها»:

وقفَ الخَلْق ينظرون جميعًا
كيفَ أبني قواعدَ المجد وحدي

وبناة الأهرام في سالف الدهر
كفوْني الكلام عند التحدّي

أنا تاج العلاء في مفرِقِ الشرق
ودرّاته فرائدُ عِقدي

وهو يصل في هذه القصيدة إلى بيت يعده غير المصريين أبرز نموذج لشوفونية المصريين المفرطة حيث يقول:

أنا إن قدَّر الإله مماتي
لا تَرى الشرقَ يرفع الرأسَ بَعدي

ولحافظ إبراهيم جهد كبير في التاريخ الإسلامي، ولعل قصيدته العصرية أبرز هذه الجهود، وقد تولى فيها الحديث بالشعر عن تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفكره وإنجازاته، وفيها يقول حافظ إبراهيم:

حسْبُ القوافي وحسْبي حين أُلْقيها
أنّي إلى ساحة الفارُوق أهديها

اللهمَّ هب لي بيانًا أستعين به
على قضاءِ حقوق نامَ قاضيها

وقد حفل شعره بالتركيز على القيم الخلقية النبيلة وقيم التقدم الاجتماعي والحضاري على حد سواء، وقد كان على سبيل المثال من المتحمسين لتعليم المرأة، وفي هذا أثر عنه بيته الشهير:

الأمّ مدرسةٌ إذا أعددتَها
أعددتَ شعبًا طيبَ الأعراق

كما كان دائم التفكر في عناصر القوة في البناء الاجتماعي، وقد انتبه ونبه إلى الدور الجوهري والمحوري للأخلاق، وفي هذا الإطار كتب كثيرًا عن أهمية العلم وشجع الجهود العلمية، كما أنشد قصيدة شهيرة في دعم إنشاء الجامعة الأهلية (1908) وقد وصل في شطر من أشطارها إلى قوله:

ولا حياة لكم إلا بجامعة

ودعا إلى الإنفاق على اليتامى في سبيل التعليم خاصة.

كما أذكى حافظ إبراهيم الدعوة إلى الجهاد وعضَّد زعماء الأمة المجاهدين بقصائد عديدة، ولم يفته أن ينعي على المتخاذلين تخاذلهم، وقد فعل هذا بقسوة صارت مضرب الأمثال.

وقد رثا عددًا من أعلام عصره بقصائد ستظل خالدة في ديوان الشعر العربي لما تضمنته من صدق العاطفة، وحرارة الوجدان، وجودة الصياغة وهو القائل في مطلع رثائه لسعد زغلول:

إيه يا ليلُ هل شهدتَ المصابا
كيفَ ينصبُ في النفوس انصبابا؟

وهي قصيدة حافلة بالصور المتأججة بالتعبير عن مشاعر صادقة، وله مثلها في رثاء الشيخ محمد عبده، ومصطفى كامل، وغيرهما.
كما أن قصائده في المديح تظل بمثابة أوسمة على صدور مَنْ استحقوها منه.
وقد حفظ التاريخ الأدبي كثيرًا من المحاورات الشعرية والطرائف بين شوقي وحافظ لكن أهم هذه الحوارات تلك التي سجلتها قصيدتاهما حين كان شوقي منفيًا في بلاد الأندلس، وأرسل إلى حافظ رسالته الشعرية الشهيرة التي يقول فيها:

يا ساكني مصرَ إنّا لا نزال على
عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركم
شيئًا نبلُّ به أحشاءَ صاديـنا

كل المناهل بعد النيل آسنة
ما أبعدَ النيل إلا عنْ أمانينا

وقد رد عليه حافظ إبراهيم:

عجبت للنيل يدري أن بلبلَه
صاد ويسقي ربَى مصرَ ويسقينا

والله ما طاب للأصحاب موردُه
ولا ارتضوْا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقتَ شاطئه
وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

■ آثاره

طبع ديوان حافظ إبراهيم أكثر من مرة في أجزاء. وأشهر طبعاته تلك التي صدرت بعد وفاته وقد حققها الأساتذة أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، ولحافظ أكثر من خمسة آلاف بيت من الشعر.

■ المصادر والمراجع

تعددت الدراسات عن حافظ إبراهيم ومن أبرزها دراسات: ● المازني، عبدالقادر، شعر حافظ؛ ● حسن طه، حافظ وشوقي، أمين أحمد، مقدمة ضافية لديوان الشاعر.

د. محمد الجوادي

عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

■ ابن إبراهيم، يوسف بن إسماعيل

(... هـ / ... م - كان حيا سنة 812 هـ/ 1409 م) ■ ■ ■

لم تشر إليه كتب التّراجم ما عدا «كشف الظّنون» لحاجي خليفة و«الأعلام» للزركلي. فقد أشار الأوّل إلى كتابه «مشارع اللغة» وكلّ ما قال عنه: «فرغ من تأليفه يوم الخميس الموافق لعشرين من ذي الحجّة سنة 812هـ، وهو لغة عربيّة مفسرة بالفارسيّة «كالصراخ». وقد أثارت كلمة «كالصّراخ» دهشة الزّركلي الذي اطّلع على نسخة مبتورة

من الكتاب في الخزانة العامّة بالرّباط.

وتكمن أهميّة كتاب «مشارع اللّغة» في كونه من المعاجم الثنائيّة اللّغة، وهي قليلة في التّراث المعجمي العربي، فهو معجم عربي-فارسي. ويبدو أنّ كلمة «كالصراخ» محرّفة: ومن المرجّح أن أصلها «كالصحاح»، معجم الجوهري، أو بالأحرى، «كالصُراح» أي كتاب «الصراح من الصحاح» لأبي الفضل محمد بن عمر بن خالد المشهور بجمال القرشي، وهو عبارة عن ترجمة معجم «الصحاح» إلى اللغة الفارسية.

وتحمل الصفحة الأولى من مخطوطة الخزانة العامة في الرباط العنوان التالي: «كتاب مشارع اللغة من تأليفات يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم عفا الله عنه وعن كافة المسلمين بمحمد وآله وصحبه وسلم». وقد تلمّح عبارة «من تأليفات» إلى وجود مؤلفات أخرى لصاحب التّرجمة، ولكننا لم نقف عليها.

ويشير يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم في فاتحة الكتاب إلى أن الغرض منه تيسير تعليم اللّغة العربيّة للأعاجم ليتمكّنوا من معرفة معاني القرآن الموجه إلى جميع الناس، عربا كانوا أو عجما، فيقول بعد الحمدلة والصلعمة: «لمّا كان نزول كتابه على الرسول القرشي، باللّسان العربي، مُرسلا إلى كافة الأنام من العربي والأعجمي، فاز العالمون بهذا اللّسان بوجوه البيان، ووجب على الأعاجم تعلم علوم التبيان، من معاني الكلام والنّحو والبيان، ليتمكن لهم معرفة معاني القرآن. وقد ألّف السّلف فيها المطولات، وإن كانت مطولات، يعجز أكثر النّفوس عن إحصاء لفظها، فأنّى يتجسر على حفظها، وأهل الزمان عزمهم كأعمارهم قصير: تأمّل هذه الآمال عليهم عسير، فلا يتحمّلونه، بل يفنى أعمارهم ولا يتحصلونه، ولا يبلغون مقصدهم، فيخيبون جهدهم. فحملني ذلك أن أجمع كتابًا يسهل مأخذه ومراسه، ويوجد فيه كل ما أشكل ما تعين مقامه فوجدت كتاب الصحاح للجوهري في ترتيبه، أقرب إلى النّجاح العبقري وتهذيبه، سهلا وأحرى لمن كان أهلاً، فرتبته على ترتيبه وبذلت جهدي في تهذيبه، والتقاط تغاريره وتثريبه، وتركتُ ما قلّ نفعه، وذكرت ما يفيد جمعه، ملتمسًا من الإخوان أن يصحّحوا سهوي...».

ويخصّص المؤلّف مقدمة «مشارع اللغة» لعرض الموضوعات الرئيسة في النحو العربي. فيقسّم المقدّمة إلى فصول: الفصل الأول، في الأفعال وأوزانها، والفصل الثاني، في الجموع القياسية، وهلمّ جرًّا.

وفاتحة الكتاب ومقدّمته باللغة العربيّة بلا ترجمة إلى الفارسيّة. أمّا المعجم نفسه فقد كُتبت المداخل بالعربيّة وتحت كلّ سطر كُتب معنى الكلمات والتعبيرات باللغة الفارسيّة.

والمعجم مُرتّب، كالصحاح للجوهري، على أواخر الكلمات. ولكل حرف باب. وكل حرف مقسم إلى فصول، يختصّ كل فصل منها بالحرف الذي تبتدىء به الكلمات. ففي باب الراء، مثلا نجد فصل الألف وفيه المداخل: أبر، أثر، أجر، أخر، إلخ. ويليه فصل الباء وفيه المداخل: بأر، بتر، بثر، بجر... إلخ. ويليه فصل التاء، وهكذا دواليك.

وقد أظهرت مقارنة أجريناها بين الصحاح ومشارع اللّغة أنّ الأخير اتبع ترتيب الأول

ولكنه لم يأخذ بمادة الصحاح ذاتها، بل أخذ بشيء منها وبأشياء من غيرها، في ضوء الغرض منه. ومن ناحية أخرى، نلاحظ في كتاب «مشارع اللّغة» ما يلي:

أ ـ إن معظم الكلمات العربيّة لم تُتبع بمعانيها ولا بتعاريفها باللغة العربيّة وإنما وضعت المقابلات الفارسية تحتها، مثلا:

تمر – التمر، والتمرة، والتمور، . . .
خرما يكي ج

ب ـ إن بعض الكلمات العربيّة ألحق بها المرادف العربي، إذا كان شائعا معروفا. مثلاً:

غضنفر – الغضنفرُ: الأسدُ. (انتهى)
شير

فالتمر لم يُذكر معناه بالعربيّة وإنّما بالفارسيّة، أمّا الغضنفر فقد أُعطي معناه بالعربية «الأسدُ»، لأن هذه الكلمة شائعة، إضافة إلى معناه بالفارسيّة (شير).

ولو نظرنا إلى هذين المدخلين في الصحاح لوجدنا ما يلي:

تمر – التمر: اسم جنس، الواحدة منها تمرة، وجمعها تَمرَات بالتّحريك، وجمع التّمر تمور.

غضفر – الغضنفرُ: الأسد. ورجل غضنفر: غليظ الجثة.

ج ـ ولمّا كان النّاطقون باللّغات الأخرى يواجهون صعوبة في فهم التّعابير الاصطلاحيّة والسّياقيّة واستعمالاتها باللغة العربيّة، فقد أولاها المؤلّف عناية خاصّة في معجمه. فإذا نظرنا إلى مدخل «أخذ» نجد المداخل الفرعيّة التالية:

- أخذ
- أخذ منه شيئا
- أخذ الله بذنبه
- أخذ في العمل
- أخذ حذره
- أخذ شيئا
- أخذه بعمله مؤاخذةً
- اتّخذ الله إبراهيم خليلاً
- اتخذ الثّوب قميصًا

وإذا نظرنا إلى مادّة «أخذ» في معجم الصّحاح، لا نعثر على أي من هذه التّعابير الاصطلاحيّة والسياقيّة.

ونستنتج من كلّ ذلك أن «مشارع اللّغة» معجم عربي فارسي على ترتيب الصّحاح وليس ترجمة للصّحاح، كما هو حال معجم «الصّراح من الصّحاح».

■ آثاره

مشارع اللغة، خ. الجزء الأول، منه نسخة بديعة مبتورة الآخر في خزانة الرباط 1714 ك، فرغ من تأليفه يوم الخميس 20 ذي الحجة 812 هـ [الزركلي، الأعلام، 8/ 217].

■ المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ 1687؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999، ج. 8، ص 217.

د. علي القاسمي
منظمة الاسيسكو ـ المغرب

ابن الأبرش، أبو القاسم خلف بن يوسف

(..... هـ / ..... م - 532 هـ /1138 م)

هو خلف بن يوسف بن فرتون الشنتريني المعروف بابن الأبرش والمكنّى بأبي القاسم.

نحوي وشاعر. لم تذكر مصادر ترجمته، وهي قليلة، تاريخ ولادته ولا مكانها، ولكنّها أجمعت على أنّه توفّي بقرطبة في ذي القعدة من عام 532 هـ/ 1138م.

على أنّ نسبته إلى شنترين Santaren، وهي مدينة في غرب الأندلس كانت تابعة لقورة الأشبونة (أو لشبونة Lisbonne)، تدلّ على أنّه ليس من أصيلي قرطبة، لكنّنا لسنا ندري هل غادرها فيمن غادرها بعدما استولى عليها الروم بقيادة ألفونسو القشتالي (ظلّت في أيديهم ثمانية عشر عاما (486- 304هـ/ 1093-1111م) ثم سقطت نهائيا (342هـ/ 1148م)، أم كان قبل ذلك. وما جعلنا نطرح فرضيّة فراره من موطنه الأصليّ ما رواه ابن بسّام صاحب «الذخيرة»، وهو شنترينيّ، من تغيّر الأحوال وانقلابها من «كرم الانتساب إلى سوء الاكتساب» ومن «مذخور العتاد إلى التقلّب في البلاد». وهذا ما دفعه إلى الهرب [الذخيرة ق 1 / م ص ص 19-20].

لم تكن قرطبة على هذا العهد بأحسن حالا من غيرها من بقاع الأندلس، لما عرفته من قلاقل بداية من سقوط الخلافة الأمويّة فيها (432 هـ/ 1031م). ويمكن القول إنّ ابن الأبرش قد عايش قرطبة، وهي في نزعها الأخير قبل سقوطها عام (633 هـ/ 1236م).

وعلى الرغم من أنّ ابن الأبرش لم يكن من أصيلي قرطبة، فإنّه قد عرضت عليه مناصب سياسيّة وقضائيّة ودينيّة، لكنّه كان يعرض عنها لما كان يغلب عليه من زهد وانصراف عن الأحوال السياسيّة وغيرها. قال عنه السّيوطي: «كان من أهل الزهد والانقطاع إلى الله تبارك وتعالى قانعا باليسير لا يدخل في ولاية، ولا يقبل على إقراء في جامع ولا إمامة. ودعي إلى القضاء فأنف منه» [بغية الوعاة، 234].

كان ابن الأبرش يحفظ كتاب سيبويه ويستظهره، وكذلك كتابي المبرّد «المقتضب» في النحو، و«الكامل» في الأدب. ويفتخر ابن الأبرش في بعض شعره بحفظه الكتاب ويجعله في الشرف والرفعة بمنزلة شرف النسب وإحكام الملك فيقول:

لو لم يكن لي آباء أسُود بهم
ولم يثبّت رجالُ العرب لي شرفا

ولم أنل عند ملك العصر منزلة
لكان في سيبويه الفخر لي وكفى

كان في عصره من رواة اللّغة والأدب، كما كان ممّن يروى عنه هذان الفنّان. فمن أشهر

من روى ابن الأبرش عنه الأدب الوزير أبو الحسن بن سرّاج الأديب (ت 508 هـ) [انظر ترجمته في الخريدة 3/ 204، والذخيرة 1/ 1 319...] وأشهر من روى عنه النحو أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الباذش. ولربّما كان ابن الأبرش ممّن يغلب على نحوه المذهب الكوفي، فالإستراباذي الذي يستشهد بآرائه ينسبه صراحة إلى الكوفيين [شرح الكافية 1/ 337].

على أنّ الآراء القليلة المنسوبة إلى هذا النحوي والتي احتفظت بها كتب النحو اللاحقة تدلّ على أنّه لم يكن ممّن يتّكل دائما في آرائه على السّابقين، بل له آراء فذّة خصوصا ما اتّصل منها بالعوامل النحويّة. فلقد كان يرى أنّ العامل في الفاعل ليس الفعل كما اتّفق عليه المذهبان البصري والكوفي، بل هو «الإسناد» أو العلاقة النسبيّة بين الفعل والفاعل [شرح الكافية 1/ 73، 187، 227]. كما كان يرى أنّ ناصب المفعول «كونه مفعولا» [شرح الكافية 1/ 337] وكلا الرأيين يشترك في تصوّر أوسع هو تقديم العامل المعنويّ على اللفظيّ. ويستعرض أبو حيان النحوي بعض آرائه في كتابه «ارتشاف الضّرب»، ويذكره مع ابن الباذش وابن أبي العافيه ويسمّيهم «أصحابنا» [2/ 324].

ولئن كان ابن الأبرش زاهدا في المجالس الرسميّة السياسيّة أو القضائيّة أو غيرها، فإنّه كان من أصحاب مجالس العلم على ما يذكره ابن بشكوال [الصلة 403]، أو على ما يستنتج من بعض ما استشهد به ابن هشام الأنصاري من كلامه.

آثاره

لم تذكر كتب التراجم من مصنّفات لابن الأبرش سوى ديوان شعر مطبوع [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 763؛ كحالة، معجم المؤلّفين 4/ 108].

أمّا في النحو فلسنا ندري هل كانت له مصنّفات ذهبت بها الرّيح التي عصفت بالأندلس أو أنّه كان ممّن اشتهر بالتدريس وعقد المجالس واستعاض بها عن التصنيف. وإن كنّا لا نذهب هذا المذهب لأنّ وصول آرائه إلى أقصى الشرق وأوسطه لا يكون بالإخبار بل بالآثار.

المصادر والمراجع

● ابن بشكوال، كتاب الصلة، الدار العربيّة للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، ق 1 ● الضبي، أحمد، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد. مؤسّسة الخانجي، مصر ● السيوطي، بغية الوعاة، ط 1، مطبعة السعادة، مصر 1326 هـ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى بغداد. ص 763 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، دار إحياء التراث العربي، 4/ 108 ● الأستراباذي، رضي الدين، شرح الكافية، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا ● ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت.

د. توفيق قريرة
الجامعة التونسية

ابن الأبرص، أبو زياد عبيد بن عوف

(.... هـ / .... م - .... هـ/ نحو سنة 550 م)

عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، يكنى أبا زياد، فارس عربي مشهور، وشاعر فحل من شعراء الجاهلية، ودُهاتها، وحكمائها، والمعمّرين فيها. جعله ابن سلام [طبقات فحول الشعراء، 1/ 137] في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة، وعديّ بن زياد.

يرجع نسب عبيد إلى سعد بن ثعلبة بن دودان، إحدى بطون قبيلة بني أسد الشهيرة التي كانت تسكن منطقة رحيبة تكاد تخترق شبه الجزيرة العربية من المدينة إلى الفرات، [انظر مادة «أسد» في دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية؛ عمر كحالة، معجم قبائل العرب. وانظر مادة «عبيد» في فهرس الأعلام بـ «معجم ما استعجم»، ص1565].

وتعد قبيلة بني أسد من القبائل الحربية، وإن عرفوا بصفة خاصة بنزاعهم مع ملكهم حجر بن الحارث الكنديّ، وثورتهم عليه، ثم فتكهم به، في يوم كان عبيد أحد فرسانه المشهورين. كما عرفوا كذلك بتصدّيهم لابنه امرىء القيس الشاعر المشهور، الذي أراد أن يثأر لأبيه، ويعيد عرش أسرته إليه.

ولم تكن علاقة عبيد بامرىء القيس وقفا على هذه الأحداث التاريخية، بل كانت بينهما قبل ذلك مشاركات ودّية، كتلك المنافرة المذكورة [ديوان عبيد، ص72-74، تح. د. حسين نصار، وهو مصدرنا في مجال الاستشهاد في هذا المدخل].

لم يحدّد المؤرّخون تاريخ مولد عبيد. وإن كان سزكين يحدّده بسنة 500م، دون أن يقدم دليلاً [تاريخ التراث العربي، 2/ 109].

هذا، كما لم تتوافر لدينا المعلومات الكافية عن حياة عبيد، وما تتّسم به شخصيته سوى ما يمدّنا به ديوانه من جهة، وما نستخلصه من بعض الروايات التي تدور حوله من جهة أخرى. فهو كثير المغامرات مع الحسان في شبابه [الديوان، ق/ 12 ب، 11-14؛ ق/ 40 ب، ص15-16]، متميّز بشجاعته وإقدامه في الحروب [الديوان، ق/ 16 ب، ص14-16]، متحلٍّ بكثير من الأخلاق الكريمة، كالعفّة والشرف، والعفو والصفح، والكرم، والسخاء، والحفاظ على حقوق الجار، والالتزام بصلة الرحم [الديوان، ق/ 19 ب، ص15-21؛ ق/ 30 ب، ص21]. ومع ذلك لم يسلم من القلق العائلي والاختلاف مع زوجه [الديوان، ص/ 41ب، ص 9-20]، بل ذاق مرارة الفقر، وتعرّض للأزمات المالية إلى حدّ حمله على الاقتراض، بل والمطل في وفاء الدَّيْن [الديوان المقطوعة، ص44].

هذا، ويحدّثنا الأصفهاني [الأغاني،

22/ 81-82، ط. الهيئة العامة للكتاب] عن كثير من قصصه، وبخاصة ما يتّصل بإلهامه الشعريّ. كما يحدثنا لويس شيخو [شعراء النصرانية، 4/ 597]، وكارل بروكلمان [تاريخ الأدب العربي، 1/ 110] عن حرص عبيد على منادمة الملوك والأمراء. مما يؤكّد أنه كان شخصية متميّزة محبوبة.

وقد اختلفت الآراء حول عقيدته، فمن قائل أنه وثنيّ [تاريخ الآداب العربية لكارلو نالينو، ط. دار المعارف بمصر، 1970م، ص2]، ومن قائل إنه نصرانيّ [شعراء النصرانية، مرجع سابق، والمعلّقات العشر دراسة ونصوص، 213، ط. بيروت 1696م] ومن قائل إنه كان من الموحّدين [تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندي، 1/ 111]. والرأي الأخير هو ما أميل إليه، حيث ورد في ديوانه ما يخرجه عن الوثنية [الديوان، ق/ 3ب، ص6]، كما ورد ما يفيد نقده للتثليث المسيحي [الديوان، ق/ 5ب، ص25].

أما ما يتّصل بطول عمره فيرى السجستاني [المعمّرون، 75] أنه قد عاش «.. مائتي وعشرين سنة، ويقال بل ثلاثمائة سنة». ويذهب ابن رشيق [العمدة، 1/ 103] إلى أنه عاش ثلاثمائة سنة. ويضيف ابن قتيبة [الشعر والشعراء، ط. بيروت، 1984، ص166]. أنه قد عاش أكثر من ثلاثمائة سنة. أما لويس شيخو [مرجع سابق]، وكرم البستاني [مقدمة ديوان عبيد، 6 بتحقيقه]، فيذهبان إلى أنّ عبيدًا لم يتجاوز المائة سنة، كما يفهم من سياق آثاره. مع أن شعره -وهو أجلّ أثر من آثاره- يؤكّد أنه عاش 220 سنة [الديوان، ق/ 21 ب، ص4].

أما عن قصة مصرعه وتاريخه، فلم يتّفق عليها الباحثون كذلك. وأصحّ الآراء عندي أن قاتله هو المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه، لا النعمان بن المنذر. وإذا كان المنذر قد قتل في حربه مع الحارث الغساني عام 554م [ليال في مقدمته لديوان عبيد، ص17]، فإن هذا التاريخ هو آخر عام يمكن أن تؤرّخ به وفاة عبيد وإن كنا لا نعرف المدّة التي انقضت على وفاته قبل ذلك العام.
ولكنّنا إذا قابلنا هذا الافتراض بما نقله بلاشير [تاريخ الأدب العربي، 261] حيث يقول: «ويرى اللغويون العرب أنّ امرأ القيس ينتمي إلى الجيل -وعبيد منه- الذي لم يكن موجودًا نحو 550م»- جاز لنا أن نأخذ بالتاريخ الأخير على وجه التقريب لا التحديد.
يحتوي ديوان عبيد بن الأبرص على أغراض متعدّدة، هي الفخر، فالوصف، فالنسيب، فالحكمة، فالثناء، فالهجاء، فالانذار والتهديد، فاللوم والعتاب، فالاعتذار، فالمديح، فالمساجلات، والمنافرات.
أما الفخر «فشعر عبيد يعدّ من أصدق الشعر الجاهلي الحافل بسورة الفخر الجريء» سواء أكان فخرا ذاتيا أم قبليا. ولقد أشرنا إلى نماذج من فخره الذاتي عند حديثنا عن سماته الشخصية، أما الفخر القبلي فنماذجه كثيرة، ومنها [الديوان، المقطوعة، 1، ق/ 3 ب، ص 12-29؛ ق/ 37 ب، ص 7-15].

أما الوصف فهو جدّ كثير متنوّع نوجزه في ثلاثة محور:

أوّلا: وصف الديار والأطلال، ومنه ما جاء في [الديوان، ق/ 5 ب، 1/ 10؛ ق/ 6 ب، 1/ 10].

ثانيا: وصف الحروب وأدواتها والرحلة ووسائلها من فرس، وناقة، وسلاح، ونماذجه -إلى جانب ما تقدّم في الفخر القبلي- متعدّدة، منها ما جاء في [الديوان، ق/ 28 ب، 7-18، 11-12، 19-20].

ثالثاً: وصف العاصفة والبرق، والسحاب، والمطر. ويعد عبيد بن الأبرص وصّافا ماهرًا لها خبيرًا بأحوالها، وصوره فيها متعدّدة منها قوله [الديوان، ق/ 34 ب، 1-7]، في وصف عاصفة وصفًا دقيقًا، من تجمع السحب وهبوب الرياح واشتعال البروق، وانصباب الأمطار. [وانظر الديوان، ق/ 35 ب: 1-2؛ ق/ 3، ب: 1-7].

أما النسيب فهو كثير في ديوان عبيد، ويأتي دائما في مطالع القصائد مع أغراض أخرى. ولم تستقل به تجربة بعينها إلاّ القصيدة رقم 42 من الديوان، وعددها 17 بيتًا.

وعبيد بن الأبرص قد عاش عمرًا مديدًا، وصقلته الحياة وحنكته التجارب، فلا غرابة أن تشيع الحكمة في شعره. ونكتفي من النماذج بما سبق في بيان سماته الشخصية.

أما الرثاء، فهو يدور حول محورين: الأوّل: ينعى فيه الشاعر نفسه، ويودّع أهله قبل موته، ومنه [المقطوعة، 14] وقوله على البديهة [المقطوعة، 22]؛ الثاني: بكاء الشاعر قومه الذين مزقتهم الحروب وأبادتهم المنايا في ميدان القتال ومن نماذجه [ق/ 5 ب: 1-10؛ ق/ 8 ب 1-8].

أما هجاء عبيد فقد انصبّ على امرىء القيس تهكّما بوعيده إياهم [المقطوعة 1، والمقطوعة 24].

أما الإنذار والتهديد، فمن نماذجه -إلى جانب ما وُجّه إلى امرىء القيس في الهجاء- ما جاء في [ق/ 41 ب: 9-20] مشيرًا إلى الجفاء الذي كان بينه وبين زوجه.

أمّا اللوم والعتاب فمن نماذجهما ما جاء في صدر [ق/ 20 ب: 1-4] مُوجِّهًا عتابه لأحد حلفاء بني أسد، لعدم استعانتهم بقومه لقتال غسان.

أما الاستعطاف والاعتذار فصورتهما القصيدة الميمية المشهورة رقم 48 في الديوان والتي صور المحقق جوّها وبين أسبابها، نقلا عن الأغاني [الديوان، ص125].

والمديح في ديوان عبيد قليل نادر، ومن نماذجه [الديوان، ق/ ب: 16-17] مادحا شراحيل بن عمرو بن معاوية الجون بن آكل المرار [والمقطوعة 26].

أما المنافرات التي تدلّ على المهارة العقلية، وحضور البديهة، فشاهدها [ق/ 29].

ينتمي عبيد إلى جيل ما بين الحربين، هذا الجيل الذي استطاع أن يشكّل مدرسة فنّية متميّزة هي «مدرسة الطبع» تلكم التي تقوم على العفوية والتلقائية دون تكلّف أو تصنّع، ودون محاولة لإعادة النظر في قصائدهم لتنقيحها وتهذيبها [الروائع من الأدب العربي، 1/ 40].

ويشتمل ديوان عبيد على تسع وعشرين قصيدة وثلاث وعشرين مقطوعة. وفي قصائده القصار ومقطوعاته «تتمثّل وحدة الموضوع والتجربة الشعورية الصادقة على ما فيها من سرعة وإيجاز»، كما تتوفّر هذه الوحدة بين كثير من أجزاء القصائد الطوال [تقديم المحقّق في صدر كل قصيدة].

ويتّضح في شعر عبيد كثيرًا ثنائية الموت والحياة، والشباب والشيخوخة [ق/ 11 ب: 4-5؛ ق/ 16 ب: 4-5؛ ق/ 19 ب: 26-32].

كما تبدو الثنائية أيضًا في لغة عبيد فهي خشنة صعبة في وصفه للديار والناقة والفرس، والحروب، سهلة خفيفة فيما عدا ذلك تقريبًا. ومن مظاهر السهولة في لغته اتّكاؤه على أسلوب الحوار حينا [ق/ 51 ب: 5-10].

ولكن اللافت للنظر هي قصيدة 32وعددها 27 بيتًا التي يصوّر فيها فراق أحبته وذكرياته في شبابه، وفخره بقومه. ومع هذا فقد «تعمد اختيار الألفاظ الغريبة غير المألوفة إلى جانب الطاء قافية لها.. فيكاد قارئها يشعر أنه يقرأ رجزًا لا شعرًا».

والازدواجية في شعر عبيد تشمل كذلك ألفاظ البداوة والحضارة. فعبيد شاعر بدوي، ولغته أكثرها صوره من البادية، ولكنّها لا تخلو من تمثيل للحضارة، وذلك لكثرة ترحاله ومنادمته للملوك والأمراء. ففي قصيدة 41 نجده في البيت 7 يصوّر الظباء بأباريق الفضّة، «وهي صورة طريفة نادرة في الشعر الجاهلي» وكذلك في [ق/ 30 ب: 8-16] نجده يشبه فيها مهارته الشعرية أو سبحه في بحور الشعر بحركات الحوت في المياه «وهي صورة غريبة لا نجد مثلها في الأدب العربي».

وقد استخدم عبيد ثمانية بحور لأوزان شعره هي: الطويل، والبسيط، والكامل، فالوافر، فالمنسرح، فالخفيف، والرمل، فالسريع. وقد شهر عبيد باضطراب شعره [طبقات فحول الشعراء، 1/ 138] كما ضرب به المثل في اختلال أوزانه. يقول أبو العلاء المعري:

وقد يُخطِئُ الرأيَ امرؤٌ وهو حازمٌ
كما اختلّ في وزنِ القريضِ عبيدُ

وقد فصل القول في هذه القضية د. يوسف خليف [الروائع من الأدب العربي، 1/ 40-41] فنكتفي بما قاله ثمة.

ومن اللافت للنظر كذلك في ديوان عبيد قصيدته 43، وعددها 18 بيتًا، وهي «تلتزم أن يكون آخر الشطر الأوّل من جميع أبياتها (ال) فيما عدا بيتا واحدًا» (البيت رقم 8).

هذا كما استخدم عبيد أربعة عشر حرفًا من حروف الهجاء، رويًا في شعره. منها ما يعد من القوافي الذُلل، وهي: الدال، والباء، واللام، والميم، والنون، والحاء، والراء، والسين، والقاف، والكاف. ومنها ما هو داخل في القوافي النُفُر: كالزاي، والصاد، والضاد، والطاء.

وإنّ شعره قد خلا من القوافي الحوش [أنواع القوافي، في المرشد إلى فهم أشعار العرب، 1/ 46، 59، 62].

أما الموسيقى الداخلية التي جاءت بتلقائية وعفوية في أشعاره، فمنها ما هو كثير كالتصريع في مطالع الكثير من قصائده. وإن ورد قليلا خلال القصيدة [ق/ 5 ب: 7؛ ق/ 37 ب: 7؛ ق30/ ب 15] وفي الشاهد الأخير من الموسيقى الداخلية أيضًا - الجناس، الذي يتوفّر كذلك في [ق/ 39 ب 18؛ ق/ 11 ب 10]. ومن الموسيقى الداخلية أيضًا حسن التقسيم كالبيت 13 من القصيدة 11، والبيت 10 من القصيدة 49.

آثاره

لقد تتبّع سزكين - في بحثه السابق - ديوان عبيد مخطوطا ومطبوعا، وما كتب عنه بالعربية وغيرها فنكتفي هنا بالإحالة إليه، مشيرين بإيجاز إلى **طبعات الديوان** على النحو الآتي:

1 - طبع الديوان لأوّل مرة في لندن وليدن 1913 بتحقيق تشارلز ليال، بعناية لجنة جب، مصدرًا بمقدمة دقيقة تحتوي على قضايا نقدية مهمة، ومنتهيا بفهارس موضحة ومفيدة؛ 2 - طبع الديوان بالقاهرة عن دار الحلبي 1957م بتحقيق د حسين نصار الذي اعتمد على طبعة ليال، مضيفا إليها ما حصل عليه من مصادر أخرى لم يقف المستشرق عليها، مع حرصه على ترجمة مقدمة ليال، ووضعها في صدر تحقيقه للإفادة منها 3 - طبع الديوان في دار صادر، بيروت 1958م، بتحقيق الأستاذ كرم البستاني، الذي كشف عن منهجه في تحقيقه في مقدّمته ص17 4 - صدر الديوان عن دار المعارف بمصر، نقلا عن مقدمة الدكتور عوني عبد الرؤوف للطبعة الآتية 5 - صدرت الطبعة الثانية لديوان عبيد، تح. ليال، عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة 2003م، وقد قدّم لهذه الطبعة، وأعدّها للنشر، وترجم التعليقات إلى العربية د. محمد عوني عبد الرؤوف.

أما عن مصادر شعر عبيد ومراجعه غير دواوينه، فأكتفي هنا بالإحالة إلى الثبت الوافي الذي سجله د. حسين نصار في نهاية تحقيقه (من ص175-177) مستثنيًا منه ديوان عبيد تحقيق ليال، ومضيفًا إليه «الروائع من الأدب العربي 1/ 155-171»، ومنوّها بأن «منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون» قد تمّ تحقيقه ونشره عن دار الكتب المصرية 1999م بتحقيق د. سيدة حامد وزميلها، وإشراف ومراجعة د. حسين نصار، أن ما يخصّ عبيد منه يقع في ج2، 105-134 .

المصادر والمراجع

● الأصفهاني، الأغاني 22/ 81-95، الهيئة العامة للكتاب سنة 1973م ● البغدادي، خزانة الأدب، 2/ 212-219، دار الكاتب العربي بالقاهرة 1968م ● السجستاني، أبو حاتم، المعمرون والوصايا، 75-76، تح. محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 166، ط. الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، 1984م ● الأعرج، أحمد محمد، عبيد بن الأبرص، حياته وشعره، رسالة ماجستير، كليّة اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، 4/ 188، ط السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م ● شلبي، طارق سعد، شعر عبيد الأبرص، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، 1994م ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، 2/ 109-112، ط السعودية، 1983م ● كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/ 110، ط الثالثة، دار المعارف بمصر 1974م.

د. محمد عبد الحميد سالم
جامعة عين شمس - مصر

الأبرقوهي، أبو المعالي أحمد بن إسحاق

(615 هـ/ 1218 م - 701 هـ/ 1301 م)

أحمد بن إسحاق بن محمد المؤيد بن علي بن القاضي المحدث رفيع الدين أبي محمد، قاضي أبرقوه الشافعي الهمذاني الأبرقوهي المصري، القرافي الصوفي. ولد في أبرقوه سنة خمس عشرة وستمائة.

وأبرقوه، وأهل فارس يلفظونها (وركوه) ومعناها فوق الجبل، بلد مشهور بأرض فارس من كورة اصطخر كما ذكر ياقوت في معجمه.

وذكرت بعض المصادر في ترجمته أمرًا مستغربًا ملخصه: أنه حضر سنة سبع عشرة على عبد السلام السرقولي، وسمع وهو في الخامسة سنة تسع عشرة من أبي بكر بن سابور بشيراز [الوافي، 6/ 242]، وهذا كلام يرفضه العقل، إذ كيف يتأتى لطفل في الثانية من عمره وفي الخامسة أنْ يحضر مجالس شيوخ الحديث ويأخذ عنهم؟؟! وفيما بعد انتقل إلى بغداد فسمع من أبي الفتح عبد السلام، وابن صرما أحمد بن يوسف (ت 621هـ)، ومحمد بن البيع (ت623هـ)، وأكمل بن أبي أزهر، والمبارك بن أبي الجود (ت 623هـ)، وصالح بن كور، وأبي علي الحسن بن إسحاق الجواليقيّ (ت 625هـ)، وابن الطلابة، والشيخ شهاب الدين عمر بن محمد ابن السهروردي، وعمر بن كرم الدينوري، ومحمد بن أحمد القطيعي، وزكريا بن علي العلبي، ونصر بن عبد الرزاق الجيلي؛ وبالجانب الغربي من بغداد من محمد بن ابراهيم بن معالي ابن المغازلي، وبغيره من أبي حفص عمر بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن سعد الدارقري المعروف بابن أبي الزيان، وأبي محمد الأنجب بن أبي السعادات الحمامي، وأبي منصور سعيد بن محمد بن ياسين، وأم الزبير صفية ابنة أبي طاهر عبد الجبار بن هبة الله بن البندار وجماعة. وسمع في الموصل من الحسين بن زيادة وغيره، وبحرّان من خطيبها الإمام فخر الدين بن تيمية، وبدمشق من أبي المحاسن محمد بن أحمد أبي لقمة، وأبي محمد الحسن بن البن، وابن صصري. وببيت المقدس من الحسن بن أحمد الأوهي، وبمصر من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفارسي، وأبي الحسن بن علي بن يوسف الدمشقي، وعبد العزيز بن باقا، وعبد الرحيم بن يوسف بن الطفيل، وجعفر بن علي الهمداني، وأبي الحسن علي بن أبي عبد الله بن المقير، ومن أبي البركات عبد القوي بن الحباب وقد سمع منه كتاب السيرة لابن هشام بكماله.

ولما مات أبوه نشأ هو وأخوه محمد بالقاهرة، فكانا يسمعان الحديث ويشتغلان بالعلم، فمات محمد كهلا كأبيه، وعمَّر أحمد هذا واشتهر اسمه وحدث وتكاثر أهل

الحديث عليه، وحدث بالكثير وانتهى إليه علو الإسناد وألحق الأحفاد بالأجداد، وشدت إليه الرحال، وخرّج له الحافظ أبو محمد مسعود بن أحمد الحارثي معجمًا في أربعة عشر جزءًا، ذكره أبو المعالي محمد بن رافع السلامي [منتخب المختار، ص22].

وذكر الصفدي في الوافي [6/ 243] ما نصّه: «وله معجم كبير بتخريج القاضي سعد الدين الحنبلي».

ذكر مترجموه أنه كان صالحا خيّرًا متواضعًا، تاليا لكتاب الله، حسن القراءة للحديث لديه أنسة صالحة لكثرة ما سمع وأسمع، وكان فقيرًا قانعا باليسير، مقتصدا في اللباس حسن الأخلاق صبورًا على التسميع.

والقرافي نسبة إلى القرافة وهي المقبرة. وكان المترجم له قد اتّخذها مقاما له وصار يؤم الناس بتربة بالقرافة أنشأها «كتبغا» حاكم مصر آنذاك، وصار لمترجمنا أتباع ومريدون من العوام كان يجلس بهم للذكر، ويعرف بينهم بالشيخ شهاب الدين السهروردي لكونه ألبسهم الخرقة عن الشيخ شهاب الدين دفين بغداد.

وقد سمع منه الحديث وحدث عنه أئمّة كبار منهم الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، وقد أكثر الحديث عنه (ت 748هـ)، وأبو العلاء الفرضي، والمزي، والبرزالي، وفتح الدين بن سيد الناس، والابيوردي، وابن الطاهري، والاسعردي، والحارثي، وأبو حيان، وأبو الفتح اليعمري، وقاضي القضاة علم الدين الأخنائي والقونوي، وابن العطار، وابن شامة، ومحمد بن محمد بن نباتة، وأبو العباس أحمد بن أبي بكر الزبيري.

وقد ذكره ابن شامة في معجمه، وخرج له الذهبي أربعين حديثًا، وقال عنه: نِعْم الشيخ كان.

وقال البرزالي في معجمه: «شيخ حسن صالح من أهل القرآن والدين، وكان والده من أعيان المحدثين ممّن اعتنى بهذا الشأن وسافر فيه ورحل بولده هذا فأسمعه ببلاد شتّى»، ثم قال البرزالي بعد ذكر شيوخه: «وكان شيخنا هذا رجلا جيدا خيّرًا متواضعًا، حسن القراءة للحديث، قارئًا لكتاب الله وطال عمره وانتهى إليه علو الإسناد في آخر عمره، فتمرض وانقطع بمكة فأدركه الموت».

ومرض مرة وقال: «أنا ما أموت في هذه المرضة، لأنّ النبي ﷺ وعدني أن أموت بمكة».

وانتقل من مصر إلى مكة المكرّمة في أواخر سنّيه، وكان يزعم أنه رأى النبي ﷺ في النوم، وأخبره أنه يموت بمكة، وقد صحّ ما توقّعه، فقد توقي بمكة في التاسع عشر من ذي الحجة سنة إحدى وسبع مائة ودفن بالمعلاة.

ذكرنا فيما تقدم جملة أعلام حدّثوا عنه، صحيح أن من ذكرناهم هم رؤوس القوم وأعلام المحدثين في القرن السابع الهجري، لكن مكانة المترجم له الذي كان مسندًا للعصر تستوجب الافاضة في ذكر طلبته الناهلين من علمه فمنهم:

- الشيخ الصالح فخر الدين عثمان بن شجاع بن عيسى الدمياطي المتوفى بمكة

المشرفة في رابع جمادى الآخرة عام سبعة وثلاثين وسبع مائة. سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [الوفيات للسلامي، 1/ 157-158].

- شمس الدين محمد بن علي بن أسد الأنصاري المعروف بابن الأطروش، توفّي في القاهرة في رجب سنة سبع وثلاثين وسبع مائة [وفيات السلامي، 1/ 165].

- مجير الدين خليل بن الفقيه زين الدين يحيى بن سليمان بن مروان البعلبكي، توفي في دمشق في ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة. سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 198].

- القاضي تاج الدين محمد بن عبد الله بن عوض الهوريني الشافعي، توفّي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة بثيج النيل بين دمياط وجوجر ودفن بجوجر. سمع من أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 201].

- في صفر عام تسعة وثلاثين وسبع مائة، توفي بدمشق الصدر تقي الدين عبد الرحمن بن كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني. وكان قد حضر على أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي جزء ابن الطلاية بقراءة ابن شامة سنة سبع مائة [وفيات السلامي، 1/ 247-248].

- الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزري ثم الدمشقي، المتوفى في غوطة دمشق في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وسبع مائة. سمع من الأبرقوهي. وكان قد صنّف تاريخا كبيرا عنوانه «حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» [وفيات السلامي، 1/ 251-252؛ أعيان العصر، 4/ 220].

- الشيخ الصالح شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن مبارك بن معالي الواسطي ثم المصري الصوفي، المتوفى في القاهرة في ربيع الأوّل سنة 739 . سمع من أحمد بن إسحاق الابرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 253-254].

- الخطيب زين الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، المتوفى بالقاهرة في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وسبع مائة. سمع من الأبرقوهي في القاهرة [وفيات السلامي، ص254-255].

- الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني، المتوفى بالقاهرة في صفر سنة أربعين وسبع مئة. سمع من أحمد بن إسحاق الأبرقوهي وغيره [وفيات السلامي، 1/ 304-305؛ أعيان العصر، 1/ 718-719] .

- قطب الدين أبو اسحاق إبراهيم بن المحدّث ناصر الدين محمد بن عمر بن سالم بن جميل المشهدي، المتوفى في الرملة في ربيع الأوّل سنة أربعين وسبع مائة. سمع من ابن المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 307-308].

- الشيخ المعدّل جمال الدين أبو محمد كساب بن محمد بن عبد الغني المشهدي

الحنبلي، المتوفى في ربيع الآخر سنة أربعين وسبع مائة بالقاهرة. سمع من أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 311-312].

- الصدر الخير قطب الدين أبو عبد الله محمد بن أيبك بن عبد الملك بن أحمد بن سعيد الخلاطي ثم القاهري، المتوفى بالقاهرة في جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مائة [وفيات السلامي، 1/ 320].

- الشيخ المعدل سراج الدين أبو حفص عمر بن أيبك بن عبد الله القادري، المتوفى في رمضان سنة أربعين وسبع مائة. سمع من أحمد بن إسحاق الأبرقوهي قطعة من سنن ابن ماجة [وفيات السلامي، 1/ 336].

- الشيخ الصالح نور الدين أبو الحسن علي بن عمر بن حمزة الحراني النجار، المتوفى بالمدينة المنوّرة في شوال عام أربعين وسبع مائة. سمع من الأبرقوهي وغيره [وفيات السلامي، 1/ 340].

- الشيخ المعدّل بهاء الدين أبو بكر بن صالح بن خضر المقدسي ثم الدمشقي، المتوفى بدمشق في جمادى الآخرة عام واحد وأربعين وسبع مائة. سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 365].

- القاضي عز الدين عبد. . ابن أحمد بن ياسين النشائي، المتوفى بالقاهرة في رمضان سنة واحد وأربعين وسبع مائة. سمع من الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 378].

- الصدر الكبير سراج الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحيم ابن الولي عبد الرحمن النصيبي، المتوفى بالقاهرة في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة. سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي [وفيات السلامي، 1/ 411]. كما سمع عنه الكثيرون من المشايخ.

وما تقدم يكشف عن المكانة العلمية الرفيعة التي احتلّها الأبرقوهي بجدارة، وكيف كان شيخًا لعدد ضخم من أعلام الفقه والقضاء والحديث في زمنه، وأنّه عمّر حتّى غدا مسندًا للعصر.

المصادر والمراجع

● الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص242، حققه س ديدرينغ، منشورات جمعية المستشرقين الألمان، 1392هـ/ 1972م ● الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج1، ص171-172، حققه علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد ومحمود سالم، دار الفكر المعاصر ودار الفكر بيروت، دمشق 1997 ● ابن حجر، الدرر الكامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، ج1، ص109، القاهرة ● الذهبي، من ذيول العبر، تح. محمد رشاد عبد المطّلب، ص18، الكويت ● ابن تغري بردي الأتابكي، المنهل الصافي، تح. أحمد يوسف نجاتي، ج1، ص218، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1956 ● ابن رافع السلامي، منتخب المختار، ص 20-23، انتخاب تقي الدين الفاسي المكي، نشره عباس العزاوي، بغداد 1357هـ/ 1938م ● الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص4، المكتب التجاري، بيروت ● ابن تغري

بردي، يوسف، النجوم الزاهرة، ج8، ص198، القاهرة، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ● ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص21، 1966، مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر في الرياض ● ياقوت، معجم البلدان، مادة أبرقوه، طبعة وستنفلد ● السلامي، محمد بن رافع، الوفيات، حققه صالح مهدي عباس، ينظر فهرس الأعلام، ج2، ص549،مطبوعات مؤسسة الرسالة، بيروت 1982م.

هلال ناجي
باحث - العراق

الإبشيطي القاهري، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل

(802 هـ / 1399 م - 883 هـ/ 1478م)

ولد شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن خالد بن بريدة الإبشيطي، ثم القاهري الشافعي، ثم الحنبلي، في سنة اثنتين وثمانمائة من الهجرة/ الف وثلاثمائة وتسع وتسعين من الميلاد بإبشيط من قرى المحلّة من الغربية بمصر.

ومنذ نشأته الأولى أخذ شهاب الدين يحفظ القرآن الكريم وكتبا مهمّة في فروع الفقه الشافعي من أبرزها كتاب «العمدة» لأبي بكر محمد بن الشاشي (ت 507 هـ/ 1113 م)، كما أخذ الفقه الشافعي عن أشهر علماء الشافعية في ذلك الوقت. منهم بدر الدين حسن بن علي بن الصواف (ت 868 هـ/ 1463 م)، وولي الدين إبراهيم بن أحمد بن القطب (ت 898 هـ/ 1492 م). كما قرأ القرآن الكريم على أحمد الرمسيسي البحيري (ت 898 هـ/ 1492م).

وفي سنة عشرين وثمانمائة هجرية/ ألف وأربعمائة وسبع عشرة ميلادية، انتقل الإبشيطي إلى القاهرة، فقطن الجامع الأزهر مدة وأخذ فيه الفقه الحنبلي عن برهان الدين إبراهيم بن محمد البيجوري (ت 888 هـ/ 1483 م)، وشمس الدين إبراهيم بن أحمد البرماوي (ت 806 هـ/ 1403م)، وولي الدين أحمد بن حسين العراقي (ت 889 هـ/ 1484 م)، وشهاب الدين محمد بن أحمد السيرجي (ت 877 هـ/ 1472 م) وآخرين.

كما درس المنطق على يد محمد بن علي بن محمد القاياتي (ت 850 هـ/ 1446 م)، وقرأ النحو على علماء وقته ومن أبرزهم شمس الدين محمد بن أحمد الشطنوفي (ت 873 هـ/ 1468 م)، وناصر الدين أحمد بن عبد الرحمن البارنباري (ت 822 هـ/ 1419 م)، ومحب الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن نصر الله البغدادي (ت 867 هـ/ 1462 م).

كذلك أخذ العلوم الرياضية من حساب وجبر ومقابلة وما يتّصل بهما من علم الفرائض، عن ابن نصر اللّه البغدادي المتقدم ذكره وسواه من العلماء.

أما علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم البلاغة من بيان ومعان فقد درسها على أحمد بن محمد المحلي (ت 860 هـ/ 1455م) ومحمد القاياتي المتقدم ذكره وآخرين. كما سمع الحديث النبوي الشريف من عبد الكريم بن عبد اللّه بن الديري (ت876 هـ/ 1471 م)، وابن نصر اللّه البغدادي وسواهما.

لقد برع الإبشيطي في جميع العلوم التي تصدّى لقراءتها حتّى أصبح واحدا من مشاهير عصره في الفقه وأصوله، وأصول الدين، والعربية، والفرائض، والحساب، والعروض، والمنطق وغيرها. ولشدة فقره نزل في صوفية الحنابلة المؤيدية في بداية افتتاحها وأقرأ الناس فانتفع به الكثيرون طبقة بعد طبقة.

وفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة/ ألف وأربعمائة وثلاث وخمسين من الميلاد، قام الإبشيطي بأداء فريضة الحج في بيت اللّه الحرام وزار قبر النبي ﷺ بالمدينة، وانقطع بها مدة جاوزت العشرين سنة، وعظم انتفاع أهلها به في العلم والإيثار، وحفظوا من كراماته وبديع إشاراته ما يفوق الوصف حتّى وصف بينهم بكونه كلمة إجماع، وكان يبالغ في إكرام من يتردّدون عليه ويصفهم بأحلى وأعذب العبارات.

وبعد ذلك واصل الإبشيطي زياراته لبيت اللّه الحرام لأداء فريضة الحج ولقاء المشايخ من علماء المسلمين، ففي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة من الهجرة/ ألف وأربعمائة وست وستين من الميلاد، جاور بمكة المكرّمة مدة التقى فيها على عادته مشاهير العلماء ومنهم الفقيه والمؤرخ الشهير شمس الدين محمد السخاوي الذي أكثر من الحديث عن كثرة اجتماعه بالإبشيطي والاستئناس بمحادثته والسماع من فوائده ومواعظه والابتهاج برؤيته وسماع دعواته، كما وصفه بكونه على قدر عظيم من الاشتغال بوظائف العبادة، صلاة وطوافا ومشاهدة وتلاوة وإيثارا وتقشفا وتحرزا في لفظه، بل وغالب أحواله منعزلا عن أهلها البتّة وربّما جلس في بعض مجالس الحديث بأطراف الحلقة وقد طلب منه جماعة أن يقوم بالتحديث لكنه امتنع لا سيما عندما كان بالمدينة المنوّرة أدبا مع النبي ﷺ ولم يزل على هذه الحالة حتّى وفاته.

ومن مظاهر تصوّفه وعبادته زهده في الحياة وتقشفه فيها حتى قيل فيه إنه كان مقتصدا في مأكله وملبسه، فكان يلبس قميصًا خشنا ويلبس فوقه في الشتاء فروة كباشية، وإذا اتسخ قميصه يغسله بنفسه في بركة صوفية الحنابلة المؤيدية بالماء فقط. وكان ينام وتحت رأسه طوبتان وإلى جانبه قطعة من الخشب يضع عليها كتبه، وبقية خلوته في المؤيدية كان يضع فيها حبال الساقية والعليق بحيث لا يختصّ من الخلوة إلاّ بقدر حاجته. وكان له في كلّ يوم ثلاثة أرغفة يأكل رغيفا واحدا ويتصدّق بالرغيفين الآخرين للمحتاجين. كما كان معلومه في كلّ شهر محدودا جدّا يقتات منه في كلّ شهر نحو

خمسة إنصاف فضّة وهي عشرة دراهم شامية أو أقلّ والباقي يتصدّق به على الفقراء. وكان هذا شأنه دائما لا يدّخر شيئا يفضل عن كفايته مع الزهد، ووقعت له مكاشفات وأحوال تدلّ على أنه من كبار الأولياء.

ومن جميل نظم الأبشيطي هذه الأبيات:

المُنجيات السّبع منها الواقعَةْ
وقبلها يس تلك الجَامعَةْ

والخمس الانشراح، والدخان
والملك، والبروج، والانسان

ومن نظمه أيضًا:

يا أيها القاضِي الإمامُ العالم
كفيتَ من يخشى ومن يسالم

ونلت من ربّ العباد حفظا
ومن عباده الكرام لحظا

ما قولكم بامرأة تشكو العنَا
تقول بعْلي مات حقا معلِنا

وإنّ حمْلي منه باعترافه
قد قارب الوضع مع انصرافه

فإن يكن انثى فنصفُ مالي لي
أو ذكَرا فثمنه لي منجلي

فإن وضعتُ الحمل منّي ميّتا
وقيتَ كلّ ما يروّع الفتى

فالمال لي علامة الحكام
فتلك قصّتي وذا كلامي

جئنا بها بغداد نرجو حلّها
إذا ببطش الدهر حلّ أهلها

فمن رآه صاح انـي أمرا
مع العدا ومع أمور اخرى

كري البيوت وأذى الأزواج
وميل أولاد مع اللجاج

فافتنا كيف يكون المخْلَص
فما وجدنا غيركمُ من يفحص

وجواب هذه المسألة أن امرأة اشترت عبدًا فأعتقته وتزوجت به ثم توفي عنها وهي حامل منه ولا وارث له غيرها وغير حملها.

بقي أن نشير إلى أن الإبشيطي القاهري كان قد توفي بالمدينة المنورة بعد أن توعك قليلا بالحمّى وفارق الحياة بعد عصر يوم الجمعة التاسع من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة من الهجرة/ ألف وأربعمائة وثمان وسبعين من الميلاد، وصلّى عليه الجمهور صبيحة يوم السبت بالروضة. بعدها دفن بالبقيع قريبا من قبر الإمام مالك، وكان له مشهد حافل جدا وتأسف الناس كثيرا على فقده خصوصا أهل المدينة لما عرف عنه من طيب الخصال وجميل الفعال.

آثاره

لم يكتف الإبشيطي بإقراء الناس العلوم التي أخذها وبرع فيها، بل نراه يصنف ويشرح ويلخص وينظم. وفيما يأتي عرض لمعطياته في هذا الميدان: 1 - كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه 2 - كتاب إتقان الرائض في فنّ الفرائض 3 - كتاب التحفة في العربية في مجلد واحد 4 - كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول لناصر الدين عبد اللّه بن عمر

البيضاوي توفي 685 هـ/ 1286 م 5 - كتاب قواعد الإعراب لمحمد بن أحمد بن هشام (ت 570 هـ/ 1174 م) 6 - كتاب الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق لأفضل الدين محمد الخونجي (ت 624 هـ/ 1226 م) 7 - شرح مختصر جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب (ت 646 هـ/ 1248م) 8 - شرح لسان الأدب لابن جماعة 9 - شرح خطبة المنهاج الفرعي 10 - شرح قصيدة الخزرجية 11 - شرح البردة في الشعر الصوفي 12 - شرح الرحبيّة 13 - لخص كتاب الحاشية الجليّة السنية على حلّ تراكيب ألفاظ الياسمينية في الجبر والمقابلة، لخصها من شرحها لشهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم (ت 815 هـ/ 1412 م) 14 - منظومة في المنطق 15 - روي الصادي وعجالة الغادي 16 - نظم مختصر نجم الدين أبي شجاع (ت 652 هـ/ 1254 م) 17 - نظم الناسخ والمنسوخ للبارزي...

المصادر والمراجع

● السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت 902 هـ/ 1496 م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت 1/ 235 ـ 236، 237 ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911 هـ/ 1505 م)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتّي، المطبعة السورية الأميركية، نيويورك 1927 ص 37 ـ 38 ● الحنبلي، عبد الحي بن العماد، (ت 1089 هـ/ 1678 م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت 7/ 336 ـ 337 ● الشوكاني، محمد بن علي، (ت 1250 هـ/ 1834م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة - القاهرة 1929، 1/ 37 ـ 39 ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد 5/ 135 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق 1957، 1/ 163 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 3، بيروت 1969، 1/ 94.

د. غانم عبد الله خلف
جامعة الموصل - العراق

الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور

(790 هـ / 1388 م - 852 هـ/ 1448م)

بهاء الدين محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى البهاء، أبو الفتح بن الشهاب أبي العباس، الخطيب الأبشيهي، المحلي الشافعي، أديب، واعظ. والأبشيهي نسبة إلى (أبشويه) من قرى مديرية الغربية بمصر حيث ولد، والمحلي نسبة إلى المحلّة الكبرى حيث أقام.

تلقى في أبشويه دروس تعليمه الأولى، فحفظ القرآن الكريم،وصلى به وهو ابن عشر، وقرأ بعض كتب الفقه والنحو على بعض علماء عصره، وحج سنة أربع عشرة وثمانمائة. دخل القاهرة غير مرة، وسمع بها دروس الجلال البلقيني، ثمّ عاد إلى بلده، وولي خطابتها بعد وفاة والده.

اشتغل بالنظم والتصنيف في الأدب وغيره، ولم يكن ملمّا الإلمام الكافي بالنحو، ولذا كان اللحن يقع في كلامه كثيرًا.

ويعد كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» أهم كتبه وأوسعها انتشارًا، وقد ترجم إلى الفرنسية والتركية. ونقل فيه - كما يقول هو - كثيرًا مما أودعه الزمخشري في «ربيع الأبرار»، وكثيرًا مما نقله ابن عبد ربه في «العقد الفريد»، وجمع فيه كذلك «لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة... والأمثال الشعرية، والألفاظ اللغوية، والحكايات الجدية، والنوادر الهزلية، ومن الغرائب والدقائق، والأشعار والرقائق، ما تشنف بذكره الأسماع، وتقر برؤيته العيون». وكان يستدل في كتابه هذا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ويجيء كتاب «المستطرف» في أربعة وثمانين بابًا، وهو يصنف ضمن كتب الأدب العامة، أو الموسوعات الأدبية، أو كتب الثقافة العامة.

آثاره

1 - المستطرف في كل فن مستظرف، جزآن، ط 2 - أطواق الأزهار على صدور الأنهار، في الوعظ، مجلّدان 3 - تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين، مخ 4 - شرع في تأليف كتاب «في صنعة الترسل والكتابة».

المصادر والمراجع

● الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1423 هـ/ 2002م ● خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1402 هـ/ 1982م ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 12، 1997م ● السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،

القاهرة، د. ت، نشرة القدسي، القاهرة، 1355هـ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1414 هـ/ 1993م

● النساج، سيد حامد، رحلة التراث العربي، دار المعارف بمصر، ط 4، 1990م.

د. فتح الله سليمان

جامعة حلوان - مصر

أبكاريوس، إسكندر بن يعقوب

(... هـ / ... م - 1303 هـ/1885 م)

إسكندر بن يعقوب أبكاريوس، أديب، وشاعر، وصحفي، ومؤرّخ لبناني سليل أسرة أرمنيّة نزلت بيروت في القرن التّاسع عشر، فتعلّمت العربيّة حتّى نبغ منها غير واحد في التاريخ والأدب. كان من الناشطين في النّهضة الأدبيّة العربيّة في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر، مؤلّفا ومنشئا.

ولد إسكندر أبكاريوس في بيروت، وتلقّى دروسه في المدرسة الوطنيّة، ثمّ في الكلّية الأمريكية. انكبّ على دراسة الأدب العربي وتاريخه، واشتهر بالسّجع.

احتلّ مكانة علميّة واجتماعية مرموقة، ونال مرتبة الاستحقاق والمكانة العليّة لدى السّلطنة العثمانيّة التي تكرّمت عليه برتبة «بك» فقرنت باسمه.

سافر إسكندر أبكاريوس إلى خارج لبنان في رحلتين: الأولى إلى أوروبا بقصد الاطّلاع والسّياحة، فأقام بها مدّة عمل في خلالها في بعض المؤسسات العلميّة والصّحافية، وتلقّى العديد من الهدايا والأوسمة. ولكن لم ترُقْ له الإقامة هناك، فعاد إلى بيروت يشتغل بالتأليف ويحرّر في الجنان.

أمّا رحلته الثانية، فكانت إلى مصر التي استقرّ بها مدّة منذ السنة 1874 م، فعُيّن فيها رئيسا لدائرة إسماعيل صدّيق باشا، وزير المالية في عهد الخديوي إسماعيل. وفي أوائل الثّمانينات من القرن التّاسع عشر، عاد إلى لبنان واستقرّ ببيروت حتّى أدركته الوفاة في 13 كانون الأوّل العام 1885 م.

آثاره

ترك إسكندر أبكاريوس عددًا من الكتب، الشّعريّة والأدبيّة، والتاريخيّة، إضافة إلى بعض المقالات. ويعتبر فيما تركه من آثار من كبار أدباء ومؤرخي القرن التّاسع عشر. وأهمّ مؤلفاته: 1 - نهاية الأرب في أخبار العرب، وفيه أخبار عرب الجاهليّة، وكان كثيرا ما

يُرجع إليه قبل أن تنشر المؤلفات القديمة التي أخذ عنها، ومنها «الأغاني»، و«العقد الفريد»، و«عيون الأخبار»، و«خزانة الأدب» طبع في مرسيليا، 1852 م 2 - روضة الأدب في طبقات شعراء العرب، فيه تراجم لعدد من الشعراء الجاهليين والمخضرمين مرتّبة على حروف الهجاء، طبع في بيروت، 1858م 3 - المناقب الإبراهيميّة والمآثر الخديويّة، أعانه في تأليفه المؤرّخ والأديب محمد مكاوي. ويتناول فيه الحديث عن أسرة محمد علي باشا، وحروب إبراهم باشا في بلاد الشام، مع ترجمة كاملة لأولاد محمد علي وأحفاده حتّى عهد حكم الخديوي توفيق طبع في المطبعة الوهبيّة، القاهرة، 1299 هـ/ 1882 م 4 - ديوان عنترة بعنوان منية النّفس في أشعار عنترة عبس، طبع أوّلا في بيروت السّنة 1864، ثمّ أعيد طبعه ثانية في المطبعة الأدبيّة، بيروت، 1881م 5 - التّحفة الغرّاء في محاسن تونس الخضراء 6 - ريحانة الأفكار في أخبار الأسد الكرّار، والبطل القهّار، الملك شهريار، طبع في بيروت، السّنة 1880م 7 - نزهة النفوس وزينة الطروس، مطبعة جريدة الزّمان، مصر 1883 م، وأكثره في مدح الخديوي توفيق والخديوي إسماعيل 8 - ديوان الدواوين في أجود أشعار المتقدّمين والمتأخرين 9 - تأسيس المدامة في تراكيب الدّامة، وهو كتاب غريب جمع فيه ألف لعبة من الألعاب والتّراكيب، مرتّبا إيّاها على أسلوب مدهش وعجيب 10 - وينسب إليه أيضًا كتاب خرابات سوريّة 11 - نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان: للكتاب أربع نسخ، الأولى نسخة تيمور، دار الكتاب القوميّة، مصر، ثمّ المخطوطات، تاريخ تيمور، رقمها 577؛ والثانية نسخة مصطفى، نسبة إلى مالكها مصطفى فاضل باشا بن إبراهيم باشا؛ والثالثة نسخة دار الكتب القوميّة، مصر، رقمها 122 تاريخ م. مكتبة مصطفى فاضل باشا؛ والنسخة الرابعة أيضًا في دار الكتب المصرية، الخزانة الزّكيّة نسبة لمالكها الأوّل أحمد زكي باشا، رقمها 296، وزارة الأوقاف، الخزانة الزّكيّة، وعنوانها «نوادر الزّمان في ملاحم عرب استان». وهذا الكتاب قام بتحقيقه عبد الكريم إبراهيم السمك، رياض الريس للنشر، لندن، 1987م. وهو كتاب في الأحداث اللّبنانية الفاجعة لعام 1860 م التي عاصرها المؤلّف، وهو يشمل حقبة من تاريخ لبنان الحديث بدءًا بمعركة عين داره العام 1711 م وانتهاء بالعام 1871 م. ويتناول فيه، في تسعة فصول، الأحداث التي جرت في جبل لبنان من المتن إلى الساحل، إلى الدبية ومعلقة الدامور، إلى إقليم جزين والبقاع والخروب، إلى حاصبيا وراشيا، إلى زحلة ودير القمر. ثمّ يتجاوز لبنان إلى دمشق الشام، خاتمًا بمجيء فؤاد باشا. ويعتبر أبكاريوس أنّ أحداث 1860 م قد شاع ذكرها في جميع الأقاليم والبلدان، وتحدّث بها النّاس في كلّ مكان. أمّا هو فقد جنّد نفسه من أجلها وراح يدقّق في التقاط أخبارها ويتحقّق منها ليطلع النّاس على حقيقة ما جرى، ومعرفة ما كان مضمرًا بها من المقاصد والغايات السيّئة. وبعد الانتهاء من تأليف الكتاب أهداه إلى باي تونس محمد صادق باي، ومدحه بقصيدة من 19 بيتًا في مطلعها:

لك الهنا يا كتابي إن بلغت إلى
أعتاب مولاي ربّ الجود والكرم
محمد الصادق المفضال من شهدت
له الخلائق في الإفضال والهمم

أمّا أسلوب الكتاب فهو السّجع الذي اشتهر به المؤلّف في معظم كتاباته، والذي كان ما يزال شائع الاستعمال في عصره. وتكمن أهمّية الكتاب في أنّه يتناول الحياة السّكّانيّة في جبل لبنان من جميع جوانبها: الدّينيّة، والاجتماعيّة، والعرقيّة، إضافة إلى الحكم المصري في بلاد الشام وما ترتّب عليه من تدخّل دولي لبلاد الشام، ويعتبر أبكاريوس شاهد عيان لقسم كبير من الأحداث، من هنا تزداد أهمّية الكتاب لتبيان حقيقة بعض الأحداث التي كُتب عنها في فترة لاحقة أو وضعت عنها مؤلّفات بُعَيْد وقوعها مباشرة. كما تساعد في دحض أو تأكيد ما ورد في كتابات قناصل الدّول التي كانت لها علاقة مباشرة بالأحداث، وتبيّن دورهم الذي لعبوه سواء في علاقاتهم مع الأطراف المتصارعة أو في علاقاتهم مع الدّول العثمانيّة 12 - «المآثر الخديويّة ووزارة الحكومة المصريّة»، نشرها في أجزاء الجنان في العام 1874 م.

المصادر والمراجع

● المناقب الإبراهيميّة والمآثر الخديوية، ص 118، المطبعة الوهبيّة، القاهرة، 1299 هـ/ 1882 م ● شيخو، لويس، الآداب العربيّة في القرن التّاسع عشر، 2/ 133-134، بيروت، 1924 م ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء والمستعربين والمستشرقين، طبعة ثالثة، 1929 م 1/ 297 ● البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1/ 285، منشورات مكتبة المثنّى، بغداد، د. ت ● زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، 3/ 260، دار الهلال، مصر، د. ت ● المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريّة، ج 4، مج. 8، ص 695-696، المطبعة العمومية، بيروت، 1905 م ● جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، طبعة ثالثة، 2/ 313، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت ● البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، 2/ 258، بيروت، 1958 م ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدّراسة الأدبيّة، الفكر العربي الحديث في سير إعلامه، 3/ 50- 51، منشورات الجامعة اللّبنانية، بيروت، 1972م ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ص23-24، مطبعة سركيس، مصر، 1928 م ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، 2/ 253، طبع دار إحياء التّراث للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، 1957 م.

د. جوزاف لبكي
الجامعة اللّبنانية

الأبهري، أثير الدين المفضل بن عمر

(... هـ/ ... م - 663 هـ/ 1265م)

أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل السمرقندي الأبهري، وهو من أشهر رجال العلم في الفكر الإسلامي. لا يعرف بالتحديد مكان ولادته، وتوجد روايات مختلفة فيما يتعلّق بنسبته ومكان ولادته، والرأي الغالب أنّه ولد في الموصل

[G.C Anawati, «Abhari» EIr., I, 216; A. Bingöl, «Ebhcri, Esirüddin», DIA, V, 75].

بعض المصادر تكتب الأبهري خطأ على شكل «الأبْهَرِي» [محمد الفوزي، سيف الغلاب على مغني الطلاب، ص 10؛ سوتر، Die Mathematiker، ص 145-146]، وهناك اختلاف فيما إذا كانت نسبة الأبهري تتعلّق بمكان أو بقبيلة. ويرى بعض الإيرانيين بشكل خاص أن نسبته تتعلّق بمكان، ويذهب من ينسبه إلى «أبهر» إلى قياس نسبته بالزنجاني والأصفهاني اللذين ولدا في زنجان وأصفهان [لغت نامه دهودا، II، 957؛ صامد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة المعارف بوزركي إسلامي، VI، 586]، وثمّة من ينسبه إلى قرية «أبر» بجوار بحيرة «أبر»، وهي تشبه في نطقها منطقة «أبهر» وتوجد في محافظة «شاي» الموجودة في «أفيون»، بل هناك من يذكر أنّه ولد في تلك القرية ويوجد قبره فيها إلى الآن.

[M.S. Aygen, Büyük Filozof, Esirüddin Ebheri, Afyon, 1985].

ومما يثير الانتباه أنّ الأبهري يستعمل لنفسه نسبة «السمرقندي»، وهو ما يعني أنّه من سمرقند، وعلى هذا تكون نسبته إلى قبيلة «أبهر» [محمد الفوزي، سيف الغلاب على مغني الطلاب].

لا نملك معلومات كثيرة بشأن تحصيله للعلم، ولكننا نعرف أنّه تلقى تعليمه الأول في الموصل، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى خراسان وبغداد وأربيل وهي تمثّل مراكز علمية وثقافية كبيرة في عصره وهناك واصل تلقيه للعلم. ويذكر ابن خلكان (ت 681 هـ/ 1282 م) أنّ الأبهري قدم من الموصل إلى أربيل خلال عامي 625-626 هـ/ 1227-1228 م، وهناك تردّد على مجالس العالم المشهور كمال الدين بن يونس (ت 639 هـ/ 1242م)، كما أنّه درّس في مدرسة «البدرية» [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ب، 313]. ومن جانب آخر كان الأبهري من بين الذين تتلمذوا على يد الفيلسوف والمتكلّم والفقيه وعالم التفسير فخر الدين الرازي (ت 606 هـ/ 1210 م)، ونستطيع أن نفهم ذلك من خلال ما قاله المؤرخ أبو الفرج بن العبري: «من أشهر الذين أخذوا العلم عن الإمام فخر الدين الرازي في زماننا (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) في مجال الفلسفة والمنطق صاحب المؤلفات القيّمة زين الدين الكشي، وقطب الدين المصري من خراسان، وأفضل

الدين الهنجي في مصر، وشمس الدين الخسروشاهي في دمشق، وأثير الدين الأبهري، وتاج الدين الأرموي في الأناضول، وسراج الدين الأرموي في قونية» [ابن العبري، تاريخ مختصرات الدول، ص 445].

عندما يتحدّث كريم الدين محمود الأق سرايي (ت 733هـ/ 1332-1333م) عن الأشخاص المشهورين في فترة غياث الدين كيخسرو الثاني (642-643 هـ/ 1245 م) من حكام الدولة السلجوقية في الأناضول يذكر «أثير الدين المنجم» ويقصد بذلك الأبهري [مسامرات الأخبار، نشر أ. توران، أنقرة 1944، ص 91]. كما أن حفيده أمين الدين الأبهري (685 هـ/ 1286 م-733 هـ/ 1333م) اشتغل مثله بعلم الفلك والمنطق وهو في الوقت نفسه طبيب وفقيه، وقد ولد في سيواس وأطلق عليه بسبب ذلك لقب «السيواسي»

[C. Izgi, «Ebheri Eminüddin, DIA X, 75; C. Izgi, Osmanli Medreselerinde Ilim, I, 116].

ويخبرنا حفيده هذا أنّه بقي مدة طويلة في الأناضول بل أقام فيها. وفي المعلومات التي وردت في نهاية نسخة جار الله من مؤلف «كشف الحقائق في تحرير الدقائق» للأبهري إضاءة حول نشاط هذا الفيلسوف العلمي ورحلاته، وهي في غاية الأهمّية في هذا المجال، ووفق النسخة التي استخدمها أحد طلبته وهو شمس الدين محمد بن محمود اعتمادا على النسخة الأصلية المذكورة، فإن الأبهري مكث في بغداد ودرّس العلم في المدرسة «الشرفية» (646 هـ/ 1248 م)، وبعد ذلك انتقل من بغداد إلى الأناضول، ثمّ من الأناضول إلى الموصل، ثم من الموصل إلى منطقة العجم في إيران، وهناك أصابه مرض الفالج وتوفي في شبستار.

هناك روايات مختلفة حول تاريخ وفاته، فإلى جانب إيراد عام 661 هـ/ 1263 م وعام 662 هـ/ 1264 م تاريخا لوفاته، ثمة رواية أخرى تقول بإن وفاته كانت عام 663 هـ/ 1265 م وهي الأكثر ترجيحا وقبولا [كاتب جلبي، كشف الظنون، I، 205، II، 2028؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، III، 469؛ سوتر، Die Mathematiker، ص 145-146. . .].

تنقل الأبهري في عديد الأماكن وقام برحلات كثيرة، فقد تنقل من الموصل إلى بغداد، ومن خراسان إلى الأناضول، ومن أربيل إلى شبستر. ومن خلال أسلوبه والمواضيع التي عالجها والنقاشات التي خاض فيها يتبيّن أنّ الأبهري صاحب علم واسع وحرص كبير على اكتساب العلم، وإضافة إلى هذا فقد كان على ثقة بأنه من ذوي العلم والمعرفة، كما أنّ الأبهري في مقدمة كتابه «إصلاح أوقليدس» ذكر أنّه صحح بعض النظريات الإشكالية الموجودة في كتاب «أصول أوقليدس» الذي كان متداولا على نطاق واسع في العالم الإسلامي في تلك الفترة، وحاول توضيح بعض المسائل غير الواضحة التي وردت عند أوقليدس، كما عمل على إثبات المسلمة الخامسة المسماة «مسلمة المتوازيات» بشكل مختلف [محمد سويسي، «الهندسة»، DIA، XVII، 197-198]. وهذا المؤلف

للأبهري، إلى جانب مؤلفاته الأخرى، اكتسب أهمّية كبيرة خاصة في الحياة الفكرية في الدولة العثمانية، فقد استعمل هذا الكتاب على نطاق واسع في تلك الفترة، وهذا ما تبيّنه الإشارات التي كانت موجودة في الكتب التي استنسخت آنذاك. وتكشف النسخة الموجودة في المتحف الأثري بأدرنة تحت رقم 596 أن هذا المؤلف استعمل من قبل بعض المدرسين في مدرسة القاضي فخر الدين محمد مثل يونس بن محمد وقبوجاكلي زاده محمد عاطف، كما كان معروفا أن أبا إسحق القرماني، وهو من تلامذة قاضي زاده الرومي وعلي القوشجي، استفاد من هذا الكتاب.

[I. Fazlioglu, «Hendese - osmanli dönemi», DIA, XVI, 199, 202 - 203].

يرى الأبهري أنّ المنطق يمثل العلم الأول، ويعرّف بكونه كائنا مدركا ومفكرا، ويربط ماهيته بالمعرفة، ويختلف عن شيخه فخر الدين الرازي في مسألة التصور والتصديق، فهو يرى أحيانا أن المعرفة تكتسب قيمتها من جمعهما بعضهما ببعض، وأحيانا أخرى بفصل الواحد عن الآخر.

وكان رأيه يتلخّص في أنّ المعلومة إذا كانت إدراكا لماهية الشيء تدعى «التصور الصامت»، أمّا إذا كانت إدراكا لحكم يصدره العقل فتدعى بالتصديق، كما لم يتبنَّ الأبهري رأي الرازي الذي يقول بأن التصوّر أمر فطري وليس مكتسبا، بينما يقول الأبهري إن المعلومة التصويرية والتصديقية تمتلك جوانب فطرية ومكتسبة في آن واحد. وأبرز دليل على ذلك ظهور تباين في الآراء بين أصحاب المعرفة وأصحاب العقل. ويؤكد الأبهري أن المعرفة في هذا التباين تظهر نتيجة الفكر، فالفكر يحدث دائما نتيجة البحث عن الخطإ أو الصواب وتبني الاحتمالات لكل من هذا أو ذاك مما يعني أن قواعد المنطق تبرز نفسها بوضوح في هذا المضمار.

ولا يمكن الادعاء خلال فترة تشكل المعرفة بأن قواعد المنطق التي تحول دون ارتكاب العقل للأخطاء قد ظهرت بالفطرة ولا حاجة لتعلمها، وكذلك لا يمكن القول بأنها صفات مكتسبة فيما بعد (أي بمرور الزمن). ولكن لو كانت قواعد المنطق فطرية لما حصل تباين في الآراء ولما تمّ ارتكاب الأخطاء، وهما يحدثان باستمرار. وكذلك لو كانت هذه القواعد مكتسبة بمرور الزمن لما أمكن تفسير كيفية ظهور أشخاص ذوي ذكاء حاد دون أن يتلقوا تعليما أو تدريبا في علوم المنطق أو يحتاجوا إلى استعمال قواعده، إلّا أنّ مثل هذه العقول الذكية كانت دائما حالات نادرة ومستثناة. وعلى هذا يكون الأبهري مؤكدا على أنّ للمنطق جوانب فطرية ومكتسبة مثلما للمعرفة هذه الجوانب نفسها.

ويتّبع الأبهري تقليدا شبيها بالتقليد الذي بدأ به «الفارابي» وهو تقسيم مواضيع المنطق إلى «التصورات» أو المفاهيم، وإلى «التصديقات» أي الأحكام.

وأرجع الأبهري المعرفة إلى أساس نفسي، فهو يؤكد أنّ المعرفة هي الجوهر المغاير الذي يجعل النفس في حالة اتصال مع الجسم ومسيطرة عليه. ويؤكد أيضًا وجود أي موضع للنفس بتاتا. وإلى جانب ذلك يعتبر الأبهري المعرفة شيئا نظريا مجردا بسبب استيعابها

لمفاهيم بسيطة كالنقطة والاتحاد والنفس والعقل [كشف الحقائق، ص 309-310، 317-318]. وهذه التعاريف التي ساقها الأبهري تعتبر متوازنة مع آراء الفارابي وابن سينا.

وعندما قام الأبهري ببحث دور القوة والقابلية في تشكيل المعرفة تبنى أسلوب التمييز بين الحواس الظاهرية والحواس الباطنية. فقد قام أولا بتناول القوى الظاهرية أو الحواس وهي على التوالي: حاسة اللمس، وحاسة الذوق، وحاسة الشم، وحاسة السمع، وحاسة البصر. وبعدها تناول الحواس الباطنية [المصدر السابق، ص 469-471]. وأوضح بأن الحواس الباطنية تستطيع إدراك الصور الجزئية ويمكن تسميتها بـ«الحاسة المشتركة»، ووظيفتها الاحتفاظ بصور الأشياء بعد زوال تلك الأشياء، وحاسة «الخيال» لتخزين مفاهيم معينة كصداقة عمر وعداوة زيد مثلا. وحاسة يمكن تسميتها بـ«الذاكرة». والذاكرة هي قوّة لتركيب الصور والمفاهيم وتحليلها والاحتفاظ بها. وحاسة أخرى يمكن بواسطتها تصور شخص برأسين والاحتفاظ بصورته وهو ما يدعى بـ«التخيل» أو القيام بتركيب مفاهيم معيّنة وتحليلها تحت سيطرة العقل (النفس الناطقة) والاحتفاظ بها وهو ما يدعى «التفكّر». ومجمل القول إنّ الحواس الباطنية تتضمن خمسا من الحواس وهي: الحس المشترك، والخيال، والذاكرة، والتخيّل، والتفكّر.

ويؤكد الأبهري كون الحسّ المشترك والخيال والذاكرة من الحواس المدركة، وعلى كون حاسة التخيّل والتفكّر من الحواس ذات القوّة على تمييز المفاهيم وتغييرها وتحويلها، أي أنها حواس «متصرفة». وأكد أيضًا على امتلاك النفس قوّتين محركتين سمى إحداهما بالقوة «الباعثة» والأخرى بـ«الفاعلة»، وهما قوتان مؤثرتان على النفس، إحداهما موجهة والثانية بناءة. وتحدث الأبهري أيضًا عمّا أسماها بالقوّة «الشوقية» أو قوة الإرادة، وهي قوّة موجهة. وإذا كانت هذه القوّة تحمل رغبة مفيدة وجبرية فهي تدعى بـ«القوة الشهوانية». أما إذا كانت قوة «غالبة» فيسميها بـ«القوة الغضبية» خصوصا إذا كانت تحمل مشاعر الغضب. ويسمي الأبهري هذه القوى جميعا «النفس الحيوانية»، ويبيّن بأنها تعتبر الخطوة الأولى في اكتساب الجسم العضوي للمقدرة على تمييز الأشياء الجزئية وإدراكها، ولكنه يعود ويؤكد على اختلاف النفس الإنسانية عن النفس الحيوانية اختلافا أكيدا. ويترك الباب مفتوحا للنقاش فيما إذا كان الاختلاف حسيًّا أم روحيا. ومثل هذا التوجه الفكري من الأبهري يعتبر أمرا مثيرا وملفتا للانتباه [المصدر السابق، ص 473-476].

لقد تناول الأبهري مسألة تشكيل المعرفة من ناحية المفاهيم المستندة إلى «العقل والمعقول» وانتقد رأي الرازي في شأن إدراك ماهية الشيء، وكذلك رأي السهروردي وموقف الذين تبنوا نظرية المدرسة الافلاطونية المثالية، ويعتبر أن تعريف التعقل على أساس أنّه اتحاد بين النفس والمعرفة لا أساس منطقيا له وغير جائز بالمرّة...

والوجود حسب الأبهري صفة مشتركة لجميع الموجودات التي يفهم وجودها بشكل واضح ومباشر، ولو لم يكن «الوجود» صفة إجمالية

لجميع الموجودات لما كان حكما يعني وجود الموجودات كلّ على حدّة. وكما هو معروف فإن الحكم العقلي المتكون في الذهن يتوقّف صدقه وحقيقته على وجود الشيء الذي يمثله في العالم الخارجي. وإذا كان للوجود أكثر من معنى واحد أو أكثر من مفهوم واحد للوجود فإن الوجود النظري للأشياء لا يكون ضروريا لإثبات صحّة الحكم العقلي. وجميع هذه الأمور حسب رأي الأبهري أدلة على أن «الوجود» صفة مشتركة بين الموجودات [المصدر السابق، ص241-242].

ويقول أيضًا إن لكل شيء ماهية خاصة به، وتميزه عن باقي الأشياء، وعلى سبيل المثال إنّ «الإنسانية» هي ماهية للإنسان، وهي ماهية لا تحتمل أيّا من المفاهيم الانطباعية كالوجود والعدم، والوحدة والتعدّدية والإجمالية والتفصيلية والعمومية والخصوصية... إلخ. وإذا لم تكن الإنسانية بهذه الصفة المذكورة، أي لو كانت متضمّنة الوجود في العالم الخارجي (الوجود الخارجي) لما أمكن الحديث عن البعد الذهني للإنسانية. وتصبح «إنسانية موجودة» بعد انضمام الوجود إليها، وتتخذ شكلها كـ"إنسانية» بعد إضافة الوحدة إليها. وبما أن الإنسانية تتخذ مفهوما كإنسانية بإضافة شيء أو أشياء فإن اتخاذها شكل الإنسانية الصامتة ووجودها خارج الذهن يكون بواسطتها هي بالذات، وإلاّ ظهرت أعراض للماهية ومفاهيم ضدّ بعضها البعض، أي لأصبحت إنسانية زيد غير إنسانية عمرو. والواقع أن كليهما مشترك في الإنسانية، وكلاهما خطا بشكل أو بآخر مراتب الإنسانية ذات الصفة الإجمالية، وذات الصفة الإجمالية الذهنية والعقلية من ناحية معيّنة [المصدر السابق، ص 259-261].

ومن هنا نفهم أن الأبهري خاض في موضوع العلاقة بين الماهية والوجود مثله مثل ابن سينا، والعلاقة التمايزية بين الماهية والوجود وصفها الأبهري مثلما وصفها ابن سينا بأنها علاقة مضافة إلى الماهية في كافة الموجودات. وبدون هذه العلاقة لا يمكن وضع الماهية والوجود في كفة واحدة، أو بالأحرى لا يمكن الاعتراف بحقيقة تضمن الماهية للوجود. ولكن الأبهري رفض الإيمان بهذين الأمرين لأنه كان يؤمن أصلا بأن الوجود صفة مشتركة بين الموجودات. أما «الماهيات الممكنة» فلا تعامل بنفس المعيار، بالإضافة إلى أن ماهية الشيء لا تؤدي إلى وجوده وإنما تؤدي إلى كينونته فقط كما هو. وإذا كان الوجود والماهية الممكنة شيئا واحدا فحينئذ يصبح القول بأن «الأسود موجود» كالقول «الأسود أسود» أو «الموجود موجود» وهذا مستحيل قطعا [المصدر السابق، ص242].

وفي المقابل يتساءل الأبهري: ألم يكن من اللازم أن يكون للوجود هوية مختلفة عن هوية الماهية فيما إذا أمكن إضافة الوجود إلى الماهية الممكنة؟ ولكنه تناقض لأنه يعني أن الوجود قد ظهر قبل أن يظهر إلى الوجود. ومن جهة أخرى يظهر أمامنا نتيجة مستحيلة الوقوع، وهي أن الوجود ظهر بسبب شيء غير موجود. وبهذا الشكل يعارض الأبهري الفكرة السائدة، ولكنه أيضًا يأتي بجديد لا يمكن قبوله البتة [المصدر السابق، ص243].

أما السهروردي فكان له رأي مفاده أن الوجود

والماهية سيان في العالم الخارجي، ويستطيع العقل أن يميّز أحدهما عن الآخر، وبالتالي يستطيع أن يتوصّل إلى الماهية في العالم الخارجي. ويعتبر الوجود العام صفة مشتركة بين الموجودات، ولكنه ليس موجودا في العالم الخارجي وإنما داخل الذهن فقط. ويؤكد السهروردي أن الوجود الحتمي يمثل حقيقة نظرية بارزة أمام الماهية في العالم الخارجي. وهذا الوجود العام موجود لدى كافة الموجودات، ولكن لا يوجد أي شيء اسمه تمايز بين الوجود والماهية، إلا أن الأبهري يعارض السهروردي في رأيه هذا، ويتبنى رأي ابن سينا فيما يخص العلاقة بين الوجود والماهية مبينا أن الوجود صفة مشتركة بين الموجودات، وأن وجود الموجودات هو أمر مضاف في ماهية هذه الموجودات. وبسبب ضرورات كينونة الوجود ليس للأخير أية علاقة بالماهية. ويوضح الأبهري بهذا الأسلوب تطابق فكره مع فكر فخر الدين الرازي فيما يخص «الوجود الحتمي» واختلافه مع ابن سينا واصفا رأيه بالضعف وعدم الكفاية [المصدر السابق، ص 248-250].

الوجود الحتمي الممكن: إن الوجود هو من المفاهيم الازدواجية التي توقّف عندها الأبهري كثيرا، ويأتي «الوجود والإمكان» على رأس هذه المفاهيم. والوجوب يعني عدم حاجة الشيء بضرورات الكينونة إلى الأشياء الأخرى ويدعى «الاستغناء عن الغير»، وبما أنه يحتمل معنى سلبيا فإنه يعد مفهوما منفيا [المصدر نفسه، ص 281-282]. أما الإمكان فيعني حاجة شيء (وجوده وعدم وجوده ليس من تلقاء نفسه) إلى شيء آخر في وجوده أو عدم وجوده، وهو مفهوم اعتباري لا وجود له سواء في الذهن أو في العالم الخارجي، فضلا عن كون ماهية الشيء الممكنة المساوية لوجود الشيء وعدم وجوده في وضع يجعلها ترجّح واحدا من الحالتين: الوجود وعدم الوجود، وهي بذلك تصبح سببا في الحالتين [المصدر السابق، ص 283-286]. وحسب رأي الأبهري إن الإمكان غير المستغني عن الماهية الممكنة وهو ما يدعى «الإمكان اللازم للماهية» إذا كان يحمل سببا كافيا فإن الوجود يصبح دائما أما إذا كان غير كاف فحينذاك يجب أن يستند إلى وجود ممكن آخر.

وهناك نوع ثان من الأشياء يتوفّر لديه إمكانان اثنان هما عبارة عن ماهية أو ما يتعلّق بماهية ذلك الشيء. والإمكان الآخر هو الاستعداد للتكوّن حالما تتوفر الشروط وتزول الموانع. وبما أن حدوث حدث من بعد يستوجب حدوث حدث آخر سابق له، فإن هذه الحقيقة تؤدي إلى تسلسل في حدوث الأحداث، والشيء الحادث من بعد دون أن تكون له علاقة بمفهوم الزمان، والذي لا يمكن وضعه ضمن تسلسل حدثي، ويستوجب وجود محل له وهذا الشيء يدعى «المادة». وعلى هذا يصبح كل شيء حادث من بعد ممكن الحدوث من قبل، أما حدوثه فيعتبر شيئا ثابتا، وإلا فلا يكون هناك أي فرق بين الإمكان - الذي هو الميل نحو محل المادة وحدوثها - وبين نفي الإمكان. ولكن الأبهري عارض هذا الرأي مبينا أن الحدوث والإمكان مفهومان منفصلان [المصدر السابق، ص 287-289]. وكما ذكرنا سابقا

فإن جميع الموجودات الممكنة في حاجة إلى مُرَجِّح، وبما أن العقل لا يتقبّل حاجة هذا المرجح إلى مرجح آخر، وبسبب ضرورة كينونة هذا المرجح يصبح هذا الأخير ضرورة ثابتة. ومن ناحية أخرى يعتبر مجموع الممكنات أمرا ممكنا على شاكلة الموجودات. وهذا الممكن يحتاج إلى مرجح وجد قبله كي يصبح موجودا. وهذا المرجح يجب أن يكون واحدا وواجبا بضرورة كينونته، ويجب أن يكون خارج مجموع الممكنات بسبب عدم كونه المجموع نفسه أو جزءا منه [المصدر السابق، ص343-345، 348-350].

وتناول الأبهري مسألة العلاقة بين الله والعالم، وكان مجمل ما قاله في هذه المسألة البحث في حصول تأثير الله على العالم الجسماني بواسطة العقول من عدم وجوده، وقد تناول رأي ابن سينا في هذه المسألة وهو الرأي الذي كان يعتبره مفتقرا إلى القوّة التي تثبت وجود العقول النظرية الأونتولوجية. وكان يظنّ أنّ حركة الفلاسفة في هذا الأمر كانت حركة محتملة وفق مبدإ الانسجام مع حركة القبة السماوية [المصدر السابق، 353-356]. وكان رأي الفلاسفة يحتمل نوعين، **الأول**: إن الوجود الحتمي بضرورة كينونته بسيط وينتج من هذه بساطة الصدور. وبسبب استحالة ظهور الأعراض دون الجوهر فإن الذي يصدر من الوجود الحتمي لا يعتبر أعراضا بل الجوهر نفسه، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الجوهر مادة ولا الصورة لأن كليهما لا يمكن أن يأتي أحدهما قبل الاخر، كما لا يمكن أن يكون الجوهر موجودا في النفس لعدم اتّصاف الأخيرة بالفعالية إلا بعد ظهور الجسم. إذن الجوهر يظهر من الوجود الحتمي ولا يمكن أن يكون إلا العقل.

الثاني: يعتمد على قبول فكرة تأثير السبب على جميع أجزاء المسبب، فأجزاء الجسم تشكل صورة مع المادة لذلك يعتبر الجسم سببا افتراضيا، فلولا وجوده لاستحال اتّخاذ أجزائه الأوضاع المناسبة في شكلها. واعتمادا على بساطة الوجود الحتمي واستحالة صدور شيء مركب منه لا يعتبر سببا للجسم. ولا يبقى بعد هذا إلا الجوهر النظري الذي هو العقل. وبيّن الأبهري ضعف فلسفة الصدوريين، وبيّن كذلك أن ضعف هذه الفلسفة نابع من كونها مفتوحة للنقاش لاعتمادها على فرضية «أن البسيط لا يصدر منه إلاّ البسيط»، وأوضح عدم وجود أي عنصر يمنع كون النفس سببا للجسم في جميع آراء أولئك الفلاسفة [المصدر السابق، ص318-319]. وهكذا لم يتبنَّ الأبهري نظرية الفارابي وابن سينا المسماة «الصدور أو العقول الكونية».

بصورة عامة كان الأبهري يدافع عن نظرية «المادة - الصورة» وهي نظرية مشائية لأرسطو ضدّ نظرية «الخيلاء - الصورة» لعلماء الكلام وكانت تقول إن الذرة جزء لا يتجزأ، وعندما أثبت وجود المادة والصورة أثبت أيضًا خواص المواد السائلة والمواد الغازية في الانفصال والاتصال، واتخذ هذه الخواص في الخروج من هذه المسألة الفلسفية، وخصوصا الاتصال الذي لفت إليه انتباه الفيلسوف. وحسب رأيه إن كل شيء يشغل حيّزا معيّنا من جزءين علوي وسفلي منفصلين

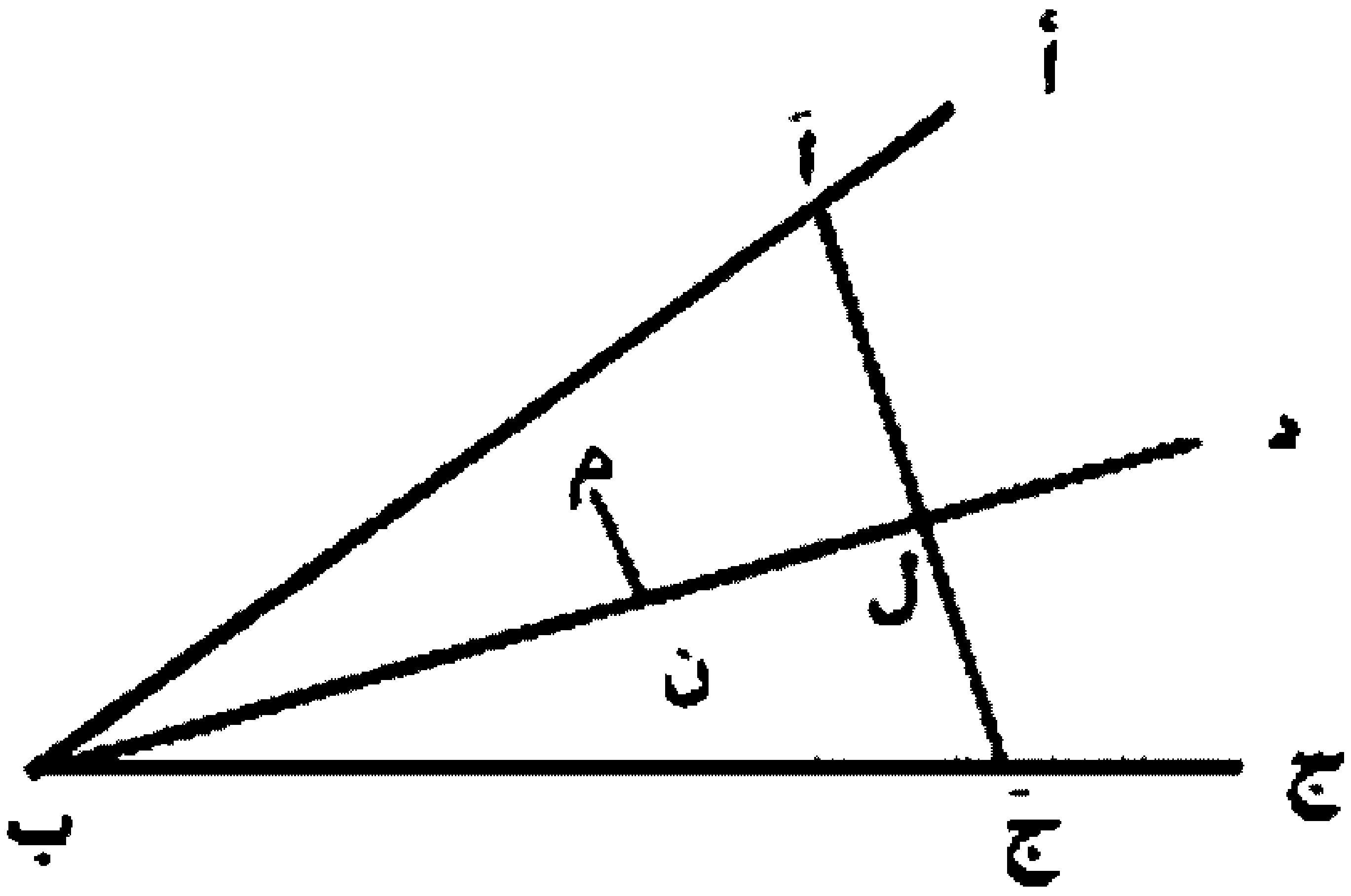
عن بعضهما البعض، ولا يمكن تصوّر جسم لا ينفصل، وهذا يفنّد أنّ الذرّة لا تتجزّأ [المصدر السابق، ص383-385]. وإذا قلنا إن الجسم يقبل الانفصال والاتصال، فوجود أحدهما يعني وجود الآخر عندئذ يصبح هناك مبدآن للجسم قابلان للانفصال والاتصال في الوقت نفسه، وعلى هذا يكون الجسم الصورة الاتصالية نتاج اتصال أو انفصال - الذي هو حالة من الحالات - بين المادة (الخيلاء) وصورتها المتصلة بها (الصورة الجسمانية) [المصدر السابق، ص 312-314].

كان الأبهري من جهة يحاول إثبات استحالة وجود المادة بدون صورة وكان أسلوبه يعتمد على تجزئة الموضوع ثمّ الإثبات، ومن ناحية أخرى كان يحاول أن يثبت أن الجسم والصورة ليسا سببين لبعضهما وإلاّ لكانا وُجدا قبل أن يوجدا وهذا تناقض مرفوض، فأكد على أنّهما متعلّقان ببعضهما البعض وبالتالي يحتمل اتصالهما ببعض (تركبهما)، علما أن الصورة تحتاج في تعيّنها وتشكّلها إلى المادة، كما أنّ المادة تحتاج من ناحية بقائها إلى الصورة. وهذا يثبت خطأ، أما فيما يخص البعد الرياضي فإن الأبهري أسهم إسهاما مهمّا في هندسة إقليدس كما كشف ذلك الدكتور محمد واصل الظاهر في مقالة محفوظة بمكتبة بلمبتون Plimpton بجامعة كولومبيا في الولايات المتّحدة الأمريكية.

المعروف أنّ المصادرة الخامسة لاقليدس (مصادرة التوازي) جذبت العديد من علماء الرياضيّات الذين ظنّوا أنهم قادرون على برهنتها، ولذلك فهي ليست مسلمة، من العلماء المسلمين الذين حاولوا: «الحسن بن الهيثم»، و«عمر الخيام»، و«نصير الدين الطوسي»، وأخيرا الأبهري. والمعروف أنّ كلّ من حاول برهنة هذه المصادرة فشل لأنّه في الحقيقة اعتمد صيغة أخرى مكافئة لها. وفكرة الأبهري جديدة ومختلفة عمّا سبقها.

إذ إنّ فكرته تقوم على أنّ أيّ عمود يقام على منصف أي زاوية، فإنّه يقطع ضلعيها لأنه إذا لم يقطع هذين الضلعين فإنّ أيّ عمود آخر أبعد منه عن رأس الزاوية لن يقطع ضلعيهما.

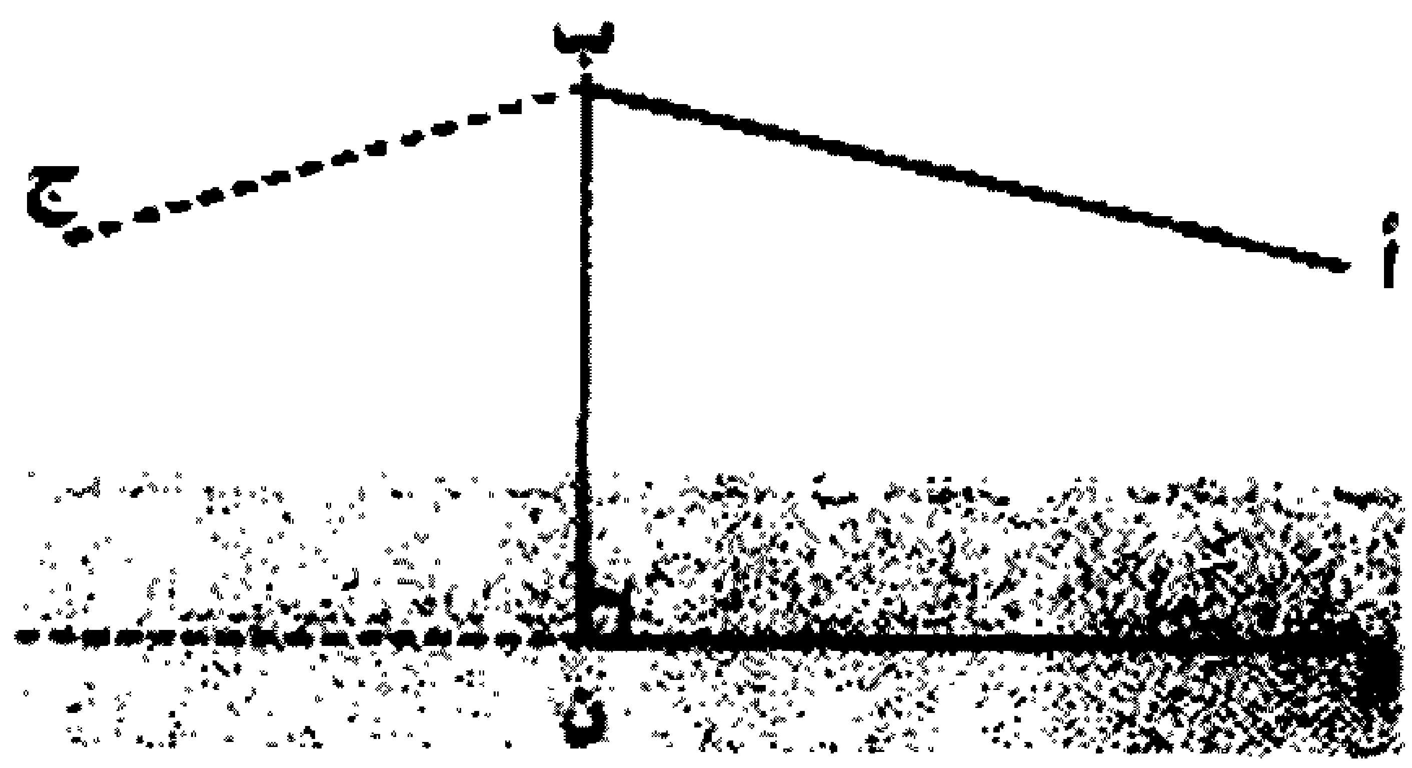
إذا ن م عمود على المنصف ب د للزاوية أ ب ج لا يقطع أ ب فإنّ قطع الضّلعين في أ، ج وقطع ن م الضلع ب أ، فإنّه ينتج لدينا مثلّث فيه زاويتان قائمتان (ومجموع زواياه أكثر من ذلك)، وهذا مستحيل. لذلك ن م يقطع الضّلع ب أ، الشكل (1).



من هذه النتيجة نجد أنّ الأعمدة التي تقطع ضلعي الزاوية يتلو بعضها بعضا، بينما الأعمدة التي لا تقطع الضلعين يتلو بعضها بعضا متراصّة دون أن يكون بينها أعمدة قاطعة. ثمّ لا يوجد عمود أخير يقطع ضلعي الزاوية. ولإثبات مصادرة التوازي درس الأبهري الحالات الثلاث:

- الأولى: إحدى الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع قائمة والأخرى حادّة (كما في نصّ المصادرة الخامسة) الشكل (2). وفي هذا الشكل أب، ن م مستقيمان يقطعهما ن ب ومجموع الزاويتين أ ب ن، ج ب ن أقلّ من قائمتين، وافرض الزاوية م ن ب قائمة إذا التقى ب أ، ن م فإنّ < أ ب ن حادّة

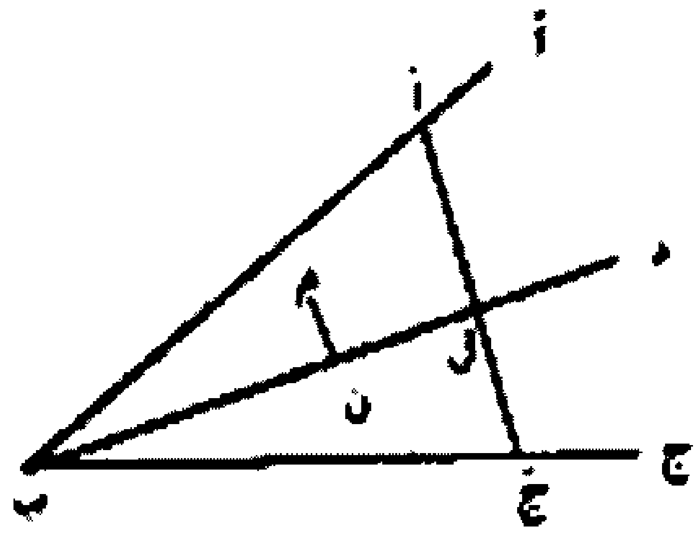
برسم ب ج لتكون < ج ب ن تطابق < أ ب ن، لذلك ن م عمود منصف للزاوية أ ب ج، ويجب أن يلاقي ضلعيها، أي أنّ م ن يلاقي ب أ، وهو المطلوب.



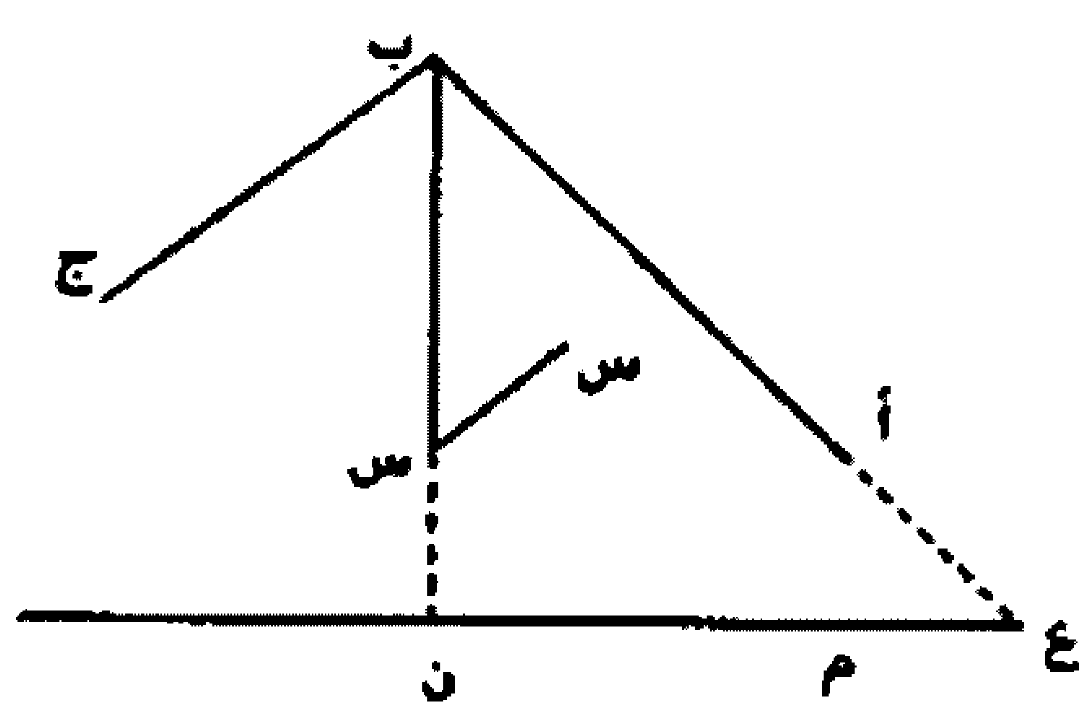
الشكل (2)

- الثانية: إذا كلّ من < أ ب ص، < س ص ب حادّة، فإنّ المستقيم س ص، ب أ يتقاطعان.

أرسم ب ج لتصير < ج ب ص مطابقة مع < أ ب ص، نمدّ ب ص إلى ن ونرسم ن م عمودًا على ب ن منصف < أ ب ج، فإنّ ن م يقطع ب أ في ع، لذلك في ط ع ب ن يكون س ص قاطعًا للضلع ب ن فيجب أن يقطع أحد الضلعين الآخرين، ولأنّ < ب ص س حادّة فإنّ س ص لا يقطع ن م، لذلك فهو يقطع ب أ. وهو المطلوب. الشكل (3).



- الثالثة: إذا إحدى الزاويتين منفرجة والأخرى حادّة ومجموعها أقلّ من قائمتين. افرض مستقيمين أ ب، ج هـ، وأنّ س ص قاطع لهما (الشكل 4). وافرض < س ص ج منفرجة، < أ س ص حادّة. المطلوب إثبات أنّ أ ب، ج هـ يلتقيان. ارسم م ن منتصف س ص عمودًا ن ل على ج هـ. عندها < ل ن ص حادّة. لذلك < س ن م حادّة . من الحالة الثانية س أ، ن م مستقيمان قطعهما س ن وصنع معهما زاويتين حادّتين. لذلك يلتقيان. أي أنّ س أ يلاقي م ن في ق. الآن < س ق ن ليست قائمة. ولا تطابق المثلّثان س ق ن، ص ل ن ونتج من ذلك < ق س ن تطابق < ل ص ن. عندها يصير المجموع < ق س ن + < س ص ج = < ن ص ل + < س ص ج أي قائمتين مخالفًا للفرض. كذلك < س ق ن لست حادّة لأنّ في الحالة الأولى يتلاقى عندها المستقيمان أ ب،ج هـ في جهة س، هـ وينتج مثلّث مجموع



زاويتين فيه أكبر من قائمتين، وهذا مستحيل، لذلك أ ب، ج هـ يتلاقيان وفي جميع الحالات. وهذا يتمّ البرهان.

وضعف برهان الأبهري هو في الانتقال من العبارة الصحيحة «لا يوجد عمود أخير يقطع ضلعي الزاوية» إلى العبارة «أنّ جميع الأعمدة على منصف الزاوية تقطع ضلعي الزاوية»، فاعتمادًا على مبدأ قصّة ددي كند Deddikind فإنّ مجموعة الأعمدة التي تقطع، ومجموع الأعمدة التي لا تقطع تؤلّف قصّتين من نوع قصّة ددي كند. لذلك يوجد عمود أوّل يقطع الضلعين على الرغم من عدم وجود عمود أخير لا يقطع.

آثاره

ألّف الأبهري في مواضيع عديدة مثل الفلسفة، والمنطق، وعلم الفلك، والرياضيات، وفي مجالات أخرى أيضًا. وأغلب هذه الكتب وصلت إلى أيدينا، ويمكن أن نصنّفها على النحو الآتي:

1 - المنطق والفلسفة:

1 - إيساغوجي، الرسالة الأثيرية في المنطق، هذا المؤلف هو عبارة عن مختصر، ويعرف أيضًا بـ«معجم المصطلحات المنطقية»، وهو من أولى كتب المنطق التي ظلّ تدريسها مستمرا في المدارس العثمانية لمدة قرون، كما لقي اهتماما كبيرا سواء في العالم الإسلامي أو في العالم الغربي، وكتبت حوله شروحات وحواش كثيرة. وترجم إلى عديد اللغات منها اللاتينية إلى جانب لغات غربية أخرى، كما ترجم إلى اللغة التركية أيضًا. وقد قام الدكتور حسن صاري أوغلي بنشره أخيرا مع ترجمته التركية، وأجرى دراسة تحليلية مقارنة للمُؤلّف مع كتب بورفيريوس والفارابي وإخوان الصفا وابن سينا

- Isâgûcî-Mantiga Giris tenkitli metin-çeviri ve inceleme: H. Sarioglu, Istanbul 1998: A. Kayacik, Ebhcrînin, Isagucisinin Ilk Serhleri XIV-XVI, Yüzyil Kayseri 1966; A Bingöl, Isagûcî, DIA, XXII, 488-489.

[عيسى صالحية، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، 1-2-22] 2 - الرسالة الظاهرية، رسالة صغيرة توجد في مكتبة السليمانية، آيا صوفيا، تحت رقم 2566 (15 أ- 23 أ)، هـ حسني، رقم 1229 (4 ب- 43 أ)، مكتبة راغب باشا، رقم 1461. يناقش فيها جملة من الأخطاء مستخدما المقاييس الجدلية [رمضان ششن، مختارات من المخطوطات] 3 - الرسالة الباهرة في مقالة الظاهرة، توجد نسختان منه في آيا صوفيا، تحت رقم 4862 و 2566 (18 ب- 23 أ)، ونسخة أخرى في لاله لي تحت رقم 3023 . سعى المؤلف في هذه الرسالة إلى التذكير بأصحاب «العقل السليم والطبع المستقيم» 4 - رسالة في فساد الأبحاث التي وضحها مبارزًا الجدليين، تتناول هذه الرسالة مجموعة من المسائل المتعلّقة بالجدل، وتوجد نسخة مسجلة منه في مكتبة علي باشا تحت رقم 2304؛ 5 - تهذيب النكت، توجد منه ثلاث نسخ، إحداها مسجلة في مكتبة عاطف أفندي تحت رقم 1604، ونسخة أخرى مسجلة في مكتبة فيض الله أفندي الشعبية، وأما النسخة الثالثة فتوجد في مكتبة

الشهيد علي باشا تحت رقم 2304. وحسب التاريخ الموجود على النسخة الأخيرة وهو 23 ذي الحجّة 686/ 1288 فإنّ محاور الرسالة هي على النحو التالي: أ - القواعد (9 ب-122أ) ب - تركيب النكت (122ب - 128) ت - تقرير المسائل (128ب - 147 أ) 6 - هداية الحكمة، توجد منه نسخ كثيرة، في مكتبات كثيرة، وخاصة في مكتبات استانبول، قسم الأبهري مؤلفه هذا إلى ثلاثة أقسام تمثل مسائل الفكر الإسلامي الكلاسيكية، وهذه الأقسام الثلاثة هي على النحو الآتي: المنطق والطبيعيات والإلهيات. وقد يكون المؤلف أخذ عن ابن سينا بعض المسائل المهمة من كتابه «الإشارات والتنبيهات» واتسع فيها وجعل مؤلفه بعنوان «الهداية». كتبت حول «هداية الحكمة» شروح وحواش كثيرة، وهذا يدلّ على العناية التي حظي بها الكتاب. ومن أشهر هذه الشروح نجد الشرح الذي وضعه القاضي مير حسين بن معين الدين الميبدي الحسيني (ت 1475)، وشرح صدر الدين الشيرازي (ت 1640)، وقد وضعت للشرح الأول بشكل خاص حواش كثيرة [كاتب جلبي، كشف الظنون، II، 2028-2030؛ بروكلمان، .GAL، 208-209، I, Suppl.، 839-841]. وإضافة إلى هذا فقد نشر محمد تقي دانشبجوه رسالة بعنوان «منطق الهداية» [مجلة دانشكدة، أدبيات علوم إنساني، عدد 82-83، ص 458 483]. والواضح أنها ترجمة إلى الفارسية للقسم المتعلّق بالمنطق من كتاب الأبهري. وهذا الكتاب كان يدرس على نطاق واسع في المدارس العثمانية [C. Izgi, Osmanli, Mederselerindellim, II, p 116-121].

وفي نهاية الكتاب ينصح الأبهري من يريد التعمّق في المسائل الفلسفية وآراء الفلاسفة بالعودة إلى كتابه «زبدة الآثار» 7 - زبدة الآثار، يوجد من هذا المؤلف نسختان إحداهما في المكتبة العامة تحت رقم 1210، والنسخة الثانية في مكتبة قرمان العامة، وقد قام أبو الفرج بن العبْري بترجمته إلى اللغة السريانية [كارل بروكلمان، Ibnu Libri, V, IA؛ ك. سارتون، Introduction to the History of Science 867/2] 8 ـ كشف الحقائق في تحرير الدقائق، قمنا بطبعه طبعة نقدية مع تحليله [الأبهري، كشف الحقائق في تحرير الدقائق (نشرة نقدية تحليلية: حسين صاري أوغلي)، إستانبول، 2001]، وهذا الكتاب هو أضخم كتاب للأبهري من حيث الحجم. وتوجد منه نسخة في المكتبة العامة في مانيسا، تحت رقم 469، وتحمل ملاحظة تشير إلى أنّ الفراغ من كتابتها تمّ في 7جمادى الآخر عام 642 هـ/ نوفمبر عام 1244، ويشير الكتاب إلى أنّه كتب في تاريخ أسبق من ذلك. وعند النظر في الملاحظة التي وضعها الناسخ في نهاية نسخة جار الله أفندي المسجلة تحت رقم 1436 نفهم أن الأبهري كان يدرس هذا الكتاب في المدرسة الشرفية في بغداد (646/ 1248) [أثير الدين الأبهري، كشف الحقائق في تحرير الدقائق، مكتبة السليمانية، جار الله أفندي، رقم 1436، ورق 134 أ؛ رمضان ششن، مختارات من المخطوطات، ص 270] 9 - تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار، يبيّن في هذا الكتاب أن كتابه هذا يحتوي على آراء وأفكار منطقية وفلسفية متوازنة ومقبولة، وفي الوقت نفسه يكشف الأخطاء الشائعة في هذا

المجال. يوجد من هذا المؤلف ثلاث نسخ، إحداها في مكتبة نور عثمانية تحت رقم 2238، والثانية في مكتبة رئيس الكتاب تحت رقم 569، والثالثة في مكتبة لاله تحت رقم 2562 . قام نصير الدين الطوسي بشرحه ونقده في كتاب بعنوان «تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار»، ويوجد هذا الشرح في مكتبة طوب قابي سراي تحت رقم 3496، وقد نشره عبد الله نوراني [منطق في مباحث الألفاظ، نشر م. إزوتسو، طهران 1974، ص 139-248] 10 - كتاب بيان الأسرار، توجد منه نسخة في مكتبة كوبريلي مسجلة في المجموعة المرقمة بـ1618 (2 أ-43 ب). تمّ استنساخه من قبل المنطقي المشهور علي بن عمر الكاتبي القزويني في 18 شعبان 627 (1230م)، وتوجد أيضًا إشارة من المؤلف إلى أنه فرغ من قراءته في ذي القعدة عام 627هـ . وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية وقسمين فرعيين بعنوان «القسم» و«البيان» 11 - كتاب تلخيص الحقائق، استنسخه كذلك علي بن عمر الكاتبي القزويني، وقد فرغ منه في 28 شعبان 627/ 1230م، وتحتوي النسخة على إشارة بكون الأبهري فرغ من قراءته بتاريخ 21 ذي القعدة عام 627/ 1230م، وتوجد هذه النسخة في مكتبة كوبريلي تحت رقم 1618 (44 أ-76ب). ويتكوّن الكتاب من ثلاثة أقسام رئسة وهي: المنطق والفيزياء (العلم الطبيعي) والميتافيزيقا (العلم الإلهي) 12 - كتاب المطالع، توجد منه نسخة بخط الكاتبي (9 رمضان 627)، وتوجد هذه النسخة في مكتبة كوبريلي مسجلة ضمن المجموعة المرقمة بـ1618 (77ب - 106ب)، وفي الملاحظة التي كتبها المؤلف يشير إلى أنّه فرغ من قراءته في 5 ذي الحجة عام 627 . وفي مقدمة هذه الرسالة يشير إلى أنّه كتبها بعد تأليفه لـ«بيان الأسرار» و«تلخيص الحقائق» 13 - كتاب زبدة الحقائق، ينقسم هذا المُؤلف إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي بعنوان «المقصد» و«الفصل» و«القسم»، وكما في كتاب «كشف الحقائق في تحرير الدقائق» عمل الأبهري على معالجة إشكالات فلسفية ومنطقية (علم ما قبل الطبيعة، العلم الإلهي) وفيزيائية (العلم الطبيعي). توجد منه نسخة في مكتبة كوبريلي تحت رقم 1618 (77 ب - 106 ب) مستنسخة من قبل الكاتب (25 شوال 627/ 1230م)، وتوجد عليها ملاحظة بأن الأبهري فرغ من قراءتها في أول ذي الحجة من عام 627هـ/ 1230م، 14 - كتاب عنوان الحق وبرهان الصدق، هو كتاب في المنطق والفيزياء والميتافيزيقيا، توجد نسخته الوحيدة في مكتب جامعة إستانبول تحت الرقم 3134 [للاطلاع على محتوى الكتاب انظر: ي. زيران، التراث المجهول، فاس 1418هـ/ 1997م، ص 213-221] 15 - التهذيب في المنطق والكلام، المكتبة القومية، فيض الله أفندي، رقم 1865 (في اب-4ب)، استنسخت هذه النسخة في عام 1070هـ/ 1660م 16 - رسالة في المبدأ والميعاد، كتاب باللغة الفارسية، استنسخ عام 788هـ/ 1386م، توجد منه نسخة في المكتبة القومية، فيض الله أفندي، رقم 1265 (في 110 ب- 115 أ)، كما توجد نسخة في الشهيد علي باشا، رقم 2721 (في 157أ- 165 أ)، وتوجد نسخة كذلك في جامعة طهران بعنوان «الكلمات العشر» تحت الرقم 2401، وهناك

نسختان أخريان بعنوان «الأغاز والأنجام» [عبد الله النوراني، أحوال «أثير الدين الأبهري»]

Mantik ve Mrbahisi Elfaz (Pub. M. Mukakkik-T. Izutsu p. XXXVIII; Samed Muvahhid, "Esirüddin Ebheri". Dairetül, Maarif Büzürg-i Islami VI, 589.

17 - الرسالة في القواعد المنطقية، نشرها محمد تقي دانشبيجوه بعنوان «رسالة في المنطق» [مجلة دانشكده أدبيات علومي إنساني، ص 72-73، ص 484-494]، وعلى حسب الناشر فإن لهذه الرسالة ترجمة باللغة الفارسية توجد في مكتبة جامعة طهران تحت رقم 5968، كما «توجد له ترجمة باللغة التركية

H. Sarioglu, "Ünlü türk Mantikçisi Ebheri ve Mantik kurallari Risalesi", Ilim rastirmalar, XI, 151-165, Istanbul 2001;

18 - مراصد المقاصد، توجد من هذا الكتاب في المكتبة العامة في ديار بكر، رقم أ2021 (79ب- 227ب)، وتوجد نسخة من هذا المؤلف تحتوي فقط على الباب الثالث في مكتبة السليمانية، سيرز، رقم 1963 [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص 271] 19 - منتهى الأفكار في إبانة الآثار، يحتوي على مواضيع في المنطق والفيزياء والميتافيزيقا، [صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 588] 20 - خلاصة الأفكار في إبانة الآثار، كتاب في المنطق [صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزوكي إسلامي، VI، 588] 21 - دقائق الأفكار، رسالة في المنطق [صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بزوكي إسلامي، VI، 588]

22 - رسالة مشتملة على ثماني عشرة مسألة في الكلام وقع فيها النزاع بين الحكماء والمتكلمين وأرباب الملة والأديان، توجد النسخة الوحيدة المعروفة في مكتبات تركيا في مكتبة راغب باشا، رقم 1461، كما توجد نسخة أخرى في إيران في مكتبة مجلس الشورى [صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف إسلامي، VI، 588]. وقد تم تحقيق هذه الرسالة اعتمادا على النسخة الموجودة في مكتبة راغب باشا .H. Sarioglu, el-Ebheri nin kelam ve Felsefeye Iliskin Bir Eseri, Istanbul 1995] ;

23 - المحصول، [كاتب جلبي، كشف الظنون، II، 1616؛ صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 588] 24 - الإشارات، [كاتب جلبي، كشف الظنون، ق، 179؛ صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 588]

2 - الفلك:

25 - المختصر في علم الهيئة، يذكر جار الله أن هذا الكتاب اختصار لكتابي كوشيار بن لبان (ت 420 هـ / 1029 م) وجابر بن أفلح (عاش في القرن الثاني عشر) في علم الهيئة، يتكوّن من اثنين وعشرين بابا، وتوجد منه نسختان، الأولى في مكتبة السليمانية، جار الله أفندي، رقم 1499 (1أ-81ب)، وتوجد الثانية في مكتبة ليدن، رقم 173/ 3 [صمد موحد، «أثير الدين

أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 589] 26 - رسالة في الهيئة، مكتبة السليمانية، حسن حسني، رقم 1135 (61 ب-77 أ)، وهي رسالة تتكون من عشرين فصلا [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص 281] 27 - رسالة في علم الهيئة، المكتبة القومية، فيض الله أفندي، رقم 1339 (27 أ- 39 ب) [بروكلمان، I, Supple، 844] 28 - ملخص في صنعة المجيسطي، توجد منه نسخة بعنوان «كتاب تحرير المجيسطي في الهيئة» في مكتبة السليمانية، آياصوفيا، رقم 2583 (1 أ- 113 أ)، في المقدمة التي بعنوان «تحرير المجيسطي» يعتمد الأبهري على النسخة التي نقلها إسحاق بن حنين عن ثابت بن قره، وهو كتاب يحتوي على ثلاث عشرة مقالة وواحد وأربعين فصلا وستة وتسعين شكلا (ورق 1 ب) 29 - الزيج الشامل، هو شرح لكتاب أبي الوفاء الذي يحمل الاسم نفسه [كاتب جلبي، كشف الظنون، II/ 9688-969 ج. بروكلمان، I, Supple، 844؛ سزكين، VII GAS، 325-324] 30 - رسالة في الإسطرلاب، مكتبة السليمانية، جار الله، رقم 1468؛ 31 - الزيج الملخص، يعرف هذا الكتاب بعنوان «الزيج الاختصار والزيج الأثيري» 32 - غاية الإدراك من دراية الأفلاك، توجد نسخة تعود إلى عام 699 في مكتبة مانيسا، رقم 1706 (285أ- 269)، كما توجد نسخة في مكتبة جامعة طهران، رقم 1082 [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص 366؛ صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 589]

3 - الرياضيات والهندسة:

33 - إصلاح كتاب الأستوقوسات في الهندسة لأقليدس، عبارة عن رسالة توجد منها نسختان، الأولى في متحف الآثار، رقم 596، وتوجد الأخرى في حسين جلبي، رقم 744 [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص366؛ صمد موحد، «أثير الدين أبهري»، دائرة معارف بوزركي إسلامي، VI، 589] 34 - رسالة في بركار المقطوع، رسالة ألفها الأبهري عند قراءته لمؤلف كمال الدين بن يونس «بركار» وقد قام قطب الدين الشيرازي باستنساخها في عام 663هـ، توجد نسخة منها في مكتبة سراي طوب قابي، أحمد الثالث، رقم 3455/ 6 (74ب- 77ب) كما توجد نسخة أخرى في مكتبة مانيسا العامة، رقم 1706 (269ب- 272ب) [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص 268] 35 - برهان المصادرات الخامسة، استخرجه خليل جاويش من كتب قاضي زاده الرومي «شرح إشكالات التأسيس» وقام بنشره [نظرية المتوازيات في الهندسة الإسلامية، تونس 1988، ص 237-244] 36 - قطعة من كتاب له في الحساب، رسالة في الحساب، توجد منه نسخة في مكتبة مانيسا العامة، رقم 1751/ 3 (35ب- 103أ) [ر. ششن، مختارات من المخطوطات، ص 268].

المصادر والمراجع

• الأق سراي، كريم الدين محمود: مسامرة الأخبار (نشر أو توران)، أنقرة 1944.

• Anawaati, G.C. «Abhari», EIrn London, 1982; • Arberry, Arthur,

The Chester Beatty Library, a Handlist of the manuscripts, vol II, Dublin 1956; • Aygen, M. Sadettin, Büyük Filozof Esirüddin Ebheri, Afyon 1985.

● البغدادي، اسماعيل باشا، هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (نشر معلم رفعت ابن الأمين محمود كمال الكلسلي)، ق-قق، إستانبول 1951-55

• Bingol, Abdulküddüs, «Ebheri», DIA, X, Istanbul, 1994; • Bingol, Abdulküddüs, «Ebheri, Esirüddin», Dia, X, Istanbul 1994; • Bingöl, Abdülküddüs, «Isaguci» DIA, XXII, Istanbul, 2000; • Brockelmann, Carl, GAL, Geschishte der Arabischen Litteratur Supplementband, I-II, Leiden, 1943-1949; • Brockelmann, Carl, «al-Abhari», E12, The Encyclopedia of Islam, (New Edition), Leiden, - London, 1960; • Bursali M. Tahir, Osmanli Müellifleri, I-III, Istanbul, 1333; • Calverley's Edwin, E. «Al-Abhari Isaghuji filmantiq», The Macdonald Presentation Volume, London, 1933.

● دانشبيجوه محمد تقي، «دو رسالة دير منطق»، مجلة دانشكيده أدبيات علوم إنساني، طهران 1349 ● الأبهري أثير الدين، برهان المصادرات الخامسة، نظرية المتوازيات في الهندسة الإسلامية (نشر خليل جاويش)، تونس 1988 ● الأبهري أثير الدين، مدخل إلى منطق الإيساغوجي (دراسة نقدية، هـ. صاري أوغلي)، إستانبول 1998 ● الأبهري أثير الدين، كشف الحقائق في تحرير الدقائق (هـ. صاري أوغلي)، إستانبول 2001 ● أبو الفرج بن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت 1890.

• Fazlioglu, Ihsan, «Hendese/ Osmanli, Dönemi» DIA, XVII, Istanbul, 1998;

● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (نشر إحسان عباس)، VIII-I، بيروت 1978؛

• Izgi, Cevat, Osmanli Medreselerinde Ilim, I-II, Istanbul, 1997; • Izgi, Cevat, «Ebheri Eminüddin», DIA, X, Istanbul, 1994; • Katib çelebi, Kesfüznüm, I-II, Istanbul, 1971; • Kayacik, Ahmet, Ebehri nin Isaguci'sinin IIK Serhleri XIV-XVI, Yüzyil (Basilmamis doktora tezi, Eeciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü), Kayseri, 1996;

● لغت نامه دهودا، طهران 1325 ● محمد الفوزي، سيف الغلاب على مغني الطلاب، إستانبول 1284 - موحد، صمد، ● أثير الدين الأبهري، دائرة معارف بوزركي إسلامي، طهران 1994

• Nemetak, F. trako, S., Catalogue of Arabic, Persian, Turkish and Bosnian Manuscripts, Zürich, 1997

● نواراني، عبد الله، أحوال أثير الدين الأبهري، Mantik ve Mebahisi Elfaz. محقق - ت. إزتسو، طهران 1974

• Rashed Roshdi, «Algebra», Encyclopedia of the History of Arabic Science, London and New York.

• صالحية، محمد عيسى، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، القاهرة 1992 • السمرقندي، محمد بن الأشرف، إشكال التأسيس بشرح قاضي زاده (م. سويسي)، تونس 1405/ 1984

• Sarioglu, Hüseyin, «ünlü Türk-Mantikcisi Ebheri ve Mantik Kurallari»; • Risalesi, Ilmi Arastirmalar, XI, Istanbul, 2001; • Sarioglu Hüseyin, El-Ebheri, nin Kelam ve Felsefeye Iskin Bir Eseri, Istanbul, 1995; • Sarton, G, Introduction to the History of Science, II/867. • Sezgin, Fuat, GAS Geschiche der Arabischen Schrifttums, I-IX, Leiden 1967-84; • Suter, H. Die Mathematiker und Astronomen der Araber Ihre Werke, Leibzig, 1900.

• ششن، رمضان، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، I / II، بيروت 1975 • ششن، رمضان، مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، إستانبول 1997 • طاش كوبري زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (نشر ك. كامل بكري - أ. أبو النور)، I - III، القاهرة 1968 • الطوسي، نصير الدين، «تعديل معيار في نقد الأفكار»، Mantik ve Mebahisu elfaz، (نشر م. محقق - ت. إزستو)، طهران 1974 • زيدان، يوسف، التراث المجهول، فاس 1997.

د. حسين صاري أوغلو
جامعة إسطنبول
د. عبد المجيد نصير
جامعة العلوم والتكنولوجيا - إربد عمان

■ الأبهري، أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح

(289 هـ / 901 م - 375 هـ/985م) ■ ■ ■

الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح بن عمر التميمي المالكيّ الجامع بين القراءات وعلوّ الإسناد وجودة الفقه [الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 167؛ عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 468؛ ابن فرحون، الدّيباج، ص 256].

ولد بـ«أبهر» وهي مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان من نواحي الجبل فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه سنة 24 هـ، خرج منها جماعة من الفقهاء والمحدثين والصوفية والأدباء [السمعاني،

الأنساب، ج 1، ص 124؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 106؛ ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص27].
سكن بغداد وتفقّه بكبار شيوخها حتّى أصبح إمام أقرانه في وقته، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك، وقد شهد له معاصروه من الحنفيّة والشافعيّة بالفضل والرّسوخ في العلم، قال أبو القاسم الوهراني: «لم يعط أحد من العلم والرئاسة فيه ما أعطي الأبهري في عصره من الموافقين والمخالفين، لقد رأيت أصحاب الشافعيّ وأبي حنيفة إذا اختلفوا في أقوال أئمّتهم يسألونه فيرجعون إلى قوله» [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 468؛ ابن فرحون، الديباج، ص 256].
كان من أيمّة القرّاء العارفين بوجوه القراءة وتجويد التلاوة، ذكره أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني في طبقات المقرئين [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 469؛ ابن فرحون، الديباج، ص 257]، وكان جامعاً بين الزهد والصّلاح ورجاحة العقل، قال فيه أبو القاسم الوهراني: «كان رجلا صالحا خيّرا ورعا عاقلا نبيها فقيها عالما، ما كان ببغداد أجلّ منه» [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 468؛ ابن فرحون، الديباج، ص 256]، دعي إلى قضاء القضاة ببغداد فامتنع، فاستشير فيمن يصلح لذلك فأشار بأبي بكر الرازي الحنفيّ فامتنع أيضًا، وأشار بالأبهريّ [الذهبي، العبر، ج 2، ص 146؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج 2، ص 405؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 304؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 4، ص 402].
عرف بجوده وكثرة مواساته لطالب العلم، فقد كان يبذل الدراهم لمن يرد عليه من الغرباء ويكسوهم وكان «لا يخلي جيبه من كيس فيه مال فكلّ من ورد عليه من الفقهاء يغرف له غرفة بلا وزن» [ابن فرحون، الديباج، 256-257]، وحكى أبو القاسم أنّه أخرج في آخر حياته ثلاثة آلاف مثقال وفرّقها على تلامذته، وكانوا جماعة وافرة، وآثر الباقلاني فأعطاه مائة وخمسين وحبّس كتبه عليهم [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 473]، وكان معظّما عند علماء عصره لا يشهد محضرا إلاّ كان هو المقدّم فيه، قال القاضي أبو العلاء الواسطيّ: «إذا جلس قاضي القضاة المعروف بابن أمّ شيبان الهاشميّ أقعده عن يمينه والخلق كلّهم من القضاة والشهود والفقهاء وغيرهم دونه» [عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص 468؛ السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 125].
سمع الكثير بالعراق والشام والجزيرة، وحدّث عنه خلق عظيم، وقد كان أبو إسحاق الطّبري من حفاظ الحديث يجالسه ويسأله عن أحاديث كثيرة، فيقول له: من قطع حديث كذا؟ ومن وقف حديث كذا؟ ومن وصله؟ فيجيبه [عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص468؛ الذهبي، العبر، ج2، ص146؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص402].
تفقّه به عدد كثير وخرج عنه جماعة وافرة من الأيمّة من أقطار عديدة نحو العراق وخراسان وإفريقية والحجاز. ولا غرو في ذلك فقد مكث ستّين سنة بجامع المنصور يدرّس الناس ويفتيهم ويعلّمهم سنن نبيّهم [عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص468]، وصنف في شرح مذهب الإمام مالك رضي الله عنه والاحتجاج له، ودحض حجج المخالفين له الناقدين

لأدلّته ومستنبطاته [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص 462] حدّث عن أبي عروبة الحسين بن أبي معشر السلمي، ومحمّد بن الحسين الأشناني، وأبي بكر بن عبد الله بن الحافظ أبي داود السجستاني، و أبي بكر محمّد بن محمّد بن سليمان الباغندي، وأبي محمّد عبد الله بن زيدان الكوفي [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص462؛ عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص466؛ السمعاني، الأنساب، ج1، ص125]، وسمع أيضًا من عبيد الله بن الحسن الأنطاكي الصابوني، وأبي بكر بن الجهم الورّاق، وأحمد بن مروان الخيّاش، وابن داسة وغيرهم من البغداديّين والشاميّين [عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص466]، وتفقّه بالقاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وابنه أبي الحسين، وأخذ أيضا عن القاضي أبي الفرج، وأبي بكر بن الجهم، والطيالسي، وابن المنتاب، وابن بكير [الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 167؛ عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 467؛ ابن فرحون، الديباج، ص255].

روى عنه إبراهيم بن محمد، وابنه إسحاق بن إبراهيم، وأبو بكر أحمد بن محمد البرقاني، ومحمد بن المؤمل الأنباريّ، وعلي بن محمد بن الحسن الحربيّ المالكيّ، والقاضي أبو القاسم التنّوخي، وأبو محمد الحسن بن عليّ الجوهريّ، والحافظ أبو الحسن الدارقطني، والقاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلانيّ، وابن فارس المقري، وأبو القاسم الوهرانيّ الأندلسيّ، واستجازه أبو محمد بن أبي زيد [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 5، ص 462؛ عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 467؛ السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 125؛ ابن فرحون، الديباج، ص 255]. وقد ذكر عياض وابن فرحون أنّه لم ينجب أحد من الأصحاب بعد إسماعيل القاضي ما أنجب أبو بكر الأبهريّ، فقد تفقّه به أبو جعفر الأبهريّ، وعليّ بن عمر بن أحمد المعروف بأبي الحسن بن القصّار، وأبو القاسم بن الجلاّب، وأبو سعيد القزوينيّ، وأبو عمر بن سعدي الأندلسيّ نزيل المهديّة دفين المنستير، وابن عبّاس البغدادي، وابن خويز منداد البصريّ، وأبو محمّد الأصيليّ، وأبو عبيد الجبيريّ [ترتيب المدارك، ج 4، ص 470؛ الديباج، ص 257].

■ آثاره

صنّف في الحديث، والأصول، والفروع، والخلاف العالي، كتبا نفيسة اشتهرت في عصره وانتفع بها خلق كثير. فقد ألّف كتاب العوالي، وكتاب الأصول، وكتاب إجماع أهل المدينة، وكتاب الردّ على المزني، ومسألة إثبات حكم القافة، وشرح المختصرين الصغير والكبير لابن عبد الحكم، وكتاب فضل المدينة على مكّة، ومسألة الجواب والدلائل والملل، وكتاب الأمالي [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 470؛ ابن فرحون، الديباج، ص 257؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 10، ص 241؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص 50؛ الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 98].

وقد حفل أيمّة المالكية على اختلاف

عصورهم بمصنفاته، وأكثروا من إيراد أقواله في الأصول والفروع ممّا يؤذن بإمامته ورسوخ قدمه فيهما، فقد نقل عنه أبو الوليد الباجي، وشهاب الدين القرافي آراء أصوليّة يعرب بعضها عن نظر فسيح وفهم جيّد للمسائل، وبعضها عن رحابة صدر واستقلال نظر، إذ تحرّر فيها صاحبها من التزام المذهب والتعصّب لأنصاره، ونصر ما رجّحه الدليل وشايعه المنطق، فمن الأوّل القول بأنّ إجماع أهل المدينة حجّة في المسائل التي طريقها النقل، واتّصل العمل بها في المدينة على وجه لا يخفى مثله، أمّا ما نقلوه من السنن من طريق الآحاد، وما أدركوه من الاستنباط والاجتهاد فلا فرق فيه بين علماء المدينة وعلماء سائر الأمصار في أن العمل بما عضده الدليل والترجيح [إحكام الفصول، ص 414]، والقول بأنّ «القياس مقدّم على خبر الآحاد» [الذخيرة، ج10، ص 87]، ومن الثاني قوله «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب» وإليه ذهب المعتزلة وأبو إسحاق المروزيّ من الشافعيّة خلافا لما عليه أكثر المالكية نحو أبي تمّام، وابن نصر، وابن خويز منداد، والقاضي أبي بكر [إحكام الفصول، ص219]، وقوله «الأشياء في الأصل على الحظر» خلافا لما عليه أكثر المالكية من أنّ «الأصل في الأشياء على الوقف» [إحكام الفصول، ص 608-609]، ونقل عنه تلميذه ابن الجلاّب مستنبطات تؤذن أيضًا بقوّة نظره، واستقلال رأيه في الفروع فممّا ورد في التفريع:

1 - الجمع بين غسل الجنابة وغسل الجمعة: هذه المسألة مخرّجة غير منصوصة ذكرها الشيخ أبو بكر الأبهريّ وبقوله أقول [ج 1، ص 210].

2 - من قلّد هديه وأشهره ثمّ حدث به عيب أجزأه ولم يجب عليه بدله، وقال الأبهريّ: القياس أن يبدّله ومن عطب هدية الواجب قبل محلّه أو بعده وقبل نحره فعليه بدله [ج 1، ص 333].

3 - في الأنف الدية، وفي الشمّ الدية، وإذا ذهب الشمّ والأنف جميعا ففيهما ديّة واحدة قاله ابن القاسم، وقال أبو بكر الأبهريّ: والقياس عندي أن يكون فيهما ديتان [ج 2، ص 214].

4 - من غصب دراهم فوجدها ربّها بعينها وأراد أخذها فأبى الغاصب أن يردّها وأراد ردّ مثلها، فذلك إلى الغاصب دون ربّها، قاله ابن القاسم وقال الأبهريّ: ذلك لربّها دون غاصبها [ج 2، ص 279].

وقد عني المالكية بشرحه لمختصر ابن عبد الحكم، ونقلوا منه فروعا كثيرة مما يدلّ على علوّ منزلة هذا المصنّف في الفقه، وكثرة تداوله بينهم، فقد ورد في المقدّمات لابن رشد: «ذكر أبو بكر الأبهريّ في الشرح أنّه (أي ترك الكلام في الصلاة) سنة، وبناه على أصلين في المذهب» [ج 1، ص 162] وورد في الذخيرة للقرافي ما نصّه: «قال الأبهريّ في شرح المختصر: إذا تزوّجها في عدّتها جاهلا، ثمّ علم بذلك وأصاب في العدّة حرمت عليه أبدا، فإن لم يصب فله تزوجها بعد العدّة بعقد جديد» [ج4، ص 198] وورد فيها أيضًا: «وقال ابن الجلاّب إن أراد الآذان فأقام أو أراد الإقامة فأذّن أعاد حتّى يكون على نيّة لفعله ويستمرّ عليها، فيحتمل أن يريد نيّة التقرّب لأنّه قربة من القربات، وقد صرّح

بذلك الأبهريّ في شرح مختصر ابن عبد الحكم» [ج 2، ص 53] .

وتوفّي الأبهري أبو بكر محمد ببغداد يوم السبت لسبع خلون من شوّال سنة خمسة وسبعين وثلاثمائة، وصلّى عليه أبو حفص بن الآجري بجامع المنصور وسنّه نيّف وثمانون سنة [الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج 5، ص 463؛ عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 473؛ ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص 27]. وبعد موته وموت كبار أصحابه لتلاحقهم به وخروج القضاء عنهم إلى غيرهم من الحنفيّة والشافعية، ضعف مذهب مالك بالعراق، وقلّ طالبه لاتباع الناس أهل الرياسة والظهور [عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 470؛ ابن فرحون، الديباج، ص257].
وحاصل القول أنّه كان عمدة من عمد المالكيّة الذين ساهموا بقسط وافر في إثراء مدوّنتهم الفقهيّة، وحفظ مذهب إمامهم في العراق حتّى قيل: «لولا الشيخان والمحمّدان والقاضيان لذهب المذهب، فالشيخان ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهريّ، والمحمّدان محمّد بن سحنون، ومحمّد بن الموّاز المصريّ، والقاضيان أبو محمّد عبد الوهّاب، وأبو الحسن بن القصّار البغداديّان» [المدوّنة الكبرى ومعها مقدّمات ابن رشد، ج 1، ص64].

المصادر والمراجع

● أبو القاسم عبيد الله بن الحسين (ت378 هـ)، التفريع، تحقيق حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ/ 1987 م (ج1، ص210، 214، 333، ج2، ص279) ● الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (ج 5، ص 462-463) ● الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (ت 474 هـ) إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد الله محمد الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1409 هـ/ 1989 م (ص219، 414، 608، 609) ● الشيرازي، أبو إسحاق، (ت 476 هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عبّاس. (ص167) ● ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، (ت 520)، المقدّمات الممهّدات، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1408 هـ/ 1988 م (ج 1، ص 162) ● عياض، أبو الفضل بن موسى (ت544 هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة بيروت، ودار مكتبة الفكر طرابلس-ليبيا، 1387 هـ/ 1967 م (ج4، ص466 ـ 473) ● السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم التميمي، (ت562 هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمان بن يحيى المعلمي اليمالي، بيروت - لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م (ج1، ص124-125) ● الحموي ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين، (ت626 هـ)، معجم البلدان، فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1، 1410 هـ/ 1990 م (ج1، ص 106) ● ابن الأثير، عز الدين، (ت 630 هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، 1400 هـ، 1980 م (ج 1، ص27)

● القرافي، أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي، (ت684 هـ)، الذخيرة، ج 4 و ج 10، تحقيق محمد بوخبزة، ج 2، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1414 هـ/ 1994 م (ج 2، ص 53، ج4، ص 198، ج 10، ص 87) ● الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت 748 هـ)، العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ج 2، ص 146) ● اليافعي، أبو محمد عبد الله، (ت 768 هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دائرة المعارف النامية، الكائنة بمدينة حيدر آباد الدكن، ط1، 1338هـ/ 1919م (ج 2، ص 405) ● ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت744هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ببيروت، ط 1، 6، 1385 هـ/ 1966 م (ج 11، ص 304) ● ابن فرحون، إبراهيم بن علي، (برهان الدين) (ت799)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، وبهامشه كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان (ص255-256-257) ● ابن العماد، أبو الفلاح شهاب الدين، (ت1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت (ج 4، ص 402) ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مطبعة الترقّي دمشق 1376هـ/ 1956 م (ج 10، ص 241) ● البغدادي، إسماعيل باشا، (ت1339هـ)، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول 1955 م (ج 2، ص 50) ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 4، ج6، 1399 هـ/ 1979م (ج 7، ص98).

د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة

الأبهمي، القاضي أحمد سالم بن سيدي محمد

(سنة 1320هـ / 1907 م - 1407 هـ/ 1988م)

هو القاضي أحمد سالم بن سيد محمد بن الشيخ أحمد بن محمذن بن الفاضل الأبهمي الشمشوي ينتهي نسبه إلى ألفغ يحيى الملقب أبهم الذي سميت به القبيلة، وهو ابن امهنض امغر الجد الجامع لبني ديمان.

وأمه سكينة بنت أحمد بن زياد العالم الجليل، وقد توفي عنه والده وهو ابن أربع سنوات فعاش في كنف والدته وأخواله وأعمامه وأخواله بيت علم قديم. وقد قرأ القرآن على والدته، وأكمل دراسته الابتدائية

وتكوينه الأول على أخواله محمد فال والأفضل ومحمد محمود ومحمد عال أبناء زياد، كما أخذ النحو أخذ مطالعة وتحرير على المرابط محمد سالم بن ألما اليدالي (ت1383هـ). وقرأ الفقه والأصول على أخيه الأكبر عبد الرزاق، وسمع علم الكلام والعقيدة من ابن عمه المختار بن محمد سالم الأبهمي. كان عارفا بالقرآن وعلومه مجودا له مطلعا على أيام العرب وتاريخهم وأنسابهم، متمكنا من اللغة حافظا لدواوينها. وقد انتخب رئيسا لحيه أيام السيطرة الفرنسية وذلك بعد استقالة عمه محمذن (أد) بن الشيخ أحمد بن الفال.

وأخذ الطريقة القادرية في التصوف عن عمه هذا. وعمل على تدريس النصوص في سن مبكرة من حياته، فكان يزاوج بين القيام على أمور القبيلة وتعليم الطلاب كما كان القضاة الأجلاء في أيامه يستشيرونه ويأخذون برأيه خاصة القاضي محمذن بن محمد فال. وكان على صلة طيبة بالإمارة الترورزية وخاصة الأمير محمد فال بن عمير والأمير احبيب بن أحمدسالم. وشارك في انتخابات الإطار الفرنسي عام 1958 وهي تعرف بانتخابات «لا» و«نعم» واتخذ منها موقفا حذرا يبدو واضحا في بيتيه الآتيين اللذين أحسن فيهما أسلوب التورية قائلا:

لا «تزركن» إذا ما «تزركن» بلا
و«ازرك» إذ كنت ذا «زرك» أخي بنعم
فبين لا ونعم بون وخيرهما
ما لم يكن فيه في يوم الجزاء ندم

ولا «تزركن» حسانية معناها لا تقترع لصالح كذا فهو يدعو المقترع إلى أن يحكم ضميره ويتقي الله.

وعلى مستوى السياسة المحلية كان له وزن كبير لأنه توفرت فيه المقومات الأساسية كالمكانة الاجتماعية، والمركز العلمي، والعلاقات الوطيدة بالزعامات التقليدية في منطقته فكان على صلة وثيقة بأهل الشيخ سيديا وبأهل الشيخ سعد أبيه. وقبل أن ينصب للقضاء كان الناس يترافعون إليه فيصدر الأحكام ويحرر المسائل ويقدم رأيه في النوازل.

وفي سنة 1963م التحق بسلك القضاء فعين قاضيا في مدينة أطار ثم حول إلى روصو عاصمة ولاية الترارزة وبقي يزاول عمله هنالك إلى أن تقاعد في أوائل الثمانينات. وكثيرا ما كان ينتدب للمهمات العامة فقد عين هو والعلامة محمد بن حمينا (ت1388) اليدالي نائبين عن المجموعة الشمشوية في بعض النزاعات العقارية الشائكة.

كما كان القاضي أحمد سالم شيخ محظرة تخرج منها عدد من الطلاب نذكر من بينهم ابنه عبد الرحيم، وابن أخيه سيد محمد بن عبد الرزاق، ومحمد بن أحمد سالم، والشاعر الأديب والإداري المتمكن محمد فال بن عبد اللطيف، وله إسهام كبير في الشعر الشعبي وقد كان يجيد نظمه.

كان عابدا تقيا زاهدا في متاع الدنيا صارمًا في القضاء لا يجامل ولا يحابي ولا تأخذه في الله لومة لائم. قال عنه محمد فال بن عبد اللطيف في شرحه لمنظومته في الأنساب: «كان رحمه الله بحرا في العلوم المعروفة في

هذه البلاد، فكان آية في الفقه إماما في علوم العربية وأشعار العرب وأيامها وفنون المعقول من منطق وكلام، وكان إليه المرجع في القضاء والفتوى أذعنت لقوله الفحول في العلوم العقلية والنقلية مع الورع الكامل والاستقامة التامة مع اضطلاعه بمصالح قومه العامة دينا ودنيا جلبا ودفعا».

■ آثاره

1 - ديوان شعري ضخم مخطوط لم يحقق بعد، يتناول مختلف الأغراض المعروفة في الشعر العربي القديم 2 - شرح كبير على سلم الأخضري، في المنطق، قرب خلاله المقولات الكلامية (مخطوط) 3 - شرح على قرة الأبصار للمطي (مخطوط) 4 - شرح على ديوان «المفضليات» للضبي. وقد اعتمد فيه على القاموس، يقع في (200 ص) مخطوط 5 - أرجحية السدل، وهو تأليف ضخم ذهب فيه إلى أرجحية السدل مع التنبيه إلى أن مسألة القبض والسدل أمرها سهل. وهو في الحقيقة رد على نظم المختار بن حامد وهو يقع في (200ص) (مخطوط) 6 - عدم طعامية العلك، وهو عبارة عن فتوى بين خلالها نسبيته الطعامية فقد يكون الشيء طعاما في بلد وغير طعام في بلد آخر. وخالف في هذا الرأي العلامة محنض بابه بن اعبيد وهو يقع في (20 ص) 7 - نقلة في حكم التصيير (وهو بيع الدين بغير جنسه) وقد تدارك فيها على العلامة المغربي التسولي بعض المسائل. وتقع في (50 ص) 8 - ورقات في حكم الحيازة بين خلالها أنواع الحيازة وتعريفها وهي تقع في (5 ص) مخطوط 9 - شرحان على نظمي خاله محمد عال بن زياد في أزواج زوجات رسول الله ﷺ وفي أهل العقبة يقعان في (64ص) مخطوطان 10 - نظم في أنساب قبيلة أهل أعمر اديقب، وهو يربو على المائتين من الأبيات (مخطوط)، وقد شرحه محمد فال بن عبد اللطيف. وله أيضا طرة على الباب الأول من ألفية السيوطي في البيان، وله مجموعة من الأنظام النحوية المحاذية لألفية ابن مالك. وله كذلك مؤلف جمع فيه مصطحبات القرآن أي الآيات التي يتشابه أسلوبها وتتكرر بعدة صيغ في مواضيع مختلفة من القرآن وذلك لكي لا تلتبس على القارئ والمرتل.

■ المصادر والمراجع

- مقابلة مع الأستاذ الفاضل محمد فال عبد اللطيف ومقدمة شرحه لنظم الأنساب صاحب الترجمة.

محمذن بن المحبوب
جامعة نواكشوط - موريتانيا

الأبهمي، محمد والد بن خالنا بن المصطفى

(1120هـ / 1799 م - 1212 هـ/ 1821م)

هو محمد والد بن خالنا بن المصطفى بن الفاضل (عمي) بن المختار بن عثمان الأبهمي، ينتهي نسبه إلى ألفغ أمهنض امغر الجد الجامع لبني ديمان وخامس الخمسة المعروفين بتشمشه.

أما والدته فهي غدج بنت والد بن محنض بن ألفغ الأمين بن سيد الفاضل، وتربى على شاكلة النشء من الزوايا في أيامه، فاختلف إلى الكتاتيب القرآنية ليحفظ البعض من القرآن. وبعد دراسته الابتدائية في حرم الأهل وكنف الوالدين قرأ الفقه على شيخه الأمين بن أحمد بن يحيى الذي نوه به في مقدمة كتابه «شفاء الغليل» قائلا: «وكان اعتمادي فيه على فتح جيد الملكة كامل القريحة الشامل البركة ذي العلوم الصحيحة، سيد الأساتذة وعمدة التلامذة سيدنا العلامة الفهام (. . .) الأمين بن أحمد بن يحيى أمن الله روعتنا وروعته». ويذكر أنه قرأ أيضا بعض المعارف والعلوم على العلامة أحمد بن محمد العاقل (ت1244هـ)، واستفاد الكثير من شيخه محمد بن سعيد اليدالي (ت 1166 هـ) الذي اعتبره أحفظ طلبته وأوعاهم لما يقول، لذلك خصه دون غيره بإنشاد قصيدته المشهورة «إن همّي».

يقول النابغة القلاوي في كتابه «غرفة من جم في حل مشكلات إن همي» مبينا ظروف إنشاء هذا النص: «وسبب إنشاء القصيدة أن الناظم رحمه الله تعالى بينما هو ذات ليلة في جوف الليل وأحد أولاده في عرس والفتيان يتناشدون الأشعار (. . .)، فسمعهم الشيخ فلم يمكنه النوم، فجاء إلى المراح فجلس مستمعا. وكان فيهم تلميذه محمد والد فناداه الشيخ فقال: هذا والد؟ فقال: نعم، قال: دعتني إليك داعية، فقال: ما هيه؟ فقال: أريد أن تحفظ هذه القصيدة لتعيها أذن واعية، فأنشد يقول:

إن همي كتابك المستبين
يا إلاهي يا من به نستعين

إلى آخر القصيدة»

ولما تمكن الرجل من المعارف جلس للتدريس مؤسسا محظرة متميزة تخرج منها عدد من الطلاب. نذكر من بينهم ابنه محمد فال (ت 1248 هـ)، ومحنض بابه بن اعبيد الديماني (ت 1277 هـ).

وإلى جانب هذا النشاط التعليمي كان والد من أرباب مدرسة القلم التي عولت على التأليف كثيرا. وقد أشار إلى ذلك الشاعر محمذن (يكو) الفاضلي (ت 1304 هـ) بقوله:

ووالد القطب الولي المالي
صحائف الكتب من التوالي

آثاره

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض هذه المؤلفات نذكر من بينها ما يأتي:

1 - شفاء الغليل وراحة العليل بشرح مختصر خليل، وهو كتاب في فروع الفقه المالكي، ويعتبر من أوائل شروح المختصر في البلاد، وهو معتمد في مختلف مناطق الوطن وهو في جزئين، وتوجد منه نسخة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت الرقم: 2508. وهذا الكتاب ينم على كفاءة عالية وقدرة على التنسيق والاستيعاب. يقول محقق كتاب الكرامات: «ولم نعلم حسب المراجع المتاحة عن التراث الموريتاني أن أحدا من أهل القبلة على الأقل سبقه في هذا المجال، وبذلك كان الرائد في فتح مجال سيلجه من بعده كثير من علماء القبلة على رأسهم تلميذه محنض بابه بن اعبيد الديماني» 2 - كرامات أولياء تشمشه، وهو كتاب في أدب المناقب وسير الصالحين، ويقع في ثمانين صفحة من الحجم الكبير، وقد حقق. وخلاله عمل المؤلف على رسم صورة نموذجية للمجتمع الموريتاني واصفا رجاله بالشجاعة والفروسية مضفيا عليهم كريم الخلال، يقول: «دأبهم إكرام الضيف والإقدام في الخوف مع الخشية والورع، والقلة عند الطمع، والكثرة عند الفزع، والثبات عند الجزع».

ولم يهمل المؤلف العنصر النسوي بل أنزله منزلة عالية ووصفه بالعفاف والطهر منشدا فيه أبياتا قديمة يقول: «يأوون - يعني الرجال - إلى جوار موار يرون سعيهم في المهم، ولا يجزعون في الملم، لهن خدود كبدور التّم، وصدودٌ أمرٍّ من ناقع السمّ، وحسد ابن العم:

حور أوانسُ ما هممْن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرامُ

يحسبن من لين الكلام فواحشا
ويصدّهنّ عن الخنا الإسلامُ».

3 - ديوان شعري فصيح ضخم لم يحقق بعد معظمه من المديح النبوي الذي أنشأ فيه مطولات تزيد على الألف منها نونية تقع في ألف وعشرين بيتا 4 - نظم في الوفيات وحوادث السنين وهو مشهور، وقد كان منطلقا لسلسلة من المنظومات التاريخية التي تعتمد نظام الحوليات، فقد سار على نهجه أبو بكر بن احجاب (ت 1323 هـ)، والمختار بن المحبوب (ت 1391 م)، وعبد الحي بن التاب، ونافع بن حبيب وغيرهم وهو محقق 5 - كتاب الأنساب، (نثر)، وقد تعرض خلاله لأنساب جملة من القبائل الموريتانية خاصة مجموعة تشمشه، وقد تعرض للبتر والحذف والتصحيف والتحريف، وتوجد منه نسخة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم (2468) 6 - شيم الزوايا، وهو مفقود وقد ذكره النابغة القلاوي في كتابه السند العالي حيث قال: «ومن أراد التعرف بأخبار تشمشه فليطالع شيم الزوايا لمحمد اليدالي وشيم الزوايا لولد صاحب شفاء الغليل» 7 - وللرجل مجموعة من الفتاوى الفقهية، توجد منها نسخة في المعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم: 2423 8 - كما له كتاب كبير في التاريخ، وذكر المختار بن حامد أنه اختفى.

المصادر والمراجع

- الداه بن محمد عال، تحقيق كرامات أولياء تشمشه، المدرسة العليا للأساتذة 1981 م.

محمذن بن المحبوب
جامعة نواكشوط - موريتانيا

أبو بكر الثاني

(... هـ/... م - 738 هـ/1337م)

هو أبو بكر الثّاني، سلطان مملكة مالي الإسلاميّة، الّتي ظهرت في السّودان الغربي بعد التّفكّك السّياسي الّذي أصاب دولة غانة الإسلاميّة في النّصف الأوّل من القرن 7 هـ / 13 م [ابن خلدون، العبر، ج6، ص 200]. وبلغت هذه الأمبراطوريّة أوج ازدهارها وقوّتها في القرن 8 هـ/ 14م، لاسيّما في عهد ملكها منسا موسى بن أبي بكر الثّاني. وفي عهد والده أبي بكر (ت738هـ/ 1337م المذكور، تمّت محاولتان لاستكشاف المحيط الأطلسي. ومعلوماتنا عن هاتين المحاولتين جاءتنا من رواية السّلطان منسا موسى الّتي ينقلها العُمري عن الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب والي مصر الّذي اجتمع بالسّلطان موسى عندما زار مصر سنة 724 هـ / 1324 م في طريقه إلى الحجّ. وهي الرّواية الوحيدة عن الموضوع، والّتي ينقلها أيضا القلقشندي عن العُمري، وهذا نصّ الرّواية: «قال ابن أمير حاجب: سألت السّلطان موسى، كيف انتقلت إليه المملكة، فقال: نحن أهل بيت نتوارث الملك، وكان الّذي قبلي لا يصدّق أنّ البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره، وأحبّ الوقوف على هذا وولع به، فجهّز مائتيْ مركب مملوءة بالرّجال وأمثالها مملوءة بالذّهب والماء والزّاد ما يكفيهم سنين. وقال للمسافرين فيها: لا ترجعوا حتّى تبلغوا نهايته وتنفذ أزوادكم وماؤكم، فساروا وطالت مدّة غيبتهم لا يرجع منهم أحد حتّى مضت مدّة طويلة، ثمّ عاد مركب واحد منها، فسألنا كبيرهم عمّا كان من أمرهم وخبرهم فقال: تعلم أيّها السّلطان، أنّا سرنا زمانا طويلا حتّى عرض في لجة البحر واد له جرية قويّة، وكنت آخر تلك المراكب فأمّا تلك المراكب فإنّها تقدّمت، فلمّا صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت ولاعرفنا ما جرى لها، وأمّا أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي. قال: فأنكر عليه. قال: ثمّ إنّ ذلك السّلطان أعدّ ألفي مركب: ألفًا له ولرجال استصحبهم معه، وألفًا للزّاد والماء، ثمّ استخلفني وركب بمن معه في البحر المحيط وسافر فيه وكان آخر العهد به وبجميع من معه واستقلّ لي الملك» [العُمري، مسالك الأبصار، ص 69-70؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج. 5، ص 294-295]. وقد التبس موعد هذه المغامرة على بعض المؤرّخين المحدّثين، فحدّده عبد القادر زبدية: بالفترة الّتي تلت عهد السّلطان منسا موسى بينما يؤكّد المؤرّخ الفرنسي بيار كرناك، في دراسة قيّمة نشرها مؤخّرا بعنوان «كولُمْبُس على خطى الزّنوج» أنّ أولى وأهمّ رحلات الاستكشاف الّتي وطئت الأرض الأمريكيّة قبل كولمبوس كانت رحلة السّلطان المالي أبو بكر الثّاني، وذلك ما بين العامين 1290 م و1300 م. ولكنّ الثّابت، كما يذكر ابن خلدون [ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 200]، أنّ والد السّلطان منسا موسى، هو أبو بكر الثّاني وفي

عهده تمّت عمليّتا الاستكشاف، وذلك في حدود سنة 710 هـ / 1310 م. ويشير خوان بيرنيط، إلى اسم رجل يُدعى محمد «المنسوب إلى ڤاوُ Gao» على أنّه هو الّذي قام بالرّحلتين المذكورتين في طريق أمريكا، وأنّه شرع في رحلته الثّانية حوالي عام 707 هـ / 1307 م. وهي الّتي انتهت باختفاء أسطول حاكم منديجو صاحب المشروع [ذنّون طه، مجلّة دراسات أندلسيّة، عدد 10، ص 40].

ولا تتوفّر لدينا معلومات عن محمد الغاوِي هذا، الّذي يُنسبُ كما يبدو إلى مدينة ڤاوُ، الّتي كانت عاصمة مملكة سنغاي منذ القرن 5 هـ / 11 م، لكنّها وقعت ضمن سيطرة امبراطوريّة مالي في أواخر القرن 7 هـ/ 13م. وكانت من أهمّ مدن نهر النّيجر الّتي تملك أسطولاً من السّفن المسلّحة في هذا النّهر.

قال ابن سعيد: «وفي شرقي مدينتها على ركن البحيرة المغزاة، حيث دار صناعة الكانم. وكثيرا ما يغزو من هنالك في أسطوله بلاد الكفّار الّتي على جوانب هذه البحيرة ويقطع على مراكبهم فيقتل ويسبي» [ابن سعيد، الجغرافيّة، ص 94]. وربّما كان محمد الغَاوي أحد قادة هذا الأسطول، الّذي استطاع أن يقنع السّلطان أبا بكر الثّاني بفكرة اكتشاف المحيط، وتنفيذ هذه الفكرة حسب الخطّة الّتي أسلفنا الإشارة إليها. وتؤكّد هذه الرّواية اليقين القاطع لدى السّلطان أبي بكر الثّاني أنّ البحر المحيط له غاية تدرك، لهذا لم يكتف بفشل المحاولة الأولى، وقاد بنفسه المحاولة الثّانية الّتي اصطحب فيها حسب ما يرويه السّلطان موسى ألفي مركب، وعلى الرّغم من المبالغة الواضحة في عدد المراكب، إلاّ أنّها تشير إلى الاهتمام والاستعداد لهذه الرّحلة الّتي كان القصد الأوّل منها ليس استكشاف المحيط فحسب، إنّما محاولة الوصول إلى آخره من جهة الغرب.

ولا تتوفّر لدينا أيّة معلومات عن المكان الّذي وصل إليه أسطول حاكم مالي، لكنّه بالتّأكيد كان يسير باتّجاه الغرب على طريق العالم الجديد. وربّما كان سبب اختفاء المراكب الأولى، وبالطّريقة الّتي أشار إليها قائد المركب العائد: «. . . أنّا سرنا زمانا طويلا حتّى عرَض في لجةِ البحر واد له جرية قويّة . . . .». يرجع إلى أنّها وصلت إلى منطقة مجرى الخليج المعروف باسم «ڤولف ستريم». وهو مجرى المحيط الأطلسي الّذي يجتاز عُباب المحيط، وهو مجرى حار، يمرّ بمضيق فلوريدا. ويزعم الغربيّون، أنّ الإسباني الأمِينُوس أنطونيو (الأمين الموريسكي) هو الّذي اكتشف مجرى الخليج عند مرافقته لكولمبوس في رحلته الثّالثة.

ومن المحتمل جدّا أن تكون بعض قطع الأسطول قد وصلت إلى مناطق مختلفة في سواحل المحيط الأطلسي الغربيّة. وإن كان حاكم مالي السّلطان منسا موسى بن أبي بكر الثّاني، لم يستطع الإلمام بجميع أخبار مغامرة والده، فإنّ هناك من يرى أنّ رحّالة عربيّا وصل إلى جزر أمريكا الوسطى، في نفس الفترة الزّمنيّة الّتي وقعت فيها أحداث الرّحلة الماليّة الأولى. فليس من البعيد أن يكون الرّجل المشرقي، أحد المشاركين في الرّحلة، حيث تنقل كتب التّاريخ الإسلامي أحاديث موثوقة عن رحلة قام بها الشّيخ زين الدين

علي بن فاضل المازندراني عام 650 هـ / 1291 م من دمشق إلى ميناء الجزيرة الخضراء في جامايكا الأمريكيّة بعد أن زار القاهرة أيّام حكم السّلطان الأشرف صلاح الدين خليل ثامن سلاطين المماليك [يوسف مروة، مجلّة العربي، العدد 519، ص 69]. إنّ إمكانيّة مشاركة هذا الدّمشقي في رحلة السّلطان المالي واردة جدًا، خصوصا لو نظرنا إلى شهرة مدينة تُومبُوكْتو الماليّة في القرن 7 هـ / 13 م حيث كانت تستقطب أشهر رجال الدّين، ورجال الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، كذلك أغنى التجّار، وأصحاب المشاريع.

وتمثّل رحلة أبي بكر الثّاني ومغامراته البحريّة أضخم عمليّة لاكتشاف المحيط الأطلسيّ، فقد تمّت على مستوى اهتمام دولة كبيرة، بل امبراطوريّة عُظمى، هي إمبراطوريّة مالي الإسلاميّة الّتي ظهرت في السّودان الغربي. وتشتمل الرّقعة الّتي امتدّ عليها حكم هذه الإمبرطوريّة، معظم جمهوريّة مالي الحاليّة، والسّنغال الشّرقيّ، وغامبيا، وشمال غينيا، وشمال كلّ من فولتا العليا والداهومي، والجنوب الأقصى من جمهوريّة موريتانيا. وبعبارة أخرى، امتدّت من المحيط الأطلسي إلى الانحناءة الكبيرة لنهرالنّيجر [العُمري، ص 59-67، نفس المرجع]. وقد يظهر لبعض المحلّلين لنصّ الرّواية الّتي أوردها العُمري (ت 748 هـ / 1348 م)، غياب بيانات واضحة على الوصول إلى القارّة الجديدة غير أنّ مقارنته بنصّ الرّحلة الّتي أوردها الإدريسي (ت 562 هـ / 1166 م) ولنفس الغرض ولكن قبل قرنين تقريبا، تؤكّد لنا بكلّ وضوح، اليقين القاطع لدى السّلطان أبي بكر الثّاني أنّه يمكن أوّلا الوقوف على آخر البحر المحيط، وثانيا الإقامة في أراضي الضفّة الغربيّة منه. لهذا السّبب الأساسي اختلف النصّان في المقدّمة. الإدريسي يبدأ حديثه بإبراز صعوبة المغامرة، ثمّ يذكر هدفها وكيفيّة التّجهيز لها بالماء والزّاد لمدّة أشهر. «ومن مدينة لشبونة كان خروج المغرورين في ركوب بحر الظّلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه... فأنشؤوا مركبا حمالا وأدخلوا فيه من الماء والزّاد ما يكفيهم لأشهر...» [الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 548-549]. العُمري يبدأ حديثه بإبراز معرفة مسبّقة لنهاية البحر المحيط، ثمّ يذكر هدف الرّحلة وكيفيّة التّجهيز لها، بالماء والزّاد والذّهب لمدّة سنين «... وكان الّذي قبلي لا يصدق أنّ البحر المحيط لا يُمكن الوقوف على آخره، وأحبّ الوقوف على هذا وولع به، فجهّز مائتي مركب مملوءة بالرّجال وأمثالها مملوءة بالذّهب والماء والزّاد ما يكفيهم سنين. وقال للمسافرين فيها: لا ترجعوا حتّى تبلغوا نهايته وتنفذ أزوادكم وماؤكم...» [العُمري، مصدر سابق]. وبهذا يحقُّ لنا أن ننسب نظريّة نهاية أو آخر البحر المحيط إلى السّلطان المالي أبي بكر الثّاني. وأوّل من تأثّر بها وأشهرها، طبعا، هو الجغرافي العُمري ممثّل الجغرافيا الإسلاميّة الحديثة، وهو أوّل من وصف سكّان جزر الكناري وإليه ترجع تسمية: الوحش (Guanches) وهو أيضا أوّل من شبّه صورة القارّة الإفريقيّة، بشكل «تفصيل السّراويل» [رينو الفرنسي، ص 305-306، (El-Omari)]. أمّا ثاني من تأثّر بنظريّة أبي بكر فهو شهاب الدين أحمد بن ماجد، وهو الّذي عوّض عبارة «نهاية البحر

المحيط» بعبارة «أطراف الأرض» وذلك عند تعرّضه إلى الحديث على جُزُره المكتشفة حديثا «وأمّا جزيرة الرّجال وجزيرة النّساء ومالقة وغيرها من أطراف الأرض. . .» [ابن ماجد، الفوائد، ص 277] ونفس النّظريّة يذكرها أيضا في أرجوزته حاوية الاختصار، البيت 98 والبيت 99:

آخـر يـا ربّـان جـزر الـغـرب
بـحـر أوقـيـانـوس وسـهـيـلـه
الـوبـي وبـيـنـهـم مـسـافـة بـعـيـده
مـسـيـرة شـهـر بـهـواء شـديـده

[حسن صالح شهاب، النّونيّة الكبرى، ص 138]. ولئن وصلت النّظريّة إلى ابن ماجد، فمن المفروض أن تصل إلى المغاربة والأندلسيّين، ثمّ إلى الأوروبيّين: كولمبوس يذكر أنّه درس هذه النّظريّة قبل القيام برحلته الأولى، بدون الإشارة إلى مصدرها الأصلي، قال: «نهاية الأراضي المسكونة نحو الغرب، أقرب من نهاية الأراضي المسكونة نحو الشّرق، وفي الوسط يوجد بحر صغير [Encyclopédie Universalis, Corpus 2, page 59].

ومن المؤكّد أنّ السّلطان أبا بكر الثّاني لم يعد إلى مالي بعد تلك الرّحلة وليس ثابتا هل كان أسطوله الثّاني قد غرق البعض منه، أو هل كان نجح كلّه في الوصول إلى الشّاطىء الغربي من المحيط، أي إلى أمريكا. إنّما، تبقى لنصّ رحلة السّلطان المالي أهميّته التّاريخيّة القصوى، حيث يكفي أنّه كان أوّل وثيقة مكتوبة تفيد وفي القرن 7 هـ / 13 م بوجود ضفّة غربيّة للمحيط وبمحاولة الوصول والإقامة فيها. وقد يحقُّ لنا أن نتساءل عن مصادر المعلومات الّتي أتاحت للسّلطان أبي بكر وبحّارته، مجرّد التّفكير بوجود ضفّة غربيّة وراء المحيط، ولا شكّ أنّ أفارقة القرن المذكور كانوا يعلمون بوجود تلك الضفّة من خلال أصدقائهم العرب: مغاربة وأندلسيّين الذين كانت لهم محاولات سابقة للإبحار العميق غربا. ولئن لم يهتمّ صاحب الرّواية، السّلطان منسا موسى بذكر مصادر المعلومات الّتي شجّعت والده على تمويل الرّحلتين، فإنّنا نكتفي بوصفه الدّقيق كيفيّة التّجهُز إليها، لنستنتج سبب مشروع الرّحلتين، وهدفهما وبالتّالي تتسنّى لنا معرفة المصدر. فعلى أساس تحليلنا لمقدّمة النصّ نرجّح: **أوّلا**، أنّ كميّتي الماء والزّاد هي في الأصل، مقرّرة للسّفر والإقامة في اليابسة. **ثانيا**، أنّ كميّة الذّهب بدورها مقرّرة لتسيير أمور الإقامة والاتّجار. **ثالثا**، أنّ العدد الضّخم لمراكب الأسطول يشير إلى مدى تعلّق السّلطان بالأساطيل الحربيّة، وبالتّالي تبرُزُ حاجته الماسّة إلى جلب الخشب من أسواق جديدة. وإن أصبنا في هذا الرّأي، فإنّه يتأكّد لدينا اعتماد السّلطان أبي بكر على مؤلّف الإدريسي وبالضّبط مطالعته لمقالة: جزائر المحيط «وفي هذا البحر جزيرة لاقة، ويقال إنّ فيها شجر العود كثيرًا. . . وهو في ذاته أسود رزين، وكان التجّار يقصدونها ويستخرجون العود منها. وكان يباع في أرض الغرب الأقصى من ملوك تلك النّواحي. . .» [إسماعيل العربي، كتاب الأندلس والمغرب وإفريقيّة، ص 71]. وأخبار جزيرة الخشب الأسود، المعروف حاليّا بالأرزّ. لم تستمرّ سرّا من أسرار البحارة العرب والمسلمين بل علِم بها

البحّارة الغربيّون منذ القرن 8 هـ / 14 م، ورسموها في خرائطهم على عروض مختلفة ولم يخالفوا الأصل العربي في كيفيّة اختيار اسمها، ففي خريطة إيرلنديّة صُمّمت عام 725 هـ / 1325 م، أخذت اسم جزيرة البرازيل، وفي عام 902 هـ / 1497 م نزل البحّار البرتغالي كابوت (Cabot) بناحية من شمال أمريكا الجنوبيّة فأطلق عليها اسم جزيرة برازيليس (Brasillis) وسبب التّسمية كما أسلفنا، وهو الخشب الأسود المُحْمرّ.

[Encyclopédie Universalis, Corpus 2, page 61] ويرى الدّكتور إبراهيم فخار أنّ الاسم الّذي انتشر في الأوساط الأوروبيّة، يعني في الأصل اسم الجمع للقبيلة البربريّة لمسيلة برازيل ومفرده برزلة، ويعلّل ما ذهب إليه، بإمكانيّة وقوع هجرة جماعيّة لهذه القبيلة نحو جزر المحيط الأطلسي. علما وأنّ هذه القبيلة خسرت وطنها الأصلي الجزائر واتّخذت الأندلس ملجأ لها. وبعد اندثار إمارتهم صُحبة بقيّة الإمارات الطّوائفيّة اختفى أثرهم. وأضاف أنه في جزيرة لاس بالماس عاصمة الجزائر الخالدات، توجد محطّة مياة معدنيّة ومنطقة جبليّة تحمل اسم لوس برازيل Los Berrazeles بمعنى البرازيل [إبراهيم فخار، بنو برزل لمسيلة، ص 45-45] وحسب دراسة حديثة للأستاذ يوسف مروة، علمنا أنّ جزيرة الخشب الّتي قصدها السّلطان أبو بكر الثّاني، أخذت اسم الرّصيفة Recif (البرازيل) وذلك من طرف بحّارة مغاربة نزلوا بها عام 871 هـ / 1467 م. حيث صرّح بأنّه توصّل إلى نتائج تاريخيّة غاية في الأهميّة تثبت صحّة النّظريّة القائلة إن كولومبوس كان آخر الواصلين إلى القارّة الجديدة عام 1492هـ، وأنّه كان بحّارا مغمورا على ظهر سفينة عربيّة عام 1467هـ حيث أبحر من ميناء طنجة إلى غانا ومنها أبحرت السّفينة إلى الرّصيفة، دون أن يعرف أنه وصل إلى قارّة جديدة. وبعد عودة السّفينة إلى طنجة سرّح من عمله. ولم يلبث أن ظهر، بعد ربع قرن من التّسكّع، على المسرح السّياسي فجأة ونال تشجيع الملكة إيزابيلا، ملكة إسبانيا. ولمّا أبحر كولومبوس من ميناء بالوس عام 1492 هـ، ووصل إلى شاطئ كوبا، لم يتجرّأ على النّزول في تلك المنطقة عندما شاهد قبّة مسجد بالقرب من الشّاطئ، فحوّل اتّجاهه إلى جزيرة صغيرة نزل على شاطئها خوفا من أن يكتشف العرب حقيقة أمره [مجلّة العربي، العدد فيفري 2000، ص 69]. وما يُستخلص من هذا الخبر الّذي نحرص على تبليغه، هو أنّ كولومبوس ليس الوحيد أو آخر من فرَّ من وجه العرب والمسلمين، بمجرّد رؤية المساجد في العالم الجديد، بل تصرَّف مثله تماما، البحّارالبرتغالي فاسكو دوغاما، بعد بضعة سنين، أي عند وصوله للشواطئ الجنوبيّة الشّرقيّة لإفريقيا، فبدوره تجنّب الإرساء في شواطئ كلّ مدينة بها معلم إسلامي، وعبّر عن هذا المؤرّخ البرتغالي كاستاهيدا، بقوله: «المدن مسكونة بجالية مسلمة سنّيين» (Maures Mohametin).

وقد تكون مقالة الإدريسي المذكورة، غير كافية لتفسير مدى اقتناع السّلطان أبي بكر بوجود ضفّة غربيّة، خصوصا لمّا نراعي مستوى نفقات الرّحلتين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بُعد أحداث رواية الإدريسي. أمّا

ما يلزم الوثوق به أكثر هو أنّ القرن 7هـ/ 13م يمكن اعتباره قرن استكشاف المحيط الأطلسي بالنّسبة إلى المغاربة والأندلسيّين: نظريّة الهند الغربيّة أشار إليها ابن سعيد، بدليل كلامه على السّراح ولا الفرضة ومعنى السّراح: هو المرسى الطّبيعي الغير مُراقب: «مدينة أوليل وهي سراحٌ كمدن... والهنود وتجارتهم بالملح... مدينة قلنبو وهي فرضة مشهورة» [ابن سعيد، الجغرافيّة، ص 90]، ففي عهد ابن سعيد لم تتوفّر بعد المراسي لا في الجزر الأمريكيّة ولا في الجنوب الغربي لإفريقيّا، ولا يعقل أن نتصوّر وُجود السّراح بالهند الشّرقيّة أيّام ابن سعيد. أمّا نظريّة مالقة الغربيّة الّتي لا تقلّ أهميّة عن الأولى والثانية، فلم نعثر عليها فيما توفّر لدينا من مؤلّفات الإخباريين المغاربة، ويبدو أنّ أصولها قد بادت وتلاشت، وكادت النّظريّة الجغرافيّة تفقد نهائيّا لولا نقلها من طرف نصير الدين الطوسي ثمّ شهاب الدين أحمد بن ماجد العالم الأوّل أوردها في مخطوطة جغرافيّة مؤرّخة في عام 669 هـ / 1271 م باسم: مولان بي ؟ [محمد بعيبليبف، جريدة العرب، ص 10]، العالم الثّاني أوردها في أرجوزة حاوية الاختصار، باسم: سهليه الوبي؟ [حسن صالح شهاب، النّونيّة الكبرى، ص 138]. ومن الواضح أنّ حروف اسم النّظريّة قد فسدت في المخطوطتين، وبالتّالي عجز المحقّقون عن معرفة المعنى الصّحيح. غير أنّ ابن ماجد، ذكر نظريّة في مؤلّف ثان [الفوائد، ص 277] لذلك استنتجنا أنّ: مولان بي أو سهيله الوبي هي من تركيب المحقّق. وتعني بالحقيقة مالقة الغربي. وحينما نُذكّر بسبب هذه التّسمية الّذي فسّرناه بوجود التّشابه الجغرافي بين مضيق مالقة المالِيزيّة ومضيق اليوكاتان الأمريكيّة نستنتج بأنّ السّلطان المالي أبا بكر الثّاني قد كان على معرفة وثيقة بجملة ما راج من أخبار حول يابسة نهاية البحر المحيط. السّلطان أبو بكر الثّاني يرمز إلى العالم الجديد باسم نهاية المحيط فهو لم يخصّ بالذّكر جهة من جهاته، غير أنّ نتيجة الرّحلة الأولى تدلّنا على أنّ بعض قطع الأسطول، توجّهت نحو أمريكا الوسطى، أين يوجد مضيق مالقة الغربي (اليوكاتان) بدليل اعتراضهم للواد المعروف «بمجرى الخليج». في الختام نحن نرجّح أنّ مفهوم السّلطان المالي، لنهاية البحر المحيط، يُفسّر بمناطق أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبيّة ويمكن أن يعلّل هذا بعدد المراكب الّتي أوكِل إلى راكبيها استكشاف طول السّاحل. كولومبوس نفسه لمّا أراد المزيد من التثبّت في نهاية المحيط كان له نفس نيّة واستراتيجيّة السّلطان المالي، لكنّ مهمّته الاستكشافيّة تطلّبت رحلتين نظرا إلى قلّة مراكبه. في الأولى تثبّت في نواحي أمريكا الوسطى، وفي الثّانية تعرّف على جزء من أمريكا الوسطى (ملحق2).

المصادر والمراجع

● ابن خلدون، العبر، بيروت، 1979م - العمري، مسالك الأبصار، الدّارالبيضاء، 1988م ● ذنّون طه، مجلّة دراسات أندلسيّة، عدد 10، تونس، 1993 م ● ابن سعيد، الجغرافيّة، بيروت 1970 (تحقيق إسماعيل العربي) ● يوسف مروة، مجلّة العربي، العدد 519، فيفري 2002 ● الإدريسي، نزهة

المشتاق، روما (1970-1984) ● رينو الفرنسي، El-Omari، باريس 1935 ● ابن ماجد، الفوائد، دمشق 1971 ● حسن صالح شهاب، النّونيّة الكبرى، عُمان، 1993 م ● العربي، إسماعيل، الأندلس والمغرب، الجزائر 1983 (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) ● فخار، ابراهيم، بنو برزال لمسيلة، مجلّة جامعة قسنطينة، 1974م ● محمد بعيليف، جريدة العرب في 07/ 05/ 1992م 14 ● لطف الله قاري، الأندلس قرون من التقلبات، مطبوعات مكتبة الملك فهد 1996.

• Encyclopédie Universalis, Paris 1996.

المهندس حسين بن عبد العزيز
تونس

ابن أبيّ، أبو كعب تميم بن أبيّ بن مقبل

(70 ق هـ / 554 م - 37 هـ/ 657 م)

هو تميم بن أبيّ (بالتصغير وتشديد الياء) بن مقبل بن عوف بن حُنَيْف (بالتصغير) بن قتيبة بن العجلان، والعجلان هو عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويعد تميم من قبائل قيس عيلان، ويكنى أبا كعب. شاعر جاهلي إسلامي، ولد في الجاهلية، ثمّ أدرك الإسلام فأسلم، وهو من المُعَمّرين، عاش مائة وعشرين سنة، وتوفّي في عهد معاوية نحو عام 37هـ.

كان تميم أعور، وهو أحد خمسة شعراء من عوران قيس، وهم تميم، وعمرو بن أحمر الباهلي، والشمّاخ بن ضرار، وراعي الإبل عُبَيْد (بالتصغير) بن الحصين النميري، وحُمَيْد بن ثور الهلالي، وقد ذكرهم المعري في رسالة الغفران حيث جعل ابن القارح يلتقيهم في الجنّة وهم من أحسن الناس نظرًا.

توفّي أبوه في الجاهلية، وهو أكبر أولاده، فتزوّج زوجة أبيه، على عادة بعض الجاهليين، ولمّا ظهر الإسلام ودخل فيه تركها، لأنّ الإسلام حرّم ذلك النوع من الزواج، وخرج في بعض أسفاره، فمرّ بمنزل عَضَرٍ (بفتح العين والصاد) العقيلي، وقد جهده العطش، فاستسقى، فخرج إليه ابنتاه، فأبدتا له بعض الجفوة، وذكرتا هرمه وعوره، فغضب ولم يشرب، وبلغ أباهما الخبر، فتبعه وقال له: ارجع ولك أعجبهما إليك، فرجع وتزوّج إحداهما، وهي سليمى، وذكر ذلك في شعره، فقال: [الديوان، 76-77]

قالتْ سُليمَى ببَطنِ القاعِ من سُرُحٍ:
لا خَيْرَ في المَرْءِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ

واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُهَا منِّي، فقُلْتُ لها:
ماذا تَعيبانِ مِنِّي يَا بُنَيَّتَيْ عَصَرِ؟

لولا الحَيَاءُ ولولا الدِّينُ عِبْتُكُما
ببعض ما فيكما، إذْ عِبْتُمَا عَوَرِي؟

وقد ترك عشرة أبناء كلّهم شعراء، وهم: تميم، وفَضالة، وحيّان، ورِفاعة، ووبرة، والمضاء، وأعقد، وعبد الله، وخُفاف، وأبو الشمال، وله ابنة تدعى أم شريك وقد أخذ الرواة عنها شعره، ولعلّها هي نفسها الحرة التي ذكرها في قصيدته الرائية وفيها يحدثها عن شيبه وتقدّمه في العمر ويروي قصّة زواجه من ابنة عَصَر، ولعلّها أمّها، ومطلعها [الديوان، 72]:

يا حُرُّ أمسيْتُ شيخًا قد وهى بصري
والتاثَ ما دون يوم الوعد مِنْ عُمُري

وهجا ابن مقبل كما يذكر الرواة الشاعر النجاشي فنال منه النجاشي ومن قومه، فشكاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجّه عمر الهجاء توجيها حسنًا محاولاً تهوين الأمر عليه، ولكنّه أصرّ، فحكّم حسان بن ثابت، فحكم لابن مقبل، فأمر بحبس النجاشي، وللرواة في ذلك قصّة مطوّلة، ولكن لم يرد في ديوان ابن مقبل شيء من هجائه النجاشي، ولعلّ النجاشي هجاه فلم يرد عليه وإنّما تقدّم بالشكوى إلى عمر، ويدعم هذا ما يروى من أنّ الأعور بن براء هجا بني كعب فقدموا إلى ابن مقبل يستعدونه على الأعور وقومه ويطلبون منه أن يهجوهم فأبى.

ومن هجاء النجاشي لابن مقبل وقومه قوله:

إذا الله جازى أهل لُؤْم بذلّة
فجازى بني العجلان رهط ابن مقبلِ

قبيلتُه لا يغدِرون بذمّة
ولا يظلمون الناس حَبَّةَ خردلِ

وما سمّي العجلان إلاّ لقولهم
خذِ القعب واحلب أيها العبْد واعجِلِ

وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم، إذ سُمّيَ جدُّهم العجلان لتعجيله القرى للضيفان. ورثى ابن مقبل عثمان بن عفّان رضي الله عنه (ت 35 هـ/ 655 م) فقال [الديوان، 14]:

لِيَبْكِ بَنُو عُثْمانَ ما دام جِذْمُهُمْ
عليه بأصْلالٍ تُعَرَّى وتُخْشَبُ

نعاءِ عرى الإسلامِ والعدلِ بعدَه
نعاءِ، لقد نابت على الناسِ نُوَبُ

ودعا في القصيدة إلى الأخذ بثأر عثمان، وكان أموي الهوى، شأنه شأن قبيلته، ولما هجا الشاعر النجاشي معاوية بعد معركة صفّين (37هـ/ 656م) ردّ عليه فقال [الديوان، 345-346]:

ولو شهدت أُمُّ النجاشيّ ضَرْبَنَا
بصفِّينَ فئتْنا بكلِّ يماني

ونحْنُ منَعْنا البحرَ أن يشربوا به
وقد كان منكم ماؤه بمكان

وكان ابن مقبل رقيق الإسلام جافيًا في الدين، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية، ويذكر عيشه فيها، وما كان له ولقومه من عزّة، ويرى الزمان قد تغيّر، يقول [الديوان، 132-140]:

أجِدِّي أرى هذا الزمان تغيَّرا
وبطنَ الركاء من مواليَّ أقفرا

وكائن ترى من منهل بادَ أهلُه
وعِيدَ على معروفه فتنكَّرا

لقد كان فينا من يحُوطُ ذِمارَنا
ويُحْذي الكَمِيَّ الزاعبيَّ المؤمَّرا

الهفي على عزٍّ عزيزٍ وظهرةٍ
وظلِّ شبابٍ كنتُ فيه فأدبرا

ولعلّ ذكره أيام الجاهلية راجع إلى ما هو فيه من شيخوخة تجعله يذكر أيام الشباب، ومن عادة المرء أن يذكر الماضي في شيخوخته، ولعل وصفه برقّة الدين تهمة ألصقها به خصومه.

وكان بدويا، أمضى معظم عمره في البادية، ولم يعرف الحاضرة إلاّ قليلا، وهو ما أكسبه جفاء الطبع، ولعلّ رقة الدين جاءته من جفاء البداوة، ولعل في عوره ما زاده جفاء، يؤكّد ذلك اكتفاؤه بعيشه وعدم وفوده على أحد فليس في شعره مديح ولا هجاء، إلاّ ما كان من ردّه على النجاشي، حين هجا معاوية.

وكان شديد الاعتداد بنفسه وشعره، وقد أكثر من الفخر بمناقبه، ومن فخره بشعره قوله [الديوان، 136]:

إذا مُتُّ عن ذِكْرِ القَوافي فَلَنْ ترى
لها تاليًا بَعْدي أطَبَّ وأشْعَرَا

وأكثَرَ بيتًا ماردًا ضُرِبَتْ له
حُزُونُ جبالِ الشِّعْرِ حتّى تَيَسَّرَا

أغر غريبًا، يمسح الناس وجهه
كما تمسَحُ الأيْدي الأغرَّ المشهَّرا

وظهر أثر حياته في شعره، فهو قوي متين، غريب الألفاظ، عني فيه بالبادية ومظاهرها، فوصف الصحراء وما فيها من حياة، فصور وحشها وكثبانها والارتحال فيها والحرب وأدواتها وأخلاق الأعراب وعاداتهم وأشاد بمثلهم من كرم وشجاعة، وفخر بقومه وسار في ذلك كلّه على نهج من سبقه من الشعراء، فكان يستهلّ القصيدة بالغزل على عادتهم، ولم يمدح أحدًا لأنّه لم يتّصل بأحد، وكان مكتفيًا بعيشه ولم يتكسب بشعره، ولم يهج إلا ما كان من ردّه على النجاشي حين هجا معاوية.

وبرع في وصف قداح الميسر، حتّى عرف بجودة وصفها، وضُرِبَ به المثل فقيل: قِدْحُ ابن مقبل، وكان العرب يضعون القداح في وعاء، وهي عشرة سهام مصنوعة من أغصان يابسة، سبعة عليها علامات، وثلاثة ليس عليها علامة، ويدخل الرجل يده في الوعاء، فإن خرجت بقِدْح (بكسر القاف وتسكين الدال) من السبعة الأولى فاز، وإن خرجت بواحد من الثلاثة الأخيرة غرم، ومن وصفه القدح [الديوان، 26-30]:

تخيُّلَ فيها ذو وُسومٍ، كأنّما
يطلي بحُصٍّ أو يصلى فيَصْبَحُ

صريعٌ دريرٌ مسُّهُ مسُّ بيضةٍ
إذا سَنَحَتْ أيدي المُفيضين يبرحُ

غدا وهو مجدولٌ، فراح كأنّه
من الصكّ والتقليب في الكف أفطحُ

فالشاعر يصف القدح بأنّه متميّز من بين القداح، وهو أصفر كأنّه مصبوغ أو كأنّ النار لوّحته، وهو مصنوع من غصن ساقط من

شجرة، وهو ناعم الملمس وإذا حاول الضاربون في القداح مسّه أفلت من أيديهم، وهو قويّ متين، كأنّه مضفور، ولكن لطول ما وقع في الأيدي أصبح كالمفلطح، دليلا على فوزه.

ولما هزم الحجّاج ابنَ الأشعث كتب إليه عبد الملك بن مروان: «أما بعد، فما لك عندي مثل إلاّ قدح ابن مقبل» وهو يريد بذلك أن يثني عليه.

وقد جعله ابن سلام الجمحي في كتابه «طبقات فحول الشعراء» في الطبقة الخامسة من الشعراء الجاهليين مع خداش بن زهير، والأسود بن يعفر النهشلي، والمخبّل، ويعد شعره ممّا يؤخذ به ويستشهد على غريب اللغة، لأنّه من الأعراب الأقحاح الذين عاشوا البوادي بلين نجد والحجاز.

ولقد عني علماء اللغة ورواة الأشعار بشعره، فصنع ديوانه أبو عمرو بن العلاء، والأصمعي، والطوسي، وابن السكيت، وأبو سعيد السكري، على نحو ما ذكر ابن النديم في كتابه «الفهرست"، وشرحه أبو عبد الله محمد بن المعلى، واطّلع عليه ياقوت الحموي وأفاد منه في كتابه "معجم البلدان»، ولكن لم يصلنا شيء من عمل هؤلاء في شعر ابن مقبل.

وعثر الدكتور عزة حسن على مخطوطة تتضمّن شعره وشعر بشر بن أبي خازم في مدينة جوروم في تركية إلى الشمال الشرقي من أنقرة، وهي بحالة جيّدة، وبخطّ واضح ولكن لا يعرف صاحبها ولا تاريخها، وقد عمل الدكتور عزّة حسن على نشر المخطوطة، فخرّج الأشعار وشرحها وصنع لها الفهارس، وجاء عمله متقنًا، ونشرت الديوان وزارة الثقافة بدمشق عام 1381هـ/ 1962م، فجاء في 564 صفحة من القطع الكبير شغلت الفهارس مائة وأربعين صفحة.

المصادر والمراجع

● ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، تح. د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، 1381هـ/ 1962، 564 صفحة، قطع كبير ● البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، ط. مصر، 1299هـ ● الجُمَحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح. محمد شاكر، ط. مصر، 1955م ● العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط. مصر، 1358هـ/ 1939م ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. أحمد محمد شاكر، ط. مصر، 1364م.

د. أحمد زياد محبك
جامعة حلب -سوريا

الأبّي، أبو عبد الله محمد بن خِلفة

(... هـ / ... م - 828 هـ/ 1424 م)

هو أبو عبد الله محمد بن خِلفة بن عمر الوشتاتي المالكي الشهير بالأبّي، نسبة إلى أبة قرية بالجهة الغربية بالبلاد التونسية تسمى الآن «أبة كسور». [القرافي، توشيح الديباج، ص 204، ص 192].

واختلف المترجمون في تاريخ ميلاد الأبّي، والراجح أنه كان ما بين سنة 745 هـ و 747 هـ [عون، الأبّي وإكماله، ص 121]. أما وفاته فكانت سنة 828هـ [السراج، الحلل، 686-687؛ مقديش، نزهة الأنظار 249 و، مخ، دار الكتب، رقم 202].

وصف الأبّي في المصادر القديمة بالأصولي وعالم المغرب بالمعقول وبالحافظ والمدقق والمحقق. ووصف في المراجع الحديثة بالفقيه والعالم بالحديث، وبالمحدث والراوي. وهو عموما عالم زمانه فقها وتفسيرا وحديثا. [حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 558؛ مخلوف، شجرة النور، ص 244؛ رقم 374].

وقد تتلمذ الأبّي على عدد من العلماء، ونقل عنهم في مصنفاته آراءهم ووصفهم بما يليق بهم من علم وخلق، نذكر منهم: أبا عبد الله محمد بن عرفة الورغمي (ت 803 هـ) أخذ عنه العلوم العقلية والنقلية، وخاصة التفسير الذي قيده عنه في ثلاث ختمات متتالية، وكان ينعته بالشيخ الإمام. [المناعي، مقدمة تح. تفسير ابن عرفة، ص 27]، وأبا العباس أحمد بن إدريس بن بلال البجائي (ت760هـ) نقل عنه كثيرا. وكان ينعته بسيدنا الشيخ أو شيخنا الصالح المفتي [ابن فرحون، الديباج، ص 81؛ الرصاع. الفهرست، ص 97] وأبا العباس أحمد بن حيدرة (ت 773هـ) أخذ عنه الأبّي الفقه وكان ينعته بالقاضي، والشيخ أبا الحسن محمد بن أحمد البطرني (ت 793 هـ) كان ينعته بشيخنا الأستاذ [الرصاع، الفهرست، ص 95].

وبدأ الأبّي التدريس أوائل حياته بمدرسة التوفيق (المعهد الأعلى للحضارة الإسلامية التابع لجامعة الزيتونة الآن)، ثم الإمامة بجامعها وهو يحاذي المدرسة ويسمى جامع الهواء. ثم انتقل إلى الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) فأخذ عنه عدد كبير من الطلبة الفقه والتفسير والحديث رواية ودراية نذكر منهم: الشيخ أبا الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت 847 هـ)، والشيخ أبا حفص عمر بن محمد القلجاني الباجي (ت847هـ)، والشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الزواوي النجار القسنطيني (ت 857 هـ)، وأبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله التجاني المعروف بابن كحيل التونسي (ت 869هـ)، وأبا زيد عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 875 هـ) [عون، الأبّي وإكماله، ص122؛ المناعي، تفسير ابن عرفة، 1/ 25].

من خلال مؤلفاته يبدو الأبّي عالما فقيها، محدثا، مفسرا. ذا منهج علمي متنوع يشمل كل لون من ألوان العلم والمعرفة أذكر منها خاصة الحديث والتفسير.

يعتمد الأبّي في شرحه للحديث على كل ما يتوفر لديه من العلوم المتصلة بهذا العلم كالقرآن وعلم أسباب ورود الحديث والحديث وأقوال الصحابة والتابعين. ووسيلته في الجمع والمقارنة بين المعاني والآراء عقله الذي هو سمة ظاهرة في كل تعليق أو ملاحظة يبديها، وفي كل نقل أو تلخيص أو ترجيح يسجله. فهو عالم ناقد ثاقب الرأي خاصة في المسائل الاجتهادية التي لا تمس المبادئ الإسلامية. وكتابه «الإكمال» أقيم عنوانا على هذا المنهج هدف فيه إلى شرح صحيح مسلم والتعليق على شراحه السابقين له، فكشف لنا عن مكانته في الصناعة الحديثية رواية ودراية كالعلم برجال الإسناد والجرح والتعديل، وطرق التحمل والأداء، وعلم المؤتلف والمختلف، ومبهم الأسماء والألقاب والكنى، وناسخ الحديث ومنسوخه.

ولم يكن الأبّي في شرحه لصحيح مسلم مجرد ناقل لأعمال السابقين، بل نراه غالبا ما كان يُعنى بترتيب الأقوال والتعقيب عليها ونقدها بعد استيفاء الشرح بما لم يرد عمن سبقوه بهذا العمل كالمازري، وعياض، والنووي، والقرطبي، وشيخه ابن عرفة.

وإذا كان أغلب شراح الحديث قد انصب عملهم على المزج بين مواد جميع مسائل علوم الحديث التي منها فقهه فإن الأبّي قد انصب اهتمامه على هذا الفقه باعتباره الثمرة المجناة من دراسة السنة النبوية ثاني مصدر للتشريع. وهذا ما جعل المترجمين له يصفونه بالمحدث الفقيه أكثر من أي صفة أخرى.

أما في التفسير الذي رواه عن شيخه - ابن عرفة - فهو يبدو في تعاليقه وأسئلته عالما بالقرآن وعلومه متبحرا في اللغة وعلم المنطق يستعمل عقله كثيرا عند مناقشة العلماء كالزمخشري، وابن عطية، وأبي بكر بن العربي، والغزالي، والقرطبي، والرازي، وغيرهم. وهو في ما قام به وإن لم يكن مفسرا وكان ناقلا للتفسير في تقييده الكبير، فإنه كان أبرز تلاميذ الإمام ابن عرفة في الرواية عنه والتعليق على كلامه وحسن التوثيق وردّ الأقوال إلى أصحابها بحيث جاءت روايته في التفسير ثرية المحتوى غنية بالأسئلة والتعاليق عبارة عن شريط مسجل لما كان يحدث داخل حلقات دروس التفسير بجامع الزيتونة.

آثاره

ألف الأبّي عددا هاما من الكتب تلاشى أغلبها ولم يبق منها غير إشارات موزعة في كتب التراجم منها:

1 - كتاب شرح فروع ابن الحاجب، ذكره حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 1256؛

2 - شرح المدونة، ذكره أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص287؛

3 - التقييد الكبير، وهو تقييدات في التفسير عن شيخه الإمام ابن عرفة ضمنها تعليقات كثيرة توجد من هذا التقييد عدة نسخ: نسخ دار الكتب الوطنية التونسية أرقامها 10110-10770، 10771-21629، ونسخة دار

الكتب المصرية رقمها 116 تفسير، ونسختان بالخزانة العامة بالرباط رقمهما 2028-2002، ونسخة بمكتبة المسجد النبوي - تفسير، [المناعي، تفسير ابن عرفة، 1/ 26]، طبع من هذا التفسير جزءان بتحقيق الدكتور حسن المناعي سنة 1986 تونس 4 - كتاب إكمال إكمال المعلم، عرف هذا الكتاب بأكثر من اسم منها إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب المسلم، [أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص287؛ سركيس، معجم المطبوعات ص363] وهو كتاب ألفه تكملة لكتاب «إكمال المعلم» للقاضي عياض وتكملة لكتاب «المعلم» للإمام المازري الشارح الأصلي لمسلم، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ بدار الكتب الوطنية التونسية، الأرقام التالية 11266، 19019، 7270، 7271، 10605، 10606، 5811، 582. وطبع الكتاب في سبعة أجزاء بمطبعة دار السعادة، مصر، على نفقة السلطان عبد الحفيظ العلوي الحسيني سنة 1910، والجزء الأول منه سنة 1909، ويوجد بحاشيته مكمل إكمال الإكمال لأبي عبد الله محمد السنوسي الحسيني (ت891) [عون، إكمال الأبّي، ص 161].

■ المصادر والمراجع

● الأبّي أبو عبد الله محمد، إكمال إكمال المعلم، ط. دار السعادة مصر 1909-1910 ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط. وكالة المعارف 1941 ● الرصاع محمد بن قاسم، الفهرست، نشر المكتبة العتيقة، تونس 1967 ● السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الدار التونسية للنشر ● سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، الهيئة المصرية العامة للتأليف القاهرة 1971 ● عون عبد الرحمان، الأبّي وإكماله، الدار العربية للكتاب 1983 ● ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مطبعة السعادة مصر ● القرافي بدر الدين محمد بن يحيى، توشيح الديباج، دار المغرب الإسلامي 1984 ● مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، في جزءين ط. دار الكتاب العربي، بيروت ● مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب الأمصار، مخ، دار الكتب الوطنية التونسية رقم 220 ● علي الزواوي، ومحمد محفوظ (جزآن) دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 ● المناعي حسن، تفسير الإمام ابن عرفة برواية الأبّي، نشر الكلية الزيتونية، تونس 1986.

د. حسن المناعي
جامعة الزيتونة - تونس

الأبياري، إبراهيم إسماعيل

(1320 هـ / 11902 م - 1414 هـ/ 1994م)

إبراهيم إسماعيل الأبياري. محقق ومؤلف مصري. ولد بطنطا (بمحافظة الغربية)، وكان بِكر أبويه، نشأ في أسرة متوسّطة، إذ كان أبوه تاجرًا، ودرس في الكُتّاب ثلاث سنوات، ثمّ تعلّم في المدارس الحكومية، وشارك - وهو شاب صغير - في مظاهرات ثورة 1919 م.

حفظ وهو في السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، أو كاد، حسب ما يقول في سيرته الذاتية «مع الأيام»، حديث عيسى بن هشام، وبهره أسلوبه المسجوع كما استقبل تلك السنة الرابعة «وهو يكاد يتكلّم الإنجليزية في يسر».

التحق بدار العلوم، وتخرّج فيها سنة 1929م، وعمل عقب تخرجه مصحّحا بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية إلى سنة 1936م، ثم اشتغل بالتدريس في المدارس الأميرية ستّ سنوات.

عُيّن مديرًا لإدارة إحياء التراث بوزارة المعارف، فمراقبًا عامًا لشؤون مجلس النواب والشيوخ. كان أستاذا للغة العربية في معهد الدارسات الإسلامية بمدريد، ومستشارا للمؤسسة الثقافية بوزارة الثقافة في مصر. كان ذا جهد وفير في التحقيق، منفردًا أو مع غيره كما أن له عددا من المؤلفات. توفى في السادس من إبريل سنة 1994 م.

آثاره

1 ـ التحقيقات:

(أ) تحقيقات منفردة:

1 - تهذيب اللّغة، للأزهري، (الجزء الخامس عشر)، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1967 م 2 - كتاب الجيم للشيباني، ج 1، طبعة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1974 م 3 - الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الشعب، 1389هـ / 1969م) 4 - إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1963 5 - الأيام والليالي والشهور، للفراء، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1400 هـ / 1980 م 6 - سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 2، مصر 1957م 7 - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي، مصر 1959 م 8 - المحكم، لابن سيده، ج4؛ 9 - المعجم الكبير، ج1؛ 10 - مختار الأغاني، لابن منظور

(ب) تحقيقات بالمشاركة:

1 - شروح سقط الزند، تح مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وعبد السلام هارون، وابراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، إشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، 1406 هـ / 1986 م 2 - العقد الفريد، لابن عبد ربه، تح أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/ 1940م 3 - التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصاغاني، الجزآن: الثاني والخامس، تح إبراهيم الأبياري، مراجعة محمد خلف الله أحمد، ج 2، مطبعة دار الكتب، 1971 م، ج 5، مطبعة دار الكتب 1977 م 4 - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري، نشر منه ثلاثة أجزاء، تح مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، 1364 هـ / 1945 م 5 - السيرة النبوية، لابن إسحاق، رواية وتهذيب ابن هشام، تح مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1375هـ / 1955م 6 - لطائف المعارف، للثعالبي، تح إبراهيم الأبياري، وحسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1379هـ/ 1960م 7 - الوزراء والكتاب، للجَهْشَيَاريّ، تح مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ط1، 1357هـ/ 1938م 8 - المعجم في بقية الأشياء، لأبي هلال العسكري، علق عليه وضبطه، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1353هـ/ 1934م 9 - فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، حققه ووضع فهارسه، مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة الحلبي بالأزهر، ط2، 1373هـ/ 1954م 10 - تعريف القدماء بأبي العلاء، جمع وتحقيق مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وعبد السلام هارون، وحامد عبد المجيد، إشراف طه حسين، طبعة ثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1363هـ/ 1944م 11 - ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه، أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، ط4، 1948م 12 - شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1355هـ/ 1936م 13 - شرح لزوم ما لا يلزم، ج1، طه حسين، وإبراهيم الأبياري، مصر، د. ت 14 - الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، لابن سعيد الأندلسي، تح إبراهيم الأبياري، دار المعارف بمصر، 1977 م 15 - قلائد الجُمان، للقلقشندي، تح إبراهيم الأبياري، القاهرة 1963م 16 - التعريفات، للجرجاني، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، 1985م 17 - اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، لابن سعيد المغربي، تح إبراهيم الأبياري، مصر، 1959م 18 - التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ/ 1989م 19 - المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، لابن الأبار، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني،

ط1، 1410هـ/ 1989م 20 - المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية، تح إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، مراجعة طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية 1997م 21 - تجريد الأغاني، لابن واصل الحموي، تح طه حسين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1957 م 22 - ديوان عبد المطلب، بالمشاركة

(ج) مراجعة تحقيق وتقديم:

1 - القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، لمحمد بن أبي السرور، تح السيد إبراهيم سالم، مراجعة تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت 2 - طوق الحمامة، لابن حزم الأندلسي، حسن كامل الصيرفي، تقديم إبراهيم الأبياري، مصر 1950م 3 - رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني

2 ـ المؤلفات:

1 - مع الأيام، مكتبة الآداب بالقاهرة 2 - ميلاد دولة (الدولة العباسية)، مكتب الآداب بالقاهرة 3 - مغيب دولة (الدولة الأموية)، مكتب الآداب بالقاهرة 4 - عذراء البصرة (قصة)، مكتب الآداب بالقاهرة 5 - معاوية، الرجل الذي أنشأ دولة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، 1985 م 6 - الموسوعة الشوقية، خمسة مجلدات، مكتب الأنجلو المصرية، 1983 م 7 - مهذب السيرة النبوية، دار المعارف، 1979م 8 - تأريخ القرآن 9 - رسالة الشاعر 10 - نظرات في التاريخ الإسلامي 11 - الموسوعة القرآنية الميسرة، (بالمشاركة) 12 - الوليد بن يزيد والدولة الأموية 13 - الدولة الإخشيدية 14 - الدولة الأيوبية 15 - فصول مختارة من كتب التاريخ، طه حسين، وعبد السلام هارون، وعلي البجاوي، وإبراهيم الأبياري، وزارة التربية والتعليم 16 - نهاية المطاف، الدولة الفاطمية 17 - الوطن في الأدب العربي 18 - تيسير الكتابة العربية 19 - كيف تتكلّم الإسبانية، (للمتكلمين بالعربية) 20 - كيف تتكلم العربية، (للمتكلمين بالإسبانية) 21 - أزمة التعبير الأدبي بين العامية والفصحى، إبراهيم الأبياري، ورضوان إبراهيم، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1378هـ/ 1958م.

3 ـ الترجمات:

1 - الحمراء (عن الإنجليزية) 2 - مواد في دائرة المعارف الإسلامية.

المصادر والمراجع

● أباظة، نزار وآخر، إتمام الإعلام، دار صادر، بيروت، ط 1، 1999م ● الجميلي، السيد، الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام، مقال بمجلّة الأزهر، ج 9، السنة الثامنة والستون، رمضان 1416 هـ، فبراير 1996م ● دار العلوم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، تقويم دار العلوم (صورة من العدد الماسي)، 1410 هـ / 1990م،

● تقويم دار العلوم (العيد المئوي للكلية)، ج 2، 1411 هـ / 1991 م
● هارون عبد السلام، قطوف أدبية حول تحقيق التراث، مكتب السنة، القاهرة، 1409هـ/ 1988م.

د. فتح الله سليمان
جامعة حلوان - القاهرة - مصر

الأبياري، عبد الهادي نجا بن رضوان

(1236هـ / 1821 م - 1305 هـ/ 1888م)

عبد الهادي نجا بن رضوان بن محمد النحوي الأبياري، ولد بقرية الأبيار، من إقليم الغربية بمصر، وتعلّم في الأزهر الشريف، وعهد إليه الخديوي إسماعيل بتأديب أولاده. ثم جعله الخديوي توفيق بن إسماعيل إماما لخاصته ومفتيا له شأن كبير في النهضة الأخيرة، وتوفي بالقاهرة في 18 ذي القعدة سنة 1305 هـ.

تخرج على مشائخ عصره. ومنهم: شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيجوري، والشيخ محمد الدمنهوري، والشيخ أحمد المرصفي، والشيخ الشيبيني، والشيخ مصطفى المبلط، والشيخ محمد التاودي، والشيخ فتح الله الخلوتي، والشيخ الدمياطي، والجزائرلي، والشيخ محمد عليش شيخ المالكية، والشيخ إبراهيم السقا.

آثاره

1 - زكاة الصيام بإرشاد العوام، عرض فيه مسائل فقهية، يذكر المسألة أولا ثم الرأي المالكي والحنفي وأخيرا الرأي الشافعي. وعرض فيه أيضًا أخطاء شائعة وأمورا ضل فيها كثير من الناس. واحتوى الكتاب على الأبواب التالية: باب فيما يتعلّق بالصوم، وفيه تكلّم عن الغيبة والنميمة، والأقوال الكاذبة، والسب واللعن، وما لا خير فيه من الكلام، وباب في العقائد، والطهارة، والصلاة، والزكاة، وباب في أمور شتّى منها المعاملات: البيع، والشراء، والأمانات. وغير ذلك من الأمور المهمّة. وفي كل أقواله يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية 2 - فن التصوّف في سعود المطالع، ذكر فيه معنى التصوف، وصفات الصوفي الحق، وتاريخ التصوف، وأقوال المتصوفة. وهذا الكتاب مترجم إلى اللغة الفرنسية 3 - الفتوح لمعرفة أحوال الروح، وهذا الكتاب خاصة فيه مطالب وأبواب كثيرة متنوعة تدور كلها حول النفس والروح. منها: أقسام النفس، والفرق بين النفس والروح والعقل والقلب. مقامات النفس، معنى النفخ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، [الحجر: 29] وذكر التناسخ وبرهان بطلانه، نشأة

الأرواح في عالم الذر، نشأتها الثانية وهي تنزلها من عالم الأرواح إلى الأجساد، خلق البدن لها، نفخ الروح في البدن، الحواس الظاهرة والباطنة وكيفية إحساسها، الحواس العشر، عالم المثال، النفحات الست، الحواس الخمس الباطنة، معنى التخيل والتعقل والفرق بينهما، حقيقة الفرح الذي يحصل للإنسان وبيان كيفيته وكيفية اللذة والألم والغم والحزن، كيفية السهو والنسيان وكيفية التذكر للأشياء وبما يكون ذلك، العقل واختلاف العلماء في حقيقته، مراتب القوة العلمية، إدراك النفس للأشياء، أنواع الإدراكات، أصل علوم الفلسفة ومنشؤها، النفس، حالة النوم، حالة الموت، وما الجامع بين النوم والموت. النشأة الثالثة للنفس في البرزخ، عالم البرزخ، النشأة الآخرة في المعاد، كيفية البعث والنشور والنفخ في الصور، ثواب النفس وعقابها، والجنة والنار 4 - نيل الأماني في توضيح مقدمة القسطلاني، شرح فيه مقدمة القسطلاني على البخاري، وذلك لصعوبتها البالغة. وقد شرحها وبينها كلمة كلمة راجعا في ذلك إلى المعاجم والقواميس اللغوية، ومستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية 5 - العرائس الواضحة الغرر، وهي شرح لمنظومة جعفر البرزنجي 6 - حسن البيان في نظم مشترك القرآن، نظم فيه المشترك من ألفاظ القرآن الكريم 7 - نفحة الأكمام في نظم ما ثلث من الكلام، رتبه هجائيا يذكر في كل حرف الأسماء والمعاني التي تبدأ بهذا الحرف 8 - طرفة الربيع في نظم ما أتى من البديع، وهو نظم يجمع فيه الأنواع ويطرب الألباب والأسماع. وهذه الأنواع هي: براعة المطلع، الاستدلال، الجناس، الملفق، المحرف، المقلوب، المجاز، البسط، الاختصار، التورية. وغير ذلك من وجوه تحسين الكلام 9 - النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوايب، وبرجيس اسم لجريدة تطبع في باريس. وأصل البرجيس - بكسر الموحدة - الكوكب مطبقا وقيل المشتري خاصة. والجوايب هي الصحف المشتملة على الوقائع والأخبار التي تطبع بمطبعة الآستانة العلية. كما أن ما يطبع بمصر من ذلك يسمى بالوقائع. وأصل الجوايب في العربية الأخبار الطارئة. وتطلق الجوايب أيضًا جمع جائبة وصف مؤنث من جاب الأرض سلكها. ولا مانع من أن يكون تسمية الصحف المذكورة بذلك من هذا القبيل لجوبها مشارق الأرض ومغاربها.

وقد وضع الأبياري هذا الكتاب للفصل بين أحمد فارس الشدياق (صاحب الجوايب)، وسليمان الحرايري التونسي (صاحب برجيس باريس) بداعي مناظرة جرت بينهما في المسائل اللغوية أفضت إلى المشاحنة والتنافر ودام بينهما الأمر طويلا 10 - القصر المبني على حواشي المغني، وهو حاشية على حاشية الأمير على المغني، جمع فيه من وجوه النحو والتفسير أشرقها، ومن رقائق اللغة والأدب أنفعها. وحوى أيضًا تراجم لمن ورد اسمه في حواشي المغني 11 - سعود المطالع لسعود المطالع في الأدب، مطبوع في جزئين، جمع فيه واحدا وأربعين فنا في شرح لغز باسم إسماعيل. وكل فن بمفرده يصنع كتابا. وهذه الفنون هي: علم التوحيد، التفسير، التجويد، الوقف والابتداء،

الحديث، الأصول، الفقه على مذهب الشافعي وأبي حنيفة، الفرائض، النحو، الصرف، الاشتقاق، المعاني، البيان، البديع، اللغة، العروض، القوافي، الرسم، القرض وفن الإنشاء، الحساب، الجبر، أدب البحث، الجدل، الوضع، المنطق، الحكمة، الأمثال، أخبار العرب وأحوالهم، الفلك والميقات، الهندسة، الطبيعة، الطب، التشريح، الحرف، السياسة والفراسة والغراسة، السير، التصوّف، التاريخ. فالكتاب يعتبر بحق موسوعة معرفية لما حواه من العلوم والفنون 12 - نشوة الأفراح في شرح راحة الأرواح، وراحة الأرواح قصيدة لمحمد الهراوي الشافعي، نظمها سنة 1280 هـ، وقد مرض بالوباء متوسّلا بطلب الشفاء 13 - راحة الحلواني، وهي رسالة في الرد على من انتقد كتاب الضوء الشارق للسيد مصطفى البكري، تشتمل على تحقيقات في اللغة. وله مؤلفات أخرى كثيرة 14 - البهجة التوفيقية في اللغة والأدب 15 - تفريج النفوس في حواشي القاموس 16 - الثغر الباسم في مختصر حاشية البيجوري على ابنه قاسم 17 - حجة المتكلم على متن مختصر النووي لصحيح مسلم 18 - الحديقة في علم البيان 19 - دورق الأنداد في جمع أسماء الأضداد 20 - رشف الرضاب في المصطلح 21 - فاكهة الإخوان في مجالس رمضان 22 - الكواكب الدرية في نظم الضوابط العلمية 23 - الرسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية. ومما سبق نرى أن الأبياري برع في كثير من العلوم والفنون.

المصادر والمراجع

● البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع المكتبة الإسلامية بطهران، الطبعة الثالثة سنة 1947م ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة سنة 1999 م ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر سنة 1929 م ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م ● مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1305هـ .

خديجة محمد كامل
دار الكتب والوثائق المصرية - القاهرة

الأبياري، أبو الحسن علي بن إسماعيل

(557 هـ/ 1161م - 616 هـ/ 1219م)

الإمام أبو الحسن شمس الدّين عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن حسن بن عطيّة التّلكاني ثمّ الأبياريّ [ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج 1 ص 165؛ الذّهبيّ، المشتبه، ج 1 ص 9؛ ابن حجر، التبصير، ج 1 ص 34؛ ابن ناصر الدّين، توضيح المشتبه، ج 1 ص 140؛ ابن فرحون، الدّيباج المذهب، ص 213؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 454؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 10 ص 241].

ولد بأبيار سنة سبع وخمسين وخمسمائة للهجرة [ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج 1 ص 165؛ ابن ناصر الدّين، توضيح المشتبه، ج 1 ص 140؛ السّيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 455]. وهي قرية مشهورة من أعمال مصر البحريّة توجد بجزيرة بني نصر بينها وبين الإسكندريّة أقلّ من يومين [ياقوت، معجم البلدان، ج 1 ص 108؛ ابن الأثير، اللّباب، ج 1 ص 27؛ ابن فرحون، الدّيباج المذهب، ص 213؛ السيوطي، لبّ اللّباب، ج 1 ص 36]، انتسب إليها أيضا أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن أسد الربعي الأبياري المتوفّى سنة 518 هـ [ياقوت، معجم البلدان، ج 1 ص 108؛ ابن الأثير، اللّباب، ج 1 ص27]، وكثير يصحّف باءها نونا وياءها باء فيقول أنبار، فمن ذلك ما ورد في طبقات الشافعيّة الكبرى للسّبكي عند الحديث عن البرهان للجويني «وهذا الكتاب من مفتخرات الشافعيّة وأنا أعجب لهم، فليس منهم من انتدب لشرحه . . . وإنّما انتدب له المالكيّة فشرحه الإمام أبو عبد الله المازريّ شرحا لم يتمّه، وعمل عليه أيضا مشكلات ثمّ شرحه أيضا أبو الحسن الأنباريّ من المالكيّة» [ج 5 ص 192]. وفي شرح المحصول للقرافي تصحيف أيضا فقد ورد في المسألة الأولى من مسائل اللّفظ في باب الأوامر قوله: «قال الأنباري في شرح البرهان مسائل الأصول قطعيّة ولا يكفي فيها الظنّ» [مخ].

سمع ببلده، وتفقّه بكبار شيوخها حتى أصبح فقيه المالكية بالإسكندرية، وقد شهد له جماعة من العلماء بالتضلّع والرسوخ في جملة من العلوم الشرعيّة، قال الحافظ أبو المظفر منصور بن سليم: «كان الأبياري من العلماء الأعلام، وأئمّة الإسلام، بارعا في علوم شتىّ: الفقه وأصوله وعلم الكلام» [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 213] وحاز قصب السبق في علم الأصول. فقد كان الإمام بهاء الدين عبد الله المعروف بابن عقيل المصري الشافعي يفضله على الإمام فخر الدين الرازي في الأصول [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 213؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 454-455؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ج 1 ص166].

درّس أبو الحسن الأبياري بثغر الإسكندرية، وانتفع بعلمه خلق عظيم، وتخرّج به جماعة من أيمّة العلم، وناب في الحكم عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمان بن سلامة القضاعي المالكي [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 213؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ج 1 ص 66].

روى الحديث عن أبي القاسم مخلوف بن علي بن جارتا، وأبي عبد الله بن محمد الكركنتي [ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج 1، ص 165؛ حاشية الإكمال لابن ماكولا، ج 1 ص 143] وعن أبي الطاهر بن عوف [ياقوت، معجم البلدان، ج 1 ص 108؛ ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج 1ص 165؛ الذهبي المشتبه، ج 1 ص 9؛ ابن حجر، التبصير ج 1 ص 34؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 213].

تفقه بوالده، وروى عنه تصانيفه وبأبي الطاهر بن عوف، وأخذ عن القاضي عبد الرحمان بن سلامة [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 213؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 455؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1 ص 166؛ حاشية الإكمال، ج 1 ص 143].

أخذ عنه جماعة أشهرهم الفقيه الأصوليّ أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب (ت 646 هـ) صاحب مختصر المنتهى، ومنتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، والكافية في النحو وعبد الكريم بن عطاء الله، وولداه حسن وعبد الله، ذكرهما منصور بن سليم في الذيل، وذكرهما بالعلم [ابن حجر التبصير، ج 1 ص 34؛ مخلوف، شجرة النور، ج 1 ص 166؛ حاشية الإكمال، ج 1 ص 143].

وذكر الإمام الحافظ أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني المشهور بابن نقطة أنّ أبا الحسن الأبياري كتب له الإجازة عندما لقيه بمدرسة الإسكندرية [ابن نقطة، تكملة الإكمال، ج 1 ص 165؛ حاشية الإكمال لابن ماكولا، ج 1 ص 143].

واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 618 هـ [السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1 ص 455؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1 ص166]، وقيل سنة 616 هـ وهو ما عليه الأكثر [ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج 1 ص 140؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 214].

آثاره

صنّف في الأصول والفروع كتبا نفيسة اشتهرت في عصره، وانتفع بها خلق كثير، وهي: 1 ـ التحقيق والبيان، وهو شرح مفيد لكتاب البرهان لإمام الحرمين في أصول الفقه [السّبكيّ، طبقات الشافعيّة الكبرى، ج 5 ص192؛ ابن حجر، تبصير المنتبه، ج 1 ص34؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص213؛ مخلوف، شجرة النور، ج 1 ص166؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج7 ص37]. وطريقته أن يشرح ما يراه غامضا من عبارة البرهان أو مثيرا للإشكال، وكثيرا ما يخالف الجويني ويعترض عليه وقد ذكر السّبكي أنّ لشرّاح البرهان بعض تحامل على الإمام من جهتين إحداهما أنّهم يستصعبون مخالفة الإمام أبي الحسن الأشعريّ، ويرونها هجنة عظيمة، والإمام لا يتقيّد لا بالأشعريّ

ولا بالشافعيّ وإنّما يتكلّم على حسب تأدية نظره واجتهاده، وربما خالف الأشعريّ وأتى بعبارة عالية على عادة فصاحته.

والثانية أنّه ربّما نال من الإمام مالك كما فعل في مسألة الاستصلاح والمصالح المرسلة وغيرها [طبقات الشافعيّة الكبرى، ج 5 ص 193].

وقد حفل المالكيّة والشافعيّة بهذه المدوّنة، ونقلوا منها ما يؤذن بإمامة صاحبها ورسوخ قدمه في الأصول، فقد نقل عنه شهاب الدين القرافي (ت 684 هـ)، وبدر الدين الزركشي (ت 794 هـ)، وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمان المشهور بحلولو (ت 895 هـ)، وعبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت1333 هـ)، أقوالا تعرب طائفة منها عن اطّلاع وافر، وطائفة ثانية عن نظر فسيح وفهم جيّد للمسائل، وثالثة عن ملكة نقديّة راسخة مكنته من تقويم الأنظار الأصوليّة والحكم لها أو عليها فمن الضرب الأوّل قوله: «أهل الحقّ يجوّزن تكليف المكره بفعل المأمورات، وترك المنهيات، ومنعت المعتزل تكليفه على وفق الإكراه وجوّزوا التكليف على خلاف الإكراه» [القرافي، شرح المحصول، ورقة 33 و33 ظ]، وقوله: «وما ذهب إليه الكعبي من أنّه لا مباح في الشريعة مأخذان أحدهما وهو الصّحيح عنه أنّ المباح مأمور به، ولكنّه دون النّدب، وبناه على أنّ المباح حسن ويصحّ أن يطلبه الطالب لحسنه، وهذه الطريقة هي التي اعتمدها الكعبيّ في الفتوى وهي باطلة، الطريقة الثانية هي أنّ المباح يقع تركا لمحظور فيقع من هذه الجهة واجبا وهذا يمنع أن يكون التخيير ثبتا في الشّرع وهو فاسد» [حلولو، الضّياء اللاّمع، ج 1 ص 309]، وقوله في مسألة تكليف الكفّار بفروع الشريعة: «إنّهم غير مخاطبين وهو ظاهر مذهب مالك، وفي مذهبه قولة شاذّة أنّهم مخاطبون» [حلولو، الضّياء اللاّمع، ج 1 ص 370-371]، ومن الثاني قوله في تعريف الاستحسان: «استعمال مصلحة جزئيّة في مقابلة قياس كليّ» [الزركشي، البحر المحيط، ج 6 ص 89؛ حلولو، حاشيته على شرح التنقيح، ص 190؛ الشنقيطي، نشر البنود، ج2 ص 262]، وقوله: « السّبر يرجع إلى اختبار في أوصاف المحلّ وضبطها والتقسيم يرجع إلى إبطال ما يظهر إبطاله فيها، فإذن لا يكون من الأدلّة بحال» [الزركشي، البحر المحيط، ج 5 ص 226]، وقوله: «القرآن كلّه محكم بمعنى الإتقان، والنّظم، وحسن الترتيب، وثبوت الفصاحة والبلاغة، والارتقاء إلى أقصى درجات الجزالة، ومتشابه من وجه أي يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا» [حلولو، الضّياء اللاّمع، ج2 ص150-151]، واستشكاله لقول القاضي بالعموم في المشترك مع كونه منكرا لصيغ العموم [القرافي، شرح التنقيح، ج 1 ص 138]، ومن الثالث اعتراضه على رأي الجويني القاضي بمنع التكليف بما لا يطاق إن أريد به طلب الفعل وعدم منعه إن أريد به ورود صيغة الطلب فقط بقوله: «وهذا التقسيم باطل، فإنّ السّؤال ليس عن مجرّد صيغة افعل، وإنّما تصحّ القسمة بعد الاشتراك في جهة والافتراق في غيرها، ومجرّد الصيغة لم يشارك التكليف في شيء» [حلولو، الضّياء اللاّمع، ج 1 ص 365-366]، وقوله في مسألة واضع اللّغة من حيث تعلّقها بأصول

الفقه: «الصحيح عندنا أن لا فائدة فيها، لأنّ الله قد أمرنا بتنزيل الأحكام على ما نفهم من اللّغة العربيّة، إلاّ أن يثبت للشّرع تصرّف في بعضها، ومفهومها لا يختلف سواء كانت توقيفيّة أو اصطلاحيّة. نعم، تظهر فيها فائدة واحدة تتعلّق بإمكان الغلط في الإطلاق وامتناعه» [حلولو، الضّياء اللاّمع، ج 1 ص365 - 366] وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة بخطّ مغربيّ نفيس في مكتبة مراد ملاّ.

2 - له تكملة على كتاب مخلوف الذي جمع فيه بين التّبصرة والجامع لابن يونس والتعليقة لأبي إسحاق التونسيّ، تكملة حسنة جدّا تعرب عن طول باع، وقوّة في الفقه وأصوله [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص213؛ مخلوف، شجرة النّور، ج 1 ص 166].

3 - سفينة النّجاة، وهو على طريقة إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، قال شهاب الدين بن هلال: «سمعت الفضلاء يقولون إنّه أكثر إتقانا من الإحياء وأحسن منه» [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص213؛ مخلوف، شجرة النّور، ج 1 ص 166].

المصادر والمراجع

● الحموي، ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626 هـ)، معجم البلدان، فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1410 هـ / 1990م (ج1 ص 108) ● ابن نقطة، محمد بن عبد الغني الحنبلي (ت 629 هـ)، تكملة الإكمال، طبعة جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة ● ابن الأثير، أبو الحسن عزّ الدين عليّ بن محمد بن محمد الجزري (ت 630 هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، 1400هـ/ 1980م (ج 1 ص27) ● القرافي، أبو العبّاس شهاب الدين الصنهاجي (ت684هـ)، شرح التنقيح، بهامشه حاشية التّوضيح والتّصحيح لمشكلات كتاب التنقيح للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة النهضة ط1، 1341 هـ / 1921 م (ج 1 ص 138) ● نفائس الأصول، شرح المحصول في أصول الفقه للرّازي مخط بمكتبة آل النّيفر رقم 577 ورقة 33 و 33 ظ ● الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماذ (ت748 هـ)، المشتبه في الرّجال أسمائهم وأنسابهم، تح عليّ محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة ط1، 1381 هـ / 1962م (ج 1 ص 9) ● ابن حجر، (ت 852 هـ)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح عليّ محمّد البجاوي ومحمّد عليّ النجّار، المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ● ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدّمشقي، توضيح المشتبه، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة ط1، 1407هـ/ 1986م ● الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير عبد السّتار أبو غدّة ط2، 1413 هـ / 1992م [ج 5 ص 226، ج 6 ص 89] ● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، وبهامشه كتاب نيل

الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (ص 213) ● حلولو، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن موسى بن عبد الحق اليزليتي (ت 895 هـ)، شرح تنقيح الفصول، المطبعة التونسيّة بنهج سوق البلاط، 1328 هـ / 1910م ● الضّياء اللاّمع، شرح جمع الجوامع، تح د. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتب الرّشد الرّياض ط2، 1420 هـ / 1999 م (ج 1 ص 309- 365- 366-370-371، ج2 ص150-151) ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت 911 هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة ط1، 1387هـ/ 1967م، (ج 1 ص 454-455) ● لبّ اللّباب في تحرير الأنساب، تح محمّد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان (ج1 ص36) ● الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي (ت 1333 هـ)، نشر البنود على مراقي السّعود، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربيّة والإمارات العربيّة المتّحدة (ج 2 ص 262) ● مخلوف، محمّد بن محمّد (ت1360هـ)، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، المطبعة السّلفيّة القاهرة، ط 1349هـ/ 1992 م كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنّى بيروت، دار إحياء التراث العربيّ ج 10 ص 241.

د. برهان النفّاتي
جامعة الزيتونة

الإبياني، أبو العباس عبد الله بن أحمد

(252 هـ/ 866 م - 352 هـ/ 963م)

هو عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التّميمي الإبياني، أبو العبّاس. فقيه مالكي، يميل إلى مذهب الشّافعي. من أهل تونس. كان يقيم بإبيانة، قرية بسهل مرناق، كانت تقع على 12 كلم في جنوب شرقي مدينة تونس.

لم يتابع دروس الإمام سحنون (ت 240 هـ / 854 م)، بل تابع دروس أصحاب سحنون. من شيوخه أحمد بن أبي سليمان. وحمديس القطان، ويحيى بن عبد العزيز، وابن حارث الخشني، وأحمد بن حزم، وجمّاس بن مروان. وصحبه لقمان بن يوسف، وعبد اللّه بن عامر وذكر أبا بكر بن اللباد. إلاّ أنّه تفقّه بصفة أساسيّة بيحيى بن عمر (ت289هـ/ 901م) صاحب سحنون. وقد قال فيه أبو العباس الإبياني: «ما رأيت مثل يحيى في

علمه وورعه وكثرة دعائه وبكائه». كما دافع أبو العبّاس عن شيخه، عندما اتّهمه البعض بأنّه ادّعى سماع موطأ مالك من ابن بكير. وكان له رحلة إلى الشّرق زار خلالها مصر وغيرها والتقى هناك بأبي إسحاق بن شعبان (ت 355 هـ / 966 م) وغيره من العلماء.

طول عمره (حوالي القرن) جعله يعاصر نصف قرن من العهد الأغلبي ونصف قرن من العهد الفاطمي. ساهم ذلك أيضا في تعدّد تلاميذه الّذين كانوا ينتمون إلى طبقات مختلفة. روى عنه الأصيلي، وأبو الحسن اللّواتي، وعمرون بن محمد، وعبد الله بن أبي زربق، وسعيد بن ميمون، وعيسى بن سعادة، وأبو القاسم بن زيد، وأبو علي حسن بن محمد التّونسي، وابن أخي هشام، وابن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي وغيرهم.

ساهم طول عمره أيضا في سعة اطلاعه على أخبار عدد من علماء إفريقيّة. فرغم أنّه لم يعرف الإمام سحنون بصفة مباشرة، فقد مكّننا من أخبار طريفة تخصّ ذلك الإمام. وقد نقلها المالكي والقاضي عياض. مكّننا أيضا من أخبار تخصّ خديجة بنت سحنون، وأخرى تهمّ أبا داود العطّار الّذي كان «مختلطا بأهل دار سحنون». وفي كلمة يعتبر أبو العبّاس من أهمّ رواة أخبار عدد من علماء إفريقيّة. وقد كان محلّ ثقة في ذلك. لهذا السّبب وغيره وصفه المالكي بأنّه كان «شيخا ثقة مأمونا».

وفي شخصيّة ذلك الشّيخ، يمكن التّمييز بين أبي العبّاس الفقيه، وأبي العبّاس المتزّهد.

فقد كان يعيش على الأرجح في ضيعته بإبيانة حيث يتعاطى خاصّة زراعة الحبوب. وكان يتردّد على مدينة تونس للتّدريس والإفتاء. وقد ذكر الشّيرازي أنّ «أهل بلده» قد تفقّهوا به. ومن الممكن أنّ ميله إلى مذهب الشّافعي، ساهم في صقل شخصيّة المدرسة المالكيّة التّونسيّة. هذه المدرسة الّتي تميّزت في جوانب عن المدرسة المالكيّة القيروانيّة. ومن الممكن أيضا أنّ ميله إلى ذلك المذهب ساهم كذلك في تفضيله الإقامة خارج القيروان، قلعة المذهب المالكي.

كان أبو العبّاس «يتّخذ للبادية ثيابا لا يلبسها للحاضرة، وثيابا للحاضرة لا يلبسها للبادية». وكان يتزيّن ويتطيّب. وكان غذاؤه نصف حجلة تثرد له في نصف خبزة. وهذا يعني أنّ ظروف عيشه كانت ميسورة على الأقلّ جزئيّا. كانت مشيته مشية فقيه كما كان «يقال له الفقيه»، فيردّ: «لقب لقّبنا به».

وكان يحبّ المذاكرة في العلم ويقول: «دعونا من السّماع، القوا علينا المسائل». لهذا السّبب كان متضلّعا في المسائل وقد شهد له بذلك أبو الحسن القابسي: «ما رأيت بالمشرق ولا بالمغرب مثل أبي العبّاس. وكان يفصل المسائل كتفصيل الجزّار الحاذق للحم». كان متمكّنا بصفة خاصّة من مسائل البيوع مثل ابن القاسم وسحنون. فقد ذكر اللواتي أنّه قرأ على أبي العبّاس في واضحة ابن حبيب صدرا من كتاب البيوع. فقال له: «بقي من الكتاب حديث كذا ومسألة كذا». «فنظرنا، فلم نر شيئا. ثمّ تأمّلنا فإذا ورقتان قد التصقتا... فعجبنا من حفظه». في هذا الإطار يمكن فهم ما ذكره المالكي عند حديثه عن أبي العبّاس. قال: «كان فصيحا عالما بما في كتبه حسن الضبط جيد الاستنباط».

ألقى عليه من ناحية أخرى فقيه مصر أبو إسحاق بن شعبان عشر مسائل، أصاب أبو العبّاس في تسع منها وأخطأ في واحدة. ويقال إنّه كان مصيبا فيها بما أنّها كانت محلّ خلاف. وقد شهد له ابن شعبان بالعلم فقال فيه: «ما يزال بالمغرب علم ما دام فيه أبو العبّاس». وقال فيه أيضا: «لا يزال أهل المغرب بخير ما دام بين أظهرهم، وما جاز النيل منذ خمسين سنة أعلم منه».

ورغم ما ذكره القاضي عياض حول قلّة عناية أبي العبّاس بالإفتاء، فقد وصفه «بعضهم» بأنّه «علاّم إفريقيّة غير مدافع». وشهد أبو حفص بن عمرون أيضا بأنّه «ما رأى مثل أبي العبّاس في الفقه». أمّا ابن أبي زيد فكان «إذا نزلت به نازلة مشكلة كتب إليه يبيّنها له». في هذا الإطار يتنزّل قول «بعضهم» في أبي العبّاس: «كان من شيوخ أهل العلم وحافظ مذهب مالك». بل يبدو أنّ عنايته بالفقه جعلته يتغاضى عن الاهتمام بالحديث النّبوي مثلا. فقد قال أبو العبّاس لأشهر محدّثي إفريقيّة نعني مالك بن عيسى القفصي: «حدّثني ولا تحدّثني إلاّ بما يوافق مذهبي». فعطف مالك على النّاس وقال لهم: «هذا رجل لا يحبّ أن يكون عالما». وبالمقابل أظهر أبو العبّاس عناية فائقة بالقرآن الكريم. فقد «كان يقرأ السّبع كلّ يوم، وما استكمل حفظ القرآن إلاّ وهو ابن سبعين سنة».

توسّع شهرة أبي العبّاس غربا وشرقا، جعل الخليفة الفاطمي المنصور، وربّما المعزّ لدين الله الفاطمي، يدعوه ليتولّى منصب القضاء. في هذا الإطار يمكن أن نسوق ما ذكره البكري حول مدينة تونس. فهي «دار علم وفقه، ولي منها قضاء إفريقيّة جماعة كثيرة». فقد ولّي أبو كريب جميل بن كريب، عالم مدينة تونس، قضاء القيروان في عهد عبد الرّحمان بن حبيب، كما ارتقى إلى نفس المنصب العلاء بن عقبة في عهد روح بن حاتم. أمّا أبو العبّاس الإبياني فقد رفض ذلك المنصب، على الأقلّ لسببين: الاختلاف المذهبي بين السنّيين والإسماعيليّين الفاطميّين والعداوة الّتي كانت قائمة آنذاك بين الطّرفين، وميل أبي العبّاس إلى الانزواء.

فهو «شيخ من أهل الصّيانة والانقباض». فيما ذكر الخشني. فقد فضّل العيش في قرية دون العيش في عاصمة إفريقيّة، مكتفيا في ذلك بالتّردّد على مدينة تونس. وهنا تبرز شخصيّة أبي العبّاس المتزهّدة والمتواضعة.

فهو لم يرو أخبار علماء المالكيّة فحسب، بل اهتمّ أيضا برواية أخبار الزهّاد، بحكم معاشرته لهم وتردّده عليهم بالرّباطات. فقد كان يبجّل أبا إبراهيم بن العربي عبد الله بن أبي المهزول المتعبّد (ت 339 هـ / 950 م) الّذي كان يسكن مرسى الياقوتة بناحية بنزرت. كان كذلك «يكبر» عطيّة الجزري العابد (ت 351 هـ / 962 م)، ولا يخفي شدّة تأثّره به، كما كان يدافع عنه. كانت له من ناحية أخرى «فراسة تكاد لا تخطئ». ويذكر أنّه قرأ لأبي الحسن القابسي وهو يطلب عليه: «والله لتضربن إليه آباط الإبل من أقصى المغرب» «فكان كما قال».

ووصف القاضي عياض أبا العبّاس أيضا بأنّه «كان كثير التّواضع». فعندما سئل عن فقيهين من أصحابه وتلاميذه، وهما أبو القاسم بن زيد وسعيد بن ميمون، أيّهما أفقه ؟ قال:

«إنّما يفصل بين عالمين من هو أعلم منهما». كما قال لرجل يحبّ أن يفلح: «فلتكن نفسك عندك أهون من الزبل الّذي على المزبلة».

ورغم ذلك، تظلّ شخصيّة أبي العبّاس الفقيه غالبة على شخصيّة أبي العبّاس المتزهّد.

آثاره

لم يكن أبو العبّاس كثير العناية بالتّأليف، وهذا بخلاف محمد بن سحنون مثلا. فنقله لأخبار زهّاد وعلماء إفريقيّة الّتي عرفنا بها أصحاب كتب طبقات المالكيّة، لا يعني بالضّرورة أنّه ألّف كتابا في هذا الشّأن. بل هو يبدو مجرّد راو لها.

ويبدو أنّ الأثر الوحيد المنسوب إليه، يهمّ كتاب «مسائل السماسرة». لم يصلنا هذا الكتاب كاملا كما رجّح محمد الطالبي، بل وصلنا ملخّص منه. وقد نقل الونشريسي عددا من مسائله في «المعيار» تحت عنوان «هذه أسئلة في مجموعة في السماسرة». نقل أيضا ابن راشد القفصي 26 مسألة في كتابه «الفائق في معرفة الأحكام والوثائق»، نشر منها عثمان الكعّاك 21 مسألة. أمّا مخطوط رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، فهو يشمل 37 مسألة. وقد اعتمده محمد الطالبي عندما ترجم الكتاب إلى الفرنسيّة. وتوجد حاليا بالمكتبة الوطنيّة بتونس نسخة أخرى ضمن مجموع تحت رقم 8296، وهو غير نسخة حسن حسني عبد الوهاب.

الأسلوب في كامل الكتاب حواري، مع أنّنا نجهل اسم الّذي يتوجّه بالأسئلة إلى أبي العبّاس. وقد رجّح محمد الطالبي أنّه من صنف السّمسار الّذي له اطلاع على الفقه. وقد أجاب أبو العبّاس عن تلك الأسئلة بأسلوب برقي أحيانا، وكان ذلك على الأرجح بمدينة تونس.

المصادر والمراجع

● الخشني، طبقات علماء إفريقيّة، ص 174، نشر الشّيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1914م ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 160، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، 1970 م ● المالكي، رياض النّفوس، 1/ 490 - 492، 2/ 121، 193، 241، 352، 459، تحقيق بشير البكوش، بيروت، 1983 م ● القاضي عياض، ترتيب المدارك، 3/ 347 - 352، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، طرابلس، 1976 م ● تراجم أغلبيّة الأعلام مستخرجة من مدارك القاضي عياض، 125، 151، 189، 193، 265، 266، 307، 371، تحقيق محمد الطالبي، تونس، 1968 م ● ابن فرحون، الدّيباج المذهب، ص 136، مصر، 1932م ● الونشريسي، المعيار المعرب، 8/ 355 - 364، أشرف على تخريجه محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م ● مخلوف، محمد، شجرة النّور الزّكيّة، ص 85، دار الفكر للطّباعة والنّشر، د.ت ● محمد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، 1/ 44 - 45، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984 م ● الكعّاك، عثمان، «ترتيب السّماسرة لأبي العبّاس الإبياني»، مجلّة العالم الأدبي، الفصلان فيفري

وجويلية، 1936 م • موسوعة مدينة تونس، أشرف عليها توفيق بشروش، انظر مقالنا تحت مادّة «مذهب»، ص 417 - 423، تونس، 1999 م.

• Idris, H.R., la Berbérie orientale sous les Zirides (X-XIIe siècle), Paris, 1962, II/715 - 717, 723, 728; • Talbi, M., les courtiers en vêtements en Ifriqulya au IXe-Xe siècle d'après les Masail al-samasira d'al-Iby ani, dans Etudes d'histoire ifriquienne et de civilisation musulmane médiévale, Tunis, 1982, 231-262.

نجم الدّين الهنتاتي
الجامعة التونسية

الأبييري، الشيخ سيدي باب بن الشيخ سيد

(1277 هـ / 1860 م - 1342 هـ/ 1924 م)

الشيخ سيدي الملقّب باب بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي الكبير الانتشائي الأبييري، أمّه مريم بنت عبد الودود بن أربيه الأبييريّة ولد ربيع الأوّل (1277 هـ/ 1860 م)، وتوفّي في جمادى الآخرة (1342 هـ/ 1924 م)، ودفن في البعلاتية قرب مدينة بتلميت.

نشأ الشيخ باب في محضرة جدّه وأبيه اللذين توفّيا عنه وهو صغير، واشتغل بالعلم منذ صباه، وحفظ القرآن الكريم ولم يبلغ السنة العاشرة من عمره، وأخذ العلم من تلامذة أبويه، وأجازوه في العلوم الشرعيّة واللغويّة، كما أجازوه في الأوراد القادريّة، ومن أشهر هؤلاء المشائخ:

- الشيخ محمذن بن السالم الحسني (1310 هـ/ 1892م).
- الشيخ محمدو بن حنبل الحسني (1300 هـ/ 1882م).
- محمد محمود ولد عبد الفتاح الأبييري (1297 هـ/ 1879م).
- الشيخ أحمدو بن سليمان الديماني (1300 هـ/ 1882م).
- الشريف أحمد ولد أزوين التواجيوي.

وكان بعض مشائخه يقول: أرسل إلينا لنعلمه فصار يعلّمنا، لأنّه تضلّع من العلم ولم يتجاوز العشرين من عمره، واشتغل بالقرآن والحديث واستجلب الكتب من أماكن بعيدة واشتراها بأثمان غالية، واهتمّ بفقه المذاهب الأربعة، فقرأ كتاب الأمّ للشافعي وكتاب المبسوط للسرخسي الحنفي وكتب لمؤلّفين حنابلة، إضافة إلى متون وأمّهات المذهب المالكي التي قرأها ضمن علوم المحظرة،

ودعا إلى أخذ الأحكام من الكتاب والسنة، وحضّ على الاجتهاد وأمر بإحياء السنّة ومحاربة البدعة، واجتهد في بعض القضايا العلميّة التي أثيرت في زمنه من عقائد واجتهاد وفقه وتاريخ وسياسة، وتحرّى الحق واعتمد على رأيه وساعده على ذلك ذكاؤه وفهمه ومكتبته الغنيّة، فرجع إلى أمّهات الكتب وحاول استنباط الأحكام من مصادرها الأصليّة.

ألّف الشيخ باب في العقيدة والحديث والسيرة والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ. فكتب في العقيدة رسائل وأنظاما تتعلّق بالردّ على القائلين بوحدة الوجود وتفسير آيات يتضمّن ظاهرها معيّة اللّه تعالى وما له علاقة بالمتشابه، فبيّن في مسألة المتشابه أنّ الأولى مذهب أهل القرون الثلاثة الفاضلة وهو الكفّ عن التأويل وإمرار الظواهر كما جاءت من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، وتفويض معانيها إلى الله تعالى، يقول من نظم له في المتشابه:

ما أوهم التشبيه في آيات
وفي أحاديث عن الثقات

فهوَ صفات وصف الرحمن
بها وواجب الإيمان

ثمّ على ظاهرها نبقيها
ونحذر التأويل والتشبيها

قال بذا الثلاثة القرون
والخير باتباعهم مقرون

وألّف في مناهضة التقليد والحضّ على الاجتهاد كتاب «إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين»، قال في مقدّمته «إنّ الأولى للمقلّد لأحد الأئمّة الأربعة إذا وجد خلاف إمامه عن أحد من الأئمّة الثلاثة في مسألة، وتبيّن له رجحانه على مذهب إمامه في تلك المسألة بموافقته للقرآن أو السنّة الصحيحة المخرجة في الصحيحين أو في أحدهما أن يعمل بما تبيّن له رجحانه إن كان متحرّيا للحق»، وكان الشيخ باب يميل إلى الاجتهاد لمن وصل درجته بمعرفة ما يتوقّف عليه الاجتهاد مراعاة لقول الحنابلة ومن وافقهم من الشافعيّة أنّ الاجتهاد لا ينقطع.

ولمّا كثر الخلاف في حرف الضاد، ألّف فيه رسالة أكّد فيها اختلاف مخرج الضاد عن الرواية الشائعة عند الموريتانيين، واستهلّ رسالته بقوله: «أمّا بعد، فهذه نقول يعرف بها اللبيب الدائر مع الحق أنّ الصواب في لغة الحقّ الضاد الشبيهة بالظاء المعجمة حسبما تلقّيناه بالرواية المعتبرة على ما يأتي أواخر النقول، لا الضاد الشائعة الآن الشبيهة بالطاء والدال المهملتين» وأكّد في نظم الضاد أن ما ينطق به أهل هذه البلاد مناف لصفات الضاد ومخرجه:

الضادُ حرف عسير يشبه الظّاء
لا الدال يشبه في لفظ ولا الطاء

كما كتب رسائل مهمّة جمعت بين الفقه والسياسة في مسألة دخول المستعمر الفرنسي إلى موريتانيا وجهاد النصارى والهجرة عنهم، وموقف الشرع الإسلامي من هذه القضايا التي واكبت فترة عصيبة في موريتانيا بسبب الفوضى السياسية والسلب والنهب الذي يعاني منه جميع السكان. وكان الشيخ باب من أبرز العلماء الذين تعاملوا مع المستعمر رغبة منه

في حقن الدماء وتوفير الأمن لهذا البلد الذي لا يوجد فيه حاكم يقيم العدل وينشر الأمن، يقول: «إنّه لمّا رأى ما وقع من الحروب بين أهل موريتانيا عربا وزوايا وشاهد ضررها ورأى قول الإمامين مالك بن أنس والليث بن سعد: سلطان جائر سبعين سنة خير من أمّة سائبة ساعة من نهار، وعلم أنّ الشريعة دائرة مع مصالح المسلمين، وعلم أنّ التولية والمودّة للمخالف في الدين المنهي عنهما شرعا إنما هي في الدين، ورأى أنّ الشروط المعتبرة في الوالي شرعا إنّما هي في حال الاضطرار، وأنّ المتغلب أيّا كان تجب طاعته شرعا».

وفي كتاب «إمارتا إدوعيش ومشظوف» تحدّث عن الأصول العرقية للبربر ولصنهاجة ولمتون بالذات، وتعرض لآراء بعض المؤرّخين في ذلك، ثمّ تحدّث عن دخول الإسلام في هذه المنطقة، ثمّ وصل إلى تاريخ إمارة إدوعيش والبيت الأميري اشراتيت، وأخيرا تحدّث عن مشظوف وإماراتهم ومؤسّس هذه الإمارة. وفي نهاية الكتاب تعرّض لقيمة الزوايا وللحروب التي كانت قائمة بينهم، وبيّن أنّ الفوضى قد ضربت أطنابها في هذه البلاد وعمّت البلبلة واضطرب الأمن غداة مجيء الفرنسيين، وذكر نماذج من هذه الحروب رغم كثرتها وبيّن موقف الشرع منها.

ومن أعماله العلميّة ديوان شعر تناول فيه كثيرا من أغراض الشعر، نذكر منه من باب التوجيه والإرشاد قصيدة اختيرت للنشيد الوطني بعد استقلال البلاد سنة 1960:

كنْ للإله ناصرا
وانكر المناكرا
وكنْ مع الحق الذي
يرضاه منكَ دائرا
ولاَ تعدَّ نافعا
سواه أو ضائرا
واسلك سبيل المصطفى
ومت عليه سائرا

ويقول في وصف الشاي:

يقيم لنا مولاي والليلُ مقمرُ
وأضواءُ مصباح الزجاجةِ تزهرُ
وقد نسجت ريحُ الشمال على الربى
نسيمًا بأذيال الدجى يتعثّرُ
كؤوسًا من الشاه الرفيع شهيّة
يطيب بها ليل التمام ويقصرُ
تخيّر من تجار طنجة شاهها
وخيرٌ لها من تلج وهران سكرُ
قواريرها والشاه فيها يزينها
وقد زيّنته جوهر فيه جوهرُ
تعين على الخيرات من بات قانتا
وتسعد في الأسحار من بات يسمرُ
ولا غرو إن طابت صنائع ماجد
شريف فماء العود من حيث يعصرُ

■ آثاره

1 - شرح عقيدة أبي الحسن الأشعري 2 - رسالة في معنى التوحيد في الردّ على أهل معيّة الوجود 3 - معرفة الإعجاز في القرآن 4 - ورقات في تفسير آيات يتضمن ظاهرها معية الله تعالى 5 - إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين 6 - نقول في الحثّ

على اتباع الكتاب والسنة 7 - نظم في أسماء الله الحسنى 8 - رسالة في أحاديث تسوية الصفوف 9 - نظم في أسماء أهل الصفة 10 - رسالة في أحكام الطهارة 11 - رسالة في سنية القبض 12 - رسالة في حكم الرضاع 13 - أجوبة فقهيّة 14 - أجوبة في التصوّف ردّا على أسئلة الشيخ أحمد بمبه 15 - مجموعة من الرسائل تتعلق بأحكام الجهاد وقتال النصارى 16 - ما ورد في الموالاة 17 - تعليق على ألفية ابن مالك 18 - إمارتا إدوعيش ومشظوف 19 - ديوان شعر.

■ المصادر والمراجع

● إبراهيم ولد الشيخ سيدي وسيد أحمد بن أحمد سالم، تراجم الأعلام الموريتانيين، ج 1 (ط) ● هارون ابن الشيخ سيدي، كتاب الأخبار (ط) ● ابن حامدن، المختار، الموسوعة (خ) ● محمد بن أبي مدين، حياة الشيخ سيدي باب (خ) ● عبد الرحمن بن أبياه، تحقيق معرفة الإعجاز للقرآن، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 2000 - 2001 ● ابن حمان، محمد، تحقيق أجوبة فقهيّة، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1995-1996 ● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط

■ الأبييري، الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة

(1190 هـ / 1760 م - 1284 هـ/ 1868 م) ■ ■ ■

الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة الانتشائي الأبييري، أمّه عائشة بنت ألفغ اعبيد الأبييرية، ولد بنواحي بتلميت (1190هـ/ 1760م) وتوفّي في ذي الحجة (1284هـ/ 1868م)، ودفن بتندوجه آوكار.

قرأ القرآن على خاله سيد بن ألفغ اعبيد، ثمّ أكمل حفظه وتجويده على الطالب الأمين بن الطالب المختار، ثمّ تنقّل في رحلة علميّة طويلة قادته في البداية إلى حرمة بن عبد الجليل (1243هـ) الذي قرأ عليه النحو والصرف واللغة وعلوم البلاغة والمنطق والعقائد، ثمّ ارتحل إلى محظرة الكحلاء والصفراء المتخصّصة في الفقه، فقرأ الفقه وقواعده على شيخي هذه المحظرة وهما حبيب الله بن القاضي وابنه محمد محمود (1277هـ)، فأتقن مختصر خليل وشروحه وقواعد الفقه وأصوله، فكمل دراسة العلوم الشرعيّة واللغويّة، ورغب في البحث والنظر في نوادر المخطوطات، فرحل إلى تيشيت

وولاته وقضى فيهما فترة خصصها للبحث والمطالعة والتأليف ونسخ المخطوطات، وبعد إكمال مهمّته تاقت نفسه إلى التربية الروحيّة فتابع في سفر بعيد قاده إلى الشيخ سيد المختار الكنتي (1226هـ) في أزواد فلبث في الحضرة الكنتية المختارية ستّ عشرة سنة، خمسة شهور منها في حياة الشيخ سيد المختار، والباقي مع ابنه الشيخ سيد محمد الخليفة الذي أجازه في الطريقة القادرية هو وابنه الشيخ سيد المختار الصغير (بادي).

وبعد عودة الشيخ سيدي من رحلته في طلب العلم الطويلة، والتي جمع فيها بين العلم الظاهر والعلم الباطن، كوّن محظرة جامعة مانعة جمعت بين العلم الظاهر والتصوّف والسياسة، فجاء الشيخ سيدي يحمل معه فكرة الإصلاح التي بدأها بمحيطه الخاص، ثمّ بعد ذلك توجّه إلى تعميمها إلى من نصل إليهم رسائله وتوجيهاته التي تنمّ عن مكانته السياسية المرموقة، ساعيا في مصالح المسلمين بجلب المنافع ودفع المضار. ففي كتاب تراجم الأعلام الموريتانيين: «كان الشيخ سيدي حليما ثبتا عالما متضلّعا متتبّعا للسنّة، مؤتمرا بأوامرها، ومبتعدا عن نواهيها، ومدرّسا تخرّج على يديه طلاّب كثيرون»، ويقول أحمد بن الأمين الشنقيطي: «وكانت العرب في أرض شنقيط تجعله حرما آمنا، فيجتمع عنده أحدهم بمن قتل أباه أو أخاه فيجلسهما على مائدة واحدة، وإذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به أمن على نفسه» ومن تلامذته الذين أجازهم: الشيخ محمد امبارك اللمتوني، الشيخ عبد القادر بن طوير الجنة الحاجي، الشيخ محمد بن محمود بن الرباني التندغي، الشريف أحمد بن المختار بن ازوين التنواجيوي، الشيخ سيد محمد بن حبت القلاوي، الشيخ أحمد بن سليمان الديماني، الشيخ محمد بن حنبل الحسني.

وكان للشيخ سيدي علاقات واسعة في خارج البلاد وداخلها، فقد كان على صلة - عن طريق المراسلات - برجال في مكة المكرّمة، وبولاة سانلويس، وسلاطين مراكش، وبعض قادة الجهاد في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر، وقد وقف ضدّ الوجود الاستعماري، ودعا في رسائله إلى الجهاد، وحمل السلاح لمحاربة الاستعمار.

أمّا في داخل البلاد فكانت له صلات وثيقة ومراسلات مع أمراء اترارزه ولبراكنه وأمير إدوعيش بكار بن اسويد أحمد، والأمير أحمد بن عيده في آدرار، كما راسل قبائل المغافرة وأعيانهم، وبعض قبائل الزوايا ورسائل خاصة ببعض أفراد أولاد أبيير وأفخاذهم ركّزت أساسا على التكافل الاجتماعي، والوقوف عند أوامر الشرع والتربية الروحية، كما كتب رسالة إلى قبيلة إجيجبه في موضوع الحسبة.

وتشكّل رسائل الشيخ سيدي مادة علميّة وتاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة متنوّعة، مازال يوجد أكثرها بخطّ المؤلّف في مكتبة هارون بن الشيخ سيدي، وقد جمع الشيخ سيدي مكتبة غنيّة بنفائس المخطوطات عن طريق شرائها وتوظيف التلاميذ لنسخ نوادرها.

آثاره

1- من أهمّ آثاره في اللغة شرح لامية الأفعال لابن مالك، فقد شرحها شرحا جيّدا

لا هو بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ، وقد ذكر في مقدّمة الشرح أنّه وضع على اللاّمية شرحا يمازجها ممازجة الماء بالراح، يزيد على شرح بدر الدين بن الناظم، ويأخذ زبدة ما في شرح أبي عبد اللّه الحضرمي من كلّ مادة، ويهمل ماعدا ذلك من استطراد المواد، وسمّى هذا الشرح «تحفة الأطفال للمعتنين بلامية الأفعال». 2 ـ كما حضّ على التقوى والإخلاص في كتابه «العلق الثمين والجوهر النفيس المخلص من عيوب الزيف والتدليس»، ذكر فيه أنّ التقوى هو رأس كلّ حكمة، وجماع كلّ خير ونعمة، مستدلاً بالآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ثمّ أثنى على قيمة العقل للإنسان، وختم الكتاب بالتحذير من المعاصي والحضّ على التوبة والإخلاص، وما قيل في الاسم الأعظم وأوقات إجابة الدعاء وآدابه 3 ـ وفي ملفّ الرسائل كتب الشيخ سيدي لمريده محمد النابغة لمّا شكا إليه النفس والهوى والشيطان والبلوى، ومن صفات القلب الذميمة رسالة فائقة في علاج هذه المذكورات، وختمها بوصيّة للشيخ سيد المختار مفيدة، ذكر في آخرها أنّ أصول الخير كلّه خمسة: علوّ الهمة، ونفوذ العزيمة، وحسن الخدمة، وحفظ الحرمة، وشكر النعمة 4 ـ وكتب رسالة طويلة في الحسبة سمّاها «الميزان القويم والصراط المستقيم» إلى قبيلة إجيجبه يقول في بدايتها: «إنه بلغنا فأعجبنا، ووصل إلينا فسرّنا، وأطربنا ما قصدتم إليه وتعاقدتم عليه من التعاون على البرّ والتقوى والاجتماع على نصب قوام يقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض كفاية».

وقد فرّق المؤلّف في هذه الرسالة بين المحتسب والمتطوّع والمنتصب من جهة الإمام، وبين ما هو المعروف وما هو المنكر.

5 ـ ومن أعماله العلميّة ديوانه الشعري: يقول من قصيدة يخاطب بها تلامذة شيخه حرمة بن عبد الجليل لما همَّ بالانتقال عنهم:

أيا معشر الإخوان دعوةَ نادب
إلى الحقّ والمعروفِ ليس بكاذب

أعيروني الأسمَاع أهد إليكم
وصيّة صافي النصح غير مخالب

إلى قوله:

ومن كان ذا همّ ولوح وطاعة
فلا يدن للمستصبيات اللواعب

فما أفسد الألواح والهمّ والتقى
كبيض التراقي مشرفات الحقائب

مراض العيون النجل حو شفاهها
رقاق الثنايا حالكات الذوائب

ومن كان منكم ذا وداد وخلّة
لمرتفع الأخلاق جمّ المناقب

ليسحب على عيب الخليل ذويله
ويستر فشأ الخلّ ستر المعائب

ويقول في مدح شيخه الشيخ سيد المختار:

أسيدنا المختار لا زلت ملتجا
لمن عنه باب الفتح أصبح مرتجى

ولا زال مأواك المطهر منججا
ويظفر من ياوي إليه بما ارتجى

كما ترك الشيخ سيدي مؤلّفات عديدة نافعة في مختلف العلوم الشرعيّة واللغويّة منها:

6 - شذور الأذكار الماحية للأوزار 7 - القول السديد في علوم التجويد 8 - خواص البسملة والفاتحة 9 - المقنع في مسألة المسمع 10 - مرايا النظر في وجوه خبايا المختصر 11 - شرح تركة مختصر خليل 12 - هصر العراجين شرح أم البراهين 13 - تحفة الأطفال للمعتنين بلامية الأفعال 14 - شرح الدريدية 15 - مجمع الطي والنشر في جواب المسائل العشر 16 - نوازل فقهية مهمة 17 - العلق الثمين والجوهر النفيس 18 - شرح المقصور والممدود 19 - ديوان شعر 20 - بغية الخائض في حكم التمتع بالحائض 21 - نقلة في جواز التنفل بالخبث 22 - القصد والتسديد في حكم نازلة التجويد.

المصادر والمراجع

● سيدي، هارون بن الشيخ، كتاب الأخبار، طبع منه الجزء المتعلّق بحياة الشيخ سيدي ● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ط) ● ابراهيم بن الشيخ سيدي، وسيد أحمد ولد أحمد سالم، تراجم الأعلام الموريتانيّين، ج 1 ● ابن حامد، المختار، الموسوعة ● رسالة القصد والتسديد في حكم نازلة التجويد، تحقيق إسماعيل بن المختار، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1986 - 1987 ● شرح تركة خليل، تحقيق محمد بن محمدن، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1992 - 1993.

د. أحمد بن محمد يحيى

جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأبييري، الطالب اعمر بن الفال

(1209 هـ / 1794 م ـ 1284 هـ/ 1867 م)

الطالب أعمر بن الفال بن بد الأبييري، أمّه أمّ لخوت بنت أعمر بن داديف، ولد في آمشتيل شوال سنة (1209 هـ / 1794 م)، وتوفّي سنة (1284 هـ / 1867 م)، ودفن في الحجرة.

بدأ أعمر حياته باللهو والطرب، وكان مولعا بالطرب ومجالس الغناء الذي كان له اليد الطولى فيه، وكان صوته غاية في الحسن، لكنه سرعان ما صرف عن ذلك، وذهب في طلب العلم إلى محظرة سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم الذي بقي معه فترة طويلة أجازه في معقول العلم ومنقوله، وبعد وفاة سيد عبد الله انتقل إلى محظرة الشيخ أحمد بن ابات المسومي، وقد أخذ الطريقة القادرية على الشيخ سيدي.

لقد كانت عودة أعمر من رحلته العلمية قبل عودة الشيخ سيدي بعام واحد وذلك حوالي (1241 هـ) فأسّس محظرة اجتمع عليه فيها كثير من الطلبة، وكان قاضيا له الكلمة الأخيرة في النوازل الفقهيّة، كما كانت له مراسلات مع مشائخه الذين درس عليهم وطلاّبه الذين قرؤوا عليه، فكان يتبادل معهم المراسلات والأسئلة الفقهيّة، وكان الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي معجبا به غاية ويزوره دائما، وقد مدحه بقوله:

إذا جئت للمفضال نجل الفتى بدًا
تنال هنا العلم والهدي لا بدا
إذا جال طرف العلم لا بد لابنه
مخافة فوت الطرف أن يحسن الردا

وله أيضا متوسّلا له في مرض ألمّ به:

شفاك من كلما تشكوه من وجع
من أن يقل كن لشيء شاءه يقع
وطال عمرك ما تبغي إطالته
فطوله طول عمر العلم والورع

من أعماله العلمية نظم كبير في قواعد الفقه يبلغ (880) بيتا، شرحه شرحا مطوّلا سمّاه «الروضة الغنّاء على الدرّة البيضاء»، والكتاب عبارة عن تلخيص وتوضيح وتيسير لكتابي «المنهج المنتخب على قواعد المذهب» للزقاق (ت 912 هـ)، و«تكميل المنهج» لميارة (ت1072هـ)، ورتّب كتابه على نفس ترتيب هذين الكتابين، يقول أعمر في بداية الكتاب: «هذا التأليف تلخيص لكتابين، وتوضيح وتيسير ما كان صعب الفهم منهما، وتفادي التكرار الذي كان يقع أحيانا في الكتابين».

ويقول أعمر من قصيدة له في الفخر:

ولو أن كل المال قد كان عندنا
لما زادنا بغيا عليك الاقارب
لانا لعبد الله وهو ابن جعفر نمينا
وعرق الجود لا بد جانب

ومن أعماله العلمية شرح على مختصر خليل حاول فيه المؤلّف تأصيل الأحكام الفقهيّة وردّها إلى أصول من الكتاب والسنّة، وله نوازل فقهيّة وقضائيّة لأنّه كان نافذ الحكم لما له من مكانة اجتماعيّة ورسوخ في العلم.

■ إشارة

1 - التهذيب المعطر في تأصيل المختصر (4 أجزاء) 2 - الروضة الغناء على الدرة البيضاء في قواعد الفقه 3 - نوازل فقهيّة 4 - شرح العاصمية 5 - شرح أقسام الدين 6 - ديوان شعر.

■ المصادر والمراجع

● سيدي، هارون بن الشيخ، كتاب الأخبار ● المختار بن حامد، الموسوعة ● الروضة الغنّاء على الدرّة البيضاء، تحقيق ابراهيم بن محمد عبد الله، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1994 - 1995.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأبييري، عبد الودود بن عبد الملك بن حميه

(1312 هـ / 1894 م - 1395 هـ/ 1975 م)

محمد عبد الودود بن عبد الملك بن حميه الأسريني الأبييري، والدته فاطمة بنت محمد المختار الأبييرية، ولد في ضواحي بتلميت حوالى (1312هـ/ 1894م)، وتوفّي سنة (1395هـ/ 1975م).

نشأ عبد الودود في أسرة من الزوايا ذات حظّ من العلم وخاصة القرآن الكريم، فقرأ القرآن على والده، ثمّ ارتحل في طلب العلم وتنقّل بين المحاظر، فأتقن القرآن الكريم واللغة العربيّة، فأخذ الإجازة بروايتي ورش وقالون على لمرابط بن عبد الفتاح التركزي (ت1368هـ)، وأجازه في السبع محمد عبد الرحمن بن فتى الحسني، ثمّ قرأ اللّغة والنحو والفقه والتفسير على كلّ من: - الشيخ محمد أحمد ولد الرباني (ت 1352 هـ) - لمرابط محمذن فال بن أحمد فال (ت1345 هـ) - باب بن الشيخ سيدي (ت1342 هـ) - سيد محمد بن داداه (1360هـ).

لم يقتصر عبد الودود على الدراسات القرآنية واللّغوية وإنّما شارك في كلّ العلوم، فقد ألّف في أحاديث الأحكام والفقه، ووضع حاشية على لامية الأفعال، وقد تخرّج من محظرته تلامذة كانت لهم شهرة كبيرة منهم:

- الشيخ عبد اللّه بن داداه (ت1394 هـ)
- النعمة بن المختار السالم (ت1421هـ)
- هارون بن الشيخ سيدي (1397 هـ)
- عبد اللّه بن محمد بن سيد المختار.

يقول عنه هارون: «إنّ ابن حميه آخر من يعتمد عليه في ضبط ديوان الستّة الجاهليين وتصحيحه وتفسير غوامضه، أمّا آراؤه فقد كان فيها مستقلاً لا يدفعه اعتقاده في مشائخه تقليدهم في أمر لا يراه صوابا، وقد رفض تقليد شيخه باب بن الشيخ سيدي في نطقه الخاص للضاد، وأصرّ على احتفاظه بالضاد المألوفة عنده»، ويقول عنه محمد المختار بن أباه: «ومن القرّاء الأستاذ الجليل محمد عبد الودود بن عبد الملك بن حميه الأسريني الأبييري الذي اشتهر بإتقانه لعلم القراءات، فجدّد رسومها وأجلى غوامضها، وكاد يكون مختصّا بها، إلاّ أنّه مشارك في سائر العلوم الشرعيّة».

ومن أعمال ابن حميه العلمية نظم الوسائل في علم الفواصل، وتتعلّق بالفواصل التي تكون آخر الآية مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4] والآيات وهي في الاصطلاح مقاطع مندرجة في سورة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، وأشار إلى أنّ سور القرآن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 - قسم لا اختلاف فيه مطلقا وهو (40) سورة.

2 قسم اتّفق على عدده الإجمالي فقط وهو (6) سور.

3- قسم اختلف على عدد آيه إجمالا وتفصيلا وهو (68) سورة.

ومن أعماله كتاب «التنوير في علم التفسير» يبلغ (750) بيتا، تناول فيه المؤلّف تفسير بعض الآيات بما روي فيها من أحاديث صحيحة اعتمادا على ما رواه الخمسة، وقد بدأ المؤلّف نظمه بمقدمة تناول فيها الآراء المختلفة في التفسير.

وله في مخارج الحروف وصفاتها نظم لخّص فيه آراء القرّاء والنحاة المعروفة عازيا لمراجعها المشهورة دون أن يتعرّض لما أثارت من خلاف حول النطق بالجيم والضاد، وقد بدأ هذا النظم بقوله:

في البدء واجبٌ على من همُّه تلاوة
نكر حروف المعجم
فيأتين به مجَودا له
كما أتى لم يحك نطق الأعجم
فادر المخارج وكلَّ صفة
حررها الداراة بالتفهم
وسوّ بالأصول كل جيد
من فرعه استحسَن في التكلم

ومن أهمّ ما كتبه في القراءات هو نظمه الوافي في القراءات العشر، يقول محمد المختار بن اباه: «إنّه عمل لم يسبق له في قطره».

آثاره

1 - كتاب الإشارات في علم القراءات العشر (2000) بيت، قرّره محمد محمود بن فتى، وأجاز مؤلّفه في القراءات السبع
2 - الإعلام في ما حوت مصاحف الأعلام، يزيد على ألف بيت، قرظ هذا النظم الشيخ بن سيد محمد بن داداه
3 - كتاب الرقوم في علم الرسوم
4 - المصفى في الذي من الرسم يخفى
5 التكميل الأوفى بشرح المصفى
6 - تحف الغلمان من طلبة القرآن اقتصر فيه على المشهور من قراءة نافع 7 - نظم حول مخارج الحروف وصفاتها 8 - الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ 9 - كتاب الوسائل في علم الفواصل 10 - نظم رجال السند وشرحه 11 - كتاب التنوير في علم التفسير
12 - كتاب القبض في علم الضبط
13 - شرح لامية الأفعال لابن مالك.

المصادر والمراجع

● ابن حامد، المختار، الموسوعة
● هارون بن الشيخ سيدي، كتاب الأخبار ● ابن أباه، محمد المختار، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، طبعة الايسيسكو، 2001 ● كتاب التنوير في علم التفسير، تحقيق محمد بن سيد الأمين، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1995 - 1996.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأبييري، الشيخ محمد بن بديد

(1317 هـ / 1899 م ـ 1412 هـ/ 1992 م)

محمد بن محمد العبدي الملقّب بديد الأبييري، أمّه مسعودة بنت عبد الودود الأسرينية الأبييريّة، ولد محمد بضواحي أبي تلميت سنة (1317 هـ/ 1899م)، وتوفّي في ذي الحجة سنة (1412هـ/ 1992 م)، ودفن في (الواسطة) آوكار على بعد (120) كلم شمال مقاطعة بتلميت.

حفظ القرآن الكريم صغيرا قبل انتهاء السنة العاشرة، ثم ارتحل بعد ذلك في طلب العلم، فدرس أصول التوحيد ومبادئ النحو على محمد عبد الرحمن ولد محمود ولد اشريف، ثمّ قرأ في محظرة أهل أحمد فال على يحيى ابن أحمد فال (ت 1245 هـ / 1926 م)، قرأ عليه ألفية ابن مالك ومختصر خليل ونظم الفقه الكبير ليحيى، ثمّ انتقل إلى محظرة يحظيه بن عبد الودود، وقرأ احمرار وطرة المختار بن بون، وألفية السيوطي على البيان، ونظم السلم في المنطق للأخضري، ثمّ رحل إلى محظرة أهل محمد سالم، وقرأ مختصر خليل وشروحه، وكان الشيخ محمد محلّ عناية وتقدير كبير من جميع مشائخه الذين قرأ عليهم لما لمسوا فيه من ذكاء وورع واستقامة. وبعد أن أكمل دراسة العلوم الشرعيّة واللغويّة تنقّل إلى خاله عبد الفتاح التركزي في طلب الإجازة في القرآن الكريم، وحصل على الإجازة في القراءات السبع.

وبعد إكماله دراسة العلم الظاهر أخذ ورد الطريقة التجانية عن الشيخ يحيى بن أحمد فال، ثمّ بعد وفاته أخذ عن محمد سعيد بن الشيخ محمد الحافظ، وكان الشيخ محمد شديد المحبة للنبي ﷺ، وله في مدحه دواوين شعريّة، وكان أيضا شديد المحبّة لمشائخه، منقطعا للعبادة، ومنقطعا عن الأمور الدنيويّة، فارّا بدينه في أدغال الصحراء (آوكار) من الشهرة شديد الخوف من الله تعالى، ولم يمنعه ذلك من الاشتغال بالتدريس والتأليف، فكان نادرة زمانه علما وزهدا وورعا.

ألّف الشيخ محمد في العقائد، وعلوم القرآن، والفقه والتصوّف والنحو والسيرة، ومن أهمّ أعماله العلميّة كتاب «شفاء المريد وتحفة المريد لا العنيد» نظم وطرة يبلغ حوالي (1250) بيتا شمل مقدمة وأبوابا وفصولا في التصوّف أوله:

يقول عبد ربه الغني
نجل محمد العبد الأبييري

مبتدئا باسم الإله سيدي
مرتجيا نيل جميع المقصد

ثمَ مقدّمة الكتاب في الردّ عن الشيخ يحيى والولاية وحالها يقول:

فمن يقل إن الإمام يحيى
ليس بمحيي للقلوب محيا

هـبـه بـأنـه الـجـهـول والـحـسـود
وهـبـه أنـه مـراء وعـنـود
أخلاق يحيى وحدها في التربيه
موصلة لمن رآها كافيه
ألفاظه ولحظه كذلك
قنا به إله في المسالك

ففي حاشية الإمام الغزالي أنّ النظر إلى الأخلاق يورث أخلاقا مناسبة إلى أخلاق المنظور إليه، ومن ثمّ قالوا إنّ لقاء الإخوان لقاح لأنّ البعض يتقوّى بالبعض، فالنظر إلى المحزون يحزن، والنظر إلى المسرور يسرّ، وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه، فالجمل الشرود يصير ذلولا بمجاورة الذلول، ويقول في شيخه يحيى:

جنبني يحيى فأمسك يدي
حتّى وردت من كريم المورد
مكثت عنده زمانا أشرب
من سلسبيل وده ما أشرب

وعرف الولي بتعريف الله تعالى له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 63] وقد أفرد بابا فيما يلزم المريد في ابتدائه، ثمّ تكلّم عن التصوّف والكرامة والتوبة والشكر والرجاء والخوف، وركّز على الخوف الذي هو مشرب المؤلّف، فتكلّم عن حقيقة الخوف ودرجاته وأقسامه وفضيلته والترغيب فيه، وبيّن الدواء الذي يستجلب به حال الخوف بقوله:

واستجلب الخوف بما في الصبر
والشكر جاء من جميل الأجر

وله في التصوّف أسئلة كثيرة وجّه منها البعض إلى الشيخ ابراهيم أنيس، وقد أجاب عنها في كتاب سمّاه «إفادة المريد في أسئلة الشيخ محمد بن محمد العيد»، كما بعث مجموعة من الأسئلة إلى الشيخ محمد الأمين بن بدي، ومحمدن بن أحمد فال، وقد شرح له سيداتي بن باب نظميه في أسماء الله الحسنى وأسماء النبي ﷺ.

آثاره

1 - تعليق على الإضاءة للمقرّي 2 - تعليق على نظم ابن بري في التجويد 3 - شفاء المريد وتحفة المريد لا العنيد في التصوف 4 - كتاب في أسرار الحروف والقرآن الكريم 5 - منظومة في الفقه 6 - كتاب المسرة والأسرار 7 - كتاب الفوائد 8 - كتاب نور البصيرة في الرد عن شيخه أحمد التجاني 9 - إفادة الإخوان في كيفية سلوك الطريقة التجانيّة 10 - ديوان شعري في مدح خير البرية 11 - ديوان شعر في مدح أشياخه 12 - فتاوى فقهيّة 13 - نظم في أسماء الله الحسنى 14 - نظم في أسماء النبي ﷺ.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتابية:

● ورقة في حياة محمد بن محمد العيد كتبها محمد العيد بن سيد المختار (مخطوط).

2 ـ الشفهيّة:

● سيدات بن باب.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأبييري، محمد محمود ولد عبد الفتاح

(1207 هـ / 1792 م - 1297 هـ/ 1879 م)

محمد محمود ولد عبد الفتاح ولد عبد الله الأبييري، أمّه مان بنت عبد الله الشمشوية، ولد سنة (1207 هـ / 1792م) وتوفّي في أكان (1297 هـ/ 1879م) ودفن في (عظم تال).

نشأ محمد محمود في تجكجه حيث يسكن والده وجدّه، وذلك بعيدا عن موطن قبيلته التي تسكن منطقة أكان شمال مقاطعة بتلميت، وتربّى في كفالة والده عبد الفتاح الذي قرأ عليه القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية، ثمّ انتقل إلى محظرة أخواله آل سيد عبد اللّه بن الحاج إبراهيم، وقرأ على سيد محمد بن سيد عبد اللّه بن الحاج إبراهيم (ت1251هـ)، ثمّ تنقّل بين محاظر مهمّة قرأ فيها على كلّ من: محمد محمود ولد حبيب اللّه بن القاضي (ت 1277 هـ)، محنض باب بن اعبيد (ت 1277 هـ)، الشيخ سيدي (ت 1284 هـ)، أحمد زروق بن بلعمش (ت1247هـ)، محمد ولد محمد سالم (ت1300هـ)، وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ سيدي.

لقد كانت لمحمد محمود مكانة علمية كبيرة تدلّ عليها مؤلّفاته المتنوّعة ومكانته الاجتماعيّة الرفيعة بين قومه، فهو مقدّمهم في العلم والكتابة والخطابة لأنّه فصيح اللّسان حسن الخطّ، وانتشر علمه وكثر طلّاب العلم الواردين عليه، فكان يجمع بين التدريس والتأليف والفتوى، يقول عنه الشيخ سيدي: «أكثر أهل زمانه علما»، وقد أسند إليه تعليم ولده الشيخ سيد محمد، ويصفه الشيخ أحمد بن اسليمان: «السيد العالم أخو الصلاح والنجاح أبو الآداب العربية»، ويذكره الشيخ باب في كتابه إمارتي مشظوف وإدوعيش بأنّه «العالم المتفنّن»، ويقول عنه هارون بن الشيخ سيدي: «العالم المؤلّف الناظم والناثر، اشتهر بالعلم وكثرة المؤلّفات النافعة والخطّ الحسن الواضح». ومن أهمّ تلاميذه نذكر: سيد محمد بن الشيخ سيدي (ت 1285هـ)، الشيخ باب بن الشيخ سيدي (ت 1342هـ)، الدوّ بن حيمو (ت1313هـ)، باب بن محمد الأمين بن الشيخ المصطفى (ت 1342 هـ).

لقد أتقن محمد محمود علوم اللغة والفقه والأصول والتوحيد والسيرة والبلاغة والمنطق والنحو والتجويد والآداب والتصوّف، فكانت له أذواق صوفية كان يعرضها على شيخه الشيخ سيدي، منها تعريف حضرة القدس التي يفسّرها بأنّها تعني الترقّي في مقامات الإحسان، ويعرض على شيخه بعض الصلوات على النبي ﷺ التي ابتكر صيغها. ومن مؤلّفاته في النحو «فتح الوهاب على سلم الإعراب»، جمع فيه المؤلف من علامات

الاسم والفعل والحرف ما وجده متفرّقا في الكتب، يقول في مقدّمة الكتاب: «أمّا بعد، فقد عنّ لي أن أجمع من علامات الاسم والفعل والحرف ما وجدته متفرّقا في كتب شتّى مع ما أستنبطه منها لمسيس الحاجة إلى ذلك لأنّ تمييز الاسم عن أخويه الفعل والحرف أنفع شيء للمبتدئ في علم النحو». وقد قسم المؤلف الكتاب إلى مقدّمة وأربعة أقسام.

ومن أعماله في اللّغة كتاب «نزهة النفوس وحلية الطروس في حلّ عقد إضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح القاموس»، وهو شرح لنظم سيد محمد بن سيد عبد اللّه بن الحاج إبراهيم، يقول في بداية الشرح: «وبعد، فإنّي أردت بعدما استخرت اللّه واستعنته فيما أردت، وهو عوني وحسبي، أن أضع شرحا على نظم الحبر العلاّمة شيخنا سيد محمد بن سيد عبد اللّه» بداية النّظم:

حمدا لمن أنطق بالبيان
كلّ فصيح ذلق اللّسان
وخصّنا بالعربي الهادي
أفصح من فاه بحرف الضاد

وله في السيرة الفوائد الدرر في سيرة خير البشر، ويضمّ (454) بيتا في سيرة حياته صلّى اللّه عليه وسلّم ومولده ونسبه وزوجاته وأولاده وأعمامه وعمّاته، ومن أسلم منهم، وذكر أمّهاته ومواليه ومؤذّنيه ودوابه وسلاحه وثيابه وأثاثه وأسمائه، وذكر معجزاته، وأخيرا ذكر وفاته ﷺ.

آثاره

1 - دليل الحيران الحزين وربيع العارفين الموحدين 2 - النضال الميمون عن لام (إلاّ ليعبدون) 3 - كتاب الإرشاد في كيفية الاعتقاد 4 - الشذور الذهبيّة على القواعد المنطقيّة 5 - شرح سلم الأخضري، منطق 6 - شرح مراقي السعود، في الأصول 7 - شرح مقدمة نظم ابن عاشر 8 - نزهة النفوس وحلية الطروس في حل إضاءة الأدموس من اصطلاح صاحب القاموس 9 - سواطع الجمان في ذكر المعاني والأوزان 10 - فتح الوهاب على سلم الإعراب 11 - الغيث الهتون في شرح طرة ابن بون 12 - الجادي العجول والغيث الهطول في نعوت الرسول ﷺ 13 - عقد الجواهر الحسان على المعاني والبديع والبيان، نظم وشرحه 14 - تهذيب المسائل الخوافي في علمي العروض والقوافي 15 - نزهة الطلاب في حل تراكيب ملحة الإعراب 16 - الفوائد الغرر في سيرة خير البشر، نظم وشرحه 17 - نظم في حوادث السنين العشر بعد الهجرة 18 - نظم في صفات النبي ﷺ 19 - نظم في مصطلح الحديث 20 - التذئيل والميزان في معرفة لبتوته والأوزان 21 - أكاسير التيسير لمحفوظات جمع التكسير، شرح نظم محنض باب ولد اعبيد 22 - إيضاح الأنقال على منح الفعال 23 - نوازل فقهيّة مهمّة.

المصادر والمراجع

• سيدي، هارون بن الشيخ، كتاب

الأخبار ● المختار بن حامد، الموسوعة ● ولد معلوم، سيد أحمد، عقود الجمان في تراجم بني حسان (مخطوط) ● منح الوهاب على سلم الإعراب، رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأبييري، الشيخ المصطف بن العربي

(1130 هـ /1717 م ـ 1237 هـ/ 1821 م)

الشيخ المصطف بن العربي بن المختار بن محنض نل الأبييري، أمّه المكبولة بنت المصطف بن محنض نل ولد (1130 هـ / 1717 م) وتوفّي (1237 هـ / 1821 م)، ودفن في بير الله في أوكار شمال مقاطعة بتلميت.

نشأ الشيخ المصطف في بيئة علمية متميّزة، وبدأ تعلمه مبكّرا حيث علمه خاله ألفغ نا الله بن عبد الله دفين مكة المكرمة التهجّي وبعضا من القرآن الكريم، ثمّ أكمل حفظ القرآن وتجويده على العالم القارىء بلعمش بن محمذن مبارك (ت 1210 هـ)، وأجازه في القرآن، وقرأ عليه بعض المتون، ثم رحل في طلب العلم كعادة طلاّب العلم في بلاد شنقيط، وتنقّل بين محاظر مشهورة، وقرأ على علماء أجلاّء، نذكر منهم:

- محمد اليدالي بن يعيد (ت 1165 هـ).
- حبيب الله بن محمد الأمين الحسني (ت12 هـ).
- ابن اعمر بن المصطفى التندغي (ت ق12هـ).

وبعد أن أكمل الشيخ المصطف رحلته العلميّة، وأخذ قسطا كبيرا من العلوم الشرعية واللغوية، تاقت نفسه إلى التصوّف وصحبة المشائخ، فرحل إلى الشيخ سيد المختار الكنتي، الذي اختلفت الروايات في فترة إقامته معه وفي تاريخ رحلته إليه، والمؤكد أنّه مكث معه فترة طويلة لقي فيها من جانب شيخه تقديرا كبيرا أسند إليه مهمّة القضاء والتدريس مدّة 17 سنة، وأجازه في الأوراد القادريّة، ثمّ رجع إلى وطنه وقد تضلّع في علمي الظاهر والباطن، فكوّن محظرة جمعت بين التعليم والتربية الصوفية، لكنّ جانب الصوفيّة طغى على الجانب التعليمي، ومن أبرز تلامذته نذكر:

- عبد اللّه الكوري بن سيد الأمين البصادي.
- الشاعر الشيخ محمد المختار بن أعمر صالح البصادي.
- عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن حبيب الله الأبييري.
- حبيب الله بن ألفغ نا الله الأبييري.

- عالي بن عبدي الأبييري.

وقد مدح الشيخ المصطف تلميذه الشيخ محمد المختار بن أعمر صالح بقصيدة منها:

إذا اغبرَّ آفاق السماء وغيِّمت
فلست تراه الدهر إلاّ تبسّما

جواد إذا ألوى الزمان بأهله
شُجاع إذا فرّ الشجاع وأحجما

سخيٌّ تقي خاشِع متواضع
عن الناسِ ذا عفو عنِ الغيظ كاظِما

ومن أعماله العلميّة رسالة أدبيّة متأثرة بأسلوب المقامة انتهت بالسجع ورصعت بألوان من التشبيه والكنايات، كتبت بغرائب الألفاظ وشوارد اللغة، وضمنت بعض الأمثال العربية والاقتباس من الكتاب والسنة. ولكنها في النهاية ترمي إلى إصدار فتوى فقهيّة ونصائح وتوجيهات إصلاحية إلى العلماء في البلاد، عنوان الرسالة: «معاذير ابن العربي للزوايا والعرب بما يزيل الالتباس ويكشف الكرب»، وكانت شروحه موصّلة بالحديث الصحيح حتّى كاد لا يشرح بيتا إلاّ استشهد فيه بحديث صحيح، وله كتاب في التصوف حاول فيه تبيين التصوّف من الكتاب والسنة.

آثاره

1- الودق الهتان في علوم تجويد القرآن 2 - رسالة في حياة القراء العشرة 3 نظم أهل بدر، توفي المؤلف عنه قبل إكماله 4 - شرح نظم قرة الأبصار للمطي 5 - كتاب في التصوّف موجود بخط المؤلف عند حفيده سيداتي بن باب 6 - شرح لبعض قصائد الهذليين ضاع بعضه 7 - شرح بانت سعاد 8 - شرح الشنفرية 9 - معاذير ابن العربي للزوايا والعرب مما يزيل الالتباس ويكشف الكرب 10 - فتاوى فقهيّة 11 - تأليف في النحو.

المصادر والمراجع

● ابن حامد، المختار، الموسوعة ● سيدي، هارون بن الشيخ، كتاب الأخبار ● مذكرات سيدات ولد باب (مخطوط) ● رسالة معاذير ابن العربي للزوايا والعرب، تح. رسالة تخرّج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلاميّة، 1992-1993.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

إتلاميد الشنقيطي، محمد محمود ولد أحمد

(1245 هـ/1829 م - 1322 هـ/1904 م)

محمد محمود ولد أحمد ولد محمد التركزي الشنقيطي اشتهر بلقب اتلاميد بدال مهملة وهي تصحيف كلمة اتلاميد المعجمة باللهجة الحسانية، ولد في ولاية تكانت وسط موريتانيا على أشهر الروايات (1245 هـ / 1829 م) توفي بالقاهرة 23 شوّال (1322 هـ / 1904 م).

نشأ في أسرة علمية كان لها الفضل في تحبيب العلم إلى محمد محمود منذ صغره حتّى صار العلم غذاءه وروحه يقول في ذلك:

شغفت بحب العلم طفلا متمّما فصار
غذاء الروح واللّحم والعظم

غذاني بدر العلم أراف والد
وأرحم امّ لم تبتني على غم

ولم يفطماني عنه حتّى رويته
عن الأب ثمّ الأخ والخال والعم

فقد حفظ القرآن والمتون الصغيرة على والده وذويه من قرابته، ثمّ تنقّل خارج بيت أبيه في طلب المزيد من العلم.

ولقد قاد ابن اتلاميد حبّه للعلم إلى رحلات طويلة بدأها بالمحاظر الموريتانيّة، فالمشرق العربي، ثمّ إلى أوروبا، طالبا وأستاذا وباحثا. فكان الذكاء والعبقريّة والحفظ والصرامة والعزم رفقاءه في جميع هذه الرحلات، فاكتسب بذلك علما غزيرا ورصيدا معرفيا متنوّعا أقرّ له به الصديق والعدوّ. فبعد أن اكتسب ابن اتلاميد قسطا من العلم في بيت أبيه ارتحل إلى محظرة اجدود بن اكتوشن العلوي (1289 هـ / 1872 م)، فقرأ عليه مختلف العلوم اللغويّة والشرعيّة. ولمّا تضلّع من معين العلم قرّر رحلته إلى المشرق. وكانت رحلته الأولى إلى المشرق سنة 1283هـ قاصدا بيت الله الحرام، وفي طريقه إلى الحجاز تعرّف على كثير من العلماء، كان أوّلهم في تيندوف هو ابن الأعمش الجكني الذي قرأ عليه الحديث، ثمّ انطلق من عنده مرورا بفاس وتونس وطرابلس والقاهرة إلى مكّة والمدينة المنوّرة حيث اتّصل بعلماء الحجاز وأشرافهم مثل عبد الجليل وشريف مكّة عبد اللّه بن محمد بن عون الذي أعانه على نشر العلم والحوار مع العلماء، فذاع صيته وانتشر ذكره بين الأوساط العلميّة فاستقدمه إلى تركيا السلطان عبد الحميد الثاني، وكلّفه بمهمّة علميّة كبيرة تمثّلت في رحلة إلى إسبانيا وباريس ولندن لإعداد فهرس للمخطوطات العربيّة المهاجرة. ووافق ابن اتلاميد السلطان في أداء المهمّة، ولكن مقابل شروط من بينها إعطاء الشناقطة حقوقهم من الأوقاف المغاربيّة التي كان الشناقطة يحرمون منها. وبعد إنجاز العمل رفض ابن اتلاميد تسليمه للسلطان عبد الحميد الذي لم يف بالشروط التي التزمها، وفي أثناء إقامته

بالآستانة سنة 1888م دعاه المجمع العلمي السويدي باستوكهولم، لكنه لم يقبل الدعوة احتجاجا على عدم التزام عبد الحميد بالشروط.

ورجع إلى الحجاز، ثمّ ارتحل إلى القاهرة التي وضع فيها عصا الترحال، وكان موضع تكريم علمائها أمثال توفيق البكري ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمود البارودي، فاشتغل بالتدريس في الأزهر حيث جمع معه التأليف وتحقيق علوم التراث العربي حتّى وافاه الأجل المحتوم وهو في آخر تحقيق كتاب «المخصّص» لابن سيده، فكان منقطعا للمطالعة والتدريس، يصل ليله بنهاره إلى أن أتعبه الجلوس وإطالة نظر الكتب، فكان يردّد قولته المشهورة «أنا قتيل المخصّص، أنا قتيل الكتب».

وقد ترك ابن اتلاميد مكتبة غنيّة تبلغ (2000) كتاب أكثرها مخطوطات بقيت منها (600) هي الآن مودعة في دار الكتب المصريّة.

وكان ابن اتلاميد موضع إعجاب وتقدير للعلماء الذين التقى بهم. يقول في وصفه أحمد الزيات: إنّه هيكل ضئيل وبدن نحيل ووجه ضامر ولون أخضر وصوت خفيض، فمن يراه أوّل مرّة لا يصدّق أنّ هذا الجرم الصغير قد جاب البرّ والبحر، وطاف الشرق والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدره الضيّق معاجم اللغة وصحاح السنّة ودواوين الشعراء وعلم الأدب.

خلّف ابن اتلاميد آثارا علميّة لا نظير لها خصوصا في ما يتعلق بالجانب اللّغوي والأدبي، ونذكر منها على سبيل المثال:

- تصحيح لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وقد نشر هذا الكتاب بفضل جهود الإمام محمد عبده الجواد الأصمعي سنة 1334هـ وقد استدرك ابن اتلاميد على صاحب الأغاني، وعلّق عليه وصحّح له بعض الأخطاء.

- كتاب الدرر في صرف عمر: وهي مسألة لغوية أثارت جدلا وخصاما بين ابن اتلاميد مع بعض العلماء في المشرق، وكان من بينهم أحمد بن الأمين الشنقيطي، يقول ابن اتلاميد في مسألة صرف عمر: «إنما صرفتها بالأدلّة القاطعة والشواهد الصريحة، وخطّأت جميع النحويين من سيبويه إلى ابن هشام في قولهم إنّ عمر ممنوع من الصرف لأنّه معدول عن عامر، وقد جمعت من الشواهد على صرف عمر مائة بيت ونيفا». وقد ألّف في الردّ عليه أحمد بن الأمين الشنقيطي رسالة نشرت في القاهرة في حياة ابن اتلاميد يقول: «أمّا قوله إنّه وجد مائة بيت فهذا على تقدير صحّته لا يثبت صرفه، لأنّ النحاة جعلوا معتمدهم في ذلك سماع العرب يمنعونه نثرا، وأجابوا عن ذلك بأنّ الأبيات ضرورة الشعر ولا محيد عنه للشاعر».

- الحماسة السنيّة الكاملة المزيّة في الرحلة العلميّة الشنقيطيّة التركزيّة: هي مؤلّف أدبي موسوعي يحتوي الجزء الأوّل منها على مقدمة وخمس قصائد في الفخر والحثّ على طلب العلم والحنين إلى الوطن ورثاء الأندلس، أمّا الجزء الثاني فيتضمّن مجموعة من القضايا العلمية الساخنة بينه وبين علماء المشرق، وقصائد تتعلّق بالمناظرات والنقائض التي جرت بينه وبين هؤلاء، وفي هذه الرحلة سجّل ابن اتلاميد صورة حيّة عن رحلته العلميّة وما لاقاه فيها من متاعب، وما نشر فيها من علوم كثيرة وعلاقته مع العلماء

والأعيان في الدول التي زارها، يقول في وصف بعض معاناته في باريس وإسبانيا:

ما ليل صول ولا ليل التّمام معا
كليل باريس أو ليلي بأندلس
لم أدر أيهما أقوى محافظة
على الظلام وحجب الصبح بالحرس
يا ليل أصبح وأسجح قد مللت وذر
ما أنت فيه من الطغيان والهوس
والطف بشرخ قريش في تغربه
عن الأباطح دار الإنس والأنس

■ آثاره

1 - إحقاق الحقّ وتبرئة العرب ممّا أحدثه عاكش اليمني في لغتهم 2 عذب المنهل في صرف ثعل 3 - عروس الطروس 4 - شرح المفصّل في النحو 5 - الحماسة السنيّة كاملة المزيّة 6 - أشهر الكتب العربية الموجودة في خزائن إسبانيا 7 - تصحيح الأغاني 8 - هوامش المخصّص لابن سيده 9 - هوامش لسان العرب لابن منظور 10 - هوامش الخصائص لابن جني 11 - هوامش تصحيح القاموس المحيط للفيروزابادي 12 - الدرر في صرف عمر 13 - ديوان شعر.

■ المصادر والمراجع

● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ط) ● ابن اتلاميد، الحماسة السنيّة كاملة المزيّة (ط) ● طه حسين، الأيّام (ط) ● الزيات، أحمد حسن، كيف عرفت الشنقيطي، مجلّة الأزهر، 1961 ● محمذن بن أحمد بن المحبوبي، أدب الرحلة في بلاد شنقيط، رسالة تخرّج في درجة دبلوم الدراسات العليا في جامعة محمد الخامس، السنة الجامعيّة 1994 - 1995.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

■ الأثرم، أبو بكر أحمد بن محمد

■ ■ ■

(... هـ/ ... م ـ 273 هـ/ 886 م)

الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي البغدادي الإسكافي أحد الأئمة المشاهير [ابن النديم، الفهرست، ص 320-321؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 110؛ الذّهبي، العبر، ج2 ص 22؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11 ص108؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3 ص266؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج2 ص167].

كان فقيها محدّثا ثبتا جليل القدر صادقا، ذكره

ابن حبّان في الثّقات، وقال: كان من خيار عباد الله [ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 1 ص 68؛ السّيوطي، طبقات الحفّاظ، ص 260].

نوّه به الأئمّة وأشادوا بمنزلته العلمية، وشهدوا له بالذّكاء وشدّة التيقّظ حتّى قال يحيى بن معين، ويحيى بن أيّوب المقابري: «كأنّ أحد أبويه جنيّ» [الذّهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 570؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 3 ص 267] وقال أبو بكر بن صدقة: سمعت إبراهيم الأصبهاني يقول: «الأثرم أحفظ من أبي زرعة الرّازي وأتقن» [المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 478؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 420؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 570؛ الكاشف، ج 1 ص 27؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ص 108؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3 ص 267]، وحدّث عبد الله بن محمّد بن سيّار الفرهياني قال: سمعت عبّاسا العنبري يقول: «ما قدم علينا مثل عمر بن منصور، وأبي بكر الورّاق، فقلت: من أبو بكر؟ قال: الأثرم، فقلت: أنا له لا نرضى أن تقرن صاحبنا بالأثرم: أي إنّ هذا فوقه» [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 110].

وقد روى عنه معاصروه ما يعرب عن قوّة ذاكرته وجودة حفظه، فقد سمع أبو بكر الخلاّل الحسن بن عليّ بن عمر الفقيه يقول: قدم شيخان من خراسان للحجّ فحدّثا، فلمّا خرجا طلب قوم من أصحاب الحديث تحديثهما، قال: فخرجا إلى الصّحراء فقعد هذا الشيخ ناحية معه خلق مستمل، وقعد الآخر ناحية، وجلس الأثرم بينهما فكتب ما أمليا معا [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 420؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 571؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 3 ص 267]. ولمّا قدم عاصم بن علي بن عاصم بغداد طلب من يخرّج له فوائد يمليها فلم يجد في ذلك الوقت مثل أبي بكر، فكأنّه لمّا رآه لم يقع منه بموقع لحداثة سنّه، فقال له أبو بكر: أخرج كتبك، فجعل يقول له: هذا الحديث خطأ، وهذا غلط، وهذا وهم، فسرّ عاصم به وأملى قريبا من خمسين مجلسا، فعرضت على أحمد بن حنبل، فقال: هذه أحاديث صحاح [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 111؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 478؛ الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، ج 10 ص 420]. وقال أبو بكر بن صدقة: سمعت أبا القاسم، قال: قدم رجاء بن مرجّى فقال لي: أريد من يكتب لي من كتاب الصّلاة ما ليس في كتب أبي بكر بن أبي شيبة، فقلنا له: ليس لك إلاّ أبو بكر الأثرم. فوجّه إليه ورقا، فكتب ستّمائة ورقة من كتاب الصّلاة، قال: فنظرنا، فإذا ليس في كتاب ابن أبي شيبة منه شيء [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 111؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 479؛ الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، ج 10 ص 421؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 3 ص 267].

لقي الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فلازمه، وروى عنه، وتفقّه به وسأله عن المسائل والعلل قال أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت أحمد عن أبي بكر الأثرم قلت:

نهيت أن يكتب عنه ؟ قال: لم أقل إنّه لا يكتب عنه الحديث إنّما أكره هذه المسائل [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 111؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 1 ص 68].

قال أبو بكر الأثرم: كنت أحفظ الفقه والاختلاف، فلمّا صحبت أحمد بن حنبل تركت ذلك كلّه، ولست أخالف أبا عبد الله إلاّ في مسألة واحدة ذكرها المروزي [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص110؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص478؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص421؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 1 ص67-68؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 3 ص 267]. ونقل عنه مسائل كثيرة صنّفها ورتّبها أبوابا، قال: سمعت أبا عبد الله سئل عن مسح الرّأس كيف هو ؟ فقال: هكذا، ووضع يديه كلتيهما على مقدّم رأسه، ثمّ جرّهما إلى مؤخر رأسه، وقال: سألته عن القراءة بالألحان؟ قال: كلّ شيء محدث، فإنّه لا يعجبني إلاّ أن يكون صوت الرّجل لا يتكلّفه [ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ص37].

ونقل عنه قوله: «إنّ السكران ليس بمرفوع عنه القلم ولا يسقط عنه ما يصنع» [ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج1، ص 505-506]. وقوله: «إذا روى الحديث عبد الرحمان بن مهدي عن رجل فهو حجّة» [ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج2، ص435]. وقوله: «الفعل الذي ليس بمختصّ بالنبيّ ولا متردّد بين الجبليّ وغيره ولا ببيان إن قصد به القربة فهو مندوب» [ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج 2، ص 188].

حدّث عن أبي نعيم الفضل بن دكين، وعفّان بن مسلم الصفّار، وأبي الوليد الطيالسي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 110؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 477؛ الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 570؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ص 108]. وحرميّ بن حفص، وأبي بكر بن أبي شيبة وكان عالما بتآليفه إذ لازمه مدّة [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 110؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 477؛ الذهبي، سير أعلام النّبلاء، ج 10 ص 420؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ج 3 ص270]. وحدّث أيضا عن معاوية بن عمرو الأزدي، وسليمان بن حرب، وأبي توبة الرّبيع بن نافع الحلبيّ، وسنيد بن داود المصّيصي، ونعيم بن حمّاد الخزاعيّ، ومحمد بن عبد الله بن نمير [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 5 ص 110؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص477]، وعن أحمد بن جوّاس الحنفيّ، وأحمد بن الحجّاج الشيبانيّ المروزيّ، وأحمد بن أبي الطيّب المروزيّ، وأحمد بن عمر الوكيعيّ، وبشّار بن موسى الحفّاف، وغسّان بن الفضل السّجستاني [المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 476 - 477]، وعن هوذة بن خليفة، وأحمد بن إسحاق الحضرمي، وعبد الله بن صالح المصري، وعبد الله بن رجاء الغداني، وموسى بن إسماعيل، وعمرو بن عون، وقالون عيسى، وعبد الحميد بن موسى المصيصي، ومسلم بن إبراهيم، وأبي جعفر النفيلي، ومسدّد بن مسرهد، وعبد الله بن بكر السهمي، وأحمد بن حنبل، وجماعة غيرهم [المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 477؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 420].

أخبر عبد الولي بن عبد الرحمان الخطيب، وعيسى بن بركة المعلّم وجماعة، قالوا: أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا سعيد بن أحمد بن البناء حضورا، أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد الزينبيّ، أخبرنا أبو بكر بن عمر، حدّثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدّثنا أبو الأشعث، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا روح، عن منصور عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة زاد فيها أو نقص فلمّا فرغ قلنا: يا رسول الله أحدث في الصّلاة شيء؟ فثنى رجله فسجد سجدتين. وبه قال ابن صاعد، وزادنا أبو بكر الأثرم عن محمّد بن المنهال عن يزيد في هذا الحديث، قلنا: صليت كذا وكذا وذكر الحديث، قال الذهبي: فهذا من أعلى ما يقع لنا من حديث الأثرم [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 422؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 571-572]، وهو حديث أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان [ج 7 ص227]، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود [ج 1 ص 403].

حدّث عنه الإمام النّسائي في سننه، وموسى بن هارون، ويحيى بن محمد بن صاعد، وعمر بن محمّد بن عيسى الجوهري، وعليّ بن أبي طاهر القزويني، وعمر بن محمد بن عيسى الجوهري، وأحمد بن محمد بن ساكن الزنجاني، ومحمّد بن جعفر الرّاشديّ، وآخرون [الخطيب، تاريخ بغداد، ج5 ص110 المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص477؛ الذهبي، سير أعلام النّبلاء، ج 10 ص 420؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص571].

روى عنه الإمام النّسائيّ في كتاب الطبّ حديثا واحدا عن العيشيّ عن حمّاد بن سلمة عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حمّ أحدكم فليسنّ عليه الماء البارد من السّحر ثلاثا».

مات بمدينة إسكاف، واختلف في تاريخ وفاته فقيل في حدود 260 هـ، وقيل سنة 261 هـ [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 571؛ سير أعلام النبلاء، ج 10 ص421؛ العبر، ج 2 ص 22]. ولم يرتض الحافظ ابن حجر هذا التّاريخ واعتبره تخمينا غير صحيح، قال في تهذيب التهذيب: «والحقّ أنّه تأخّر، فقد أرّخ ابن قانع وفاة الأثرم فيمن مات سنة 273هـ لكنّه لم يسمّه، وليس في الطّبقة من يلقّب بذلك غيره» [ج 1 ص68].

■ آثاره

صنّف الأثرم كتبا جليلة انتفع بها خلق كثير أهمّها:

1 - كتاب في العلل، قال عبد المؤمن بن خلف النّسفيّ سمعت أبا عليّ صالح بن محمّد البغداديّ يقول: «كان أصحابنا ينكرون على الأثرم كتاب العلل لأحمد بن حنبل» [ابن النديم، الفهرست، ص 321؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج 1 ص 479؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 420؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 571؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ص108؛ السّيوطي، طبقات الحفاظ، ص 260؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 ص167] 2 - كتاب السنن في الفقه على

مذاهب أحمد وشواهده من الحديث، يدلّ على إمامته وسعة حفظه [ابن النديم، الفهرست، ص321؛ الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2 ص 571؛ الكاشف، ج 1 ص 27؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 ص 167؛ الزركلي، الأعلام، ج 1 ص205] 3 - الناسخ والمنسوخ في الحديث [ابن النديم، الفهرست، ص 321؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ص 108؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 ص 167؛ الزركلي، الأعلام، ج 1 ص 205] 4 - كتاب التاريخ [ابن النديم، الفهرست، ص 321؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 ص 167].

المصادر والمراجع

● البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت 256 هـ)، الجامع الصحيح، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413 هـ / 1993 م، ج 7 ص 227 ● مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، الصحيح، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2 1413 هـ / 1993 م، ج1 ص 45، ج 1 ص 403 ● ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 1398 هـ / 1978 م، ص 320- 321 ● الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السّلام، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ج 5 ص 110-111 ● ابن أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء، أبو الحسين محمّد (ت 526 هـ) طبقات الحنابلة، تصحيح أحمد عبيد، مطبعة الاعتدال والترقّي، ط 1 1350هـ/ 1931م، ص 37 ● المزّي، أبو الحجّاج جمال الدّين يوسف (ت 742هـ)، تهذيب الكمال، تح د. بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرّسالة بيروت 477-480 ● الذّهبي، أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ)، تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التّراث العربيّ، ج 2 ص 570-571-572 ● م. ن، العبر في خبر من غبر، تح فؤاد سيّد أمين، مخطوطات بدار الكتب المصرية، الكويت 1380 هـ / 1961 م، ج 2 ص 22 ● م. ن، سير أعلام النبلاء، تح محب الدّين أبي سعيد عمر بن غامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 1 1417 هـ / 1997 م، ج 10 ص 420 -421 - 422 ● م. ن، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط 1 1403 هـ / 1983 م، ج اص 27 ● ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774 هـ) البداية والنهاية، مكتبة المعارف ببيروت، ط 1 1385 هـ / 1966 م، ج 11 ص 108 ● ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدّين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، ط 1 1404 هـ / 1984 م، ج 1 ص 67 - 68 ● السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت 911 هـ)، طبقات الحفّاظ، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1 1403 هـ /

1983م، ص 260 • ابن العماد، أبو الفلاح شهاب الدّين عبد الحي الحنبلي (ت 1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ج 3 ص 266-267 • كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 2 ص 167 • الزّركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ط. 10، 1412هـ/ 1992م، ج 1 ص 205.

د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الأثري، محمد بن محمود بهجة

(1322 هـ/1904 م ـ 1416 هـ/1995 م)

هو محمد بن محمود بن عبد القادر بن أحمد بن محمد انتقل جده الأعلى من ديار بكر واستقر فى أربيل فاشتهر بنسبه إليها، ثم رحل إلى بغداد وعمل في النجارة و استمر أعقابه في هذه المهنة.

أما والدته فهي زينب بنت أمين تركية الأب وتركمانية الأم، كانت عائلتها من حاشية السلطان مراد الرابع. [المشهداني، الأثري، رسالة ماجستير]. لقب منذ أول نشأته العملية بالأثري نسبة إلى أثر الرسول (وسنّته)، إشارة إلى عزوفه عن الانتساب إلى المدن والعشائر وإلى تعلقه بالإسلام الصحيح.

ولد ببغداد وأنشئ على التعليم والتقوى، ودرِّب على التجارة والفروسية، والتحق بـ (الكتاب) ليتعلم القرآن الكريم فأتم قراءته تلقينا وتجويدا في السنة السادسة من عمره ثم انتقل إلى المدارس النظامية.

وبعد اجتيازه الدراسة الابتدائية انتمى إلى (الرشيدية العسكرية)، فلم يقو على تحمل العسكرية، فتركها ليعمل موظفا في المحاكم لإتقانه اللغة التركية إلا أنه آثر الاستمرار في دراسته في المدرسة السلطانية .

ولما وقع الاحتلال الانكليزي لبغداد في آذار 1917 عطل المدارس باستثناء (الأليانس) المدرسة الخاصة بالطائفة اليهودية فالتحق بها، ولكنه اضطر إلى تركها على إثر صدام بين الطلاب المسلمين والطلاب اليهود.

تعلم الإنكليزية والفرنسية على أيدي معلمين خاصين إلى جانب تعلمه الفارسية والعبرية. ولما تبين ضعفه في اللغة العربية وجّهه والده إلى التخصص فيها وفي علومها وآدابها، وعلوم الشريعة الإسلامية. فتلقى مبادئ النحو والصرف والفقه سنة كاملة على يدي الشيخ (محمود بن علي) في مدرسة مسجد (أحمد

بوشناق الباشا). كما تعلم قواعد خط الرقعة وأصوله على يدي الشيخ (علي بن درويش) في مدرسة مسجد الفضل.

وقرأ على يدي الشيخ (عبد المحسن الطائي) في مدرسة (مسجد النعمانية) كتاب العوامل (للجرجاني) وشرح الإظهار (للبركوري) في العربية، وطرفا من الفقه [البسام، الأثري، ص 17-18].

وكانت بداية الصلة مع العلامة علي علاء الدين الألوسي (ت 1340 هـ / 1921 م) في أوائل سنة (1338 هـ / 1919 م)، فقرأ عليه كتاب القطر (لابن هشام)، وكتاب نزهة الطرف في علم الصرف (للميداني). وكتاب مبادئ اللغة (للإسكافي)، والجزء الأول من المخصص (لابن سيدة)، والشهاب في الحكم والأدب (للقضاعي)، وكتابي جده (أبي الثناء): المقامات وغرائب الاغتراب، وبتوصية من شيخه أخذ القراءات السبع عن الحافظ الشهير عثمان الموصلي [المطبعي، موسوعة، ص246].

وقرأ صدرا من شرح ألفية ابن مالك في النحو على يدي المدرس (منير القاضي) عندما انتسب إلى مدرسة (عثمان أفندي) بالرصافة.

كما أخذ عن العلامة محمود شكري الآلوسي (ت 1342 هـ / 1924 م) بعد أن لازمه أربع سنوات إلى وفاته واستقل بعده، وقلما أخذ عن غيره [الكنين، الشعراء، ص 95].

ومن علوم العربية التي سمعها عن الآلوسي، ألفية ابن مالك بشرح (الوسيطي)، وقد ألزمه حفظها، وعلم النحو والبلاغة من مفتاح العلوم (للسكاكي)، وكتاب الضرائر من تأليف شيخه، وعلم الوضع وعلوم العروض والقوافي. وعلم المنطق، وقرأ عليه أيضا صحيح مسلم بتعليقات (النووي)، وعلم مصطلح الحديث، وعلم الفرائض، وعلم المواقيت، وتاريخ العرب قبل الإسلام وأنساب العرب [البسام، الأثري، ص19-28]. لقد أثر الآلوسيان في نفس الأثري بحب العرب والعربية والإسلام الصحيح ومقاومة البدع والخرافات، وعلماه قرض الشعر والتأليف والتحقيق.

مارس الأثري التدريس في مدارس عدة، فقد درس الأدب وعلم الأخلاق وفلسفته في ثانوية التفيض الأهلية، والثانوية المركزية، وفي كلية الشرطة منح درجة الأستاذية بإرادة ملكية عام 1377 هـ / 1958 م، وساهم في مناقشة عدة رسائل ماجستير وأطاريح دكتوراه في جامعة بغداد، وتقويم الدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية والتي يقدمها حملة الدكتوراه للتعضيد، وألقى محاضرات في جامعات مصر ولبنان، ومنحته جامعة بغداد درجة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية عام 1413 هـ / 1992 م.

كما كان عضوا في العديد من المنتديات والمجامع العربية والعراقية. فقد انتخب بالإجماع عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1351 هـ / 1932 م. وضمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة إليه عضوا مراسلا عام 1368 هـ / 1948 م. ثم صدر مرسوم جمهوري عام 1381 هـ / 1961 م بتعيينه عضوا عاملا وفي عام 1401 هـ / 1980م انتخبه مجمع اللغة العربية في الأردن عضوا مؤازرا وفي الوقت نفسه انتخبته

أكاديمية المملكة المغربية عضوا مشاركا. واختير عام 1381 هـ/ 1961 م عضوا في المجلس الاستشاري للجامعات الإسلامية في السعودية.

عندما حولت لجنة التأليف والنشر إلى مجمع علمي عام1367 هـ/ 1947 م في العراق انتخب من جملة الأعضاء العاملين عام 1369 هـ / 1949 م. ثم انتخب نائبا لرئيسه، ثم نائبا أول عام 1375 هـ / 1955م، وأشرف على تحرير مجلته سبع سنوات، وشارك في وضع المصطلحات العلمية والفنية والحضارية، وعندما أنشئ المجمع الموحد عام 1400 هـ / 1979 م صدر مرسوم جمهوري كرّم بتعيينه عضوا عاملا فيه، وعين مقررا للجنة اللغة العربية وعضوا في عدة لجان.

ولعله كان أول عراقي يدعى إلى مؤتمرات العلم والثقافة والسياسة منذ عام 1350 هـ / 1931 م إلى وفاته، وبعد عودته أسس المؤتمر الإسلامي في بغداد، وحضر مؤتمر بلودان عام 1356 هـ / 1937 م في دمشق لمعالجة القضية الفلسطينية، والمؤتمر الثقافي العربي الأول عام 1367 هـ / 1947 م في لبنان، ومؤتمر الأدباء العرب في بلودان عام 1376 هـ / 1956 م، ومؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي دعت إليه جامعة الدول العربية في العام نفسه، ومؤتمر الأدباء العرب الرابع في دمشق عام 1381 هـ/ 1961م.

كما ساهم في الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامع القرويين في فاس عام 1380 هـ/ 1960م، واحتفال الجزائر بمرور ألف عام على تأسيس جامع (البوني) وتجديده عام 1388 هـ / 1968 م، إضافة إلى العديد من المؤتمرات والاحتفالات التي لم تساعده الأحوال على حضورها. كما أسس عددا من الجمعيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إلى جانب عضويته في جمعيات أخرى. وعندما سئل عن الدوافع التي جعلته يهتم بتأسيس الجمعيات قال: «أنا جلت في كل ميدان يجلب الخير والنفع إلى العراق والبلاد العربية والإسلامية..» [المطبعي، موسوعة، 6/ 28].

ومما عرف به الأثري أنه كان له نشاط صحفي كتابة وإشرافا، فقد بلغ عدد ما حرر فيه من الصحف والمجلات حوالي 59 دورية، كما تولى رئاسة تحرير مجلة «البدائع» الأسبوعية وهي التي جعلها ميدان جهاده الاجتماعي.

وكان له أيضا نشاط سياسي، دخل بسببه في معارك سياسية في الصحف. أهمها مع نوري السعيد بعد إخفاق ثورة مايس، لا سيما أن الأثري شارك فيها بشعره، وفصل بسببها من الوظيفة خمس سنوات، كما سجن لمدة ثلاث سنوات. وفي السجن تدارس الفارسية والانكليزية والألمانية، ودرّس المعتقلين النحو والمنطق، وخرج من السجن أصلب عودا وأكثر عزما وجهادا في أعماله الأدبية والاجتماعية [الآلوسي، شخصية، المورد ص 20].

تبوأ الأثري مراكز إدارية عدة، فقد أوفد عام 1355 هـ / 1936 م إلى مصر لدراسة أوضاع الأوقاف والتعرف على نظم الأزهر، وبعد عودته عهد إليه بمديرية أوقاف بغداد، وفي

عام 1368 هـ / 1948 م عين مفتشا اختصاصيا للغة العربية بوزارة المعارف، وانتخب عضوا في مجلس شورى الأوقاف عام 1373 هـ / 1953 م، وجدد انتخابه عام 1375 هـ / 1955 م. وفي عام 1378هـ/ 1958 م عين مديرا عاما للأوقاف إلى عام 1383 هـ / 1963 م، وكان تخلصه من قيود الوظيفة نهائيا مصدر خير وبركة أتاح له الانصراف التام إلى البحث والتأليف والتحقيق ونظم الشعر. وحصل على العديد من الأوسمة والجوائز من العراق ولبنان وسوريا والمغرب والسعودية، فكان نموذجا للمفكر الموسوعي الذي كان يذكرنا بأسلافنا العظام.

آثاره

بلغ عدد الكتب المؤلفات والمحققة للأثري 34 كتابا. أما عدد المقالات والأبحاث التي نشرت في المجلات والصحف اعتبارا من عام 1340 هـ / 1921 م إلى غاية عام 1415 هـ / 1994 م فكانت 168 بحثا ومقالا إضافة إلى حوارات ولقاءات عديدة أجريت معه عبر وسائل الإعلام المختلفة طرح فيها آراءه وأفكاره وتصوراته. وفي ما يلي أهمها:

1 ـ أدب الكتاب للصولي، تح. أبو بكر محمد بن يحيى الصولي مصر القاهرة 1345هـ/ 1922 م 2 ـ أعلام العراق، كتاب تاريخي أدبي انتقادي يتضمن سيرة الإمام الآلوسي الكبير وتأبين العلماء والأدباء وتراجم توابغ الآلوسيين عام 1345 هـ / 1929 م، 246 صفحة 3 ـ مهذب تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ط. بغداد 1346 هـ / 1927 م 4 ـ تاريخ نجد لمحمد شكري الألوسي، تح. محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية مصر 1347 هـ / 1928 م 5 ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمود شكري الآلوسي، تح. محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي بمصر 1347 هـ / 1928 م 6 ـ المجمل في تاريخ الأدب العربي، طبع الجزء الأول في مطبعة العراق، بغداد، 1347 هـ / 1929 م. تضمن الكتاب مقدمة جرى الكلام فيها عن الأدب واللغة، وشمل العصر الجاهلي والعصر الإسلامي كما تناول علوم العرب بشكل عام 7 ـ المدخل في تاريخ الأدب العربي، مطبعة الأهالي، بغداد 1351 هـ / 1932 م. ألفه للصفوف الثالثة من المدارس المتوسطية بطلب من وزارة المعارف، وطبع ببغداد سبع طبعات، ثم ألغى الأنكليز تدريسه بعد أن سيطروا على مرافق الدولة عقب إخفاق ثورة مايس 1360 هـ/ 1941 م 8 ـ مأساة الشاعر وضاح، مطبعة بغداد، 1354 هـ / 1935 م وهو مثال من الإنشاء الراقي البليغ ونموذج للنقد العلمي النزيه في العصر الحديث مما جرى بين الأثري وأحمد حسن الزيات على إثر نشر جريدة البلاد أقصوصة بعنوان (مأساة الشاعر وضاح) للزيات رأى فيها الأثري مآخذ ينفيها التاريخ وينكرها العقل 9 ـ ديوان الأدب، للصفوف الخامسة الإعدادية السنة الدراسية 1948هـ/ 1949م. اختاره وشرحه الأثري بالاشتراك مع كمال إبراهيم وعبد الكريم الدجيلي، مطبعة النجاح، بغداد 10 ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام. ط. بيروت في كتاب (العرب والحضارة) عام 1371 هـ / 1951 م، ص 85-132. وأعادت المطبعة السلفية بالقاهرة منه طبعة مستقلة مع مقدمة تقديرية كتبها الكاتب

الإسلامي الشهير محب الدين الخطيب
11 ـ محمود شكري الآلوسي سيرته وآراؤه اللغوية. ط. معهد الدراسات العربية، القاهرة1378 هـ/ 1928 م، ضم الكتاب ثماني محاضرات ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العليا قسم الدراسات الأدبية واللغوية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة ربيع 1378 هـ / 1958 م
12 ـ تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين. تصنيف أبي الفتح عثمان بن جني، تح. الأثري، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق 1386 هـ/ 1966م 13 - ملاحم وأزهار، جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، القاهرة 1394 هـ / 1974 م، ديوان في نحو 400 صفحة، نشره المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والأدب بالقاهرة 14 ـ ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، تح. الأثري، وهو تحقيق علمي دقيق، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع 1402 هـ / 1981 م، مدوّن الوثائق أبو الخير زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي البركات عبد الله، وهي وثائق أصلية لأنه عاصر الأحداث وكابد شدة الحصار 15 ـ بلوغ الأدب في أحوال العرب. ثلاثة أجزاء، حقق الأثري وشرح قسم شعراء العراق من (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الكاتب، وطبع منه المجمع العلمي العراقي جزئين الأول والثاني والتكملة، وطبعت منه وزارة الثقافة والأعلام ببغداد أربعة أجزاء. منح عليه جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة 1406هـ/ 1986م
16 ـ كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة عن قواعده، للعلامة محمود شكري الآلوسي، تح. وشرح محمد بهجة الأثري، المجمع العلمي العراقي، 1409 هـ / 1988م
17 ـ ديوان الأثري، صدر الجزء الأول في 1514 هـ / 1990 م عن المجمع العلمي العراقي، والثاني لم يطبع بعد.

المصادر والمراجع

● الأثري، محمد بهجة الأثري يكتب سيرة حياته، جريدة الاتحاد، الأعداد الصادرة من 21/ 1/ 2000 إلى 28/ 11/ 2001، سبع حلقات ● سيرة العلامة الأثري بقلمه، مجلة المورد، مج. 24، العدد2 سنة 1417 هـ / 1996 م، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة جمهورية العراق، عدد خاص عن العلامة محمد بهجة الأثري ● الآلوسي حسام محيي الدين، شخصية محمد بهجة الأثري من شعره، مج. 24، المورد، العدد الثاني1417 هـ / 1996 م، وزارة الثقافة والإعلام، عدد خاص ● البسام عبد العزيز، محمد بهجة الأثري المتربي والمربي، مطبوعات المجمع العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1414 هـ / 1994 م ● غياض، عبد الزهرة هامل، ثبت بمؤلفات العلامة الأثري، مجلة المورد، المجلد الرابع والعشرون، العدد الثاني 1417 هـ / 1996 م ● الكنين، غازي عبد الحميد، شعراء العراق المعاصرون، ج1 و2، مطبعة الشباب، بغداد، ط. 1، 1957 ● المشهداني،

محمد جواد، محمد بهجة الأثري حياته وشعره، رسالة ماجستير جامعة القاهرة، كلية دار العلوم 1398هـ/ 1978م ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ج. 1، دار شؤون الثقافة والإعلام، بغداد 1996 م ● موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، العلامة محمد بهجة الأثري، ط. 1، ج. 6، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1988 ● لقاء شخصي مع عائلة المرحوم محمد بهجة الأثري.

د. جنان عبد الجليل محمد الهموندي
جامعة بغداد - العراق

ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد

(544 هـ / 606 م - 1149 هـ/ 1210 م)

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. كنيته أبو السعادات، لقبه مجد الدين، وشهرته ابن الأثير الجزري. والأثير هو أبوه محمد بن محمد.

محدث، لغوي، أصوليّ، مفسّر، وله نظم على طريقة العلماء.

ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وهي بلدة فوق الموصل بناها رجل يدعى ابن عمر، ونعتت بالجزيرة لأن نهر دجلة يحيط بها من ثلاث جهات. وكان أبوه مقرّبا من آل زنكي، أتابكة الموصل، فتولّى (أي الأب) الخزانة العامة كما تولّى ديوان جزيرة ابن عمر. والمبارك هو الأخ الأكبر لعز الدين بن الأثير المؤرخ صاحب كتاب «الكامل في التاريخ»، ولضياء الدين بن الأثير الكاتب صاحب كتاب «المثل السائر بين الكاتب والشاعر». وكان المبارك «منذ ريعان الشباب وحداثة السن مشغوفا بطلب العلم ومجالسة أهله»، كما يقول عن نفسه في مقدّمة كتابه «جامع الأصول»، فانتقل إلى الموصل وعمره حوالي 21 عاما طلبًا للعلم.

درس في الموصل الأدب والنحو على أبي محمد سعيد بن الدهّان البغدادي النحوي، وعلى أبي الحرم مكّي بن ريّان الماكيني النّحوي الضرير. وأخذ النحو وسمع الحديث فيها من يحيى بن سعدون القرطبي. كما سمع الحديث فيها على جماعة منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبد اللّه بن أحمد الطوسي.

وقدم بغداد في طريقه إلى الحجّ، فأقام فيها وسمع الحديث من جماعة منهم أبو القاسم صاحب ابن الخلّ، وابن كليب، وعبد الوهاب بن سكينة.

واتصل بأمراء الموصل ونال حظوة لديهم. فولّاه سيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي

الخزانة، ثمّ ولاه بعد ذلك ديوان الجزيرة وأعمالها. وعندما عاد إلى الموصل ناب في الديوان عن الوزير جلال الدين الأصبهاني. ثمّ صار من جلساء عز الدين مسعود بن مودود، الذي ولاّه ديوان الإنشاء. وبعد وفاته تولّى ديوان الإنشاء لولده نور الدين أرسلان شاه. وقد كلّفه هذا الأخير بالوزارة ولكنّه استعفاه تعففا.

وأصيب بمرض النقرس، فأقعده ومنعه من الكتابة، ولازمه حتّى وفاته. فأقام في منزله يغشاه العلماء والطلاب. ويقال إنّه أنجز معظم مؤلفاته أثناء مرضه، إملاء على طلابه. قال عنه أخوه ابن الأثير المؤرخ في كتابه الكامل: «كان ذا دين متين». ووصفه معاصره ياقوت في معجم الأدباء بقوله: «كان عالما فاضلاً وسيدًا كاملا». وقال عنه تلميذه الوزير القفطي في كتابه إنباه الرواة: «كاتب فاضل، له معرفة تامة بالأدب، ونظر حسن في العلوم الشرعية». وكان ابن الأثير شافعيًا.

وقد روى عنه جماعة منهم فخر الدين بن البخاري، وأبو الفتح مَحْمد بن محمود بن محمد بن شهاب الدين نزيل مصر وشيخ الشافعيّة، والوزير جمال الدين القفطي.

آثاره

لابن الأثير حوالى ستة عشر كتابا، ما زال معظمها مخطوطا، وهي: 1 - النهاية في غريب الحديث والأثر، وهو معجم لألفاظ الحديث، ويُعدّ أهمّ مؤلفاته. طبع عدة مرّات كان آخرها طبعة دار الفكر في بيروت بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة 1963-1965 . اعتمد ابن الأثير في وضع كتابه هذا على من سبقه من المؤلفين في هذا الفنّ منذ القرون الإسلاميّة الأولى، وقد ذكر عددا كبيرا منهم وبيّن فضائلهم ونقائص كتبهم. ولكنّ اعتماده الأساسي كان على كلّ من أبي عبيدة الهروي (ت402هـ/ 1011م) الذي وضع كتاب: «الغريبين» وهو في غريبي القرآن والحديث. وعلى الحافظ أبي موسى المديني الأصفهاني (ت 581هـ/ 1185م) صاحب كتاب: «المغيث في غريب القرآن والحديث». وقد كانت خطّة ابن الأثير في كتابه الجمع بين ألفاظ الكتابين وإضافة ما فاتهما. ويعتبر كتابه من بين آخر المؤلفات في هذا الفنّ، فقد انحصرت الجهود من بعده في التذييل على كتابه واختصاره. [النهاية، مقدمة التحقيق، ص 8].

حظي هذا الكتاب أيضًا بالشرح والاختصار من قبل العلماء المتأخرين ومن ضمنهم جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ / 1505م) الذي وضع له تلخيصا بعنوان: «الدرّ النثير»، وذيلا بعنوان: «التذييل والتذنيب على نهاية الغريب» [بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 196-197]. كما وقع اعتماده من قبل أصحاب المعاجم اللغويّة وخاصة ابن منظور (ت711 هـ/ 1311م) والمرتضى الزبيدي (ت1204 هـ/ 1790م) 2 - جامع الأصول في أحاديث الرسول، (مطبوع)، جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي، عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها ونبّه على جميع ما يحتاج إليه منها [معجم الأدباء، ص2271]. وقد قدّم ابن الأثير كتابه هذا على أنّه تهذيب لكتاب «التجريد في الجمع بين الموطأ والصحاح

الخمس» لأبي الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي (ت 535 هـ/ 1140 م) فجاء في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل حسب ابن الأثير، ولكنّه حوى مع ذلك نقائص أراد هذا الأخير تفاديها، حيث ناجته نفسه على أن يهذّب الكتاب ويرتّب أبوابه، ويوطىء مقصده، ويسهّل مطلبه، ويضيف إليه ما أسقطه من الأصول، ويتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى، وغير ذلك ممّا يزيده إيضاحا وبيانا [ابن الأثير، جامع الأصول، ص20].

عرف كتاب «جامع الأصول» انتشارا في الأوساط العلميّة نظرا لشموليته وسهولة التعامل مع محتواه، حيث جاءت الأحاديث فيه مرتبة على حروف المعجم حسب مقاصدها. فالباب الأوّل مثلاً خصّص للأحاديث المتعلّقة بالإيمان والإسلام في حين خصّص آخر الأبواب لليمين. أمّا الأحاديث التي لم يتمكّن من إدخالها في التقفية فقد جعل لها فصلا مفردا.

ومن مظاهر العناية بهذا الكتاب ما حظي به من شروح واختصارات، فقد ذكر بروكلمان سبعة مؤلفات اهتمّ أصحابها بجامع الأصول، منها كتاب «تجريد الأصول في أحاديث الرسول» لهبة اللّه بن عبد الرحيم الحموي البارزي (ت 738 هـ/ 1338م). ومنها أيضًا كتاب «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» (القاهرة 1342هـ) لعبد الرحمان بن الديبع الشيباني اليمني (ت 944 هـ/ 1537م) [بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 193-194]. طبع هذا الكتاب عدّة طبعات أقدمها في القاهرة بإشراف عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر سابقا وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي، ببروت 1980 3 - المُرصّع في الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأذواء والذوات، وهو نوع من معاجم المعاني يجمع بين الأدب واللّغة. وطبع عدّة مرات آخرها في بغداد عام 1971م بتحقيق إبراهيم السامرائي 4 - شافي العي في شرح مسند الشافعي، أبدع في تصنيفه، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه [معجم الأدباء، ص 2271]. منه نسخة في دار الكتب المصريّة برقم 306 حديث وأخرى برقم 221184 ب [النهاية، مقدمة التحقيق، ص 17] 5 - تجريد أسماء الصحابة، حيدر آباد 1315 6 - منال الطالب في شرح طوال الغرائب، في الأحاديث الطوال والأوساط 7 - تجريد أسماء الصحابة 8 الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف، في التفسير، وأخذه من تفسيري الثعلبي صاحب الكشف، والزمخشري صاحب الكشّاف 9 - البديع في شرح الفُصول في النحو، لابن الدهّان 10 - تهذيب فصول ابن الدهّان، في النحو 11 - الفروق والأبنية، في النحو 12 - الباهر في الفروق، في النحو 13 - ديوان الرسائل، من إنشائه 14 - كتاب لطيف في صنعة الكتابة 15 - المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار 16 - المختار في مناقب الأخيار (أو الأبرار) 17 - رسائل في الحساب مُجَدْوَلاَت.

المصادر والمراجع

● ابن الأثير، التاريخ الباهر، تح. عبد القادر طليمات (القاهرة 1963) 185-187، 190 - 191، 201 ● م.ن،

الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، 10/ 350-351 • ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر، ط 3/ 1980، 17/ 71-77 • ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د. ت، 4/ 141-143 • الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 7، 1410/ 1990، ج 21، تح. بشار معروف ويحيى السرحان، ص 488-491 • م.ن، العبر، تح زغلول، بيروت، دار الكتب العلميّة، د. ت، 3/ 143 • السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية د. ت، 2/ 274-275 • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، المكتب التجاري د. ت، 5/ 2-23 • القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر 1986، 3/ 257-260 • ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف 1966، 54 • حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت، دار الفكر، 1410/ 1990، 1/ 182، 219، 236، 256، 535، 618، 789، 2/ 1207، 1383، 1682، 1683، 1711، 1989 • سركيس، معجم المطبوعات، القاهرة 1928، 34-35 • البغدادي، إيضاح المكنون، بيروت، دار الفكر، 1410/ 1990، 2/ 468 • م.ن. هدية العارفين، بيروت 1410/ 1990، دار الفكر، 2/ 2-3 • كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المعارف 1966، 3/ 13 • الحمدان، محمد، بنو الأثير: الفرسان الثلاثة، الرياض، المكتبة الصغيرة 13، 1394/ 1974 • دائرة المعارف الإسلامية، ط.ج، ج 3، فصل الأثير.

د. علي القاسمي
منظمة الاسيسكو ـ المغرب
د. محمد سعيد
الجامعة التونسية ـ تونس

ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل

(... / ... ـ 737 هـ / 1336 م)

أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي، ولقبه نجم الدين.

لا تذكر المصادر شيئا عن مكان مولده ولا عن السنة التي ولد فيها وإن ذكر في صفحة عنوان مختصره أنّه «المصري دارا»، وقد أفاضت المصادر في الحديث عن أسرته ونوّهت بها؛ فجدّ أبيه شمس الدين بن سعيد من أعيان دمشق في أخريات العصر الأيّوبي وصدر دولة المماليك، وكان من كبار الكتّاب فيها، وتلقّب بالكاتب الرئيس. أمّا جدّه تاج

الدين أحمد بن سعيد فقد ولي الإنشاء لثلاثة من السلاطين في دولة المماليك البحريّة، ورأس الديوان في عقد السلطان أشرف خليل - آخر الثلاثة - ولقّب بالصاحب، وهو لقب لمن بلغ مرتبة الوزارة. وأمّا أبوه عماد الدين إسماعيل فقد تولّى أيضا كتابة السرّ للسلطان الأشرف خلفا لوالده تاج الدين، وكان معروفا بمروءته ومكارم أخلاقه، ومشتهرا بورعه وزهده، فضلا عن عمله وثقافته.

وكما لم تذكر المصادر شيئا عن مولد نجم الدين لم تذكر شيئا عن ثقافته باستثناء ما ذكره ابن حجر من أنّه «سمع الصحيح من ابن الشحنة».

ويضيف أنّه كان «من كبار الرؤساء بالقاهرة، ومن كتّاب الإنشاء، وممّن يحضرون دار العدل بين يدي السلطان» كما لقّب بالصدر الكبير، توفي بالقاهرة في 13 صفر 737 هـ.

وكان عمله بديوان الإنشاء ضمن كتاب الدرج، وتولّى ذلك في عهد عمّه علاء الدين الذي كان على صلة قويّة بالناصر قلاوون، فولاّه رئاسة الديوان وظلّ بها خمسة عشر عاما (711-726)، ولم يدع هذه الوظيفة إلاّ بعد أن أقعده المرض. في هذه الآونة عمل نجم الدين في كتابة الدرج، وهي أقل المراتب في سلّم وظائف الإنشاء حيث ينحصر عمل كتّاب الدرج في كتابة ما يتمّ الاتّفاق عليه. ويعلو هذه الوظيفة وظيفة كتاب الدست الذين يجلسون مع رئيسهم بمجلس السلطان ويوقّعون على ما تمّ الاتفاق عليه بعد توقيع الرئيس. أمّا أعلى وظائف الديوان فهي رايسته ويلقّب شاغلها بكاتب السرّ أو صاحب الديوان، ومن مهامّه الاطّلاع على أسرار السلطان والتوقيع عنه قبل أن يوقّع كتاب الدست [صبح الأعشى، ج 1، ص 137-138].

ويستخلص ممّا تقدّم أنّ نجم الدين لم يبلغ مراتب آبائه وأقربائه من أبناء بني الأثير الحلبيّين. بيد أنّه ينبغي أن يكون قد بلغ من العلم والفضل ما يحقّق له أن يكون أحد كتاب الإنشاء أيّا كانت الوظيفة التي يشغلها في سلّمه، فمن أهمّ شروط الكاتب أن يكون «أديبا فقيها عالما بالله، كافيا فيمن يتولاّه، أمينا فيما يستكفاه، حادّ الذهن، قويّ النفس، حاضر الحسّ، جيّد الحدس، محبّا للشكر، عاشقا لجميل الذكر، طويل الرّوح، كثير الاحتمال، حلو اللّسان، له جراءة يبتّ بها الأمور على حكم البديهة، وفيه تؤدة يقف بها فيما يتصرّح على حدّ الرويّة، ويعامل الناس بالحقّ على أقرب طرقه وأسهل وجوهه، ولا يحتشم من الرجوع عن الغلط».

ولم يؤثر عن نجم الدين أنّه صنّف شيئا من كتب أو رسائل، باستثناء اختصاره كتاب أبيه «كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة» (جوهر الكنز). ولقيت فكرة تلخيص المصنّفات - خاصّة إذا كانت ضخمة - رواجا في هذا العصر الذي ازدهرت فيه حركة التأليف، وبخاصة في علوم القرآن والحديث واللّغة والأدب والتاريخ. ولهذا الازدهار أسباب كثيرة يهمّنا منها ما يتّصل بالإنشاء؛ فاتّساع رقعة الدّولة الإسلاميّة وحاجة المماليك إلى الكتّاب الذين كان لهم الدور المبرّز في تصريف شؤون الملك أحوج إلى وجود هذه الفئة، ولهذا اتّجه المؤلّفون إلى وضع

المؤلّفات التي ترسم الطريق لمن يريد أن يتولّى هذه الصناعة، فألّف الشهاب محمود «حسن الترسل»، وكتب القلقشندي «صبح الأعشى»، وصنّف عماد الدين بن الأثير «كنز البراعة». واتجه بعضهم إلى الاختصار والتلخيص، سواء لما كتبه هو كالقلقشندي الذي اختصر صبح الأعشى في مختصر سمّاه «ضوء الصبح المسفر»، أو لما صنّفه الآخرون مثل ابن منظور الذي اختصر مصنّفات كثيرة كالأغاني، وزهر الآداب، ويتيمة الدّهر، والذخيرة، وتاريخ ابن عساكر وغيرها، ومثل نجم الدين الذي اختصر الكنز.

وربّما كان وراء هذه الظاهرة بعض البواعث، لعلّ من أهمّها تيسير العلم أمام الطلاّب وتوفير الوقت والجهد الذي تحتاج إليه المصنّفات الضخمة، فضلا عن أنّ اتساع رقعة الدولة وكثرة تنقّل العلماء في أرجائها اقتضت أن تكون الكتب في حجم يسهل حمله، أضف إلى ذلك خوف العلماء من ضياع الأصول المطوّلة وحينئذ يستعاض عنها بالمختصرات.

ويبدو أنّ الباعث على اختصار الكنز هو تيسير الانتفاع به. وقد أفصح عن ذلك نجم الدين في قوله: «ولقد وجدت فيه إسهابا على من يروم حفظه أو يقيّد لفظه، فقصدت اختصاره رغبة في سهولة تناوله واقتصرت منه على ذكر ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من العلوم والفضائل ليعدّ كاتبا». ثمّ يشير إلى منهجه في الاختصار فيذكر أنّه أعرض عن «ذكر الشواهد والاختلاف في الحدود والإيرادات التي ترد على المسائل، والشكوك التي تلقى عليها من غير أجوبة عنها، والبحوث التي تقتضي المجادلات في الكلام من غير وقوف عند حدّ فيها يجمع على الوقوف عنده مع غاية الاختصار الذي يحلّ بما يحتاج إليه، ولا يملّ عند مطالعته» [جوهر الكنز، ص 28].

ويتّضح من ذلك أنّ الكنز كان كتابا ضخما ضمّ كثيرا من الأمور التي تخلق في الطالب قدرة على الجدل والمحاجّة، وتعدّه الإعداد الواجب فيمن يتصدّى لهذه الصناعة، إضافة إلى شواهد كثيرة حذفت رغبة في الإيجاز، وقد أكّد نجم الدين على أنّه حذف كثيرا منها في غير موضوع، فمن أراد «فليطلبها في كتاب الكنز».

ويدلّ ما صنعه نجم الدين على التطوّر السريع في النظرة إلى ما ينبغي أن يقدّم للطالب، فما عدّه إسهابا كان في رأي والده اختصارا. يقول: «والشواهد في هذا الباب كثيرة غير أنّا نقصد الاختصار، وليكون أسهل على حفظه، ولولا خوف الإطالة لذكرنا من محاسن شعر ابن حيوس ما هو أكثر من ذلك». وربّما دلّ أيضا على ما بين الأب وابنه من بون في الثقافة. ولكن ذلك لا ينال من نبل الغاية التي أراد الابن تحقيقها وهي التيسير على طالب صناعة الإنشاء.

والحقّ أنّ الكتاب في صورته المختصرة يضمّ من أصول هذه الصناعة ومن الشواهد عليها ما يعمل على إعداد طلاّبها إعدادا جيّدا، فهو جامع لفنون القول، وصورة صادقة للطوق الفنّي في صنعة الشعر والنثر في القرنين السابع والثامن في مصر والشام، وهو - مع اختصار شواهده - لا يزال حافلا بالنصوص الشعريّة الرفيعة التي أبدعها شعراء

كبار على طول مراحل الشعر العربي، وقد بلغ عدد الشواهد الشعريّة وحدها أكثر من ألفين وخمسمائة بيت عدا أنصاف الأبيات، فضلا عن أنّه يضع بين أيديهم زادا وفيرا ممّا كتبه البلاغيّون والنقّاد في مرحلة الازدهار التي سبقت مرحلة الاتّجاه إلى التقنين والإسراف في التقسيم والتفريع.

وربّما كانت بعض فصول المختصر من عمل نجم الدين، خاصّة الباب الأوّل الذي ذكر فيه «ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من العلوم والفضائل ليعدّ كاتبا»، فهو يسوق وصفا لما ينبغي أن يكون عليه الكاتب فيقدم له بقوله: «وأحسن ما وصف به الكاتب فيما قاله الجدّ تاج الدين رحمه الله تعالى. «وتاج الدين أحمد هو والد عماد الدين صاحب الكنز وجدّ نجم الدين صاحب المختصر». وفي هذا الباب دعوة إلى أن يتشبّث كاتب الإنشاء بكلّ فن، حتّى ما تقوله الماشطة عند جلوة العروس والنادبة في المأتم والمنادي في السوق، فضلا عن المعارف الأخرى التي لا تقوم صناعة الإنشاء إلاّ بها، وهي ما قامت عليه مادّة الكتاب.

آثاره

جوهر الكنز وهو تلخيص كتاب أبيه إسماعيل بن الأثير عماد الدين «كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة». تح. محمد زغلول سلام، الإسكندرية (د. ت).

المصادر والمراجع

● ابن حجر، الدرر الكامنة، بيروت، د. ت، ج 1/ 104 ● محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، القاهرة، د. ت، ج 2/ 45.

د. عبد الواحد علام
جامعة القاهرة - مصر

ابن الأثير، عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد

(652 هـ / 1245 م - 699 هـ/ 1299 م)

إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي،

وعماد الدين لقبه، ويكنى في بعض المصادر بأبي الفداء، كما أن بعضها ينسبه إلى حلب موطن أسرته، وبعضها ينسبه إلى القاهرة مكان ولادته. أما المقريزي فينسبه إلى «تنوخ» القبيلة الأم لبني الأثير جميعا. وهو واحد من المبرّزين في العلم والأدب والبلاغة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

نشأ في بيت علم وأدب وصلاح، فأبناء الأسرة التي ينتمي إليها قد توارثوا العمل بدواوين الإنشاء في أخريات الدولة الأيوبية ثم في دولتي المماليك، ولم يعمل في تلك الدواوين

إلا من أوتي حظًا عظيما من الدين والفضل والثقافة. وتجمع المصادر على أنه كان إماما في المروءة ومكارم الأخلاق وتوثّقت صلته بعدد غير قليل من أعيان عصره.

حفظ القرآن الكريم وقدرًا كبيرا من الحديث الشريف، وجالس العلماء، وقرأ الأسفار، وغَشِيَ الديوان، فأتقن الكتابة وحذق أصول العمل بالدواوين.

وإلى جانب هذه البيئة الخاصة التي نشأ فيها، كانت البيئة العامة بيئة ثقافية أيضًا، حيث شهد عصره نشاطا ثقافيا وفكريا واسع النطاق، وتجلّت مظاهره في بناء المدارس، وإنشاء المكتبات، وعمارة المساجد، واحتضان الحكام للعلماء والأدباء، إلى غير ذلك من المظاهر التي أسفرت عن نشاط جمّ في التأليف، والموسوعي منه بخاصة.

أوتي استعدادا فطريا وميلا غريزيا نحو العلم والمعرفة، وتمتع بحافظة قوية أعانته على الإلمام بفروع معرفيّة شتّى، كما ساعده على ذلك صلته الوطيدة ببعض علماء عصره، وفي مقدمتهم ابن دقيق العيد (ت 702) الذي يعد من شيوخ عماد الدين، فقد قرأ عليه «إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام».

عمل في ديوان الإنشاء، فتولّى كتابة السرّ للسلطان الأشرف عقب وفاة والده تاج الدين سنة 691هـ. ولم يدم عمله في الديوان طويلا إذ غادره في العام التالي زهدا في الوظيفة وتفرغا للعبادة، وفقا لكل المصادر باستثناء «بروكلمان» الذي يرى أنه ترك الديوان بعد أن دبّ الخلاف بينه وبين السلطان الأشرف وهما في دمشق، فعاد عماد الدين إلى القاهرة وانضم إلى «بيدرا» الذي قتل الأشرف سنة 692هـ، ولكنه أخفق في الاستيلاء على السلطة ففقد عماد الدين منصبه. وما يراه بروكلمان يصعب التسليم به فهو لا يتّفق مع ما عرف به عماد الدين من ورع وزهد، كما أن الناصر قلاوون الذي خلف الأشرف كان على علاقة طيبة به، وظلت هذه العلاقة حتّى صحبه إلى الشام لقتال التتار سنة 699هـ، وهناك استشهد عماد الدين في معركة حمص عن عمر لم يتجاوز السابعة والأربعين.

وقد احتفى بالثقافة العربية والإسلامية احتفاء جعله ينظر إلى القرآن والحديث على أنهما «معدن للفصاحة والبلاغة». وكانت وصيّته للناشئة أن يحفظوا القرآن وجملة من الحديث، وأن يعرفوا شيئا من الفقه والتفسير، وعليهم قبل ذلك أن يتصلوا باللغة والأدب. وتجلّت ثقافته الإسلامية في محفوظه، فإلى جانب حفظه للقرآن واستشهاده بكثير من آياته حفظ خمسمائة حديث كان يضمها كتاب عمدة الأحكام للجماعيلي، كما تجلّت في تأليف كتاب في السنّة «إحكام الأحكام» في شرح كتاب عمدة الأحكام من كلام سيد الأنام. أما ثقافته الأدبية واللغوية فيدل عليها ممارسته الإبداع شعرا ونثرا، وإجادته تحرير الرسائل. وقد ضمن كتابه «الكنز» نماذج من إبداعه النثري. ولعل هذه الثقافة تتضح على أكمل وجه في هذا الكتاب. وهو الأثر الباقي له في صورة مختصرة.

أما بقية مؤلفاته فهي ما بين مفقود أو مشكوك في نسبتها إليه. من المفقود كتابه في السنة – وقد أشرنا إليه – وكتابه في التاريخ «عبرة أولي الأبصار» في مجلّدين، ذكره غير واحد. وقد

نشر المستشرق كرنكو قطعا منه في مجلة لغة العرب كما يذكر بروكلمان، 6/ 116. وقد اقتصر فيه على أخبار الملوك وسير خلفاء البلاد ولم يتعرّض لشيء من الوفيات. ومن المفقود كذلك كتابه في «شرح رائية ابن عبدون»، ذكره جماعة منهم ابن تغري بردي والصفدي، ويذكر بروكلمان أنه «يكاد يكون مأخوذا حرفا حرفا عن شرح ابن زيدون».

ومن المؤلفات المشكوك في نسبتها إليه كتاب «تحفة العجائب» وهو مجموعة من الشعر والنثر في مشاهد الكون المختلفة من سماء ونجوم، وشمس وقمر، ونهر وشجر ويقع في جزأين كبيرين، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقمها 499 جغرافيا وتنسب إلى ضياء الدين بن الأثير، ونسبها بعضهم إلى أخيه مجد الدين. وشكك في هذه النسبة وتلك بروكلمان ورجح نسبتها إلى عماد الدين. وذكر كوركيس عواد أن ثمّة نسخة من هذا الكتاب في إحدى جامعات الولايات المتحدة منسوبة إلى عماد الدين. ومن المشكوك في نسبته أيضًا كتاب «مؤنس الوحدة» وهو مختارات شعرية لطائفة من الشعراء العرب مرتب حسب الموضوعات، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم 5070 أدب، وقد نسبه فهارسها إلى ضياء الدين، وشكك في ذلك بعض المعاصرين مرجحا أن يكون الكتاب لعماد الدين أو لابنه نجم الدين.

ويذكر له أثر إبداعي واحد هو ديوان خطب، ذكره البغدادي في هدية العارفين، ولم يشر إليه غيره.

ولعل وراء هذا الخلط ما حظي به بنو الأثير الموصليين من شهرة، فلا شكّ أن مجد الدين وأخويه عز الدين وضياء الدين أشهر بكثير من بني الأثير الحلبيين، وأسهمت هذه الشهرة في اضطراب الروايات حول تاريخ وآثار الأسرتين، حتّى إن كتاب الكنز نسبه بعض المعاصرين إلى ضياء الدين.

ويدل عنوان كتاب: «كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة» على أنّه كتاب تعليمي، غرضه هداية من يطمح إلى أن يكون أديبا إلى الأدوات التي عليه أن يتخذها سبيلا إلى الإبداع، ومع ذلك فالكتاب يصنّف في دائرة كتب البلاغة والنقد الأدبي، وهذا يكشف عن الأغراض التعليمية الواضحة التي كانت تقف وراء التأليف البلاغي والنقدي في تلك الفترة.

وتتمثل أدوات البراعة في اكتساب المعارف وتحصيل الثقافات التي تعمل على صقل الطبع السليم والذوق الرهيف، فذوو البراعة الذين يتوجه إليهم بخطابه البلاغي والنقدي هم أولئكم المشتغلون بصنعة الأدب شعرا كان أو نثرا، فباستثناء الباب الذي أورده للشعر لبيان مفهومه وعروضه، لا نرى أبوابا مستقلّة للشعر وأخرى للنثر، وهو في هذا ينهج نهج العسكري في «الصناعتين»، وابن الأثير ضياء الدين في «المثل السائر».

وقد انعكست الغاية التعليمية على تبويب الكتاب، إذ حرص على أن يبوّبه تبويبا منهجيا منظما حتّى يسهل الانتفاع به، فيقدم بين يديه أربعة أبواب: الأول فيما يحتاج إليه الكاتب من العلوم والفضائل، فحدّد أصولا عشرة أوجب على الكاتب أن يحصّلها، وهي في مجملها مستمدّة من المثل السائر. ويبدو أن نجم الدين الذي اختصر الكنز قد أضاف إلى

هذا الباب أو لعله كله من عمله. والثاني في الفصاحة والبلاغة. والثالث في البيان والبديع. والرابع في الحقيقة والمجاز. ثمّ اتّجه إلى الدرس البديعي فأجاز منه سبعين لونا فرقها على سبعين بابًا بدأها بالاستعارة وأنهاها بذكر الشعر وما يتعلّق به، ثمّ تناول بالحديث حلّ الشعر والآيات والأحاديث، فحدد كلّ قسم وبيّن موقفه منه، وشرح للناثر ما ينبغي أن يراعيه إذا أراد حلّ بيت أو آية أو حديث.

ويمكن ملاحظة مجموعة من الملاحظات البالغة الأهمّية التي كان يمكن في ضوئها أن تتغيّر مسيرة الفكر البلاغي والنقدي عند العرب، خاصة بعد أن جنح الفكر البلاغي إلى التقسيم والتفريع والعناية بالحد والرسم وسوق شاهد أو شاهدين، حتّى صارت البلاغة إلى الأقيسة المنطقية أقرب. وربما بدأ ذلك منذ السكاكي ومن تابعه حيث بدأ تقسيم البلاغة إلى علوم، لكل علم حدّ ومباحث وشواهد، وبدأت المفاضلة تعرف طريقها إلى هذه العلوم.

جاء عماد الدين بعد السكاكي الذي وضع بذرة التقسيم فلا يوافق عليه، لأنه لا يرى الفصل بين علوم البلاغة جملة ولا بين البيان والبديع تفصيلا. وما ذاك إلاّ لأن الفلسفة التي قامت عليها فكرة التقسيم - وهي الفصل بين اللفظ والمعنى - فلسفة غير صحيحة، فما من باب من أبواب البديع والبيان إلا وله تعلّق باللفظ والمعنى على نحو يعسر معه الفصل بينهما. ومن ثمّ يرى أن تعريفات البلاغيين المتأخرين للبيان تعريفات قاصرة ومضطربة. وهذا يعني أنه يعود بالبلاغة العربية إلى ما كانت عليه من قبل فيطلق على كل فنونها مصطلح البديع فالاستعارة مثلا هي لديه أول أبواب البديع كما كانت عند ابن المعتز، بل إنه يدخل في دائرته النقد الأدبي أيضًا.

ومع ذلك لا يضيّق فنونه إلى خمسة كما فعل ابن المعتز، ولا يسرف فيها ذلك الإسراف الذي بلغ بها ابن أبي الإصبع - أحد أسلافه - إلى خمسة وعشرين ومائة فن.

تخلص عماد الدين من ذلك التشقيق والتفريع وإطلاق أسماء متعددة على الفن الواحد مما أدى إلى تورّم البديع وإلى فوضى في المصطلح معًا. كما حاول أن يحرّر المصطلحات تحريرا دقيقا. ولتحقيق غايته راح يرد الفروع البديعية المتعددة إلى أصل واحد، فالترديد والتصدير وردّ الأعجاز على الصدور، والتعطّف والمشاكلة يجمعها في باب واحد، ويسوّغ هذا الجمع بقوله: «فإن كل هذه الأبواب مادتها واحدة». وفعل مثل هذا كثيرا، فالإغراق والغلوّ والمبالغة باب واحد، والكناية والتعريض والإرداف والتتبيع والأحاجي والألغاز باب واحد، والطباق والمقابلة والتكافؤ باب واحد، وهكذا.

وفي مقابل ذلك نجد الإكثار من الشواهد المنتقاة على نحو قلّ أن نجد له نظيرا في كتب معاصريه (بلغت الشواهد الشعرية وحدها ألفين وخمسمائة وخمسة عشر بيتا عدا أنصاف الأبيات، على الرغم من أنه يعتذر في بعض المواضع عن عدم ذكر ما هو أكثر رغبة في الاختصار وخوفا من الإطالة)، لأنه أدرك أن سوقه للشواهد من أهم الوسائل التي تصقل الذوق وترهف الحسّ، ومن ثمّ لا غرو أن عزف عن الرديء منها، لأنه لا يصقل ذوقا

ولا يرهف حسّا. وقد يبدو الاستشهاد في بعض الأبواب قليلا إذا ما قيس بغيره، وذلك من عمل مختصر الكنز، ويدرك أن اللغة تتطور من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن ثمّ يربط الفصاحة بذلك التطور فليست الفصاحة وصفا مطلقا، وإنما تكون في كلّ زمان ومكان «بحسب فهم أهله للألفاظ الدائرة بينهم»، بل إنه يرى أن مفهوم الفصاحة قد يختلف في الزمن الواحد باختلاف الأماكن والبيئات، ورتب على ذلك نسب الحكم على اللغة وفقا لهذا المعيار فالجزالة والغرابة والابتذال وغير ذلك مما توصف به ألفاظ اللغة أمور تختلف باختلاف الأزمنة، ويدعو إلى التزام الأديب بقيم المجتمع، فما يرضى أن يمدح الرجل بغير ما هو فيه، ويرفض الهجاء المقذع الفاحش.

وقد رجع في مادة كتابه إلى مصادر كثيرة كان في مقدمتها كتب البلاغة والنقد التي سبقته وأفاد منها إفادة كبيرة، ولكنه كان حريصا على إبداء رأيه وإعمال فكره وذوقه.

آثاره

1 - كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، وما بقي منه هو ما اختصره ابنه نجم الدين وسماه جوهر الكنز، تح. محمد زغلول سلام، الإسكندرية د. ت 2 - إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام، نشر في دهلي 1313 هـ، وطبع في القاهرة 1346 هـ 3 - شرح رائية ابن عبدون (مفقود) 4 - عبرة أولي الأبصار في ملوك الأمصار (مفقود) 5 - تحفة العجائب وطرافة الغرائب، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية، رقم 499 جغرافيا (مشكوك في نسبته إليه) 6 - مؤنس الوحدة، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية، رقم 5070 أدب (مشكوك في نسبته إليه).

المصادر والمراجع

● ابن تغري بردي، المنهل الصافي، تح. محمد محمد أمين، القاهرة 1984، ج2، ص 391-392 ● ابن حبيب، تذكرة النبيه، تح. محمد محمد أمين، القاهرة 1976، ج1، ص230-254 ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجار، القاهرة 1977، ج6، ص 116.

د. عبد الواحد علام
جامعة القاهرة ـ مصر

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد

(... هـ / ... م ـ 630 هـ / 1232 م)

هو أبو الحسن، عزّ الدين، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزريّ. يُنسب إلى إقليم الجزيرة الواقع بين نهري دجلة والفرات، المعروف بجزيرة ابن عمر. ولد بها سنة (555 هـ/ 1160 م) وهو من أهلها، ثم سكن الموصل مع والده وأخويه: الأديب، والمحدّث، وسمع بها على الشيوخ، وتردّد إلى بغداد حاجّاً ورسولاً من صاحب الموصل، ثم رحل إلى الشام والقدس، وسمع هناك من جماعة، وعاد أخيراً إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى التوفّر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضائل لأهل الموصل والواردين عليها.

كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلّق به، حيث أقبل عليه في أواخر عمره، وسمع العالي والنازل. كما كان حافظاً للتواريخ المتقدّمة والمتأخّرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، فصنّف «الكامل في التاريخ»، واختصر كتاب «الأنساب» لابن السمعاني (ت 562 هـ/ 1166 م) واستدرك عليه في مواضع، ونبّه على أغلاط، وزاد أشياء أهملها، وأخرجها في كتاب بعنوان «اللباب في تهذيب الأنساب»، وهو كتاب مفيد جداً، وألّف عن الصحابة كتاباً جيّداً جمع فيه تراجمهم وأخبارهم مرتّبين على الحروف، سمّاه «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة»، ولما كان مقيماً في كنف دولة نور الدين محمود زنكي (ت596 هـ) وأولاده من بعده، فقد ألّف كتاباً عن تاريخ هذه الأسرة منذ قيام دولة «قسيم الدولة آقسُنقر» سمّاه: «الباهر في الدولة الأتابكية». ومن مؤلّفاته المفقودة حتى الآن «تُحف العجائب وطُرَف الغرائب».

ويعتبر «الكامل في التاريخ» أهمّ مؤلّفات المؤرّخ ابن الأثير، ومن أهم المصادر التاريخية عند المؤرّخين المسلمين بما يُسمّى «العصر الوسيط» لشموليّته تاريخ العالم الإسلامي، من أقصى بلاد الهند ونواحي الصين، شرقاً، حتى أقصى بلاد المغرب والأندلس، غرباً، وتناوُله لأخبار الروم والفرنج الأوربيّين، وأخبار الكُرْج والبُلغار، والصقالبة، والأرمن، وغيرهم من الأمم. وتغطيته لفترةٍ طويلة من العصر المعروف بـ «عصر الحروب الصليبية»، وهي المرحلة الحافلة بالأحداث الخطيرة، والتي تعرّضت فيها بلاد الشام ومصر لخطر الحملات والاحتلال، ومرحلة المقاومة والنضال، وتحرير الرُّها وبيت المقدس. إذ كُتب للمؤلّف أن يعاصر أسرتين جاهد أفرادهما في الله حق الجهاد ضد الغُزاة الفرنج الأوربيّين الذين استهدفوا ضرب مقوّمات الأمّة، هما الأسرة الزنكية، والأسرة الأيّوبيّة.

فهو من ناحية، عاش في كنف الزنكيّين بحكم إقامته في الموصل قاعدة مُلكهم. ومن ناحية أخرى، فقد رافق السلطان الناصر صلاح الدين في بعض غزواته ببلاد الشام ضدّ الفرنج. إذ يذكر في حوادث سنة 584 هـ أنه كان شخصياً مع السلطان صلاح الدين حين نزل تحت حصن الأكراد الواقع داخل «كونتيّة طرابلس» الفرنجيّة، ولكنّه لا يصرّح هل كان قد رافقه في إغارته على الحصون القريبة من هناك، ووصوله إلى قرب طرابلس الشام حيث «أبصر البلاد وعرف من أين يأتيها، وأين يسلك منها»، ورغم ذلك، فإننا نصبح أكثر ثقة وتثبّتاً بما يرويه «ابن الأثير» عن هذه المنطقة في تلك الحقبة، فهو الأقرب إليها زماناً ومكاناً، وهو هنا يماثل «العماد الأصفهاني» (ت 597 هـ) بمعاصرته ومعايشته للأحداث، ومعاينته ومرافقته لصلاح الدين، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرّخ «بهاء الدين بن شدّاد» (ت 632 هـ) صاحب «النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفيّة».

وإذا كان «ابن الأثير» قد اعتمد في تاريخه على كتاب تاريخ الرسل والملوك لـ «ابن جرير الطبري» (ت 310 هـ) اعتماداً أساسيّاً، وصرّح بذلك في أكثر من موضع، فإنه أتى بأخبار ووقائع لم يذكرها الطبريّ في تاريخه. إذ من المُلفت للاهتمام، ويدعو للتساؤل والاستغراب، أنّ «الطبريّ»، مع تتبّعه المُسْهب لحركة الفتوحات الإسلامية في أقاصي بلاد الشرق وبلاد الغرب، فإنه يهمل الحديث تماماً عن كيفيّة فتح المسلمين للساحل الشاميّ، وخصوصاً للمدن المعروفة: بعلبكّ، طرابلس، بيروت، صيدا، وصور، وغيرها من مدن الساحل، مع أنه يعرف ساحل الشام جيّداً، وتحديداً ساحل دمشق، بشكل خاص، فقد زاره أثناء طلبه للعِلم، ونزل بيروت وأقام فيها مدّة وقرأ القرآن بالروايات العَشْر على حافظها المقرئ: «العبّاس بن الوليد بن مَزْيد العُذري البيروتي» (ت 271 هـ)، فأتى ابن الأثير ليسدّ هذه الثغرة في «الكامل»، فنقل خبر تلك الفتوحات عن «فتوح البلدان» لـ «البلاذُريّ» (ت279هـ). وهذه القضية واحدةٌ من جملة قضايا أهملها الطبريّ وعمل ابن الأثير على إثباتها وتدوينها اعتماداً على المصادر القديمة المعروفة لدينا، أو المصادر القديمة المفقودة التي لم تصلنا.

وبذلك يكتسب الكامل نقطتين على تاريخ الطبري:

الأولى: إحاطته لمعلومات إضافية مهمّة ندّت عن الطبري.

الثانية: حِفظه لنصوص أخبار ضاعت مصادرها الأساسية.

وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى المنهجية التأريخية التي انتهجها «ابن الأثير» في «الكامل»، وهي إسقاطه للروايات المتكرّرة التي حشدها الطبريّ في تاريخه، ونقده لها، والأخذ بصحيحها، وتهذيبها من الأسانيد المُثْقلة للرواية والخبر، وأظهر بذلك حسّه التأريخي الواضح والمتفوّق عمّا عداه من العلوم والفنون التي شارك فيها.

وإذا كان قد حذا حَذْو الطبريّ في تأريخه لبداية الخلق والزمان وصولاً إلى البعثة النبويّة وظهور الإسلام، مروراً بتاريخ الرُسل والأنبياء، فإنّه لم يسلّم بكل ما نقله عنه، بل

أعمل النقد في مواضع كثيرة، وزاد عليه باباً مهمّاً تناول فيه «أيام العرب في الجاهلية» لتأصيل تاريخ الأمّة العربية، وهذه فلسفة للتاريخ القوميّ حرص مؤرّخنا أن يشدّد عليها في مضامين الكامل.

ويكاد كتاب الكامل أن يكون النموذج الأول في كتب التواريخ العامّة المعروفة بالحَوْليّات، التي اهتمّت بعرض الوقائع والأحداث في مختلف بقاع الدنيا - المعروفة آنذاك -، وتسجيل الوفيات في نهاية كل سنة، مع التزام الاختصار بالترجمة، وبات هذا المنهج في تدوين التاريخ والتراجم هو المنهج التقليديّ الذي اتّبعه المؤرّخون اللاحقون، أمثال «أبي الفداء» في «المختصر في أخبار البشر»، والذهبي في «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، وابن كثير في «البداية والنهاية في التاريخ»، والمقريزي في «السلوك لمعرفة دول الملوك»، وابن الجزري في «تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه»، وابن حجر في «إنباء الغمر بأنباء العُمر» وغيره.

ولا بدّ من التنويه بأنّ ابن الأثير - وهو المقيم في الموصل - لم يُغمِط من حقّ الشمال الإفريقيّ والمغرب الأقصى وبلاد الأندلس، فقد دوّن في ثنايا كتابه أخباراً مسهبة ودقيقة عن تلك المناطق لا نجدها في كثيرٍ من المصادر المغربية أو الأندلسية المعاصرة لتلك الحقبة، وهذه واحدةٌ من الخصائص المميّزة التي ينفرد بها «الكامل» دون سواه من مدوّنات عصره في المشرق والمغرب على السواء، وبه يُثبت ابن الأثير أنه مؤرّخ عالميّ بامتياز.

آثاره

1 - أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة 2 - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية 3 - تُحف العجائب وطُرف الغرائب (في حكم المفقود) 4 - الكامل في التاريخ 5 - اللُّباب في تهذيب الأنساب.

ويُضيف بعضهم:

6 - كتاب الجهاد 7 - الجامع الكبير في علم البيان (!) 8 - المستقصى في التاريخ.

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام، 5/ 153 ● حاجي خليفة، كشف الظنون 82، 179، 571، 1380، 1410 ● كحالة، معجم المؤلفين، 7/ 229، 228 ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1417 هـ/ 1997 م. (11 مجلّداً).

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس ـ لبنان

ابن الأثير، أبو الفتح نصر الدين بن أبي الكرم

(558 هـ/1162 م - 637 هـ/1239م)

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم الشيباني الجزري الملقب بابن الأثير ضياء الدين، أحد رجال البلاغة والنقد والأدب الذين حققوا شهرة كبيرة في الثقافة العربية.

ولد بجزيرة ابن عمر من أعمال الموصل بإقليم الجزيرة، وهي بلدة صغيرة على الشاطىء الغربي لنهر دجلة شمالي الموصل يوم الخميس العشرين من شعبان سنة 558 هـ، وتوفي ببغداد سنة 637 هـ عندما توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل.

ولضياء الدين أخوان: مجد الدين أبو السعادات المبارك، وقد تولّى ديوان الرسائل والوزارة، وعز الدين المؤرخ العظيم صاحب «الكامل في التاريخ» و«أسد الغابة في معرفة الصحابة».

تلقّى دروسه الأولى بالجزيرة، ثمّ أكملها بالموصل عندما انتقل إليها مع والده، وكانت الموصل - في القرن السابع - عاصمة الإقليم، وقاعدة دولة آل زنكي أقوى الإمارات الشرقية، والمنافس القوي لدولة صلاح الدين الأيوبي وخلفائه، فحفظ القرآن الكريم، وأصبح القرآن رافده الأول في معظم كتاباته، ولذا أخذ يواصل قراءته في المؤلفات التي تنتمي له مثل: «جواهر القرآن» للغزالي، و«تفسير الزمخشري»، و«تفسير النقاش» للبلاذري، ومع الكتاب الكريم اهتم اهتماما بالغًا بالحديث النبوي الشريف، وحفظ منه الشيء الكثير، حتّى إنه جمع منه مؤلفا تحدّث عنه في كتابه «الوشي المرقوم» قائلاً: «وكنت أتعبت نفسي زمانا في ذلك حتّى جمعت كتابا يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف خبر من الأخبار النبوية، ولا أزال في مطالعته كالحال حتّى صار لدي منضودًا، وبلسان قلمي معقودا» ثم انتقل ضياء الدين إلى دائرة الفقه والأصول، فقرأ شيئا من كتابات أبي حامد الغزالي مثل «إحياء علوم الدين» و«كتاب الأربعين». وفي الوقت نفسه أخذ يحصل في اللغة والنحو والبيان، وقد أشار في «المثل السائر» إلى أنّه قرأ في اللغة لأبي علي الفارسي، وكتاب «الروضة» للمبرّد، و«الخصائص» لابن جني، و«الأمثال» للميداني، و«إصلاح ما تغلط فيه العامّة» لأبي منصور الجواليقي، كما قرأ في الأدب كتاب «الأغاني» للأصفهاني، ومقامات الحريري، وقرأ في الشعر «ديوان الحماسة» لأبي تمام، و«اللزوميات» لأبي العلاء المعري.

وامتدت قراءة ابن الأثير إلى بعض كتب العلوم الطبيعية المعروفة في زمنه مثل كتاب «الفصول» لأبقراط في الطب.

أما كتب البيان، فقد قرأ عيونها مثل كتاب «النكت في إعجاز القرآن» للرماني، و«الموازنة» للآمدي، و«البيان والتبيين» للجاحظ، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر،

و«كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري و«سر الفصاحة» لابن الخفاجي، و«مقدمة ابن أفلح البغدادي» و«تذكرة ابن حمدون البغدادي».

أما أساتذته المباشرون فقد حضرهم في الموصل التي جمعت ثلة من خيرة العلماء آنذاك أمثال: العماد محمد بن يونس الموصلي، وابن الدهان سعيد بن المبارك، وابن الدهان الثاني يحيى بن سعيد، وابن المستوفي أحد كبار المؤرخين.

وقد رحل ابن الأثير إلى الشام سنة 587 هـ، والتحق بخدمة صلاح الدين الأيوبي وعمره إذ ذاك 29 عاما، حيث ساعده القاضي الفاضل على بلوغ هذا المنصب، لكن الأفضل بن صلاح الدين أستأذن أباه في أن يلحقه بخدمته في دمشق، وقد وافق السلطان، وكان ذلك سنة 587 هـ، ووصل الأمر بابن الأثير أن أصبح صاحب الأمر في دمشق، وبخاصة بعد موت صلاح الدين، ولم يرض عن ذلك كثير من الأمراء والقواد.

ثمّ انتقل ضياء الدين ابن الأثير إلى الموصل والتحق بخدمة نور الدين أرسلان شاه الأول سنة 589 هـ، ولما عاد الأفضل إلى السلطة بعد أن عزله أخوه العزيز عنها، واستقر بالقاهرة، لحق بن ضياء الدين، ومكث بالقاهرة نحو عامين، وقد ذكر طرفا من هذه الرحلة في كتابه «الوشي المرقوم» وذكر ابن خلكان رسالة له يصف فيها الديار المصرية، وفيها يصف النيل إبان فيضانه يقول فيها: «وعذب رضابه، فضاهى جنى النحل، واحمرّ صفيحه، فقلت إنّه قتل المحل».

وقد شارك في الحياة الأدبية بمصر، وجالس العلماء وناظرهم، يقول: «وكنت سافرت إلى مصر سنة 596 هـ، ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيّب المتنبي دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك، وقلت: إن كان لأن أبا الطيب دخل مصر، فقد دخلها قبله من هو مقدم عليه، وهو أبو نواس الحسن بن هانىء، فلم يذكروا لي في هذا شيئا، ثم إني فاوضت عبد الرحيم علي البيساني في هذا فقال: إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس، ولقد صدق فيما قال».

وقد اضطربت الظروف السياسية مرة أخرى بعد موت العزيز وطمع العادل شقيق صلاح الدين في السيطرة على حكم الدولة، واستطاع الأفضل وابن الأثير أن يهربا خفية إلى سميساط، وقد أشار ابن الأثير لهذه الرحلة في المثل السائر، ثمّ انتقل بعدها إلى حلب فلم يلق فيها ترحيبا، ولم يستمر بها طويلا، ثمّ انتقل إلى الموصل في خدمة أميرها عز الدين يعقوب الثاني، ثمّ ذهب إلى إربل سنة 611 هـ ثمّ سنجار، ثم عاد للموصل سنة 618 هـ، واستقر بها تسعة عشر عاما حيث عكف على ديوان الإنشاء يمارس أحبّ الأعمال إلى نفسه (الكتابة) التي طيرت شهرته في الآفاق.

في هذه المرحلة خلص للعلم، وألف أشهر كتبه «المثل السائر» الذي أكد مكانته العلمية، فتوافد عليه طلاب العلم، ورحل إليه بعض من أجلّة العلماء.

آثاره

1 - مختارات شعرية مجموعة من شعر أبي

تمام، والبحتري، وديك الجن، والمتنبي في مجلد واحد، وقد ذكره ابن خلكان معلقا عليه بأن «حفظها مفيد» 2 - مؤنس الوحدة، وهو أيضًا مختارات من شعراء كبار أمثال، البحتري وابن الرومي وأبي تمام وسواهم من شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد وجه ابن الأثير عنايته لمتابعة الأبنية التشبيهية. وهناك شك في نسبة الكتاب له، وإليه، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية مصورة عن الأصل المحفوظ بـ«كوبرللي» 3 - تحفة العجائب وطرفة الغرائب، وهو مجموعة من الشعر والنثر في مشاهد الكون المختلفة من سماء ونجوم وقمر، ويقع في جزئين كبيرين، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بمكتبة «كوبرللي» تحت رقم 1058، وهناك شك - أيضًا - في نسبة الكتاب لابن الأثير ضياء الدين، ورجح البعض نسبته لأخيه عز الدين 4 - الجامع الكبير في صناعتي المنظوم والمنثور، ولم ينل هذا الكتاب شهرة لأن بعض من أفادوا منه مثل بهاء الدين السبكي في «عروس الأفراح» نسبه إلى أخيه عز الدين، ومن الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية وقد حققه الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد سنة 1375هـ 5 - الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية، وهو كتاب في السرقات، تكلم فيه مؤلفه عن المعاني المشتركة بين الشعراء والناشرين، وخصّ ما أخذه المتنبي من أبي تمام، وقد استدرك كثيرا على كتاب ابن الدهان «المآخذ الكندية» 6 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو أشهر كتب ضياء الدين على الإطلاق، وقد بناه على مقدمة ومقالتين، أما المقدمة فتشتمل على أصول علم البيان، وأما المقالتان فتشتملان على فرعيه في الصناعة اللفظية، والصناعة المعنوية 7 - عمود المعاني، وقد أشار إليه في كتابه «الاستدراك» حيث جعله مقصورا على ضروب المعاني الموجودة في النظم والنثر 8 - المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، وهناك كتاب منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية، وعنوانه قريب من العنوان السابق وهو مفتاح المنشأ في علم الإنشاء تحت رقم 4934 أدب 9 - الوشي المرقوم في حل المنظوم، وقد ذكره كثيرًا في «المثل السائر» وتمّت طباعته بمطبعة ثمرات الفنون بمصر سنة 1298 هـ وهو تطبيق لآراء ابن الأثير في التضمين والاقتباس والاستعانة بالشعر في الكتابة 10 - رياض الأزهار، وقد ذكره بروكلمان، ومنه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس 11 - البرهان في علم البيان، وقد ذكره صاحب «تاريخ الموصل» سليمان صائغ، ومنه نسخة في برلين 12 - العقد، وقد أشار إليه ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» دون أن يحدد موضوعه أو محتوياته 13 - القول الفائق، وهو من الكتب المنسوبة لابن الأثير، ويجمع فيه بين فنون مختلفة من شعر أبي تمام والبحتري، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية عن الأصل المحفوظ بجامعة استانبول تحت رقم 1410؛ 14 - ديوان ترسل، في عدة مجلّدات، والمختار منه مجلد واحد، وقد ذكره أبو البركات بن المستوفى في تاريخ إربل.

المصادر والمراجع

● ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر 1977 ● المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1950 م ● رسائل ابن الأثير، تح. أنيس المقدسي، بيروت 1959 ● سلام، محمد زغلول، ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد، مكتبة نهضة مصر د. ت ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المأمون بالقاهرة 1355هـ؛ ● معجم البلدان، المطبعة الحسينية بمصر 1929 م.

د. محمد عبد المطلب

جامعة القاهرة ـ مصر

ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن اسماعيل

(...هـ / ... م ـ حوالي 470 هـ / 1077 م)

الإمام الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللّواتي المغربي الإفريقيّ. ويُعرف بابن الأجدابيّ. من أهل طرابلس الغرب [التجاني، 262؛ ياقوت، 1/ 130؛ السيوطي، 1/ 408؛ القفطي، 1/ 192؛ سركيس، 1/ 38؛ الزركلي، 1/ 23؛ كحالة، 1/ 14]. لم تذكر هذه المصادر شيئا مهمّا عن ولادته ونشأته، واكتفت بنسبته إلى أجدابية. وهي بلدة بين برقة وطرابلس الغرب، تبعد عنها حوالي خمس عشرة مرحلة [الزركلي، 1/ 32]، (أي ما يساوي 900 كلم تقريبا). تقع في صحراء أرضها حجرية، وبها آثار للرومان والإغريق، ذكرها البكري وغيره من الرحالة، إذ كانت ممرّا بين المشرق والمغرب وبها جامع حسن البناء، عامر بدراسة العلوم وحمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة. وأهلها ذوو يسار، أكثرهم أنباط، ولها مرسى على البحر. فتحها عمرو بن العاص مع برقة صلحا وأسلم كثير من بربرها [ياقوت، 1/ 100-101].

لكنّ الطاهر الزاوي [مقدمة تحقيق التذاكر، ص 17] انفرد بتحديد مكان ولادته ونشأته وأصله بقوله: «ولد بطرابلس ونشأ بها، وأصله من قبيلة لواتة البربرية، التي كانت تسكن أجدابية، لذلك قيل له الأجدابي». وتبعه في ذلك السائح علي حسين [مقدمة كفاية المتحفظ، ص 3].

أمّا وفاته فقد اختلفت فيها هذه المصادر، فبينما يكتفي رضا كحالة [1/ 14]، وسركيس [1/ 38]، بتاريخ تقريبيّ هو قبل سنة 600 هـ / 1203 م، يحدّد الطاهر الزاوي عصره بقوله «وكان موجودا في المائة الخامسة»

[ص19]. أما الزركلي فيذكر تاريخا محدّدا هو 470 هـ / 1077 م. ويبدو أنّه التاريخ الأقرب إلى الصواب، فالتجاني [ت721هـ]، وهو أقدم من ترجم لابن الأجدابي ترجمة مطوّلة نسبيًا، قد ذكر [ص 262]، في رحلته المعروفة إلى طرابلس (سنة 707 هـ)، اعتراض ابن الأجدابي على حكم أصدره قاضي طرابلس أبو محمد عبد الله بن هانئ الطرابلسي الذي ولي القضاء بين سنتي 444 و 477 هـ. وبذلك نستنتج أن ابن الأجدابي كان معاصرا لهذا القاضي، ولا يمكن حينئذ أن تكون وفاته حوالي 600 هـ.

يبدو أنّ صورة الأجدابي العلمية هي صورة لواقع الحضارة العربية في اتّساع ثقافتها، وتكامل علومها، وانتشار الكتب بين الناس على اختلاف الأصقاع التي أظلّها الفكر العربي. فقد قال فيه ابن غلبون: «كان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم: كلاما وفقها ونحوا ولغة ونظما ونثرا» [التذاكر، ص 266]. وذلك دليل على أنّ الازدهار الفكري في الحواضر الكبرى كان له صدى في المدن والأقاليم البعيدة، حتّى أصبحنا نشاهد علماء قد برعوا في شتّى فنون المعرفة دون أن يكونوا في حاجة إلى التنقّل خارج أوطانهم لتلقي العلم على شيوخ معروفين. وقد كان من هؤلاء ابن الأجدابيّ. فإنه لم يُعرف عنه أنّه غادر طرابلس الغرب.

وقد ذكر التجاني أنّه كان يحصل على أمّهات الكتب وينسخها بخطّه. ثمّ أضاف: «وكفى بهذا الرجل المعظّم القدر فخرا لهذا القطر ولو لم تكن له رحلة عن بلد طرابلس إلى غيرها، وقد سُئل: أنّى لك هذا العلم، ولم ترتحل فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناته، يشير أنّه استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين» [ص 264]. وقد كانت داره في وسط المدينة بالقرب من الجامع الأعظم [الطاهر الزاوي، 19]. وهو ما اعتبر دليلا على جاه وثراء، لأنّه كان يستغلّ هذا الموقع لاستقبال وفود العلماء والحجيج وإكرامهم بغية الاستفادة العلميّة منهم.

وقد صوّرت لنا المصادر الشّحيحة التي اهتمّت بابن الأجدابي عالما شكّل في ثقافته الموسوعية ما أفاده من إنجاز أربعة قرون من العلوم العربية الإسلامية. فهو عند التجاني: «من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا» (ص262). وهو عند ياقوت: «له أدب وحفظ ولغة وتصانيف» [1/ 130]. وهو عند القفطي: «من أهل اللّغة وممّن تصدّر في بلده واشتهر بالعلم.. وكانت له يد جيّدة في اللّغة وتحقيقها وإفادتها» [1/ 192].

■ آثاره

ذكر له التجاني سبعة كتب، وصفها بالجليلة والمفيدة في الفقه وغيره. وأضاف: «وأكثر هذه التآليف ملكتها بخطّه». وهي شهادة مهمّة على صحّة نسبة هذه المؤلّفات إليه [ص262-263]. وتنقسم كتبه إلى قسمين:

1 - **قسم مفقود**: ويشتمل على خمسة كتب، هي:

1 - شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء: وهو بحث نظريّ وتطبيقيّ، استوفى فيه جميع

أحكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك. وفيه تجاوز مجرّد السّرد إلى شرح الميزان الصرفي وبيان السبب الذي من أجله اعتلّت هذه الياء. مع بيان التغييرات اللّغويّة وأحكامها في حالات التصغير والتكسير وغيرهما من حالات التغيير وطوارىء التبديل. ولمّا استوفى الجانب النظري تعرّض في جانب تطبيقيّ لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الأحكام والقواعد [ابن غلبون، ص226] 2 رسالة الحول، وهي بحث أدبي استحضر فيه صاحبه حفظا غزيرا بجمعه الشوارد والشواهد والنوادر عن الحول، حتّى قال فيها الطاهر الزاوي: «آية في الإبداع ودليل على أدبه الجمّ» [ص18]. وكان ابن الأجدابي أحول. وسبب تأليفه هذه الرسالة تعيير القاضي ابن الهانش له بالحول، عندما اعترض على أحد أحكامه كما سبق [التجاني، 263] 3 - كتاب في العروض، امتاز بحسن ترتيبه وتهذيبه وهو نسختان كبرى وصغرى 4 - الردّ على أبي حفص بن مكّي في تثقيف اللّسان، و«تثقيف اللّسان» كتاب في اللّغة يندرج ضمن حركة اللّحن التي تركت لنا تآليف مهمّة حول تطوّر العربية ولهجاتها في القديم. ويبدو أنّ لابن الأجدابي اطّلاعا على حركة التأليف في عصره، بما أنّه شارك في الردّ على هذا المؤلّف المهمّ الذي ظهر في عصره، وأثار جدلا كبيرا. فإنّ تأليف كتاب «تثقيف اللّسان» تمّ في صقلّية - قبل أن يغادرها ابن مكي إلى تونس فيلي بها القضاء حوالي سنة 460 هـ - بما أنّ ابن مكّي كان قد عرضه على ابن البرّ التميمي الذي غادر صقلّية - بدوره - إلى الأندلس عام 460 هـ 5 - المختصر في علم الأنساب، اختصر فيه كتاب «نسب قريش» لأبي عبد اللّه بن الزبيّر. وقد مدح هذا الكتاب الشيخ أبو الحسن بن مغيث بقوله: «هو كتاب عجب لا كتاب نسب، وقد أدخل أبو إسحاق فيه من حفظه زوائد تشتمل على فوائد نبّه عليها» [ابن غلبون، 226].

2 - قسم مطبوع: ويشتمل على كتابي: ا - كفاية المتحفظ، (طبع في القاهرة: 1287 هـ، و 1313 هـ وفي بيروت: 1305هـ، وفي حلب: 1343) [السايح علي حسين، ص 112]. يعتبر هذا الكتاب أشهر مؤلّفات ابن الأجدابي، وهو كتاب صغير الحجم كثير النّفع شبيه بكتاب الفصيح. قال مؤلّفه: «هذا كتاب مختصر في اللّغة، وما يحتاج إليه من غريب الكلام. أودعناه كثيرا من الأسماء والصفات» [مقدّمة كفاية المتحفظ، ص 29]. والكتاب على اختصاره من الكتب الرائدة في بابه، فهو كما يدلّ عليه شكله ومحتواه غزير المادة واسع الأفق، لذلك قفز إلى مصافّ المراجع التي اعتمد عليها أهل اللّغة من أبناء المغرب والمشرق. وقد اهتمّ به الباحثون والدارسون، فشرحوه وعلّقوا عليه، بل نظموه في قوالب شعرية ليسهل حفظه. فقد نظمه شعرا القاضي شهاب الدين الخوئي (ت 696 هـ)، وإسماعيل بن محمد البعلي (ت 764 هـ)، وابن جابر الأندلسي (ت 780 هـ)، وقاضي الحرم ابن أبي بكر الطبري في ألف وثلاثمائة بيت. وكُتب على إحدى نسخه ما قاله جمال الدين بن العدوي فيه:

من كان يطلب للغريب وسيلة
من شاعر أو كاتب متلفظ
أو كان يبغي في الكلام بلاغة
فليحفظنّ كفاية المتحفظ.. إلخ

[عبد الرزاق الهلالي، ص 12-13].

والكتاب أقرب إلى معجم معان. فهو تأليف لغويّ يندرج ضمن حركة جمع اللّغة وحمايتها وتيسير حفظها على المتلقين متعلّمين أو مختصين. اهتم - على شاكلة كتاب الفصيح - بجمع المادة المعجميّة الفصيحة بحسب مواضيعها. وقد توخّى صاحبه في الجمع منهجا دالاً على هذه الغاية التعليميّة. فاختار موضوعاته مما تكثر الحاجة إليه، أو مما هو من طبيعة العقلية العربية (عالم الإنسان والحيوان والأكل والطبيعة..) فجعله مبسّطا خاليا من الاستشهادات، حتّى يسهل حفظه، مختصرا يساعد النشء على الإلمام باللاّزم من الأسماء والصفات دون الأفعال، لأنّها مما لا تعرض له تغييرات كبرى واضحا وعمليّا لا يعتدّ بما لم تعد الحاجة إليه قائمة من مهمل وغريب وشاذّ.. دون أن يتخلّى في جميع ذلك عن التزام شرط الفصيح، فلم يورد ألفاظا مولّدة. وهذا أمر طبيعي فقد كان هاجس الرّجل تلقين العربيّة قصد حمايتها من الفساد. وأبواب الكتاب خمسة وثلاثون بابا تبدأ بـ «باب صفات الرجال المحمودة».. وتنتهي بـ «باب في الآلات وما شاكلها». مرورا بصفات النساء والحلي والخيل والإبل والسلاح والنحل والجبال والرمال والطير والرياح والمطر والنبات والأطعمة والآنية والطيّب.. وقد أشار ابن الأجدابي إلى أهمّ مصادره وهي: الخليل، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي. إلى جانب استناده إلى الشعر الجاهلي والأعراب في البادية وكتب اللغة.. وقد أعاد السايح علي حسين تحقيق «كفاية المتحفّظ» تحقيقا علميّا، وأضاف إليه شواهد مهمّة، إلى جانب مقدّمة مطوّلة وفهارس، فخرج في حلّة جيّدة، ردّت إليه قيمته الحقيقية 2 - الأزمنة والأنواء، وهو دراسة لمواقيت الأنواء والرياح، وما يتّصل بهذا الفنّ من معرفة الزوابع ودراسة الأمطار ومعرفة منازل القمر على طريقة العرب.. لذلك قال حاجي خليفة: وفي ذلك كتب كثيرة.. أتمّها وأكملها ممّا ألّف العرب كتاب أبي حنيفة الدينوري (ت 282 هـ)... ولابن الأجدابي كتاب تضمّن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهابّ الرياح لطبيعة حياتهم الصحراوية القائمة على التنقل وطلب الكلإ والماء. وتواصلت عنايتهم به بعد الإسلام رغم تطوّر علوم الفلك، والهيئة والنجوم لكن هذا العلم قد تراجعت العناية به تدريجيّا إلى أن ظهر كتاب ابن الأجدابي. وهو الحلقة الأخيرة في سلسلة كتب الأزمنة والأنواء الموضوعة على مذهب العرب. فجاء خلاصة لهذا العلم عند العرب، إلى جانب ما أضافه إليه من علوم الهيئة والنّجوم التي ازدهرت بعد الإسلام، وقد نهج فيه صاحبه منهج الاختصار وتجنّب التفاصيل، وكأنّه قصد به تقريب هذا العلم من المتلقين العاديين.

يشتمل الكتاب على أربعة وعشرين بابا، يمكن أن نصنّفها ثلاثة أصناف: أ - صنف يندرج ضمن المعارف العربية القديمة منذ الجاهليّة، مثل باب «ذكر أسّ السنة العربية»، وباب

«معرفة مبلغ سني ذي القرنين» ب - صنف يندرج ضمن المعارف الإسلاميّة مثل باب «ذكر أوقات الصلوات»، وباب «معرفة سمت القبلة» ج - صنف يندرج ضمن ما أضافه ابن الأجدابي من معارف أعجمية وحديثة مثل باب «معرفة الشهور الشمسيّة وأسمائها عند الأعاجم وما يحدث في كلّ شهر منها من طلوع المنازل أو سقوطها»، وباب «في أوقات الفصول على مذهب أهل الرصد المحدث، وفي قسمة المنازل عليها على الوجه الذي أخبرنا أنّه الأشبه في أزماننا هذه». وإلى جانب ما لهذا الكتاب من قيمة علميّة ووثائقية تكمن في التعريف بهذا الفنّ عند العرب والعجم، وتيسير الاستفادة منه لدى عامّة الناس، فإنّ له فائدة أدبية تتمثّل فيما أورده من استشهادات كثيرة تطلع القارىء على ما للعرب من أشعار وأمثال وأسجاع في الجاهليّة والإسلام تدور حول الأزمنة والأنواء، وقد عمد الكاتب إلى شرحها وتوضيح معانيها في الغالب. كما أنّ له فائدة لغويّة معجميّة، إذ إنّ مفردات هذا الفنّ قد تحوّلت إلى مصطلحات علميّة، يمكن إذا ما جمعت ودرست أن تكشف مظاهر من تطوّر المصطلحيّة العربيّة ومدى قيامها على مبادىء وقواعد ثابتة في التوليد. وقد حقّق هذا الكتاب تحقيقا علميًّا عزّة حسن مع مقدّمة وهوامش وفهارس، ونشره بدمشق سنة 1964. فبدا بالفعل خاتمة هذا الفنّ وخلاصته.

المصادر والمراجع

● ابن الأجدابي، إبراهيم بن إسماعيل، الأزمنة والأنواء، تح. عزّة حسن، دمشق، 1964 ● كفاية المتحفّظ في اللّغة، تح. السايح علي حسين، (د. ت)، طرابلس ● ابن غلبون، التذاكر فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تح. الطرابلسي، الزاوي، الطاهر أحمد، ط2، 1967، طرابلس ● التجاني، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس طرابلس، 1981، الدار العربية للكتاب ● حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ 1399، 2/ 1500، بيروت، 1982، دار الفكر ● الزركلي، الأعلام، ط7، بيروت 1987، 1/ 32 ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، بيروت 1928، 1/ 38 ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (د. ت)، 1/ 408 ● الطرابلسي الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط 2، 1971، طرابلس ● القفطي، جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 192، القاهرة، بيروت، 1986 ● كحالة رضا، معجم المؤلفين، بيروت (د. ت)، 1/ 14 ● المصراتي، علي مصطفى، أعلام من ليبيا، ط 4، 1986، طرابلس ● الحموي ياقوت، معجم البلدان، 1/ 100-101، دار صادر، بيروت (د. ت) ● معجم الأدباء، دار الفكر، ط 3، بيروت 1980، 1/ 130.

د. الحبيب النصراوي
جامعة الوسط ـ تونس

الأجدابي، حسين بن أبي العباس

(... هـ/... م - 432 هـ/1040م)

حسين بن أبي العباس عبد الله بن عبد الرحمان الأجدابي، أبو عبد الله. أصله من أجدابية (مدينة ليبية من عمل برقة) مولده ومستقرّه بالقيروان.

فقيه مالكي، مقرئ، محدّث واسع الرواية أخذ عن أعلام المدرسة القيروانية، معدود في أصحاب أبي الحسن القابسي، وأبي محمد بن أبي زيد، رحل إلى المشرق ولقي جماعة من العلماء، فأخذ القراءات بمصر عن أبي بكر الأدفوي، وروى الحديث عن أبي زرعة الجرجاني.

ورجع إلى القيروان بعلم جمّ وانتصب للتدريس والرواية، فأخذ عنه جماعة من أهل القيروان وصقلية منهم ابن سعدون القروي، وعبد الحق الصقلي. كانت وفاة الأجدابي سنة 432 هـ/ 1040 م.

آثاره

اعتنى أبو عبد الله الأجدابي بتأليف وجمع أخبار جماعة من الصالحين القيروانيين:

1 - مناقب ربيع القطان ت 333 هـ
2 - مناقب أبي الفضل الممّسي ت 333هـ
3 - مناقب أبي إسحاق السبائي ت356 هـ
4 - مناقب أبي مروان عبد الملك بن نصر (ت340). وقد بلغتنا المناقب الأولى والثانية والثالثة في رواية المالكي في رياض النفوس 2/ 292-305، 323-346، 469-305. أمّا الرابعة فلم نعرف خبرها إلاّ من صاحب المدارك.

المصادر والمراجع

● ترتيب المدارك، 7/ 100-101
● معالم الإيمان 3/ 170 ● كتاب العمر، ح. ح. عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي وبشير البكوش، ج 4 (الترجمة رقم 420). ● تراجم المؤلفين التونسيين، 1/ 51.

بشير البكوش
أمين مكتبة مجلس النواب - تونس

ابن الأجدع، مسروق بن مالك

(... هـ / ... م - 63 هـ/683 م)

هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان، بن معمر، ويقال: سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد، ابن عبد الله بن وادعة، بن عمر بن عامر، بن ناشيح بن دافع بن جُشَم، بن حاشد بن جُشم بن خَيوان بن نوف، بن همدان.

ذكر كل من ترجم له أن كنيته: أبو عائشة، وأضاف ابن عساكر له كنية أخرى فقال: «ويقال: أبو أمية الهمداني» [تاريخ دمشق، 57/ 396]، وقال ابن الجزري: «ويقال: أبو هاشم» [غاية النهاية في طبقات القراء، 2/ 294]، ولم يتابعا على هاتين الكنيتين.

مسروق: قال: قال أبو العباس الزبيدي: «كان سُرق وهو صغير، فسمي مسروقاً» [طبقات الخواص، 339].

ولد مسروق بن الأجدع في اليمن، أسلم ولم ير النبي ﷺ، فَعُدّ من كبار التابعين [سير أعلام النبلاء، 4/ 64]، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ولم يروه. ثم قدم إلى المدينة المنورة زمن أبي بكر [سير أعلام النبلاء 4/ 66] وصلى خلفه، ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما [طبقات الخواص، 339؛ والخبر في الإصابة، 6/ 230]، فغير اسم أبيه. قال الزبيدي في طبقات الخواص: «مسروق بن الأجدع لقي عمر بن الخطاب فقال له: ما اسمك؟ فقال: مسروق بن الأجدع فقال له: إن الأجدع شيطان، بل أنت ابن عبد الرحمن فكان يعرف بذلك، وكان أبوه قد أسلم» [طبقات الخواص، 340].

عاش مسروق حياة الفقر، وأبى أن يأخذ أجراً على القضاء بعد أن وَلِي القضاء في الكوفة، فقد نقل عن محمد بن المنتشر عن أبيه: «أن مسروقاً كان لا يأخذ على القضاء أجراً ويتأول هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ **[التوبة: 111]**».

واستقر بعد ذلك في الكوفة، وولي لمعاوية في إمرة زياد [تاريخ دمشق، 57/ 398] وعين والياً على السلسلة [تاريخ دمشق، 57/ 398]، وتولى القضاء لما غاب شُرَيح في البصرة، فقد ذكره ابن عساكر في تاريخه عند تسميته لأهل الكوفة. فقال: «مسروق بن الأجدع» وفي تسمية قضاة الكوفة زمن معاوية قال خليفة بن خياط: «ولم يزل شُرَيْح قاضياً عليها فأحْدَره زياد إلى البصرة فتقضى عليها بعد مسروق بن الأجدع حتى رجع شريح، وذكر أنه غاب في البصرة سنة» [تاريخ دمشق، 57/ 398].

وقال أبو وائل: «كنت مع مسروق في السلسلة فما رأيت أميراً قط كان أعف منه، ما كان يصيب إلا ماء دجلة» [تاريخ دمشق، 57/

415]. وعن الأعمش بن شقيق قال: «كان مسروق على السلسلة سنتين فكان يصلي ركعتين ركعتين يبتغي بذلك السنة» [أعلام المحدثين والفقهاء، 289].

وعن عامر الشعبي قال: «استعمل زياد مسروقاً على السلسلة فانطلق فمات بها. فقيل له: كيف خرج من عمله؟ قال: ألم تروا إلى الثوب يبعث به إلى القصار فيجيد غسله فكذلك خرج من عمله» [تاريخ دمشق، 57/ 391].

وقد شهد التحكيم أيام علي رضي الله عنه، قال روح بن عبادة، حدثني المثنى القصير عن محمد بن المنتشر، عن مسروق بن الأجدع قال: كنت مع أبي موسى أيام التحكيم وفسطاطي إلى جانب فسطاطه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل. فلما أصبح أبو موسى رفع رفرف فسطاطه، فقال: يا مسروق بن الأجدع، قلت: لبيك أبا موسى، قال: إن الإمرة ما اؤتمر فيها وإن الملك ما غلب عليه بالسيف [سير أعلام النبلاء، 4/ 65].

كان مسروق بن الأجدع من كبار التابعين ومن أفراد الزاهدين. كثير العبادة يجتهد فيها حتى أثار شفقة من حوله عليه لما يفعله بنفسه، روي عنه أنه قيل له: «لو رفقت بنفسك، قال: والله لو أتاني آت وأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت فكيف وأنا لا أدرى إلى ماذا أصير ؟!» [طبقات الخواص، 340]، وروي عنه أنه حج في بعض السنين، فكان لا ينام ليلاً ولا نهاراً إلا أن يكون في حالة السجود [سير أعلام النبلاء، 4/ 67-68]، وعنه أنه كان صائماً في يوم صائف شديد الحر فغشي عليه، فطلب منه أن يرفق بنفسه ويفطر فأبى..

روى الشعبي أن مسروقاً غشي عليه في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته فسمى بنته عائشة، وكان لا يعصى ابنته شيئاً. قال: «فنزلت إليه، فقالت له: يا أبتاه أفطر واشرب، قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» [تاريخ دمشق، 57/ 430].

وعن أبي الضحى كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: «هاتوا كل حاجة لكم. فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة» [حلية الأولياء، 2/ 112]. وعن محمد بن المنتشر قال: «كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم» [سير أعلام النبلاء، 4/ 65].

وقال الذهبي: عن زوجته قَمير: «كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه» [سير أعلام النبلاء، 4/ 69].

عاش مسروق فقيراً، ومات فقيراً، ومما يروى عنه: أنه «أصبح يوماً وليس لعياله رزق. فجاءته امرأته قَمير، فقالت: يا أبا عائشة، إنه ما أصبح لعيالك رزق اليوم، فتبسم وقال: والله ليأتينهم الله برزق» [الطبقات الكبرى، 6/ 141].

وعن علقمة بن مرثد قال: «انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: منهم مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقاه قد

انتفختا من طول الصلاة، فلما احتُضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع ؟ قال: ما لي لا أجزع وإنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي! بين يدي طريقان لا أدري إلى الجنة أم إلى النار» [حلية الأولياء، 2/ 112].

وعن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن المنتشر قال: «كان مسروق يركب كل جمعة بغلة ويحملني خلفه، ثم يأتي كناسة بالحيرة قديمة فيحمل عليها بغلته ثم يقول: الدنيا تحتنا» [حلية الأولياء، 2/ 113]، وعن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: «بلغني أن مسروقًا أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة، وقال: ألا أريك الدنيا؟ هذه الدنيا، أكلوها فأفنوها، ولبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها، وسفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم» [الطبقات الكبرى، 6/ 141].

ومع فقره الذي كان فيه، كان لا يأخذ على القضاء أجرًا، ورفض عطاء قُدِّمَ إليه من خالد بن أسيد، فعوتب على ذلك. روى إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه: «أن خالد بن أسيد بعث إلى مسروق بن الأجدع بثلاثين ألفاً، فأبى أن يقبلها فقلنا: لو أخذتها فوصلت بها رحماً وتصدقت بها، وصنعت، وصنعت، فأبى أن يقبلها» [سير أعلام النبلاء، 4/ 69]. وقال أبو إسحاق السُّبَيْعي: «زوّج مسروق ابنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف درهم لنفسه، جعلها في المجاهدين والمساكين [سير أعلام النبلاء، 4/ 69]، وكان يقول: لأن أقضي بقضية وفق الحق، أحبّ إلي من رباط سنة في سبيل الله، أو قال: غزو سنة» [سير أعلام النبلاء، 4/ 66].

وعن الأعمش عن أبي الضحى قال: «غاب مسروق عاملاً على السلسلة سنتين ثم قدم، فنظر أهله في خرجه فأصابوا فأساً فقالوا: غبت ثم جئتنا بفأس بلا عود، قال: إنّا لله استعرناها، نسينا أن نردّها» [أعلام الحفاظ والمحدثين، 291]. وعن إبراهيم بن محمد المنتشر عن أبيه قال: كان لمسروق قميصان قميص قطن وقميص كتان، فكان يلبس أحدهما تحت الآخر [تاريخ ابن عساكر، 57/ 397].

خرج مسروق من اليمن، إلى المدينة المنورة، وصلى خلف أبي بكر، ورأى عمر بن الخطاب، وذهب إلى البصرة، ثم إلى الشام والكوفة طلباً للعلم، ومما روي عنه في هذا الباب ما رواه الشعبي قال: «خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علماً، وأخبر عن رجل من أهل الشام يقدم علينا هاهنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها» [تاريخ ابن عساكر، 57/ 397]، وربما رحل من أجل حرف واحد. وقرأ القرآن على عبد الله بن مسعود، فقد ذكر ابن الجزري عن مسروق قال: «كان عبد الله يقرئنا القرآن في المسجد ثم يجلس يفتي الناس» [غاية النهاية، 294]، وقد جالس عبد الله بن مسعود سنة كاملة، قال متحدثاً عن نفسه: «لقد اختلفت إلى عبد الله بن مسعود من رمضان إلى رمضان لم أغبه يوماً» [تاريخ دمشق، 57/ 407]، وسأل أصحاب النبي قال: «قدمت المدينة المنورة فسألت عن أصحاب النبي ﷺ، فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم» [أعلام المحدثين والفقهاء، 295]، وسأل السيدة

عائشة رضي الله عنها عن الكثير من المسائل وحدث عنها.

شهد مسروق بن الأجدع موقعة القادسية (17هـ)، وشلّت يده فيها، قال الكلبي: «شُلّت يد مسروق يوم القادسية وأصابته آمة، وكان يقول: «ما أحب أنها ليست لي - يعني الآمة - لعلها لو لم تكن لي كنت في بعض هذه الفتن [تهذيب التهذيب، 10/ 101]، وشهد صفين من الإمام علي رضي الله عنه، ولكنه لم يحارب، بل وقف ناصحاً مرشداً، روى ابن سعد بسنده عن زيد بن عاصم قال: ذكر أن مسروق بن الأجدع أتى صِفّين، فوقف بين الصفين ثم قال: يا أيها الناس أنصتوا. ثم قال: أرأيتم لو أن منادياً ناداكم من السماء، فسمعتم كلامه ورأيتموه، فقال: إن الله ينهاكم عما أنتم فيه، أكنتم مطيعيه ؟ قالوا: نعم، قال: فو الله لقد نزل بذلك جبرائيل على محمد ﷺ، فما زال يأتي من هذا ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، ثم انساب في الناس فذهب [طبقات ابن سعد، 6/ 141].

وقال وكيع: «تخلف عن علي: مسروق، والأسود، والربيع بن خُثَيْم، وأبو عبد الرحمن السُلَمي، ويقال: شهد صفين فوعظ وخوف ولم يقاتل، وقيل شهد قتال الحرورية مع علي، واستغفر الله من تأخره عن علي» [سير أعلام النبلاء، 4/ 67].

وقد استطعنا أن نقف على بعض أبناء أسرته منهم:

والده الأجدع: وقيل غيّر عمر بن الخطاب اسمه، فسماه عبد الرحمن، فكان يعرف بهذا الاسم، وكان أفرس فارس باليمن [تاريخ دمشق، 57/ 401]. هلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [الإصابة، 230] قال ابن قتيبة وكان الأجدع شاعراً وهو الذي قال في وصف الخيل:

وكأن صرعاها كِعاب مقامر
ضُرِبَت على شَزْنٍ فهنّ شَواعي

[تاريخ دمشق، 57/ 401]

زوجته: قَمير بنت عمرو الكوفية، امرأة مسروق بن الأجدع، روت عن زوجها مسروق عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. قال العجلي: «تابعية ثقة، روى لها أبو داوود والنسائي» [تهذيب الكمال، ج. 35، النساء 273، رقم الترجمة 7912].

ابنته: عائشة سماها باسم أم المؤمنين عائشة، وكان يجلها ولا يعصي لها أمرا، كما أخبرنا الذهبي [سير أعلام النبلاء، 67 - 68].

إخوته: روي عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، قال: «كان مسروق بن الأجدع، قد شهد القادسية هو وثلاثة إخوة له: عبد الله، وأبو بكر، والمنتشر بن الأجدع، فقتلوا يومئذ بالقادسية، وجرح مسروق فشلت يده وأصابته آمة» [الطبقات الكبرى، 6/ 140؛ وتاريخ دمشق 57/ 431].

ولم تحدثنا المصادر عن عبد الله وعن أبي بكر إلا ما ذكر، ولكننا وقفنا على أسماء أبناء للمنتشر منهم: محمد بن المنتشر وهو أبو إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات [الجمع بين

رجال الصحيحين، 2/ 450؛ وتهذيب التهذيب، 471/ 9]، وقيل عن ابنه إبراهيم ثقة مات بعد المئة الأولى للهجرة من قاطني أهل الكوفة [مشاهير علماء الأمصار، 195]. والمغيرة بن المنتشر، ذكره ابن سعد [الطبقات الكبرى، 6/ 306 رقم الترجمة 2381].

خاله: هو عمرو بن معدي كرب: أسلم سنة تسع، وقيل سنة عشر، شهد اليرموك، وقتل يوم القادسية، وتوفي سنة 21 هـ [أسد الغابة، 4/ 261].

أثنى عليه كل من ترجم له وشهدوا له بالفضل، قال عنه الشعبي: «ما رأيت أحداً من الناس أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق» [تاريخ دمشق، 57/ 406]. وقال ابن معين عنه: «ثقة لا يُسْأل عن مثله» [خلاصة تذهيب الكمال، 3]. وقال أبو إسحاق الشيرازي: «وذكر الشعبي شريحاً ومسروقاً، قال: كان مسروق أعلمهم بالفتوى» [طبقات الفقهاء، 80]. وقال العجلي: «كوفي تابعي، ثقة، أحد أصحاب عبد الله بن مسعود الذين كانوا يقرئون ويفتون» [الإصابة، 6/ 230]، وقال أحمد بن داوود الحراني: «قال: سمعت عيسى بن يونس يقول: إذا حدث عن مسروق كان ضخماً في الجاهلية، وفي الإسلام أضخم وأضخم» [تاريخ دمشق، 413/ 57].

قال أبو نعيم: «أسند مسروق من المسانيد ما لا يعد كثرة، وأحاديثه موجودة في الكتب الستة وغيرهما من كتب السنة» [أعلام الحفاظ والمحدثين، 299]، روى هذه الأحاديث عن كبار الصحابة، فروى عن أبي بكر وعمر، وأخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن مسعود وعن أبي بن كعب، وعلي ومعاذ بن جبل، وأبي ذر الغفاري، وزيد بن ثابت، والمغيرة، وعائشة. وعن أمها أم رومان، وهنا في روايته عن أم رومان خلاف، فعدّها البعض من قبيل المرسل، وقال آخرون سمع منها لأن وفاتها تأخرت وهو حديث واحد أخرجه البخاري في صحيحه [والحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك رقم الحديث، 3912].

وروى عنه زوجته قُمير بنت عمرو، وأبو وائل (شقيق بن سلمة)، والشعبي، وأرسل عنه مكحول، وابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع وإبراهيم النخعي، والسُبَيْعي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن مرة، ويحيى بن وثاب، ويحيى بن الجزار، وعبيد بن نُضَيْلة، وأنس بن سيرين، وأبو الضحى (مسلم بن صبيح).

حدثنا محمد بن عقبة قال: سمعت الأصمعي يقول: كان مسروق يتمثل:

ويكفيك مما أغلق الباب دونه
وأرخى عليه الستر ملح وجردق
وماء فرات بارد ثم تغتدي
لقارض أصحاب الشريد الملبق
تجشا إذا ما هم تجشوا كأنما
غذيت بألوان الطعام المفتق

[حلية الأولياء، 2/ 113]

ومن أقواله مما نقل عنه قوله: «كان يقول: أحسن ما أكون إذا قال لي الخادم: ما في البيت قفيز ولا درهم» [طبقات الخواص 340]. وكان يقول: «حسب المرء من الجهل

أن يُعْجب بعلمه، وحسب المرء من العلم أن يَخْشى الله تعالى» [طبقات الخواص، 340].

وقال: «إن المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها بنفسه، ويتذكر ذنوبه، ويستغفر الله منها» [طبقات الخواص، 340].

وكان يقول: «إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله تعالى».

توفي مسروق بن الأجدع سنة ثلاث وستين بالكوفة، وهو ما ذهب إليه ابن عساكر وابن سعد. قال ابن حجر: «قال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وستين، وأرخه غيره سنة ثلاث وستين، وهو قول الجمهور» [الإصابة، 6/ 231] وقال ابن حبان: «ولاه زياد على السلسلة ومات بها سنة اثنتين أو ثلاث وستين وقيل إن قبره بالسلسلة بواسط» [سير أعلام النبلاء، 67؛ وتهذيب التهذيب 10/ 101]، وحين حضرته الوفاة قال: «اللهم لا أموت على أمر لم يسنه رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، والله ما تركت صفراء ولا بيضاء عند أحد من الناس، غير ما في سيفي هذا فكفنوني به»، وعن الشعبي قال: «حضرت مسروق الوفاة فلم يترك ثمن كفن، فقال: استقرضوا ثمن كفني ولا تستقرضوه من زرّاع ولا متقبل، ولكن انظروا صاحب ماشية أو رجلاً يبيع ماشية فاستقرضوه منه» [الطبقات الكبرى، 6/ 145].

المصادر والمراجع

● ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد الموجود ج 5/ 150، رقم الترجمة 4870 ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1/ 210 ● ابن حبان، محمد بن أحمد البستي، مشاهير علماء الأمصار، تعليق مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ص 126/ رقم الترجمة 746 ● ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، تهذيب التهذيب ج 10/ 102، رقم الترجمة 6911 ● الاصابة في تمييز الصحابة ج6/ 229، رقم الترجمة 8426 ● م.ن، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6/ 138-141، رقم الترجمة 1977 ● ابن عبد ربه، العقد الفريد 2/ 301 ● ابن عساكر، تاريخ دمشق ج 57/ 396-415، رقم الترجمة 7370 ● ابن العماد الحنبلي، أبو الفرج عبد الحي، شذرات الذهب، دار الفكر، بيروت 1/ 70 ● ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، ط 1 1414 هـ، 1/ 102 ● ابن القيسراني، أبو الفضل، محمد بن طاهر بن علي المقدسي، الجمع بين رجال الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2/ 516 ● أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، تحقيق عبد القادر عطا ج 2/ 111-113، رقم الترجمة 164 ● البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق إبراهيم زايد، توزيع دار الباز، مكة المكرمة 1/ 150 ● التاريخ الكبير، مؤسسة

الكتب الثقافية، 35/ 8، رقم الترجمة 2065 ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، 235-232/ 13 ● الدارقطني، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، دار الفكر، ج 1، رقم الترجمة 1110 ● الدارمي، عثمان بن سعيد، تاريخ الدارمي ص 203، دار المأمون للتراث، دمشق، رقم الترجمة 748 ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4/ 63-68، رقم الترجمة 17 ● م.ن، العبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وفيات 63هـ 68/ 1 ● م.ن، تذكرة الحفاظ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، 120/ 3، رقم الترجمة 5488 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام 7/ 215، دار العلم للملايين، بيروت ط14/ 1999 ● الزبيدي، أبو العباس، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر، ص 339-340 ● السيوطي، جلال الدين، طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية بعابدين ص 14 ● م.ن، خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق الشيخ محمود عبد الوهاب فايز، مكتبة القاهرة، ج. 3، رقم الترجمة 6942 ● الشيرازي، أبو إسحاق، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ص 79 ● العجلي، معرفة الثقات، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، 2/ 73، رقم الترجمة 1709 ● العمري، محمد علي قاسم، سؤالات أبي عبيد الآجري، ص 171، المجلس العلمي لإحياء التراث، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. 1 1403 هـ / 1983 م ● الفسوي، أبو يوسف، يعقوب بن سفيان، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النجوي ج 1/ 560-562، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ط. 2، 1401 هـ / 1981 م ● المزي، جمال الدين، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، مجلد 27/ 451 رقم الترجمة 5902 ● اليافعي، أبو محمد، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 112/ 1.

د. أميمة بدر الدين
جامعة دمشق - سوريا

ابن أجَّمَدْ، زين العابدين بن محمذن

(1277 هـ/ 1860 م - 1358 هـ/ 1939 م)

زين العابدين بن محمذن بن أَجَّمَدْ اليدالي الشَّمْشَوِيّ، فقيه قارىء ومتصوف زاهد ولغوي أديب.

ولد ابن أجَّمَدْ سنة 1277/ 1860 بموضع يقع في منطقة إيكيدي بالجنوب الغربي الموريتاني يبعد حوالي مائة كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة نواكشوط. وترعرع هذا الطفل في بيت علم وأدب ينحدر من عائلة عريقة اشتهرت بمكانتها في المنطقة مما كان له تأثيره البالغ في تكوين ملامح شخصيته وتهيئته الذهنية والنفسية لأن يسلك طريق الآباء والأجداد في تحصيل العلم والأدب.

وقد بدأ زين العابدين دراسة القرآن على والدته مريم بنت عبد الله جَنْكي (ت في حدود 1315/ 1898) ثم انشغل مبكرا بتحصيل فنون عصره، فأخذ يدرس علوم الفقه على شقيقه أحمد بن أَجَّمَدْ (1354/ 1935) وعلوم اللغة على أخيه لأمه المختار بن جَنْكِي (1320/ 1902) الذي كان من أبرز اللغويين في المنطقة. كما درس الأصول والمنطق والبيان على محمذن بن محنْضْ بَابَه بن اعْبَيْد الديماني والسيرة النبوية على محمد فالْ بن أبني التَّمَكْلاوي. وواصل ابن أجَّمَدْ تعميق معارفه في الفقه على يد المختار بن ألمّا اليدالي، وفي البيان عند أحمد بن زياد الديماني، وفي علوم القرآن على يد محمد فال بن بُوفَرَّه الحاجّي الذي درس عليه الرسم والقراءات والذي أجازه في علوم القرآن. ودرس أيضًا على محمدو بن محمذن فال بن متالي التندغي وعنه أخذ الطريقة الشاذلية.

وبعد أن حاز نصيبا وافرا من علوم عصره اختار لنفسه منطقة آفْطوطْ الساحلي سكنا لقرب الأهل وتوفر المياه الضرورية للتطهر بها [الأمير بن آكّاهْ، مقدمة التحقيق].

ثم كرس ابن أجَّمَدْ حياته للتعبد والتدريس والتأليف. وقد تتلمذ عليه أفواج من الطلبة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- المختار بن المحبوبي اليدالي - محمد بن البار التندغي - محمد الأمجد بن أبي المعالي اليعقوبي - عبد الله بن النابغة الأنتابي - الشيخ بن أوّاه الأبييري.

تتضح مكانة الرجل العلمية من خلال مؤلفاته التي يبرهن كَمُّها على سعة اطلاعه وتعدد مشاربه، كما يبرهن كيفها على تمكنه من هذه العلوم والقدرة على تكييفها لتستجيب لمشاكل تطرحها ظروف الزمان والمكان والإنسان. وقد توفي ابن أجَّمَدْ سنة 1358/ 1939 .

وتمتاز مواقف الرجل بالاعتدال والمرونة في مختلف القضايا التي أثيرت في عصره ومن أهمّها:

- الموقف من الاستعمار الفرنسي للبلاد الذي انقسم الفقهاء حوله قطبين: أحدهما ينظر للتعامل مع المستعمر، بينما يدعو الثاني إلى الجهاد والهجرة حيث نقل عنه قوله: «إن تولي النصارى بالقلب كفر وتوليهم بالبدن فسق، وإن كل من استولوا عليه مسجون إلا أنه في مأمن على دينه ونفسه (...) فأي فائدة من الهجرة إن كان المهاجر إليه أشد ضررا من المهاجر عنه؟» [أحمد فال بن سيدي أحمد، الغرر السواطع، ص 14].

- الموقف من تناول الشاي: حيث تباينت الآراء بين من اعتبروه حراما لما رأوا من وجوه الشبه بينه وبين الصهباء من حيث اللون والكأس والنديم والساقي إلخ.. وبين من جعلوه بمثابة الفاكهة التي لا غنى عنها. وقد وقف ابن أَجَمَّدْ موقف المتبصر وخلص إلى أن الشاي مباح على قاعدة حلية كل ما لا يسكر مؤلفا في ذلك كتابه «التسديد المتفكر في إباحة كل شراب لا يسكر».

- الموقف من الطريقة التيجانية التي تناقضت الآراء بشأنها ما بين معتنق لها يعتقد أنها أفضل وسيلة تقربه من الله، وعدو لها يعتبرها بدعة ويذهب إلى حد تكفير معتنقيها. وقد وقف زين العابدين موقف المدافع عن التيجانية رغم أنه شاذلي الطريقة، وألف كتابه «المواهب الربانية في اعتقاد أحسن المذاهب التيجانية» في الرد على التهم الموجهة إلى أصحاب تلك الطريقة مما يظهر بُعده عن التعصب الطائفي.

آثاره

ترك زين العابدين بن أَجَمَدْ آثارا متنوّعة تناولت مختلف المعارف المتداولة في عصره نذكر منها:

1) في العقيدة:

1 - نظم في سبب ضلال من ضل 2 - تعليق عليه 3 - مجموعة أنظام أخرى.

2) في القرآن، تفسير:

4 - منظومة من ثلاثة آلاف بيت عقد بها كتابا لابن عطاء الله في التفسير 5 - شرح على هذه المنظومة 6 - منظومة في تفسير مبهمات القرآن 7 - منظومة في ترتيب سور القرآن بحسب النزول 8 - منظومة في ترتيب سور القران بحسب عدد الآي 9 - إعراب جمل القرآن 10 - طريقة السداد في تحقيق أمر الضاد 11 - نظم الوجوه والنظائر 12 - نظم في ما ورد في القرآن من المعاني 13 - الغرر السواطع، وهو احمرار على نظم ابن بري التازي المعروف بـ«الدرر اللوامع»، وقد تم تحقيقه بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة 1993 14 - نظم الإتقان في علوم القرآن.

3) في القراءات:

15 - نظم في القراءات السبع 16 - تعليق عليه 17 - توشيح الدرر اللوامع مضيفا باقي القراءات السبع.

4) في السيرة:

18 - نظم لأهل الصفة 19 - منظومة في من صحبوا النبي ﷺ مع آبائهم وأبنائهم 20 - احمرار وضعه تكميلا على نظم أخلاق الرسول ﷺ لمحمذن فال بن متالي التندغي (ت 1287/ 1870) 21 - احمرار

على نظم الشهداء لابن متالي 22 - النهر العسل المصفى في فضل مدح النبي المصطفى.

5) في الفقه:

23 - نظم في الأصول 24 - شرح على تكميل المنهج لميارة 25 - خليل الأبيض وهو تأليف في حل ألفاظ مختصر خليل 26 - تسديد المتفكر في إباحة كل شراب لا يسكر وهو تأليف في حلّية الشاي 27 - رسالة في مشروعية السدل 28 - نظم فتاوى عبد القادر الفاسي، وقد حقق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة 1988 29 - فتاوي محنض بابه بن اعبيّد الديماني (ت 1277) وقد حقق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، 30 - نظم فتاوى محمذن فال بن متالي التندغي 31 - نظم فتاوى سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت 1233/ 1818) 32 - تأليف في الدماءات حقق سنة 1994 بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

6) في التصوّف:

33 - المواهب الربانية في اعتقاد أحسن المذاهب التجانية، وقد رد فيه على تهم موجهة إلى الطريقة التجانية، ويحققه حاليا الأستاذ الأمير بن آكاه 34 - شرح على خاتمة التصوف لمحمد اليدالي (ت 1166/ 1753).

7) في البيان:

35 - قصيدة تتناول أنواع البديع 36 - شرح مفصّل على هذه القصيدة.

8) في المنطق:

37 - منظومة نظم بها أهبة المنتطق في فن المنطق، لمحمد فال ولد محمذن ولد أحمد ولد العاقل الديماني (ت 1334/ 1916)

38 - طرة على هذا النظم.

9) في التوحيد:

39 حيلة الإفادة في شرح وسيلة السعادة.

10) في التاريخ:

40 - نظم في تاريخ الدول والأعلام.

المصادر والمراجع

● ولد أباهْ، محمد المختار، دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، تونس 1981 نشر الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981، ص106 ● تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، المغرب 2001، ص ص 611-620
● ابن حامد، المختار، حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، الجزء الثاني، الدار العربية للكتاب، تونس 1990، ص ص 16، 42 ـ 43، 46، 54، 340
● موسوعة حياة موريتانيا، جزء إدوداي، مرقون، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط: ص ص 15-17
● النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، المحاضر، تونس 1987، ص ص553-554 ● ابن آكاهْ، الأمير، مقدمة تحقيق المواهب الربانية في اعتقاد أحسن المذاهب التجانية، قيد الإعداد حاليا
● ابن المحبوبي، المختار، نظم في

التاريخ، تح. احمدناه بن خطري، نواكشوط، المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين، 1984، ص 25 ● بنت كاي، حورية، تح. نظم القراءات السبع وشرحه للعلامة زين العابدين بن أَجْمَدُ اليدالي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1993 ● ابن سيدي أحمد، أحمد فال، تح. الجزء الثالث من الجامع بين الغرر السواطع والدرر اللوامع للعلامة زين العابدين بن أَجْمَدُ اليدالي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1993 ● بنت محمد البشير، خديجة، تحقيق الجزء الأخير من الجامع بين الغرر السواطع والدرر اللوامع للعلامة زين العابدين بن أَجْمَدُ اليدالي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1993 ● ابن محمد الأمين، المرابط، تح. نظم زين العابدين بن أَجْمَدُ اليدالي لفتاوى محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت 1277/ 1860)، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1988 ● ابن محمد يحيى، أحمدو، تح نظم زين العابدين بن أَجْمَدُ اليدالي لفتاوى عبد القادر الفاسي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1988 .

د. محمد محمذن
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأجهوري، نور الدين علي بن محمد

(967 هـ / 1560 م ـ 1066 هـ / 1656 م)

نور الدين علي بن محمد بن محمد الأجهوري، وكنيته أبو الإرشاد المصري، المالكي، العالم، المشارك في الحديث والسيرة النبوية والمنطق وغيرها من العلوم.

ولد في بلدة أجهور بمحافظة القليوبية بمصر. أخذ العلم على أيدي كثير من الشيوخ أشهرهم: الشمس محمد الرملي، والبدر الكرخي، والسراج الجامي، والحافظ نور الدين.

وكان الأجهوري كثير الرحلة في طلب العلم، واشتهر بذلك في مصر وغيرها من البلدان، وقد جد وبرع في كثير من العلوم المختلفة وخاصة الفقه، وصار إمامًا للمالكية في مصر ولقب برأس الأئمة وعلم الإرشاد وعلامة العصر، وبركة الزمان. وفي حلقات تدريسه أملى الكثير من التفسير والفقه.

وممن درس على يديه: الشهاب العجمي، والشمس البابلي، والنور الشبراملسي. . . وما لا يحصى كثرة، وقد وصل الناس إليه من الآفاق للأخذ عنه.

وفي السنوات الأخيرة من حياته الطويلة التي

بلغت تسعة وتسعين عامًا أصيب بالعمى متأثرا بما نتج عن اعتداء أحد تلاميذه عليه لأنه أفتاه بأن زوجته التي طلقها ثلاثًا لا تحل له إلاّ أن تتزوج بآخر.

آثاره

ألف الأجهوري كتبًا كثيرة لا زال معظمها مخطوطًا ومنها: 1 - الأجوبة المحررة لأسئلة البررة 2 - منظومة في أحكام الخنثى وله عليها شرح 3 - الالتجاء إلى المنان في أسباب حفظ الإيمان 4 - حاشية على شرح التتائي للرسالة 5 - حاشية على شرح النخبة للحافظ ابن حجر 6 - رسالة في فضائل شهر رمضان 7 - رسالة في فضائل القهوة ومنافعها 8 - رسالة في فضل يوم العاشوراء 9 - رسالة فيما يجوز طرحه من السفينة عند خوف الغرق 10 - رسالة في المغارسة وأحكامها 11 - الزهرات الوردية في فتاوى الشيخ الأجهوري 12 - شرح الأحاديث التي اختصرها ابن أبي جمرة من البخاري 13 - شرح ألفية العراقي في الحديث 14 - شرح ألفية ابن مالك 15 - شرح التهذيب للتفتازاني 16 - شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه 17 - غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان 18 - معراج العمل 19 - مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل (ثلاثة شروح: كبير، وأوسط، وصغير) 20 - النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج 21 - هداية المنان في فضائل ليلة النصف من شعبان.

المصادر والمراجع

• بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، القسم الثامن، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 م، ص 182 • البغدادي، إسماعيل، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثنى د. ت، ص 27، 607، ج 2، ص 688، 723 • م.ن، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول 1951م، ج 1، ص 758 • حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت د. ت، ج 2، ص 1190-1191هـ، 1628-1629م • الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 4، بيروت 1979م، دار العلم للملايين، ج 5، ص13-14 • كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة 1993م، ج 2، ص 510 • مبارك، علي، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م، ج 8، ص 105 108 • المحبي، محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، المطبعة الوهبية 1284 هـ، ج 3، ص 157-160.

حسام أحمد اسماعيل عبد الظاهر
القاهرة - مصر

الأحدب، الشيخ إبراهيم بن علي

(1242 هـ/1826 م - 1308 هـ/1891 م)

الشيخ إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، الأديب، الشاعر، الناثر، المصنّف، الفقيه.

ولد في طرابلس الشام في بيتٍ عُرف بالتقوى والصلاح والعلم، وتلقّى مبادىء العلم فيها، فقرأ القرآن الكريم مع أحكامه وهو ابن تسع سنين في المدرسة «السقرقية» على الشيخ أحمد أعرابيّ، وفي المدرسة الطواشية على الشيخ عبد الغني الرافعي مفتي طرابلس، وأخذ عليهما العلوم الدينية واللغوية والمنطق. وفي سنة 1264 هـ/ 1874 م. عكف على التدريس في طرابلس، ثم في بيروت، وكانت مدرسته أول مدرسة تأسّست في بيروت، حيث استدعاه إليها عضو ولايتها وكبير تجّارها عبد الغني رمضان.

وفي سنة 1268 هـ / 1851 م دعاه الشيخ سعيد جنبلاط حاكم مقاطعة الشوف إلى مقرّه في «المختارة» واتّخذه مستشارًا في الأحكام الشرعية والأمور العقلية، فقام في تلك الفترة بتعليم ابنيه. وعُيّن بعد ذلك (1276 هـ / 1859 م) نائبًا في المحكمة الشرعية ببيروت، ثمّ رئيسًا لكُتّابها، وظلّ في منصبه هذا ما ينيّف على ثلاثين عامًا، تولّى في أثنائها تحرير «ثمرات الفنون»، وله فيها مقامات ورسائل أدبية وفصول حكمية. ولما تشكّلت ولاية بيروت انتُخب عضوًا في مجلس المعارف، مع اشتغاله بالتدريس والتأليف ونسخ الكتب، حتّى قيل إنه نقل ألف كتاب بخطّه. وقد لقيه الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي أثناء إقامته ببيروت (1300-1303 هـ) وذكر أنه اشتغل على الشيخ عبد الله خالد.

عُرضت عليه نيابة مدينة صنعاء باليمن فاعتذر عن تولّيها، ووصل إلى رتبة مدرّس السُليمانية، وهي من رُتبة كبار المدرّسين. وكان يدرّس «ديوان ابن الفارض» غيْبًا. ويُدعى لفحص تلامذة المدارس من المسلمين والنصارى في المدرسة البطركيّة، والمدرسة الوطنية، وغيرهما، ووُجهت إليه خدمة الفراشة الشريفة في الحرم المكّي بموجب براءةٍ سلطانية. وزار الآستانة والتقى فيها كبار العلماء والرؤساء، كما زار مصر (1288 هـ / 1872 م) وانعقدت حبال الصداقة بينه وبين الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري (1305 هـ / 1888 م) مؤدّب أبناء الخديوي إسماعيل، وقام الأبياري بجمع ما دار من مراسلاتٍ بينهما في كتابٍ سمّاه «الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية».

تميّز الأحدب بين شيوخ عصره بالإكثار من الكتابات المسرحية، حتّى بلغ ما كتبه منه نحو العشرين، بعضها من ابتكاره، وبعضها مأخوذ من المصادر الأدبية والتاريخية، مثل كتاب «نفح الطيّب من غصن الأندلس الرطيب»

للمقرّي (ت 1041 هـ)، و«الأغاني»، وبعضُها مُقتبس أو مترجم عن الأوروبية، مثل مسرحية «فِذْرا» لراسين، وربّما كانت رواية الإسكندر مأخوذة من مصدر أجنبيّ.

ومن رواياته التي تمّ تمثيلها: «المعتمد بن عبّاد، و«فِذرا»، والزّبّاء». وبلغت شهرته في هذا المجال والي سورية «راشد باشا» حيث قام بتمثيل رواية الإسكندر أمامه بدمشق. وممّا يصوّر علاقته بفنّ المسرح قولُه في مقدّمة مسرحية «المعتمد»: «وقد دقّقت في هذا الفن النظر، وأعملت للتبحُّر فيه حركات الفكر، فأنشأت عدّة روايات تاريخيّة ضمّنتُها بدائع معانٍ ذات مقاصد سنيّة، وأبرزتها في حُلَل من الآداب ومحاسن صورٍ تفتن الألباب». ويتّضح من هذا القول في جملته أنّ إدراكه لطبيعة المسرح والكتابة المسرحية ما تزال بعيدة عن متطلّبات ذلك اللون من الفنون.

ولا يزال العامل الأخلاقيّ يسيطر عليه فيما يكتبه. ففي مسرحية «ابن زيدون وولاّدة» مثلاً، كان همّه أن يبرّىء ولاّدة - وهي ابنة خليفة - ممّا نُسب إليها من استهتار ومُجون، وقد بنى المؤلّف مسرحه على تعدّد المشاهد، ويسمّيها «الواقعات»، فكانت الواقعة عنده هي وحدة العمل المسرحي، ولكنّها في البناء الفنّي مشتّتة متباعدة، لم يحسب فيها حساب الزمان والمكان، وإمكانية التنفيذ، وأسلوبه في مسرحياته قائم على السجع، وقد تجنّب في المشاهد إيراد شعر الشعراء القُدامى إلاّ في أضيق الحدود، مع أنّ شخصياته في رواياته، مثل «المعتمد بن عبّاد»، و«ابن زيدون»، و«ديك الجنّ» كانت من الشعراء.

وكانت مسرحياته النموذج الذي احتذاه من بعده أبو خليل القبّاني (ت 1321 هـ).

وكان الأحدب ذا قريحة شعرية مع سعة الخاطر، حتّى بلغ ما نَظَمَه نحو ثمانين ألف بيت، وله ثلاثة دواوين شعرية، ولا يزال قسم من شعره غير مطبوع. وكان يحرص أن لا يخلو شعره من صناعة بديعية، أو نكتة أدبية، أو معنى نادر، أو كلمة بالغة، أو مثل سائر. وكان يُنشىء الكلام المنثور ثم يُفرغه عليه أن يكتب في معنًى من المعاني نظمًا أو نثرًا فيُملي ذلك بسرعة، وكثيرًا ما كان ينظم القصيدة الطويلة ويرتجل الرسالة والخطبة في أيّ موضوع كان. وقد جرت مكاتبات بينه وبين العلماء والأدباء في أنحاء العالم العربي، وامتدح الأمراء والوزراء، وخصوصًا الأمير عبد القادر الجزائري بدمشق، ومحمد صادق باشا، باي تونس، وغيرهما. وكانت وفاته في بيروت 1308 هـ / 1891 م.

وله مؤلفات كثيرة غلب على بعضها الاتجاه المدرسيّ، إذ كانت غايته أن يقرّب بها علوم العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وإنشاء إلى الطلاّب، مثل «التحفة الرشيدية في العلوم العربية»، وغيره. وألّف في التاريخ كتابًا سمّاه «تفصيل الياقوت والمرجان» وضع فيه مُجْملاً لتاريخ الدولة العثمانية. ونظم «مجمع الأمثال» للميداني (ت 518 هـ) في كتابه «فرائد اللآل»، ونشر رسائل بديع الزمان (ت 398 هـ)، وله كتاب يحتوي على خمس وعشرين مناظرة أدبية سمّاه «عقود المناظرة في بدائع المغايرة»، ويدلّ تنوّع مؤلّفاته وموضوعاتها وكثرتها على أنّ صاحبها مفكّر وأديب موسوعي، وعلى الرغم من توجّهه

للمسرح فإنّ مؤلّفاته تمثّل استكمالا للقديم وعكوفًا عليه واستمدادًا منه. وخلّف تراثًا ضخمًا لا يُستهان به، إلى جانب عددٍ من المخطوطات يزيد على الألف بين كتاب ورسالة، نقلها بخطّه، صار بعضها في دار الكتب الوطنية ببيروت، ووصلت مجموعة من الكتب الفقهية إلى مكتبة كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية.

آثاره

1 - إبداع الإبداء لفتح أبواب البناء، في علم الصرف، مطبوع 2 - تحفة الرشيدية في علوم العربية، مطبوع 3 - تفصيل اللؤلؤ والمرجان في فصول الحكم والبيان، مطبوع 4 - تفصيل الياقوت والمرجان في إجمال تاريخ دولة بني عثمان، مطبوع 5 - تأهيل الغريب والذيل على ثمرات الأوراق، مطبوع 6 - ردّ السهم عن التصويب وإبعاده عن مرمى الصواب بالتقريب 7 - عقود المناظرة في بدائع المغايرة، جزآن 8 - فرائد اللآل في مجمع الأمثال، مطبوع 9 - فرائد الأطواق في أجياد محاسن الأخلاق، مطبوع 10 - كشف الأرب عن سرّ الأدب، مطبوع 11 - كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، مطبوع 12 - مهذّب التهذيب في علم المنطق 13 - نظم مولدين شريفين، أحدهما مطوّل، والآخر مختصر 14 - النفح الصهباء في صناعة الإنشاء 15 - نفحة الأرواح على مراح الأرواح، في علم التصريف 16 - الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية، مطبوع 17 - وشي اليراعة في علوم اللغة والبراعة، مطبوع 18 - منظومة اللآل في الحكم والأمثال 19 - بائيّة العرب، حاكى فيها «لاميّة العجم» للطُغرائي (ت 513 هـ) 20 - لا سلامة من الخلق، مسرحيّة 21 - ثمانون مقامة، جارى فيها «مقامات الحريري» 22 - ثلاثة دواوين من الشعر، منها ديوان جمعه في بلده طرابلس. وآخر تضمّن من المقطّعات والقصائد والرسائل البليغة ما يزيد على خمسين كرّاسة 23 - الإسكندر المقدوني، رواية 24 - السيف والقلم، رواية 25 - المعتمد بن عبّاد، رواية 26 - الزبّاء ملكة تدمر، رواية 27 - ديك الجنّ، رواية.

المصادر والمراجع

● الأعلام، 1/ 48-49 ● معجم المطبوعات، 366-368 ● معجم المؤلفين، 1/ 61 ● قاروط، زينب، الشيخ إبراهيم الأحدب، طرابلس، دار الإنشاء، 1401 هـ / 1981 م ● تدمري، عمر عبد السلام، ابراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، موسوعة الحضارة الإسلامية، فصلة تجريبية، مؤسسة آل البيت، عمّان 1989، ص 22 ـ 23 ● تدمري، عمر عبد السلام، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، بيروت، 1984، جزء 12/ 225-227.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس

الأحدب، نجم الدين حسن، أبو أيوب الرمّاح

(... هـ / ... م - 695 هـ / 1295 م)

نجم الدين أيوب الرماح المعروف بالأحدب.

تخلو مصادر التراث العلمي العربي من ذكر نجم الدين حسن الرماح، حتّى أن بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي لم يجد مصدرًا يستقي منه معلومات عن حسن الرماح سوى المصادر الغربية التي تناولت تاريخ العلوم العربية، ولكن الرماح لقي اهتماما كبيرًا في كتب تاريخ العلوم مثل كتاب مقدمة إلى تاريخ العلم لسارتون.

ولد حسن الرماح في بلاد الشام في القرن السابع الهجري، ونشأ في بيئة علمية أتقنت الصناعات الحربية والفنون العسكرية، وقد ورث الرماح فنون الفروسية والصناعات الحربية وتعلّمها من أبيه وجدّه اللذين كانا أستاذين في هذه الصناعات والفنون، حتّى أصبح -فيما بعد - أستاذًا كبيرًا في هذه الفنون. كما أصبح قائد الحامية العسكرية في حلب.

وقد ذكره تلميذه وحفيده - للرماح - محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفي في كتابه «نهاية السؤال والأمنية في تعليم الفروسية» بقوله:

«فيحتاج العامل بالرمح إلى علم العمل بالرمح على ما ذكره الشيخ نجم الدين عرف بالأحدب في كتاب البنود».

كان نجم الدين حسن الرماح أشهر أساتذة فنّ استخدام الرمح، وانتقلت البنود التي وصفها في كتبه إلى معظم الرسائل الموضوعة في العلوم الحربية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. وقد تتلمذ عليه مباشرة أو عن طريق تلاميذه عدد من مؤلّفي الرسائل الحربية.

نقرأ مثلا في كتاب نهاية السؤال ما يلي:

«تمّت بنود الأحدب وأذكر بعد هذه البنود أيضًا بنود الأحدب التي أخذتها عن ناصر الدين محمد الرمّاح وصححتها على عز الدين الرمّاح أحد البحرية بقلعة دمشق المحروسة».

ثم يتابع حفيده محمد بن عيسى بن اسماعيل فيقول:

«فلنذكر الآن البنود التي أخذتها عن شيخي وصححتها على عز الدين عبد العزيز الرماح وعز الدين أخذها عن الشيخ نجم الدين الأحدب».

ثم يؤكّد حفيده القول للمرة الثالثة:

«وهذه النسخة المتأخّرة هي التي صححتها على الأمير عز الدين عبد العزيز الرماح وأجازني بها وتلقاها من الشيخ نجم الدين الرماح بالعمل لا من الكتاب».

من هذا الكتاب نعلم أنّ عز الدين عبد العزيز الرماح كان تلميذا لنجم الدين حسن الرماح،

وإذا افترضنا أنه كان فتى في مطلع حياته آنذاك، وأنه كان في حوالي الخمسين أو الستين من عمره عندما صحح البنود التي عرضها عليه مؤلف كتاب نهاية السؤال، لوجدنا أن كتاب نهاية السؤال قد وضع حوالي ما بين 1320-1330م. ويؤكّد ذلك ما تعلمه من الكتاب نفسه «نهاية السؤال» بأنّ المؤلّف كان معاصرًا للأمير محمد بن لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي الطرابلسي (ت 738 هـ / 1337 م) صاحب كتاب «غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود»، وكتاب «تحفة المجاهدين في العمل بالميادين».

ونقرأ في نهاية كتاب السؤال والأمنية القصة التالية:

«وذكر لي من أثق إليه، حدّثني جمال الدين يوسف بن الرمّاح أنه لما قدم السلطان الملك الأشرف خليل قدس الله سره إلى دمشق لفتح عكا في سنة تسعين وستمائة، قال: وكنت يومئذ في دكاني وجاء نجم الدين الأحدب وكان عندي على باب دكاني وهو راكب، وجاء آخر من الرماحين المصريين فلان بن الكولس وسلم على الأحدب وتمازحوا إلى أن أفضى بهم المزاح إلى التنافس في الرمح، فقال نجم الدين: روح إلى باب القيسارية واحمل على رمحك وأنا بالمقرعة، فراح إلى باب القيسارية وحمل عليه بالرمح، فلما وصل إليه الرمح بطل رمحه بالمقرعة، وضربه على رأسه بها، وقال له: اقلع عينك بها، فاعتنقا واعترف له بالفضل».

ومن المعلوم أنه قد تم فتح مدينة عكا وطرد الصليبيين منها في عام 690 هـ / 1291 م، وهذه القصة تعطينا لمحة عن حياة نجم الدين حسن الرماح واشتراكه في هذا الحدث التاريخي المهم.

وتوفّي نجم الدين حسن الرمّاح في حلب سنة 695 هـ.

آثاره

1 - كتاب الفروسية والمناصب الحربية 2 - كتاب البنود، يبدو أن هذا الكتاب هو اسم آخر لكتاب الفروسية السالف الذكر، وذلك نظرًا لتماثل فقرات الكتابين، وتوجد نسخة منه في مكتبة رامبو برقم 666، الا. ونسخة في دار الكتب المصرية 3 - كتاب في الغزو والجهاد، توجد نسخة منه في مكتبة فاتح باستانبول برقم 3509؛ 4 - كتاب في عمل الرمح على الأرض والفرس، توجد نسخ منه بالفاتيكان برقم (2) 300ب.

نقرأ في صفحة غلاف كتابه الفروسية والمناصب الحربية اسم مؤلّفه كالآتي:

«الفروسية والمناصب الحربية تعليم الأستاذ الأجل نجم الدين حسن الرماح عن أبيه وأجداده الأستاذين في هذه الصناعة، وعن من صحبهم من المشايخ والأستاذين رضي الله عنهم أجمعين، ويعرف بالأحدب وعاش من . . . وثلاثين سنة، ومات سنة خمس وتسعين وستمائة».

ويبحث هذا الكتاب في بنود عمل الرمح. وموضوعات أخرى في الفروسية، ويشتمل على:

- عبارات البارود والنيران الحربية.

وترسيم الرماح والدبابيس والأسهم بالقذائف النارية.

- وفي القدور والكراريز ورميها بالمنجنيقات.
- وفي التقطير وأمور تكنولوجية حربية.
- وفي علم الحيل.

وقد شغل هذا الكتاب مكانة مهمة في تاريخ العلوم بسبب ما ورد فيه عن البارود وعياراته وعن النيران الحربية. وقد لخصها عنوان الكتاب بعبارة:

«فيه كل ما تحتاج إليه الفرسان والأبطال والزراقين من أشغال الحرب ومعرفة الرماح والدبابيس والنشاب المختلف، والمقادير والمناجيق والإحراقات، وغير ذلك وقتال البر والبحر، وأشياء غريبة نفع الله المسلمين آمين».

وورد وصف المحتويات بصورة أكثر تفصيلا في بداية القسم المسمى المجلّد الثاني من الكتاب:

«وهو شغل النار هزل وجد وما يحتاج إليه من إشعال النار في البر والبحر، والحصون والحصارات، والحريق والنقوب، وحريق الأبواب المصفّحة بالحديد، ورماية القدور (القدر العراقية، والمغربية، والزير، والمخرم، والدهاشة) بالمناجيق والكراريز (الكراز العراقي، والمغربي، والشامي) والدبابيس (الدبوس الحربي بالحدق، وبخصماناه، وبالحدق المقبقب، والرش) والرماح الحربية (ترسيم الرماح بنصل الخطاي، والزهرات، وبدبوس مركب، وبقطعة الخصماناه، وبالفقاعات والزهرات كيزان، وبالدهشات)، والاستقطارات (استقطار اللطش وهو صنوبر، واستقطار علك الصنوبر، واستقطار القطران مع الجير الأبيض، واستقطار الضفدع البري، واستقطار قطران برقي، واستقطار الطوب الأحمر، واستقطار الحمر والسيرج، واستقطار نوى المشمش المر، واستقطار بياض المراكب) والعيارات (عيار الكمتبان السوقي، طيار تونسي، طيار البروق، طيار بلا كبريت، طيار مايح، طيار المجنون، طيار يحمل رطل دمشقي، عيار ضو القمر، عيار سروة، عيار دخان أصفر، عيار أزرق، عيار دولاب بلا تقديح، عيار دولاب بنارين، عيار النار الصفرا، عيار كواكب، عيار سهم خطابي، عيار للسهوم، عيار حجاب) والدخاخين والصواريخ، ورؤوس الرماح والكيزان والطيارات والأقمار، وغير ذلك إن شاء الله تعالى».

وتأتي أهمّية كتاب الفروسية والمناصب الحربية لنجم الدين حسن الرماح الذي كتبه في الفترة ما بين (1280-1290 م) في أنّه:

1 - وصف فيه الرماح لأول مرة في التاريخ تنقية نترات البوتاس.

2 - أورد فيه العديد من وصفات مسحوق البارود ذات النسب الصحيحة للمسحوق المتفجّر.

3 - وتكمن أهمية التوصل إلى تنقية النترات ومعرفة النسب الصحيحة للمزيج في أنه الخطوة المهمة التي لا يمكن بدونها التوصّل إلى صنع المدافع ذات القوّة الانفجارية الدافعة للقذائف.

وتوجد نسخ عديدة من كتاب الفروسية والمناصب الحربية في المكتبة الوطنية بباريس برقم، 2825، 2827، 2829، وفي مكتبة تشستر بيتي في دبلن برقم 4148، ونسخ في

مكتبة الحرم المكي، برقم 50 تاريخ.

ومن بين العديد من وصفات البارود الواردة في كتاب الفروسية للرماح نورد الوصفات العشر التالية:

1 - عيار طيار، بارود (نترات) 10 (% 71.43)، كبريت 1.5، فحم 2.5.

2 - طيار محق، بارود (نترات) 10 (% 73.73)، كبريت 0.5، فحم 3.

3 - طيار مقدح، بارود (نترات) 10 (% 71.4)، كبريت 1، فحم 3.

4 - الطيار المجنون، بارود (نترات) 12 (% 74.41)، كبريت 1.375، فحم 2.75.

5 - طيار يحمل رطل دمشقي، بارود (نترات) 9 (% 83.72)، كبريت، 0.876، فحم 0.875.

6 - طيار يونسي، بارود (نترات) 11 (% 73.33)، كبريت 1.25، فحم 2.75.

7 - طيار السكران، بارود (نترات) 10 (% 76.92)، كبريت 1.125، فحم 1.875.

8 - طيار البروق، بارود (نترات) 10 (% 74.07)، كبريت 1.375، فحم 2.125.

9 - طيار بلا شرار، بارود (نترات) 10 (% 74.07)، كبريت 1.25، فحم، 2.25.

10 - طيار مايح، بارود (نترات) 10 (% 76.19)، كبيريت 1.5، فحم 1.62.

ويلاحظ أن كلا من هذه الوصفات تعطينا مسحوق بارود متفجر يطابق النسبة النظرية للنترات أو يزيد عنها.

لقد غفل الباحثون الغربيون عن هذه الوصفات التي وردت في مخطوطة حسن الرماح وظنوا أن الوصفات لم تتجاوز فيها نسبة النترات 71 % كحد أعلى.

المصادر والمراجع

● ابن اسماعيل الحنفي، محمد بن عيسى، نهاية السؤال والأمنية في تعليم أعمال الفروسية، نسخة مصوّرة من مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم 2828 ● بروكلمان، كارل، 1937، تاريخ الأدب العربي، طبعة بريل، ليدن، ص 905 ● الرماح، نجم الدين حسن، 1998، الفروسية والمناصب الحربيه، تح. أحمد يوسف الحسن، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ص 12 ● سارتون، جورج، 1975، مقدمة إلى تاريخ العلم، ج 2، ص 1039 ● المنجد في الأعلام، ط 19، بيروت، ص 265.

د. محمد هشام النعسان
معهد التراث العلمي العربي
حلب - سوريا

الأحسائي، أحمد بن زين الدين

(1166 هـ/ 1753م - 1241 هـ/ 1826 م)

أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن راشد الصقري المطيرفي الأحسائي البحراني، والمطيرفي نسبة إلى قرية المطيرف الواقعة في شمال الأحساء.

ولد بمدينة الأحساء في شهر رجب سنة 1166 هـ، ومدينة الأحساء تقع الآن بالمملكة العربية السعودية.

وقد تعلّم في بلاد فارس، وتنقل بينها وبين العراق، وسكن البحرين، ومات في شهر ذي القعدة سنة 1241هـ حاجا بقرب المدينة وحمل إليها فدفن فيها بمقبرة البقيع المعروفة والقريبة من المسجد النبوي المبارك [الزركلي، الأعلام، ج 1، ص129]. متفلسف إمامي، من مشاهير علماء الشيعة، مؤسس مذهب (الكشفية) نسبة إلى الكشف والإلهام، وكان يدّعيهما، وتبعه أتباع ربما قيل لهم (الشيخية) أيضًا، نسبة إلى (الشيخ أحمد) صاحب الترجمة. ولهذه الفرقة شطحات وزندقات. وهو مع ذلك شديد الإنكار على المتصوّفة [الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 129؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 1، ص 228 - 229].

آثاره

للأحسائي آثار عدة ومتنوّعة، وهي في علم العقيدة والأصول والفقه والشعر وغيره، ومنها المطول والمختصر، ومنها المتن والشرح والسؤال والجواب. ومن هذه الآثار والتصانيف:

1 - جوامع الكلم، مطبوع في طهران في مجلدين، ويشتمل على مئة رسالة في مختلف العلوم 2 - الفوائد، في الحكمة والكلام 3 - مباحث الألفاظ، أو بيان مبادىء الألفاظ في الأصول 4 - ديوان شعر 5 - معنى الكشف وكيفيته 6 - معنى الكفر والإيمان 7 - معرفة النفس 8 - رسالة في علم النجوم 9 - رسالة في أهل القرآن أفضل أم الكعبة؟ 10 - حياة النفس في حظيرة القدس، أو حديث النفس إلى حضرة القدس، في المعارف الخمس، وهو مخطوط 11 - الحيدرية، وهو مخطوط، وموضوعه في العبادات 12 - حقيقة الرؤيا وأقسامها 13 - بيان حجة الإجماع بأقسام الشيعة 14 - توضيح معنى الجسمين والجسدين 15 - بيان حقيقة العقل والروح 16 - رسالة مطبوعة في سيرته، وله شرح مخطوط في الأزهرية 17 - بيان العصمة والرجعة 18 - بيان العمل بالكتب الأربعة 19 - تحقيق القول بالاجتهاد والتقليد 20 - تحقيق القول في المعاني المصدرية 21 - تفسير سورة الإخلاص 22 - جواب القطيفي في مسألة القدر 23 - دفع النزاع بين عالمين من علماء البحرين 24 - الرسالة الخاقانية في جواب المسألة السلطانية

25 - الرسالة السراجية على الشعلة المرئية 26 - شرح تبصرة المتعلّمين لآية الله في العالمين للحلي 27 - شرح خاتمة كشف الغطا لجعفر النجفي 28 - شرح رسالة القدر للسيد الشريف 29 - شرح زيارة الجامعة الكبيرة، في أربعة مجلّدات 30 - شرح القصيدة البائية من شذور الذهب واللامية 31 - شرح مسألة الميعاد 32 - شرح المشاعر والعرشية لصدر الدين الشيرازي 33 - الفوائد الجليّة من أمهات المعارف الإلهية 34 - الفوائد في الفقه وشرحه 35 - كتاب الوجود الحق والمقيد والمطلق 36 - مختصر الحيدرية 37 - المسائل القطيفية 38 - وسائل الهمم العليا، في جواب مسائل الرؤيا.

المصادر والمراجع

- باشا البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، سنة 1402، 1982، ج5، ص185
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة، سبتمبر 1992، ج1، ص129
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص228، 229 .

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة ـ تونس

ابن أحمد الجواد، محمد مولود اليعقوبي

(نحو 1170 هـ / 1756 م ـ 1243 هـ / 1827 م)

هو محمد مولود بن أحمد الجواد بن محمذن اليعقوبي الموريتاني. شاعر، لغوي، وفقيه أصولي، من أعلام النهضة الثقافية التي شهدتها بلاد شنقيط في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. عاش في شمال غرب موريتانيا حيث ولد سنة 1170 هـ وقيل سنة 1180 هـ، ونشأ في أسرة علم وكرم. أخذ العلم عن المختار بن بونه الجنكي (ت 1220 هـ)، وعن المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي (ت 1204 هـ)، وعن غيرهما وقد تصدر مدرسة تلقى العلم فيها رجال من أعلام البلد من أشهرهم: محمد بن الطُّلْبة اليعقوبي (ت 1272 هـ)، وأحمد فال بن محمذ فال اليعقوبي (ق 13).

ارتبط بعلاقات علميّة مع أعلام عصره وشارك في سجالات علمية وشعرية، أشهرها سجاله مع شيخه المختار بن بونه، [ابن الأمين، الوسيط، ص 193]، ومع البخاري بن الفلالي (ت 1260 هـ) تلميذ المجيدري وخليفته. كان حادا، شديدا على أهل البدع، مرهوب الجانب، عاتبا على كثير من أهل

زمانه، [ابن ماء العينين، تح. الوسيط، ص277].

عرف بأصمعي دهره لفائق عنايته باللّغة والشعر وعلومهما وبراعته فيها. شعره غزير يمتاز بجزالة اللّغة والإغراب أحيانا، ويكثر فيه استخدام، تضمّن مختلف الصور الشعرية وألوان البديع، وكثر فيه العتاب، والتوسّل، والمديح النبوي الذي قال فيه قصائد طويلة، بينها قصيدة تعرف بالمرجانية تجاوز عدد أبياتها 160 بيتا [ابن الأمين، الوسيط، ص 195].

من أشهر مؤلفاته اللغوية «سِقَاية المغتل من عين مطلق ثلاثي الفعل». وهو نظم في الصرف مؤلف من 639 بيتًا، نظم به مادة فتح الأقفال وضرب الأمثال بشرح لامية الأفعال للحضرمي (ت 930 هـ)، وقد تتبّع فيه تتبّعا دقيقا أنواع الفعل الثلاثي تبعا لحركة عين ماضيه، وتنوع ضبط عين مضارعه، اعتمادا على القياس أو الشهرة أو مجرد الشّذوذ، فبوّب نظمه تبعا لذلك متحرّرا من تبويب صاحب اللاّمية وشرّاحه، فاهتمامه مركّز على إحصاء قوائم الأفعال الثلاثيّة وتصنيفها على الأبواب وعلى الوصف والاستقراء ولا يهتم كثيرا بتنبيهات الحضرمي، وتعليلاته، وإشاراته إلى خلافات الصرفيين، [بنت محمد محمود، مقدمة تحقيق سقاية المغتل، ص30]، فالكتاب يقدّم درسا في الصّرف وفي المعجم على السواء، إذ يزوّد القارئ بالنّطق الصحيح لصيغ الماضي والمضارع وبالمعاني في نحو ألفين ومائتي فعل ثلاثي، [م. س، ص 34].

ويدل كتاباه «معراج الطالع إلى الكوكب الساطع»، و«الشموس الطالعة» وهو شرح على نظمه كتاب التنقيح للقرافي على سعة معرفته الأصولية، فقد اشتملا على كثير من الإضافات والاستدراكات والتصويبات اللّغوية والأصولية، [م. س، ص 13-14].

وعند وفاته سنة 1243 هـ رثاه أعلام من أشهرهم: محمد بن الطلبه (ت 1272 هـ) الذي رثاه بقصيدة منها:

أقول لمَّا نَعى الناعون مولودا
نعيتُم العلم والمعروفَ والجودا

كم كانَ للمجد والعلياء مشهده
ركنًا واصبح ركنُّ المَجد مهدودا

كم كان كهفا لملهوف يلوذ به
يومًا وبحرا لأهلِ العلم مورُودا

آثاره

1 ـ معراج الطالع إلى الكوكب الساطع، شرح للكوكب الساطع للسيوطي في مجلد كبير لدى أحفاد المؤلف 2 ـ الشموس الطالعة، نظم عقد به التنقيح للقرافي وشرحه، توجد منه نسخة بخط المؤلف لدى أحفاده 3 ـ طرة على ألفية ابن مالك في النحو والصرف 4 ـ سقاية المغتل من عين مطلق ثلاثي الفعل، تح. خديجة بنت محمد محمود للحصول على الإجازة في الآداب من كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1986 (مرقون) 5 ـ نظم في الفعل الأجوف والناقص، ذكره صاحب الوسيط 6 ـ شرح لوسيلة السعادة لابن بونه في التوحيد 7 ـ ديوان شعري ضخم، جمع جزأه الأول وحققه محمد بن السبتي في مذكرة تخرّج من المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1982 (مرقون).

المصادر والمراجع

● آمنة بنت عبد الوهاب، مقدمة تح. مبين الصراط المستقيم، كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1990، (مرقون)، ص16 ● أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي ومكتبة الوحدة العربية ط3، القاهرة 1961، ص190-214 ● أحمد فال بن أحمد الخديم، نبذة عن حياة مولود بن أحمد الجواد (مخطوط) ● أحمد المأمون بن محمذن الصوفي، الديوان، تح محمد بن ماء العينين المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1983، ص 31 (مرقون) ● أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن 13هـ، مساهمة في وصف الأساليب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1995، ص 151 وغيرها ● اديبج بن عبد الله الكمليلي، الديوان، تح. أبو بكر بن محمد الكبير كلية الآداب بجامعة نواكشوط 2000، (مرقون)، ص 51 ● حرم بن عبد الجليل، الديوان، تح. محمدي بن بدي، المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1986، ص 85، (مرقون) ● خديجة بنت محمد محمود، مقدمة تح. سقاية المغتل من عين مطلق ثلاثي الفعل، كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1986، ص 12-36 ● الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987، ص 532، 614 ● محمد بن الطلبه، الديوان، محمد عبد الله بن الشبيه بن أبوه، نشر أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبوه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب 2000، ص 196 ● محمد بن ماء العينين، تح. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، جامعة محمد الخامس بالمغرب 1991، ص 277-303 (مرقون) ● محمد الأمجد بن محمد الأمين السالم، كمال الدين محمد المجيدري اليعقوبي، حياته وآثاره، كلية الآداب بجامعة نواكشوط، 1990، ص 30-32 ● محمد محمود بن محمد الأمين، مقدمة تح. ديوان المختار بن بونه الجكني، كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1992، ص 37-41 (مرقون) ● المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990 ص346، وجزء إديقب بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط (مرقون) ص130-132 ● محمد المختار ابن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، الشركة التونسية للتوزيع ط 1، تونس 1987، ص 297، 73 ● مولود بن أحمد الجواد، الجزء الأول من الديوان، تح. امحمّد بن السبتي، المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1982 (مرقون) ● م. ن، سقاية المغتل من مطلق عين ثلاثي الفعل، خديجة بنت محمد محمود، كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1986 (مرقون) ● يحيى بن البراء، ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط 1982، ص 23 (مرقون).

د. أحمد سالم ولد محمدو
جامعة نواكشوط - موريتانيا

ابن أحمد الخديم، محمد الحسن اليعقوبي

(1357 هـ / 1938 م - .../...)

هو محمد الحسن بن أحمد الخديم بن أبي محمد اليعقوبي الموريتاني، عالم متفنّن في علوم الشرع الإسلامي واللغة العربية، نشأ في بيت علم في ولاية الترارزة بجنوب غرب موريتانيا، وبدأ تعلّمه في وقت مبكر من حياته، فقرأ القرآن الكريم وجوّده على والده أحمد الخديم (ت 1391 هـ). وأخذ عنه الكتب المكوّنة لبرنامج المرحلة الأولى من الدراسة، ثم انطلق في رحلة الدراسة خارج البيت قبل البلوغ، فقادته الرحلة إلى الشيوخ: سيد أحمد بن أحمد يحيى، والمختار بن أبلول (ت 1396 هـ)، ومحمد عال بن نعمه (ت 1409 هـ)، ومحمد سالم بن آلما (ت 1383 هـ) حيث ألقى عصا الترحال، وبقي معه ثمانية أعوام درس خلالها الفنون والمتون المألوفة في مدارس المنطقة وتمرّن على أداء الوظائف التي تنتظره بعد التخرج فكان في تلك الأعوام - إضافة إلى الدراسة ومطالعة الكتب وكتابة نسخ من المصادر الأساسية التي ما تزال مخطوطة - يعلّم زملاء في المحضرة، ويؤمّ الناس في الصلاة وخاصة في قيام رمضان، ويشارك في الفتاوى وغيرها من نشاطات شيخه ومذكراته العلمية. وكان الشيخ محمد سالم ينوه بكفاءة تلميذه محمد الحسن وأهليته للانفراد بتصدّر حلقة علمية، ولكنه احترم قرار تلميذه إطالة فترة الصحبة لتعميق زاده العلمي، [أحمد فال بن أحمد يحيى، مقدمة مرام المجتدي، ص8].

وقد منحه الشيخ في ختام الفترة المذكورة إجازة عامة في مسموعاته ومروياته، وهي أعلى شهادة تمنحها المدرسة الأهلية في موريتانيا، [م. س.]، فعاد إلى أهله ومعه طلبة يدرسون عليه، وأخذ يدير مدرسته الخاصة منذ سنة 1383 هـ / 1963 م، وكانت متنقلة، ثم استقرت منذ سنة 1394 هـ / 1974 م لتتكوّن حولها قرية التيسير الواقعة قرب منتصف الطريق بين نواكشوط وروصو، وقد توالت على المدرسة أفواج الطلبة، فاستفاد منها خلق كثير، وتخرّج منها علماء عديدون [م. س، ص 11]. ومازال الشيخ يواصل عطاءه مدرّسا ومؤلّفا.

وأغلب مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة أنظام وشروح لتيسير المقرّرات العلمية في المحضرة. وتشمل العلوم الشرعية مثل علوم القرآن والفقه والأصول، وعلوم اللغة والأدب مثل النحو والعروض والبلاغة ويبدو أغلبها مكمّلا وداعما لنشاطه التدريسي، فقد شرح أهم مؤلّفات محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت 1323 هـ / 1905 م) التي تشكّل أحد أهم روافد برنامج المحضرة، ووضع طرّة على كتاب الجوهر المكنون للأخضري، ووضع أنظاما كثيرة متفاوتة الطّول لضبط فوائد ومسائل محدّدة في علوم القرآن أو الفقه أو في النحو واللغة، وقد حوت مؤلّفاته استدراكات على كبار المؤلفين

من الفقهاء واللغويين القدماء [محمد فال بن أحمد الخديم، لمحة عن محضرة التيسير، ص 3 ـ 26]. وتبدو بعض آثاره توجيها عاما وسعيا إلى تبصير العامة وغيرهم بالسلوك الموافق لأحكام الشرع، كرسالته في تحريم لبس النساء اللّباس الرقيق، ونظمه في تحريم الغناء بالآلات الموسيقية، وطيّته على نظم الزواجر عن ارتكاب الكبائر لمحمد سالم بن آلـمـا (ت 1383 هـ)، وجاءت بعض آثاره متصلة بتوجّهه الصوفي فهو متصوف أخذ الطريقة الشاذلية سنة 1375 هـ، ثم أخذ الطريقة التجانية سنة 1393 هـ. وحصل على تزكية أكابر أشياخها في المنطقة، وله أنظام في التصوّف وسلوك أهله وفي الرد على بعض الانتقادات الموجهة إليهم [ابن أحمد يحيى، مقدمة مرام المجتدي، ص 20].

وتشير آثار الرجل وعطاؤه العلمي في محضرته إلى مكانة علمية رفيعة، شهدت بها إجازات أشياخه وتزكيات معاصريه من العلماء، فدلّ ذلك على درايته بمختلف جوانب التراث العربي الإسلامي.

■ آثاره

ذكر أحد من ترجموا لمحمد الحسن أنه ألف ما يربو على 84 مؤلفا بين مطول ومتوسط ومختصر، بينها شروح وطرر ومؤلفات مستقلة ومنظومات قصيرة، وقد توزعت فنون مؤلفاته على النحو التالي:

علوم القرآن: 5، علوم الحديث: 7، الفقه وأصوله: 21، السيرة والتاريخ والتراجم: 7، العقيدة وعلم الكلام: 8، التصوف والأخلاق والذب عن الطريقة: 16، علوم اللغة: 17، الألغاز والنكت: 1، ديوان شعر ضخم، [أحمد فال، محضرة التيسير، ص 11].

ومن هذه المؤلفات نذكر ما يلي:

1 ـ مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي لمحمد مولود بن أحمد فال، تح. محمد سالم بن محمد الحسن وأحمد فال بن أحمد يحيى، طبع ثلاث مرات: الأولى 1993، والثانية 1996، والثالثة 2001، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 2 ـ دفاع المعتدي على مرام المجتدي، طبع بالسنغال سنة 2000 بإشراف أبو محمد بن محمد الحسن 3 ـ دليل الناسك لما يخفى من المناسك، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب 1993، تح. وإشراف أبو محمد بن محمد الحسن 4 ـ هداية السعاة إلى معرفة النحاة 5 ـ المسعد بشرح آداب المسجد لمحمد مولود ابن أحمد فال 6 ـ إعانة المتفهم بشرح آداب المتعلم لمحمد مولود، طبعت الكتب الثلاثة الأخيرة في مجلد واحد بإشراف محمد سالم بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1994؛ 7 ـ الفوائد الكفيلة بمعرفة الوسيلة، شرح وسيلة السعادة للمختار بن بونه، إشراف أبو محمد بن محمد الحسن، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1996، ط. 2، السنغال 2000؛ 8 ـ نخبة المطلوب من شرح مطهرة القلوب لمحمد مولود بن أحمد فال، إشراف وتح. محمد سالم بن محمد الحسن وأبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ط. 1، سنة 1994،

ط. 2، سنة 2002؛ 9 ـ سلم المطالع لدرك الكوكب الساطع للسيوطي، تح. أبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ـ المغرب، 1998؛ 10 ـ اللآلئ الحسان على محارم اللسان لمحمد مولود، إشراف أبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1998؛ 11 ـ الجامع المحرر بشرح نظم الدرر، إشراف أبو محمد، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب 2002؛ 12 ـ الجواهر على البصائر لمحمد مولود، إشراف أبو محمد، ط. 1، داكار، السنغال، 2000، ط. 2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 2002؛ 13 ـ سقاية الظمآن من آداب تلاوة القرآن لمحمد مولود، ط 1، داكار ـ السنغال 2000؛ 14 ـ بغية الأبرار من شرح قرة الأبصار، تح. أبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة الكرامة المغرب 2000؛ 15 ـ محصل الأرب من شرح أدبة الأدب لمحمد مولود، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 2001؛ 16 ـ تحفة السرور بشرح نظم البرور لمحمد مولود بن أحمد فال، إشراف أبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة، 2000؛ 17 ـ الغيث المدرار بشرح إشراق القرار لمحمد مولود بن أحمد فال 18 ـ نزهة الناظر على زيارة المقابر 19 ـ تكملة الإفادة في آداب المريض والعيادة 20 ـ وسيلة التذكّر بشرح نظم التفكّر، والأربعة الأخيرة طبعت كلها في مجلد واحد بإشراف أبو محمد بن محمد الحسن، مطبعة النجاح الجديدة 2002.

المصادر والمراجع

● أحمد فال بن أحمد يحيى، مقدمة مرام المجتدي من شرح كفاف المبتدي لمحمد الحسن بن أحمد الخديم، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب 1994، ص4-52 ● م. ن، لمحة عن محظرة التيسير نشأتها تطورها، ومعالم التجديد فيها، منشورات التيسير للطباعة والنشر، نواكشوط، 2001 ● الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص485 ● المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب 1990، ص347.

د. أحمد سالم ولد محمدو
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

ابن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر

(حوالي 100 هـ/718 م ـ 175 هـ/791 م)

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي، وهو من الأزد (أزد عمان). ولد في الراجح في أوّل القرن الثاني الهجري في عمان ونشأ في البصرة. وهو من أكبر علماء العربيّة، وقد يكون المبتكر - زيادة على ما ابتكره في ميادين أخرى - لأهمّ ما جاء في النحو العربي من المفاهيم العلميّة ومناهج التحليل اللغوي.

ذكر الذين ترجموا له أنّه كان منتحلا في شبابه لمذهب الإباضيّة أو الصفريّة، ثم رجع إلى السنّة تحت تأثير أحد شيوخه وهو أبو أيّوب السختياني (ت 131 هـ/ 748م)، واشتهر الخليل بزهده ونفوره عن منادمة الأمراء، وقد رويت عن زهده روايات طريفة، ويفسّر هذا الزهد أوّلا اهتمامه الكبير بالعلم والبحث، وثانيا خلقه وإباؤه. فقد قال عنه علي بن نصر الجهضمي (ت 189 هـ/ 805 م)، وهو أحد تلامذته: «كان الخليل بن أحمد من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدّهم تعفّفا. ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرّضون له لينال منهم ولم يكن يفعل، وكان يعيش من بستان خلّفه له أبوه بالخريبة (قرب البصرة)» [أبو الطيب اللغويّ، مراتب اللغويين، ص56]، وقال عنه النضر بن شميل (ت 203 هـ/ 818 م) وهو من أقرب أصحابه: «أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه، وهو في خصّ لا يشعر به» [معجم الأدباء، 16/ 74].

وقد شملت ثقافته علوما كثيرة ومتنوّعة، فكانت له معرفة بالموسيقى والطب والحساب والنبات، وتحكى في ذلك حكايات عجيبة [السيوطي، بغية الوعاة، ص244]. وقال الجاحظ: «كان علمهم [بالغناء] على الهاجس... إلى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه.. فلمّا أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون، واستدرك منه شيئا، ورسم له رسما احتذى عليه خلفه.. وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي أوّل من حذا حذوه [فصول مختارة، ص122-123]. ويقول صاحب المراتب: «من شهرة الخليل بن أحمد وتقدّمه في العلم ضرب به العلماء والشعراء الأمثال وذكروه في شعرهم» [أبو الطيب اللغوي، مراتب اللغويين، ص68]. كما عرف الخليل برواية الحديث، فقد حدّث عن عاصم الأحول وأيوب السختياني وغيرهما، وكان معدودا في القرّاء. يقول عنه ابن الجزري إنه روى الحروف عن عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن كثير [غاية النهاية في طبقات القرّاء، 1/ 275].

أمّا في مجالات اللغة فلم يضاهه أحد. فهو المبتكر لأكثر المفاهيم العلميّة وأهمّ الأنظمة الفكريّة اللغويّة ومناهج التحليل اللغوي التي تنتمي إلى علوم العربيّة. فقد اشتهر عنه فيما وضعه من العروض أنّه لم يسبق إليه على

الإطلاق. والذين اكتفوا بهذا القول لم يلاحظوا أنّه لم يسبق إلى الكثير ممّا جاء به من تصوّر علمي وطرائق تحليليّة وتفسيريّة جرى عليها تلميذه سيبويه (ت 177 هـ/ 792م) في كتابه، وما طبق من ذلك في كتاب العين وما نقله الأزهري وعلماء اللغة والنحو عنه. وينبغي، مع ذلك، أن لا نظلم العلماء الآخرين من شيوخه ومعاصريه، ومن جاء بعدهم ممّن تتلمذوا عليه أو على غيره.

فلكلّ واحد منهم حظّ في تأسيس علوم العربيّة وإثرائها، إلاّ أنّ ما ابتكره الخليل يتّصف بعمق النظر ونوع من الدقة لا نجد لها نظيرا عند غيره. وقد تنبّه إلى شيء من ذلك الحدس ابن جني فقال: «وهذا الترجيم (أي القول بالظن والحدس) الذي أشرف عليه الخليل ظنّا قد جاء به السماع نصّا» [الخصائص، 2/ 111]، وقال أيضا: «انظر إلى قوّة تصوّر الخليل إلى أن هجم به الظنّ على اليقين» [نفس المصدر، 112] . وكان له من ذلك حظّ عظيم، فلولا كتاب سيبويه لكنّا نجهل الشيء الكثير من أساليب الخليل في التحليل والتفسير النحوي. كما كان له حظّ أيضا في الليث بن المظفّر (ت 195 هـ/ 805 م) الذي حقّق ما بدأه الخليل من رسمه لكتاب العين وما شرع فيه من تحريره. واشتهر أيضا من تلاميذه النضر بن شميل (ت 203 هـ/ 819 م) ومؤرج السدوسي (ت حوالي 204 هـ/ 820 م).

ومن تتبّع كتاب العين وجد في بعض أقوال الخليل ما يدلّ على هذا العمق وهذه الثقافة الواسعة، فمن ذلك انتباهه إلى المقاربة القائمة بين اللغات السامية والعربيّة. جاء في هذا الكتاب: «وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلّمون بلغة تقارب العربيّة» [1/ 205]. وكذلك التحديد للمفهوم الأصلي للعلّة: «والعلّة حدث يشغل صاحبه عن وجهه» [1/ 88]. فهذا هو المفهوم الأوّل للعلّة عند المتقدّمين. أمّا بعد سيبويه فاستعار النحاة المفهوم السائد عند المتكلّمين وهو سبب الحدث.

ولا شكّ أنّ الذي ساعد الخليل على الإبداع في اللغة هو معرفته للحساب معرفة عميقة.

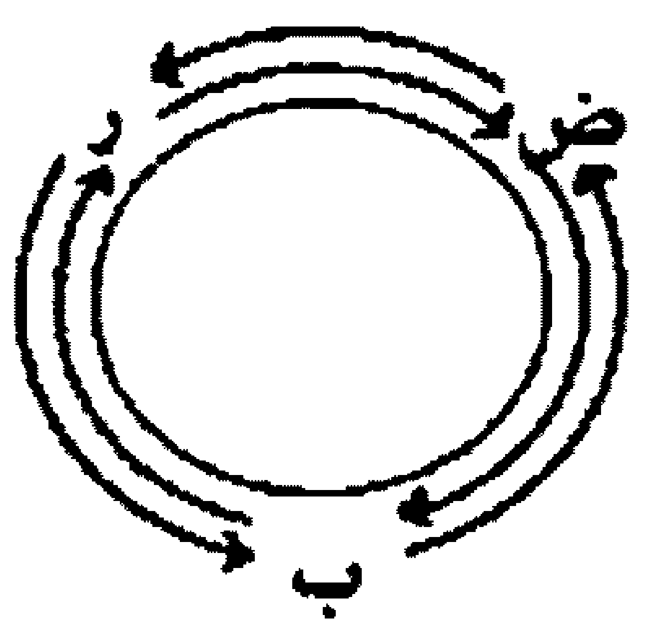
والحساب الذي كان يعرفه هو شيء ممّا نجده اليوم في الجبر الحديث، وهو يضمّ ما يسمّى في زماننا بالجبر التركيبي (Algebra Combinatorial). وهذا قد لاحظه بعض معاصرينا، إلاّ أنّه بالنظر الممعن في طريقة الخليل التحليليّة للّغة يتبيّن أنّه قد سبق الرياضيّين في عصرنا الحاضر إلى الاستعانة بمفاهيم رياضيّة لا يعرفها إلاّ الرياضيون المحدثون وبعض اللّغويين، منها مفهوم المجموعة وخاصة الزمرة. كما ساعده على فهم أسرار الحركيّة اللّفظيّة ما اكتشفه بالمشاهدة الدقيقة والاختبار من أوصاف خاصة لكيفيّة حدوث الحروف ولا سيما كيفيّة اتّصال الحركات العضويّة في إحداثها لها، ومن ثمّ مفهومي الحرف المتحرّك والساكن، ولا يوجد ما يماثلهما في الصوتيات الغربيّة إلا عند مهندسي التكنولوجيا اللغويّة في عصرنا هذا. وهذه الطريقة المبنية على هذين المفهومين هي التي بنى الخليل عليها العروض، وفسّر بها ظواهر الإيقاع، كما استعان في العروض وفي اللغة بالجبر التركيبي، خاصة في تحليله الكلمة العربيّة إلى أصل وصيغة.

إن تحليلات الخليل العلميّة للّغة ينبني كلّها على مفهوم القسمة التركيبيّة على حدّ تعبير أتباع سيبويه (وهو غير القسمة الأفلاطونية) من جهة، وعلى مفهوم تفريع الفروع من الأصول وإمكانيّة ردّ الفروع (التناظر) من جهة أخرى. ويجري هذا التفريع بزيادة شيء على الأصل (وهذا يميّزه عن التفريع في الفقه). فالأصل هو أبسط العناصر اللغويّة بالنسبة إلى جميع فروعه، فتجري عليه عمليات تحويليّة بزيادة قد تكون صياغة جديدة. ففي مستوى الكلم لاحظ المتقدّمون وخاصة الخليل أنّ الكلمة العربيّة تتألّف من أصلين اثنين يندمج أحدهما في الآخر، وهما المادة الأصليّة المتكونة من صوامت وصيغة الكلمة التي هي «عدد حروفها الأصليّة والزائدة. وحركاتها وسكناتها كلّ في موضعه» (تحديد الرضي).

وعلى هذا الأساس حاول الخليل أن يحصر كلّ المواد الأصليّة كما هو معروف بإجراء بعض العمليات التركيبيّة. والمقصود من ذلك هو استقصاء جميع التراكيب التي يحتملها عدد الحروف ثناء وثلاث ورباع. وهذا هو جوهر المنطق العلمي الذي انتهجه المتقدّمون من اللّغويين والنحاة العرب، وهو منطق لا يمتّ بسبب إلى منطق أرسطو الذي بني أساسا على القسمة الأفلاطونيّة (التي تبنى كلّها على التحديد بالجنس والفصل واندراج الشيء في الشيء).

ومن أهمّ المفاهيم التي انتهى إليها الخليل رياضيا مفهوم "وجوه التصرف". فلقد ورد في مقدمة كتاب العين [1/ 59]: «اعلم أنّ الكلمة الثنائية تتصرّف على وجهين نحو: قدْ، دقّ شدْ، دشْ والكلمة الثلاثيّة تتصرّف على ستّة أوجه، وتسمى مسدوسة، وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض والكلمة الرباعيّة تتصرف على أربعة وعشرين وجها، وذلك أنّ حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة أوجه، فتصير أربعة وعشرين وجها، يكتب مستعملها ويلغى مهملها (. . .)، والكلمة الخماسيّة تتصرّف على مائة وعشرين وجها، وذلك أنّ حروفها، وهي خمسة أحرف، تضرب في وجوه الرّباعي، وهي أربعة وعشرون حرفا، فتصير مائة وعشرين وجها يستعمل أقلّه ويلغى أكثره».

وبهذا كان الخليل أوّل من أقام أسس الجبر التركيبي. فقد أثبت وجود ما يسمّيه الرياضيون الآن «العاملي» (factorial)، وهو هذا الذي يسمّيه الخليل «وجوه التصرّف». وقد مثل لهذه العمليات لأوّل مرّة في التاريخ بدائرة تمثّل فيها جميع الاحتمالات لتراكيب الثلاثي طردا وعكسا (بجعل اتّجاهين متقابلين فيها)، وكلّ حرف في الدائرة يمكن أن يكون منطلقا أو مبدأ لتركيب آخر يسمّى في العروض بالمفكّ. وهذه الدائرة هي ما يسمّى في عصرنا بـ (cyclic group) فعمليات التركيب وجميع التقاليب تكوّن زمرة (Group). ونفس الأسلوب التركيبي يجريه الخليل على البحور الشعرية واحتاج في ذلك إلى خمس دوائر.



وإحصاء جميع التقاليب بالنسبة إلى الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي يتمّ (بتطبيق حساب العاملي وصيغته في عصرنا هذا هي: ن ! (= ن × (ن − 1) .) كما يلي:

الثنائي: $2! = 1 \times 2 = 2$

الثلاثي: $3! = 1 \times 2 \times 3$
$= 2! \times 3 = 2 \times 3 = 6$

الرباعي: $4! = 1 \times 2 \times 3 \times 4$
$= 3! \times 4 = 6 \times 4 = 24$

الخماسي: $5! = 1 \times 2 \times 3 \times 4 \times 5$
$= 4! \times 5 = 24 \times 5 = 120$

لم يكتف الخليل بذلك بل أراد أيضا أن يبني بطريقة رياضية كيف تحصل تراكيب الكلم الناتجة عن صياغتها، وذكر النحاة الذين جاؤوا بعده العمليات التي تؤدّي إلى ذلك ويمكن أن ترسم هكذا:

	فتحة a	فتحة u	كسرة i	سكون o
فتحة a	aa فَعَل	au فَعُل	ai فَعِل	ao فَعْل
ضمة u	ua فُعَل	uu فُعُل	ui فُعِل	uo فُعْل
كسرة i	ia فِعَل	iu فِعُل	ii فِعِل	io فِعْل

ولم تنحصر عبقريّة الخليل في هذه العمليات التركيبية بل تعدّتها إلى الاعتماد على مفاهيم رياضيّة لم تكتشف إلاّ في زماننا هذا، مثل المجموعة ذات البناء وهو يسميها بابا، وتكافؤ البنى (ايزرمورفيزم)، وهو القياس العربي المطبّق على اللغة، ومفهوم آخر لساني رياضي لم يظهر بعد في علوم اللسان الحديثة وهو مفهوم «المثال»، وليس هو وزن الكلمة فقط (وهو شيء لم يصل إليه بعد الغربيون إلاّ من اطّلع على التراث العلمي العربي)، بل هو مثال الجملة أيضا من عامل ومعمولين اثنين ومفهوم الموضع في داخل المثال، وقد يكون خاليا فهذا الخلو التركيبي هو في الرياضيات الحديثة صفة المجموعة التي لا عنصر فيها (وهو في الأصل الصفر في النظام العشري العددي). فالتحليل العربي والخليلي خاصة الذي أدّى إلى استنباط المُثُل (جمع مثال = Models) هو أعمق بكثير من التحليل الغربي وخاصة البنوي منه فهو لا يقتصر على تقطيع الجملة إلى أجزائها الأوّلية على المستوى الدال وغير الدال (وهو تحليل أفقي فقط) بل يتجاوز ذلك إلى التحليل إلى عناصر أكثر تجرّدا. وليست، على هذا، من جوهر الجزء (القطعة Segmental) بل العنصر كيان مجرّد مثل أصل الكلمة وبنائها ومثل مفهوم الاسم (المفردة مع ما يدخل عليها) وله مثال مجرّد (وهو غير مثال الاسم المفرد) ومثل تحليل الجملة إلى عامل ومعمولين؛ فالعامل هنا ليس فقط ما يعمل الرفع والنصب والجرّ - كما فهمه المتأخرون - بل هو ركن مجرّد من بناء الجملة وهو محورها البنوي ويدخل فيه الفعل والحرف والاسم المفرد والاسم الكامل بل حتى الجملة.

على أنّ المفاهيم الرياضيّة كانت بالنسبة إلى الخليل وسيلة وليست هي الغاية، فهو لغوي قد ساعدته تلك المفاهيم كما ساعدته المشاهدة والاختبار على فهم أسرار اللّغة العربيّة واكتشاف نواميس اللّغة الإنسانيّة عامة من خلال ما أثبته من القوانين الخاصة

بالعربيّة. فالخليل هو أول من ميّز التمييز الحاسم بين ما هو راجع إلى نظام اللّغة الباطني أي إلى بنية اللفظ (الوضع اللغوي أو القياس) وبين استعمال الناطقين لهذا النظام، وذهب إلى أنّ لكلّ منهما قوانينه الخاصة. وبهذا بيّن أنّ ما يقتضيه القياس قد يكون غير جار به الاستعمال (المهمل أو المرفوض). وهو أهم ما اكتشفه من جديد اللسانيّون الغربيّون في عصرنا من فارق بين اللّغة كنظام والكلام كاستعمال له، وإن كان التصوّر الخليليّ أرقى بكثير لأنّ نظام اللّغة عنده لا ينحصر في نظام بسيط من المتقابلات كما هو الشأن عند سوسور (انظر للمزيد من التفصيل كتابيْنا: علم اللسان العربي وعلم اللسان العام؛ ودراسات وبحوث في علم العربيّة، طبع الجزائر). ثمّ إنّ هذا التصوّر العلمي وتلك النتائج الدقيقة لا تجدها عند المتأخّرين من النحاة إلا مشوّهة لأنّ أكثرها استغلق على أفهامهم، ونستثني من ذلك بعض الأفذاذ مثل الرضي الاستراباذي.

آثاره

1 - كتاب العين، نشر منه الأب انستاس ماري الكرملي بعضا من أوّله، دار الأيتام، بغداد، 1914م، ثم نشر منه عبد الله الدرويش جزءا أوّل، بغداد 1967 ثم حققه مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائي ونشراه تاما في ثمانية أجزاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988؛ 2 - الحروف، حقّقه رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1969؛ 3 - جملة آلات الإعراب، أو كتاب الجمل، وقد نشر فخر الدين قباوة كتابا بهذا العنوان منسوبا إلى الخليل، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1985. لكن من القدماء والمحدثين من ينسب هذا الكتاب إلى أبي بكر بن شقير (ت 315 هـ/ 927 م). وقد حاول محمد إبراهيم عبادة إثبات نسبة الكتاب إلى الخليل، ينظر له: كتاب الجمل في النحو المنسوب إلى الخليل بن أحمد، دراسة تحليليّة، منشأة المعارف، (الإسكندريّة 1988) 4 - كتاب الإيقاع 5 - كتاب الشواهد 6 - كتاب العروض 7 - كتاب فائت العين، وتأليف الخليل لهذا الكتاب دالّ على أنّ كتاب العين من تأليفه كلّه وأنّه قد انتهى من تأليفه قبل وفاته، ولذلك استدرك عليه 8 - كتاب النّغم 9 - كتاب النقط والشكل.

المصادر والمراجع

● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، القاهرة، 1960، ص541-542 ● الزجاجيّ، أبو القاسم، مجالس العلماء، تح. محمد عبد السلام هارون، الكويت، 1962، ص249-253، 258-261، 301-302 ● اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1955، ص27-41 ● السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تح. فريتز كرنكو، بيروت، مارس، 1936، ص38-40 ● الزبيدي، أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954، ص43-47 ● ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران، 1971، ص48-49 ● الأنباري، نزهة الألباء في طبقات

الأدباء، تح. إبراهيم السّامرائي، بغداد، 1959، ص29-31 ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1950-1973، (4 أجزاء) 1/ 341-347 ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، نشرة فريد الرفاعي، القاهرة، 1936-1938، (20 جزءا)، 6/ 223-224 ● اليغموري، نور القبس المختصر من المقتبس، تح. رودلف زلهايم، فيسبادن، 1964، ص56-72 ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1964-1965، (جزآن)، 1/ 557-560 ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، تر. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1977، ص131-134 ● المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، بغداد، 1960 ● الدرويش، عبد الله، الخليل بن أحمد صاحب «العين»، في مجلة معهد المخطوطات العربيّة، 9/ 1 (1963)، ص107-175 ● عوّاد، كوركيس وميخائيل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حياته وآثاره، بغداد، 1972 ● الحاج صالح، عبد الرحمان، علم اللسان العربي وعلم اللسان العامّ، (أطروحة دكتوراه، باريس، 1979) ● ابن مراد، إبراهيم، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص5-29

- J. Haywood, Arabic Lexicography, Brill, Leiden, 1960, pp. 20-40. Sellheim, in: E12, IV, pp. 962-964.
- F. Sezgin, Geschichte des Arabischen Schrifttums, Vol. VIII, Brill, Leiden, 1982, pp.51-56.

د. عبد الرحمن الحاج صالح
مجمع اللّغة العربيّة ـ الجزائر

ابن أحمد دام، سيدي عبد الله

(1170 هـ / 1756 م ـ 1264 هـ / 1848 م)

هو سيد عبد اللّه بن أحمد دام بن عبد الرحمن بن أشفغ البنعمري الحسني.

شاعر مجيد وعالم جليل من أبرز شعراء موريتانيا في القرن الثّالث عشر، ووصفه صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط بأنّه «الملحوظ بالإعظام من أقرّ بتقدّمه جميع معاصريه وأذعن من أهل قطره حاضره وباديه، برع في صوغ القريض حتّى كان طوع فكره، وكان حرّ الأفكار سالما من التّعصّب».

ولد بمنطقة العقل مرابع قومه من إمارة اترارزه

(ولاية اترارزه) في الجنوب الغربي لموريتانيا.

بدأ تعلمه بالقرآن ومبادئ اللّغة العربيّة والعلوم الشّرعيّة كعادة أبناء عصره. وقد درس في هذه المرحلة على أخواله من بني ديمان، كما درس على عمّه محمذ بن عبد الرحمن اللّغة والشّعر قبل أن يلتحق بمحضرة المختار بن بونه الجكني (ت 1220 هـ) وهو علم من أعلام الثّقافة في البلد، نحوي ضليع، ومتكلّم له مؤلّفات وتأثير واسع في المنطقة.

أخذ عنه النّحو حيث اعتبر من كبار تلاميذ هذه المدرسة مدرسة المعقولات الأشعريّة.

ومن خلال دراستنا لآثاره يبدو أنّ سيد عبد اللّه استطاع الجمع بين مميّزات الاتّجاه الموسوعي الّذي يركّز أصحابه على دراسة اللّغة والفقه والاتّجاه التّطبيقي الّذي يهتمّ بدراسة الدّواوين الشّعريّة وكتب اللّغة أكثر من اهتمامه بدراسة النّظريّات النّحويّة وحفظ القواعد.

ورغم أنّنا لم نتوفّر على المعلومات الدّقيقة عن النّصوص الّتي تخصّص فيها الشّاعر والعالم ولا الفنون الّتي درس، إلاّ أنّه من خلال استقراء أثره يبدو مشاركا بارزا في معارف بلده وزمنه فقد كان على اتّصال بأعلام عصره لأنّه فضلا عن علماء قبيلته (إداب لحسن) كان ذا صلة بمحنض بابه بن اعبيد الديماني (ت 1277 هـ)، ومحمد بن سيدينا (ت 1264 هـ)، وحرمه بن عبد الجليل العلوي (ت 1243 هـ)، وبابه بن أحمد بيبه (ت 1276 هـ)، كما سافر إلى آل الشّيخ سيد المختار الكنتي في الشّمال الشّرقي من البلاد الشنقيطيّة، وفي عودته سنة 1242هـ اتّصل بالشّيخ سيديا (ت 1284 هـ)، وأخذ عنه الطّريقة القادريّة في التّصوّف. كما كانت له صلة بالعلاّمة محمذ فال بن متالي الّذي كوّن معه صداقة قويّة ومكث معه فترة. وكانت له إضافة إلى ذلك جولات إلى خارج المنطقة قادته إلى أرض السنغال ومالي واستقرّ به المقام في بلاد (فوتا جالو) منبع نهر السنغال بغينيا الاستوائيّة.

وقد تزوّج بإحدى بنات البلاد وأنجبت له أطفالا وشكّل تجواله بين موطنه ومهجره مناسبة أدبيّة أعرب فيها عن حنين مزدوج لمسقط رأسه من جهة ومسقط رؤوس فلذات كبده في غينيا من جهة ثانية، وقد ظلّ هذا الحنين يسهده حتّى ارتحل إلى منازل حبه.

ومن أهمّ الآثار الّتي تناقلها الدّارسون لسيد عبد اللّه ديوانه الشّعري وهو ديوان من رفيع الشّعر تضمّن أكثر من 952 بيتا تناول فيه أحد عشر غرضا من أغراض الشّعر التّقليديّة، شكّل المديح والمدح النّسبة الأكثر فيه من حيث كمّ الأبيات الشّعريّة حيث قدّرت بـ 33%. ويأتي الحنين - الّذي أشرنا إلى مثيراته أعلاه - في الدّرجة الثّانية، ثمّ التّوسّل والمساجلات والوصف والرّثاء والفخر. وقد كان مديحه موجّها بالدّوافع الدّينيّة والثّقافيّة، حيث إنّ شمائل الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ مناقب شيخه وسيد زمانه الشّيخ سيديا كانا المحورين الأساسيّين في النّصوص المديحيّة في هذا الدّيوان. ومن مميّزاته الأدبيّة تخصيصه لغرض الحنين قصائد كاملة، فحنين الشّاعر إلى ديار أهله في منطقة العقل، وحسرته على فراق الأهل والأحبّة ومعاناة الغربة في أرض الزنوج أمور تشكّل محور الحنين في شعره فشاع فيه استبدال ربوع المهجر، بديار الأهل، ومواطن الصّبا ودمن

الأحبّة والأتراب فتذكّره القوافل بتلك الرّبوع وتثير فيه كوامن الشّوق.

ويتميّز شعره بجزالة العبارة، وسعة الخيال وقد خصّص حيّزا مهمّا من الدّيوان للمساجلات والدّفاع عن بعض القضايا الثّقافيّة والاجتماعيّة الّتي كانت تدور في محيطه، حيث ناصر الطّريقة التّيجانيّة ضدّ الفقهاء الّذين اعتبروها بدعة وأنّها على غير حقّ، فكان لدفاعه أثر في توطيدها ممّا أدّى إلى مواجهات بينه وبين بعض معارضي هذه الطّريقة خاصّة إديجه الكمليلي (ت1270هـ).

كما كانت له مساجلات لغويّة مع بلا بن الفاضل (ت 1274 هـ) في قضايا لغويّة، وكذلك مع أحد وجهاء قومه أحمد بن محم في قضيّة لغويّة كذلك.

وقد كانت هذه المساجلات والحوارات تعكس رؤيته الفكريّة والعقديّة ومستوى تمكّنه في مجال المنطق والفقه واللّغة، كما كانت قصائده للدّفاع عن حياض عشيرته ومكانتها الاجتماعيّة والإشادة بمكانتها العلميّة وكرمها وإبائها. وقد عتب على وجهاء قومه إذا هم قبلوا ببعض الشّروط السّياسيّة المجحفة في وقت من أوقات المشاكسات القبليّة الّتي كانت تحدث من حين إلى آخر وهو بذلك يبدو شاعر قومه المغوار.

■ آثاره

إضافة إلى الدّيوان المحقّق برسالة جامعيّة من المدرسة العليا للتّعليم، سنة 1982-1983م. أجمعت المصادر على أنّ للشّاعر مؤلّفات ضائعة نذكر منها:

1 - تآليف عن أئمّة الحديث 2 - نظم في العقائد 3 - مؤلّف في الفقه 4 - نظم في المنطق 5 - فتاوى فقهيّة في قضايا مختلفة.

■ المصادر والمراجع

● الشنقيطي، أحمد الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط. 4، مكتبة الخانجي، 1989م ● ابن حامد، المختار، حياة موريتانيا الثّقافيّة، ط. 4، الدّار العربيّة للكتاب، 1990 م ● النحوي، الخليل، المنارة والرّباط، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، تونس، 1987 م ● ابن اباه، محمد المختار، الشّعر والشّعراء في موريتانيا، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، تونس، 1987م ● ابن محمد سالم، محمد رضوان الله، تحقيق ديوان سيد عبد الله بن أحمد دام، رسالة تخرّج من المدرسة العليا للتّعليم، انواكشوط، السّنة الجامعيّة 1982-1983م ● قائمة المؤلّفين بقسم المخطوطات، المكتبة الوطنيّة، دار الثّقافة انواكشوط ● ابن اباه، محمد المختار، دراسات في تاريخ التّشريع الإسلامي في موريتانيا ● البراء، يحيى بان، ألفيّة ابن مالك وتأثيرها في الثّقافة الموريتانيّة، رسالة من المدرسة العليا للتّعليم، 1982م ● بزيد، سيد محمد بن محمد عبد الله، معجم المؤلّفين في القطر الشّنقيطي، منشورات سعيدان، تونس، 1996 م ● أحمد بن الحسن، الشّعر الشّنقيطي في القرن الثّالث عشر، أطروحة الدّكتوراه من الجامعة التّونسيّة، 1986 م.

د. محمد المختار ولد المصطفى
جامعة نواكشوط . موريتانيا

أحمد رسمي، أفندي

(1700 م - 1783 م)

يعتقد أنه ولد في هانيا في كريت، وهناك اعتقاد كبير بأنه ولد في «رسمو». ويوجد تاريخان في المصادر بشأن ولادته. وبشكل عام فإن التاريخ المعتمد هو عام 1700. ويعرف كذلك بأحمد بن رسمي. ويقال إن السبب وراء لقب رسمي هو أنه ينسب إلى «رسمو» أو لأنه عمل لمدة طويلة في وظائف رسمية في الدولة. وتعلم العلوم الدينية والأدب والخط منذ صغره. ثم ذهب في عام 1738 أو 1739 إلى استانبول لكي يواصل التحصيل العلمي. وهناك تلقى على يد العديد من الشيوخ العلوم الدينية والمنطق والأدب. وانتسب إلى مصطفى أفندي صهر طاووكجي باشي الذي عمل رئيسا للكتاب ثم أصبح صهره بعد ذلك.

دخل أحمد رسمي في خدمة الدولة عن طريق مصطفى أفندي، فعمل في نظارة البارود خانه في بورصة، وسالونيك، واستانبول، وغليبولي، وعمل كذلك في دار الحسبة في الأوقاف، وإثر ذلك عمل في عام 1753/1754 ناظرا للمعارض. وبعد أن اعتلى مصطفى الثالث العرش في عام 1757 أرسل سفيرا إلى النمسا باقتراح من الصدر الأعظم محمد راغب باشا. وفي عام 1768 استقبل من قبل الامبراطور فرانسيس الأول والامبراطورة ماريا تيريزا. ثم عاد إلى استانبول في سبتمبر من العام نفسه. وفي شهر يونيو من عام 1758 أصبح تذكره جي للمالية. وعزل من هذه الوظيفة لمدة من الزمن ثم أعيد إليها وعمل فيها حتى شهر يونيو عام 1762 حيث عين محاسبا لمنطقة الأناضول. وفي شهر يونيو من عام 1763 عين من قبل الباب العالي سفيرا في برلين وذلك بهدف فهم الوضع القائم في أوروبا وخاصة بين روسيا وبروسيا إثر التقارب الحاصل بينهما بعد حرب السبع سنوات التي اندلعت في أوروبا والتحقق مما إذا كان الأمر مضرا بالنسبة إلى الدولة العثمانية أم لا.

قام أحمد رسمي أفندي بزيارة البغدان ولهستان رفقة 70 شخصا من الموظفين، ووصل إلى برلين في نهاية عام 1763، وبعد أن قام بالأعمال اللازمة عاد إلى استانبول في شهر مايو من عام 1764. وعمل في كتابة الصدارة، وفي عام 1765 عمل جاويش باشي، وفي عام 1767 أمينا للمطبخ، وفي عام 1768 أمينا للترسانة، وفي عام 1769 كلف بالروزنامه. وفي فترة صدارة علي المولدوفاني باشا عين على كتخدائية الصدارة لما يتمتع به من تجربة. بيد أن عمله في هذه الوظيفة لم يستمر طويلا (نوفمبر 1769) بسبب استقالة علي باشا من الصدارة فأعيد مرة أخرى إلى وظيفته الأولى. ونظرا لإلمامه بتفاصيل السياسة الأوروبية عندما كان مكلفا بالروزنامه (روزنامجي) أثناء الحرب العثمانية

الروسية كلف مرة أخرى في مارس من عام 1771 بكتخدائية الصدارة. وفي هذه الفترة شارك في المفاوضات التي أفضت إلى معاهدة كوڤوك قاينارجه. ثم عزل بعد أن عاد إلى استانبول في عام 1774. غير أنه عين مرة أخرى أمينا للمطبخ وعلى دفتردارية الشق الثاني وفي وظيفة الروزنامجية. وفي أثناء صدارة خليل حمدي باشا، وبالرغم من تقدمه في السن عمل أحمد رسمي أفندي لمدة من الوقت سواري مقابله جليك وروزنامجه جليك. وتوفي في 5 سبتمبر من عام 1783 الموافق لـ 7 شوال من عام 1197، وهو مدفون في مقبرة قره جه أحمد الموجودة في أسكدار.

بالرغم من الخدمات الكثيرة والمكثفة التي قدمها إلى الدولة فإنه لم يهمل الاهتمام بالتاريخ والأدب، إذ كان لأحمد رسمي أفندي اهتمام خاص بهذين المجالين، وقد كان له دور فعال في أدبيات الإصلاح العثماني. وكان يقتحم الأحداث بنفسه ويدقق في الأزمات والضروريات المطلوبة. وكان على وعي كامل بضرورة إحداث التغيير والإصلاح في الدولة، وبذلك يمكن اعتباره من بين المصلحين، وكان أحمد رسمي أفندي من المناصرين لفكرة تحديث الدولة وخاصة في الجانب العسكري، ويرى ضرورة التقارب مع الدول الأوروبية. ففي اللائحة التي رفعها إلى الصدر الأعظم بيّن فساد نظام الإعاشة وانتشار الفوضى والجهل بين صفوف العسكر وهي من المؤشرات الخطيرة في بقاء الدولة. وهذه الملاحظات سوف تؤخذ بعين الاعتبار في الفترة اللاحقة أثناء الإصلاحات التي قام بها السلطان سليم الثالث. وهذه المسائل تناولها أحمد رسمي أفندي بشيء من الوضوح والشجاعة، وهو ما يضفي عليها خصوصية زائدة. وفي اللائحة الأخرى التي أعدها وعرضها على الصدراة أثناء مفاوضات السلام لعام 1772 بين الدولة العثمانية وروسيا بين أن كفاءة رجال الدولة العثمانية أقل من نظرائهم الروس. وإذا قيمنا الرجل بشكل عام وجدنا أنه يؤكد على ضرورة أن يكون رجال الدولة على كفاءة عالية ويؤكد كذلك على ضرورة تفضيل الصلح كلما كان ذلك في مصلحة الدولة، ولذلك يمكن اعتباره من رواد فترة النظام الجديد. وبالإضافة إلى هذا الرصيد الذي يتمتع به أحمد رسمي أفندي نلاحظ أنه يعتبر مؤلفا أيضا ترك عددا من الكتب المهمة.

آثاره

1- سفينة الرؤساء: هو كتاب يتناول ترجمة حياة رؤساء الكتّاب ابتداء من قوجه نيشانجي جلال زاده مصطفى جلبي وصولا إلى راغب باشا، وأصل اسم الكتاب هو «خليقة الرؤساء» وقد عرضه على راغب باشا فرأى أن يغير اسمه ليصبح «سفينة الرؤساء» واشتهر بهذا الاسم. غير أنه وفي عام 1269 طبع سهوا بعنوان «خليقة الرؤساء» [مع الذيل الذي يمتد حتى سليمان فائق أفندي 1812-1814]. وهذا الكتاب أعيدت طباعته ضمن منشورات أندرون [استانبول 1992]
2 - خميلة الكبراء: يحتوي على ترجمة لأغوات دار السعادة. وتم نشر هذا المؤلف في وقتنا الحاضر من قبل أحمد نزيهي طوران [استانبول 2000] 3 - سفارت نامه: طبع

تحت اسم «سفارت نامه» [استانبول 1304]، وقد ألفه بعد رجوعه من سفارته في فيينا وتناول فيه أخبار النمسا وإدارة الدولة وأحوال الشعب وغيرها من المسائل. وقد تم عرضه على الباب العالي، كما تم ترجمة هذا المؤلف إلى اللغة الألمانية من قبل هامر [برلين، Sttetin 1809]. والأمر نفسه عند عودته من سفارته في بروسيا، فقد أعد تقريرا تحدث فيه عن أحوال البلاد وعن حكومة فريدريك الكبير، وتناول فيه مشاهداته في تلك البلاد [استانبول 1303]. وترجمت «سفارت نامه» إلى اللغتين الألمانية والروسية ولغة لهستان 4 - خلاصة الاعتبار: مؤلف تناول فيه أحمد رسمي ملاحظاته بشأن الحرب العثمانية الروسية [1767-1774] ومواقفه وانتقاداته وتحدث فيه عن أحوال عسكر الدولة والوضع السياسي والاقتصادي للدولة، ودافع عن فكرة عقد معاهدة ورأى فيه أنه من مصلحة الدولة العثمانية الدخول في سلام مع روسيا. وكتب هذا المؤلف في عام 1783. وتوجد منه ثلاث طبعات [استانبول 1282، 1296، 1307]. وترجم الكتاب عام 1813 إلى اللغة الألمانية. وهناك عمل آخر لأحمد رسمي أفندي في مجال التراجم، وهو عبارة عن الزيادة التي أضافها على كتاب ألاي بزي زاده أمين أفندي والمتعلق بالوفيات والذي تم تأليفه في عام 1666، وقد أضاف فيه حتى عام 1778.

بالإضافة إلى ذلك توجد لأحمد رسمي أفندي رسالة مخطوطة تدعى «الاستئناس في أحوال الأفراس» وهي تدور حول محبة الحيوانات والخيول، وهي عبارة عن مجموعة من الأمثال جمعها من اللغات المختلفة [مكتبة جامعة استانبول، المخطوطات التركية، رقم 6667]، كما ألف رسالتين أدبيتين باللغة العربية بعنوان «زلالية» و«لغازة».

■ المصادر والمراجع

● ثريا، محمد، السجل العثماني، استانبول 1308-1315، II، ص. 380

● البورصوي محمد طاهر، المؤلفون العثمانيون، استانبول 1333-1342، III، ص58.

● Faik Resit Unat, Osmanli Sefirleri ve Sefaretnameleri, (nsr. B.S1tk1 Baykal), Ankara 1968, 102-105, 112-116; ● Kemal Beydilli, 1790 Büyük Friedrich ve Osmanlilar, Istanbul 1985, p.81-92; ● Virginia Aksan, An Ottoman Statesman in War and Peace, Ahmed Resmi Efendi 1700-1783, Leiden- New york-Köln 1995; ● Türkçe tercümesi, (Özden Arikan), Savasta ve Barista Bir Osmanli Devlet Adami, Ahmed Resmi Efendi (1700-1783), Istanbul 1997; ● B. Atsiz, Ahmet Resmi Efendi'nin Viyana ve Berlin Sefaretnameleri, Istanbul 1980; ● Kemal Beydilli, «Ahmed Resmi Efendi», Toplumsal Tarih, sayi 52 (Nisan 1998), Istanbul 1998, p.56-64; ● Bilge Ercilasun «Ahmed Resmi Efendi'nin Türk Yenilesme Tarihindeke Yeri», Atsiz Armagani, Istanbul 1976, p.127-146; ● Ismet Parmaksizoglu, «Bir Türk

diplomatinin XVIII. yüzyil sonunda devletler arasi iliskilere dair görüsleri» TTK Belleten, XLVII/186 (1983), p.527-535; • Zeynep Aycibin, «Ahmed resmi Efendi'nin Hamiletü'l-Kübera'si ve Müstakem-zade Zeyli», TTK Belgeler, XXII/26 (2001) Ankara, p.183-226; • Franz Babinger, «Ahmad Rasmi», Encyclopedia of Islam (new edition), I, 294-295; • Bekir Kütükoglu, «Ahmed Resmi», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, II, 121-122; • Kemal Beydilli, «Islahat», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, XIX, p.174-175.

د. عزمي أوزجان
جامعة اسطنبول
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي ـ تونس

ابن أحمد سالم، الشيخ أحْمَدُّو بْنُ سُليمان

(.... هـ/.... م ـ 1299 هـ/1881 م)

الشيخ أحْمَدُو بْنُ سُلَيْمان بْنُ سَالم الموريتاني الديماني، عالم متصوّف وشاعر ناظم. ولد في منطقة إيكَيْدي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في وقت كانت المنطقة تعيش أوج نهضتها الثقافيّة، وبها تلقّى معارفه قبل أن يلتحق بالشيخ سيديه الكبير بعد مقدمه من أزَوّاد ويلازمه سنين عِدَدًا ويصبح من كبار تلامذته ومريديه الذين أجازهم، ومن كتاب رسائله وناقلي كتبه الأساسيين لما اشتهر به من حسن الخط، بل كان هو وأخوه محمذن فال أشهر هؤلاء. وقد أخذ عنه العلم وتصدر على يده في الطريقة القادرية في التصوف، وأصبح من أكابر حضرته المقرّبين. ولما حصل على مبتغاه، عاد إلى موطنه الأصلي "فتُلقي بالبشر ومُدح بالشعر والنثر" [ابن حامدن، جزء بني ديمان، ص150] من قبل خاصة قومه من أمثال محنض بابه بن اعبيد الذي ابتهج بمقدمه قائلاً:

يا مرحبًا بحبيب طالما اغتربا
فمنَّ ربي بطيّ البعد فاقتربا

فليس يكفيه منّا أن نقابله
ملء البَرَى فضّة أو ملئها ذهبا

وخاطبه محمذن بن أحمد بن العاقل بقوله:

ألا يا أخا الفتيان أهلا ومرحبا
وحياك من غرّ التحايا مُدامها

فلا غروَ إن عزّتْ بك الأرض واستمت
جدودك هام الخمس هم هم سنامها

فلا علم إلا ما لديكم ولا تقى
ولا رحمة إلا وأنتم زمامها

عليك من القطب المربي لوائح
يدانيك من قطب السماء استلامها

كما نلت من سرب «الشناظير» ظبية
عزيز على شمّ الأنوف اغتنامها

ولا زلت موسوما بكل فضيلة
يناجيك منها نجل سام وحامها

وأصبح صاحب محضرة وشيخ تربية صوفية له طلابه ومريدوه. ومن أشهر من أخذوا عنه بابه بن الشيخ سيديا (ت 1342 هـ/ 1924م)، والبراء بن بكي (ت 1336 هـ/ 1917م)، وأحمذو بن زياد (ت 1322 هـ/ 1904م)، والحافظ بن سيدي أحمد بن محمد بن خاجيل، والمختار بن جَنْكِي (ت 1321 هـ/ 1901م)، والمؤيد بن المختار بن قطرب، وأحمد بن بَيْبَّه، ومحمد بن عمر، ومحمد بن الخليل...

ونوه معاصروه بخلقه وعلمه وهو ما يزال في حضرة الشيخ سيديه، فتفرس فيه السيادة زميله في هذه الحضرة عبد الودود بن عبد الله بن أحمد بن انْجَبْنانْ فقال:

يا راكبا بلّغن عنّي سليمانا
وبلغن قومه أبناء ديمانا

أني لقيت فتى عند الميامن من
ديمان تزهو به ديمان أزمانا

وكان العالم سيدي محمد بن الداه بن داداه (ت 1360 هـ/ 1942 م) إذا حدث عن الشيخ أحمدّو بن سليمان يقول إنه «أضيقُ بِهِ وأَعْلِمُ بِهِ» [هارون، كتاب الأخبار، ص61].

وذهب ابن اسمه [ذات ألواح ودسر، ص55] إلى القول إن الرجل «قد جلس... على كرسي الوجاهة والمكانة» عند أصحاب السلطة الزمنية في منطقته، رغم وحشته المعروفة مع الأمير سيدي بن محمد الحبيب (1277 هـ/ 1860- 1288 هـ/ 1871م) بسبب زواج الشيخ أحمدو بن اخْدَيْجَه بنت أحمد للّيْكاظ - عمّ سيدي - المغدور سنة 1266 هـ/ 1849 م بمباركة من سيدي نفسه إثر خروجه على والده محمد الحبيب (ت1277 هـ/ 1860 م) ومشاققته إياه.

ولم تقتصر علاقات الرجل على شيخه الشيخ سيديه وابنه سيدي محمد وحفيده بابه وسَراة تلامذته من أمثال الشيخ أحمد بن الفاضل الأبهمي، وعبد الودود بن عبد الله الحيبلي، بل تعدّتهم إلى معاصريه من علماء محيطه الاجتماعي والجغرافي المخصوص مثل محنض بابه بن اعبيد، ومحمذن بن أحمد، وبكي بي سيدي بن حرمه، وابن عبدم بن عبد الله وغيرهم.

آثاره

1 - تأليف في القراءات 2 - نظم في الحساب العددي 3 - تأليف في أنساب المغافرة 4 - ديوان شعر غير مجموع.

المصادر والمراجع

● هارون بن الشيخ سيديه، كتاب الأخبار، الجزء الثالث، ص44-64، قيد النشر ● ابن حامدن، المختار، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، طرابلس

1990، ص75 ● جزء بني ديمان، الصفحات 150-152 من النسخة المرقونة سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوط، ص42-55 ● ولد بزيد، سيدي محمد بن عبد الله، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، منشورات سعيدان، سوسة، تونس 1996، ص84-85 ● محمذن بن أحمد بن بابه، نبذة عن الشيخ أحمدو بن اسليمان ونماذج من شعره، معدة لمعجم البابطين، قيد النشر ● الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص515.

د. محمد المختار ولد السعد

جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

أحمد، سعد مرسي

(1343هـ/ 1924 م ـ 1411 هـ/ 1991م)

يعتبر سعد مرسي أحمد من أبرز التربويّين العرب المعاصرين. فهو ذو اهتمامات متعدّدة، دارت في معظمها حول تربية الإنسان وتنشئته. وقد احتلّت تربية الطفل من كتاباته وجهوده الحيّز الأكبر. كما لقي التقدّم في ارتباطه بالتربية اهتماما بالغا من لدنه. وكان يرى في مهمّة التدريس المثل الأعلى في الولاء والعطاء.

ولد سعد مرسي أحمد في القاهرة في 29 مارس 1924، وحصل على الإجازة في الآداب من قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأوّل (القاهرة) عام 1945، ثمّ دبلوم معهد التربية العالي للمعلّمين عام 1947، وحصل على درجة الماجستير في التربية من جامعة كولومبيا بنيويورك، وحصل بعد ذلك على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكيّة عام 1961.

كانت رسالته لنيل الدكتوراه من أوائل الدراسات البينيّة في التربية حيث ربط بين نظم التعليم والمناهج الدراسيّة، للوقوف على صلتها بالتربية من أجل التفاهم الدولي: أمّا عنوانها الكامل فهو:

«A Survey of Curriculum Materials in Some Selected School Systems as They Relate to International Understanding».

وقد عالج في هذه الرّسالة موضوعا ذا أهميّة تربويّة وعالميّة وهو التربية من أجل التفاهم الدولي، وكان له السبق في البحث التربوي في هذا المجال الذي نراه اليوم على قمّة الاهتمامات التربويّة.

بدأ سعد مرسي أحمد حياته الوظيفيّة مدرّسا للتربية وعلم النفس بدور المعلمين من عام 1947 إلى عام 1955، وعمل خبيرا لهيئة

اليونسكو في إعداد المعلمين وتدريبهم بالأردن عامي 1955 و 1956.

ثم رقّي إلى درجة أستاذ مساعد بكلّية المعلّمين (جامعة عين الشمس) عام 1961، وشغل هذه الوظيفة حتى عام 1967. وفي هذا العام عمل أستاذا مساعدا فكلية الآداب والتربية ببنغازي بليبيا. ثمّ سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة حيث كانت زوجته تدرس للحصول على درجة الدكتوراه، وعمل أستاذا مساعدا بكلّية سبولدنغ وجامعة جنوب الليبنوى بالولايات المتّحدة في الفترة من 1968 إلى عام 1971.

ورقّي أستاذا لأصول التربية بجامعة عين الشمس عام 1972، ثمّ أعير للعمل بجامعة قطر من عام 1974 إلى عام 1978. وعاد ليشغل منصب رئيس قسم أصول التربية بكلّية التربية جامعة عين شمس عام 1978، ثمّ وكيلا للدراسات العليا والبحوث في الكلية نفسها من عام 1980 إلى 1984، وعميدا لكليتي التربية بالإسماعيليّة والعريش، جامعة قناة السويس في الفترة نفسها، ومستشارا لرئيس جامعة قناة السويس لكليات التربية في عام 1984.

ثم أشرف على قسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة حلوان مع إنشاء الكلية عام 1982، وحتى عام 1987. وشارك في إنشاء العديد من كليات التربية في مصر والعالم العربي، مثل قطر وسلطنة عمان.

كما عمل مقرّرا للجنة العلميّة الدائمة للتربية وعلم النفس التربوي، مستوى الأساتذة والأساتذة المساعدين وأشرف على المئات من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المصريّة والعربيّة، كما كانت له إسهامات في الكثير من الندوات والمؤتمرات العلميّة.

وتولّى سعد التدريس في أكاديميّة الفنون ومعهد السيناريو، ومن تلاميذه بعض مشاهير الممثّلين والممثلات في السينما والمسرح.

توفّي سعد مرسي بالقاهرة يوم الثلاثاء 16/ 7/ 1991.

آثاره

ترك سعد مرسي أحمد للمكتبة العربيّة ثروة تربويّة متميّزة: 1 ـ في عام 1970 أصدر كتابه "التربية والتقدّم" الذي نال جائزة الدولة التشجيعيّة. وقد أهدى كتابه إلى "الذين يؤمنون بأنّ بناء البشر أصعب من أيّ بناء آخر، والذين يؤمنون بأنّ بناء البشر ركيزة أساسيّة لتقدّم الشعوب". وقد ألحّ في ثنايا الكتاب، على الإصلاح الجذري للتعليم، ومهمّة كهذه تتطلّب إعادة النظر في الأطر الثقافيّة والفلسفيّة والنفسيّة. كما نادى بالعمل الجماعي في سبيل تنمية الأعمال، أساس تنمية الأخلاق وهي عدة الدول والمجتمعات في سباق التقدّم. وكان إيمانه كبيرا بأنّه مهما اعتمدنا على البنى الماديّة في التقدّم. فإنّ القوى البشريّة هي فقط التي تملك قدرة تحويل الطموحات والأحلام إلى حقيقة وواقع.

كان سعد مرسي يرى أنّ التاريخ هو بعد من أبعاد المستقبل. ومن هنا جاء كتابه 2 ـ تطوّر الفكر التربوي الذي صدرت طبعته الأولى عام 1966 متضمّنا دروسا من التاريخ تجعلنا أكثر

تبصّرا بالمستقبل ويطرح المؤلّف وجهة نظره في مفهوم تاريخ التربية فيقول: إنّها في حقيقة الأمر محاولة لاستكشاف قضيّة مهمّة وهي: كيف كان الناس يتصوّرون المستقبل، وكيف كانوا يتحسّبون له، ويعدّون العُدّة من أجله من خلال العمليّة التربويّة؟ إنّها وجهة نظر تفلسف التاريخ. وقد توالت طبعات هذا الكتاب حتى كانت الطبعة الثامنة عام 1989 وهو من أهمّ المراجع التربويّة في العالم العربي حتى اليوم 3 ـ وألّف مع زميل له كتاب «تاريخ التربية في مصر»، عام 1971 4 ـ وكتاب تاريخ التربيّة والتعليم عام 1972 5 ـ ثم قدّم لنا كتاب قراءات في التربية المعاصرة عام 1971، وهو يشمل القضايا المتطوّرة في مجالات التربية وأصولها وفلسفتها وممارستها 6 ـ وفي عام 1979 ترجم مع زميل له كتاب فلسفة التعليم الابتدائي. وفي تقديمه للكتاب أكّد على أهميّة تربية الطفل في المراحل المبكّرة وضرورة أن يمتلك مطلقا ما يتعلّمه وأن يستخدم معارفه وألاّ يكون التعلّم مجرّد حفظ معلومات، يقول: «المعرفة قوّة... ويا لها من قوّة» 7 ـ ومن منطلق اهتمام سعد مرسي بالتقدّم والتربية والصلة بينهما، كان تركيزه على تربية الطفل منذ بواكير طفولته لخطورة هذه المرحلة العمريّة 8 ـ وفي عام 1950 ألّف كتابه سيكولوجيّة الطفل، ثمّ أتبعه بكتاب فروبل وفلسفته في التربية وكان ذلك في عام 1952 9 ـ وفي 1965 وضع كتابه في تربية الإنسان. وقد ركّز فيه على التربية المتكاملة للطفل مع الاهتمام بالجوانب الأخلاقيّة والوجدانيّة والوظيفيّة 10 ـ وفي عام 1983 ألّف مع زوجته كوثر حسين كوجك كتابهما تربية الطفل قبل المدرسة ونالا عنه جائزة الدولة التشجيعيّة. وقد أكّدا في كتابهما هذا على تربية الأعماق من أجل الأخلاق مبرهنين على أنّ تربية الأخلاق هي التي تتحكّم في سلوك الفرد منذ بواكير طفولته فينشأ واعيا لسلوكه نحو خالقه ونحو نفسه ونحو وطنه. ويأخذ الكتاب القارئ في سياحة شرقا وغربا لعرض الأفكار والنظريات المرتبطة بتربية الطفل قبل المدرسة 11 ـ ولمواجهة التغيّرات المجتمعيّة السلبيّة والتحوّلات التي تؤثّر في التربية وأهدافها وضع سعد مرسي كتابه المتميّز طفل غاضب - فكر فلسفي لتربية عام 1981، وهو عرض لفلسفة تربويّة في قالب روائي غير مسبوق 12 ـ وفي عام 1991 كتب الدكتور سعد مرسي أحمد بالاشتراك مع زوجته كذلك آخر مؤلّفاته بعنوان التربية والتحدّي - التجربة اليابانيّة - وهو ترجمة وعرض وإضافة للتطوّرات التي يشهدها مجال التربية وموقف مصر من هذه التطوّرات.

وكتب سعد مرسي أحمد بالإضافة إلى أعماله التربويّة الكثير من الروايات والمسرحيات والبرامج الإذاعيّة والتليفزيونيّة ومن تلك الأعمال الأدبيّة 13 ـ الأستاذ الخالد 14 ـ الشدّة العظمى 15 ـ يا عيني يا خليل 16 ـ كيف تقتل زوجتك 17 ـ وثلاث مسرحيات في المعركة.

د. كوثر حسين كوجك
جامعة القاهرة ـ مصر

أحمد بن الكيّال

(القرن 4 هـ/10 م -)

أحمد بن الكيال أحد فلاسفة الإسماعيلية، وصاحب فرقة الكيالية.

لم تتضمّن المصادر التاريخية تفصيلا عن حياة أحمد بن الكيال، سوى أنه كان معاصرًا لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ)، إذ يشير النديم في كتابه الفهرست خلال سرده قائمة كتب الرازي إلى كتاب «النقض على الكيال في الإمامة».

كان أحمد بن الكيال من دعاة أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق بن محمد الباقر، ولم يذكره فاعتبر هذا الإمام من أئمّة المستورين.

يقول عنه أبو الفتح محمد الشهرستاني (ت548هـ/ 1153م) في كتابه الملل والنحل:

«ولعلّه سمع كلمات علمية، فخلطها برأيه القائل، وفكره العاطل، وأبدع مقالة في كل باب علمي على قاعدة غير مسموعة، ولامعقولة، وربّما عاند الحسن في بعض المواضع، ولما وقفوا على بدعته تبرأوا منه ولعنوه، وأمروا شيعتهم بمنابذته، وترك مخالطته، ولما عرف الكيال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه، وادّعى الإمامة أوّلا، ثم ادّعى القائم ثانيًا».

والنقد الباطني لبعض فقرات كتاب أحمد بن الكيال التي حفظها لنا الشهرستاني يرجح أن صاحبه عاصر إخوان الصفا للمماثلة بين هذه الآراء وبين رسائل إخوان الصفا.

إن فلسفة أحمد بن الكيال محاولة لمزج العقيدة الإسلامية بفكرة الأكوان والعالم، وتفسير الآثار الفلكية في ضوء الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورسية.

يقسم ابن الكيال الكون إلى ثلاثة عوالم هي: العالم الأعلى، والعالم الأدنى، والعالم الإنساني.

وهناك خمسة أماكن في العالم الأعلى هي:

- الأول: مكان الأماكن، وهو فارغ لا يسكنه موجود، ولا يدبره روحاني، وهو محيط بالكل.
- الثاني: العرش الوارد في الشرع عبارة عنه.
- الثالث: مكان النفس الأعلى.
- الرابع: مكان النفس الناطقة.
- الخامس: مكان النفس الإنسانية.

ثم يقول ابن الكيال:

«وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالم النفس الأعلى، فصعدت وخرقت المكانين: أعني الحيوانية، والناطقة، فلما قربت من الوصول إلى عالم النفس الأعلى، كلّت وانحسرت، وتحيّرت وتعفّنت، واستحالت أجزاؤها فأهبطت إلى العالم السفلي. ومضت

عليها أكوار وأدوار، وهي في تلك الحالة من العفونية والاستحالة، ثم ساحت عليها النفس الأعلى، وأفاضت عليها من أنوارها جزءًا، فحدثت التراكيب في هذا العالم، وحدثت السماوات والأرض، والمركبات من المعادن والنبات والحيوان، والإنسان. ووقعت في بلايا هذه التراكيب تارة سرورًا، وتارة غمًا، وتارة فرحًا، وتارة ترحًا، وطورًا سلامة وعافية، وطورًا بليّة ومحنة حتّى يظهر القائم، ويردها إلى حال الكمال، وتنحل التراكيب، وتبطل المتضادات، ويظهر الروحاني على الجسماني. وما ذلك القادم إلاّ أحمد الكيال».

ثم يرتب ابن الكيال الموجودات ترتيبًا تنازليا، ولم يقف عند ذلك بل قابل حروف اسمه بأسماء هذه الموجودات ليبرهن على أنه هذا القائم، ولبيان ذلك أن اسمه أحمد يطابق عنده العوالم الأربعة، فيقول:

«الألف تقابل النفس الأعلى.
والحاء تقابل النفس الناطقة.
والميم تقابل النفس الحيوانية.
والدال في مقابلة النفس الإنسانية».

ويتوافق أحمد بن الكيال مع مذهبه حين يقول أن مكان الأماكن لا وجود لها فيه البتة، إذ أنه خلاء مطلق، ثم أثبت في مقابلة العوالم العلوية: العالم السفلي والجسماني.

ويقول: «فالسماء خالية، وهي في مقابلة مكان الأماكن، ودونها الهواء، ودونه الأرض ودونها الماء، وهذه الأربعة في مقابلة العوالم الأربعة».

ثم يتابع قوله:

«الإنسان في مقابلة النار
والطائر في مقابلة الهواء
والحيوان في مقابلة الأرض
والحوت في مقابلة الماء»

أمّا العالم الإنساني فقد أخذ ابن الكيال يقابل بين الحواس الخمس في الإنسان وبين الآفاق التي ذكرها من العالمين، الروحاني والجسماني.

-**فالسمع**: في مقابلة مكان الأماكن من العالم الروحاني، والسماء في العالم الجسماني.

- **والبصر**: في مقابلة النفس الأعلى من العالم الروحاني، وفي مقابلة النار في العالم الجسماني.

- **والشم**: في مقابلة الناطق من الروحاني، والهواء من الجسماني.

- **والذوق**: في مقابلة الحيوان من الروحاني، والأرض من الجسماني.

- **واللمس**: في مقابلة الإنسان من الروحاني، والماء من الجسماني.

تظهر في مذهب ابن الكيّال الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، فيتكلّم عن تشوف النفس الإنسانية إلى الصعود إلى عالم النفس الأعلى، ودور القائم في إعادة النفس الإنسانية إلى عالم النفس الأعلى، فينتقضها من التراكيب في هذا العالم (السماوات، والأرض، والنبات، والحيوان، والإنسان)، ولكي يغلب الروحاني على الجسماني.

ومن أقواله في الأنبياء: «إن الأنبياء هم قادة أهل التقليد، وأهل لتقليد عميان، والقائم قائد أهل البصيرة، وأهل البصيرة أولو

الألباب، وإنّما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس».

والإمام في تعريف ابن الكيال و كل من قدر الآفاق على الأنفس، وقد نسبت هذه الفكرة المتّصلة بالعلم الغنوصي الذي يحقق القائم في نفسه، وأن كل ما ينتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني.

وقد أخذ ابن الكيال هذه الفكرة الغنوصية وردها بقوله: «إن كل من قدر الآفاق وهو العالم على الأنفس وأمكنه أن يبين مناهج علم الآفاق وعالم النفس وهو العالم السفلي كان هو الإمام».

ويعقب ذلك المرحلة الكبرى وهي مرحلة القائم فيقول: «إنّ من قرّر الكل في ذاته وأمكنه أن يبيّن كل كلّي في شخصه المعين الجزئي كان هو القائم».

ويتبيّن من تعريف ابن الكيال لكل من الإمام والقائم أن مرتبة القائم تفوق مرتبة الإمام، لأنّ الأوّل يحقّق في ذاته الجزئية كمالات العالم العلوي. بينما يقتصر دور الثاني على بيان مناهج العالمين.

وادّعى ابن الكيال - كما يذكر الشهرستاني- أنه استطاع أن يحقّق في نفسه تحقيقًا كاملا لكل ما في العالم العلوي من كمالات، بل إنه حقّق في هذا المجال ما لم يحققه أحد قبله من الأئمّة القائمين.

■ آراؤه

1- المقابلة، مثل مقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية، وبين موجودات عالمي الآفاق والنفس وادعاؤه أنه متفرّد
2- الإمامة.

■ المصادر والمراجع

● الشهرستاني، أبو الفتح محمد (ت548هـ)، 1395هـ، الملل والنحل، تح محمد السيد كيلاني، دار المعرفة، ج1، ص181 ● مهنا، أمير وعلي خريس، 1994م، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص164 ● نخبة من الأساتذة، 1984م، معجم أعلام الفكر الإنساني، الهيئة المصرية، ج1، ص259 ● ابن النديم، أبو الفرج محمد، الفهرست، تح، رضا تجدد، ص358 ● النشار، علي سامي، 1965م، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، ج2، ص82 .

د. محمد هشام نعسان
معهد التراث العلمي العربي
حلب ـ سوريا

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف

(725هـ / 1324 أو727 هـ / 1326م ـ 807 هـ / 1404م)

أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد النصري، أديب، ومؤرّخ، أندلسي من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ومن أحفاد إسماعيل بن يوسف صاحب مالقة، وشقيق محمد أوّل أمراء غرناطة ومؤسّس دولة بني نصر سنة 635 هـ.

لم تفصح المراجع عن مكان ولادة ابن الأحمر، ولا عن زمانها، ويرجّح أن تكون ولادته ما بين سنتي 725 و 727هـ بغرناطة حيث أقام وقضى طفولته وجزءا من شبابه إلى تاريخ مبارحته لها مع أبيه إلى بجاية، ثمّ إلى فاس بعد أن غضب عليه السلطان يوسف الأوّل (733-755 هـ)، وذلك في عهد أبي الحسن المريني، بيد أنّ ابن الأحمر لم يدركه طويلا إذ سرعان ما انتقل إلى تلمسان سنة 748 هـ ثمّ عاد إلى فاس ليعيش بفضل جراية كانت تجرى على الوافدين من الدولة النصريّة وبها قضى جلّ حياته في خدمة المرينيّين ومتّصلا برجال السياسة والعلم والأدب والشريعة. وكان اتّصاله، على وجه الخصوص، بالسلطان أبي عنان فارس (749-759 هـ) وكان مشهورا بحبّه للعلم وأهله، جمّاعة للكتب، مكرما للشعراء فقرّبه واصطحبه في غزواته، على عادة المرينيّين في اصطحابهم للعلماء والفقهاء والأدباء.

وفي حين لم يذكر لنا ابن الأحمر شيئا عن خدمته في دولة أبي الحسن المريني حين ترجم له في روضة النّسرين فإنّنا نراه يبالغ في الثّناء على أبي عنان من خلال قوله: «رأيته، وكنت في حضرته بفاس، تحت إيالته وسيّب إنعامه مدّة حياته، وأعطى عنّي صداق ابنة عمّي حين تزوّجتها محبّة منه إليّ. . . وحين ارتحل من فاس إلى أرض إفريقيّة ليملكها في عام ثمانية وخمسين وسبعمائة سرت معه فأتاحني من العطايا ما قرّت به عيني، ولم أزل معه تحت برّه حتّى فرّق الدهر بيننا بموته» [نثير الجمان، ص69].

نال ابن الأحمر حظوة مرموقة واكتسب شهرة واسعة في عهد هذا السلطان وذلك لمدى إسهامه في الأدب والتاريخ وعلوم الدين، ولوثيق اتّصاله بالعديد ممّن وفدوا على مدينة فاس من الأدباء والعلماء وذوي الجاه والسلطان. ومع ذلك فإنّ عناية الدارسين بهذا الرجل ظلّت محدودة، وذلك لمعاصرته لجهابذة الفكر والأدب أمثال ابن الخطيب، وابن زمرك، وابن خلدون وغيرهم ممّن حجبوه واستأثروا بالشهرة. ولمّا توفّي أبو عنان تسلّط الوزراء وافتقد ابن الأحمر مكانته وساءت أحواله وضعفت أواصره بالسلاطين حتّى يئس منهم فربط صلات حميمة مع حجّابهم وكتّابهم، وظلّ على تلك الحال إلى تاريخ وفاته سنة 807 هـ/ 1404 م.

أمّا فيما يتّصل بالتعلّم فتنبغي الإشارة إلى أنّ

ابن الأحمر قد تلقّى علومه الأولى في غرناطة، بيد أننّا لم نعرف من شيوخه غير من كانوا من المغرب أو من الأندلسيّين المقيمين به أو المتردّدين عليه أو من كان منهم راحلا إلى المشرق أو عائدا منه. وقد ذكر منهم رضوان الداية ثمانية عشر [نثير فرائد الجمان، ص ص83 - 86].

عني في البداية بالأدب وخاصّة شعر محمد بن أحمد المكودي (ت753 هـ/ 1354 م) فأجازه عبد الغفّار بن موسى البوظفي في الآداب، وتعلّم العربيّة وأجيز فيها من قبل محمد بن داود الصنهاجي، ثمّ درس العلوم الشرعيّة وأجازه الفقيه القاضي حسن بن عثمان بن عطيّة الونشريسي «بموطّإ» مالك و«رسالة» عبد اللّه بن أبي زيد القيرواني، وبعدها قرأ علمي الحديث والأنساب وأجيز فيهما وأجازه إجازة عامّة أبو سعيد فرج بن لبّ التغلبي، ومحمد بن أحمد بن عبد الملك القشتالي قاضي الجماعة بفاس، والمفتي والمدرّس بها. من شيوخ ابن الأحمر أيضا أبو سعيد الحضرمي، وأبو المكارم منديل بن آجروم، وأبو زيد عبد الرحمان المكودي، ومحمد بن محمد بن داود الصنهاجي، وسعيد بن أبي العافية المكناسي، وأبو القاسم عبد الرحمان الأموي، وأبو عبد اللّه محمد بن سعيد الرّعيني، وأبو القاسم عبد اللّه بن رضوان النجاري. وكان صاحب الترجمة يتّصل بالوفود الغرناطيّة الزائرة للمغرب ويلتقي بالعلماء والأدباء ليستجيزهم علومهم ويستنشدهم أشعارهم ويستكتبهم رسائلهم ويدوّن ذلك ويجمعه. وقد تتلمذ له كثيرون أبرزهم اثنان: أحدهما سعيد بن إبراهيم السدراتي المشهور بشهبون، والثاني عبد الرحمان بن محمد بن زيد الجادري [جذوة الاقتباس، ص259].

وكانت وفاة ابن الأحمر موضع اختلاف، ذلك أنّ التنبكتي مثلا قد أعلن أنّه قد توفّي سنة 810 هـ [نيل الابتهاج، ص99] في حين أفاد ابن القاضي بأنّ الوفاة قد حصلت قبل ذلك بثلاث سنوات أي عام 807 هـ/ 1404 م. ولعلّ هذا المذهب أرجح وهو ما أقرّه جلّ المترجمين لابن الأحمر.

وقد اختلف قدماء المترجمين لابن الأحمر أمثال ابن القاضي [درّة الحجال، 1/ 1166؛ جذوة الاقتباس، ص ص99-100]، والتنبكتي [نيل الابتهاج، ص99] في عناوين كتبه وعددها. وكذا كان شأن المحدثين، ومنهم عبد الحيّ الكتّاني [فهرس الفهارس، 1/ 100-101] والألماني بروكلمان [403 III 430، 370، G.A.L.] والإسباني خوسيه باسكث [مجلّة معهد المخطوطات، ع 6، ماي - نوفمبر 1960، ص187]. والثابت أنّ صاحب الترجمة قد وضع كتبا عديدة وكان مفرط الإعجاب بما ألّف، وهو ما يستشف مثلا من وصفه لكتابه «نثير الجمان» حيث قال: «وكتابي هذا قد أينعت أفنان رياضه، وملئت بالآداب الرائقة أرجاء حياضه، فآدابه فائقة، وصفحاته بالحسن رائقة، وقد قلت في وصفه:

هذا الكتابُ له فضل على الكتب

كتبِ القريض مع التاريخ والادب

يُبدي السّرورَ لقاريهِ ويبعدُه

عن التفكّر والاحزان والكَرب

أبديتُ فيه عجيبا من محافظتي
على العلوم ومن بحثي على العجَب
حتى ملأتُ عباب الطّرس من طُرفٍ
ومنْ علوم ومن شعرٍ ومن نسب

فجئت بمجموعة قد أشرقت أسرّة براعته الفائقة وهبّ عطر نواسم جودته الرائقة... قلّ ما يسمح الزمان بمثاله أو ينسج على منواله» [نثير الجمان، ص27] بيد أنّ من المصنّفات ما أتلفته يد الزمان شأن فهرسة له ضمّنها أسماء شيوخه وعناوين مصادر ثقافته، وقد أشار إليها التنبكتي في «نيل الابتهاج» ونقل عنها الكثير.

آثاره

1 نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان، ألّفه سنة 776هـ، وهو مجموعة تراجم لشعراء الأندلس والمغرب، وهو من كتب التراجم القليلة التي بقيت من هذا العصر 2 - نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان من أهل المائة الثامنة ومشاهير بيوتات فاس، وهو في التراجم الأدبيّة 3 - تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس 4 - حديقة النسرين في أخبار بني مرين وهو في تاريخ المرينيّين 5 - روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين، هو أشهر كتب ابن الأحمر ويتضمّن استعراضا لملوك بني مرين ووزرائهم وحجّابهم وكتّابهم 6 - مستودع العلاّمة ومستبدع العلامة، وبه ما يناهز سبعين ترجمة لمن تداولوا على العلامة من الكتّاب عن الملوك 7 - مشاهير بيوتات فاس 8 - عرائس الأمراء ونفائس الوزراء 9 - نظم وشرح على منهاج رقم الحلل لابن الخطيب، وهو نظم موجز لدول الإسلام 10 - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك 11 - فريد العصر في شعر بني نصر 12 - أشعار مختلفة في المديح النبوي ومدح الملوك وفي الغزل والتصوّف والإخوانيّات 13 - كتاب البديع في وصف الربيع.

المصادر والمراجع

● ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص5، ط. الرباط، 1962م ● ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص ص15 16، ط. الرباط، 1964م ● ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، ص ص61 -263، ط. بيروت، 1967م ● ابن القاضي، جذوة الاقتباس في من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، ص92، ط. حجريّة، فاس، 1309 هـ ● ابن القاضي، درّة الحجال، 1. 116، ط. الرباط، 1934م ● كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 301 ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1986، 1/ 329 - 330.

د. محمد الأزهر باي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الأحمر، خلف بن حيان بن محرز

(115 هـ / 733 م ـ 180 هـ/ 796 م)

هو خلف الأحمر بن حيّان بن مُحرز مولى بلال بن أبي برده بن أبي موسى الأشعريّ، كنّي بأبي محرز. كان والداه ممّن سباهما قتيبة بن مسلم من الفرغانيّين، فنقلا من خراسان إلى بغداد. وهناك وهبهما سلم بن قتيبة لابن أبي بردة حتّى أعتقهما بلال وأعتق خلفا لكنه ظلّ مولى له.

تتلمذ خلف على عيسى بن عمر الثقفي البصريّ (ت 149 هـ) أحد شيوخ الخليل وسيبويه، وعلى أبي عمرو بن العلاء (ت154 هـ) أستاذ الخليل ويونس وأحد قرّاء البصرة ولغويّيها المشهورين. وتذكر بعض الأخبار أن أبا عمرو كان يستعين بخلف في نقل اللغة عن أشهر المفوّهين ويرسلهم إلى تلقين الناس مذاهب القراءات المختلفة [الزجاجي، الأمالي، 241-243] كما تتلمذ خلف على أبي الخطّاب الأخفش الأكبر أستاذ سيبويه، ويونس، وعلى حمّاد بن سلمة أوّل من أخذ عنه سيبويه، وروى عن حمّاد الراوية.

خلط بعض النحاة المتأخرين كالأنباري والإستراباذي وابن هشام بينه وبين علي بن المبارك الأحمر [الزبيدي، طبقات، 147] وهو من الكوفيّين، فظنّوا أنّ خلفًا هو الذي رافق الكسائي في مناظرته لسيبويه وساهم في مساءلته. والواقع أنّ صاحب الكسائي لم يذكر في أخبار هذه المناظرة إلاّ باسم الأحمر، ومن هنا تسرّب الخطأ، ولا جدال في أن خلفا الأحمر بصريّ، وقد أدرج الزبيدي ترجمته ضمن اللغويّين البصريّين [طبقات النحويين واللغويين، 177] وسمّاه السيوطي خلف الأحمر البصريّ [بغية، I/ 559].

من تلامذته الأصمعيّ، ومحمد بن سلاّم الجمّحي، وحمّاد الراوية. وقد كان له دور مهمّ في تكوين أبي نوّاس وصقل مواهبه الشعرية.

اشتهر خلف بأنه راوية للشعر وللغات العرب حتّى قال بعض القدامى إنّه أول من أحدث السمّاع بالبصرة بعد أن سمع من حمّاد الراوية. لكنهم كانوا يرمونه بالانتحال ويقولون إن جمعه بين القدرة على قول الشعر وعلى روايته قد جعله يضع القصائد وينسبها إلى مشاهير الشّعراء، وربّما جعلوا له لاميّة الشّنفرى وبعض قصائد النابغة وغيرها من القصائد العيون. لكنّ بعض القدامى غيرهم قد يقلّلون من شأن هذه الأخبار ويرون خلفا أهمّ حفظة الشّعر والعالمين به، فقد قال عنه ابن سلام الجمحي: «كنّا لا نبالي إذا حدّثنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه» [طبقات، 7]. كما يروي عنه ما يدلّ على جمعه بين رواية الشعر ونقده فقد كان يقرأ عليه أهل الكوفة أشعارهم وكان مقصدهم

بعد ما مات حمّاد الراوية [أبو الطيب اللغوي، مراتب، 47].

وكان بعض النحويّين يقدّمون الأصمعي عليه لأنهم يرونه أعلم بالنّحو [الزبيدي، طبقات، 163].

تنسّك خلف آخر حياته وعزف عن الدنيا ممّا دفعه حسب أبي الطيّب اللغوي إلى أن يعرّف «أهل الكوفة الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس» [مراتب، 47]. ولمّا توفّي رثاه أبو نواس فكان أهمّ من رثاه.

■ آثاره

يعدّ خلف الأحمر من رواة القرن الثاني الذين رووا الأشعار ولم يسجّلوها وإنما أخذت عنهم مشافهة. على أنّه تنسب إليه بعض المصنفات: أحدها في النحو، والثاني من قبيل الاختيارات الشعريّة.

1 - مقدّمة في النّحو، تح. عزالدين التنوخي، مطبوعات مديريّة إحياء التراث القديم، دمشق 1389/ 1961. وقد نشر هذا الكتاب اعتمادًا على مخطوط فريد ضمن مجموع في مكتبة شهيد باشا بمتحف الآستانة. ويعتبر المحقق أنه، إن صحت نسبته إلى خلف الأحمر، «أقدم ما ألّف في النّحو من المختصرات» ويتكوّن التصنيف من خمسة وثلاثين بابا لا يتجاوز كل واحد منها بضعة أسطر تناول فيها المؤلف على التوالي الحروف العاملة ووجوه الإعراب والنواسخ الفعلية والحرفيّة وأسماء الإشارة والأفعال والتحذير والإغراء ومنذ وحروف العطف والممنوع من الصرف والمذكّر والمؤنّث وقطّ وربّ وكم 2 - جبال العرب وما قيل فيها من شعر 3 - ديوان شعر. تذكر المصادر أن له ديوان شعر نقله عنه تلميذه أبو نواس. ويقول فيه القفطي: «هو أحد الشعراء المحسنين ليس في رواة الشعر أحد أشعر منه» [إنباه، 1/ 348].

■ المصادر والمراجع

● الجمحي، محمد سلام، طبقات فحول الشعراء، تح. محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، 69-71 ● الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمان، الأمالي، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط. 2، 1987، 241-243 ● البكري، أبو عبيد، اللآلي، تح. الميمني، القاهرة 1354، 412-413 ● السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويّين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1963، 51-52، 80-81 ● اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويّين، مط. نهضة مصر، القاهرة 1955 ● ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، الشعر والشعراء، ط. محققة ومفهرسة، دار الثقافة، بيروت 1953، 2/ 673-674 ● ابن النديم، أبو الفرج الورّاق، الفهرست، تح. رضا المازندراني، دار المسيرة بيروت، ط. 3، 1988، 2/ 673-674 ● الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة د. ت 161-164 ● ابن المعتز، الطبقات، تح. عبد الستار فراج، ط. دار المعارف، مصر د. ت ● القالي، أبو علي، الآمالي، منشورات دار الآفاق الجديدة،

بيروت 1980، 1/ 156-157 ● الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1967 ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المأمون، مصر 1355-1357 هـ، 11/ 66-72 ● القفطي، جمال الدين أبو الحسن، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، القاهرة، ط. 1 1986، 4/ 383-385 ● ابن قاضي شهبة، تقي الدين، طبقات النحاة واللغويين تح. محسن غياص، مطبعة النعمان النجف الأشرف ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ت، 1/ 554 ● م.ن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح. جاد المولى (وغيره)، ط. 3، دار التراث، القاهرة، د. ت، 2/ 462 ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، مج. 2، ص310.

د. توفيق قريرة
جامعة منوبة ـ تونس

الأحمر، علي بن الحسن بن المبارك

(... هـ / ... م ـ 194 هـ/ 810 م)

علي بن الحسن وقيل ابن المبارك الأحمر، نحوي لغوي من الكوفيين كان في أوّل أمره جنديا ممن يتداولون على حراسة باب الرشيد، لكنّه كان يحبّ العربيّة ولا يستطيع الجلوس إلى الكسائي إلاّ في «أيّام غير نوبته»، فكان يترصده عند قدومه إلى بلاط الرشيد وخروجه منه فيسأله في اللّغة والنحو ويأخذ عنه، وظلّ على تلك الحال حتّى تمكن من العلم وبرّز فيه ولما أصيب الكسائي بالبرص كره الرشيد أن يواصل تأديب أبنائه وطلب منه أن يختار لهم من يرضاه نائبا له: وقيل إن الكسائي تخوف من أن يعين مكانه رجلا ينال حظوة لدى الخليفة «ويغلب على موضعه» خاصّة أنّه بلغه أنّ سيبويه ينوي القدوم إلى بغداد، فاتفق مع الأحمر أن يلقنه ما يحتاج إليه في تأديبهم، وأقنع الرشيد بفطنته وذكائه.

وبفضل ما أخذه عن الكسائي عندما كان في الجند وما لقنه من مسائل لتأديب أبناء الخليفة أصبح نحويا معروفا بل مقدما على سائر أصحاب الكسائي، كما أصبح صاحب ثراء بما ناله من الخليفة حتّى شبّه منزله بمنازل الملوك بما فيه من أثاث يختلف باختلاف الفصول، فكان يستقبل الطلبة فيه بثياب فاخرة ووجه منطلق فيوسّع عليهم في المأكل والورق والأقلام والمداد.

وشارك الأحمر في المناظرة التي دارت بين سيبويه والكسائي، وكان من الذين سألوا سيبويه قبل قدوم الكسائي وخطّأه، ومن الجدير بالملاحظة أنّ بعض المصادر خلطت بينه وبين خلف الأحمر البصري وظنّته أنّ هذا هو الذي شارك في المناظرة المذكورة وناصر الكسائي، كما ذهب إلى ذلك أبو البركات بن الأنباري [الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/ 703].

وكان بينه وبين الفرّاء وحشة لكن لما توفي ذكره هذا بخير قائلا: «والله لقد علمته صدوقا سخيّا ذكيّا ذا مروءة ومودّة».

■ آثاره

لا تنسب إليه المصادر إلاّ أثرين هما:

1 - كتاب التصريف 2 - كتاف تفنّن البلغاء.

■ المصادر والمراجع

● الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي ت 379 هـ، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1973، ص134 ● الخطيب البغدادي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ت463هـ، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت مج 12، ص104-105 ● ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت 577هـ، نزهة الألباء، تح. إبراهيم السامرائي، ط. 1985، مكتبة المنار، الأردن، ص80 ● القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 646 هـ، إنباه الرواة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1952، ج 2، ص313-317 ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ت 911 هـ، بغية الوعاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة بيروت، د. ت، مج 2، ص158-159 ● البغدادي، إسماعيل باشا ت 1920، هدية العارفين، دار الفكر، مج 1، 1982، ص668 ● الزركلي، خير الدين ت 1395 هـ، الأعلام، بيروت 1969، ج 5، ط 3، ص79 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، 1957، ج 7، ص60.

د. علي أحمد الكبيسي
جامعة قطر

ابن الأحنف، أبو الفضل العباس

(.... هـ / .... م - 192 هـ / 808 م)

العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي نسبة إلى أحد جدوده: عدّي بن حَنيفة. وقيل له: الدولي والدؤلي. وذكر أنّ نسبه متّصل بهوْذة بن علي الحنفي.

كنيته: أبو الفضل. وكان مسلم بن الوليد (ت208هـ/ 823م) قد هجاه ونصحه بتغيير نسبه كونه دعيًا في نسبته الحنفية -كما يقول مسلم- «وأن له وجهًا يشبه العرب».

ومن ألقابه أيضًا: اليمامي، نسبة إلى «اليمامة» بلدة في الحجاز في البادية، أكثر أهلها بنو حنيفة. أصله من غرب خراسان، ونشأ ببغداد، وأهله في البصرة، وفيها مات والده.

ذكره ابن المعتزّ (ت292هـ/ 909م) فقال: «كان العباس شاعرًا ظريفا ومفوّهًا منطقيا مطبوعا، وكان يتعاطى الفتوّة على سِتر وعفّة، وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق وفضلٌ من نفسه. وكان جوادًا لا يُليق درهمًا (لا يمسكه عن بخل) ولا يحبس ما يملك» [طبقاته، ص253]. وقفَ شعره كلّه على الغزل، فلم يمدح ولم يهج إلاّ فيما ندر.

شُبّه لأجل ذلك بعمر بن أبي ربيعة، على شيء من الاختلاف سنذكره لاحقًا.

له أخبار كثيرة مع الخلفاء، ولاسيّما مع الرشيد الذي كان يستمع إلى شعره، ويأخذ بنصائحه حتّى لقب بشاعر الرشيد. ومما جاء في الأخبار أنّ الرشيد قد هجر جارية تدعى ماردة وقيل ماريّة، ونفسه متعلّقة بها، ولم يتّصل بها أو يسترضيها، حتّى بلغ ذلك منه درجة عالية من الأرق والسهاد، فبلغ العبّاس ذلك، فقال من أبيات:

لا بـدَّ لـلـعـاشـق مـن وَقْـفـةٍ
تـكـون بـيـن الـوصـلِ والـصُّـرْمِ
حـتّـى إذا الـهـجْـر تـمـادى بـه
راجَـعَ مَـنْ يَـهـوى عـلـى رُغْـمِ

[معاهد التنصيص، ج1/ 54]

فاستحسن الرشيد هذا الكلام، وقال: «أُراجعُها واللهِ». وتمّت المصالحة وأجزل للعباس بصلات سنيّة من الرشيد ومن جاريته.

استخفّ به عدد من شعراء عصره الكبار، فنظروا إليه في بادئ الأمر بقليل من الاكترات، حتّى اشتدّ عوده وشاعت أخباره وأشعاره، فقال بشار بن برد (ت 167هـ/ 784م): «مازال غلامٌ من بني حنيفة (يعني العباس) يدخل نفسه فينا ويخرجها منّا حتّى قال:

نـزفَ الـبـكـاءُ دموعَ عـيـنـكِ فـاسْـتـعِـرْ
عـيـنًـا لـغـيْـرِكِ دَمـعُـهـا مِـدْرارُ
مَنْ ذا يُـعـيـركَ عـيـنـه تَـبْـكـي بـهـا؟
أرأيـتَ عـيـنًـا لـلـبـكـاءِ تُـعـارُ ؟

وأعجب به أبو العتاهية (ت211هـ/ 826م) فحسده على بعض أشعاره، متمنّيًا أن يكون هذا الشعر له لأنه -كما يقول - أشبه بشعره [الأغاني، 8/ 380].

ومثل ذلك فعل الأصمعي في استغراب شعرٍ جميل قاله العباس مضيفًا، «ومن أدْمَنَ طلبَ شيء ظفر ببعضه». . وافقه في ذلك إبراهيم بن العباس بن الأحنف عارضًا على الأصمعي أبياتا لوالده، ناصعة التأثير، قائلاً: «هذا والله ما لا يقدر أحد على أن يقول مثله أبدًا» [الأغاني، 8/ 356-357].

«وكان في العباس آلات الظَّرف: كان جميل المنظر، نظيف الثوب. فاره المركب، حسن الألفاظ، كثير النوادر، شديد الاحتمال، طويل المساعدة» [معاهد التنصيص، 1/ 54].

وعلى الرغم من صداقته وصحبته لبعض الخلفاء، فقد خلا شعره وسيرته من المجون والتهتّك ما لا نَعْهده إلاّ مع شعراء بني عذرة وأضرابهم.

ومن أخباره المتعلّقة بهارون الرشيد، اصطحابه له في كثير من رحلاته وتنقّلاته حيث وافقه إلى كل من خراسان وأذربيجان وأرمينية، ممضيا معه وقتا طويلاً . . .

ذكر معظم الدارسين أنّ وفاته كانت سنة 192 هـ، وأنّها تمّت خارج البصرة على طريق الحج. . . بينما ذكر ابن خلكان (ت 681هـ/ 1282م) خبرَيْن مختلفين: الأوّل، أنّ العبّاس مات في بغداد 192هـ، وأنّ منزله في بغداد كان بباب الشام، وأنّ أحدهم رآه في بغداد، بعد موت الرشيد (ت 193هـ) في مدينة طوس.

والثاني، نقلا عن المسعودي، عن جماعة من أهل البصرة، قالوا: «خرجنا نريد الحج، فلما كنا ببعض الطريق، إذا غلام وقف على المحجّة وهو ينادي: أيها الناس، هل فيكم أحد من أهل البصرة؟ قال: فعُدْنا إليه وقلنا له: ما تريد؟ قال: إنّ مولاي لِما به، يريد أن يوصيكم، فملنا معه، فإذا بشخص ملقًى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يُحير جوابًا، فجلسنا حوله، فأحسّ بنا، فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفًا وأنشأ يقول:

يا غريبَ الدار عن وَطَنِهْ
مُفردًا يبكي على شَجَنِهْ
كلما جَدّ البكاءُ به
دبَّت الأسقام في بَدَنِهْ

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله، إذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يُغَرِّد، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر، ثم أنشأ يقول:

ولقد زاد الفؤادَ شَجًا
طائر يبكي على فَنَنِهْ
شفَّهُ ما شَفَّني فبكى
كلّنا يبكي على سَكَنِهْ

ثم تنفّس تنفّسًا فاضتْ نفسه منه. فلم نبرح من عنده حتّى غَسَلْناه وكفّنّاه وتولّينا الصلاةَ عليه، فلمّا فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه، فقال: هذا العباس بن الأحنف، رحمه الله» [وفيات الأعيان، 3/ 26 (نقلا عن مروج الذهب، 4/ 28)].

وانفرد ابن كثير عن معظم الرواة، فذكر أنّ العباس قد وافته المنيّة في منزله بالبصرة وهو

طريح الفراش يجود بنفسه، وهو يقول: «يا بعيد الدار عن وطنِهْ..» [البداية والنهاية، 10/ 210].

والاضطراب بادٍ في الرواية، إذْ لا يكون اغتراب عن الوطن، وهو في منزله بين أهله، إلاّ أن يكون أهلُه في بغداد، وهو يسكن وحيدًا في البصرة، وليس في سيرته ما يوحي بذلك...

ألمحنا من قبل إلى أنّ العباس بن الأحنف قد وَقَفَ شعره كلّه على الغزل، فيما عدا مقاطع وقصائد قصارًا تضمّنت معاني متفرّقة في الفخر الذاتي، ومدح الرشيد، ورثاء بعض الجواري ممّنْ أكبرهنّ الرشيد وجعلهن في مراتب عالية بسبب حبّه وميله إليهنّ، ومثل ذلك في هجاء يسير قاله في أبي الهذيل العلاّف (ت 235هـ/ 850م) أحد شيوخ المعتزلة.

وفيما عدا ذلك، فالعباس شاعر فريد من نوعه من حيث القصْد والتوجه والغرض الشعري الرئيس الذي شغله في حياته واستولى على مداركه وأحاسيسه، ألا وهو النسيب، أحد فروع دوحة الغزل.. فهو، كما قال الأصفهاني: شاعرٌ غزِلٌ مطبوع، لم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني..وكان قصدُه الغزلَ وشغلهُ النسيب، وكان حلوًا غزير الفكر، واسع الكلام، كثير التصرّف في الغزل وحده... [الأغاني، 8/ 352-353]

وقد اتّخذ النسيب عنده مناحي ومعارج ووجوهًا ومذاقات تكاد كل قصيدة، وكل مقطعة تشي بواحد من هذه المعارج والمذاقات.. أقتطف منها هذه الأبيات المتفرّقة.

في ديمومة الحب وقوة حضوره:

أُخفي الهوى وهو لا يخفى على أحدٍ
إني لَمُسْتَتِر في غير مستَتَرِ

يا من تمادى قلبُهُ في الهوى
سالَ بكَ السيلُ ولا تدْري

(...) إنّ الذي أُظْهِرُ عند الذي
أُضمِرُ كالنقطة في البحْرِ

(...) طَعْمُ ثناياها بُعَيْدَ الكرى
أَخْبُرُهُ منها بلا خُبْرِ

تلك التي لو نُقِّثتْ من ريقِها،
ما نقثتْ سُقْمًا آخر الدهرِ

في حرمان العاشق واحتراقه:

أربعة أبيات في السهر الدائم وسقم العينين، وحرمان العاشق معشوقه بسبب مقوله فيه، واحتراقه ببطء كفتيل السراج:

صرتُ كأنّي ذُبالة نُصِبَتْ
تُضيءُ للناس وهْي تحترقُ

[ديوانه، ص221]

في هتك الدموع لحقيقة اللواعج (من قصيدة من خمسة عشر بيتًا)

هَبُوني اغُضُّ إذا ما بَدَتْ
وأملِكُ طَرْفي فلا انظُرُ

فكيف استتاري إذا ما الدموعُ
نَطَقْنَ فَبُحْنَ بما أُضْمِرُ

وفيها شكواه من تهيُّب محبوبه لذيوع اسمه

على الأشعار، والشاعر لا يعلن شيئًا عن سرّه... ولو شئتُ تتبّع قصائد الديوان وعناوينه البالغة قرابة الخمسمائة قصيدة، ومقطّعة (تحديدا 492 عنوانا)، لوقعتُ على عدد مماثل من المعاني والموضوعات الغزلية النسيبيّة.. ولذلك عمدتُ إلى أهمّ ما توقّف عنده الدارسون والروّاة...

في دوام الوفاء للحب، وتمنّي الأعذار والإساءة، تسويغًا لهجر الحبيب واستعتابه...

خمسة أبياتٍ أوردها أبو علي القالي، في [الأمالي، 2/ 287-288].

ومنها:

... بَرِيًا تمنّى الذنبَ لمّا هَجَرتِهِ
لكيما يقال الهَجرُ من سبب الذَّنبِ

عَذليّة البكاء على الحبيب وجَوْرِه، الأمر الذي جعل الخليفة الواثق يتمثل بشعر العباس في هذا المقام:

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحَكَها
فالحمدُ للهِ عَدْلٌ كلُّ ما صنَعا

اليومَ أبكي على قلبي وأندُبُهُ
قلبٌ ألحَّ عليه الحبُّ فانصدَعا

[الأغاني، 8/ 357-358]

وكان ابن قتيبة (ت 276هـ/ 889م) قد استشهد بقولٍ لشاعرٍ لم ينسبه، شبيه بما قاله العباس أعلاه:

أرى حُبَّيكِ ينمى كلَّ يومٍ
وجَوْرَكِ في الهوى عَدلاً، فَجُوري!

[الشعر والشعراء، 2/ 832]

مضاء الحب ودوامُه، ويقظة القلب، في معاناة دائمة:

أشكو الذينَ أذاقوني مودَّتَهُمْ
حتّى إذا أيقظوني في الهوى، رَقَدوا

لأخرُجَنَّ من الدنيا وحُبُّهمُ
بين الجَوانحِ لم يشعرْ بهِ أحَدُ

ألقيتُ بيني وبين الهمّ معركةً
فليسَ يَنْفَدُ حتّى ينفدَ الأبَدُ

[طبقات ابن المعتز، ص257]

شعر الأرق والسهاد:

قِفَا خبِّراني أيها الرجُلانِ
عن النوم، إنّ الهَجْرَ عنه، نَهاني

وكيف يكون النوم أمْ كيف طَعمُهُ
صِفَا لي النومَ لي إنْ كنتما تَصِفانِ

[الأغاني، 8/ 358]

ومثله قوله في روعة التصوير، ونقاء السريرة والإشارة الأخاذة:

نام مَنْ أهدى ليَ الأرَقا
مستريحًا زادني قلقَا

لو يَبيتُ الناسُ كلُّهم
بسُهادي، بيَّضَ الحَدَقا

[الأغاني، 8/ 366]

بوح الأسرار: أورد الأغاني مقطعين في ذلك، يتحدث الأوّل عن استراحة العاشق في البوح بسرّه، والثاني، يتحدّث عن نقيض ذلك... لكأنّ الإباحة والاستتار، وجهان متكاملان للحب ولا ينمو إلاّ بهما معًا، فيصحّ القول فيهما: لا إفراط ولا تفريط، بل

منزلة بينهما [راجع المقطعين في الأغاني، 8/ 360]

لذّة العذاب في العشق: أورد أبو الفرج بيتين في لذة عذاب أهل العشق، كان الفضلُ بن الربيع قد اعتمدهما لتفريج غمّه من صدود جارية أثيرة لديه... وهما:

تَحمّلْ عظيمَ الذّنبِ ممّا تُحبُّهُ
وإن كنتَ مظلومًا فقلْ: أنا ظالِمُ

فإنّك إلاّ تغفِرِ الذنبَ في الهوى
يُفارِقْكَ من تهوى وأنفُكَ راغِمُ

[الأغاني، 8/ 368]

القلبُ عدوّ العاشق: أورد ابن قتيبة بيتين في استحالة الاحتراس من عدوّ يقبع بين ضلوع العاشق، وهما في غاية التأثير والتأمّل:

قلبي إلى ما ضرّني داعي
يُكثِر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عَدوّي إذا
كان عَدُوّي بين أضلاعي؟

[الشعر والشعراء، 2/ 834]

وصفُ محبوبته «فوز»، وتصوير حسّي لافت: نظم في محبوبته «فوز قصيدة قوامها أربعة وعشرون بيتًا، عنوانها: «شمس المقاصير» جاء فيها قوله المعبِّر:

فالجسمُ من لؤلؤ، والشَّعْرُ من ظُلَمٍ
والنَّشرُ من مسْكةٍ، والوجهُ من نورِ

كأنّها حين تمشي في وصائفها
تَخْطو على البَيْض أو خُضْرِ القواريرِ

[ديوانه، ص136؛ طبقات ابن المعتز، ص256]

(أراد أنها تمشي الهوينا، فتجسُّ الأرض جسًّا..)

استحالة عودة المحبوب بعد ارتحاله: ورد ذلك في بيتين ذكرهما ابن قتيبة، على خلاف لفظي يسير مع رواية الديوان:

رَدُّ الجبال الرواسي من مواضعها
أخَفُّ من رَدِّ نفسٍ حين تنصرِفُ

(وفي الديوان: «نقل الجبال..» و«أخفُّ من نقْلِ نفسٍ»..)

[الشعر والشعراء، 2/ 834]

في خيال الحبيب وطُرُقِه: أورد أبو علي القالي (ت 356هـ/ 966م) بيتين في ديمومة خيال الحبيب، لدى أهل العشق، وأنّ هذه الديمومة متأتّية من حديث النفس التي لا تنفكّ مشغولة بمن تَهْوى.

والبيتان في ديوانه:

خيالكِ حين أرقُدُ نُصبَ عيني
إلى وقتِ انتباهي لا يزولُ

وليس يزورني ولكن
حديث النفس عنك به الوصولُ

[الأمالي، 1/ 229]

وما دامت موضوعة النسيب هي محور شعر العباس في ديوانه، وفي معظم مظانّ ترجمته، فلا بد من الالتفات ولو بصورة مقتضبة نحو المرأة أو النساء اللواتي شغلن الشاعر وأهجن فؤاده، فنفجرت قريحته عن سيل متدفّق من شعر الحب والمعاناة.

توقّف كرم البستاني (ت 1386هـ/ 1966م) أمام هذه المسألة، فعرض للنساء اللواتي أثرْنَ

لُبّه ومشاعره، وعدّد منهنّ سبعًا، أبرزهُنَّ اثنتان، هما فوز وظلوم. أما ظلوم فكانت على درجة مميّزة وموقع آسر في قلبه، أوْلاها من شعره العديد من القصائد والمقطعات، وأما فوز فقد أشكل الأمرُ فيها على البستاني، وأنّ اسمها لم يكن سوى تغطية وتمويه لحقيقة أمرها الذي يترجح بين أن تكون امرأة حرّة من بني هاشم لم يجرؤ على ذكر اسمها الحقيقي مخافة وقوعه فيما لا تحمد عقباه، أو تكون جارية رفيعة المقام. وما يؤكد ذلك -كما يقول البستاني في مقدمة ديوانه المطبوع في بيروت- ما جاء في قصيدة عينيه قوامها واحد وثلاثون بيتًا:

كَتمتُ اسْمَها مَنْ صار عُرضةً
وحاذَرَ أن يفشُو قَبيحُ التسمّعِ

فسمّيتُها فوزًا، ولو بحْتُ باسْمِها
لسُمّيتُ باسمٍ هائل النكْر أَشْنَعِ

[ديوانه، ص193]

ولئن كانت جارية -يقول البستاني- «فهي ولا ريب من الجواري المقدّمات عند مواليهنّ، الغالبات عليهم، من اللواتي لهنّ جَوارٍ يخدمُنهنّ»

فأنْعِمْ بها امرأة أجْرتْ في عروق الشعر دماء الإبداع الإنساني، وأعلتْ من شأن المرأة لتكون شامخة في سماء التراث العربي، لا مخطية من محاظي السلطان جيء بها للخدمة والامتاع!

دأب النقاد الدارسون القدامى أن يُلقوا بآرائهم وأحكامهم في آثار السلف ونتاجهم الأدبي، بصورة مجتزأة، أو آنية، أو مزاجية، أو تقديرية ذاتية.. وقلّة هي أو هُمْ الذين بحثوا في العمق -فحلّلوا ورصدوا وخلصوا إلى نتائج موضوعية محْكمة..

وسأعمد إلى طرح معظم ما قاله الدارسون القدماء على سبيل التمثّل والتأمّل النقدي الغابر، تأسيسا لخلاصات أدبية يمكن اعتمادها والرجوع إليها في دراستنا لشعر العباس وحكمنا النقدي عليه.

يتضمّن كتاب الأغاني القسم الأكبر من هذه الآراء والأحكام، على الرغم من قصر المساحة التي أفردها لترجمة الشاعر وأخباره [إحدى وعشرين صفحة: 8/ 352-372..]

وتلكم أبرز ما قاله في اتجاهه الشعري، ومعانيه، ولغته، وسلوكه، وطبيعة شعره:

«كان للعباس مذهب حسن، ولديباجة شعره رونقٌ، ولمعانيه عذوبة ولطف. وقدمه أبو العباس المبرّد (ت 286هـ/ 899م) في كتاب الروضة على نظرائه، وأطنب في وصفه، قال: كان العباس من الظرفاء، ولم يكن من الخلعاء، وكان غزلاً ولم يكن فاسقًا، وكان ظاهر النعمة ملوكيّ المذهب، شديد الترّف، وذلك بيِّن في شعره» [الأغاني، 8/ 352-353].

ثم يضيف أبو الفرج نقلا عن الرواة وما يسمعون: «كان والله ممَن إذا تكلّم لم يحب سامعه أن يسكت، وكان فصيحا ظريفا جميل اللسان، لو شئت أن تقول: كلامُه كلّه شِعْر، لقلت» [الأغاني، 8/ 352].

ونقل أبو الفرج كلاما في تفرّد العباس وشاعريّته، وحذقه الفنّي، وسعة أفكاره وتأمّلاته، وهو منسوب إلى الجاحظ برواية ابن أخته: يموت بن المزرع (ت304هـ/ 916م):

«لولا أنّ العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلامًا وخاطرًا، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرّف، وما نعلم شاعرًا لزم فنًا واحدا لزومه، فأحسن فيه وأكثر» [الأغاني، 8/ 354].

وروى الأغاني أخبارًا وآراءً تتّسم بكثير من العفويّة والمزاج، يرى بعضها فيه، إمامَ الشعراء في إخفاء سرّه، بقوله: [الأغاني، 8/ 357]

أُريدُكِ بالسلامِ فأتّقيهمْ
فأعْمدُ بالسلام إلى سواكِ

وأُكثرُ فيهمُ ضَحكي ليخفى
فسِنّي ضاحك والقلبُ باكِ

كما يرى آخر أنه أشعر الناس، لِبيتِ شعر واحد قاله يتحدّث فيه عن التعلّل والانشغال. ومثله لأعرابي استنشده أحدُهم فأخذ يكتب عنه فلمّا سمع شعرًا للعباس، سكت الأعرابي قائلاً لمن يكتب عنه:

«هذا عندك وأنت تكتب عني؟! لا أنشدكَ حرفًا بعد هذا [الأغاني، 8/ 359]

ومما أورده الأغاني قولٌ لحمّاد بن إسحق، حفيد المغني العربي القديم إبراهيم الموصلي، جاء فيه: «ما غَنّى جدّي في شعر أحد من الشعراء أكثر مما غنّى في شعر ذي الرمة وعباس بن الأحنف» [الأغاني، 8/ 362].

وحدّث نجل شاعرنا إبراهيم العباس، عقب سماعه بيتًا لوالده قال:

ما رأيت كلامًا مُحدثًا أجزل في رقّة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في إيجاز، من قول العباس بن الأحنف:

تعاليْ نُجدّدْ دارسَ العهد بيننا
كِلانا على طُول الجفاء مَلومُ

[الأغاني، 8/ 365].

ثمّ حدّث نجلُ الشاعر نفسه، في المقام نفسه، تعقيبًا على ما سمعه من أبيات مغنّاةٍ لوالده، فقال: «هذا واللهِ الكلام الحسن المعنى، السهل المورد، القريب المتناول، المليح اللفظ، العذبُ المستمع» [الأغاني، 8/ 365].

ومن الكتب التي درست صناعة الشعر ومآخذ العلماء على الشعراء كتاب: الموشّح» لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ/ 994م). وفيه مفاضلة حواريّة شهدها إسحق بن إبراهيم الموصلي (ت 235هـ/ 850م) وشارك هو فيها، وهي بين أبي العتاهية والعباس بن الأحنف، وكانا معاصرين وشاعرين في بلاط الرشيد الذي كان يفضل أبا العتاهية على ابن الأحنف، ويقدمه عليه، حتّى أنشده إسحق الموصلي أبياتا للاثنين، فنّد فيها كلّ شعر على حدة، فصوّب الرشيد رأيه، وحكم بتقديم العباس على أبي العتاهية [الموشح، ص406-407].

ومن الملاحظ أنّ المرزباني في كتابه المذكور، وخلال الفقرة التي أفردها لترجمة العباس، حرص على تبيان معايب الشاعر وسقطاته في معظم صفحات الترجمة (ص445-449)، وهذا دأبُ كثير من الدارسين، وبخاصّة أمام شعراء بلغت شهرتهم ومنزلتهم آفاقًا واسعة. فهم لا ينفكون يمعنون

في تقصّي عثراتهم ونواقصهم من دون النظر إلى مواضع الإجادة والإبداع في نتاجهم الشعري. ومَثلُهم في أبي الطيّب المتنبّي خير شاهد على هذا السلوك.

إلى جانب كتابي الأغاني والموشح، هناك كتب أخرى أشادت بالشاعر وصفته وأسلوبه، كمعجم الأدباء، وطبقات ابن المعتز، والشعر والشعراء، وقد عرضت لبعض أحكامها في صفحات سابقة، ومن كتب المعاصرين نذكر الدكتور عمر فرّوخ وكتابه «تاريخ الأدب العربي» الذي لخص الكثير من آراء القدامى ونظرياتهم فيه. وأضاف لفتةً مفيدة تتعلّق بمقدار التشابه بين الشاعرين العباس وعمر بن أبي ربيعة، وفيها «أنّ كلام العباس ككلام عمر، مُشاكل لكلام النساء، موافق لطباعهن. ثمّ إنه في غزله غزير الفكر واسع الكلام... وكان العلماء بالشعر يقدّمونه على كثير من المحدّثين».

ونخلص إلى رأي لا يختلف كثيرًا عما سبق من آراء وأحكام. وهو أنّ العباس بن الأحنف الذي عاش في عصر زاهر ومجتمع حضاري متعاظم الطاقات والقدرات الذاتية والاجتماعية، قد أوتي من هذه الطاقات الخلاقة والقريحة المؤاتية والظروف الاجتماعية ما جعله واحدًا من شعراء عصره وحامل لوائهم اختلط في شعره الموهبة الفطرية القائمة على السليقة من جهة، وعلى الإرث الأدبي الممتدّ عمقًا في نسبه العريق، من جهة أخرى، وعلى شموخ النفس وعفّتها المنصهرين في تجربة الحبّ المتعدّدة الأبعاد والوجوه، ما جعل منه شاعرًا غزلاً آخر أبعد في التغلغل في شِعاب النفس وأروقة الفؤاد، من شاعر الغزل العربي الأكبر عمر بن أبي ربيعة الذي إن فاق العباس شهرة وسيرورةَ أشعارٍ على الأفواه والألسن، فلم يؤت جرس الإخلاص والتفاني في حبّ هو أقرب إلى ما يشبه البطولة والجهادية، مُشاكِلاً في ذلك ومضاهيًا معظم شعراء الحب العذري، حتّى لكأنّه واحد منهم أخطأه الزمن فجعله في عصر متأخّر، وبيئة مغايرة لبيئة بني عذرة..

أضف إلى ذلك، هذا الكم الكبير من أشعار الغزل الاعتباري أو الحِكَمي الذي يصدر عن الشاعر صدورًا عفويًا يتخلّل القصائد بين المقطع والمقطع، فيعمق الأثر، وتكبر الفائدة، وتتّسع دائرة التأمّل والاعتبار، في مثل قوله، وقد مرّ مثله الكثير في الشواهد السابقة:

- راجعْ أحبّتكَ الذينَ هجرتَهم
إنّ المتيّم قلّما يتجنّبُ

- تعبٌ يطول مع الرجاء لذي الهوى
خيرٌ له من راحة في الياس

- إذا أنتَ لم تعطفْكَ إلاّ شفاعة
فلا خيرَ في ودّ يكون بشافِعِ

[وفيات الأعيان، 3/ 21]

المصادر والمراجع

● ديوان العباس بن الأحنف، شرح وحواشي كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1978 ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1974 ● ابن المعتزّ، طبقات الشعراء، تح. عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، دار المعارف

بمصر، القاهرة، 1981 ● الأصفهاني، الأغاني، ج8، مصوّر عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت ● القالي، أبو علي، كتاب الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، مصوّر عن دار الكتب المصرية... ● المرزباني، الموشح، تح. علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965 ● المسعودي، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت، 1978 ● الحموي، معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، إشراف أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، 1323هـ/ 1905م ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت 1978 ● ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة جديدة منقّحة، دار الفكر، بيروت، 1978 ● العباسي، معاهد التنصيص. على شواهد التلخيص، تح. وحواشي وفهرسة محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، مصوّرة عن طبعة مصرية صدرت عن المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1947 ● فروخ، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

د. ياسين الأيوبي
الجامعة اللبنانية

ابن أبي الأحوص، الحسين بن عبد العزيز

(603هـ/ 1206 م - 699 هـ/ 1299م)

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص أبو علي القرشي الفهري يعرف بابن الناظر وبابن أبي الأحوص، مقرئ، ومفسر، ومحدّث ومن علماء العربية.

ولد بمدينة جيان سنة 603هـ/ 1206م، وأصله من بلنسية، واستوطن مدينة غرناطة، وقال في [الإحاطة، 1/ 473] ولد يوم الخميس لاثني عشر ليلة بقيت من شوال سنة 650هـ/ 1252م وفي قوله وهْم ظاهر إلا إذا كان المقصود هو سنة 605هـ بدلاً من سنة 650هـ، ذلك لأنّ مولد ولده يوسف كان في سنة 649هـ/ 1251م ورحل الى إشبيلية وسمع جماعة من شيوخها وكان سقوط إشبيلية بيد الأسبان سنة 646هـ/ 1248م.

درس بغرناطة على جماعة من مشاهير شيوخها، فقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع وغيرها على الشيخ أبي محمد عبد الله الكواب، وسمع الكثير من فنون العلم على أبي الحسن محمد بن سهل بن مالك الأزدي الوزير، وأبي عبد الله محمد بن يحيى المعروف بالحلبي، وروى التبصرة في

القراءات عن موسى بن عبد الرحمن الغرناطي. ورحل إلى مدينة إشبيلية فقرأ على المقرىء أبي الحسن بن جابر الدبّاج. ولازم في العربية والأدب أبا علي الشلوبين وأخذ عنه أكثر كتاب سيبويه، وصادف بإشبيلية القاضي أبي القاسم بن بقي، فحمل عنه أكثر مروياته في علوم الحديث، ودرس ببلنسية على أبي الربيع بن سالم، وأبي الحسن بن خير، وبمرسية على أبي العباس بن عياش وجماعة من شيوخها وبجزيرة شقر عن الخطيب أبي بكر محمد بن محمد بن وضاح، وأبي عامر يزيد بن وهب الفهري وقرأ عليهما كتاب التيسير والشاطبية في القراءات ورواهما عنهما عن أبي هذيل بسنده، وبأريوله عن أبي الحسن بن بقي وغيره، وبمالقة عن أبي محمد بن عطية وعن أبي القاسم بن الطليسان، وكتب إليه بالاجازة آخرون. وجال في مدن الأندلس، وأكثر من لقاء الشيوخ، وتحصّل له جماعة نيفوا على الستين.

عاش ابن أبي الأحوص سنوات عمره كلها في بلاد الأندلس، ولم تكن له رحلة إلى المشرق لطلب العلم، أو لأداء فريضة الحج، وكانت الأندلس منذ الربع الأول للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، تجوز مرحلة من مراحل الاضطراب والصراع على مناطق النفوذ بسبب الضعف الذي أصاب سلطان الموحّدين، فأخذت قواعد الأندلس تخرج من قبضتهم تباعا ينتزع بعضها محمد بن هود، ومحمد بن يوسف بن الأحمر، وثوار النواحي الأخرى، والبعض الاخر ينتزعه حكام الممالك الأسبانية الشمالية. وفي الوقت الذي كان محمد بن هود يعمل على ترسيخ نفوذه في مناطق شرق الأندلس وجنوبها كان محمد بن الأحمر يعمل للاستحواذ على المناطق الوسطى من البلاد، ثم بدأ بالسيطرة على القواعد والثغور الجنوبية باعتبارها أقرب ميدان للعمل، وأبعد الأماكن عن متناول الأعداء، ولما قويت دعوة ابن هود وامتدّ سلطانه نحو الغرب والجنوب واستولى على غرناطة، وأقرّه الخليفة العباسي على دعوته، رأى ابن الأحمر في سنة 631هـ/ 1233م مصانعته إلى حين والتظاهر بطاعته، وجاءت وفاة ابن هود سنة 635هـ/ 1237م بداية لظهور سلطان ابن الأحمر على الساحة الأندلسية ولتأسيس دولة عرفت باسم مملكة غرناطة، شملت على ثلاث ولايات كبيرة هي كل ما بقي من الأندلس خلال هذه الفترة وهي ولاية غرناطة في الوسط، وولاية المرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب، وتضمّ كل ولاية من هذه الولايات عددًا كبيرًا من المدن والقلاع والحصون.

وكانت الحركة العلمية في النصف الأوّل من القرن السابع الهجري تحاول رغم اضطرابها العمل على وصل ماضيها بحاضرها، فلمّا نهضت مملكة غرناطة، وبدأت الأندلس حياتها الجديدة، أخذت الحركة العلمية في الاستقرار، وآنست جوًا من الهدوء والطمأنينة، وكان سلاطين غرناطة جريًا على سنن حكام الأندلس السالفين من حماة العلوم والآداب، فمؤسّس هذه المملكة محمد بن يوسف بن الأحمر (235ـ671هـ/ 1237-1272م) كان في طليعة العلماء والأدباء عمّر بلاطه بخيرة علماء العصر ومفكّريهم، وكان ابنه محمد المعروف بالفقيه (701هـ/ 1301م) عالمًا ضليعًا يعشق مجالس العلم ويؤثر العلماء ويعظمهم ويقرض الشعر، وكان

ابن أبي الأحوص واحدًا من علماء العصر وممّن شملتهم رعاية هذين السلطانين وكرمهم. فتصدّر للتدريس بمدينة غرناطة مدة.

والظاهر من الروايات التاريخية أنّ ابن أبي الأحوص كان يطمع بأكثر من ذلك، ويمني نفسه بتولّي منصبا شرعيا رفيعا في غرناطة أو غيرها من قواعد الأندلس، غير أنّ الأمور سارت عكس ما كان يتمنى، وقدم مَن هو أدنى منه في العلم والمكانة [طبقات المفسرين، 1/ 151] فغادر مدينة غرناطة مغاضبًا وسكن مدينة المرية، وجلس بها مقرئًا ومحدثًا، واقتصر على الخطبة بقصبتها بضعًا وعشرين سنة [الاحاطة، 1/ 482] وكانت مدينة مالقة ووادي آش وقمارش وبعض المناطق الأخرى تحكم من قبل بني اشقيلولة وهم أسرة كبيرة من المولدين الذين أعانوا ابن الأحمر في صراعه مع خصومه، وساهموا مساهمة كبيرة في قيام مملكة غرناطة وكان بينهم علاقات ومصاهرات، ولكن هذه العلاقات الودية لم تستمرّ طويلاً فقد بدأ ابن الأحمر يتوجّس خطر هذه الأسرة ومركزها القوي في هذه المناطق ومخالفاتها المشبوهة، وحاول استعادة مالقة مرات عديدة ولكنه لم يوفّق إلى أن تمكّن محمد الفقيه من دخولها سنة 677هـ/ 1278م وقضى على نفوذ بني أشقيلولة كما تمكّن من بسط سلطانه على وادي آش وقمارش، وأصبحت مدينة مالقة بعد ذلك قاعدة للقوات المرينية بموافقة محمد الفقيه، تنطلق منها للجهاد ضد الممالك الأسبانية الشمالية ورد العدوان عن مملكة غرناطة.

وفي زمن بني أشقيلولة ظهر رجل يعرف بإبراهيم الفزاري ادّعى الولاية وكان يخبر بأشياء غيبيّة ويتنبأ بالمستقبل، وقيل إنه ادّعى النبوّة فتبعه العامة من الناس، ونال حماية بني اشقيلولة لأنه كان من مواليهم ومروّجًا لسلطانهم، فظهر الفساد في مالقة ورية وما جاورهما من المناطق، وتصدّى لدعوته وأفكاره جماعة من علماء المدينة من بينهم ابن أبي الأحوص، وابن الزبير الغرناطي، وحسن بن حسن النباهي المالقي فلحقهم بسبب ذلك محنة، ونهبت أملاك البعض منهم وتمكّن ابن أبي الأحوص بالوصول الى غرناطة سالمًا [المرقبة العليا، 127-129].

كان ابن أبي الأحوص من أهل المعرفة والدراية والرواية الواسعة والثقة والعدالة أخذ من كل علم بحظ وافر، فقد كان حافظًا للحديث آية في التفسير ذاكرًا للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، مكبّاعلى استفادته وإفادته، من أهل الضبط والإتقان في الرواية، وآخر مقرئي القرآن، ممّن يعتبر في الأسانيد، ومعرفة الطرق والروايات متقدّما على أهل وقته وهو أوفر من كان بالأندلس في ذلك [الاحاطة، 1/ 472].

وكان نقادًا ذاكرًا للرجال موثقًا لأهل الرواية والدراية منهم، سأله تلميذه أثير الدين بن حيان عن صحّة الرواية عن عبد الصمد بن عبد الرحمن البلوي المقرىء (ت 619هـ/ 1222م) وكان عبد الصمد هذا قد روى عن أبيه القراءات تلاوة وسمع منه عدّة كتب، ومات أبوه وله نحو من عشر سنين ومع ذلك روى الناس عنه فوثقه ابن أبي الأحوص وجوز الرواية عنه [معرفة القراء الكبار، 2/ 486 و487]، وتكلّم ابن بشكوال في

محمد بن مفرج البطليوسي المقرىء وضعفه لأنه كان يزعم السماع من جماعة وكان يكذب، وسئل عنه ابن أبي الأحوص فقال هو ثقة [لسان الميزان، 5/ 387]، وأما محمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي وما كان يحيط بروايته من الشك والأوهام فقد ذكر ابن أبي الأحوص أنّ بعض شيوخه من أهل الأندلس عمل أربعين حديثا فأخذها ابن مسدي فركّب لها أسانيد وادعاها لنفسه ولهذا ضعفه الناس [لسان الميزان، 5/ 437].

وكان ابن أبي الأحوص يقرض شعرًا لا يرضى لمثله ممّن برز تبريزه في المعارف، ومن شعره: [بغية الوعاة، 1/ 536؛ طبقات المفسرين، 1/ 158]

رغبتُ عن الدنيا لعلمي أنّها
محلُّ حياةِ المرء فيه بلاغُ

وقد لاح في فوديَّ شيبٌ على الردى
دليل وفيه ما أردت بلاغُ

وأمّلت من مولاي نظرةَ رحمة
يكون بها منّي إليه بلاغُ

فأحظى إذا الأبرار قيلَ لهم غدًا
هلمّوا إلى دارِ النعيمِ فراغُوا

رأيتُ بنيهَا ما رمتْهم سهامُها
فطاشتْ ولا حمَّ الحمامُ فراغُوا

فعجت إلى دارِ البقاء بهمّتي
فعندي عنها راحةٌ وفراغُ

جلس بعد خروجه من مالقة إبان الفتنة للتدريس بغرناطة مدة، ثم ولي قضاء المرية، ثم قضاء بسطة، ولما انفض أمد الفتنة واستقرّت الأوضاع بزوال حكم بني اشقيلولة، عاد إلى مالقة فتولّى القضاء بها وباشر التدريس والرواية، وكان في أحكامه القضائية يتخيّر ولا يقلّد أحدًا، ولا يفتي حسب رأي ابن القاسم المصري [بغية الوعاة، 1/ 535].

قرأ عليه وروى منه الجمّ الغفير من طلبة العلم بالأندلس منهم:

ابن الزبير الغرناطي وقد روى عنه الكثير، وأثير الدين ابن حيان نزيل القاهرة، لقيه بمالقة سنة 671هـ/ 1272 فقصده من غرناطة لأجل الاتقان والتجويد، فقرأ عليه القرآن الكريم من أوله إلى آخر سورة الحجر جمعًا بالسبعة والأدغام الكبير لأبي عمرو الداني بمضمون التيسير والتبصرة والكافي والإقناع، وقرأ عليه الحروف من كتب شتّى، وقرأ عليه كتابه الترشيد في صناعة التجويد ومعظم مؤلفاته، وهو الذي أدخلها القاهرة وعنه انتشرت في مصر [غاية النهاية، 1/ 242] وعنه رواها ابن مرزوق الخطيب وغيره بالقاهرة [نفح الطيب، 2/ 536]، وروى أثير الدين عن ابن أبي الأحوص الكثير من الأحاديث النبوية، ونقل عنه عوالي في الحديث [طبقات الشافعية، 9/ 282 و283] و[الدرر الكامنة، 6/ 58].

ومن تلاميذه أيضًا: أحمد بن الحسين الزيات المالقي، ومحمد بن أحمد بن الكماد قرأ عليه العربية، ومحمد بن حفيد الأمين المالقي، وأبو الحسن علي القيجاطي قرأ عليه القراءات، وعبد الواحد بن محمد المالقي روى عنه الشاطبية قراءة، ومحمد بن سهيل القيسي، وأبو عبد الله محمد بن برطال، وابن قطرال القرطبي، ومحمد بن محمد بن

سهل الأزدي قرأ عليه بالسبع في صغره، ومحمد بن محمد الأنصاري الغرناطي قرأ عليه القراءات، ويحيى بن مسعود الغرناطي ومحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، وكان أبو محمد بن أيوب المالقي خاتمة تلاميذ ابن أبي الأحوص وعنه روى الناس أكثر مؤلّفاته ومروياته.

ومن أولاده الذين لهم ذكر وتقدُّم في العلم، ولده أبو المجد يوسف، قرأ على والده وروى عنه وأجاز له مؤلّفاته ومروياته، ودرس على أبي يحيى بن الفرس، وأبي عمر بن حوط الله، وأبي القاسم بن ربيع، وأبي الخطاب خليل، وكان من أهل العلم والعدالة والنزاهة، ولي القضاء والتدريس في عدد من قواعد الأندلس، وسلك في سيره سبيل الجلة. وقرأ عليه محمد بن إبراهيم المعروف بالبياني، وابن جزي الكلبي وأجاز لابن خميس محمد بن أحمد الأنصاري. توفي أبو المجد سنة 705هـ/ 1350م ومولده سنة 649هـ/ 1251م.

وتوفي أبو علي بن أبي الأحوص بمدينة غرناطة عن قضاء مالقة في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة 699هـ. وقال ابن الزبير توفي سنة 679هـ/ 1280م وقيل سنة 680هـ/ 1281م.

كان ابن أبي الأحوص حسن اللقاء لطلبة العلم حريصًا على نفعهم جميل المشاركة لهم معينًا لأهل الحاجة منهم [الإحاطة، 1/ 472]. وقال ابن الزبير «إلاّ أنه كان فيه خلق أخلت به، وحملته على أعداء ما ليس من شأنه فكان ذلك ممّا يزهد فيه» [الإحاطة، 1/ 472].

قال السيوطي والداودي وفي كلام ابن الزبير تحامل عليه كثير، ولعل في كثرة الدارسين عليه والراوين عنه من طلبة العلم، وانتشار مؤلفاته في الأندلس والمشرق ما يضعف من قول ابن الزبير ويبطله.

آثاره

ألف مؤلفات في القراءات، والتجويد، والحديث، والعربية، وأصول الفقه نعرف منها:

1- الترشيد في صناعة التجويد، وهو كتاب كبير في أصول التجويد نال قبول أهل العلم واستحسانهم ذكره ابن الخطيب، وابن الجزري، وكحالة، والخوانساري 2 - النبيان في أحكام القرآن، ذكره المقري في [نفح الطيب، 2/ 536] 3 - المعرب المفهم في شرح مسلم، ذكره المقّري في [نفح الطيب، 2/ 536] 4 - المشرع السلسل في الحديث المسلسل، ذكره المقري في [نفح الطيب، 2/ 536] 5 - مسلسلات الديباجي في الحديث، ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، ص1677]، والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 313]، وقال ابن الخطيب، والسيوطي، والداودي، وله مسلسلات في الحديث 6 - أربعون حديثًا، سمعها منه أثير الدين بن حيان، وذكرها ابن الخطيب، والسيوطي، والداودي، والخوانساري 7 - الوسامة في أحكام القسامة، ذكره المقري في [نفح الطيب، 2/ 536] 8 - شرح كتاب المستصفى للإمام الغزالي في أصول الفقه، ذكره السيوطي والداودي و[حاجي خليفة، ص1673] والبغدادي وكحالة والخوانساري 9 - شرح جمل الزجاجي في

النحو، ذكره [السيوطي، والداودي، وحاجي خليفة، ص604] والبغدادي، وكحالة والخوانساري 10 - برنامج شيوخه، ضمنه أسماء شيوخه، وما حمله عنهم من المؤلّفات والمرويات في العلوم المختلفة، ذكره ابن الخطيب، والسيوطي، والداودي، والخوانساري.

■ المصادر والمراجع

● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1/ 471-473 ● النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا تح. ليفي بروفنسال، بيروت، ص127 ● ابن الجزري، غاية النهاية، تح. ج.برجستراسر، بيروت، 1980، 1/ 242 و243 ● ابن فرحون، الديباج المذهب، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1976، 1/ 44 و299 و2/ 3059، ترجمة ولده ● الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. محمد سيد جاد الحق، القاهرة، 2/ 486 و487 ● السبكي، طبقات الشافعية، تح. الحلو والطناحي، القاهرة، 1992، 9/ 282 ● ابن حجر، الدرر الكامنة، تح. محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد، 1972، 2/ 223 ولسان الميزان، بيروت، 1986، 5/ 378 و437 ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1964، 1/ 535 و536 ● الداودي، طبقات المفسّرين، تح. احسان عباس بيروت، 2/ 536 و561 ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد، ص604 و1273 و1677 ● البغدادي، هدية العارفين، استانبول 1951، 1/ 313 ● الخوانساري، روضات الجنات، تح. أسد الله إسماعيليان، قم 1391هـ، 3/ 277 ● كحالة، معجم المؤلّفين، دمشق، 4/ 17.

د. ناطق صالح مطلوب
جامعة الموصل ـ العراق

■ الأحوص، الأنصاري، عبد الله بن محمد

(35 هـ / 655 م ـ 105 هـ / 723 م) ■ ■ ■

لقب الأحوص لحَوَص كان في عينيه، وهو ضيق يعتري مؤخر العين. وكان أحمر الوجه كأنه وَحَرَة، دميمًا قصيرًا، أعرج. واسمه عبد الله بن محمد بن عاصم.

وكان لأسرته مكانة دينية متميّزة. فجده عاصم بن ثابت هو حَمِيّ الدَّبر، وخال عاصم هو حنظلة الغسيل، غسيل الملائكة. كما كان لأسرته مكانة دنيوية، فأخت عاصم هي جميلة

بنت ثابت، تزوّجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأولدها عاصما، وبنت عاصم بن عمر بن الخطاب هي زوج عبد العزيز بن مروان وأم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وُلد الأحوص حوالي سنة أربعين أو قبلها بقليل بقباء وفيها نشأ، وهي نشأة سكتت عنها المصادر، فلا يعرف عنها شيء، وقصارى ما يمكن أن يقال فيما يتعلّق بالفترة المبكرة من حياته أنه كان شابا متأنقا عطرا، فيه من المجون شيء. وكانت المدينة في الوقت الذي استكمل فيه الأحوص سنوات الشباب مهدا للغناء، تعج بالمغنيين مثل معْبد، وسائب خاثر، ومالك بن أبي السمح. وبالمغنيات مثل جميلة، وعزة الميلاء، وسلامة الزرقا، وعقيلة، وسلامة القسّ، وحبابة. وقد أهلت الأحوص شاعريته أن يكون نجما لامعًا في دور الغناء، خاصة في دار جميلة وكانت بينه وبين سلامة القس علاقة ومودّة.

كان الأحوص بحق «شاعر بني أميّة»، فلم يمدح أحدًا غيرهم، أميرا كان أو واليا أو وجيها، وصلته بمعاوية وابنه يزيد غامضة غير واضحة. وكانت بينه وبين عبد الملك بن مروان جفوة، فلا نعرف أنه وفد إليه أو مدحه طوال عشرين عاما، ولكنه وفد على أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر ومدحه. وتطيب نفس الأحوص بتولي الوليد بن عبد الملك ويمدحه وينال صلاته، ويمد الزمان للأحوص حبال الرضى فيُولي الوليد عمرَ بن عبد العزيز إمارة المدينة، وكان بينهما قرابة كما مر.

ولكن بمجيء سليمان بن عبد الملك يأفل نجم الأحوص، فقد كان سليمان جديا يكره الباطل وأهله، ويشاء حظ الأحوص العاثر أن يعين سليمان أبا بكر بن حزم واليا على المدينة، وكان كخليفته شديدا ضابطا، فوقعت العداوة بينه وبين الأحوص، وأكثر الأحوص من هجائه، فضربه ابن حزم وأهانه. ثم يتولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة 99 هـ / 717 م وقد فارق ما كان عليه وهو أمير المدينة من حب الغناء وأهله، فضيق على الأحوص رغم القرابة التي كانت بينهما، ولما بلغ الشر بالأحوص مداه نفاه عمر إلى دهلك. فكتب إليه الأحوص من منفاه يستعطفه فأبى عمر أن يرده، ولا ينقذه مما هو فيه إلا موت عمر رضي الله عنه وتولّى يزيد بن عبد الملك الخلافة. فيعفو عنه ويكرمه ويجزل له العطاء ويقربه إليه، فيخلص له الأحوص مداتحه ويكثر. وبانقضاء حكم يزيد سنة 105 هـ / 723 م لا نجد للأحوص أخبارا ما عدا خبرا واحدا ذكره البلاذري في أول عهد خلافة هشام بن عبد الملك سنة 106 هـ / 724 م فيما أرجح.

كان الأحوص مطبوعا على الشر، شكس الخليقة، قليل المروءة، هجّاء للناس، سريع الوقوع في أعراضهم، شديدًا في خصومته يتبع عثرات الناس فيفضحهم في شعره، فإن لم يجد ما يعيبهم اختلق افتراء وكذبا. وتجاوز هجومه الرجال وتعداه إلى نسائهم يشبب بهن، وخبر تشبيبه بأم جعفر متعالم مشهور. كان من جراء التعدي على الرجال بالهجاء ونسائهم بالتشبيب أن كرهه قومه وازورُّوا عنه فلم يبق فيهم صديق.

يغلب الغزل على شعر الأحوص، ويدور معظمه في الإماء، ومن ثم فهو يعد -من هذه الناحية- ظاهرة جديدة في الشعر العربي، على نقيض شعر عمر بن أبي ربيعة الذي يدور معظم شعره في الحرائر. ونظم الأحوص شعره الغزلي تلبية لحاجات المغنين، ومن ثم اتّسم بسهولة اللغة وعذوبة الألفاظ، ومال إلى استخدام الأوزان السلسة خاصة المجزوءة منها. وهذه الأشعار أقرب إلى القطع منها إلى القصيد. وليس معنى هذا أن شعره يخلو من القصيد، بل هو مطيل في قصائد المديح، وغالبا ما يستهلّها بالنسيب، وقليلا ما يبدؤها بالأطلال، وإن كان في هذا الحكم شيء من التعميم لأن ديوانه مفقود، ولم يبق لنا إلاّ ما جُمع من شعره. أما الهجاء فهو الموضوع الثالث في شعره، وأكثره قيل في ابن حزم والي المدينة، وكان الأحوص نسابة لذا امتلأ شعره الهجائي بذكر مثالب من يهجوهم، كما يمتاز أيضًا بالصور الساخرة، وهو فن نمّاه فيما بعد بشار بن برد وأضرابه. وهذه الفنون الثلاثة تمتاز بجودة الصياغة وفصاحة الألفاظ وسلامة اللغة، ومن ثم استشهد اللغويون بشعره.

آثاره

أقدم من ذكر ديوان الأحوص هو ابن خير حيث ذكر في فهرسه (ص397) أن أبا علي القالي نقل إلى الأندلس - في جملة ما نقل من دواوين - ديوان الأحوص، وآخر من ذكره هو ابن ميمون في «منتهى الطلب» حيث نقل منه تسع قصائد. كما فقدت أيضًا كل الكتب التي ألفت في أخباره وهي أربعة: أولها للزبير بن بكار (256 هـ / 869 م)، وثانيهما لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (235هـ/ 849م)، وثالثها لعلي بن منصور بن بسام (303هـ/ 915م)، ورابعها كتاب الأحوص وعبدة (الصواب: عبلة)، لم يذكر النديم مؤلفه. أوّل من جمع شعر الأحوص هو كاتب هذه السطور، وهي رسالة تقدم بها لنيل درجة الماجستير عام 1964، ثم نشرت سنة 1970، وقد اعتمد المحقق في جمع شعر الأحوص على كتب التراجم، مثل طبقات فحول الشعراء، والشعر والشعراء، والأغاني، ثم كتب الأدب كالعقد الفريد، والبيان والتبيين، ثم كتب الاختيارات مثل كتاب الزهرة، ومنتهى الطلب، ثم كتب المعاجم الجغرافية مثل معجم البلدان، ثم كتب التاريخ مثل أنساب الأشراف، ثم كتب اللغة مثل أساس البلاغة، ولسان العرب، وتاج العروس، ثم كتب النحو والشواهد، وأوفاها خزانة الأدب للبغدادي في سنة 1969م.

أصدر الدكتور إبراهيم السامرائي شعر الأحوص (بغداد) عدا فيه على الطبعة المصرية، كما أثبت كاتب هذه السطور في مقال نشرته مجلّة الثقافة المصرية (العدد العاشر، سنة 1974). وفي عام 1990 نشر كاتب هذه السطور الطبعة الثانية (مطبعة الخانجي بالقاهرة)، وأضاف إليها ثماني قصائد وجدها في منتهى الطلب لابن ميمون. وفي عام 1998 نشر سعد الضناوي (بيروت) شعر الأحوص الأنصاري معتمدا أساسا على طبعة السامرائي (أي طبعة عادل سليمان جمال)، ثم نشر نبيل الطريفي سنة 2000 شعر الأحوص الأنصاري. وادّعى أنه لم يطلع على الطبعة المصرية (يشير إلى الطبعة الأولى). وطبعته معتمدة كل الاعتماد على

الطبعة المصرية الثانية، ولا تزيد عليها إلا أبياتًا قلائل.

المصادر والمراجع

● ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 2/ 665-668، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974 ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1/ 518-521، تح. أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1966، الأغاني، 4/ 244-268 ● المرزباني، الموشح، 297-295، تح علي البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1965 ● البستاني، بطرس، دائرة المعارف، 2/ 610، بيروت ● زيدان، جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، 1/ 335-336، مطبعة دار الهلال، القاهرة 1957 ● حسين، طه، حديث الأربعاء، 1/ 260 ـ 271، دار المعارف، القاهرة، 1962 ● ضيف، شوقي، الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية، 1/ 158-201 دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت ● الغزل، 1/ 79 ـ 87، سلسلة الفن الغنائي، دار المعارف، القاهرة، 1963 ● البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، بيروت، 1967، 337-339، ● فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، 1/ 637-640 ● سعد، محمد علي، الأحوص بن محمد الأنصاري: حياته وشعره، 430 صفحة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982 م.

● Hammar Purgstall, Litteraturgesch, Vol II, pp.232-240; ● Rescher, Abriss der ar. Lit, Vol I, pp. 167-178; ● Pizzi, Lett. ar., p.115, Gaudefroy Demombynes, ibn Qutayba, introduction au livre de poésie et des poétes, pp.64-67;

د. عـــادل سليمان جمال
جامعة زايد ـ
أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتّحدة

الأحول، أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار

(... هـ / ... م ـ 250 هـ/ 873م)

أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار المشهور بـ «الأحول»، وقد ذكر صاحب الفهرست علما آخر عرف باسم أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الأحول كان عالما بصناعة الخراج. غير أنّ العالم اللغوي النحوي المشهور هو محمد بن الحسن بن دينار الأحول المتوفى سنة 259 هـ/ 873 م، ولم يذكر تاريخ لميلاده.

وصفه ياقوت الحموي في معجمه بأنّه كان

غزير العلم، واسع الفهم، جيّد الدراية، حسن الرواية، روى عنه عبد الله بن العباس اليزيدي، وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم سنة 250 هـ.

قال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: جمع أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحول أشعار مائة وعشرين شاعرا. وذكره أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرّد وثعلب، وهما من أئمة علماء النحو واللّغة.

وحدّث المرزباني أنّه كان ورّاقا يورق لحنين بن إسحق المتطبّب في منقولاته لعلوم الأوائل وكان محدودا أي قليل الحظّ من الناس، وحدّث عن عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول قال: اجتمعنا مع أبي العباس ثعلب في بيته، وحضر ابن بوكران رجل من أهل الأدب فقال بعض أصحابنا: عرّفوني ألقابكم، فقال ثعلب: أنا ثعلب، وقال الآخر: أنا كذا، والآخر أنا كذا، فلمّا بلغوا إليّ والمتكلّم هو الأحول - قالوا: وأنت ما لقبك؟ فقلت: منعت العاهة من اللقب، يريد أنّ الحول شيء لا يحسن ذكره.

وحدّث المرزباني عن نفطويه قال: كان أبو العبّاس الأحول يقول: «لم يزلوا»، وكذا ردّ عليّ. فقلت له: «لم يزالوا» أراد أنّه كان لحانا.

وحدث عن أبي عبد الله اليزيدي قال: كان أبو العباس الأحول يكتب لي مائة ورقة بعشرين درهما وقال محمد بن إسحق النديم: كان محمد بن الحسن الأحول ناسخا.

آثاره

1 - كتاب الدواهي 2 - كتاب السلاح 3 - كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه 4 - كتاب فعّل وأفعل 5 - كتاب الأشباه.

المصادر والمراجع

● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت 1922، ج 18، ص125، 126 ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1973 م، ج 3، ص91 ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 185 ● ابن النديم، الفهرست، 1/ 79 ● الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 344-345 ● حاجي خليفة، كشف الظنون، 1447 ● كحالة، رضا، معجم المؤلفين، 9/ 191.

د. وجيه السيد سالم
جامعة القدس المفتوحة

الأخرس، عبد الغفار بن عبد الواحد

(1220 هـ / 1805 م - 12391 هـ / 1873 م)

ولد عبد الغفار الأخرس عبد الوهاب بن وهب، في الموصل سنة 1220هـ، وارتحل عنها إلى بغداد، ونشأ فيها، وارتفعت شهرته وذاع صيته، فتناقل الناس أشعاره، لقّب بالأخرس لحبسة كانت في لسانه، حاول علاجها بشتّى الوسائل، ولكنّها أعجزته فتركها، ويروي بهذا الصدد، أن الوالي داود باشا، أرسله إلى الهند للمعالجة فقال له الطبيب: أنا أعالجك، فربما أن تنجو وينطلق لسانك أو تموت، فقال: «لا أبيع كلي ببعضي»، وقفل راجعًا إلى بغداد.

وكانت للأخرس إقامة بالبصرة أيضًا، وقد توفّي يوم عرفة 1291 هـ / 1873 م ودفن في الزبير بمقبرة الحسن البصري.

لا شكّ أنّ أسفار الأخرس إلى عدّة مراكز ثقافية في العراق، ورحلته إلى الهند، قد أكسبته خبرة ودراية بالناس والأماكن، وعزّزت موهبته الشعرية التي تأثرت بشكل أو بآخر بما شاهدت ولمست في هذه الأسفار التي كشفت عن تنوّع الحياة الاجتماعية والسياسية والطبيعية في نفس الوقت، الأمر الذي كان لا بدّ من ظهوره في أشعاره. ومن المؤكّد أن هذه الأسفار قد منحت الأخرس، القدرة على أن يغرّد خارج سرب شعراء عصره، وألاّ يقع في قبضة النمطية والترهّل الشعري، بحيث يمكن أن نلتمس وبوضوح خصوصية التجربة التي انعكست في لغته وألفاظه وصوره وتكويناته في الجناس والطباق وشتّى أمور البديع ممّا كان يستقيه من المعرفة المتولّدة عن السفر والترحال ومعاينة عادات وأعراف وتقاليد المجتمعات المختلفة، ولعلّ الأمر من أهمّ الأسباب التي جعلته يمتلك تميّزه وتفرّده قياسًا بشعراء عصره الذين وقعوا في قبضة الجمود والنمطية وفقر وشحوب التجربة.

وإذا كان شعراء المرحلة التاريخية التي عاش في ظلّها الأخرس، قد غرقوا في مواضيع بعيدة عن الشعر، مواضيع كانت قد وقعت في فخ شعر المناسبات والأمور الارتيادية التي لا تمتّ لجوهر الشعر بصلة، فإن الأخرس، قد استطاع أن ينوه بشعره من ذلك على العموم، ولذا حاول أن يعلي من شأن الشعر ويعيد للكلمات كبريائها المهدور على يد شعراء عصره، وقد وفّق في تحقيق هذا الهدف إلى حدّ بعيد، ولعلّنا نبصر في شعره روح الفروسية والتوثّب وعنفوان الرجولة في عصر يفتقد الرجولة بالدرجة الأساس، ونحن لا نعدم الشواهد الكثيرة، على ذلك، ولنأخذ نموذجا من قصيدة له في هذا الشأن:

وما زلت قد شدّتْ يدي عقد مئزري
بعيد مناط الهم عفُ المآزر

صفوتُ فلم أكدر على من يودّني
ولا يتّقي من قد صحبتُ بوادري

ألا ثكلت أم الجبان وليدها
وفازت بما حازته أم المخاطر

أحِنُّ إلى يوم عبوس عصبصب
تتوق له نفسي حنين الأباعر

إلى موقف بين الأسنة والظبا
ومنزلة بين القنا المتشاجر

يكشّرُ فيه الموت عن حد نابه
وتغدو المنايا داميات الأظافر

فها نحن أمام شاعر يأبى الذل ولا ينحني لحكم دهر ظالم، شاعر عزيمته حادة قاطعة كالسيف، عفيف، وفي وأصحابه لا يتقون ما يصدر عنه قولاً وفعلاً، لأنه موضع اطمئنان وثقة، فالأخرس في شعره النبيل هذا، يقول: إن المرأة التي تلد وينشأ وليدها جبانًا سرعان ما تفقده وتثكله ولا تفوز بالأمجاد إلاّ أم المقدام المخاطر، ثم يفصح عن حنينه الطاغي إلى موقف تظهر فيه فروسيته وشجاعته على حقيقتها حين يدعوه الواجب أن يخوض غمار الحرب بين السيوف والرماح وهي متشابكة فوق رأسه والموت قد فغر فاه وأظافره تلونها الدماء. والأخرس، في هذه القصيدة -كما في غيرها من القصائد- يحاكي في أبياته الأشعار العربية القديمة، ولكنه لا يبلغ شأو النصوص الشعرية العباسية الخالدة، ففيها شيء من التقليد والمحاكاة وميل إلى إيراد الغريب من الألفاظ التي ربّما كانت تلائم العصور القديمة، منها - عصبصب، حنين الأباعر- ويظهر أن التقليد والمحاكاة ظاهرة سائدة في كثير من أشعار القرن التاسع عشر لأسباب ثقافية واجتماعية وسياسية حتّى إذا بدأ القرن العشرون، حاول الشعراء أن يعيدوا إلى الشعر العربي روعته المعهودة وإبداعه، ويظهر أن الأخرس، كان سبّاقًا في التعبير عن الحياة بالشعر الجاد قبل غيره، أو على الأقل كان مع قلّة من أقرانه الشعراء قد جدّدوا وحاولوا إعادة النور إلى ظلام وكهوف الحياة التي تردى الشعر فيها، بحيث امتلكوا شرف المحاولة والمغامرة الصادقة..

وعبد الغفار الأخرس، يشترك مع بعض شعراء عصره، في حب ومدح أهل بيت الرسول وقد عبّر عن ذلك مرارًا، ولنقف عند هذا النموذج له:

علَويُّ الأصل عُلْوي الثنا
سيد السادات مولانا علي

الرفيعُ القدر والعالي البِنا
مستهل الوبل عذب المنهل

وإلى هذا فالأخرس في شعره، مقبل على الحياة والتمتع بالمباهج والمسرات، ولعل تغنيه بالخمرة يعبّر عن هذا الأمر بجلاء، فهو لا يرى في الخمرة وسيلة للوصول إلى المعرفة، بل يراها وسيلة إلى الأنس والفرح مع الندمان والأصحاب المنغمرين في دم الكرمة وسحر الخمرة، وربّما كان النموذج الذي نورده خير دليل على هذا الأمر.

بحياةِ الطّاس والكاس عليك
نزّه المجلسَ من كلّ ثقيل

وتحكّمْ إنّما الأمر إليكَ
ولك الحُكم من هذا القبيل

كيف لا والكأس تسقي من يديك
ما على المحسن فيها من سبيل

لقد كان عبد الغفار الأخرس، شاعرًا ينتسب إلى عصره ومرحلته التاريخية، ولكنه لم يكن مكبّلاً بانحطاط الشعر والفكر في عصره كليًا، فهذا الشاعر بحس وروح المبدع الموهوب فيه، كان غير مقتنع بأساليب الشعر في عصره، بيد أنه لم يكن ليستطيع أن يتخلّص من تراكم ومخلفات الانحطاط دفعة واحدة، ولذا ظلّ يحاول ويحاول أن يكون نسيج وحده، وأن يحتفي بالحياة والشعر والطبيعة على وفق مفردات حية وغنيّة تغادر سجن الجمود في عصره، وها هو ذا الأخرس يصف سحر وجمال الطبيعة في موشح له، ليضعنا أمام حساسية شعرية جديدة على شعر عصره:

تحسب النّرجس فيها أعينًا
شاخصاتٍ نحونا بالمُقَلِ
مال غُصنُ البانِ تيهًا وانثنى
في هواها ميلانَ الثمِل

وقوله في موشّح آخر:

مربع للهو منذ انتظما
أطرب الأنفسَ في روْح وراح
ما بكاه القطر إلاّ ابتسما
لبكاهُ بثغور من أقاح
وشَدَتْ في الروح ورقاءُ الحمى
ما على الورقاءِ في الشدو جُناح

لقد كان عبد الغفار الأخرس، شاعرًا مجيدًا، مجدّدًا على شيء من حياء، ونحن نلمح في قراءتنا لشعره أنه شاعرمتمكّن من لفظه، قوي العبارة، مجوّد في أغلب ما كتب، غير أنه يخرج في أحيان قليلة إلى شيء من النمطية والرتابة والمناسبة، لكن هذا الأمر، استثناء وأمر نادر قياسًا لأغلب نماذجه الشعرية التي بوأته مكانة متميّزة في خارطة الشعر العراقي وفي تاريخ الأدب العربي.

آثاره

الطراز الأنفس في شعر الأخرس، تح. أحمد عزّت باشا الفاروقي.

المصادر والمراجع

● الطراز الأنفس في شعر الأخرس، تح. أحمد عزت باشا الفاروقي، وترجم له فيه ● الفاروقي، أحمد عزت باشا، العقود الجوهرية في مدح الحضرة الرفاعية، مصر، 1304 هـ / 1960 م ● الآلوسي، محمود شكري، المسك الأذفر، بغداد، الآداب، 1930 م، ص116 ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، 1926 م، 2/ 792 ● الزركلي، الأعلام، الطبعة الثالثة، 4/ 157 ● ديوان الموشحات الموصلية، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، مكتبة بسام، الموصل، 1975 هـ، ص114 ● الخياط، جلال، وزميلاه، الأدب والنصوص، جمهورية العراق، وزارة التربية، بغداد، 2000 م.

د. نجمان ياسين
الرئيس الأسبق لاتحاد الكتاب العراقيين
بغداد ـ العراق

ابن الأخرم، أبو عبد الله محمد بن يعقوب

(250 هـ / 864 م ـ 344 هـ / 955 م)

محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري أبو عبد الله المعروف بابن الأخرم، ويعرف قديما بابن الكرماني [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12، ص114].

كان صدر أهل الحديث بنيسابور في عصره، ولم يرحل منها، وصفه الحاكم النيسابوري بأنّه «من أنحى الناس ما أخذ عليه لحن قطّ» [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 3، ص864-865].

كان أبو عبد اللّه بارعا في الحديث والعلل والرجال [ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص368]. روى عن جملة من المشايخ منهم: علي عبد الحسين الهلالي ويحيى بن محمد الذهلي، وإبراهيم بن عبد اللّه السعدي، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء، وإسحاق بن عمران الإسفرايني الفقيه، والحسين بن الفضل البجلي المفسّر، ومحمد بن نصر المرزوي الإمام [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12، ص114].

بلغ من إتقانه للحديث أنّه كان مقدّما على أقرانه فيه، ويُعتمد قوله في الأحاديث التي يرقى لها الشكّ. وينقل الحاكم النيسابوري ما يدلّ على تدقيقه بالحديث يقول: حضرنا مجلس الصيفي وحضر أبو علي الحافظ وابن الأخرم، فأملى الصيفي عن إبراهيم الهسنجاني عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا: «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدركها»، فقال ابن الأخرم: يا أبا علي من قال فيه: «فقد أدركها كلها»؟، قال: هذا لا نحفظه إلاّ من حديث عبيد اللّه بن عمر عن الزهري. قال أبو عبد اللّه: بلى! في حديث لا نحفظه إلاّ عن أبي وهب عن يونس: «فقد أدركها كلّها» [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص115].

آثاره

1 - المستخرج على الصحيحين، ويبدو أنه قد صرف وقتا كثيرًا في تأليفه، جاء ذلك في قول الحاكم النيسابوري: «سمعت أبا عبد اللّه غير مرة يقول، ذهب عمري في جمع هذا الكتاب» [الذهبي، تذكرة، ج 3، ص864-865]
2 - المسند الكبير 3 - كتاب الرسالة.

المصادر والمراجع

• الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 12، ص114 • م.ن، تذكرة الحفّاظ، ج 3، ص864-865 • الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، ج 2، ص368 • البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، ج 2، ص41.

د. عبد الرضا كامل محمد السعدي
جامعة المستنصرية ـ بغداد

الأخسيكثي، أبو عبد الله حسام الدين محمد

(.... هـ / .... م - 644 هـ/ 1247 م)

من مدينة أخسيكس أو (أخسيكيت)، وهي واحدة من أهم مراكز منطقة فرغانه في ما وراء النهر. وقد اكتسب شهرة كبيرة بين فقهاء الحنفية في بلاد ما وراء النهر. وعرف بصفة خاصة من خلال كتابه «المختصر في أصول الفقه». ولم تذكر المصادر معلومات كافية فيما يتعلق بحياته. وبينت أن كلاً من محمد بن محمد الإيدي البخاري، ومحمد بن عمر النوجبازي (النوجابازي) تلقيا الفقه على يديه.

توفي الأخسيكثي في 23 ذي القعدة عام 644 الموافق لـ 1 أبريل عام 1247، وتمّ دفنه في مقابر القضاة السبع بجانب قبر قاضي خان الفقيه الحنفي المشهور.

آثاره

كتب حسام الدين الاخسيكثي مختصرا في الفقه أسماه «المنتخب في أصول المذهب»، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم «المنتخب الحسامي (المختصر)». وتوجد منه نسخ مخطوطة كثيرة، كما تمت طباعته عدة مرات [ليكنيف 1293 مع شرح م. فائز الكنكوخي المسمى «التعليق الحامي»؛ ليكنيف 1317 مع حاشية مولوي محمد إبراهيم؛ ليكنيف 1318، 1324 مع «شرح النظامي» لنظام الدين القرشي؛ دهلي 1907 مع شرح مؤلف «النامي» لأحمد بن عبد الحق الدهلوي، دهلي 1326].

وجد هذا الكتاب القيم قبولا كبيرا بين العلماء، وتنقل بين أيديهم، وتم شرحه من قبل بعض الفقهاء الأحناف. وتأتي في مقدمة هذه الشروحات: شرح حسين بن علي السغناكي المسمى «الوافي»، وشرح عبد العزيز البخاري «غاية التحقيق (التحقيق أو شرح المنتخب الحسامي)»، وشرح قوام الدين أمير كاتب الإتكاني «التبيين»، وشرح حافظ الدين النسفي. ومن بين هذه الشروح تمت طباعة شرح عبد العزيز البخاري «غاية التحقيق» [ليكنيف 1292 مع شرح الإتكاني «التبيين»، I - II نشر صابر ناصر مصطفى عثمان، الكويت 1420/ 1999]، بينما لا تزال بقية الشروح في شكل مخطوطات.

قام صابر ناصر مصطفى بإعداد رسالة دكتوراه في عام 1400هـ/ 1980م بجامعة الأزهر حول شرح الإتكاني وهي في طور النشر، بينما قام سالم أوغوت بإعداد رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة حول شرح النسفي، وقد تم نشر هذه الرسالة. وإذا كانت المصادر قد ذكرت أسماء بعض المؤلفات الأخرى للأخسيكثي، فإنه لا يعرف ما إذا كانت هذه الكتب قد وصلت إلينا أم لا.؟

المصادر والمراجع

• القرشي، الجواهر المضية، نشر عبد

الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1399هـ/ 1979م، III، 334 ● قطلوبغا، ابن تاج، التراجم، نشر محمد خير رمضان يوسف، دمشق 1413هـ/ 1992م، ص146 ـ 245 ● طاش كوبري زاده، كمال الدين محمد، موضوعات العلوم، استانبول 1313هـ، I، 635، 640، 729 ● كاتب جلبي، كشف الظنون، II، 1848-1849 ● اللكنوي، عبد الحي، الفوائد البهية، القاهرة 1324هـ، ص 188 ● البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، II، 123 ● سركيس، معجم المطبوعات، I، 406، 538 ● الزركلي خير الدين، الأعلام، نشر زهير فتح الله، بيروت 1984، VII، 28 ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1376- 1381/ 1957-1961، XI، 253 ● سالم أوغوت، شرح حافظ الدين النسفي لكتاب المنتخب في أصول المذهب (رسالة دكتوراه، 1408هـ/ 1988م)، جامعة أم القرى في مكة المكرمة، ص8-17

● Brokelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, I, 474; Supplementband, I, 654. Ahmet izel, Hanefi Fikih Alimleri, Ankara 1990, p.65; ● Mustafa Uzunpostalci, «Ahsikesi», Türkiye Diyanet Vakfi islam Ansiklopedisi, Istanbul 1989, II, 181.

د. أحمد أوزال
هيئة الموسوعة الإسلامية ـ استانبول
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي ـ تونس

ابن الإخشيد، أبو بكر أحمد بن علي بن بيغجور

(270 هـ/ 883 م ـ 326 هـ/ 936 م)

الإمام أبو بكر أحمد بن عليّ بن بيغجور المعروف بابن الإخشيد، ويقال له ابن الاخشاد المتكلّم المعتزليّ المشهور [ابن حزم، الفصل، ج4، ص61؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج4، ص309؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص614؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج1، ص71؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص231؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص171؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج1، ص320].

ولد سنة 270هـ، وهو من أصل أعجمي، إذ كان والده من أبناء ملوك فرغانة من الأتراك، سكن بغداد وتخرّج بكبار شيوخها حتّى أصبح من أيمّة المعتزلة وأركانهم [ابن حزم، الفصل، ج4، ص61؛ الخطيب، تاريخ

بغداد، ج4، ص309]، قال المرزباني: «أبو بكر، وأبو الحسن بن المنجّم، كان هذان الشيخان آخر من شاهدنا من رؤساء من بقي من المتكلّمين، وعليهما، وفي مجالسهما كان اعتماد المتكلّمين ببغداد، وانتفع بهما خلق كثير، إلاّ أنّ أبا بكر زاد على غيره بما صنّفه من الكتب وأودعه إيّاها، ولم يطل عمره، ولو طال لأظهر علوما كثيرة» [ابن المرتضى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص106]، وقال ابن حزم الظاهري: «هو أحد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم إليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم، والثاني منهم أبو هاشم الجبائي، والثالث عبد الله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي» [الفصل، ج4، ص203] وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء: «هو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة» [ج16، ص102].

كان جامعا بين العلم والصلاح والورع قال فيه ابن النديم: «هو من أفاضل المعتزلة وصلحائهم وزهادهم... وكان من محبّته للعلم وورعه يقول لوكيل له في ضيعته لا تحدّثني بشيء من أمر ضيعتي وتعمد مما يقم رمقي ولا غنى بي عنه، ودعني أتوفّر على العلم وعلى أمر الآخرة» [الفهرست، ص245-246]، وقال الحافظ شمس الدين الذهبي «كان ذا تعبّد وزهادة» [سير أعلام النبلاء، ج11، ص614].

عرف أبو بكر بن الإخشيد بكرمه وجوده فقد كان يواسي ذوي الحاجة، ويؤثر طلبة العلم على غيرهم، وينصّف أكثر ما يحمل إليه من ضيعته إليهم [ابن النديم، الفهرست، ص245-246؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص614].

كان فقيها شافعيّا متكلّما بارعا كثير التبحّر في علوم الحكمة، فصيحا ذا دراية بالعربيّة، محبّا للقراءة مولعا بتآليف الجاحظ، فقد ظلّ يبحث عن كتابه الفرق بين النبيّ والمتنبّئ فترة طويلة، فلم يظفر به فأحزنه ذلك وهمّه، ولمّا دخل مكّة حاجّا أقام من ينادي عليه بعرفات، قال عليّ بن عيسى النحوي الصالح سمعت ابن الإخشاد شيخنا أبا بكر يقول: «ذكر أبو عثمان في أوّل كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومرّ بي في جملتها الفرق بين النّبي والمتنبّئ وكتاب دلائل النبوّة وقد ذكرهما هكذا على التفرقة، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلاّ على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوّة وربّما لقّب بالفرق خطأ، فهمّني ذلك وساءني في سوء ظفري بهم، فلمّا شخصت من مصر ودخلت مكّة حاجّا أقمت مناديا بعرفات ينادي والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب: رحم الله من دلّنا على كتاب الفرق بين النبيّ والمتنبيء لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان، فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: حجب الناس مني، ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به، وإنّما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها» [معجم الأدباء، ج16، ص101-102].

ولئن كان أبو بكر عالما ورعا إلاّ أنه لم يسلم من التشدّد والإنكار على مخالفيه، فقد ذكر ابن المرتضى أنّ له تعصّبا على أبي هاشم وأصحابه حتّى أنه حضر مجلس أبي الحسن

الكرخي لينفّر أصحابه الذين يختلفون إليه، ويوهم أنه خالف أبا علي وساير الشيوخ في مسائل عظم خلافه فيها، ودخل الشيخ أبو عبد الله على أبي بكر ليمتحنه في مسألة، فقال له في جملة الكلام: إمّا أن تكون منظرا أو مستفيدا، قال: لست بهذين الوصفين، قال: فلماذا تتكلّم؟ قال: لأجرّب معرفتك في أدلّة التوحيد، قال القاضي: قد كان في كثير من ذلك يخالف ويتمسّك بالضعيف بالمذهب [عبد الجبّار، فرق وطبقات المعتزلة، ص106-107].

والظاهر أنه تأثّر في تعصّبه على أبي هاشم بن أبي عليّ الجبائي بشيخه أبي عبد الله محمّد بن عمر الصيمريّ، فقد كان مفرطا في التغليظ عليه، ورد في كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبّار «كان أبو عبد الله ورعا حسن الطريقة إلاّ ما كان منه في معاندة أبي هاشم والغلوّ فيه، وكان بعد ذلك خرج إلى بغداد فالتقى به أبو بكر بن الإخشيد مدة قصيرة وأخذ عنه» [ص309]، وكان أبو عمران بن رباح السيرافي ممّن يدرس على أبي أحمد العسكري العبدكي من أصحاب أبي هاشم ثمّ فارقه واختلف إلى أبي بكر بن الإخشيد وجعل ينصره الزمان الطويل [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص331].

وكانت له معرفة بالحديث النبوي الشريف فقد كان يحتجّ به في تآليفه، ويرويه عن أبي مسلم الكجّي، وموسى بن إسحاق الأنصاري، والفضل بن الحباب الجمحي، وجعفر الفريابي، وقاسم بن زكريا المطرّز، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبّار الصوفي، وغيرهم [ابن النديم، الفهرست، ص246؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج4، ص309؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص614]، وروى عنه الحديث جماعة [ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص231].

آثاره

صنّف في التفسير، والأصول، والكلام، كتبا مفيدة اشتهرت في عصره، وانتفع بها خلق كثير، فقد ألّف كتاب المعونة في الأصول ولم يتمّه، وكتاب نقل القرآن، وكتاب الإجماع، وكتاب اختصار تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ [ابن النديم، الفهرست، ص246؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص614]؛ وكتاب المبتدي، وكتاب النقض على الخالدي في الإرجاء، وكتاب اختصار أبي علي في النفي والإثبات [ابن النديم، الفهرست، ص246]، والظاهر أنّ هذه الكتب كانت موجودة في أيدي الناس متداولة بين أهل العلم فقد نقل منها الإمام ابن حزم الظاهري في الفصل مقالات في الكلام قصد دحضها والتشنيع عليها، فمن ذلك قوله: «رأيت لأبي بكر أحمد بن علي بن بيغجور المعروف بابن الإخشيد في بعض كتبه يقول إنّ التوبة هي الندم فقط، وإن لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة، قال أبو محمد: هذا أشنع ما يكون من قول المرجئة، لأنّ كلّ معتقد للإسلام فبلا شكّ ندري أنه نادم على كلّ ذنب يعمله عالما بأنه مسيء فيه مستغفر منه، ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسنا لما فعل، غير نادم عليه فليس مسلما، فكلّ صاحب كبيرة فهو على قول ابن الإخشيد غير مؤاخذ بها، لأنه تائب منها وهذا خلاف الوعيد» [ج4، ص61-62]. وقوله:

«قال أبو بكر أحمد بن علي إنّ من ارتكب كلّ ذنب في الدنيا وهكذا أبدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه إلاّ أنه ندم إثر فعله له فقد صحّت توبته، وسقط عنه ذلك الذنب أبدا.. قال أبو محمّد: هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعي القول بإنفاذ الوعد والوعيد وما على أديم الأرض مسلم لا يندم على ذنبه» [ج4، ص203]، وحكى عنه الإمام القرافي في باب الإجماع القول بعدم اعتبار مخالفة الواحد والاثنين في أصول الدين، والتأثيم، والتضليل بخلاف مسائل الفروع [الزركشي، البحر المحيط، ج4، ص478].

توفّي أبو بكر بن الإخشيد سنة 326هـ عن ستّ وخمسين سنة [ابن النديم، الفهرست، ص245-246؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج4، ص309؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص614؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج1، ص71؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص231؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص171؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص320].

المصادر والمراجع

● ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت 380هـ)، الفهرست، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1398هـ/ 1978م، ص245-246 ● عبد الجبار، قاضي القضاة أبو الحسن عماد الدين عبد الجبار بن أحمد (ت 415هـ)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح فؤاد سيد قسم إرشاد باحثي المخطوطات بدار الكتب المصرية، الدار التونسية للنشر، ط 1393هـ/ 1974م، ص106-107، 309، 331 ● ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حكم الأندلسي (ت 456 هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، لبنان،، ط 1403 هـ/ 1983م، ج 4، ص61، 203 ● الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص309 ● ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت 626 هـ)، معجم الأدباء، دار الفكر، ط3، 1400هـ/ 1980م، ج16، ص101-102 ● الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين أبي سعيد عمر بن غامة العمروي، دار الفكر للنشر والتوزع، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج11، ص614 ● الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت772هـ)، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد بغداد، ط1، 1390هـ/ 1970م، ج1، ص71 ● ابن المرتضى، الإمام المهدي أحمد بن يحيى (ت 775هـ)، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، تح. النشار، علي سامي، وعصام الدين محمد عليّ، دار المطبوعات الجامعية، ط1، 1391هـ/ 1972م، ص106 ● ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين بن عليّ العسقلانيّ (ت852هـ)، لسان الميزان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج1، ص230-231 ● الزركشي،

بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله (ت794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير د. عبد الستّار أبو غدّة، ط2، 1413هـ/ 1992م، ج4، ص478 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط4، 1399هـ/ 1979م، ج1، ص171 ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنّى بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ج1، ص320.

د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة - تونس

الأخضري، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير

(920 هـ / 1514 م - 953 هـ/1546 م)

عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد ابن عامر الأخضري البنطيوسي، أديب ومنطقي وفقيه.

اختلف المؤرّخون في تحديد تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، فقد قيل إنّه عاش في الفترة ما بين (918-983 هـ) [الأعلام، ج 3/ 331؛ معجم المؤلّفين،ج 2/ 119]. وهناك من قال إنه عاش ما بين (910 هـ - 953 هـ) [معجم أعلام الجزائر، ص14]، فيما يكتفي الحفناوي بالقول إنه كان حيّا أواسط القرن العاشر [تعريف الخلف برجال السلف، القسم 1، ص67]. ويكتفي البغدادي بالقول إن الأخضري توفي في العام 983 هـ [هديّة العارفين، المجلّد 1، ص546]. وخلافا لكلّ هؤلاء ذهب الشيخ المهدي البوعبدلي [عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفيّة في الجزائر، ص25] إلى أنه عاش إلى سنة 981هـ مستندا إلى بيت للأخضري قال فيه:

في عام إحدى وثمانين سنه
من بعد تسعمائة مستحسنه

لكن هناك من شكك في صحّة هذا الاستدلال بالقول «إن البيت قد يكون فيه تصحيف من النساخ بقراءة «إحدى وثمانين» بدل «إحدى وثلاثين»» [تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص501]. وما يزيد هذا الشك هو أننا لا نجد مؤلفا واحدا للأخضري بعد الخمسينات، ولا يعقل أن يتوقف الأخضري عن التأليف من سنة 50 هـ إلى سنة 81 هـ وهو الذي ألف أول كتبه في سن العشرين. لهذا فإننا نميل إلى الرأي القائل إن الأخضري عاش ثلاثا وثلاثين سنة فقط أي في الفترة (920هـ/ 1514م - 953هـ/ 1546م) وأنه لم يتزوج، [مقدمة لوسياني لكتاب الأخضري السلم].

ولد الأخضري في بنطيوس قرية من قرى بسكرة تقع جنوب الجزائر، وهناك أخذ العلم عن والده وشقيقه الأكبر. وكان والده محمد

الصغير من علماء ذلك الوقت، وقد ألّف حاشية على الخليل وكتابا في التصوف هاجم فيه من سماهم بـ«الدجاجلة» الذين انحرفوا في رأيه عن منهج الشرع القويم [تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص500]. كما أن جده محمد عامر كان من علماء ذلك العصر. وقد جمع عملا في الفتاوى الفقهيّة. وتذكر بعض الروايات أن الأخضري طلب العلم أيضا بقسنطينة وأخذه عن الشيخ عمر الوزان كما تنقل إلى تونس لطلب العلم على مشائخ جامع الزيتونة، غير أن هناك من يشكك في مسألة ذهابه إلى تونس بالنظر لقصر الفترة التي عاشها [تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص500- 501]. وتوفي الأخضري في صيف سنة 953 هـ بمدينة سطيف بحسب بعض الروايات.

قضى الأخضري حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته في بنطيوس، وتخرج على يديه تلاميذ كثيرون لكن ليست لدينا معلومات عن المشاهير من تلاميذه. ويعتبر بعضهم أن الشيخ قدورة تتلمذ على الأخضري لكن هناك من شكك في هذا القول لأن الأخضري توفي سنة 953هـ، بينما توفي قدورة سنة 1066هـ، ومن ثم فإن الأخضري ربما كان شيخ شيوخ قدورة كما هو شيخ شيوخ عبد الكريم الفكون [تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص151].

آثاره

تذكر المراجع عدّة مصنّفات في علوم متنوعة في شكل أراجيز مختصرة وشروح واشتهرت مؤلّفاته خاصّة في المنطق والرياضيّات والفرائض وعلم الفلك، منها:

1 ـ الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء، وهي أرجوزة في الرياضيات والفرائض فرغ من تأليفها في شهر رمضان 946/ 1539، ويشير فيها إلى أنّها من مؤلفات شبابه.

وخصّص الفن الأوّل منها بعلم الحساب وحروف الغبار وما يتعلّق بها، مع كثير من الاختصار، ومن الاقتصار على ما به الحاجة في الفرائض. ويعتمد الأخضري على طريق الغبار، محترزا بذلك عن طريقة الهند. ويقول محمد بن صالح بن ملوكة في شرحه «الورقة 7 و» و«طريقة الهند» هي التي درجنا عليها وإنّما خالفنا هنا المصنّف في ذلك لشهرة ما احترز منه في إقليمنا، وهو إقليم تونس» [خ. تونس رقم 294 ورقة 7و] (التاريخ 1257 هـ).

فطريقة الغبار، إذن كانت هي المعتمدة في ذلك التاريخ بالجزائر والمغرب. ويؤكد ذلك قول المصنّف:

وجعلوا صفرا علامة الخلا
وهو مدوّر كحلقة جلا

وتفيدنا شروح «الدرّة البيضاء» بشكل حروف للغبار في القرن الثالث عشر للهجرة: «الواحد على صورة الألف هكذا (ا) والاثنان كياء معقوفة هكذا (2)، والثلاثة على صورة همزة مقلوبة هكذا (3)، والأربعة على صورة عين مفتوحة مبطوحة هكذا (ع)، والخمسة على صورة عين مفتوحة واقفة هكذا (y)، والستة على صورة هاء واقف هكذا (6)، والسبعة على صورة حاء قائم هكذا (7)، والثمانية على صورة لام ألف مكتوف هكذا (8) والتسعة على صورة واو هكذا (و).

وفي الإمكان أن نقارن بين هذه الأشكال وما جاء من قبل في شرح «تلخيص ابن البنّاء» لعبد العزيز بن علي بن داود الهواري المسراتي وأن نلاحظ تطوّرها:

ا ح مح ـعـ 4 6 7 8 و

وقد نظمها بعضهم:

ألــف وحـــاء ثــمّ حـــج بـــعـــده
عـو وبـعـد الـعـو عـيـن تـرسـم

هـاء وبـعـد الـهـاء شـكـل ظـاهـر
يـبـدو كـمـخـطـاف كـذاك يـنـظـم

صـفـران ثـامـنـهـا وألـف بـيـنـهـا
والـواو تـاسـعـهـا كـذاك تـفـهـم

«وقد أبدع في قوله «صفران ثامنها» لأنّه أفاد معرفة الصفر».

واهتمّ المشائخ بشرح «الدرّة البيضاء» دون تنوّع ملحوظ، بل إنّ الشروح التي بين أيدينا ينقل بعضها عن بعض في غالب المواضيع، ولعلّ أكبر عيب فيها جميعا أنّها تعتني بصفة عامّة باعتبارات لغويّة ومسائل نحويّة وأسلوبيّة، كاستعمال الجمل الفعليّة أو الاسميّة، وتحاليل أبستيمولوجية كثيرا ما تخرج بالقارىء بعيدا عن حقل الرياضيات، ولا يوجد فيها البتّة ما يُعين الطالب على إدراك موضوع درسه بالذّات المرتبط بالأعداد وخواصّها.

يوجد عدد عديد من نسخ «الدرّة» المخطوطة وشروحها بالمغرب العربي وخارجها، نقتصر منها على ما يلي: - رقم 280 تونس، نسخة محمد الناصر بن إبراهيم بن المسعودي، الشيخ ابن حمّود، مؤرّخة بالتاسع عشر من شعبان 1244 هـ/ 1828 م - رقم 294 شرح الشيخ محمد الصالح بن ملوكة، بخطّ مؤلّفه، مؤرّخ بالسّابع من شهر شعبان 1257هـ/ 1841 م - رقم 798 نسخ محمد الطاهر بن الحاج المنياري بتاريخ 18 شعبان 1304 هـ/ 1886م - رقم 322 شرح محمد بن إبراهيم فتاتة، انتهى نسخه يوم 20 رمضان 1168 هـ/ 1754 م - رقم 593 نسخة بتاريخ 17 محرّم 1300 هـ/ 1882 م عن نسخة بخط الفقيه الحاج محمد قلاّلة 2 - السلم المرونق وهو أرجوزة في المنطق نظمها سنة 941 هـ وعمره إحدى وعشرون سنة، ولأهمّية السلم، مثّله حاجي خليفة بعمل إيساغوجي [كشف الظنون، ج. 1، ص998]. استهلّه الأخضري بتعريف المنطق حيث رأى أنه «علم في نفسه، وآلة لغيره» [شرح السلم، نسخة أ، ورقة 143 أ].

كما تناول فيه مسألة المنطق وعلاقته بالشرع حيث رأى أن دراسة المنطق قد تتناقض في الظاهر مع دراسة الشرع، ولكنه دافع عن ذلك وأثبت أن لا تعارض ولا تناقض بينهما. وقد أقبل العلماء على شرح السلم والتعليق عليه، من ذلك شروح إبراهيم الباجوري، ومحمد الأنبابي ومحمّد البنّاني وسعيد قدورة وغيرهم [تاريخ الجزائر الثقافي ج. 2، ص151]. كما ترجمه إلى الفرنسيّة المستشرق ج. د. لوسياني D. Luciani بعنوان السلم، رسالة منطقيّة، نشر بالمطبعة الميمنية، مصر 1324 هـ 3 - شرح السلم المرونق في المنطق، المطبعة الميمنية، مصر 1324 4 - مختصر في العبادات، وهو كتيّب صغير، كتبه الأخضري نثرا، وهو على مذهب الإمام

مالك، تناول فيه بعض مسائل الأخلاق والعبادات، شرحه الشيخ عبد السميع الأزهري تحت عنوان «هواية المتعبد السالك» وتوجد له نسختان مخطوطتان في المكتبة الوطنيّة بالجزائر: النسخة الأولى تحت رقم 2146 والثانية تحت رقم 399 . وقد طبعه البابي الحلبي، القاهرة 1934م 5 - السراج، أرجوزة في علم الفلك. ذكرها بروكلمان، ذيل 2، 705. توجد منه نسختان خطيتان بتونس 17951، 17905، وبالخزانة الحسنية بالرباط رقم د 1051، وبالجزائر 1451؛ 6 - موصّل الطلاّب في قواعد الإعراب، الرباط الخزانة العامة د 276؛ 7 - الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، الرباط، د 2231 د 558، الجزائر 213 المتحف البريطاني 4231، مدريد 226؛ 8 - القدسيّة، وهي قصيدة في التصوف تناول فيها عدة مسائل أهمها مسألة العلاقة بين الروح والجسد وكيفية سمو الإنسان بروحه إلى عالم الملكوت عن طريق المجاهدة والتقوى [مخطوط رقم 946، المكتبة الوطنيّة الجزائر].

■ المصادر والمراجع

1 - الكتب:

● الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، القسم 1، تح. محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، بيروت، ط 1، 1402 هـ/ 1982 م، مؤسسة الرسالة ص67 ● حاجي، خليفة، كشف الظنون، بيروت، 1413 هـ/ 1992 م، ج 1/ 998، دار الكتب العلمية ● البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، المجلّد 1، استانبول 1951، وكالة المعارف، ص546 ● الزركلي خير الدين، الأعلام، ط. 5، دار العلم للملايين، بيروت 1980، 3/ 331 ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، الجزء 2، مؤسسة الرسالة بيروت، ط. 1، 1414 هـ/ 1993، ص119 ● سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط. 1، 1998، دار الغرب الإسلامي، ج 1، ص500-503، ج. 2، ص151 ● نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، بيروت، ط. 2، 1980، مؤسسة نويهض الثقافية، ص14.

● El Akhdari. A: Le Soullam, traduit de l'arabe par Luciani J.D, Ancienne Maison Bastide, Jourdan, 1921, p.14; ● BROCKELMANN, C: S.II, 705; ● LAMRABET, Driss: Introduction à l'histoire des mathematiques Maghrébines, Rabat 1994, art. 485, p.140.

2 - الدوريات:

● البوعبدلي المهدي، عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جانفي 1978، عدد 53، ص25

د. محمد السويسي
جامعة تونس
د. جمال حمّود
جامعة الجزائر

الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة

(... هـ/ ... م - 215 هـ/ 830 م)

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع بن دارم، وهو بطن من تميم. وأصله من خوارزم. وهو من النحويّين البصريّين المشهورين، وتلميذ سيبويه، و«كان أسنّ من لقيه سيبويه من العلماء» [ابن النديم، الفهرست، ص58]. وقال أيضا ابن النديم: «والطريق إلى كتاب سيبويه الأخفش. وذلك أنّ كتاب سيبويه لا يعلم أنّ أحدا قرأه عليه ولا قرأه سيبويه، ولكنّه لمّا مات قرئ الكتاب على الأخفش، وكان ممّن قرأه عليه أبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني وغيرهما» [الفهرست، ص58]. كان العلماء يسمّونه الأخفش الصّغير تمييزا له عن أبي الخطاب شيخ سيبويه حتّى ظهر أبو الحسن علي بن سليمان (ت 315 هـ/ 927 م) فسمّي بعد هذا بالأوسط. ومن شهرته وأهميّة دوره في تاريخ النحو اكتفاء العلماء في القرن الرابع (من مدرسة ابن السّراج خاصة). إذا ذكروه بذكر كنيته فقط، وروى الحديث عن حماد بن الزبرقان، وله مصنّفات كثيرة لم يصل منها إلينا إلاّ القليل.

أجمع المؤرخون على أنّه ثقة فيما يروي، ولم يرو فقط عن العلماء، بل روى أيضا عن فصحاء العرب مثل ما فعل شيخه وكلّ من سبقهما [انظر كتاب القوافي ص41، 47، 51]. وقد كان علماء النحو الذين جاؤوا بعده يعترفون بأمانته، ويشير إليه الجاحظ وإلى زملائه كأبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة عندما قال: «فالعلماء الذين اتّسعوا في علم العرب حتّى صاروا إذا أخبروا عنهم كانوا الثقافة فيما بيننا وبينهم» [الحيوان، ج 4 ص184] ويقول عنه أبو علي: «يكاد يعرف صدق أبي الحسن ضرورة» [الخصائص، ج1، ص311]، وكان ممّن أخذ عنه زيادة عن الحزامي والمازني كلّ النحاة واللغويين الذين ولدوا في نهاية القرن الثاني منهم أبو حاتم السجستاني (ت 255 هـ/ 869 م)، والرياشي (ت 257 هـ/ 871 م)، والتوزي (ت 231 هـ/ 846 م)، والزيادي وغيرهم. وأضف إلى ذلك بعض الكوفيّين، وبذلك كان تأثير الأخفش في كلّ الأجيال الذين أتوا بعده عظيما، وفي ذلك جوانب لا شكّ إيجابية لكنّ بعضها كان سلبيا أيضا.

وعرف الأخفش بكثرة ما انفرد به من الأقوال والمذاهب في النحو، منها ما خالف سيبويه، ولا يمكن أن يعرف ذلك إلاّ بالرجوع إلى أقرب المصادر إلى زمانه من تلك التي تذكر هذه الخلافات، وهو كتاب «الأصول» لابن سراج، وينبغي ألاّ يوثق بما يذكره المتأخرون مثل السيوطي وغيره فأغلبه وهم كما لاحظه بالنسبة إلى المبرّد والأخفش الشيخ عبد الخالق عظيمة وغيره [انظر حواشيه في المقتضب]. وقد تتّفق هذه الأقوال بما يرويه ابن السراج عن الكوفيّين. ولا يمكن أن

نطمئن إلى ما يرويه أصحاب كتب الطبقات (بالتفصيل) عمّا جرى بين الأخفش والكسائي، من جهة أخرى، من المناظرة، ثم ما أظهره له الكسائي من التحبّب والاعتراف له بالغلبة عليه. فإنّ صحّ شيء من ذلك فهو وجود اتّصال بينهما أو بالأحرى وجود تأثير أحدهما في الآخر، وذلك ما يؤكّده كلام ابن السرّاج بما يحكيه من أقوالهما. فمن ذلك قوله: «وحكى الأخفش أنّ الكوفيّين يجيزون» (نحو: كم غلمانا لك؟) [الأصول ج. 1، ص317]. وأجاز الأخفش ما أجازه الكوفيّون من أعمال «إنّ» في اسم الفاعل الذي له فاعل وذلك مثل: «إنّ في الدار جالسا أخواك» [الأصول، ج. 1، ص255، وانظر قول الكوفيين، ج. 1، ص232].

فبذلك كان الأخفش رائدا لما سيحصل في القرن الثالث من «الخلط بين المذهبين»، وسيتم ذلك على الرغم من الامتناع الشديد الذي أبداه أصحاب الأخفش أنفسهم كالجرمي والمازني ثم المبرّد من النظر في «علم الكوفيّين».

كما كان الأخفش رائدا في «فلسفة اللّغة»، والنظر في الظواهر اللّغوية بطريقة التأمل الخاصة بالحكماء. والذي حمله على ذلك هو اشتغاله بعلم الكلام، وكان قد ازدهر في نهاية القرن الثاني، وقال تلميذه المازني: «كان الأخفش أعلم الناس بالكلام، وكان قد ازدهر في نهاية القرن الثاني»، وقال تلميذه المازني: «كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل، وكان غلام أبي شمّر، وكان على مذهبه» [إنباه الرواة للقفطي، ج2، ص157]. وأهمّ ما تركه من الآراء تخصّ اللغة. فلربّما يكون هو أوّل من أثار مسألة «منشأ» اللّغة الإنسانية، فقد ذكر أبو علي الفارسي موقفه من مسألة أصل اللّغة «أإلهام أم مصطلح»، أي هل هي توقيف ووحي، أم هي مجرّد مواضعه بين البشر؟.

وأورد ذلك ابن جني في خصائصه. وقال: قد يجوز أن يكون تأويله في بعض كلامه وهذا أيضا رأي أبي الحسن، على أنّه لم يمنع قول من قال إنّها تواضع منه [1/ 41]. وهو أيضا أوّل من تكلّم في أصول النحو، وإن كان ابن جنّي قد استصغر هذا العمل وذلك لأنه قارنه بما ضمّنه هو في كتابه «الخصائص». وهذا لا ينفي ابتكار الأخفش لهذا الفنّ، وإن كان قد سبقه إلى بعض ما قاله الخليل وسيبويه. ثم إنه كثيرا ما يصدر منه أقوال عميقة جدا في هذه الأصول في كتبه النحويّة، وأكثرها هو توضيح العالم الذي أدرك جيّدا ما كان يريده الخليل وسيبويه، وذلك مثل هذه الملاحظات: «لا يدخل الأفعال الجرّ لأنه لا يضاف إلى الفعل، والمضاف إليه يقوم مقام التنوين، وهو زيادة في المضاف، كما أنّ التنوين زيادة، فلم يجز أن تقيم الفعل مقام التنوين، لأنه لا يكون إلا فعل فاعل، فلم يحتمل الفعل زيادتين، ولم يبلغ من قوّة التنوين، وهو واحد أن يقوم مقامه اثنان، كما لم يحمل الاسم الألف واللام مع التنوين» [كتاب سيبويه، ط، هارون (الهامش)]. فعلى هذا التعليق الشديد الإيجاز ترتكز ضوابط التفريع بالزيادة في الاسم في مقابل الفعل، ويحدّد فيه مفهوم دور استبدال الشيء بالشيء ليظهر تكافؤهما، وهو مهمّ جدا في النحو العربي. وهو أوّل من أدخل مفهومي الصدق

والكذب كمقياس للجملة الخبرية [الكتاب، الهامش 1، ص26]، وأوّل من أدخل في النحو مفهوم الفائدة [القوافي، 66]، فقالوا بعده: «الجملة المفيدة» (أي التي تأتي للمخاطب بعلم لم يكن عنده قبل). فلولا هذه التوضيحات العميقة، وأكثرها لم يصل إلينا مباشرة، لبقي كتاب سيبويه مستغلقا على الناس، وقد استغلق بالفعل على أكثر النحاة المتأخرين. أمّا تصوّراته الكلامية فلم يبد، فيما وصل إلينا من ذلك، أي تأثير للمنطق اليوناني فيها إلاّ ما قال عن مقياس الصدق والكذب.

وقد كان للأخفش مذاهب متناقضة أحيانا، وربما يكون السبب في ذلك، زيادة على شخصيّته القويّة المتحرّرة، ميله إلى الجدل والتأمّل الفلسفي. قال عنه ابن جني: «وكان أبو الحسن ركابا لهذا الثبج (القولين المتناقضين)، آخذا به، غير محتشم منه، وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه. وكنت إذا ألزمت عند أبي علي رحمه الله قولا لأبي الحسن شيئا لا بدّ للنظر من إلزامه إيّاه، يقول لي: مذاهب أبي كثيرة» [الخصائص 1/ 205-206]. وقد يخالف كلّ النحاة كما بيّن ذلك المبرّد [المقتضب، ج 1، ص157]. ويمكن أن تنتمي إلى هذا الجانب بعض الأقوال السلبيّة أخطأ فيها الغرض في فهم المفاهيم العويصة التي جاءت عن الخليل وسيبويه. من ذلك عدم فهمه أنّ لفظة قائم في «أقائم الزيدان» ليست مبتدأ مثل «زيد» في «زيد قائم» بل هي، كما قال سيبويه في موضع الابتداء (وقوله في موضع اسم مبتدأ هو في هذا المعنى. فإذن هي في موضع الفعل وإنّ وأخواتها لا تحتاج إلى الخبر). وأجاز على هذا: «إنّ قائما الزيدان»، وقد تفطّن إلى ذلك الرضي [الكافية، ج. 1، ص86-87]. ويتفّق الأخفش في ذلك مع الكوفيّين وتابعه كلّ النحاة الذين جاؤوا بعده [الأصول، ج1، ص232 و 255].

وإذن فإن لهذه الشخصية المعقدة جوانب إيجابية جدّا، وتكمن فضائل هذا العالم الفذّ فيما أبداه من فهم عميق لأكثر ما جاء في كتاب سيبويه، وكذلك مهارته في توضيح الغامض منه. ويتراءى ذلك فيما أخذه منه أصحابه ومن جاء بعده، فلولاه ولولا ابن السرّاج لما كانت تكوّنت تلك المدرسة النحوية العجيبة التي أكبّت على شرح الكتاب (أبو علي الفارسي والسيرافي والرماني والزجاجي، وبعدهم ابن جني وعبد القاهر الجرجاني). وقد مهّد الطريق لازدهار النحو الخليلي إلى غاية القرنين الرابع والخامس، وفي الوقت نفسه مهّد الطريق لتأثّر النحو بعلم الكلام أولاً وبمنطق أرسطو بعد ذلك.

■ آثاره

له مصنّفات كثيرة لم يصل إلينا منها إلا القليل، وممّا وصلنا:

1 - كتاب القوافي، تح. أحمد راتب النفاخ، بيروت 1974 م 2 - كتاب معاني القرآن، تح. فائز فارس، الكويت 3- كتاب النحو الأوسط (ذكر ابن السرّاج كلاما منه في أصوله) 4 - كتاب المسائل الكبير (ذكر ابن السرّاج كلاما منه في أصوله) 5 - كتاب المسائل الصغير 6 - كتاب المعاياة 7 ـ كتاب المقاييس (ذكره ابن جني في مقدمة خصائصه

على أنّه صغير الحجم) 8 ـ كتاب الاشتقاق.

■ المصادر والمراجع

● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، القاهرة 1960، ص271 ● اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1955، ص68-69 ● السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريّين، تح. فريتز كرنكو، بيروت، باريس 1936 ص50-51 ● الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويّين واللغويّين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1954، ص74-76 ● ابن النديم الفهرست، تح رضا تجدّد، طهران 1971، ص58 ● الأنباري، أبو البركات، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السامرّائي، بغداد 1959، ص91-93 ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1950-1973 (4 أجزاء) 20/ 36-43 ● اليغموري، أبو المحاسن، نور القبس المختصر من المقتبس، تح. رودولف زلهايم، فيسبادن 1964، ص97-99 ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج. 2، تر. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة 1977، ص151-152 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، 3/ 101-102.

• Pellat (Ch): E12, p. 321;

• Sezgin: GAS, IX, pp. 68-96.

د. عبد الرحمن الحاج صالح
جامعة الجزائر

■ الأخفش الأكبر، أبو الخطاب عبد الحميد

(... هـ/... م ـ 177 هـ / 793 م) ■ ■ ■

أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر من أكابر علماء العربيّة المتقدّمين، وضعه الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة البصرة [طبقات النحويين واللّغويين، 35] وهو مولى بني قيس بن ثعلبة والأخفش لغة هو الصغير العين السيّئ البصر [وفيات الأعيان، 3/ 302]، وقد أطلقت هذه الصفة لقبا على أحد عشر علما من اللغويين والنحويين، أشهرهم بالإضافة إلى هذا أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأصغر (ت315/ 927)... لا نعرف تاريخ ولادته ومكانها، كما لا نجد معلومات حول مراحل حياته وسيرته سوى أنّه كان من أصحاب جماعة من أعلام النحو واللغة في القرن الثاني، ومنهم خاصّة أبو عمرو بن العلاء (ت154/ 770)، وعبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي (ت127/ 744)، ويونس بن حبيب (ت182/ 798)، وعيسى بن عمر الثقفي

(ت149/ 766)، وخلف الأحمر (115/ 733-180/ 796) وإذا كان لا شكّ في علاقته مع أبي عمرو الثقفي فإن علاقته مع خلف الأحمر ويونس بن حبيب أكثر إشكالا، فالأرجح أن الثلاثة من نفس الجيل، على أن يونس يعتبر فوق الأخفش وقيل - وإن ذكر أنّه أخذ عنه [الزبيدي، طبقات، 35] - إن خلف الأحمر أخذ عن هذا وإن كان أسنّ منه [مراتب النحويين، 23؛ المختار من المقتبس، 73].

وقد لقي الأخفش الأكبر البدو والفصحاء، فأخذ عنهم اللغة والنحو ونقل ألفاظا انفرد بها، وجمع كثيرا من الغريب ومن لغات القبائل، واكتسب قدرة كبيرة على اكتساب اللغة من مصادرها والتمييز بين مفرداتها ومعانيها والتنبيه على الكلمات التي لا يعرفها كلّ العرب وعلى ما تختصّ به قبيلة دون غيرها [الكتاب، 3/ 410، 4/ 440]

وقد عرف الأخفش أيضا بولعه بالإعراب وانزعاجه من اللحن لا يتوانى في إصلاح من يلحن من العامّة والخاصّة مما قد يسبّب له أحيانا بعض الأذى.

وقد تتلمذ عليه أهمّ أعلام النحو واللغة في القرن الثاني وأوّلهم سيبويه، وقد روى عنه في كتابه، ونقل أقواله في أكثر من أربعين موطنًا إحالة الواثق بآرائه ونقوله، كما تتلمذ عليه أعلام اللّغة الثلاثة أبو عبيدة (110هـ/ 728م - 209هـ/ 824م)، والأصمعي (ت213هـ/ 828م) وأبو زيد الأنصاري (123هـ/ 741م - 213هـ/ 828م)، وثلاثتهم أخذوا عن أستاذه أبو عمرو بن العلاء وعن الأخفش أيضا، وهم - كما هو معلوم - وفروا النصيب الأكبر من المادة المعجمية التي سيستفيد منها خلفهم من اللغويين.

■ آثاره

لم تأت كتب التراجم والتاريخ على ذكر ما صنّفه الأخفش من كتب، ولكنها تذكر أنه أول من أثبت تفسير الشعر تحت كلّ بيت، بعد أن كان ذلك يتمّ بتفسير القصيدة كلّها بعد الفراغ منها [السيوطي، بغية الوعاة، 2/ 47]. وهذا ممّا يرجّح أنّه كان للأخفش نشاط في التأليف، ولا يبعد أن تكون له مصنّفات في أوجه الثقافة العربية في عصره، ولكنها ضاعت فيما ضاع من تراث الأمة. كما لا يبعد أن تكون له مؤلفات في النحو خاصة، وهو العلم الذي انصرف إليه واشتهر به، وتتلمذ عليه أعلامه النابهون.

وقد حفظت كتب التراث بعض آرائه اللغويّة، وأكثر سيبويه ذكره، وكان يورد ما يرويه أبو الخطّاب الأخفش إيراد الواثق بالراوي لا يكاد يردّ له قولا، ولم ينقل سيبويه عن شيخ من شيوخه أكثر ممّا نقل إلا يونس بن حبيب (ت 182 هـ/ 798 م) والخليل بن أحمد (ت170هـ/ 786م)، وقريب منه ما جاء عن أبي عمرو بن العلاء، ومن ذلك يتّضح قول من قال: «لولا سيبويه لَمَا ذُكر أبو الخطاب لأنّه حفظ أقواله وآراءه النحويّة في الكتاب» [الذهبي، سير أعلام النبلاء، 7/ 323].

■ المصادر والمراجع

● أبو بشر، سيبويه، الكتاب، 5 أجزاء، عالم الكتب بيروت ● اللّغوي، أبو الطّيب، مراتب النحويين، مطبعة نهضة

مصر ● السّيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريّين، مصطفى البابلي الحلبي، ط 1، 1955 ● الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين، دار المعارف، ط2، 1984 ● الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء ● القفطي، جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة ● ابن خلّكان، أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة بيروت ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ط 2، 1982، مؤسّسة الرسالة ● اليافعي، أبو محمّد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1970 ● الفيروز أبادي، مجد الدين، البلغة في تاريخ أئمة اللّغة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1972، تح. محمد المصري ● اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، إشارة التعيين وتراجم النحاة واللّغويين، شركة الطباعة العربية السعودية ط.، 1986 ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، دار الفكر، ط2، 1979 ● م. ن، المزهر في علوم اللغة وآدابها، دار الفكر (د. ت) ● البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، مكتبة الخانجي، 13 جزءا، ط1، 1986 ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، (ج 2)، دار المعارف مصر، ط5، 1983 ● دائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية، الطبعة الجديدة، ج. 1، (أ - ب)، ط.، ميزون نوف 1991.

د. زكية السائح دحماني
الجامعة التونسية
د. نايف شقير
جامعة دمشق

■ الأخفش الأصغر، أبو الحسن علي بن سليمان

(235 هـ / 849 م - 315 هـ / 927 م) ■ ■ ■

علي بن سليمان بن الفضل البغدادي، أبو الحسن الأخفش، يلقب بالأخفش الصغير، أو الأصغر، تمييزا له عن نظيريه: أبي الخطاب، عبد الحميد بن عبد المجيد، الأخفش الكبير (ت 157 هـ) وأبي الحسن سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط (ت 215 هـ)، وكان هذا الأخير يعرف بالصغير قبل ظهور علي بن سليمان [طبقات الزبيدي، 172]، وفي كتب النحو حين يطلق لفظ «الأخفش» فهو سعيد بن مسعدة وإذا أرادوا الكبير قالوا: «أبو الخطاب الأخفش»، وإذا أرادوا الصغير قالوا: «علي بن سليمان».

ويصفه السيوطي بأنه أحد الثلاثة

المشهورين، وتاسع الأخفشيّين الذين ترجمهم [البغية 1/ 590، 2/ 176] والخفش صغر في العينين مع ضعف في الإبصار.

ويفهم من لفظ (البغدادي) أنّه من أهل بغداد، وأنّه ولد فيها ونشأ بها. ولم يذكر أحد تاريخ مولده، لكنّ الزبيدي (ت 379 هـ)، وابن قاضي شهبة (ت 581 هـ)، والقفطي (ت646 هـ) يروون أنّه توفّي وهو ابن ثمانين سنة أو نحوها، فيكون مولده، على هذا، في نحو عام 235 هـ، إذ كانت وفاته عام 315هـ باتفاق شبه تام عند مترجميه.

لم يذكر المترجمون أحدا من شيوخه غير محمد بن يزيد المبرّد (ت 285 هـ)، وأحمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ)، وأبي العيناء محمد بن القاسم، الإخباري الراوية (ت 283 هـ)، والفضل بن محمد بن يحيى اليزيدي، الراوية الأديب (ت 278 هـ) [تاريخ بغداد 11/ 433؛ نزهة الألباء 185؛ المنتظم 13/ 271؛ إنباه الرواة 2/ 276]. وفيما نقله أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) عن الأخفش من نقول نجد الأخفش يحكي عن أبي سعيد السكّري، الحسن بن الحسين (ت 290 هـ)، الراوية اللغوي، الأديب المعروف، في غير موضع، مما يعني أنّه كان واحدا من شيوخه الذين تلقّى عنهم مروياته في اللّغة والإعراب والمعاني [إعراب القرآن 1/ 394، 4/ 182]. وهو ما لم يشر إليه مترجموه.

ويستفاد من كثرة ما روى الأخفش عن المبرد ونقل عنه - على نحو ما نجد من النقول الغزيرة التي حكاها عنه أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» - أنّه كان أكثر شيوخه أثرا فيه، وأنّه لزمه في سنّ مبكّرة، فقد دخل المبرّد بغداد عام 247 هـ، والأخفش في عقده الثاني، فأكثر من الأخذ عنه، وتبنّى مذاهبه، والقول بآرائه، حتى بدا واحدا من النحاة البصريّين، مع أنّه جمع بين علم الكوفيّين وعلم البصريّين كما يقول القدماء.

ونقلت معظم المصادر عن المرزباني تلميذه أنّ الأخفش لم يكن بالمتّسع في الرواية والأخبار، ولم يكن من النحويّين المتقدّمين، فلم يصل إلينا عنه كتب نحوية ذات مكانة، وأنه كان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وانتهر كثيرا من يواصل مساءلته ومتابعته [الصفدي، الوافي بالوفيات 21/ 141-142؛ ياقوت، معجم الأدباء، 13/ 246-247؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 140/ 481]، لكنّ تلك المصادر والروايات لا تختلف في أنّه كان ثقة، رغم اتّفاقها على عدم شهرته وتقدّمه أو تميّزه.

وقد شرح الأخفش «كتاب سيبويه» في خمسة مجلّدات، وشرح «مقدّمته» في خمس كراسات، وهو أمر لا يتصدّى له غير الحُذّاق المهرة من النحويين. وهو بهذا يحدّد مذهبه بصفته نحويّا بصريّا، مع جمعه علم الكوفيّين إلى علم البصريّين ولا عبرة بما تحامل به المرزباني (ت 384 هـ) عليه في قوله.

ولم يذكر أهل التراجم من تلاميذ الأخفش في بغداد ومصر وحلب غير علي بن هارون القرميسيني (ت ؟ هـ)، ومحمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ)، والمعافي بن زكريا الجريري (ت 390 هـ)، وأغفلوا أبا علي القالي (ت 356 هـ) الذي صرّح بأخذه اللّغة والأخبار عنه [طبقات الزبيدي، 187]، وأبا

جعفر النحّاس (ت 338 هـ) الذي أكثر من النقل والرواية عنه في مصنّفاته، وأبا القاسم الزّجّاجي، (ت 337 هـ) الذي أخذ عن تلاميذ ثعلب والمبرّد.

آثاره

1 - كتاب القوافي، تح. عزّة حسن، دمشق، 1390 هـ/ 1970م 2 - كتاب الاختيارين، تح. فخر الدين قباوة، بيروت، 1394 هـ/ 1974 م على أنّه نسب أيضا إلى ابن السكّيت، وقد جمع بين المفضّليات والأصمعيّات وفي هذا الكتاب يظهر مذهب الانتقاء والاختيار والجمع بين المذهبين 3 - كتاب الأنواء 4 - كتاب التثنية والجمع 5 - كتاب الحداء 6 - كتاب تفسير رسالة سيبويه 7 - كتاب شرح سيبويه (ذكره ياقوت).

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، بعناية الشيخ إبراهيم رمضان، ط 2، دار الفتوى، بيروت ● الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1984 م ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، مصورة بالأوفست ● اليغموري، يوسف، نور القبس (مختصر المقتبس للمرزباني)، تح. زلهيم، جمعية المستشرقين الألمانية، 1963 م ● الأنباري، نزهة الألباء، تح. إبراهيم السامرّائي، دار المنار، الأردن، 1985 م ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح. إحسان عبّاس، ط دار صادر، بيروت، د. ت ● اليافعي، مرآة الجنان، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992 م، د. ت ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة دار الفكر العربي، القاهرة - بيروت 1986 م ● ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970 م ● ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ط 2، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م ● ابن قاضي شبهة، طبقات النحاة واللغويين، (خ) دار الكتب الظاهريّة ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1997م ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (مصورة) ● حاجي خليفة، كشف الظنون، ط. إسطنبول ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ج2، الدائرة الثقافيّة بجامعة الدول العربية، القاهرة ● دائرة المعارف الإسلاميّة، ط. ج، المجلّد 1.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء
د. عبد الإله نبهان
جامعة اليرموك

الأخوان بن سعيد، إدريس والمعتصم

(القرن 4 هـ / 10 م)

هما إدريس والمعتصم بن سعيد بن إدريس الحميري. بحّاران عربيّان، ينتميان إلى عائلة عريقة في الجهاد برا وبحرا، فجدّهما زمن الفتوحات الإسلامية هو صالح بن منصور الحميري المعروف بالعبد الصالح وهو الذي فتح مدينة نكور الجزائرية أيام الوليد بن عبد الملك، وعلى يده أسلم بربرها صنهاجة وغمارة.

كانت أسرة إدريس بن سعيد تتولّى بالوراثة شؤون ولاية نكور من المغرب الأوسط، وكانت على مذهب مالك، وفي عصر أبيه سعيد بن صالح احتدم الصراع بين الشيعة والسنّة بنكور. وتزامن هذا الصراع مع قيام ثورات داخليّة في صلب إمارة بني صالح بن منصور، فاستغلّ الشيعة هذه الفوضى وهاجم مصالة القيرواني المدينة وقتل الأمير سعيد بن صالح وبعض أفراد أسرته. وعلى إثر هذه الحادثة الأليمة ركب إدريس البحر مصحوبا بمن تبقى من أسرته وقصدوا بلاد الأندلس مستجيرين بالخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (ت 350 هـ / 961 م) الذي رحّب بهم [أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص765-771، ط 1992]. واختار أبناء سعيد بن صالح وهم إدريس والمعتصم وصالح وهو أصغرهم سنّا الإقامة بمالقة الأندلسية لقربها من بلدهم على أمل العودة إليه. وعندما قرّروا العودة إلى نكور اتّفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة، فمن وصل منهم قبل صاحبيه فالولاية له. فركبوا البحر من مالقة في ليلة واحدة، ووقت واحد وريح واحدة، فوصل أصغرهم سنّا صالح بن سعيد إلى مرسى نكور من ليلته واعتاق البحر أخويه شهرين ثم وصلا بعده سالمين فسلما له الأمر [البكري، مصدر سابق، ص772].

ورغم أنّ هذه الرحلة كانت عرضيّة إلاّ أنّها، تاريخيّا، تكتسي أهمّية كبرى لأنّها مهّدت للقيام بالرحلات المنظّمة. وهي لا تقلّ قيمة، في نظر البكري، عن رحلة الخشخاش، وإلاّ لما أوردها بتلك التفاصيل. كما أشار إليها العذري أيضًا ضمن أخبار الأندلس والمغرب. وقد ذهب إلى الظن في البداية، أنّ النصّ الذي أورده البكري، نقله عنه العذري: «.. فاتّفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة، فمن وصل منهم قبل صاحبيه فالولاية له، وهم إدريس والمعتصم وصالح. فركبوا البحر من مالقة في ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحدة، فوصل أصغرهم سنّا صالح بن سعيد إلى مرسى نكور من ليلته.. واعتاق البحر أخويه شهرين يتردّدان فيه، ثم وصلا بعده إلى نكور سالمين..» [البكري، المسالك والممالك، ص772، ط1992]. هو الإشارة الوحيدة، إلى مغامرة الأخوين: ادريس والمعتصم بن سعيد، ولكن

بمجرد الإنتباه إلى عنوان الرحلة «رحلة الأخوين»، تبيّن لي أنّها لم تكن مجهولة لدى الجغرافيين المغاربة، فجملة المعلومات الاستكشافية التي استقيناها من مؤلّفات ثلاثة، تدلّ على أنّ مغامرة الأخوين أخذت طابعا أسطوريا عجائبيّا، وتشبه رحلة المغرورين الثمانية في أكثر من ناحية: أبو عبيد الله البكري، يطلق اسم «جزائر الأخوين» على مجموعة جزائر تقابل مرسى يقع في الشمال التونسي [البكري، المرجع السابق، ص758]. وتسمية هذه الجزائر بالأخوين، يمكن أن يكون لها نفس السبب الذي أخذ به اسم درب المغرورين بالأندلس وهذا جار على عادات المغاربة والأندلسيين [الإدريسي، نزهة المشتاق، ص548، طبعة بالارمو، م-و-ت].

أبو عبد الله الإدريسي، احتار في تحديد جزيرة تقع بموضع ما في عرض المحيط الأطلسي، أطلق عليها أيضًا، جزيرة الأخوين [الإدريسي، الأندلس، والمغرب وإفريقية، ص70، م-و-ت] هذه الجزيرة التي هي في الواقع إحدى جزر الكناري ظنّها الإدريسي مكان وصول الأخوين بن سعيد، ثمّ المغرورين الثمانية وحسب الأسطورة التي ذكرها الإدريسي يبدو أنّ وجود صخرة الرخ الشرقي وصخرة الرخ الغربي، من جهة وقرب الكناري إلى السواحل المغربية من جهة أخرى، هو الذين أدّى بالإدريسي إلى الحدس الخاطىء. حجة ثالثة، يمكن أن تكون لها صلة وثيقة بنتائج مغامرة الأخوين، تأتي عن طريق المؤرّخ الجغرافي أبي نصر إسماعيل الجوهري، من مشاهير أصحاب المعاجم في القرن الهجري الرابع عشر الميلادي، فقد ذكر أنّ العندم: «نبات يصبغ به ويقال له دم الأخوين أو البقّم» بينما نعرف من المعلومات المتداولة أنّ هذه الصبغة الحمراء تفرزها شجرة برازيلية حاول الأوروبيون التعرّف عليها بداية من القرن الرابع عشر الميلادي. واكتشفها البرتغاليون عند نهاية القرن الخامس عشر. لهذا لا يستبعد أنّ الاسم العربي: «دم الأخوين» يدخل في إطار أسرار الملاحة المغاربية وقتئذ. وبالتالي تكون الشواطىء البرازيلية هي مكان وصول الأخوين إدريس والمعتصم.

ويمكن الإشارة إلى فائدتين حصلتا بصفة عرضية بفضل هذه الرحلة: الأولى جغرافية، تضبط زمن الوصول إلى الضفة الغربية للمحيط الأطلسي، والثانية مناخية، تؤكّد وجود رياح تقود إلى هذه الضفة وأخرى معاكسة لها تساعد على العودة إلى السواحل المغربية والأندلسية.

ومع أنّ رحلة الأخوين كانت دامت شهرين كاملين، فإنّ الجانب السياسي هو الذي غلب عليها فأهملت بذلك النواحي الاستكشافيّة التي كانت ستؤكّد لنا وصولهما إلى بعض جزر العالم الجديد. من ذلك أسماء بعض المزروعات والنباتات الغريبة التي دخلت بلاد المغرب والأندلس عن طريق هذه الرحلات. ولعلّ الأخوين إدريس والمعتصم قد جلبا معهما بعض مزروعات العالم الجديد قبل أن يعرفها الرحّالة الأوروبيون في العصور اللاّحقة.

ويمكن إرجاع رحلة الأخوين بن سعيد إلى

الربع الأوّل من القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد. وهي ليست الرحلة العرضيّة الوحيدة. فابن سعيد المغربي [مجلّة دراسات أندلسية، عدد 10 جوان 1993، ص38، تونس] حفظ لنا قصّة البحار ابن فاطمة المرابطي الذي تلاعبت الرياح بمراكبه وكاد يهلك، لكنّه استعان بالريح ليصل إلى الشواطىء الغربية للقارة الإفريقية. كما أورد لنا العمري [المرجع السابق، ص37] مغامرة عبد الله بن وزير الأندلسي الذي حملت مركبه التجاري، هو الآخر، العواصف فأبعدته عن الشواطىء المغربية لتلقي به بعيدا إلى الشواطىء الإفريقية الواقعة تحت خطّ الإستواء. وقبل العمري ذكر لنا أبو عبيد الله البكري إسم رحالة مغربي، يدعى مؤمن بن يومر الهوّراي، زار مناطق تحت خطّ الاستواء، بسبب النزهة والإسكشاف.

لقد ساهمت هذه الرحلات العرضية، المعروفة وغير المعروفة في كسر «الحاجز النظري الوهمي» حول صعوبة ركوب المحيط الأطلسي، ممّا فتح الباب على مصراعيه أمام الرحلات المنتظمة قبل قرون من ظهور الرحلات الأوروبية وفي المقابل، فإنّ أوّل رحلة أوروبية عرضيّة، بالمحيط الأطلسي تعود إلى عام 1500 ميلاديّة عندما خرج البحّار البرتغالي كابرال من لشبونة قاصدًا بلاد الهند، لكنّ الريح ألقت به على السواحل البرازيلية فسار بمحاذاتها إلى أن وصل إلى خط عرض 17 درجة جنوبا [Encyclopédie Universalis, (D. Amérique) Vol. I. p. 856].

وأوّل نتيجة عملية يمكن استخلاصها من مغامرة الأخوين بن سعيد هي ضبط المسافة البحريّة الفاصلة بين سواحل المغرب وأقرب جزر أميركا وهي مسيرة شهرين ذهابا وإيابا. هذا التقدير الصحيح، الذي حدّده أبو عبيد الله البكري [البكري، مصدر سابق، ص772]، لم يبتعد عنه فيما بعد الإدريسي [الإدريسي، مصدر سابق، ص548]، عند وصفه لرحلة الثمانية المغرورين. ولم يبتعد عنه أيضًا ابن ماجد، لما أشار إلى جزر الغرب، ضمن أرجوزته «حاوية الاختصار» [حسن صالح شهاب، النونية الكبرى، ص138، طبعة عمان 1993]. لقد اتّفق ثلاثتهم على وجود يابسته.

إنّ الدلائل على وصول البحارة المغاربة والأندلسيين إلى بعض النواحي من أميركا الوسطى والجنوبية كثيرة. لكن لسائل أن يتساءل لِمَ لَمْ يبق، على ما يبدو أي أثر لهذه الاكتشافات؟ الجواب على ذلك بسيط. وهو أنّ الاسبان الذين أزالوا كل أثر للعرب المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيريّة، ما كان لهم أن يسمحوا بوجود آثارهم في مستعمراتهم خاصّة بعد انتشار محاكم التفتيش. لكن رغم هذا الحرص الشديد، فإننا نلاحظ أنّ مطامع هذا المستعمر حالت دون الإتلاف التامّ لآثار العرب بهذا العالم الجديد. وهو ما جرى بالفعل في خصوص أهمّ آثار العرب في شبه الجزيرة الإيبيريه. وفي مقدّمتها المساجد الأندلسيّة، ولا يخفى على المطّلعين أنّها تركت على هيئتها، بينما حوّل أغلبها إلى كنائس مسيحيّة وهي الآن تمثّل أهمّ الموارد السياحيّة للبلاد، أمّا المساجد العربية التي شيّدها البحارة والمهاجرون العرب، في عدّة

مناطق من العالم الجديد فلقد كتب لها العيش إلى هذه الأيّام، للعلّة التي بيّناها.

وتفيد دراسة حديثة للأستاذ يوسف مروة [مجلّة العربي، عدد 519 فيفري 2002، ص68] وجود مسجد قديم بمدينة «لاريد» المكسيكيّة، مكتوب على جوانب مئذنته «لاغالب إلاّ الله»، هذه العبارة، انتشرت على إثر سقوط ملوك الطوائف، وظهور المدجنين. كما يوجد في مدينة آزوا في الدومينيكان آثار مسجد تحوّل إلى كنيسة بعد وصول كولمبس والإسبان، ومازالت الكتابة العربية على الجدران مقروءة حتّى اليوم منها عبارة «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله». وفي الواقع فإنّ الأستاذ صاحب هذه المعلومات، لم يكن هوالسابق إلى البرهنة على وصول العرب إلى أميركا بحجّة قدم تواجد المساجد، بل سبقه إلى ذلك المستشرق فانديك، عند تمكّنه من أخذ صورة فوتوغرافية لمحراب جامع أمريكي عربي مكتوب عليه بالخطّ الكوفي القديم.

المصادر والمراجع

● البكري، المسالك والممالك، ج 1، ج 2 ● الإدريسي، نزهة المشتاق ● الإدريسي، بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية ● مجلّة دراسات أندلسية عدد 10، تونس ● Encyclopédie Universalis, Vol. I. ● حسن صالح شهاب، النونية الكبرى ● مجلّة العربي، عدد 519 ● القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد.

المهندس حسين عبد العزيز

مهندس - تونس

إخـوان الصفاء

(القرن 4 هـ / 10 م)

هي جمعية سرّية تمثّل حركة إيديولوجية عربية إسلاميّة لها علاقة بالمذهب الإسماعيلي أعضاؤها مجموعة من العلماء والفلاسفة، واسمها الكامل هو إخوان الصفاء وأهل العدل وأبناء الحمد.

والأغلب في الترجيح أن تنظيم إخوان الصفا قد ازدهر في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد، وأنّه انطلق من البصرة بحسب تقليد قديم يرجع عهده إلى وثيقة تاريخية أوردها القفطي في «أخبار الحكماء»، وتبعته في المشرق فروع (فرع بغداد مثلا)، وفي المغرب الأندلسي حيث وصلت «الرسائل»، بعناية المجريطي، وانتشرت بجهد الكرماني. وقد كان لتنظيم إخوان الصفا، حيث وُجد، ندوات تدور فيها مناقشات حرّة بين المسلمين من جميع الفرق، وبين غير المسلمين، ممّا

يصحّ أن نطلق عليه «برلمانات الأديان»، [مكدونالد. الله، الموسوعة الإسلاميّة، ط1، ص1944].

وقد نجم عن سرّية حركتهم جوّ كثيف من الغموض جعل المؤلّفين يختلفون في هويّتهم وأماكن نشاطهم وزمانه ولا سيّما أهدافهم الحقيقيّة النظريّة والعلميّة أي السياسية بوجه خاص، وأهمّ الرسائل تنسب إلى: 1) زيد ابن رفاعة، وصحبه، أبي سليمان محمّد بن معشر البستي المقدسي، والقاضي أبي الحسن علي بن هارون الزّنجاني، وأبي أحمد النّهرجوري، والعوْفي [الإمتاع والمؤانسة، 1/ 4-5]. 2) مسلمة المجريطي (ت 395 هـ/ 1004 م) أو تلميذه أبو الحكم الكرماني القرطبي. 3) بعض الأئمّة الإسماعيليّة، ولا سيّما الإمام جعفر الصادق أحمد بن عبد الله. 4) القرامطة. 5) الإسماعيليّة. 6) المعتزلة...

ويذكر أبو حيّان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة في أمر هذه الجماعة قوله: «وكانت هذه العصابة قد تألّفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة واجتمعت، على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنّهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله، وذلك أنّهم قالوا إنّ الشريعة قد دنّست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة، لأنّها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهاديّة، وزعموا أنّه متى انتظمت الفلسفة الاجتهاديّة اليونانيّة والشريعة العربيّة فقد حصل الكمال».

وكان الدافع إلى تأسيس إخوان الصفاء لجمعيّتهم أنّهم نظروا إلى اختلاف الناس حولهم بالعقيدة والعمل. وعابوا على كلّ ذي رأي انحيازه لرأيه على أنّه وحده حقّ وصواب، وتصرّفه من ثمّ بحسب ما يراه حقّا وعدلاً. وهذا التعصّب والانحياز مصدر الفساد الشامل الذي لا يصلحه - في رأيهم - سوى الأخذ بمذهبهم والانضمام إلى جماعتهم. فالحقيقة عندهم نتاج العقل والنقل. وثمرة التطوّر في الطّبيعة والتاريخ. وإنّما الأديان كلّها، والمذاهب كافّة واللّغات، والأجناس، والأقوام والأزمنة والبلدان، كلّ ذلك ينتهي إلى أنّ الحقّ ما رأوا. وبذا يمتنع اكتفاؤهم بما وجدوه من حولهم من أصحاب الفرق والنظريّات، وينفسح المجال أمام إبداع أصيل رأوا أنّه ماثل في اتّحاد كلمة البشر - من حيث وحدة صورتهم الإنسانيّة - وهي تتجلّى على نحو مشخّص في حصيلة تفاعل العالم الخبير، الفاضل الذكي المستبصر، الفارسي النسبة، العربي الدّين، الحنفي المذهب، العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي النهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة، الملكي الأخلاق، الرباني الرأي، الإلهي المعارف، الصمداني [الرسائل، ط. الزركلي، ج 2، ص316].

تطلّع إخوان الصفا إلى إصلاح المجتمع بأسره، وحرصوا على البدء بتخيّر الأتباع من «الشباب السالمي الصدور، والراغبين في الآداب، المبتدئين بالنظر في العلوم، المريدين طريق الحق والدار الآخرة، والمؤمنين بيوم الحساب، المستعملين شرائع الأنبياء عليهم السلام، الباحثين عن أسرار

كتبهم، التاركين الهوى والجدل، غير متعصّبين على المذاهب». وأفراد الجماعة يتعاونون متآخين بالعلم والمال. فمن رُزق المال والعلم جميعا وجب أن يؤدّي شكر ما أنعم الله جلّ وعزّ به عليه، بأن يضمّ إليه أخًا ممّن قد حُرمهما جميعًا، ويواسيه من فضل ما أتاه الله تعالى من مال ليقيم به حياة جسده في دار الدنيا، ويرفده ويعلّمه من علمه لتحيا به نفسه للبقاء في دار الآخرة... ولا يمنّ عليه بما ينفق عليه من المال، ولا يستحقره، ويعلم أنّ الذي حرم أخاه هو الذي أعطاه [الرسائل، ج 4، ص115]. ويتّضح من ذلك أن مقصد إخوان الصفاء هو سعادة الإنسان دنيا وآخرة.

وقد وضعوا أفكارهم كلّها في مجموعة من الرسائل وصل مجموعها إلى اثنتين وخمسين رسالة، آخرها الرسالة الجامعة. وهذه الرسائل هي مجموعة من الكتابات الفرديّة للجماعة، كتبت متفرّقة ثمّ جمعت وصيغت في عبارات سهلة وسلسة ليسهل استيعابها، بما يتسق والهدف التعليمي الذي توخّته الجماعة.

وقد قسم المؤلّفون رسائلهم المبثوثة - تبع شروط - في الناس أربعة أقسام: أوّلها الرسائل الرياضيّة الطبيعيّة، وعددها ثلاث عشرة، والثاني الرسائل الجسمانية الطبيعيّة، وعددها سبع عشرة، والثامنة منها تتضمّن المنازعة الشهيرة بين الإنسان والحيوانات، والقسم الثالث الرسائل... العقلانية وعددها عشر، والرابع الرسائل الناموسيّة الإلهية والشرعيّة الدينية وعددها إحدى عشرة، وإلى جانبها وعلى نحو أكثرها سرّية وكتمانا، الرسالة الجامعة، وأحيانا ما يسمّى جامعة الجامعة.

جعل إخوان الصفاء القسم الرياضي أوّل أقسام رسائلهم لما للعدد من مقام كبير في فلسفتهم وهو منهج الفيثاغوريين منهم، فاعتبروا أنّ العدد أصل الموجودات، ورتّبوه على الأمور الطبيعيّة والروحانيّة، واعتمدوا فيها المربّعات لأنّهم وجدوا عدد الأربعة في أكثرها، مثل الطباع، والأركان، والأخلاط، والأزمان، والجهات، والرياح، والأوتاد، والمكوّنات. فصار العدد أربعة له شرف الصدارة عندهم، مع ما لسائر الأعداد من الفضل في نسبة بعضها كما توجد النسبة في الأمور الطبيعيّة والأمور الروحانيّة.

أمّا القسم الطبيعي فقد سلك فيه الإخوان مسلك الأرسطيين فتكلّموا عن الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة والآثار العلويّة، وعلى المعادن والحيوان والنفس واللذّة والألم، وعلى الأصوات وإدراك القوّة السامعة لها. وقالوا بمبدأ تماسك المخلوقات وهو مذهب النشوء والارتقاء، فالمعدن أوّله متّصل بالتراب والماء وآخره متّصل بمرتبة النبات، وخضراء الدمن هي أدناها فما هي إلاّ غبار يتلبّد على الأرض والصخور، ثمّ تصيبه الأمطار وندى الليل فيصبح نبتا وزرعا وحشائش، فإذا أصابه حرّ شمس جفّ، وآخر المرتبة النباتية متّصل بمرتبة الحيوان، والنخل هو آخر مرتبة النبات لأنّه نبات حيواني مباين في أحواله أحوال النبات، وفي لقاحه ونموّه أحوال الحيوان، فلقاحه من الفحولة كلقاح إناث الحيوان، وإذا قطعت رؤوس النخل جفّ وبطل نموّه ومات

كالروح الحيوانيّة، وآخر مرتبة الحيوان بأوّل مرتبة ما يقارب الإنسان، وأدناه مرتبة هو الذي له حاسة واحدة فقط وهو الحلزون، وآخرها مرتبة ما يقارب الإنسان في الهيئة كالقرد، أو الأخلاق كالفرس، أو الذكاء كالفيل والنحل في التدبير. وأوّل مرتبة الإنسان هي التي تلي مرتبة الحيوانيّة، وهم أولائك الذين لا تطلب نفوسهم إلاّ الخلود في الدنيا، ولا تشتهي إلاّ اللذات كالحيوان، وأعلاها مرتبة هي تلك التي تلي مرتبة الملائكة، وهم الفضلاء الأطهار الحكماء.

وتتناول رسائل القسم النفساني العقلاني فيما بعد الطبيعة على مذهب أرسطو وأفلاطون. وهي تتحدّث عن العقل الفعّال، والنفس الكلّية، والهيولى الأولى. فالعقل الفعّال أوّل موجودات الخالق، وفاض عن الباري، ثمّ فاضت النفس الكلّيّة من العقل، ثمّ فاضت الهيولى الأولى من النفس. وهذه الموجودات الثلاثة جواهر روحانيّة بسيطة. ثمّ أخذت الهيولى الأولى من النفس الصورة الأولى وهي الطول والعرض والعمق، وأصبحت جسما مطلقا وهي الهيولى الثانية، وانتهى الفيض عند وجود الجسم لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانيّة وبدوام الفيض على العقل الفعّال، ومن ثمّ على النفس الكلّيّة تصوّرت الصور والأشكال والأصباغ، فكان الشكل الكروي هو أتقنها، والحركة الدائريّة هي أفضلها، وكان من ذلك الأفلاك التي تنتهي إلى مركز الأرض، وتوالى تكوّن الأفلاك السماويّة حتّى اكتملت، فصار الكلّ عالما واحدا. وبتوالي الفيض تولّدت الأركان الأربعة تحت فلك القمر، وهي النار والهواء والماء والأرض، وبدوران الأفلاك على الأركان، وتعاقب الليل والنهار، والشتاء والصيف، امتزج اللطيف بالكثيف، والثقيل بالخفيف، والحار بالبارد، والرطب باليابس، وتركّبت بطول الزمان أنواع التركيبات من الأسفل إلى الأعلى فكانت المعادن ثمّ النبات، ثمّ الحيوان، ثمّ الإنسان. والنفس الإنسانيّة قوّة من قوى النفس الكلّيّة اتّحدت بالجسد رغبة في الحصول على المعرفة التامّة التي هي من صفات العقل الكلّي. وللنفس الكلّيّة قوى كثيرة لا تحصى تتصل كلّ قوّة منها بعضو من أعضاء الجسد، ولها عدا ذلك خمس قوى أخرى تمتاز بشرفها عن غيرها، وهي القوّة المفكّرة ومسكنها وسط الدماغ، والقوّة الحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ، والقوّة الناطقة ومجراها اللسان، والقوّة الصانعة ومجراها اليدان والأصابع.

أمّا القسم الناموسي الإلهي فهو يختصّ بالديانات والمذاهب الروحانيّة والفلسفيّة والعملية والخرافية، وهي غاية الرسائل في التوفيق بين الدين والفلسفة. ومن ذلك قولهم بأنّه ليس هناك شياطين على رأسهم إبليس وليس هناك جهنّم للكفّار وجنّة للمؤمنين، وإنّما هي النفس الإنسانيّة في مسلكها ومفارقتها الجسد، فالإنسان إذا بلغ أشدّه وعقل الأمور، أهمل أمر الدين ولم يتّعظ بوعد الله ووعيده، وانصرف إلى شهواته، فكانت نفسه شيطانة بالقوّة، فإذا فارقت جسدها عند الموت صارت شيطانة بالفعل، لأنّها سلبت بموتها الحواس الخمس التي كانت تتناول بها ملذاتها الجسمانيّة، فصارت

ممنوعة عنها، فلا هي تستطيع الرجوع إليها، ولا هي تبلغ النعيم، فيكون عذابها في شوقها إلى شهواتها، وعذابها بذاتها من وزر سيّئاتها وسوء عاداتها إلى يوم القيامة الكبرى. وهذه هي جهنّم الكفّار والأشرار. وأمّا النفس المؤمنة فإنّها ملائكة بالقوّة، فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل، وهذه هي جنّة المؤمنين. والقيامة الكبرى عند إخوان الصفاء هو رجوع النفس الكلّية إلى عالمها الروحاني، وخراب العالم الجسماني بعد فراقها.

ولقد أرسلت هذه الرسائل إلى التحكيم الشرعي من قبل أبي سليمان المنطقي السجستاني، وحكم عليها بأنّ المؤلّفين أرادوا إخفاء أغراضهم الفلسفيّة الزنديقة تحت عباءة الشريعة، ولكنّهم فشلوا في هذا. وعقب إصدار هذا الحكم أمر الخليفة المستنجد العباسي بحرق هذه الرسائل في بغداد عام 545 هـ باعتبارها مخالفة لمبادىء الشريعة الإسلاميّة. وعلى الرغم من هذا الإجراء الوقائي، فإنّ هذه الرسائل قد تمّ نشرها في إسبانيا في القرن العاشر الهجري. ويعتقد أنّ مسلمة بن أحمد المجريطي الكيميائي والرياضي المسلم هو الذي قام بنقلها من بغداد إلى أسبانيا. وبهذا أخذت رسائل إخوان الصفاء في الانتشار حاملة فكرهم الذي اختلف عليه من قرأ هذه الرسائل من الفلاسفة والعلماء عبر الأجيال.

و أخيرا تجدر الإشارة إلى أنّ رسائل إخوان الصفا كان لها بالغ الأثر في الفكر الصوفي والفكر الشيعي، الإسماعيلي منه بصفة خاصّة.

آثاره

لم تحظ آثار الإخوان (الرسائل، والجامعة)، إلى اليوم بطباعة نقديّة معتمدة، ومخطوطاتها كثيرة نسبيّا، ومبعثرة في شتّى المكتبات العالميّة، ومن أبرز طبعاتها مايلي:

1 ـ منازعة الإنسان والحيوانات، تر. ج. بلات، لندن 1869 2 ـ الحيوان والإنسان، وهي خاتمة وزبدة رسائل إخوان الصفاء، مصر 1955 3 ـ كتاب إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء، 4 أجزاء بومباي 1888 4 ـ كتاب إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء خير الدين الزركلي، 4 أجزاء، مصر 1928 وبطرس البستاني، 12 جزءًا بيروت 1975 5 ـ الرسالة الجامعة المنسوبة إلى الحكيم المجريطي، تح. جميل صليبا، دمشق 1948 6 ـ جامعة الجامعة لإخوان الصفاء وخلاّن الوفاء، تح. عارف تامر بيروت 1959.

المصادر والمراجع

● التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح. أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، 1939-1944 ● م. ن، المقابسات، تح. حسن السّندوبي، القاهرة، 1929، ص57 ● القفطي، جمال الدين، أخبار العلماء الحكماء، ليبسك، 1320 هـ/ 1903 م ● القاضي عبد الجبّار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوّة، نشرة عبد الكريم عثمان، بيروت، 1966، ص610 وما بعدها ● تامر، عارف، حقيقة إخوان الصفاء، وخلان الوفاء، بيروت 1957 ● الدسوقي، عمر، إخوان الصفاء، القاهرة 1947

● الطيباوي، عبد اللطيف، جماعة إخوان الصفاء، القدس 1931 ● عزّت عبد العزيز، إخوان الصفاء، بيروت 1954 ● م. ن، حقيقة إخوان الصفاء، دمشق 1993 ● فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلاميّة، ترجمة كمال اليازجي، بيروت 1974، ص226-250 ● فرّوخ، عمر، إخوان الصفاء، ط. 2، بيروت 1953 ● هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، بيروت 1966 ● الملاح، محمد، حقيقة إخوان الصفاء، بغداد 1954 ● نصر، سيد حسين، رسائل إخوان الصفاء، هويّتها ومحتواها، مجلة العرفان، السنة 29، العدد 322، تموز - آب 1990 ● الهمداني، حسين، بحث في تاريخ إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، القاهرة 1935.

● Fr. Dieterici, Die Abhandlungen der Ichwân as-Safa' in Auswahl zum ersten Mal aus arabichen Handschriften herausgegeben, Leipzig, 1886;

● Id., Die Philosopher der Araber, Leipzig-Berlin, 1858-91;

● E.L. Fackenheim, The conception of Substance in the philosophy of the Ikhwan as-Safâ', in Medieval Studies (Toronto), V (1943), p.115-122;

● I. al-Fârûqî, on the Ethics of the Brethren of Purity, in Muslim World, L (1960-1), p.109-21, 193-8, LI (1961), p.18-24;

● H.F. Hamadâni, A Compendum of ismâ 'îlî esoterics, in Islamic Culture, II (1937), p.210-20;

● S. Lane Poole, The Brotherhood of Purity, Lahore, 1960;

● Y. Marquet, La philosophie des Ikhwân as-Sâfa', Alger, 1963;

● Id., art. Ikhwân as-Safâ', in E.I.2, t. III, p.1098-1103;

● Id., Imâmat, resurrection et hiérarchie selon les Ikhwân al-Safâ', in R.E.I., XXX (1962), p.49-142;

● Id., Sabéens et Ikhwân as-Safâ', in studia Islamica, XXIV, p.35-80, XXV, 77-109;

● S.H. Nasr, An Introduction to Islamic Cosmolical doctrine, Cambridge Mass., 1964;

● A. Sprenger, Notices of some copies of the arabic work entitled Rasâyîl Iskhwân al Cafâ, in JASB, XVII Calcutta (1848);

● S.M. Stern, The autorship of the epistles of the Ikhwân as-Safâ', in Islamic Culture, XX (1946), p.367-72; XXI (1947), p.159-193;

● Id., New information about the autors of the «Epistles of the Sincere Brethren», in Islamic Studies, III/4 (1964);

● A.L. Tîbâwî, Ikhwân as-Safâ' and their rasâ'il, in Islamic

Quaterly, II (1956), p.28-46;

- Ahmed Zakî, Études bibiliographiques sur les Encyclopédies arabes, Bûlâq, 1308;
- Hatem Zghal, Rapport entre savoir scientifique et savoir gnostique chez les Ikhwân as-Safâ, Thèse de Doctorat (Université Paris X, Nanterre), 1989-1990.

د. محمد عادل العوا
جامعة دمشق
د. هاني محيي الدين عطية
جامعة القاهرة

أخي جلبي، محمد طاهر البُورصوي

(835 هـ / 1432 م - 930 هـ / 1524 م)

اسمه الأصلي محمد، ويذكر طاش كوبري زاده أن اسمه محمود، ويكتب محمد طاهر البورصوي اسمه أحمد عند تقديم ترجمته، بينما يذكر أن اسمه محمد عند تقديمه لقائمة رؤساء الأطباء. ويبين مجدي أفندي وهو الذي قام بترجمة كتاب طاش كوبري زاده إلى اللغة التركية أن اسمه محمّد. وإلى جانب هذا فقد اشتهر بلقب «أخي جلبي».

ولد أخي جلبي في عام 835 هـ الموافق لعام 1432 م. وقد عاش في فترة السلاطين العثمانيين، محمد الفاتح، وبايزيد الثاني، وياووز سليم، وسليمان القانوني. ويعود أصل والده كمال الدين- وهو طبيب مشهور- إلى تبريز، وقد جاء إلى الأناضول ودخل في خدمة إسماعيل بك، أمير أبناء جاندر في قسطموني. وعند إلحاق هذه الإمارة في عام 1461 م إلى الدولة العثمانية من قبل السلطان محمد الفاتح، جاء أخي جلبي إلى إستانبول لزيارة المكان الذي أعطي إلى إسماعيل بك في الروميلي، بيد أنه قرر البقاء في منطقة محمود باشا بإستانبول وافتتح هناك مستشفى واصل فيه عمله. وفضل العمل بشكل مستقل، ولم يقبل الاقتراح الذي عرضه عليه السلطان محمد الفاتح للعمل في السّراي.

تلقى أخي جلبي معلوماته الأولى في الطب من والده. وبعد وفاته تلقى دروسا في الطب من كبار الأطباء في تلك الفترة مثل قطب الدين أحمد، وألتون زاده (ابن المذهب). وقد برع في مجاله في فترة قصيرة. وعمل في البداية طبيبا في دار الشفاء في منطقة الفاتح، ثم أصبح رئيسا للأطباء. وفي عهد السلطان بايزيد الثاني كسب ثقته، فتم تعيينه على رئاسة الأطباء (جمادى الأولى عام 913هـ الموافق لـ أكتوبر عام 1507 م)، بالإضافة إلى تعيينه على أمانة المطبخ. ومكث أخي جلبي في هذه الوظيفة لمدة أربعة أعوام ونصف العام،

ثم عزل بعد ذلك عند وفاة السلطان بايزيد تماشيا مع التقاليد.

بعد فترة من الزمن، أي في شهر صفر من عام 921 هـ الموافق لـ أبريل من عام 1515 م عيّن مرة ثانية من قبل السلطان ياووز سليم على رئاسة الأطباء. وقد اصطحبه السلطان معه في حملته على مصر. وبعد وفاة السلطان ياووز عزل من رئاسة الأطباء مرة أخرى (شوال 926 هـ / أكتوبر 1520 م). وعند اعتلاء السلطان سليمان القانوني العرش تم تعيين أخي جلبي مرة أخرى في منصب رئيس الأطباء. وفي عام 930هـ/ 1524م توفي أخي جلبي في القاهرة عند عودته من الحج، وتم دفنه بجوار قبر الإمام الشافعي.

آثاره

كتب أخي جلبي أهم مؤلفاته باللغة التركية في عهد السلطان بايزيد الثاني. وتناولت الأقسام العشرة الأولى من كتابه «رسالة حصاة الكلية والمثانة» معلومات عن حصاة الكلية والمثانة. وتوجد من هذا الكتاب مخطوطات متنوعة في مكتبات إستانبول. وكتب عقل مختار أوزدن مقالة حول هذا المؤلف. وقام سامي أركون بنشرها باللغتين التركية والإنجليزية (إستانبول 1948). وخصص المؤلف في كتابه جزءا تحدث فيه عن أساليب العلاج بالأدوية، وذلك إلى جانب نقل تجارب بعض الأطباء مثل ابن سينا، وأبي بكر الرازي، وإسماعيل بن حسن الجرجاني وغيرهم، كما نقل عن تجارب الأطباء السابقين لهم. ولهذا السبب اكتسب الكتاب أهمية كبرى. وقد تم نشره بلغته الأصلية وهي اللغة العثمانية مع الأحرف اللاتينية من قبل إسن كاهيا.

من مؤلفات أخي جلبي الأخرى «الفوائد السلطانية في القواعد الطبية». وهو كتاب ألف باللغة الفارسية. كما تم العثور على كتابين آخرين له كتبا باللغة التركية وهما «رسالة في الطب» و «مثنوي في الطب». وذكر محمد طاهر البورصوي أن أخي جلبي قام بترجمة كتاب «الموجز» لابن النفيس إلى اللغة التركية، غير أن عدنان أديفار نفى أن تكون هذه الترجمة له وإنما ربما تكون لوالده، إلا أن نتيجة الأبحاث التي توصل إليها بعض رجال العلم مثل سعد الدين بولوف، وأرسلان تريزي أوغلي أثبتت أن هذه الترجمة تعود فعلا إلى أخي جلبي.

كان أخي جلبي صاحب ثروة كبيرة، فقد كان يملك أكثر من أربعين قرية في قورلو، وأدرنة، وحيرابولو، وشيله إلى جانب الميراث الذي تركه له والده، بالإضافة إلى حمام في إستانبول وعدد كبير من الدكاكين. وقد أوقف هذه الثروة للمدرستين اللتين أنشأهما في أدرنة، وكذلك لجامعه في إستانبول المعروف باسم «مسجد قانلي فرن». وأوصى بإرسال ما زاد عن دخل أوقافه (زوائد الأوقاف) إلى فقراء المدينة المنورة. وتوجد اليوم منطقة في إستانبول، وقرية في أدرنة، وهضبة في بلغاريا تحمل جميعها اسم أخي جلبي.

المصادر والمراجع

● طاش كوبري زاده، الشقائق النعمانية، نشر أحمد صبحي فرات، إستانبول 1405/ 1985، ص. 426-428 ● منجم باشي أحمد دده، تاريخ منجم باشي، نشر إسماعيل إرونسان، إستانبول 1974،

350 ● مجدي أفندي، ترجمة الشقائق، إستانبول 1269، 423-424 ● خوجة، سعد الدين، تاج التواريخ، نشر عصمت برماك سيز أوغلى، إستانبول 1979، IV، 135، 138-139، 360 ● ســــراي، أيوان، حديقة الجوامع، إستانبول 1281، I، 239

● Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmani, Istanbul 1308-1315, IV, 109-110; ● Bursali Mehmed Tahir, Osmanli Müellifleri, Istanbull 333-1342, III, 197, 203; ● M. Tayyib Gökbilgin, XVXVI. Asirlarda Edirne ve Pasa Livasi, Istanbul 1952, p.488-489; ● Veli Behçet Kurdoglu, sair Tabibler, Istanbul 1967, p.81-85; ● Cahid Baltac, XV-XVI Asirlarda Osmanli Medreseleri, Istanbul 1976, p.72-73; ● A. Adnan Adivar, Osmanli Türklerinde Ilim, Istanbul 1982, p.66-67; ● Bedi N.Sehsuvaroglu and others, Türk Tip Tarihi, Bursa 1984, p.51-52; ●Türkiye Kütüphaneleri Islami Tip Yazmalari Katalogu, Istanbul 1984, p.130-131; ● Akil Muhtar, «Hekim Ahi Çelebi ve Faide-i Hasat Risalesi», Darülfünun Tip Fakültesi Mecmuasi, II/2-3, Istanbul 1335, p.110-114, 184-188; ● A. Süheyl Ünver, «Eski Hekimbasilar Listesi», Türk Tip Tarihi Arsivi, V,1940, p.2-3; ● Sadeddin Buluç, «Ibn an-Nafis'in Ibn Sina'nin Kanun'una Yazdigiserh Mucez al-Kanun'un Ahmed ibn Kemal Tarafindan Türkçe Çevirisi», Dogumunun 1000. Yildönemi Nedeniyle Milletlerarasi Ibn Sina Kongresi Bilimsel Toplantilar, Program ve Bildiri Özetleri, Istanbul 1980; ● Arslan Terzioglu, «Osmanli Yükselis Devrinin Ünlü Hekimbasisi Ahi Çelebi», Bifaskop, vol. II, Istanbul 1983, p.13-18; ● Esin Kahya, «Onbesinci Yüzyilda Yasamis Hekimlerimizden Hekimbasi Ahi Çelebi», Erdem IX/25. 1996, p.293-342; Ali Haydar Bayat, «Ahi Çelebi, Mehmed», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1988, I, 528-529.

د. أحمد أوزال
الموسوعة الإسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا

ابن أخي ربيع الصباغ، أبو محمد عبد الله الكلابي

(..... هـ / ..... م - 318 هـ / 930 م)

عبد الله بن حنين بن عبد الله بن عبد الملك الكلابي، القرطبي، مولى بني أمية، كنيته أبو محمد، ويعرف بابن أخي ربيع الصباغ. اختلف في سنة وفاته، قيل سنة ثمان أو تسع عشرة وثلاثمائة، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين وثلاثمائة، محدث، أصولي، مفسر.

سمع من الأعناقي، وأسلم، وأبي صالح أيوب بن سليمان، وابن لبابة، وابن أيمن، وأدرك ابن وضاح لكنه لم يسمع منه. حج آخر عمره، فسمع بمصر من محمد بن زبان الباهلي، وروى عن عبيد الله بن يحيى الليثي، وسمع منه بمصر أبو سعيد بن يونس، وأبو عمر الكندي وغيرهما [الديباج، 1/ 436؛ جذوة المقتبس، 1/ 395؛ بغية الملتمس، 2/ 428؛ طبقات المفسرين، 1/ 235؛ معجم المؤلفين، 6/ 51].

ومما عرف عن عبد الله بن حنين الكلابي أنه كان إماما في الحديث ذا سعة فيه وفي معانيه بصيرا بعلله حسن التأليف فيه مع هدي حسن وسمت عجيب [الديباج 1/ 436؛ الصلة 117؛ طبقات المفسرين 1/ 234].

آثاره

1 - كتاب في معرفة الرجال وعلل الحديث. 2- كتاب التفسير 3- كتاب الاستيعاب لأقوال الإمام مالك مجردة دون أقوال الصحابة. ابتدأ بتأليفه، وتممه أبو عمر بن المكوي، وأبو بكر المعيطي، ووثقه أبو محمد الباجي وأثنى عليه، واختصر «مسند بقي بن مخلد» القرطبي الأندلسي المتوفى سنة (276هـ)، والذي يروى أنه أول محدث رتب الأحاديث في مسنده على أسماء الصحابة - عن ألف وثلاثمائة منهم - ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه في أبواب الحكم فاعتبر مسندا ومصنفا.

المصادر والمراجع

● الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ط. 1، 1979م، 2/ 428 - 429 ● الداودي، شمس الدين محمد بن أحمد، طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، 1/ 234 - 235 ● الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989، ط. 1، 2/ 390 ● كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت 6/ 51 ● ابن بشكوال، الصلة،

الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966، 4/ 117 ● ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة، 1/ 436.

د. آمنة الدهري
جامعة الحسن الثاني ـ المحمدية ـ المغرب

■ أخي زاده، يوسف أفندي

(.... هـ / .... م ـ 905 هـ / 1500 م) ■ ■ ■

يعرف أيضا بأخي ڤلبي. وهو عالم من منطقة طوقاط عاش في عهد السلطان بايزيد الثاني. واسم والده جنيد. تلقى العلم في البداية على يد أحمد كريمي أحد مدرسي مدرسة الميرزفون، ثم نهل العلم بعد ذلك على يد المُلاّ صلاح الدين وهو معلم السلطان بايزيد، ودرس العلم كذلك على يد المُلاّ خسرو.

عمل أخي ڤلبي في عدة مدارس هي بالترتيب على النحو التالي: مدرسة الملا خسرو في بورصة، والمدرسة الحجرية في أيدِرْنه، والمدرسة القلندرية وكذلك مدرسة الوزير محمود باشا في إستانبول. ثم تم تعيينه بعد ذلك مدرسا في المدرسة السلطانية في بورصة، ومن هنا انتقل للعمل في مدرسة صحن ثمان في إستانبول. وكان يتقاضى يوميا من هذه الوظيفة مرتبا قدره خمسون درهما. وقد قام بإنشاء جامع أخي زاده الموجود اليوم في شارع دار الشفقة بالقرب من جامع الفاتح بإستانبول، وأوقف كتبه لهذا الجامع.

توفي أخي زاده يوسف أفندي في عام 905هـ الموافق لـ عام 1500م وهو لايزال معلما في مدرسة صحن ثمان، وتمّ دفنه في مقبرة جامعه المذكور. ومن جانب آخر ذكرت بعض المصادر الأخرى أن وفاته كانت عام 902هـ/ 1497م أو عام 904هـ/ 1499م.

■ آثاره

1- ذخيرة العقبى في شرح صدر الشريعة العظمى، يعتبر أهم كتب أخي زاده. وهو من الكتب المتداولة بين العلماء، ويمثل حاشية لشرح صدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود - حفيد تاج الشريعة محمود بن أحمد- الذي كتبه على مؤلف «وقاية الرواية في مسائل الهداية» لتاج الشريعة محمود بن أحمد. وألّف هذا الكتاب بين عامي 891هـ/ 1486م و901هـ/ 1496م. وإلى جانب وجود نسخ مخطوطة عديدة من هذا الكتاب، توجد منه كذلك نسخة بخط يد المؤلف في مكتبة رشيد أفندي بـ«قيصري». وطبع هذا الكتاب الذي يعرف أيضا باسم «حاشية جلبي» مرات عديدة [كالكوتا 1245؛ لكنو 1873،

1882، 1304؛ لاهور 1897؛ كانبور 1878] 2- زبدة الطريفات، كتاب يدور حول المنطق والنحو والبلاغة. وقد تمت طباعته في عامي 1285هـ و1308هـ في إستانبول من قبل عثمان عزمي بن أحمد وذلك بعد أن أضاف إليه بعد الإضافات 3- ترجمة فرائض السراجية، [مكتبة متحف سراي طوب قابي، أحمد III، رقم 3124] 4- مختصر (منتخب) فتاوى قاضي خان، [مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 1080؛ يوزقاط، رقم 317] 5- تعليقات على تفسير البيضاوي، [مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 18] 6- هدية المهتدين (هداية المهديين)، عبارة عن رسالة تدور حول العقائد، وتشرح الألفاظ التي يمكن أن تقود صاحبها إلى الكفر (إستانبول 1403هـ/ 1983م).

المصادر والمراجع

● كاتب قلبي، كشف الظنون، II، 1227، 2021- 2022، 2043 ● طاش كوبري زاده، الشقائق النعمانية، نشر أحمد صبحي فرات، إستانبول 1405، 275 ● سراي، حسين أيوان، حديقة الجوامع، إستانبول 1281، I، 42 ● اللكنوي، عبد الحي، الفوائد البهية، نشر م. بدر الدين أبو فراس، القاهرة 1324، 226-227 ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، II، 563 ● الزركلي، الأعلام، القاهرة 1373-1378هـ/ 1954-1959م، IX، 296 ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1376-1380هـ/ 1957-1961م، XIII، 286 ● أ. قره، بلوت، فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية الموجود في مكتبة رشيد أفندي في قيصري، قيصري 1982، عمود 705

● Bursali Mehmed Tahir, Osmanli Müellifleri, Istanbul 1333-1342, II, 53; ● Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, I, 468; Supplementband, I, 646; II, 318; ● Halit Ünal, «Ahizade Yusuf Efendi», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1988, I, 549.

د. أحمد أوزال

الموسوعة الإسلامية ـ اسطنبول ـ تركيا

الأذْرَنوي، محمد بن السيد حسن

(... هـ / ... م - 866 هـ/ 1461م)

السيد محمد بن السيد حسن بن السيد علي الأذرنوي، نسبة إلى أذرنَة، وهي كما قال الزبيدي في تاج العروس (مادّة درن): مدينة عظيمة بالرّوم، أي في آسيا الصغرى، تركيا.

بخلت المراجع وكتب التّراجم بأيّ معلومات عنه، وحتّى حينما ذكر الزّبيدي في مقدّمة كتابه «تاج العروس» أنّ من بين مراجعه كتاب «الرّاموز» أغفل اسم مؤلّفه قائلا: «لبعض عصْريّي المصنّف» (يقصد الفيروز آبادي). وكلّ ما نعرفه عن المؤلّف ما وصفه به حاجي خليفة من أنّه: «الشّيخ الإمام الورع والزّاهد» [كشف الظّنون، 1/ 831].

آثاره

لم تذكر المراجع له من المؤلّفات سوى عملين اثنين يدخلان في باب التّكملة، والاستدراك، والاختصار لبعض المعاجم السّابقة. هذان العملان هما:

1 - الجامع، أو جامع اللّغة الّذي ذكر بروكلمان أنّه من مختصرات مختار الصّحاح للرّازي (2/ 262)، وذكر حاجي خليفة أنّه أهداه إلى السّلطان محمد خان الفاتح، وأنّه فرغ من تأليفه عام 854هـ (كشف الظّنون، 1/ 572). كما ذكر حاجي خليفة أنّ الأدرنوي ذكر في مقدّمة معجمه «أنّ صحاح الجوهري مشتمل على ما لا مدخل له في معرفة اللّغة من الأشعار والأمثال والأنساب»، وأنّ بعض اللّغويّين قد اختصره»، ولكنّه أخلّ، كما أنّ الأصل أملّ»، وأنّه زاد إضافات عليه. استفادها من المغرب، والفائق، والنّهاية [المطرزي، المغرب؛ الزمخشري، الفائق؛ ابن الأثير، النّهاية]، وأنّه بسّط الكلام فيه في معاني الأحاديث [كشف الظّنون، 1/ 572].

ويبدو أنّ حاجي خليفة قد خلط بين «الجامع»، والكتاب الآخر المسمّى بـ «الراموز» لأنّ الجامع هو «مختصر مجرّد عن الشّواهد، وتكاد تكون موادّه اللّغويّة مواد الصّحاح في العدد إلاّ أنّه حذف الشّواهد وأوجز» [مقدّمة التّحقيق لتهذيب الصّحاح، 1/ 53].

ويبدو أنّ هذا الخلط قد امتدّ إلى فهارس معهد المخطوطات العربيّة الّتي أعطت للمخطوط رقم 104 لغة اسم «جامع اللّغة، أو الراموز» وهما في الحقيقة كتابان لا كتاب واحد.

وواضح من كلّ هذا أنّ «الجامع» اختصار للصّحاح نفسه، وليس لمختار الصّحاح. وأنّه مجرّد اختصار ولا يشتمل على أيّة إضافات بخلاف كتابه الآخر الراموز الّذي سيأتي الحديث عنه.

وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنوّرة برقم 46 لغة [الزّنجاني، فهرس المراجع لتهذيب الصّحاح، 3/ 1371؛ مقدّمة التحقيق، 1/ 53]. وأشار بروكلمان إلى نسختين أخريين، إحداهما في المتحف البريطاني (ثان 851) (2/ 286)
2 - الرّاموز، هو الصّحاح نفسه إلاّ أنّ مؤلّفه جرّده من الشّواهد وأوجز الشّرح، وحذف الأمثال والأنساب. وشرح صاحب الرّاموز عمله في مقدّمته حيث قال: «إنّ كتاب الصّحاح كتاب فاخرٌ، وبحر موّاج زاخر، لكنّه لما فيه من تطويل وإطناب - بإيراد كثير ممّا يُستغنى عنه من الأمثال والشّواهد والأنساب، واختصره بعض الفضلاء ولكنّه أخلّ، كما أنّ الأصل أسهب وأملّ، وزاد فيه فوايد ممّا سمحت بها قريحته الوقّادة وطبيعته النقّادة، وإن كان بعضه ممّا يجاب كما أشرت إليه في أثناء الكتاب - إلى ما اختاره وقبله، جميع ما أهمله من اللّغة وأغفله، لتتميم الفائدة وتعميم العائدة، ثمّ ألحقت به غرائب ألفيتها في «المغرب» للمطرزي، وعثرت عليها في «الفائق» للزّمخشري، و«النّهاية» لابن الأثير أبي السّعادات الجزري (الاقتباس الآتي بعد).

وعندما حذف المؤلّف الشّواهد والأنساب والأمثال أضاف إليه موادَّ كثيرة، وأضاف بعض «الخواص» الطبيّة [مقدّمة الصّحاح، ص180].

ومن «الرّاموز» نسخة هي أقدم نسخة إطلاقا، لأنّها مسودّة المؤلّف الأولى، وفرغ منها في ربيع الآخر سنة 857هـ، وهي ضمن مقتنيات مكتبة الشّيخ محمد سرور الصبان.

ومنه نسختان بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنوّرة، وكلّ منهما في مجلّد ضخم كبير، إحداهما تحت رقم 59 لغة. وبها تعليقات بالعربيّة والتّركيّة، وتصويبات من القاموس بقلم كمال باشا زاده، والثّانية رقم 60 لغة [السّابق، ص181]. وفي دار الكتاب المصريّة نسخة مصوّرة عن أصل في مكتبة «يكي جامع» [مقدّمة التّحقيق لتهذيب الصّحاح، ص54؛ بروكلمان، 2/ 262، هي النّسخة الّتي رجعتُ إليها].

ويبدو أنّ المؤلّف كان يحسّ بضآلة قدر كتابه إلى جانب المكانة العلميّة الّتي حقّقها صحاح الجوهري لنفسه، ولذا نجده في مقدّمته يتحامل على الجوهري ويرميه بما ليس فيه، ومن ذلك اتّهامه الجوهري بأنّ بعضا ممّا نقله مطعون فيه، وأنّه بخلاف الصّواب مشحون. وهذه تهمة ربّما تسرّبت إليه بعد قراءته لقاموس الفيروزآبادي [مقدّمة الصّحاح، ص181]، الّذي كان مرجعه الأساسي عند تأليفه «الراموز» وقد ذكر المؤلّف ذلك في مقدّمة معجمه، إذ قال: «ثمّ إنّي بعد ما فرغت... سمعت من غير واحد من العلماء أنّ ما نقله الجوهري مطعون... حتّى وفّقني اللّه سبحانه وتعالى إلى المطالعة في القاموس... واطّلعت فيه على ما ركب الجوهري فيه من التّصحيف... فشمرت عن ساق جدي على أن أقيم ما فيه من الأود حتّى فرغت، فبيّنت ما غفل عنه وسها» [مقدّمة المعجم. ويتّضح من اقتباسها الوارد بعدُ مدى نقله الحرفي عن مقدّمة القاموس].

ولم يكتف الأدرنوي من محاكاة الفيروزآبادي (توفّي 817هـ) بهجومه على الجوهري بل

أضاف إلى ذلك استخدامه الرّموز مثله (مقدّمة المعجم، والاتّفاق بين المعجمين في الفكرة، وإن اختلفت الرّموز في كلّ).

بل إنّ الأدرنوي قد انحرف عن مهمّة المعجم اقتداء بالفيروزآبادي حين أضاف بعض المواد على الصّحاح ممّا هو أقرب إلى المادّة الموسوعيّة منه إلى المادّة المعجميّة مثل إضافته بعض الخواص الطبيّة [مقدّمة الصّحاح، ص180].

ومع ذلك «فالراموز معجم جليل في حوالي ثمانين ألف مادّة، وفيه نوادر لغويّة جليلة، وسمته البارزة الإيجاز الدّقيق» [مقدّمة الصحاح، ص181].

تتمثّل قيمة الراموز فيما يأتي:

1 - الزّيادات الّتي أضافها من المُغرب والفائق والنّهاية وغيرها. ومن ذلك اقتصار الجوهري على أنّ القطرب طائر، وزاد الأدرنوي على ذلك: الصّغير من الكلاب، وذكر الغيلان، والفارة، وصغار الجنّ وغيرها [حاشية المحقّق لتهذيب الصّحاح، ص85]

2 - تصحيح وهم وقع فيه الجوهري، أو التّعقيب برأي مخالف. ومن ذلك قول الجوهري: «جبل وعْر بالتّسكين، قال الأصمعي: ولا تقل وعِر». وقد عقّب الأدرنوي قائلا: وقل: وعِر، كما تقول: واعر ووعير، والنّهي غلط [حاشية المحقق لتهذيب الصّحاح، ص341]. وكذلك قول الجوهري: «والصاب: عصارة شجر مرّ»، وقد عقّب الأدرنوي مصحّحا: والصاب: شجر مرّ. وقد أخذ هذا التّصويب من الفيرزز آبادي الّذي قال في القاموس: «ووهم الجوهري في قوله: عصارة شجر»، ولكنّه زاد عليه: قال أبو ذؤيب الهذلي:

نام الخلّي وبت اللّيل مشتجرا
كأنّ عينيّ فيها الصاب مذبوح

ومذبوح: مشقوق، والعصارة لا تذبح. وإنّما تذبح الشّجرة فتخرج منها العصارة [حاشية المحقق لتهذيب الصحاح، ص70]

3 - توضيح بعض العبارات المبهمة أو الغامضة، كقول الجوهري: «والقُلب من السّوار ما كان قلبا واحدا». وقد أزال الأدرنوي ما بالعبارة من غموض فقال: القُلب من السوار ما كان قلبا واحدا، يعني مفتولا من طاق واحد لا من طاقين [حاشية المحقق لتهذيب الصحاح، ص86]. وكذلك قول الجوهري: «راغ الثّعلب يروغ روْغًا وروغانا» ولم يفسّره، وقد فسّره الأدرنوي قائلا: روغان الثعلب: أن يذهب هكذا وهكذا مكرا وخديعة [حاشية المحقق لتهذيب الصحاح، ص520].

المصادر والمراجع

● الزّبيدي، تاج العروس ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، طبعة ثانية، ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، 1986 م ● الزّنجاني، تهذيب الصّحاح، تح. عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور العطار، دار المعارف، مصر، 1371 هـ ● الأدرنوي، محمد بن حسن بن علي الراموز، مصوّرة دار الكتب المصريّة عن نسخة بمكتبة يكي جامع بالآستانة، رقم 1128، ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم 600 لغة ● حاجي خليفة، كشف

الظّنون، مكتبة المثنّى، بيروت ● نصار، حسين، المعجم العربي، طبعة ثانية، مكتبة مصر، 1968م ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 88.

د. أحمد مختار عمر

مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

ابن إدريس، أبو العباس أحمد بن إدريس الحسني

(1172 هـ/ 1758 م ـ 1253 هـ/ 1837 م)

أحمد بن إدريس الحسني، المعروف بابن إدريس، أبو العباس مؤسس الطريقة الإدريسية بالمغرب ومن دعاة الإصلاح في بدايات القرن التاسع عشر، هو من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. وهو جد الأدارسة بالشرق، كانت لهم إمارة في تهامة عسير واليمن [الأعلام للزركلي، 1/ 95].

ولد بقرية ميسور، قرب مدينة فاس سنة 1172هـ/ 1758 م، ولا شك أنه بدأ تعلّمه بمسقط رأسه، ولما بلغ العشرين من عمره انتقل إلى مدينة فاس وهناك اتصل بكبار العلماء والتحق بجامع القرويين ومكث فيه قرابة ثلاثين عامًا ينهل من هناك أعمق الدراسات وأكملها.

ومن الأساتذة الذين درس على أيديهم المحدث الشيخ محمد التاودي بن سودة (ت1259 هـ)، والشيخ أبو محمد عبد الكريم اليازغي (ت 1199 هـ)، والشيخ عبد القادر بن العربي بن شقرون (ت 1216 هـ)، والشيخ العلامة ابن كيران أحد كبار علماء جامعة القرويين. ويبدو أن العلماء السابقين اتصل بهم ابن إدريس قبل أن يتّصل بشيوخه في التصوف وقبل أن يتفرغ لطلب الحق ومعرفة علوم الحقيقة والتحقيق.

والظاهر أن السيد أحمد بن إدريس لما صارت له المقدرة في معرفة علوم الشريعة توجه إلى دراسة التصوف على أيدي كبار شيوخ عصره ممن ينسب إليهم معرفة العلوم الإلهية مثل الشيخ عبد الوهاب التازي الذي كان أول من أخذ عنه الأذكار وحفظ عنه الكثير، ويقول السيد ابن إدريس عنه: بأن سلوكه إلى الله تعالى صار على يده، وكان منه مددي وأنه خدمه أربع سنوات، وتؤكد الدلالات التاريخية أن ثقافة ابن إدريس الصوفية وسلوكه تمت على يد الشيخ التازي. ثم أكمل ابن إدريس علومه في التصوف على يد الشيخ أبو القاسم الوزير الذي وصفه ابن إدريس بأنه كان من الأفراد الأقطاب، وقد أخذ عنه الطريقة الشاذلية، ولازمه لأربع سنوات انعكست آثارها على سلوكه وفي زهده وتجرده للعبادة، وبعد وفاة أستاذه الشيخ التازي أصبح وارث

حاله وخليفته وقد انقاد له طلاب العلم ومحبو التصوف، فظهر بالشريعة والحقيقة، وظهرت عنده معالم الطريقة.

رحل السيد أحمد بن ادريس من مدينة فاس إلى مكة المكرمة أواسط سنة 1212 هـ / أواخر سنة 1797 م مارًا بالجزائر، وتونس، وليبيا ثم مصر، فالحجاز حيث درس على بعض شيوخ العلم من أمثال الشيخ محمود الكردي، وقد تعرف في خلال سفره إلى العديد من العلماء، ثم استقر في مدينة مكة أربعة عشر عامًا كان يوجه أتباعه خلالها للانصراف للذكر والعبادة وعدم المجادلة والاصطدام بالوهابية الذين بدأت سيطرتهم على الحجاز بداية فترة دخول السيد ابن إدريس لمكة المكرّمة، وقد حاول تهدئة الموقف معهم بمحاباته لمدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مسائل التشريع وضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة وتخليص الإسلام مما علق به من شوائب وإزالة آثار القباب، كل ذلك جعل أمير الوهابية بمكة آنذاك يترك له ولأتباعه حرية العبادة بالحرم الشريف لفترة محدودة.

وكان تركه لمدينة مكّة سنة 1243هـ/ 1827م حيث وصل إلى اليمن وتنقل في عدد من مدنها إلى أن استقرّ به المقام في مدينة زبيد وعند تلميذه الأهدل سنة 1244هـ/ 1829م. وهناك أخذ السيد ابن إدريس ينشر علومه وثقافته، وتتلمذ على يديه العشرات من العلماء والصلحاء .

أما تلامذة أحمد بن ادريس فهم كثيرون في المغرب، وليبيا، ومصر، والحجاز، واليمن. وأعدادهم وآثارهم تعكس - وبدون شك - قوة المدرسة الإدريسية ونجاح ابن إدريس في تربية طلابه وتعليمهم، كما يعكس وفاء الطلاب لأستاذهم، فالكثير منهم رغم وفاة مؤسس هذه الدعوة، ورغم تعدّد الطلاب وكثرة ما حصلوا عليه من الأتباع فإنهم بقوا متمسكين بأذكار شيخهم الأول، متمسكين بعروبته. فهذا السنوسي مثلاً لم يؤلف أورادًا خاصة به حتّى بعد أن استقلّ بطريقته. وكثير منهم لم يؤسسوا طرقًا رغم كثرة الأتباع وبعد المسافة عن مقر الدعوة الإدريسية وحتّى بعد وفاة الإدريسي نفسه منهم الشيخ حسن عاكش، وعبد الرحمن الأهدل، والشيخ عبد الحق القوصي. وتباعًا نعرض لبعض التلاميذ وفي عدد من البلدان.

ففي اليمن كان من طلابه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصائم المولود سنة 1215 هـ / 1800 م والذي كان فقيها محدثًا أديبًا. والشيخ بشير بن شبير المولود سنة 1191 هـ / 1175 م. والشيخ حسن بن عاكش ولد سنة 1221 هـ / 1806 م عالم فقيه له مؤلفات عدة منها: عقود الدرر، وذيل نفح العود، وجواهر القلائد في العقائد، وأخرى كثيرة. ومن طلابه باليمن أيضًا الحسين بن علي المفتي ولد سنة 1204 هـ / 1789 م، ومن مؤلفاته: بلوغ الإرادة. وكذلك من طلابه الشيخ عبد الرحمن الحسن البهكلي المولود سنة 1182 هـ / 1768 م، والشيخ عبد اللّه السبعي، والشيخ علي بن محمد العقيلي، والشيخ عيسى الحازمي، والشيخ يوسف بن إبراهيم الصنعاني، وعدد آخر غيرهم عرفوا بانتسابهم للشيخ أحمد بن إدريس ولطريقته والتلمذة على يديه.

وفي ليبيا عرف للإدريسي عدد من التلاميذ الجيدين منهم: الشيخ إسماعيل الصعيدي، والشيخ عبد الله السني، والشيخ العربي التطواني، والشيخ محمد الغلالي، والشيخ محمد بن محمد بن علي السنوسي العالم المشهور المولود سنة 1202 هـ / 1787 م والذي يعزى إليه الدور الكبير في نشر التعاليم الإدريسية في ليبيا، وله مؤلفات عديدة منها: شفاء الصدور، والكواكب الدرية.

وفي مصر له من التلاميذ الكثر ممن عرف بالتقوى واشتهر بالفقه والتصوف منهم: الشيخ إبراهيم الخزامي، والحاج جودت الأحمدي، والشيخ رزق الله، والشيخ علي عبد الحق القوصي (ت1201هـ/ 1787م) العالم المعروف بالفتيا والتدريس بأسيوط، وله مؤلفات عدة في الدفاع عن الطريقة الإدريسية وعن بعض الموضوعات الفقهية والصحية.

أما في الحجاز فمن تلامذته الشيخ محمد حسن المدني (ت 1263 هـ / 1847 م) وهو من وجهاء المدينة المنورة ومن أبرز علمائها في عصره، والشيخ محمد عابد السندي (ت1257 هـ / 1841 م) وأصله من السند وموطنه أرض الحجاز، وقد صاحب شيخه ابن إدريس لسنوات عدّة عندما كان مقيمًا بمكة المكرمة وأخذ عنه الكثير من العلوم والآداب.

أما عن وفاة السيد أحمد بن إدريس فقد أجمع الذين كتبوا عنه أنه توفي عام 1253 هـ / 1837 م في ليلة السبت 21 رجب الموافق 21 أكتوبر في منطقة (صبيا بالعسير) باليمن. تلك المنطقة التي توطدت فيها معالم المدرسة الإدريسية، وقد تمكن أحد أحفاده من إقامة دولة مستقلة هناك حكمها محمد بن علي بن محمد بن أحمد (1892 - 1923 م) وابنه علي بن محمد (1923-1933) والذي أجبر على تسليم دولته للسلطة السعودية آنذاك حيث انتهى بذلك التاريخ حكم الأدارسة لليمن.

آثاره

لم يعرف أن أحمد بن إدريس كتب آثاره بنفسه وإنما هي من نتاج محاضراته على طلابه ومريديه الذين دوّنوا علومه حرفيًا أو نقلوها بتصرف أجازهم عليها السيد ابن إدريس بعد أن قرئت عليه. وتلك الآثار كانت في علم التصوف، والفقه، وشؤون العقيدة ومنها ما كان في تربية المريدين كمجموعة الأحزاب والأوراد وصفة دخول الخلوة. كما للرجل مكاتبات كثيرة مع عديد من العلماء والتلاميذ عرضت لكثير من أسلوب السيد ابن إدريس وثقافته، إضافة إلى الكثير من الخطب والمحاضرات ومن المؤلفات المعروفة:

1 - كتاب العقد النفيس في نظم جواهر التدريس، كان من أكثر مؤلفاته التي أعطت صورة واضحة لآراء ابن إدريس وثقافته
2 - كتاب مناظرة أحمد ابن إدريس مع فقهاء عسير، وهو الذي سجل فيه الشيخ حسن بن عاكش مناظرة ابن إدريس لأنصار الوهابية باليمن والذي أثبت فيه تحاملهم على الصوفية وتعصبهم ضد خصومهم.

وللرجل أيضا عدد من الرسائل الفقهية. منها: 3 - صلاة المودع 4 - النفحات الكبرى

وفي التفسير له: 5 - الفتوحات الربانية في تفسير بعض الآيات القرآنية

وفي العقيدة له رسالة: 6 - شرح عقيدة الشافعي.

أما في مجال الأحزاب والأوراد فقد ألف الكثير منها: 7 - الحزب السيفي 8 - الحزب المغني 9 - الحصون المنيعة 10 - روح السنة 11 - النفحات الإلهية 12 - أسماء الله الحسنى وغيرها كثير.

■ المصادر والمراجع

● ابن إدريس، أحمد، الدرر الدقيقة المستخرجة من بحر الحقيقة، مخ. بدار الوثائق القومية بأم درمان، متنوعات تحت رقم 1/ 198/ 2633 ● م.ن، المورد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، المصدر والمكان السابق 1/ 226/ 2866 ● م.ن، الفيوضات الربانية بتفسير بعض الآيات القرآنية، القاهرة د/ت ● م.ن، مناظرة أحمد بن إدريس وفقهاء النجدية، القاهرة 1937 ● م.ن، النفحات الكبرى (القاهرة: 1971) ● ابن زيدان، عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين الزاهرة، الرباط 1960 ● الفيض، محمد، جمهرة الأولياء وأعلام التصوف، القاهرة 1971، ج 1 ● الجعفري، صالح، المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس، القاهرة 1395 هـ ● النبهاني، يوسف إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، القاهرة، 1329 هـ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بيروت د. ت، دار إحياء التراث العربي، 1/ 186 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 1/ 95 (وفيه ولادته سنة 1172 هـ/ 1758 م).

د. حسن جلاّب
كلية اللغة العربية ـ مراكش ـ المغرب
د. دريد عبد القادر نوري
جامعة الموصل ـ العراق

■ إدريس، عماد الدين بن الحسن بن عبد الله

(.... هـ / ..... م ـ 872 هـ/ 1467م) ■ ■ ■

عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الوليد الأنف، الداعي المطلق التاسع في سلسلة الدعاة الطيّبين في دور السّتر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الفاطمي الآمر بأحكام الله واستِتار ابنه الإمام الطيّب بن الآمر، ويرجع نسبه إلى أسرة الوليد القرشي التي قادت الدعوة الطيّبة في اليمن لأكثر من ثلاثة قرون. لم ترد له ترجمة في كتب التراجم المعروفة، ولكنّ الداعي الهندي قطب الدين سليمان جي برهانبوري (ت 1241 هـ/ 1826م) أورد له في كتابه «منتزع الأخبار في أخبار الدعاة

الأخيار» ترجمة اعتمادا على مؤلفيه «نزهة الأفكار»، «روضة الأخبار»، ولم يذكر برهانبوري تاريخ ميلاد الداعي إدريس، ولكنّ إسماعيل قربان بوناوالا جعله في سنة 794هـ/ 1392 م بقلعة شبام بجبل حراز باليمن، ولا نعرف أيّ شيء عن حياته قبل أن يتولّى رئاسة الدعوة اليمنيّة خلفا لعمّه عليّ بن عبد الله بن عليّ بن الوليد الداعي المطلق الثامن عشر بوصيّة منه عقب وفاته في الثالث من شهر صفر سنة 832 هـ/ 13 نوفمبر 1428م.

وتولّى عماد الدين إدريس رئاسة الدعوة الطيّبيّة في فترة عصيبة شهدت فيها اليمن حروبا شديدة بين سلاطينها وأئمّتها، كما قاوم فيها عماد الدين إدريس - الذي كان يحالف السلاطين الطاهريين - أئمّة الزيديّة في شمال اليمن وافتك منهم العديد من الحصون والقلاع، وفي سنة 840 هـ/ 1346 م داهم منطقة جبل حراز وواجهه طاعون أودى بحياة العديد من أنصار الدعوة، ممّا اضطرّ عماد الدين إدريس للارتحال إلى شبام التي لم يعد منها إلى حراز - أهم معاقل الدعوة الإسماعيلية في اليمن - إلاّ في شعبان 853هـ/ نوفمبر 1449 م، يقول: «فسُرَّ أهل الدعوة بوصولي سرورا، وكانوا كمن غاب والده عنه ورجع بعد السفر البعيد». وقام عماد الدين إدريس بدور مهمّ في الاهتمام بدعوة الهند، ومهّد السبيل لتحوّل مراكز الدّعوة الإسماعيلية من اليمن إليها.

وعندما أحسّ عماد الدين إدريس بدنوّ أجله أوصى ولده الحسن بن إدريس بدر الدين ليخلفه في رئاسة الدعوة وعزّزه بابن عمّه عبد الله بن عليّ بن الحسن فخر الدين. وتوفّي عماد الدين إدريس يوم التاسع من ذي القعدة سنة 872 هـ/ 10يونية 1469 م بعد أن تولّى رئاسة الدّعوة اليمنيّة أكثر من أربعين عاما.

آوثاره

يعد عماد الدين إدريس «أكبر مؤرخ للدعوة الإسماعيلية» بالرغم من تأخره الزمني، ويرجع السبب في ذلك إلى وضعه كداع مطلق للدعوة الطيبيّة في اليمن الذي أتاح له الاطّلاع على التراث الإسماعيلي المحفوظ في اليمن، والذي انتقل قسم كبير منه إليها في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أثناء سفارة القاضي الملك بن مالك الحمادي إلى مصر، ثمّ بعد استتار الإمام الطّيب بن الآمر في سنة 524 هـ/ 1130م، واحتفظت به مؤسسة الدعوة في اليمن التي تولّى هو رئاستها في عام 832 هـ/ 1428م، وكتب عماد الدين إدريس العديد من المؤلفات التاريخيّة والعقائديّة التي اعتمد فيها على هذه المصادر التي لم تصل إلينا.

وقد أشار قطب الدين برهانبوري إلى مؤلفات عماد الدين إدريس التي يمكن أن نقسّمها إلى: مؤلفات تاريخية، تناولت تاريخ الدعوة الإسماعيلية عموما، وتاريخ اليمن، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية فيه، حيث يعدّ إدريس خير من يؤرّخ له باعتباره من أبناء اليمن، ومؤلفات عقائديّة في الردّ على أهل الفرق الأخرى، وممّا أشار إليه من هذه المؤلفات ثلاثة أعمال تاريخية هي:

1 - عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبيّ المصطفى المختار ووصيّه عليّ بن أبي طالب

قاتل الكفار وآلهما الأئمّة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفّار.

ويعد هذا التأليف أهمّ كتاب يؤرخ للدعوة الإسماعيلية منذ نشأتها وحتّى النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. يقع في سبعة أجزاء أطلق المؤلّف على كل جزء منها «سبع»، وهو لفظ ذو دلالة عند الإسماعيليين الذين يعرفون أيضًا بـ«السبعيّة» نسبة إلى إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وأهمّ هذه الأسباع (الأجزاء): السبع السابع، الذي تناول بتفاصيل غنيّة وبالغة القيمة تتمّة عهد المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية في اليمن، والانشقاق الذي أعقب وفاة المستنصر، وعهد المستعلي بالله والآمر بأحكام الله وبداية فترة الدعوة الطيّبيّة في اليمن، كما يشتمل على تفاصيل مهمّة حول مختلف دعاة اليمن.

ويُظنّ أنّ إدريس بدأ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتابه «زهر المعاني» سنة 838 هـ/ 1434م.

نشر من الكتاب الدكتور مصطفى غالب الأجزاء الرابع والخامس والسادس، وصدر الرابع عن دار تراث الفاطمي في بيروت سنة 1973، والخامس والسادس عن دار الأندلس في بيروت ما بين السنوات 1975، 1978.

كما نشر الدكتور فرحات الدشراوي قسما من الجزء الخامس بعنوان: تاريخ الدولة الفاطميّة بالمغرب (المهدي - القائم - المنصور - ثورة أبي يزيد) تونس 1979م.

ثمّ نشر الدكتور محمد اليعلاوي الجزأين الخامس والسادس بعنوان: «تاريخ الفاطميّين بالمغرب»، - القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، بيروت - دار الغرب الإسلامي 1985م، وحقّق كاتب هذه السطور السبع السابع وقد صدر عن معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن 2 - نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، وهو الكتاب الوحيد الذي يبيّن بصورة واضحة تاريخ الدعوة الإسماعيلية في اليمن متّصلا من أيّام منصور اليمن بن حوشب حتّى أيام المؤلف، وعلى الأخصّ منذ سقوط الدولة الصّليحية سنة 532 هـ/ 1138 م وحتّى سنة 853 هـ/ 1449م، ويعطي المؤلّف أهمّية خاصة للدعوة الإسماعيلية في الهند والعلاقات بين الطائفتين الإسماعيليتين في اليمن والهند. منه نسخة في مجلّدين بالمكتبة المحمّدية الهمدانية، ونسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء كتبت في القرن الثالث عشر الهجري في 17 ق (مصورة في دار الكتب المصريّة برقم 2253 ميلكروفلم)، قام بتحقيق الكتاب وأعدّه للنشر الأستاذ سامر طرابلسي بالجامعة الأمريكية ببيروت) 3 - روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، وهو كالذيل على كتاب «نزهة الأفكار» حيث يبدأ بحوادث سنة 854هـ/ 1450م ويستمرّ في ذكر الحوادث حتّى سنة 870 هـ/ 1466م. وهو مصدر هام لتاريخ الدولة الطاهريّة التي خلفت الدولة الرسوليّة في حكم اليمن، لأن إدريس كان حليفا لهم. والكتاب كذلك مصدر هام لتاريخ حياة إدريس والدور الذي قام به كرئيس للدعوة الطيّبيّة في بلاد اليمن منه نسخة وحيدة كتبت سنة 991 هـ/ 1583م محفوظة في مكتبة جامعة ليدن

برقم 1972 نشرها في عام 1995 محمد بن علي الأكوع الحوالي، وصدرت في صنعاء عن الهيئة العامة اليمنيّة للكتاب.

ولاحظ السيد حسين الهمداني - أول من نبه إلى أهميّة مؤلفات عماد الدين إدريس التاريخيّة واعتمد عليها - بحقّ أن كتاباته لا تخلو في بعض الأحيان من المحاباة والتحيّز، ومن الحبّ المفرط والكراهيّة الشديدة، مما يترتّب عليه أحيانا طمس الحقيقة وتحريف الوقائع وحذف بعض الحوادث، الأمر الذي يبدو من مقارنته بالمصادر التاريخيّة الأخرى. ورغم ذلك فإن المؤلف لا يميّز بوضوح بين المصادر الإسماعيلية والمصادر الأخرى المعادية لها ولا يحدّدها 4 - زهر المعاني في توحيد المبدع الحق سبحانه، ومعرفة الكمالين الأول والثاني وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحاني في الحقائق، نشره مصطفى غالب، وصدر في بيروت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر سنة 1991م 5 - رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف شهر رجب الأصبّ 6 - رسالة في الردّ على الزنديق المسمّى بالجمل وتعرف على بعض المعطلين 7 - الرسالة الموسومة بمدحضة البهتان وموضّحة الحقّ في صوم شهر رمضان 8 - رسالة في الردّ على عالم من علماء الزيدية وهدم ما بناه في كتابه من المحال 9 - رسالة زبدة السرائر وتعرف أيضًا بـ«ضياء البصائر وزبدة السرائر 10 - إيضاح الإعلام وإبانة الحجّة في كمال عدّة الصيام في أن الصيام بالحساب لا بالرؤية وأن شهره ثلاثون يوما لا ينقص من عدّته أبدا، والمصدر الرئيس فيه هو «المجالس المؤيدة» 11 - ديوان شعر، وصفه برهانبوري بأنّه عظيم الشأن، واضح البيان، فيه رموز وإشارات ولمح وتلويحات.

المصادر والمراجع

● برهانبوري، قطب الدين، منتزع الأخبار في الدعاة الأخيار، 166-175 ● المجدوع، فهرسة الكتب والرسائل، 73-77، 150-151 ● غالب، مصطفى، أعلام الإسماعيلية، بيروت، دار اليقظة العربية 1964، 137-139 ● أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، 180-183 ● الزركلي، الأعلام، الطبعة الرابعة، 1/ 279 ● كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 216 ● الخربوطلي، علي حسني عماد الدين، إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي، (794-872 هـ) مع دراسة للدعوة والمكتبة الفاطميّة في بلاد اليمن والهند، القاهرة 1973.

● Poonawla, I.K. Bibliography of Ismaili Literature pp.169-175; ● id E12 art. Idris b. al-Hasan Suppl. p.407; ● Duftary, F. the Ismailis, Their History and Doctrines, Cambridge 1955, pp. 258-259, 290-291; ● Ivanov, W. Ismaili Literature, pp.77-82.

د. أيمن فؤاد السيد
جامعة القاهرة

الإدريسي، الإمام محمد بن علي اليمني

(1293 هـ / 1877 م - 1341 هـ / 1923 م)

الإمام محمد بن علي اليمني الذي أقيمت على يديه إمارة الأدارسة باليمن والتي امتدت حتّى نجران والحديْدة على الساحل اليمني، وإلى قرب القنفدة من ناحية إمارة مكة المكرمة، وحتّى منطقة عسير، ونسبة إلى هذه الإمارة سمّي بالإدريسي.

وقد حكم تلك الإمارة في مقر قيادتها (العسير) أربعة عشر عامًا حتّى توفّي عام 1341 هـ/ 1923 م. حفظ القرآن الكريم وأخذ العلوم الدينية واللغوية على العلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي، وعلى يد الشيخ إسماعيل بن حسن عاكش في مدينة أبي عريش، ثم عاد إلى صبيا ومنها ذهب إلى مصر وبقي بها ست سنوات طالبًا بالأزهر حيث درس فيه العلوم المختلفة .

ويبدو أن الرجل كان محبًا للمعرفة في شتّى الفنون والعلوم التي درس منها في الأصول والفروع وعلوم الحديث والتفسير والشريعة والتصوّف، وتأثر كثيرًا بالطريقة الإدريسية المعروفة التي أسسها الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي وحصل على إجازات عدّة من مشايخ علماء المغرب والأزهر واليمن.

وقد تأثر السيد محمد بن علي بأحداث عصره وما كان يجري على ساحة البلاد الإسلامية ومؤامرات الاستعمار الفرنسي والبريطاني ومؤثرات السياسة الدولية فاختمرت في ذهنه فكرة الثورة على الأتراك، وقد أوثقت بعض المصادر أن الإدريسي مهّد لمرحلة الثورة بالاتصال بإيطاليا. ويذهب صاحب كتاب المخلاف السليماني أن مشاهداته في السودان وما خلفته ثورة المهدي من شهرة مدوية كانت إلهامًا له، بالإضافة إلى الانتصارات التي حققها محمد علي الكبير من قبل. كل تلك الأحداث كانت عوامل مساعدة شجعت الإدريسي على القيام بثورته.

ذهب الإمام الإدريسي إلى مصوع ومنها إلى الحجاز سنة 1313 هـ/ 1895 م حيث مكث فيها قرابة سنة أشهر، ثم غادرها إلى مصر. ويذكر العقيلي نقلاً عن أحد مرافقي الإمام الإدريسي في كتابه المخلاف، أن الإمام قام بمحاولة الثورة في إحدى قرى الصعيد وكاد يقبض عليه من قبل الحاكم المحلي لولا تدخل البعض من أصدقائه الذين أشاروا عليه بضرورة السفر إلى الوطن.

وتعد فترة وجوده بالقاهرة من العوامل الأخرى المساعدة للإمام على الإعداد لثورته بالعسير. فقد مهّد لها بالاتصال بأتباعه وشيوخ القبائل قبل أن يعود إلى صبيا سنة 1323 هـ/ 1905 م بطلب من والده الذي كان مريضًا، وهناك قام بنشاط كبير لنشر تعاليمه ومبادىء ثورته. وقد اصطدم بالأتراك لأول مرة في جازان وعسير وأعلن قيام (إمارة

الأدراسة) بعد أن تمكن من طرد الأتراك من مناطق نجران ومناطق أخرى مجاورة.

للإمام الإدريسي اليمني دور كبير في نشر تعاليم أحمد بن إدريس، فقد ترجم له وجمع مناقبه ونسخ مخطوطاته وألف رسالة في أوراده أزالت الكثير من الغموض فتح بها لمحبي الطريقة الإدريسية بابًا للوصول إلى مقاصدهم في معرفة حقيقة الشيخ وطريقته عبر المجاهدات والرياضات والأذكار.

ويعتبر الإمام اليمني من أكثر أتباع الإدريسية إلمامًا بالطريقة في عصره. فقد جمع ما بين الثقافة الدينية السائدة آنذاك بالأزهر وبين التصوّف الذي درسه وعرف أسراره. وفوق ذلك فقد وهبه الله تعالى أسلوبًا بليغًا سهلاً، وقد عكف على نسخ بعض آثار المدرسة الإدريسية مما سهّل انتشارها.

ولعل وجود الإمام بمكة واليمن وما كان له من سلطة ونفوذ مكنه من الحصول على الآثار الخطية للعديد من آثار الشيخ أحمد بن إدريس وتلامذته، ممّا أعطى لرسائله ومدوّناته عنهم قوة وتأصيلاً حتّى عدّت مؤلفاته عن الإدريسية من أوثق المؤلفات.

آثاره

أهم آثار الإمام اليمني محمد بن علي هي: 1- ترجمة أحمد بن إدريس التي نقلها الشيخ صالح الجعفري في كتابه (المنتقى النفيس) وأصلها موجود في مكتبة مصطفى عبد العالي بالزينية بالأقصر 2 - دفع الاعتراض عن سيرة شفاء الأمراض، وهو رسالة مفقودة ورد ذكرها في كتاب (المنتقى النفيس) للجعفري 3 - الطريقة المرضية إلى معرفة الطريقة الإدريسية، وقد اشتمل على مقدمة وعلى ترجمة للمؤلف ومعظم أوراد الطريقة، بالإضافة إلى وصف مجالس العلم والمذاكرة للشيخ أحمد بن إدريس مع شرح لبعض الأحداث التاريخية والوفود التي كانت تصل إلى الشيخ من سائر أنحاء الجزيرة العربية 4 - قصائد كثيرة منها رائيته التي نظمها في مدح جدّه أحمد بن إدريس منها قوله:

إلى أين يا كنز الوجود تسير
وكل عسير في حماك يسير

وآخرها:

وأزكى الصلاة والسلام لجدكم
والسلام طيب وكثير

5 عددٌ من الرسائل الصغيرة من أهمها: رسالة الأوراد الإدريسية، التي حوت كل ما يحتاجه التلميذ المريد من وقت استيقاظه من نومه إلى حين ذهابه للنوم في ليله 6 - رسائل في الذكر وآدابه، والعلم اللدني، والشرعي، والخلوة وشروطها ونتائجها.

المصادر والمراجع

● دائرة المعارف الإسلامية، مادة الإدريسي، القاهرة د. ت ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، بيروت 1969 ● العقيلي، محمد أحمد، تاريخ المخلاف السليماني، الرياض 1982 ● اليمني، محمد بن علي، رسالة الأوراد الإدريسية، القاهرة 1978.

د. دريد عبد القادر نوري
جامعة الموصل ـ العراق

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله

(493هـ / 1100 م - 560 هـ/ 1164م)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، المعروف بالشريف الإدريسي لانتسابه إلى آل البيت من جهة، وإلى جدّه الأعلى إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب في القرن 2 هـ/ 8 م من جهة أخرى. ولقّبه ابن خلدون بالحمّودي نسبة إلى جدّه حمّود الذي انتزع بعض أبنائه الخلافة من الأمويّين بقرطبة زمن الفتنة الكبرى في بداية القرن 5 هـ/ 11 م. ويلقّب كذلك بالصقلّي نسبة إلى الجزيرة التي اشتهر بها وظهر نبوغه فيها.

من الرّاجح أنّ الإدريسي ولد بسبتة سنة 493 هـ/ 1100 م في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (ت 500هـ/ 1106م)، وعاش في عهد ابنه علي بن يوسف (ت 541هـ/ 1146م). ولعلّ إعجابه بالدّولة المرابطية وبجهودها في حماية بيضة الإسلام بالأندلس جعله متعلّقا بها إلى آخر حياته. وكان يرى في ثورة الموحّدين عليهم سببا في تداعي جدار الصدّ الذي أقاموه في شبه الجزيرة الإيبيرية ضدّ النصارى. وانطلاقا من مسقط رأسه تجوّل الإدريسي في المغرب الأقصى ودرس أحواله عن كثب. وليس غريبا أن يكون قد تجاوزه للتعرف على بعض المناطق الأخرى من إفريقيا.

قام الإدريسي وهو في سنّ الشباب برحلة إلى المشرق فزار مصر وأقام بها مدّة، ثمّ الأماكن المقدّسة قصد الحجّ. وأكيد أنّه مرّ ببلاد الشام في طريقه إلى آسيا الصّغرى التي وصلها سنة 510هـ/ 7-1116م. وخلال هذه الرّحلة التي دامت سنتين، درس الإدريسي الحساب والهندسة والجغرافيا والفلك.

رجع الإدريسي إلى وطنه متذمّرا. هل كان ذلك من معاملة لم تعجبه، أو سار في ذلك على عادة المغاربة في الشكوى أثناء رحلاتهم بالمشرق؟ هل اتّجه مباشرة إلى سبتة أو مرّ في طريقه بصقليّة، فقابل لأوّل مرّة ملكها؟ هذه أسئلة من الصّعب الإجابة عنها لقلّة معلوماتنا عن الإدريسي، لكن المتأكّد أنّه رجع إلى وطنه ومنه سافر إلى الأندلس، وأقام بقرطبة للدراسة، فتعرّف على كامل المدينة ووصفها بدقّة وخاصّة المسجد الجامع بها. ولاحظ الإدريسي بإعجاب كيف كان أهل الأندلس يعلّمون أطفالهم مادّة الجغرافيا على كرات أرضيّة يصنعونها خصّيصا لهذا الغرض. فهل أوحت له هذه الطريقة بصنع كرة أرضية لملك صقليّة فيما بعد؟ وانطلاقا من قرطبة تجوّل الإدريسي في أنحاء عديدة من شبه الجزيرة الإيبيريّة، بل إنّ هناك معلومات في كتابه «نزهة المشتاق» عن سواحل لشبونة وفرنسا وإنجلترا تدلّ على أنّه قد وصل إلى بعضها.

من الصّعب، اعتمادا على ما لدينا من مصادر ومراجع، أن نعرف كيف انتقل الإدريسي من سبتة إلى صقليّة ليلتحق ببلاط روجار الثاني؟

وكيف تعرّف عليه هذا الملك النّصراني؟ هل بلغ الإدريسي من الشّهرة ما جعل صاحب صقليّة يستدعيه مباشرة من مسقط رأسه إلى صقليّة؟ وهل كان لهذا الأخير هدف سياسي - عسكري من وراء استدعاء الإدريسي ذي النّسب العريق؟ نحن نرجّح أن يكون الإدريسي قد اتصل بروجار الثاني عن طريق فرع من عائلة بني حمّود كان يقيم بجزيرة صقليّة، وكان له جاه ونفوذ في العهد العربي احتفظ بهما حتّى بعد خضوع الجزيرة للنصارى. ولم تكن للملك الصقلّي من غاية في استدعاء الإدريسي إلاّ الجانب العلمي. فقد أراد أن يضع له كتابا علميًا في جغرافية العالم بأكمله، ويصنع له خريطة دقيقة لما هو معروف منه في ذلك الوقت.

كان بلاط هذا الملك المعجب بحضارة العرب يعُجّ بكثير من العلماء: من مسلمين ونصارى ويهود، شجّعهم روجار الثاني على الاستقرار بالجزيرة. وكان هذا البلاط بحقّ ملتقى لحضارتين عربيّة إسلاميّة وغربيّة مسيحيّة في جوّ من التّسامح الدّيني والحريّة الفكريّة قلّ نظيرهما في ذلك الزمن. وكان الملك نفسه عارفا بالعلوم الرّياضيّة شغوفا بجمع الكتب العلميّة العربيّة واليونانيّة.

دخل الإدريسي صقليّة سنة 533هـ/ 1138م، أي بعد حوالي نصف قرن من خروج الجزيرة من يد المسلمين وخضوعها للنّورمان سنة 483هـ/ 1090م. وتشجّع المسلمون على البقاء بالجزيرة لما أبداه حكّامها الجدد من تسامح تجاههم. فكانوا يمارسون شعائرهم الدّينية في أمن، ويقومون بنشاطهم التّجاري والفلاحي والصّناعي بكلّ حريّة. واستقرّ الإدريسي بين ظهرانيهم فأكرمه روجار الثاني وأكبره حتّى أنّه كان يجالسه في نفس المكان ببلاطه، ورتّب له جراية لا تكون إلاّ للملوك.

تفرّغ الإدريسي في بلاط روجار الثاني لمشروعه العلمي الكبير مستعينا بفريق من المساعدين وُضعوا تحت تصرفه. ولم ينته منه إلاّ بعد خمس عشرة سنة، أي سنة 548هـ/ 1154م. وما إن انتهى منه حتى توفّي روجار الثاني فخلفه ابنه غيوم الأوّل فألّف له الإدريسي كتابا في الجغرافيا، هو الكتاب الثاني المنسوب إليه في هذا الميدان. ورغم أن الإدريسي بقي مكرّما في بلاط غيوم الأول إلاّ أنّ الفتن التي جدّت في عهد هذا الملك لم تكن لتجعل الجوّ ملائما لأمثال الإدريسي من المسلمين للبقاء بالجزيرة، خاصّة وقد بدأت نُعرة التعصّب الدّيني فيها تبدو جليّة واضحة ضدّهم. ومع ذلك نظلّ نتساءل - نظرا إلى قلّة المعلومات - هل مات الإدريسي في صقليّة، أو انتقل إلى سبتة حيث مات سنة 560 هـ/ 1164 م أو سنة 564 هـ/ 1169 م؟

ولئن أهملت المصادر والمراجع أهمّ مراحل حياة الإدريسي ربما للعلاقة المتينة التي كانت تربطه بولي نعمته الملك النصراني روجار الثاني ملك صقلية في فترة اشتدت فيها الحملات الصليبية على العالم الإسلامي شرقا وغربا، مما جعل حياته يكتنفها كثير من الغموض، فقد اهتمّت اهتماما فائقا بكتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» الذي يعتبر في عصره أدقّ وثيقة في الجغرافيا بقسميها الطبيعية والبشرية، كما عدّ به الإدريسي أشهر عالم متخصّص في فنّ الجغرافيا منذ نشوئه إلى نهاية القرون الوسطى. لقد استدعى

روجار الثاني الإدريسي ليضع له كتابا يتمّ الاعتماد فيه بالدّرجة الأولى على المصادر المرئية لا المصادر المكتوبة، أي على المشاهدة لا على النّقل، فقام الإدريسي بانتقاء بعض أعوانه ومساعديه وأرسلهم إلى نواح عديدة من الكرة الأرضية، ومعهم رسّامون لوضع الخرائط للأماكن التي يزورونها. وبعد رجوعهم إلى صقليّة كانوا يقدّمون للإدريسي ما جمعوه من معلومات وخرائط فيسجّلها بعد فحص وتدقيق ومقارنة وتنخيل. ولئن انتهى من وضع كتابه سنة 548هـ/ 1154م، فأكيد أنّه بقي طيلة حياته يتعهّده بالتّنقيح والإصلاح من حين إلى آخر.

وضع الإدريسي لكتابه مقدّمة عامّة ذكر فيها معلومات عن الأرض وهيئتها، ومقدار المعمور منها، وأقاليمها السبعة، وبحارها.

ثمّ قام في مرحلة أولى بضبط أقاليم الأرض السبعة لإثبات درجات العرض وتحديدها. وفي مرحلة ثانية تحدّث عن كلّ إقليم في باب. ثمّ قسّم كلّ باب إلى عشرة فصول تناول في كلّ فصل جزءا من الإقليم فوصف مدنه وقراه ومداشره مبتدئا من الغرب في اتجاه الشرق، فضبط مواقعها، وحدّد المسافات بينها، وذكر عمارتها وخاصة المساجد والكنائس والقصور والحمامات والقناطر والأسوار، وعدّد محصولها الفلاحي وإنتاجها الصّناعي ونشاطها التجاري، وأشار إلى عادات سكّانها وأخلاقهم، ووصف الأنهار: منابعها ومجاريها، والجبال وتأثيرها، والبحيرات ومنافعها، وبيّن خصائص المناخ في كلّ جهة من الجهات.

اعتمد الإدريسي في وضعه لكتابه بالدّرجة الأولى على ما جمعه بنفسه خلال رحلته وتجواله وخاصّة في المغرب الأقصى والأندلس وصقليّة ومصر وآسيا الصغرى. كما اعتمد بدرجة ثانية على المعلومات التي كان يقدّمها له من أرسلهم لهذا الغرض وخاصّة إلى البلدان الأوروبية المحيطة بصقليّة. واعتمد بدرجة ثالثة على مصادر جغرافية مكتوبة، يونانية وعربيّة بالنسبة إلى الأماكن التي لم يتمكّن من جمع معلومات عنها بالطّريقة الأولى أو الثّانية كالهند وأطراف آسيا وإفريقيا. وهو لئن ذكر مجموعة من هذه المصادر في مقدّمته - وأغلبها يرجع إلى القرن 4 هـ/ 10 م - فأكيد انّه اعتمد على مجموعة أخرى لم يذكرها، فقد استفاد من علم اليونان وخاصّة من المدرسة الجغرافية الفلكية، ومن علم العرب وخاصّة من كتب المسالك والممالك. وهكذا بدا لنا الإدريسي بكتابه موسوعيّ المعرفة بالجغرافيا والفلك والحساب والتاريخ. وليس من باب المبالغة إذا أكّدنا أنّ هذا الكتاب مازال إلى اليوم مصدرًا جغرافيًّا وتاريخيا فيما يتعلّق ببعض أجزاء من المعمورة، فوصف الإدريسي لألمانيا وفرنسا وسكوتلندا وإيرلندا وسواحل بحر الشمال وصفٌ ينمّ على مقدرة ومهارة، ومعلوماته عن إفريقيا وخاصّة المناطق التي ازدهرت فيها الحضارة العربيّة والإسلاميّة معلومات جيّدة. وظفرت رومانيا وشبه جزيرة البلقان بتفاصيل دقيقة في ضبط الطرق التجاريّة. وما ذكره من وصف لألمانيا وبولندة وروسيا وآسيا الصغرى يعتبر مصدرًا أساسيًا لدراسة هذه البلدان في القرون الوسطى.

والإدريسي هو عالم في الجغرافيا بكتابه «نزهة

المشتاق»، وكذلك بما وضعه من خرائط جغرافية. فقد صنع - مع مساعديه - لوليّ نعمته روجار الثاني سبعين خريطة على عدد أجواء الأقاليم السبعة. وهذه الخرائط محفوظة في مختلف النّسخ الموجودة من كتاب «نزهة المشتاق». وبهذا العمل أوصل الإدريسي علم الخرائط وضعا علميّا مبنيّا على خطوط الطّول والعرض، ويعتبر عمله تتويجا لعلم الخرائط في القرون الوسطى بما فيه من دقة وضبط وتنوّع وتفصيل.

جاء في ترجمة الإدريسي أنّه وضع لروجار الثاني خريطة على إسطوانة من فضّة. فهل هذه الخريطة العامّة هي التي نقش عليها الإدريسي مجموع خرائطه السّبعين السّابقة ؟ هل هي نفسها الكرة السماويّة وخريطة العالم في شكل قرص وكلاهما من الفضّة؟ لئن يصعب علينا الإجابة عن هذين السؤالين لقلّة المعلومات فمن المتأكّد أنّ هذه الإسطوانة أو القرص هما غير الكرة الأرضيّة من الفضّة التي صنعها لروجار الثاني. وتاريخيّا هذه الكرة - التي رسم عليها الإدريسي صورة الأقاليم بمدنها وأنهارها وبحارها والمسافات التي بينها والمرافئ المعروفة فيها - حطّمها الثوّار في عهد غيوم الأول ونهبوا أجزاءها عند اقتحامهم قصر روجار الثاني سنة 555هـ/ 1160م.

لقد بقيت خرائط الإدريسي مرجعا لأوروبا في علم الجغرافيا لعدّة قرون، وانتقلت طريقته في صنعها إلى مدينة صفاقس بإفريقيّة/ تونس في القرون الوسطى، ثمّ إلى المغرب الأقصى في القرن 19. ويفترض أن هذه الخرائط وصلت إلى كريستوف كولمب فساعدته بطريقة غير مباشرة على اكتشاف العالم الجديد.

والسؤال يبقى: هل أنّ هذه الخرائط- بما في ذلك الإسطوانة والكرة الأرضية - هي تجسيم واختصار لما جاء في نزهة المشتاق من معلومات؟ وهذا يفترض أنّ الكتاب وضع أوّلا ثمّ صنعت الخرائط، أو أنّ هذا الكتاب هو وصف وتفسير لهذه الصّور والخرائط؟ وهذا يفترض أنّ الخرائط صنعت قبل تأليف الكتاب.

وخريطة الإدريسي المتداولة بيننا هي الخريطة التي استخرجها كونراد ميلر من الخرائط السبعين وطبعها كاملة في اشتوتغارت (1331هـ - 1926م) بالحروف اللاّتينيّة. وأعاد طبعها المجمع العلمي العراقي سنة 1951م.

ولذلك يعتبر الإدريسي القطب الثاني من قطبي علم الجغرافيا بعد بطليموس. ولئن كان اعتناء هذا الأخير بالجغرافيا عن طريق تطبيق ما درسه من فلك ورياضيّات، فإنّ الإدريسي محّض نشاطه لهذا الفنّ. وكان له بعض الاهتمام بالصيدلة والنبات زيادة على شغف بالأدوية وميل إلى قرض الشعر.

إنّ الإدريسي بما ألّف وما رسم وما صنع أكّد على كرويّة الأرض وقسّمها إلى سبعة أقاليم في اتجاه خطوط العرض، وقسّم كلّ إقليم إلى عشرة أجزاء في اتّجاه خطوط الطّول. وضبط خطّ الاستواء وكيفيّة تدرّج الأقاليم انطلاقا منه إلى القطب. وبيّن أثر البحار والجبال في المناخ وتوجيه الرّياح ونزول الأمطار. وهذه معلومات قد نراها اليوم بسيطة ولكنها خطيرة جدا في عهد الإدريسي. ومع ذلك يبقى صاحب كتاب «نزهة المشتاق»

عالما من علماء القرون الوسطى. فهو يعتقد بثبات الأرض وسط قبّة الفلك ودوران الكواكب الأخرى حولها، وبأنّ هناك جبلا عظيما محيطا بالأرض كلّها يسمّى جبل قاف. وهو لئن رفض بعض الأساطير كأسطورة الغربان في كنيسة الغراب بإسبانيا، وأسطورة شجرة الوقواق التي تثمر جواري، فقد مرّ مرّ الكرام على بعضها عند حديثه عن أسطورة مدينة روما أو أسطورة ياجوج وماجوج العالميّة، كما أنّ هناك بعض المآخذ على الإدريسي في تحديده للمسافات بين الأقاليم والمدن.

■ آثاره

1 - الجامع لصفات أشتات النّبات، ويعرف بكتاب الأدوية المفردة أو كتاب المفردات أو كتاب الصّيدلة. لا تُعرف سنة تأليفه، كما لا يعرف هل ألّفه الإدريسي قبل وصوله إلى صقلية أو بعده؟ وإذا كان قد ألّفه بصقليّة، فلمن ألّفه، ألروجار الثاني أو لغيوم الأول؟ توجد منه نسخة بمكتبة الفاتح بإسطنبول تحت رقم 3610. وكان المستشرق مايرهوف قد ترجم مقتبسات منه وقدّم فكرة عامّة عنه سنة 1929م في دراسة له حول علم النبات والصيدلة عند الإدريسي، وذكر أنّ به مقدّمة في علم النّبات ووصفا لثلاثمائة وستّين نباتا، مرتّبة حسب ترتيب الحروف الأبجدية، مع ذكر لأسمائها بالسّريانية واليونانية والفارسيّة واللاتينية والبربرية. ولا شكّ أن معلوماته تلك ترجع إلى إقامته في صقليّة حيث كان التراث اليوناني البيزنطي مازال متداولاً. ورغم أهمّية هذا الكتاب فإنه يعتبر من الدرجة الثانية بالنّسبة إلى المصنّفات العربيّة في هذا الميدان. وهو من الكتب التي اعتمدها ابن البيطار، مع كتاب الغافقي والزهراوي في وضعه لكتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية 2 - روض الأنس ونزهة النّفس، كتبه الإدريسي لغيوم الأول وهو في الجغرافيا. سمّاه أبو الفدا في كتابه «التّقويم» كتاب «المسالك». وصلنا من هذا الكتاب مختصر محفوظ في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا باسطنبول تحت رقم 688. ولهذا المختصر عنوان في أوّل المخطوط هو «أنس المهج وروض الفرج»، وعنوان في آخر المخطوط هو «روض الفرج ونزهة المهج»... تاريخ نسخه سنة 588هـ/ 192 1م. ويُعرف هذا الكتاب بالإدريسي الصغير تمييزا له عن «نزهة المشتاق» المعروف بالإدريسي الكبير 3 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ويعرف بالكتاب الرّوجاري، أو كتاب روجار. وصلنا منه ستّ نسخ كاملة مأخوذة من نسخة استطاع الإدريسي أن يبعث بها إلى بلد إسلامي أثناء الاضطرابات التي اندلعت بعد وفاة روجار الثاني. فضمن بذلك لكتابه الخلود.

ولهذا الكتاب مختصران: الأول عنوانه «جني الأزهار من الرّوض المعطار في عجائب الأقطار» توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس. والثاني عنوانه «كتاب الجغرافية الكلّية أي صورة الأرض» توجد منه نسخة اكتشفت في أوائل القرن 20 بمكتبة خاصّة.

ورغم أهميّة هذا الكتاب وشهرته لا نجد له إلى اليوم طبعة علميّة كاملة. فقد اقتصر الباحثون على تحقيقه أجزاء حسب البلدان. وفي معجم المطبوعات لسركيس (ص6-415)

نجد تفصيلا لهذه الطبعات الأوروبية المختصرة والكاملة، ومنها ما صدر مترجما إلى اللاتينية والإسبانية والإيطاليّة والفرنسيّة مع نصّه العربي ونشر ابتداء من القرن 17 إلى القرن 20. وتمّت أوّل طبعة عربيّة للكتاب بروما سنة 1001هـ/ 1592م. ترجمه إلى اللاّتينيّة بالدي سنة 1008هـ/ 1600م، واحتُفظ بالتّرجمة غير المنشورة في جامعة مونبيليي. وطبع لبنانيان هما جبريل صهيون وحنّا الحصروني القسم المتعلّق ببلاد النّوبة مع ترجمة لاتينية تحت عنوان Nubientis Geographia في بداية القرن 11 هـ/ 17 م، وتوجد من هذه الطبعة نسخة مصوّرة في دار الكتب المصريّة تحت رقم 265 جغرافيا.

طبع دوزي القسم الخاصّ بالمغرب والسّودان ومصر والأندلس بليون 1864، ثم نشره ساغدرا بمدريد 1881م مع تصويبات. وطبع كويدي القسم الخاص بالأندلس مع ترجمة إسبانيّة بمدريد سنة 1799م. كما اهتمّ هنري بيريس بطبع القسم الخاصّ بوصف إفريقيا الشماليّة والصحراويّة بالجزائر 1957م. وقام محمّد الحاج صادق بطبع القسم الخاصّ بالمغرب مع ترجمة للفرنسية بباريس 1983م.

وهناك طبعتان لنزهة المشتاق مصوّرتان بالأوفسيت عن إحدى الطبعات الأوروبية كلّ منها في مجلّدين: الأولى صادرة عن بيروت - عالم الكتب 1989م. والثانية عن القاهرة، دار الثقافة الدّينية بدون تاريخ.

المصادر والمراجع

● المقّري، نفح الطيب، تح. إحسان عبّاس، بيروت 1986 1968، ج. 1/ ص 127 - 129، 136، ج. 2/ ص 691، ج. 3/ ص 185 ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، القاهرة 1928، ص415-416 ● بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، القاهرة 1955م، ص312-316 ● ضيف، شوقي، الرّحلات، القاهرة 1956 ● أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة 1963 ● الصّعيدي، عبد المتعال، المجدّدون في الإسلام، القاهرة (د. ت)، مكتبة الآداب، ص231 ● حسن، محمّد عبد الغنيّ، الشريف الإدريسي أشهر جغرافيي العرب والإسلام، سلسلة أعلام العرب رقم 97، القاهرة 1971 ● مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط. 2، مدريد 1986، ص165-281 ● فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، تعريب نهاد رضا، ووضع حواشيه فاضل السباعي، إشبيلية 1997، ص81-83، 319، 331، 336-337، 345.

● De vaux, Carra. Les penseurs de l'Islam, Paris, 1921, pp.9-13; ● Nakhli, Mohamed. La géographie et le géographe Idrisi: I.B.L.A vol. 5, Avril 1942, pp. 153-157; ● El Gharbaoui, Ali. Al-Idrissi, géographe et carthographe universel. Economie et socialiste, No 2, Avril-Juin 1986, pp: 139-148; ● Oman Giovani. A propos

du second ouvrage géographique attribué au géographe arabe al-Idrisi «Le Rawd al-uns wa nuzhat al-nafs», Floria Orientalia, vol. 12, pp.187-194; • Oman, Giovani. Encyclopédie de l'Islam: III, 1058-1061.

د. جمعة شيخة
الجامعة التونسية

الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين

(685 هـ / 1286 م - 748 هـ / 1347 م)

الإمام أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب، وقيل بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهّر بن نوفل الأدفوي الجامع بين الفقه والأدب [الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11، ص99؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 9، ص407؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص170؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 1، ص535؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 10، ص237].

ولد منتصف شعبان سنة 685هـ بأدفو بضمّ الهمزة وسكون الدال وضمّ الفاء، ويقال أتفو بالتاء المثنّاة، وهي قرية بصعيد مصر الأعلى بين أسوان وقوص، اشتهر أهلها بالعفّة والصدق والتحرّز في الأقوال، وعرفوا بإكرام الوارد، وإغاثة الملهوف، وإسداء المعروف، بها نخل كثيرة، وأشجار غزيرة، ولحم غنمها أطيب لحوم الإقليم، وبها صور مختلفة وأشكال متنوّعة، وفيها قال كمال الدين في الطالع السعيد [ص 16]:

لله أيام بأدفو قد مضتْ
بين الرياض أجيل فيها الناظرا
أنّى اتّجهتَ رأيتَ ماء جاريا
أجلُوا الهموم به وزهرًا ناضرا
وأشمّ من ريحانها وزهورها
مسكًا يفوحُ لنا ونشرا عاطرا
وبمائها وثمارها ولحومها
مثلٌ غدا بين البرية سائرا

انتسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو بكر محمد بن علي الأديب المقري صاحب النحّاس، وأبو علي الحسين بن إبراهيم بن جابر بن علي (ت 363 هـ)، وأحمد بن يوسف بن منجي الأدفوي (ت 679 هـ)، والحسن بن أبي الحسن بن أبي الحسين بن عبد الرحمان النميري (ت 710 هـ)، والحسن بن هبة الله بن عبد السيّد (ت 720 هـ) وإسماعيل بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن (ت 727 هـ)، وكان بها جمع كبير من أهل الرئاسة والمكارم، قال الخطيب

منتصر: «لما طلع ابن يشكور إلى البلاد خرج لمقابلته منها خلائق ممّن له عدالة ورئاسة، فتعجّب من ذلك، وقال: ما ظننت أن يكون في هذه البلدة مثل هؤلاء» [الأدفوي، الطالع السعيد، ص16].

كان الأدفوي ورعا فاضلا طارحا للتكلّف، ذا مروءة كبيرة، نوّه معاصروه بحميد خلاله وجليل خلقه، قال البدر النابلسي: «كان عاملا فاضلا متقلّلا من الدنيا ومع ذلك فكان لا يخلو من المآكل الطيّبة» [ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 1، ص536؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج 1، ص182]، وقال الصفدي «رأيته بسوق الكتب بالقاهرة مرّات وسمعت كلامه وأنشدني شيئًا من شعره وهو ضحوك السنّ» [الوافي بالوفيات، ج 11، ص100] وله نثر رائق ونظم جيّد منه:

إنّ الدروسَ بمصرنا في عصرنا
طبعت على غَلَطٍ وفرط عياط

ومباحثٌ لا تنتهي لنهاية
جدلاً ونقلُ ظاهرُ الأغلاط

ومدرّس يبدي مباحثَ كلّها
نشأت عن التخليطِ والأخلاط

ومحدِّث قد صار غايةُ علمه
أجزاء يرويها عن الدمياطي

وفلانة تروي حديثًا غالبا
وفلانٌ يروي ذاكَ عن أسباط

والفرق بين عزيزهم وغريرهم
وافصحْ عن الخيّاط والحنّاط

والفاضلُ النحرير فيهم دأبُه
قول أرسطاطاليس أو ابقراط

وعلوم دين الله نادتْ جهرة
هذا زمانٌ فيه طيّ بساطي

كان فقيها شافعيا أديبا شاعرا مصنّفا بارعا، ذكيّا كريما، مشاركا في علوم متعدّدة، سمع الحديث ورواه عن شيوخ قوص والقاهرة، وانتفع به خلق كثير، فقد أعاد بالمدرسة الصالحية، ودرّس قبل موته بأيّام يسيرة بمدرسة للحديث أنشأها الأمير جنكلي بن البابا بمسجده [الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11، ص99؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص170؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 10، ص237؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص556].

تخرّج بالإمام الكبير أبي الفتح محمد بن مجد الدين بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد، وهو شيخ مبرّز في العلوم النقليّة والعقليّة، حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من زمانه، ولا شكّ أنّ كمال الدين الأدفوي قد استفاد منه كثيرا بطول صحبته له، فقد لازمه فترة كفيلة بجعله إماما في الشرعيات، وتأدّب بجماعة أشهرهم الإمام أبو حيان العلاّمة أثير الدين كثيرا، وله معرفة تامّة بالتواريخ والآخبار وكثيرا ما يقيم ببلده أدفو، ببستان له فيها أيامَ بطالة الدروس ثمّ يعود إلى القاهرة [الوافي بالوفيات، ج 11، ص100].

توفّي يوم الثلاثاء سابع عشر صفر قبيل الطاعون الكبير الواقع في سنة 749 هـ، وعمره بين الستين والسبعين ودفن بمقبرة الصوفية [الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11، ص100؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1،

ص170؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 1، ص535؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص556؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص153؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج 1، ص182].

آثاره

ألّف في التراجم والموسيقى كتبا جيّدة أهمّها: 1 - الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، ألّفه بإشارة من شيخه أبي حيّان الأندلسي، قال: «أشار عليّ أن أعمل تاريخا للصعيد مرّة ومرّة وراجعني في ذلك كرّة بعد كرّة، فرأيت امتثال إشارته عليّ متعيّنا حتما والإعراض عن إجابته غرما لا غنما، فشرعت في هذا: التأليف مرتّبا له على الأسماء ولم أجد من تقدّمني فيه، فأكون له تابعا ولا من أسأله فأكون بما يريده جامعا» [ص 5]، وهو مصنّف مفيد يحتوي على تراجم أهل قوص وما يضاف إليها من القرى والبلاد، قصره على من له علم أو أدب أو صلاح بلغت رتبته فيه غاية الرتب، ورتّبه على حروف المعجم، أوّله: «الحمد لله محيي الرمم البالية، وناشر ما انطوى في الأيام الخالية، أحمده على نعمه المترادفة المتوالية، وأشكره أن جعلني من حملة العلم وحملته هم أهل الرتب العالية...» [ص 4]، وقد فرغ منه يوم الاربعاء رابع عشر من ذي القعدة الحرام سنة 738 هـ بالقاهرة المعزية بالمدرسة الصالحية ثمّ زاد فيه أسماء وتراجم وجعله إلى آخر سنة 740 هـ [ص 429-430]، توجد منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو 680 صفحة، ونسخ في أكسفورد وباريس [جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3، ص160]، وقد طبع مرّتين الأولى سنة 1914 م بتحقيق أمين عبد العزيز، والثانية سنة 1966 م بتحقيق الأستاذ سعد محمّد حسن، وراجعه د. محمد طه الحاجري وهذه الطبعة جيّدة محقّقة تحقيقًا علميّا تقع في 806 صتكفّلت بنشرها الدار المصرية للتأليف والترجمة 2 - الإمتاع في أحكام السماع، وهوكتاب نفيس لم يصنّف مثله كما شهد له التاج السبكي في التوشيح، وقد لخّصه أبو حامد المقدسيّ واقتصر على المقصود منه ورتّبه كأصله على مقدّمة وبابين وسمّاه تشنيف الأسماع، وهو بحث في ضروب الغناء من حيث جوازه أو تحريمه وفيه فوائد موسيقيّة عن آلات العزف والضرب أوّله: «الحمد لله الذي تنزّه في كماله.. إلخ»، توجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية (332 صفحة) [جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3، ص160] 3 - البدر السافر وتحفة المسافر في تراجم مشاهير القرن السابع وهو كتاب جرى فيه على طريقة وفيات الأعيان لابن خلّكان وهو مخطوط يحتوي على مجلّدين أحدهما في الفاتيكان، والثاني في مكتبة الفاتح بإسطانبول رقم 4201 [الزركلي، الأعلام، ج 2، ص123] 4 - فرائد الفوائد ومقاصد القواعد في الفرائض، مخطوط منه نسخة في مكتبة غوطا بألمانيا [جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3، ص160].

المصادر والمراجع

• ياقوت، معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ط 1، 1410 هـ / 1990م، ج 1، ص153 ● الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواد بأعلى الصعيد، المطبعة الجمالية بحارة الروم، مصر، ط 1332 هـ / 1914 م، ص4، 5، 6، 20، 16، 82، 98، 112، 114، 429 ـ 430 ● الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تح. محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمد بن عبد الله الشبلي، ط 2، 1394 هـ / 1974 م، ج 11، ص99-100 ● السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 1، ج 9، ص407 ● الإسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط 1، 1390هـ/ 1970 م، ج 1، ص170-171 ● العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ج 1، ص535-536 ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1352هـ/ 1933م، ج 10، ص237 ● السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط 1، 1387 هـ / 1967 م، ج 1، ص556 ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا، وكالة المعارف، 1362 هـ / 1943 م، ج 1، ص167، 230 ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ج 6، ص153، 183 ● الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، مصر، القاهرة، ط 1، 1348هـ/ 1929م، ج 1، ص182 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط4، 1399هـ/ 1979م، ج 2، ص122-123 ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مطبعة الترقّي، دمشق، 1376 هـ / 1957 م، ج 3، ص136 ● جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيّة، مطبعة الهلال بالفجالة مصر، ط 1913 م، ج3، ص160 .

د. برهان النفّاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الأُدفوي، محمد بن عليّ بن أحمد

(304 هـ / 916 م ـ 388 هـ/ 998م)

محمد بن علي بن أحمد (أو محمد) المصري، أبو بكر الأدفوي، نحوي مقرىء مفسّر. قد تدلّ نسبة الأدفوي على أنه ولد بقرية أدفو الكائنة بصعيد مصر قرب أسوان [معجم البلدان 1/ 126]، وضبطت هذه النسبة في بعض المصادر بالذال المعجمة [غاية النهاية، 2/ 1988؛ وطبقات النحاة، لابن قاضي شهبة 192].

لا تتوفر في المصادر معلومات مفصلة عن أسرته ومراحل حياته رغم تنويهها بعلمه وأدبه، على أنّها تشير إلى أنّه قرأ القرآن على أبي غانم المظفّر بن أحمد بن حمدان (ت333هـ/ 944 م) وهو مقرىء ونحوي ضابط حسب عبارة ابن الجزري [2/ 301]، وأتقن عليه قراءة ورش، وروى القراءات عن أحمد بن إبراهيم بن جامع السكري (ت بعد 340 هـ/ 951 م)، والعباس بن أحمد الأزدي النحوي، كما تتلمذ على أبي جعفر النحاس (338 هـ/ 950 م) تلميذ المبرد والأخفش الأصغر والزجاج، ويذكر القفطي [إنباه، 1/ 186] أن الأدفوي صحبه وروى كلّ تصانيفه، ما عدا كتاب المعاني الذي فاته منه سورة الحشر، وسمع من سعيد بن السكن كتاب السبع لابن مجاهد، كما سمع من العباس بن أحمد، وقد نوهت المصادر بتمكّنه من «علم العربيّة» كما نوّهت ببراعته في علوم القرآن وقد اعتبر أنّه «انفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع» برواية ورش [ابن الجزري، 2/ 198]، ولا يمكن أن يكون الأدفوي تتلمذ للمبرد حسب زعم ابن قاضي شهبة، ولعله خلط بينه وبين أستاذه ابن النحاس.

ولئن كان خشابا يرتزق من بيع الخشب فقد اضطلع بالتدريس «وقرأ عليه الأجلاّء واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء» حسب ما قاله القفطي، وقد كانت له حسب الذهبي «حلقة كبيرة للعلم» [العبر في خبر من غبر، 3/ 53]. واعتبره القفطي أيضا «سيد أهل عصره في مصره وغير مصره» وكانت وفاته في ربيع الأول من سنة 388 هـ.

وقد أخذ القراءة عنه محمد بن الحسين بن النعمان (ت 378 هـ/ 988 م)، والحسن بن سليمان بن الخيّر (ت 399 هـ/ 1008م)، وعبد الجبار بن أحمد الطرسوسي (420هـ/ 1029 م)، وعتبة بن عبد الملك (ت445هـ/ 1053م)، وأبو الفضل الخزاعي، كما قرأ عليه ابنه أبو القاسم أحمد بن أبي بكر الأدفوي.

وفي التفسير روى عنه أحمد بن سهيل الأنصاري الطيطلي ويعرف بابن الحداد، وأحمد بن محمد الأموي، وأبو إسحاق القراب [الأدفوي، الطالع السعيد، ص306]. وبذلك نجد أن الأدفوي برع في علوم متلازمة بعضها مع البعض الآخر، وهي النحو والقراءات.

آثاره

يشير القفطي إلى أن الأدفوي ألّف كتبا عدّة في التفسير لكن لا نجد ذكرًا إلاّ لثلاثة وهي:
1 - الاستغناء في علوم القرآن، وهو أكبر كتاب صنف في التفسير جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره من التفاسير. وقيل بلغت مجلداته مائة وعشرين مجلّدا إذ أوقف نسخة منه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، اليد اليمني للسلطان صلاح الدين الأيوبي، في مدرسته الفاضلية في القاهرة، وقد وردت أرقام مختلفة عن مجلدات هذا التفسير لدى مترجمي الأدفوي، ويعود هذا على الأرجح إلى أن بعضهم لم يطلع عليه كاملا، أو أنّه اطلع على نسخ مختصرة من قبل النساخ والوراقين، أو يعود الأمر إلى حجم الورق المستخدم، أو إلى طبيعة حجم المكتوب فيه. أما في علم القراءات فقد أشير إلى أن له كتابا في هذا العلم اسمه «أدب القارىء والمقرىء» رواه عنه تلميذه محمد بن عبد الواحد الزبيدي البغدادي، ولم يشر إلى عدد أجزاء هذا الكتاب أو إلى ما تناوله من موضوعات علم القراءات [الإشبيلي، فهرست، ص75] 2 - الإحالة، وقد ردّ على من هاجم هذا الكتاب أحد القراء المشهورين مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ/ 1045م) القيرواني أصلا والقرطبي سكنا في كتاب سمّاه «الانتصاف فيمن ردّ على أبي بكر الأدفوي في كتاب الإحالة» 3 الإقناع في أحكام السماع.

المصادر والمراجع

● ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، 1/ 120 ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة 1374 هـ/ 1955 م، 3/ 186-188 ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجستراسر، بيروت 1352 هـ/ 1933 م، 2/ 198 ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح. فؤاد السيّد، الكويت، 1961، 1/ 53 ● الصفدي، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، 1334 هـ/ 1974 م، 4/ 117 ● الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح. محمّد المصري، دمشق 1392 هـ/ 1972 م، ص238-239 ● السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1387هـ/ 1967 م ● م. ن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1384 هـ/ 1964 م، 1/ 189 ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، 3/ 130 ● كحالة، رضا، معجم المؤلفين، دمشق، 10/ 305 ● ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف بمصر، 1968، ص334 ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب البكر ورمضان عبد التواب 4/ 16-17 ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 274.

د. رعد محمود البرهاوي
جامعة الموصل
د. عبد القادر المهيري
جامعة تونس

أدهم، إبراهيم باشا بن محمود الإسطنبولي

(1199 هـ/1785 م ـ 1282 هـ/1865 م)

ألف كتبا قيّمة في الرّياضيات في النصف الأوّل من القرن الثالث عشر الهجري، التّاسع عشر الميلادي، وهو عالم عثماني بذل جهودا كبيرة للتّعريف بالعلوم الغربيّة، غير أننا لا نملك معلومات واضحة بشأن حياته والمعروف أنه ولد في إسطانبول في عام 1199هـ/ 1785م، واسم أبيه محمود، ولا نملك معلومات صحيحة عن الفترة الأولى من حياته. والمعلومات المؤكدة التي نعرفها عنه تبدأ اعتبارا من عام 1216هـ/ 1801م حيث كان في هذا التاريخ «باش ملازم» في دار الهندسة السّلطانية، وقد تمّ تعيين الخليفة الثّاني لدار الهندسة السّلطانية حسني رفقي تماني (ت 1232هـ/ 1817م) رئيسا للمعلّمين وذلك في عام 1216هـ/ 1801م، وقرّر أن يجتاز الشّخص الذي سيحلّ في منصبه القديم امتحانا، وأجرى الامتحان بتاريخ 10 شوال 1216 الموافق لـ 16 ديسمبر 1801، وكان إبراهيم أدهم من الذين دخلوا الامتحان واجتازه بنجاح وحصل على درجة (عليّ الأعلى قوي) فأصبح بذلك الخليفة الثاني في دار الهندسة السلطانية. ويفهم من قائمة المرتبات أنّه كان يشغل هذا المنصب حتى عام 1222هـ/ 1807م، وفي هذا التاريخ عزل السلطان سليم الثالث بسبب ثورة كباكتشي مصطفى، وتوقفت عمليّة الإصلاحات التي هدف إليها النظام الجديد، وقطعت المرتبات عن العاملين في دار الهندسة. ويعتقد أن إبراهيم أدهم ذهب إلى مصر بعد هذا التاريخ ودخل في خدمة محمد علي باشا.

وعندما وصل إلى مصر عيّن معلما في دار الهندسة المصرية، وفي هذه الأثناء وبأمر من سر عسكر إبراهيم باشا، كان إبراهيم أدهم يقوم ببناء الجسور ورسم الخرائط وتقديم دروس في الجبر للضبّاط، ثم أرسل بعد ذلك إلى أوروبا. وفي أحد القصور بإيرلندا صمّم أضخم تلسكوب شهده العالم في تلك الفترة إذ يبلغ طوله 55 قدما وقطره ستة أقدام. وفي فرنسا اطلع على دراسات جيودي زي في المقاييس والمعايير، وتوفي في القاهرة عام 1282هـ/ 1865م.

وكان العالم الإسلامي يشهد انحطاطا وتخلّفا بالنظر إلى العالم الغربي في الفترة التي عاش فيها إبراهيم أدهم، وهو مثله مثل كثير من المفكرين والمستنيرين المسلمين، يتّضح من خلال أسلوبه وجهوده في مؤلفاته اقتناعه بأن إيقاف هذا التدهور والعودة بالعالم الإسلامي إلى ماضيه التليد، يمرّ عبر الاستفادة من العلوم التطبيقية والتكنولوجية الغربية، وهو عالم سعى بمؤلفاته لتحقيق هذا الهدف. ويحسن بنا أنّ نذكر بأن إبراهيم بن أدهم لم يلتفت إليه من قبل كتاب السّير الأتراك، وذلك لأنّه قضى جزءا كبيرا من حياته في مصر

كما لقي المصير نفسه من كتّاب السّير العرب بسبب أنه لم يترك مؤلّفات باللّغة العربية.

آثاره

1 ـ إنّ مؤلفات إبراهيم أدهم باشا في الرّياضيات لفتت انتباه الباحثين وشغلتهم أكثر من قصة حياته. ويعتبر كتابه «ترجمة أصول الهندسة» أكثر مؤلفاته التي تمّ التّوقف عندها وهو ترجمة لكتاب ليكندر (1752-1834) الذي يحمل عنوان: Eléments de Géométric ويعتبر هذا الكتاب أهم مرجع في الجبر في فترته، وقد نشر لأوّل مرة في عام 1794، وحتى وفاة المؤلف تم طبعه عشرين مرة. ويبين إبراهيم بن أدهم أن الإثباتات الموجودة في هذا الكتاب هي أدلة بسيطة وقصيرة، وقد ترجمه ترجمة حرة مضيفا إليه بعض القواعد من كتاب لاكروا (1765-1843) في الجبر. وفي نهاية التّرجمة أضاف بابا متعلقا بالوحدات الجديدة في المقاييس وأضاف أيضا أربع عشرة لوحة (شكلا) كما كتب ملاحق للأبواب الأوّل والرّابع والسادس والسّابع من الكتاب. ويشرح إبراهيم أدهم في القسم المتعلّق بالمقاييس التي أضافها إلى نهاية الكتاب الجهود التي قام بها كل من ديلامبر (1749-1822) وميشان (1744-1804) لإثبات أنّ المتر هو وحدة الطّول، وبذلك أكمل المعلومات التي قدمها حسين رفقي تماني.

وقد استطاع إبراهيم أدهم باشا أن يستنبط بأنّ المتر = ذراعا = 7 أصابع = 6 خطوط = 6 نقاط = 6 ذرات، وهذه القيمة توصّل إليها عبر الاستفادة من النسب التي استنتجها حسين رفقي تماني الذي أجرى مقارنة تفصيليّة بين المقاييس العثمانية والمقاييس الأوروبية، وكذلك استفاد من التّعريف المتري لوحدة القياس المسماة بالـ«يوس» حيث إنّ المتر = 36.941328 يوسا. وعبّر إبراهيم أدهم باشا عمّا توصّل إليه من قياس للـ «المتر» بالتّعبير الرّياضي العشري كالآتي: المتر = 1.3193331 ذراعا، والذّراع = 0.757986 مترا. وبينما كان إسحاق أفندي المتوفى سنة 1252 هـ/ 1836 م كبير الأساتذة في مدرسة المهندسين (المهندس خانه) قد علم طلاّبه استخدام النسب والمقاييس المترية في حساباتهم كنوع من التسهيل، إلاّ أنّ استخدامهم ظلّ لها محدودا. ولكنّ إبراهيم أدهم كانت له وجهة نظر أخرى من النّسب التي استنتجها حسين رفقي تماني في إيجاد قيم المقاييس الوزنية العثمانية بالمقياس المتري، أي أنّ كلّ 152 درهمًا = ليبرة واحدا، وكلّ 400 درهم (أقّة واحدة) = 2.6315789 ليبرة، وأنّ كل 2.042877 ليبرة =1 كغ، وأنّ كلّ 2.6315789 ليبرة (أقّة واحدة) = 1.288172 كغ، وأنّ 1 درهم = 3.2204359 غم، وكذلك 1 أقة = 1288.172 غراما، وأنّ 1 غراما = 0.316517 درهما.

وقد تناول إبراهيم أدهم في كتابه شيئا من البحوث القديمة والحديثة في علم الرّياضيات على صعيد العالم الإسلامي مع إيراد تعليقاته عليها، وقدّم كذلك شرحا عن تطوّر علم الرّياضيات التّاريخي. ومن بين الأمور التي تحدث عنها نجد موضوع مساحة الدائرة، وكذلك إيجاد جذور الأعداد غير النّسبيّة بالإضافة إلى حديثه عن «تثليث الزّاوية» أو

طريقة تقسيم الزّاوية إلى ثلاثة أقسام التي ابتكرها حسين أفندي الملقب بـ «مصدريّه جي زاده» (ت 1240 هـ/ 1825 م).

إنّ تثليث الزّاوية التي ابتكرها حسين أفندي تتمثل في تقسيم الزّاوية إلى ثلاثة أقسام باستخدام الفرجال والمسطرة فقط. وكانت هذه المسألة الشّغل الشّاغل لجميع المهتمّين بعلم الرّياضيات منذ القرن الخامس قبل الميلاد، إلاّ أنّ حسين أفندي استطاع أن يبتكر طريقة لذلك عندما كان الخليفة الأقدم في المهندسخانه سنة 1237هـ/ 1821م. وكان المسلمون الأوائل قد سلطوا عليها الضوء من قبل. واستطاع حسين أفندي أن يبرهن على طريقته الرّياضية أمام جميع الأساتذة والخلفاء العاملين في المهندسخانه، وقد صدّق هؤلاء جميعا على رسالة طبعها سنة 1238 هـ/ 1822 م في إسطانبول بعنوان «رسالة القوس وتثليث الزاوية».

ويبين إبراهيم أدهم أفندي في كتابه «ترجمة أصول الهندسة» أن الإثباتات التي توصل إليها مصدريجي زاده هي إثباتات خاطئة، كما بيّن أنه لا يأمل في حل المسائل بواسطة علم الجبر، وأنه لم يقطع صلته بعلماء الجبر.

وينبغي أن نبيّن كذلك أنّ هذا الكتاب، ومن قبله الكتاب الذي ترجمه حسين رفقي تماني من كتاب جون بوني كاسل عام 1797 اللّذين يدوران حول الموضوع نفسه، قد دفع علماء الرياضيات العثمانيّين إلى ترك الفكرة القائلة بأنّ الجبر الأرتميطيقي كان يعتمد على جبر أوقليدس.

نشر كتاب «ترجمة أصول الهندسة» في عام 1252هـ/ 1836م في بولاق باللّغة التّركية، وبعد عامين قام محمد عصمت بترجمته إلى اللّغة العربية، وطبع الكتاب في بولاق في عام 1255هـ/ 1839م، وقام سموحي سونر في عام 1964 بإجراء دراسة حول الكتاب، وكانت دراسته هذه عبارة عن مقال بعنوان حول الكتاب «أصول الهندسة لإبراهيم أدهم باشا»

Felsefe Arastirmalari Enstitüsü Dergisi Arastirma, II, 1964, s. 145.

وكتبت فضاء كوناركون مقالا حول النّظام المتري الذي شغل حيزا من الكتاب

«Ösmanli Ölçü ve Tartilarnin Eski Fransiz Metre Sistemlerindeki Esdegerli: Ilk Karsilastirmalari ve Cevirme Cetvelleri» Osmanli Bilim Arastirmalari, II, Istanbul, 1998, s. 34-35.

2 ـ ولإبراهيم أدهم كتاب آخر بعنوان «ترجمات الكتاب لاستعمال جداول الأنساب» (اللوغاريتمات)، وهو ترجمة لكتاب عالم الرّياضيات الفرنسي جون فرانسوا كالتي (1744– 1799) والمسمى بـ Table de Logarithmes، وأكمل إبراهيم أدهم ترجمة هذا الكتاب في ذي القعدة 1220 الموافق ليناير 1806 وذلك عندما كان يشغل منصب الخليفة الثّاني في دار الهندسة، وقدّم الكتاب إلى السّلطان سليم الثالث. ويعتبر هذا المؤلّف الكتاب الرّابع الذي ألّفه في مجال الرّياضيات عند العثمانيين. والمؤلفات السابقة هي: «رسالة اللّوكاريتما» لصاحبها رفقي حسين تماني و«مجموعة العلوم

الرّياضية» لباش خوجا إسحاق أفندي، و«شرح جداول الأنساب» (شرح اللّوكاريتما) لكلان بوي إسماعيل أفندي الذي توفّي عام 1205هـ/ 1790م.

وتوجد نسخ كتاب «ترجمات الكتاب لاستعمال جداول الأنساب» (اللّوكاريتما) في خزينة طوب قابي سراي تحت رقم 592، والمكتبة الوطنية تحت رقم 636ش، ومعلّم جودت تحت رقم 18ل، ولم يطبع الكتاب إلى حدّ الآن.

3 ـ والكتاب الثّالث لإبراهيم أدهم عبارة عن رسالة بعنوان «سطح المستوي»، وهو عبارة عن ترجمة لكتاب فرنسي، ترجمه عندما كان الخليفة الثّاني لدار الهندسة. وفي نهاية التّرجمة يوجد النص الفرنسي مع الأشكال، وتوجد النسخة الوحيدة من الكتاب في طوب قابي سراي ينيلار تحت رقم 213، ولا توجد نسخة مطبوعة لهذا الكتاب.

وقد بدأ إبراهيم أدهم في ترجمة كتاب في الجبر من مجلدين إلاّ أنّه لم يتمكن من إتمامه.

المصادر والمراجع

• Mehmed Esad, Mir at-i Mühendishane, Istanbul 1312, s.74; • Adnan Adivar, Osmanli Türklerinde Ilim, s.207 ,221; • Semuhi Soner, Ibrahim Edhem Pasa'nin Kitab-i Usul al-Hendese'si Hakknda, DTCF, Felsefe Arastirmalari Enstitüsü Dergisi Arastirma, II, 1964, s.145-178; • Tanzimattan Cumhuryet'e Türkiye Ansiklopedisi, I, 163, Istanbul , بدون تاريخ Kemal Beydilli, Türk Bilim ve Matbaacilik Tarihinde Mühendishane Matbaasi ve Kütüphanesi (1776-1826), Istanbul, 1995, s.50-51; • Mustafa kaça, «Osmanli Devleti'nde Bilim ve Egitim Anlayisindaki Degisimler ve Mükendishanelerin Kurulusu», IU, Sosyal Bilimler Enstitüsü Doktora tezi, 1996, s.151-152; • Melek Dosay, Ibrahim Edhen Pasa, OTAM, VII Ankara 1997, s.113-117; • Feza Günergün, Osmanli Ölçü ve Tartilarinin Eski Fransiz ve Metre Sistemlerindeki Esdegerleri: Ilk Karsilastirmalar ve Cevirme Cetvelleri, Osmanli Bilim Arastirmalari, II, Istanbul, 1998, s.250-252; • Yasamlari ve Yapitlariyla Osmanlilar Ansiklopedisi, I, 620, Istanbul 1999; • OMLT, s.337-339; • Melek Dosay, Kösedogan, «Osmanlilarda Batililasma Döneminde Matematik», Osmanli, VIII, Ankara 1999, s.395-396.

د. محمد سردار بكار
جامعة إسطنبول ـ تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي
السودان

ابن أدهم، أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم

(... هـ / ... م - 161 هـ / 777 م)

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد التميمي البلخي، زاهد ومحدث من بلخ، ويقال له العجلي.

ولد ابن أدهم في حدود المائة هجرية حسبما ذكر الذهبي [سير أعلام النبلاء، 7/ 287]، ومسقط رأسه في مكة حيث حج أبوه رفقة أمه وهي حبلى به [الوافي بالوفيات، 5/ 318]. ونشأ في بلخ من أعمال خراسان في أسرة غنية وجيهة [صفة الصفوة، 4/ 152]، وقال عنه ابن خلكان إنه من أولاد الملوك [وفيات الأعيان، 1/ 31] ونقل أبو نعيم أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان.

أخذ رواية الحديث عن أبيه، وعن ثلّة من كبار التابعين من أمثال أبي إسحاق السبيعي، ومحمد بن زياد الجمحي صاحب أبي هريرة، وأبي حازم، وقتادة، ومالك بن دينار، وسليمان الأعمش، وأبان، ومنصور، وغيرهم... وصحب الثوري، والفضيل بن عياض بمكة [البداية والنهاية، 10/ 318] كما أخذ عن مجموعة من تابعي التابعين [صفة الصفوة، 4/ 152] وروى عن أبي جعفر الباقر [الوافي بالوفيات، 5/ 318]. وهناك اختلاف في سنة وفاة ابن أدهم ومكان دفنه، حيث يذكر ابن خلكان [1/ 32] أنه توفي سنة 140هـ/ 756 م في الجزيرة وحمل إلى صور فدفن هناك، لكن معظم المصادر تجعل وفاته بين 160 و 166 هـ/ 776-783 م أثناء مشاركته في القتال ضد البيزنطيين [دائرة المعارف الإسلامية، 1/ 33]، ورجح الزركلي وفاته سنة 161 هـ/ 777 م ودفنه في سوفنن (حصن من بلاد الروم) [الأعلام، 1/ 24].

خرج ابن أدهم من خراسان لطلب العلم مع مجموعة كبيرة من الفتيان، من بينهم عبد اللّه بن المبارك [حلية الأولياء، 3/ 367] وتنقل بين بغداد وأرجاء العراق، والحجاز، والشام، ولقي عددًا كبيرًا من الفقهاء، والعلماء وصحب بعضهم، من أمثال أبي حنيفة في العراق، وعبد اللّه بن المبارك، وفضيل بن عياض في الحجاز، والإمام الأوزاعي في الشام وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. ثم استقر أخيرًا في الشام حيث آثر التخلي عن رواية الحديث وتفرغ للزهد والتربية الروحية [وفيات الأعيان] رغم ما يقال من أنه بلغ درجة الاجتهاد، وعرف ذلك عند الخاص والعام، ولكنه كان يمتنع عن الإدلاء باجتهاداته خوفا وورعًا [شذرات الذهب، 1/ 255].

وتتلمذ عليه وأخذ عنه الحديث ورواه عنه عدد كبير من بينهم شقيق البلخي، وبقية بن الوليد، وسفيان الثوري، وأبو إسحاق الفزاري، ومحمد بن حميد، وضمرة بن ربيعة، وخلف بن تميم، وحكى عنه الأوزاعي. ووثقه المحدثون، ومنهم النسائي الذي وصفه

بأنه ثقة مأمون [ابن كثير، 10/ 13] وأورد ابن العماد الحنبلي تعجب اليافعي من نقل الذهبي توثيق بن أدهم عن النسائي لوحده، إذ إن ذلك قد يشعر بأن هناك من لم يوثقه [الشذرات، 1/ 255] وذكر ابن كثير [10/ 138] أن البخاري روى عن إبراهيم بن أدهم في كتاب الأدب، وأخرج له الترمذي حديثا في صحيحه.

آثاره

لم تذكر المصادر أن ابن أدهم صنف كتابا، وذكر الزركلي [الأعلام، 1/ 24] أنه توجد في المكتبة الظاهرية قصة عامية تسمى "سيرة السلطان إبراهيم بن أدهم" وهي مخطوطة. ولكن المصادر التي ترجمت لابن أدهم زاخرة بأقواله وتصرفاته، ويستشف من هذه السلوكيات والأقوال منهجه في الزهد والتصوف، حيث كان ينزع إلى الناحية العملية في تصوفه [دائرة المعارف الإسلامية]، ولا أثر في تصوفه للنزعة النظرية أو الفلسفية.

كان يرى أن الزهد ثلاثة مراتب: واجب، ومستحب، وزهد سلامة؛ فالزهد الواجب هو ترك الحرام، والمستحب هو ترك الشهوات المباحة، وزهد السلامة ترك الشبهات. فهو بهذا المنهج العملي يجعل الزهد في متناول الجميع كل حسب طاقته، وأدنى مراتبه هو ترك المحرمات. ولم يكن معرضا عن الطيبات أو مبالغا في التقشف، فقد أعد طعاما كثيرا ودعا الأوزاعي، فقال له الأوزاعي: أما تخاف أن تكون سرفا؟ فقال: لا إنما السرف ما كان في معصية الله.

ولم يعتمد المظاهر في تزهده، مما جعل سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك يقولان بألفاظ متقاربة: ما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئا من عمله. وكان يعيش مثل عامة الناس، بحيث لا يأكل إلا من عمل يده في الزراعة والحصاد وحفظ البساتين وطحن الغلال، ولم يعتنق مبدأ التوكل أو الاعتماد على الغير.

وكان يرد على فتاوى الناس أو شكواهم بمنهج عملي مبسط ومقنع، فقد شكا إليه رجل كثرة عياله، فقال له: ابعث إلي منهم من لا رزقه على الله، وشكا إليه الناس غلاء اللحم فقال لهم: أرخصوه، فقد أرجع الغلاء إلى عملية العرض والطلب وليس إلى أسباب غيبية، بحيث ينبه السائلين إلى مسؤوليتهم ودورهم في الحياة.

المصادر والمراجع

● الأصبهاني، أحمد، حلية الأولياء، بيروت، 1378 هـ/ 1967 م، دار الكتاب العربي ● ابن الجوزي، جمال الدين، صفة الصفوة، تح. محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي، بيروت، دار المعرفة، 1406 هـ/ 1986 م ● الذهبي، محمد، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، بيروت، 1401 هـ/ 1981 م، مؤسسة الرسالة ● الصفدي، خليل، الوافي بالوفيات، عناية س. ديدرينغ، فيسبادن، 1389 هـ/ 1970 م ● ابن العماد، عبد الحي، شذرات الذهب، بيروت 1399 هـ/ 1979 م، دار الفكر ● ابن خلكان، أحمد، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر ● ابن كثير، إسماعيل، البداية

والنهاية، تح أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت، 1407 هـ/ 1987 م، دار الكتب العلمية ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1389 هـ/ 1969 م، 1/ 24.

د. عبد السلام بلاجي
جامعة محمد الخامس ـ المغرب

أديب نحوي، محمد

(1345هـ/ 1926 م ـ 1425هـ/ 2001 م)

ولد محمد أديب نحوي، المعروف اختصارًا بأديب نحوي، في مدينة حلب، سورية، عام 1926م، في أسرة متوسّطة الحال، يدير عائلها مقهى شعبيًا ويحفز ابنه إلى العلم بعد اكتشافه أمارات النباهة في عينيه المتوقّدتين. وكان أديب يحبّ المدرسة حقًا، ويبرع في دروسها، ويمتاز من لداته فيها، ولكنّ والده توفّي ولما ينل الشهادة الإعدادية (كانت تُسمّى شهادة الكفاءة آنذاك)، فاضطرّ إلى التنازل عن طموحه ليدير المقهى بعد والده، لأنّها مصدر عيش أسرته. وبقي أديب الفتى الطُّلعَة يدير مقهى والده حتّى عام 1946م، دون أن ينقطع عن القراءة. وحين آنس في نفسه القدرة على متابعة طموحه، تقدّم إلى امتحان شهادة الكفاءة مع الطلاّب الأحرار الذين لم يتلقّوا تعليمًا نظاميًا، فنال الكفاءة بتفوّق، وبعد سنوات نال الشهادة الثانوية،الباكالوريا، مع الطلاّب الأحرار أيضًا، ممّا فتح أمامه مجال الدراسة الجامعيّة، وبدّل مستقبله، وجعله يقترب من طموحاته التي حلم بها صغيرًا وناشئًا.

كانت الشهادة الثانوية عزيزة آنذاك، أهلّتْ أديب للعمل معلمًا في المرحلة الابتدائية، وللانتساب إلى كلّية الحقوق في جامعة دمشق في الوقت نفسه. فأصبح يعمل ويدرس. ثمّ ترك التعليم الابتدائي ليعمل موظّفًا في البنك العربي بحلب، ولكنه لم يترك دراسة الحقوق. وحين تخرّج في كلّية الحقوق، وأصبح محاميًا ابتداءً من عام 1951م، اكتشف أنّ طموحه الخاص بنيل الشهادة الجامعيّة أيقظ لديه طموحًا آخر كان هاجعًا، هو العمل السياسيّ، فراح يسعى إليه ضمن اتّجاه سياسيّ محدّد، مفاده ضرورة عودة الدول العربية بعد استقلالها عن الاستعمار الأجنبيّ إلى سابق عهدها قبل اتّفاقيّة سايكس بيكو، حين كانت دولة واحدة. ولعلّ إخلاص أديب نحوي لهذا التوجّه القوميّ هو الحافز إلى انتخابه عام 1958م عضوًا في مجلس الأمّة الاتّحادي، في بدايات الوحدة بين مصر وسورية، وهو نفسه الحافز إلى انتقائه، بعد ذلك، وزيرًا للعدل، ثمّ مستشارًا قانونيًا لوزارة الدفاع السوريّة.

وما كانت موهبة القصّ الأصيلة في جِبِلّة

أديب نحوي بعيدة عن معتقداته السياسيّة القوميّة، بل كانت هي هي. إذا كَتَبَ عبَّرَ عن همٍّ وطني يُفضي إلى قضيّته القومية، وإذا تحدَّثَ وظَّفَ حديثه في الاتّجاه القوميّ ذاته. ولم يكن غريبا في هذه الحال أن يفوز عام 1948م بالجائزة الثالثة في مسابقة مجلّة الهلال المصريّة حول القصّة الوطنيّة. ولم يكن غريبًا أيضًا أن يكتب عام 1969م رواية «عرس فلسطيني» ليُقدّم انعكاسًا مبكّرًا نسبيًّا لأثر المقاومة الفلسطينية في الرواية العربية، بل إنه من البديهي لمَنْ عرف أديب نحوي أن يلاحظ أنه آمن بأن الأدب خير وسيلة للدعاية للمعتقد السياسيّ، ولكنَّ الأديب المطالب بالإخلاص لموهبته وحدها، يجب أن يعكس معتقداته السياسيّة من خلال تعبيراته الفنّية، مبتعدًا عن الخطابيّة والوعظ المباشر. ولهذا السبب اكتفى أديب نحوي بالقصّة والرواية، وهما حقل موهبته الأدبيّة، ولم يلجأ إلى المقالة والخطابة اللتين كانتا متاحتين له بحكم مكانته السياسية والأدبيّة في سورية.

امتلأت قصص أديب نحوي بالهمّ الاجتماعيّ المفضي إلى القضية القوميّة لأنّ صاحبها كان يرى قضايا الوطن بمنظار الأمّة العربية، ففي مجموعته «حتّى يبقى العشب أخضر» قصّة عنوانها «الجنود لا يتشابهون» تُصوّر نهاية الشابّ المجنَّد، الذي يؤدّي الخدمة العسكريّة الإجباريّة، أحمد مداراتي على الحدود مع فلسطين المحتلّة، ومشاعر الزهو عند أبيه، لأنّ ابنه كبر ولبس بزّة الجنود، وبدأ يُحقّق ما ربّاه عليه من شجاعة ورجولة. وحين أتاه نبأ استشهاده قال لمَنْ حوله: «ألم أقل لكم إنّ ابني أحمد لا يُمكن أن يُسلِّم نفسه للصهيونيين.. لابدَّ أن يكون قد قتل عشرين منهم قبل أن يقتلوه».

ومن البديهيّ أن تكون القضيّة الفلسطينيّة عنوانًا رئيسيًّا بين العنوانات القوميّة في قصص أديب نحوي ورواياته، ولذلك كتب رواية «عرس فلسطيني» التي صوّر فيها تضحية فهد الفدائيّ على أنّها الطريق السليمة إلى تحرير فلسطين، وإعادة اللاجئين إلى ديارهم. وقد حرص في أثناء هذا التصوير على أن يمزج بؤس حياة اللاجئين بإقدامهم على الاستشهاد في سبيل وطنهم المحتلّ، وعلى أن يجعل عرس فهد احتفالاً بالشهادة التي تُطَهِّرُ صاحبها والمشاركين له في البؤس والألم.

ولقد كانت هزيمة حزيران (يونيو) 1967م، وحرب تشرين (اكتوبر) 1973م، عنوانين قوميين آخرين، عالجهما أديب نحوي في روايتيه «سلام على الغائبين» و«تاج اللؤلؤ» وراح فيهما يرتقي بالمتخيّل الروائي إلى مشارف الأسطورة، فبدأ الجنود «مروان الأبيض وأكرم نحّاس وأسعد فقير» والملازم «بشير العدنانيّ» الذين استشهدوا على الحدود في أثناء حرب حزيران (يونيو)، أبطالا بذلوا دماءهم في حرب لم يُكْتَب لهم النصر فيها، ولكنهم تشبّثوا بموقعهم العسكري حتّى الموت. كما بدت التلميذة في «تاج اللؤلؤ» ابنة وطن لا بدَّ من أن ينتصر، لأنّ أطفاله يعرفون كيف يُعبِّرون عن المكان المتخيَّل وكأنّه مكان حقيقيّ.

عاش أديب نحوي ملتزما بالفنّ القصصيّ والروائيّ، بعيدًا عن الخطابيّة والشعارات واللفظيّة، لأنّه رأى الفنّ مدخلاً حقيقيًّا للتعبير عن المعتقد السياسيّ. ومن ثمَّ كانت مساهمته في نضج القصّة القصيرة، وفي ترسيخ بنية

الرواية، أصيلة، أدركها زملاؤه في اتّحاد الكتّاب العرب، وعرف قيمتها كلُّ مَنْ تذوّق النصوص، وتأثّر بجماليّتها.

■ آثاره

1 ـ في القصّة القصيرة:

1- كأس ومصباح، 1948م 2- من دم القلب، 1949م 3- حتّى يبقى العشب أخضر، 1960م 4- حكايات للحزن، 1967م 5- قد يكون الحبّ، 1972م 6- مقصد العاصي، 1982م 7- سلاح الأعزل، 1985م.

2 ـ في الرواية:

8- متى يعود المطر، 1960م 9- جومبي، 1966م 10- عرس فلسطيني، 1969م 11- تاج اللؤلؤ، 1980م 12- سلام على الغائبين، 1981م 13- آخر مَنْ شُبِّه لهم، 1991م.

■ المصادر والمراجع

● أبو إصبع، صالح، فلسطين في الرواية العربية، 1975م ● الدقاق، عمر، تاريخ الأدب الحديث، 1979م ● عزت، أديب، معجم كُتّاب سورية، 1984م ● عياش، عبد القادر، معجم المؤلّفين السوريين في القرن العشرين، 1985م ● الفيصل، سمر روحي، معجم الروائيين العرب، 1995م ● الفيصل، سمر روحي، بناء الرواية العربية السورية، 1995م، ● الصالح، نضال، أديب نحوي في مراة النقد، 2002 م.

د. سمر روحي الفيصل
جامعة العين ـ دولة الإمارات العربية المتّحدة

■ أدي شير، الكلداني

(1284هـ / 1867 م ـ 1333 هـ/ 1915م) ■ ■ ■

هو أدي صليبا إبرهينا الكلدانيّ المعروف باسم أدي شير الكلداني الآثوري: رجل دين باحث مؤرّخ، عالم بالفهارس، متعدّد اللغات.

ولد أدي شير في ذي القعدة - ذي الحجة من سنة 1284هـ/ آذار 1867م ببلدة شقلاوة، إحدى قرى متصرفيّة كركوك بالعراق. التحق بمدرسة الآباء الدومنيكان بالموصل سنة 1880 م، وهناك أتقن العربية، والكلدانية، والتركية، واللاتينية، والفرنسية. وبرز في العلوم واللغات، وتميّز خاصّةً في الدروس الفلسفيّة والتاريخيّة.

بعد تسع سنوات من الدراسة، نال شهادته، ثمّ سيم كاهنًا في 15 آب سنة 1889م، وسُمّي باسم «أدي»، رسول الكلدان. ثم عُهد إليه بخدمة أبرشيّة كركوك بصفة نائب أسقفي، فقام بخدمتها أحسن قيام، وكان يقضي سحابة

نهاره في المدارس وخدمة الشعب، ويكبّ في ليله على المطالعة والدرس. فتعلّم العبريّة، واليونانيّة، والفارسيّة، والكرديّة، وألمّ بالألمانية، والإنكليزية.

عُيّن أسقفًا في 15 آب سنة 1902م، ثم مطرانًا على سعرت الواقعة بين ميافارقين وجزيرة ابن عمر سنة 1902م، فكان أحد أعلام طائفة الكلدان الكاثوليك، ومن أوسع رجال البحث والتنقيب عن التاريخ الشرقي في العصر الحديث.

كتب في التاريخ، فكان مؤرّخًا خبيرًا، وكان جمّاعة للكتب بين مطبوع ومخطوط، فعزّز مكتبة كرسيّه بعد الأذى الذي لحق بها على أيدي بعض المتعصّبين العابثين بحرمات الدين والجوار، كما عزّز مكتبات الطائفة الكلدانية في الموصل، وديار بكر، وماردين، والقوش، وغيرها.

واتجه نحو فهرسة الكتب، فكان مفهرسًا خبيرا، فوضع فهارس مخطوطات مكتبات سعرت، والبطريركية الكلدانية في الموصل، والمطرانية الكلدانية بديار بكر وغيرها.

عمل على تعزيز الثقافة في المجتمعات المسيحية والإسلامية أينما حلّ، ورقّى مدارس أبرشيته، وأسّس الجمعيات الخيرية والدينية.

وعلى الرغم من جهوده الجبارة في خدمة أهله ومجتمعه، انقضّ عليه مناصرو الأتراك المجاورون لأبرشيته، فاستاقوه إلى كهف بعيد، وقتلوه، في رمضان - شوّال 1333 هـ/ الشهر الثامن من سنة 1915 م، ثم انقلبوا إلى داره فنهبوها وأجهزوا على ما فيها.

آثاره

1 - إكليل البتول الطاهرة مريم، ط. بالكلدانية في الموصل (العراق) سنة 1904 م، جمع فيه شتات مدائح البتول للكتبة النساطرة الكلدان 2 - الألفاظ الفارسية المعرّبة، بيروت سنة 1908، وبالأوفست سنة 1964 م. [نقده في مجلة المشرق، 11/ 232]. وهو معجم ألفبائي لهذه الألفاظ. وقد ألحق به المؤلّف فهارس للكلمات الفارسيّة المشروحة، وللألفاظ التركية، والكردية، والآرامية، والعبرانية، واليونانية، واللاتينية، والسنسكريتية، والحبشيّة، والجرمانية، والإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية، والروسية، والأرمنية 3 - تاريخ النساطرة لمؤلف نسطوري مجهول، تح. مع تر. إلى الفرنسية. جزءان، باريس 1907م، و1918م، [نقده في مجلة المشرق، 12/ 712-713] 4 - تاريخ كلدو وآثور، 3ج.، صدر منها جزءان في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة 1912م، وسنة 1913م: أما الجزء الثالث فلم يقدّم للطبع قبل اغتيال مؤلفه، ولا نعلم ما جرى له. [نقده في مجلة المشرق، 16/ 390-391، 953-954] 5 - القطافة، منتخبات أدبية في اللغة الكلدانية، الموصل 1898م 6 - مدرسة نصيبين الشهيرة، نبذة تاريخية في أصلها وقوانينها وفي العلماء الذين اشتهروا فيها. بيروت 1905 م [نقده في مجلة المشرق، 8/ 1009]

وله عدة أبحاث نشرها في مجلة المشرق [المجلدات 2، 3، 4، 5]، كما نشر عدة كتب وأبحاث باللغة الفرنسية حول

المخطوطات الكلدانية والسريانية، وتواريخ بعض الأديرة، وتراجم بعض الأساقفة... إلخ.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● رفائيل بابو إسحق، تاريخ نصارى العراق، بغداد 1948م، ص152 - 153 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دارالعلم للملايين، ط. 6، بيروت 1984م، 1/ 285 ● زكي محمد مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ط. مصر 1368-1374 هـ، 3/ 137 ● دي طرازي، فيليب، خزائن الكتب العربية في الخافقين، بيروت 1947 م، 2/ 506، 775 ● شيخو، الأب لويس، تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين، بيروت 1926 م، ص56 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت د. ت، دار إحياء التراث العربي، 2/ 221 ● عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، بغداد 1969، مطبعة الإرشاد، 1/ 104-106 ● داغر، يوسف أسعد، دليل الأعارب إلى علم الكتب وفن المكاتب، بيروت 1947 م، القسم الأول، ص87 ● م. ن، مصادر الدراسة الأدبية، بيروت 1983 م، منشورات الجامعة اللبنانية، ج. 3، القسم الأول، ص117-119 ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر سنة 1928م، مطبعة سركيس، ص412-413.

2 ـ الدوريات:

● القس (المطران) سليمان صائغ، «السيد أدي شير مطران سعرت»، مجلة النجم 1/ 1929، ص167 - 176 ● م. ن، «فقيد العلم أدي شير مطران سعرت»، مجلة المشرق، مج 23/ 1925، ص36 - 44.

د. إميل يعقوب
الجامعة اللبنانية

ابن أدية التميمي، أبو بلال مرداس بن حُدَيْر

(... هـ/ ... م ـ 61 هـ/ 670م)

هو مرداس بن حُدَيْر، يعرف بمرداس بن أديَّة التميمي، وأدية هي أمه أو جدته، ويكنى أبو بلال، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم. نشأ بالبصرة وعاش بها.

يعتبر أبو بلال من زعماء الإباضية ومؤسسي مذهبهم، لما عرف عنه من جهاد في سبيل عقيدة أهل الدعوة والاستقامة، ولما اتصف به من التقوى والعلم والشجاعة والاعتدال.

وبلغ من حسن سيرته أن عددا من الفرق والجماعات الإسلامية فيما بعد - كالشيعة والمعتزلة - ادَّعت نسبته إليها واعتبرته من أتباعها.

وأبو بلال ممن شهدوا مع علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) واقعة صفين، وحارب في صفوفه، و أبلى بلاء حسنا، غير أنه وقف ضد التحكيم بحزم، وأنكر على علي قبوله له.

وقد خرج أبو بلال مع من خرج إلى النهروان، ولكنه بعد أن شاهد ما وقع بها من سفك دماء المسلمين، ورأى القتلى من أهله وعشيرته بالآلاف، ازداد يقينا بأن الغلوّ في فهم الأمور يؤدي بالأطراف المتقاتلة إلى ما لا تحمد عقباه.

وعلى الرغم من قناعته بموقف الرافضين للتحكيم إلا أنه لم يرض بحال أن تؤول حال المسلمين إلى ما آلت إليه من تقاتل وتدابر واستحلال ما حرم الله من نفس و مال.

لذا فإنه مضى بعد انتهاء معركة النهروان عائدا إلى البصرة، حيث كانت قبيلته تميم، وكان بها الأحنف بن قيس أحد الوجهاء والزعماء وأحد القادة المجاهدين، إذ يقال إنه هو القائد الذي فتح جمهوريات الاتحاد السوفياتي الوسطى (طاجكستان حاليا)، وكان يميل إلى رأي المحكّمة موافقا على مسلكهم، وكل المصادر التي كتبت عن أبي بلال، قديمة كانت أو حديثة، تنظر إلى هذه الشخصية الفذة بإعجاب شديد، باعتباره رمزا من رموز الثورة على الظلم دون تهوّر، وطلبا للحق دون تجبّر.

إنّ ما تميزت به دعوة أبي بلال هي إنكاره العنف طريقة ومنهاجا، بناء على شخصيته المؤمنة التقية، واستنادا إلى تجربته الجهادية، واقتناعا منه بأن ذلك ليس من طبيعة الدين الإسلامي السمح ثم لأنه اتعظ من المصير الدامي الخطير الذي آلت إليه معركة النهروان، فكان يأمر أتباعه بعدم استعراض المسلمين بالسيف، وألا يقاتلوا أحدا من مخالفيهم إلا إذا تعرضوا لعدوان أو واجهوا قتالا، فالسلاح لا يستخدم إلا في حالة الدفاع عن النفس، وكان يقول: «إن تجريد السيف، وإخافة السبيل لأمر عظيم، ولكنا نشذ عنهم، ولا نجرّد سيفا، ولا نقاتل إلا من قاتلنا».

ما لبث دعوته هذه أن تأصّلت، وكثر حولها المريدون والأتباع، ولكن الأمر لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما تغيرت الأوضاع السياسية من قبل السلطة الأموية، فحين تولى عبيد الله بن زياد مكان أبيه سنة 55هـ/ 674 م استعمل الشدة والقسوة المتناهيتين، وأعمل السيف في الرقاب دون رحمة أو لين، وطارد الفرق المعارضة لحكمه وعلى رأسها المحكّمة، وفتح السجون على مصراعيها، فعذب وقتل ومثل وصلب، ولم تنج منه حتى النساء اللاتي كان يمتهن كرامتهن بشكل تتقزّز له الأبدان هولا وفظاعة.

ولما رأى أبو بلال ما حل بمعارضي ابن زياد، وعلم أنه يجدّ في طلبه، وأنه ظافر به لا محالة، عزم على الخروج من البصرة في ثلاثين رجلا، وقيل أربعين، وقال لأصحابه: «إنه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم، مجانفين للعدل مفارقين للفضل، والله إن الصبر على

هذا لعظيم». وكان ذلك سنة 61 هـ/ 680 م.

فاجتمع إليه أصحابه، فكان يقول لمن يلقاه موضحا أصول دعوته: «إني لا أجرّد سيفا، ولا أخيف أحدا، ولا أقاتل إلا من قاتلني» ويقول: «إننا لم نخرج لنفسد في الأرض، ولا لنروع أحدا، ولكن هربا من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا، ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا».

ونزل أبو بلال ببلد «آسك» من نواحي الأهواز في موضع بين رام هرمز وأرجان، غير أن ابن زياد ما لبث أن أرسل جيشا قوامه ألف رجل، ودار بين أبي بلال وقائد الجيش ابن زرعة حوار، ولما حمل أصحاب أبي بلال عليهم حملة صادقة إيمانية، انهزم ابن زرعة هو وأصحابه بغير قتال خوفا وهلعا. فلما بلغ ذلك ابن زياد غضب من هزيمة جيشه غضبا شديدا، فاختار قائدا آخر هو «عباد بن أخضر»، ووجه معه هذه المرة أربعة آلاف، فأتبع أبا بلال وأصحابه حتى لحقهم، فلما جاء وقت صلاة الجمعة ناداهم أبو بلال: «إنكم في يوم عظيم، فدعونا حتى نصلي وتصلوا» فأجابوهم.

فلما دخلوا الصلاة حملوا عليهم، فقتلوهم بين راكع وساجد، وقائم وقاعد.

إلى جانب اشتهار أبي بلال بالعلم والورع، فإنه اشتهر أيضا بشعره الجيّد الذي يتجلى فيه منهجه الدعوي، وهو لا يختلف في أبعاده ومضامينه عن شعر الشراة المعروف بالتحريض على الجهاد، والصبر عند الشدائد، ومحبته الموت، وكُره الدنيا والزهد فيها. وقد روت شعرَه كثير من كتب الأدب مثل الكامل للمبرد، وأنساب الأشراف للبلاذري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وقناطر الخيرات للجيطالي.

المصادر والمراجع

● الجاحظ، البيان والتبيين، تح. عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1410هـ، 1990م ● الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. ابراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، (د. ت) ● الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1988م ● علماء وأئمة عمان، السير والجوابات، تح. السيدة إسماعيل الكاشف، سلطنة عمان، 1410 هـ/ 1989 م، ج 1، ص30 ● عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط 3، سلطنة عمان، 1988 م، ص72 وما بعدها ● مهدي طالب الهاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الاتحاد العربية للطباعة، العراق، 1401هـ/ 1981م ● ناصر، محمد صالح، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، 1418 هـ/ 1997 م، ص81 وما بعدها ● الجيطالي، إسماعيل، قناطر الخيرات، الجزائر (د. ت)، ج 1، ص224، 246، 361 ـ 362، ج 2، ص165، 188، ج 3، ص499 ● أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة، مصر، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، 1956 م، ج2، ص158، 182 ● ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1965م، ج 2،

ص146-148 ● عباس، إحسان، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، 1402 هـ/ 1982 م، ص62-66
● جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ج 2، ص411-412
● الزركلي، الأعلام، ط. 4 ج 7/ 202.

د. محمد صالح ناصر
جامعة الجزائر

الأذرعي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حمدان

(708 هـ / 1308 م ـ 783 هـ / 1381 م)

أحمد بن حمدان بن عبد الواحد، الأذرعي، عالم بالفقه الشافعي، نظرا إلى أنّه يوجد عالم أذرعي آخر يشترك مع هذا العالم في الاسم واللقب وجب أن ندرج الاسم الكامل لعالمنا هذا استبعادا للّبس الذي قد يقع بينهما.

فهو أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني، الملقّب بشهاب الدين، المكنّى بأبي العباس، الإمام الفقيه الشافعي.

ونلاحظ من هذا الاسم أنّه سار فيه على أسلوب التسمية المعروف في عصره حيث يذكر اسم العالم، واسم أبيه، وأسماء عدد من أجداده، ولقبه وكنيته. اللقب في هذا العصر بلفظ (شهاب. .تاج. . . تقيّ) مضافا إلى لفظ الدين، ثم ينتسب إلى بلده الذي خرج منه، ثم ذكر مذهبه.

ولد هذا العالم في أذرعات (وهي بلد في أطراف الشام - في جنوبي سورية حاليا - تجاور أرض البلقاء وعمّان، ينسب إليها الأذرعي، وخرجت منها طائفة من أهل العلم، كشمس الدين، وصدر الدين، وضياء الدين الأذرعي). ولد سنة ثمان وسبع مائة، وقيل قبلها، وقيل بعدها بسنة، وانتقل من بلد مولده إلى دمشق، فتعلّم فيها، ثم سافر إلى القاهرة، وأخذ عن علمائها، كالشيخ مجد الدين الزنكلوني (نسبة إلى زنكلون بلد في الشرقية من أعمال مصر، واسمه إسماعيل بن عبد العزيز (679-740هـ)، مصري شافعي، أصولي محدّث بارع في النحو. ثمّ ألزم بالتوجّه إلى حلب، وناب عن قاضيها نجم الدين ابن الصائغ، فلما مات هذا سنة 749هـ ترك ذلك وأقبل على الشغل والاشتغال، وولي بها التدريس، واستمر يفيد ويفتي ويصنف ويدرّس، وانتفع الناس به وبفتاويه، ورحل إليه من البلاد، وراسل السبكي بالمسائل الحلبيات، وهي في مجلّد مشهور، واشتهرت فتاويه في البلاد الحلبيّة. ثم قدم القاهرة سنة 762هـ بعد موت الشيخ جمال الدين الأسنوي، فأخذ عنه العلم بعض من

أصبحوا علماء في مصر، ثم رجع إلى بلاد الشام، ومات في حلب عن نيّف وسبعين سنة في سنة 783هـ بعد أن حصل له عرج، وقليل صمم، وضعف بصر، فحياته التي كانت في القرن الثامن الهجري عاصرت حقبة المماليك البحريّة.

ذكرت المصادر التي ترجمت له أنّه تتلمذ على جلّة من علماء عصره، أخذ الفقه الشافعي عن مجموعة من شيوخ دمشق، فسمع على القاسم بن عساكر، وأجاز له الحجّار وقرأ على الحافظ المزّي (يوسف بن عبد الرحمن 654-742هـ)، وعلى المؤرخ العلامة محمد بن أحمد الذهبي (673-748هـ).

وكان الذهبي أحد أعلام أربعة متعاصرين لا خامس لهم، هم المزّي، والبرزالي، والذهبي، والتقيّ السّكبي، وكان المزي والسبكي يعجبان بقراءته كما سمع على صدر الدين الحارثي المتوفّى سنة 743هـ، وأجاز له جماعة من أهل دمشق وأهل مصر، وقال القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية: تفقه الأذرعي بدمشق على العلامة تقي الدين السبكي (683-756هـ) وبالقدس على الإمام أبي الفداء القلقشندي، وغيرهما، وتفقّه على ابن النقيب ورجع إلى دمشق، ولازم الفخر المصري، وهو الذي أذن له، وشهد له بالأهليّة عند السبكي، وبرع في المذهب، وفي حلب سكن بالمدرسة العصرونية، وكان لا يأذن لأحد بالإفتاء إلا نادرا. فلما رجع إلى الشام رحل إليه من فضلاء المصريين الشيخ بدر الدين الزركشي، يقول ابن حجر: قرأت بخطه - أي خط الزركشي -: ورحلت إليه في سنة 763هـ فأنزلني داره، وأكرمني وحباني، وأنساني الأهل والأوطان، وكذلك رحل إليه برهان الدين البيجوري، وكتب عنه شرح المنهاج بخط يده.

أجمعت كل الكتب التي ترجمت له أنّه كان عديم النظير في أخلاقه وسلوكه، نقي النفس، لطيف الذوق، كثير الجود، صادق اللهجة، شديد الخوف من الله، وكان كثير التحرّي في أموره، مليح المحاضرة، قوّالا للحق، ينكر المنكر، ويخاطب نواب حلب خطابا فيه غلظة، كثير الفوائد، ولديه فضائل وكياسة وحشمة، وإنسانيّة ومروءة، ومحبّة لأهل العلم، محسنا لهم، وخصوصا الغرباء لأنّه جرّب الاغتراب، معتقدا لأهل الخير، ديّنا صالحا.

وقال ابن حجر: كان الأذرعي سريع الكتابة، يكتب في الليل على شمعتين أو أكثر، فكان يكتب في الليل كراسا تصنيفا، وفي النهار كراسا تصنيفا، لا يقطع ذلك، ولكن لو كان ذلك مع المواظبة لكانت تصانيفه كثيرة جدّا، لكنّه لعلّه ترك ذلك مسودات، وكان رغوبا في جمع الكتب حتى اجتمع عنده منها ما لم يحصل عند غيره، وظفر من النقول بما لم يحصل لأهل عصره، وذلك بيّن في تصانيفه.

وكان كثير الانقطاع عن الناس، ملازما لبيته وكتبه يصنف منها، ولا يخرج إلاّ للضرورة، درّس بالمدارس الظاهريّة والأسديّة والبلديّة، ودار الحديث البهائية بحلب، وكان ثبتا في النقل متوسّط التصرّفات.

وكان الشيخ زين الدين الباريني الشافعي نزيل

حلب - مع جلالة قدره - تجتمع عنده فتاوى يشكلها، فيأتيه فيسأله عنها، فيجيبه الأذرعي، فيعتمد على جوابه.

عاش الأذرعي في القرن الثامن، وكان هذا القرن قرن ازدهار في حركة التأليف في العلوم الدينيّة، يتخصص فيه العالم بمذهب فقهي يدرّسه ويؤلّف فيه، ويلتقي بأئمة هذا المذهب، ويطارحهم في قضايا فقهيّة، تحتمل وجهات النظر، وفي هذا القرن انتقل مركز الثقافة والعلم من بغداد إلى الشام ومصر، حيث أصبحت القاهرة عاصمة دولة المماليك، واشتهر في هذا القرن، على الخصوص، مجموعة من الأعلام الذين يمكن أن نصفهم بأنّهم كانوا علماء بحق، كابن قيّم الجوزية، وتقيّ الدين السبكي، وابن حجر العسقلاني، وابن فضل الله العمري، وابن كثير الدمشقي، وشهاب الدين النّويري، والذهبي. وشهد هذا القرن مصنّفات تدلّ على تنافس العلماء في إذكاء روح حركة التأليف، وكان الأذرعي ممن أسهم في حركة التصنيف هذه.

آثاره

1 - التوسّط والفتح بين الروضة والشرح، وهو كتاب كبير في عشرين مجلّدا، كثير النقول والفوائد 2 - شرح المنهاج للنووي، شرحه شرحين مفيدين، سمّى أحدهما: قوت المحتاج في شرح المنهاج. وسمّى الآخر: غنية المحتاج في شرح المنهاج، ثمانية مجلّدات، وحجمهما متقارب، وفي كلّ منهما ما ليس في الآخر، إلاّ أنّه كان في الأصل وضع أحدهما لحلّ ألفاظ الكتاب فقط، فما انضبط له ذلك. بل انتشر جدا 3 - اختصر كتاب الحاوي المسمى الحاوي الكبير في الفروع، وهو في فقه الشافعي للإمام الماوردي المتوفى 450؛ 4 وكتب على «المهمات على الروضة» النووي في الفروع للشيخ عبد الرحيم بن حسن الغرسي. تعقبها الأذرعي بقدر حجمها، والذي بيضه منها على النكاح في أربعة مجلّدات.

وقد ذكرنا أنّه راسل السبكي بالمسائل الحلبيات، وهي في مجلّد مشهور.

المصادر والمراجع

● ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصر، 1375 هـ / 1956 م، ج 1، ص291-293 ● م. ن. النجوم الزاهرة، مصر، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د. ت، ج11، ص216 ● ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ط1، دائرة المعارف العثمانيّة، الهند، حيدر آباد، الدكن 1388 هـ / 1968م، المجلد 2، ص61 ● م. ن، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد 1349 هـ، المجلد1، ص135-137 رقم الترجمة 354 ● الزركلي، الأعلام، ط 3، بيروت 1398 هـ/ 1969 م، المجلد 1، ص119 ● الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مصر، 1348، مجلّد 1، ص35.

د. محمود الربداوي
جامعة دمشق - سوريا

الإربلي، أبو الفضل شرف الدين أحمد بن موسى

(575 هـ / 1179 م - 622هـ/1225 م)

أحمد بن موسى بن يونس أبو الفضل الإربلي الموصلي الشافعي.

وتوسع في شجرة نسبه ابن كثير قال: «أبو الفضل أحمد بن الشيخ كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الأربلي الأصل الموصلي من بيت العلم والرياسة» [ابن كثير، البداية والنهاية، م 7، ج 13، ص111].

وقال بالسلسة نفسها ابن خلكان إلاّ أنه ذكر اسم عائد عوض عابد قال: «أبو الفضل أحمد بن الشيخ العلامة كمال الدين أبي الفتح موسى بن الشيخ رضي الدين أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن عسد بن سعيد بن عاصم بن عائد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل من بيت الرياسة والفضل والمقدّمين بإربل» [وفيات الأعيان، م. ص108].

ولد الإربلي سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالموصل. قال السبكي: «الشيخ شرف الدين، ابن الشيخ كمال الدين بن يونس، شارح التنبيه، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة» [الطبقات الكبرى، ج 8، ص1060] مثله ذكره الأسنوي في طبقات الشافعية، وابن الدمشقي في طبقاته وأضاف صاحب الوفيات قال: «ولقد أفكرت فيه مرّة فقلت: هذا الرجل عاش مدّة خلافة الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد فإنه ولّي الخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمائة وهي السنة التي ولد فيها شرف الدين المذكور» [ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، م 1، ص109] نشأ في أسرة علم وجاه ورئاسة. قال الزركلي: «من بيت رئاسة وعلم» [الأعلام، ج 1، ص216].

اشتغل بالعلم منذ صغره على والده وأخذ عنه المذهب الشافعي حتّى صار إماما في عصره. قال ابن خلكان: «كان إمامًا كبيرًا فاضلاً عاقلاً حسن السّمت جميل المنظر» [م.س،م1، ص108] وقال السبكي: «وتفقّه على والده وبرع في المذهب» [م. س، ج 8، 1060]. وقال الدمشقي: «واشتغل بها (بالموصل) على أبيه إلى أن صار إماما كبيرًا» [أحمد بن محمد، طبقات الشافعية، م 1، ج 72]. وكان غزير العلم واسع المعرفة مولعا بعلوم عصره فذكر أنه شرح كتاب التنبيه لابن يونس في الفقه واختصر كتاب الإحياء للغزالي مرّتين وقد أعجب بحجّة الإسلام حيث كان يدرّس من تأليفه. تولّى المشيخة بعد أبيه وتولّى التدريس بمدرسة الملك المعظّم مظفّر الدين صاحب إربل التي قدم إليها في أوائل شوال من سنة عشر وستمائة. قال ابن خلكان: «شرح كتاب التنبيه في الفقه وأجاد شرحه واختصر إحياء

علوم الدين للإمام الغزالي مختصرين كبيرا وصغيرًا وكان يلقي في جملة دروسه من كتاب الأحياء درسًا وحفظا وكان كثير المحفوظات غزير المادة» ثم قال: «وتولّى التدريس بمدرسة الملك المعظّم مظفّر الدين بن زين الدين صاحب إربل رحمه الله بمدينة إربل» [ابن خلكان، م. س، م 1، ص108].

وقال السبكي: «واختصر كتاب الإحياء للغزالي مرّتين وكان يلقي الإحياء درسًا من حفظه وكان كثير المحفوظ غزير المادة متفنّنا في العلوم وتخرّج به خلق كثير» [الطبقات الكبرى، ج 8، ص1060].

وعن إقبال طلبة العلم على دروسه وشغفهم به قال ابن خلكان: «وكنت أحضر دروسه وأنا صغير وما سمعت أحدا يلقي الدروس مثله ولم يزل على ذلك إلى أن حجّ ثم عاد وأقام قليلا ثمّ انتقل إلى الموصل في سنة سبع عشرة وسبعمائة وفوّضت إليه المدرسة القاهرية وأقام بها ملازم الاشتغال الإفادة إلى أن توفّي» [م. س، م 1، ص108].

توفّي أحمد الإربلي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وستّمائة. قال الذهبي: «مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وستمائة كهلا في حياة أبيه» [السير، م. ن، ص249]. ومثله في طبقات الشافعية للدمشقي [ج 1، ص72].

■ آثاره

1 - اختصار كتاب الأحياء 2 - كتاب التنبيه في الفقه لابن يونس، وسمّاه غنية الفقيه. قال السبكي: «.. واختصر كتاب الإحياء مرّتين» [السبكي، م. ن]. وقال الأسنوي: «شرح التنبيه واختصر الإحياء للغزالي مختصرين كبيرا وصغيرا» [م. س، ص324]. وقال الذهبي: «العلاّمة شرف الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ الكبير كمال الدين موسى بن الشيخ رضي الدين يونس بن محمد الإربلي ثمّ الموصلي الشافعي صاحب شرح التنبيه» [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 22، ص248-249]. وقال الزركلي: «واختصر الإحياء للغزالي وشرح التنبيه في الفقه وسمّاه غنية الفقيه» [الزركلي، الأعلام، ج 1، ص261].

■ المصادر والمراجع

● الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط 4، تح. بشار عوّاد ومعه، مؤسسة الرسالة 1406 هـ / 1986م ● السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ط 1، تح. عبد الفتاح الحلو ومعه، ج 8، مؤسسة عيسى البابي الحلبي ● الأسنوي، طبقات الشافعية، ط 1، دار الكتب العلمية، 1407 هـ / 1987 م ● الدمشقي، طبقات الشافعية، ط1، دار الكتب 1407 هـ / 1987 م ● الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم، ط 8، م 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989 م.

د. حزاث بوعلاّقي
مركز الدراسات الإسلامية
القيروان - تونس

الإربلي، أبو المعالي بدر شمس الدين محمد بن علي

(686 هـ / 1287 م - 755 هـ / 1354 م)

محمد بن علي بن أحمد الاربلي الموصلي، بدر الدين أبو المعالي، ابن الخطيب الشافعي: موسيقي، أديب، نحوي، نشأ وترعرع في إربل، ثم في الموصل، ودرس في صغره القرآن الكريم، وكان ذكيًا ناظمًا للشعر سريع الحفظ، حفظ الشمسية في المنطق، في يوم واحد. وهي متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني الكاتبي (ت 693هـ/ 1293م). عاصر في طفولته وشبابه العهد المغولي في العراق، وبعد تفكك دولة المغول، وقيام العهد الجلائري سنة 738 هـ/ 1338 م، خضعت الموصل وسنجار إلى الشيخ حسن بن حسين الجلائري، الذي عين على الموصل بدر الدين بن هندوا. وكان هذا يعد في مرتبة الملوك، حسب قول أبي المحاسن [النجوم الزاهرة، 10/ 295]. وتشير المصادر إلى قيام الإربلي بسفارة من ملك الموصل إلى مصر، وإقامته خمسين يومًا فيها، دون ذكر اسم هذا الملك. ويحتمل أنه بُعث رسولاً من قبل بدر الدين بن هندو، إلى أحد الحكام المماليك في مصر. ولكننا لا نعرف سبب هذه السفارة، وهل كان الإربلي بمفرده، أو أنه كان ضمن وفد ضمّ العديد من الأعيان؟

وعلى أي حال، فإن هذه السفارة تدل على مكانة الأربلي العلمية والاعتبارية في الموصل، لاسيما وأنه أصبح من كبار العلماء والمصنفين في عصره. وقد أخذ عنه في مصر بعض العلماء أمثال أبي المعالي ابن رافع، وغيره.

كان الإربلي من أساتذة الموسيقى وأكابر رجالها في عصره، ولكن المصادر التي ترجمت له لا تشير إلى نبوغه في الموسيقى، بل تركز على أنه أديب وعالم، وهذا دأب الكثير من المؤلفين الذين يتحاشون التدوين عن الموسيقيين والمغنين، فلا يذكرون من كان متقنًا لهذا الفن، لأنهم كانوا يترفعون عن ذلك، ويعتقدون أنه يحط من منزلتهم بين الناس. ولا تتوفر لدينا معلومات عن أساتذته في هذا الفن، ولكننا نعرف أنه كان من أساتذة جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر زاده الكردي الداسني (المتوفى في حدود سنة 800 هـ/ 1397 م)، الذي اجتهد في الغناء، ونبغ في العراق وبلاد الشام، ووفد على مصر أيضًا.

آثاره

1 - أرجوزة الأنغام، نظمها سنة 729 هـ/ 1329 م، وعني بها عناية فائقة، وأبدع في وصفها، وهي قليلة اللفظ، سهلة الاستظهار، موجزة، عدد أبياتها (101). وقد أراد الإربلي بنظمه لها أن تشيع الأنغام الموسيقية بين الناس، فأوجزها في هذه الأرجوزة. وقد

نشرت باسم «جواهر النظام في معرفة الأنغام» في مجلة المشرق، العدد 16، ص895 كما نشرها عباس العزاوي مع كتابه: الموسيقى العراقية (ملحق 3، ص105-113). وقد اهتم العلماء بهذه الأرجوزة، وهناك شرح لها، بعنوان: «برء الأسقام شرح قصيدة الأنغام»، لا يزال مخطوطًا في فهرس خزانة برلين رقم 5515، ص62؛ 2 - شرح كتاب تسهيل الفوائد وتكميل القصائد، للشيخ جمال الدين أبي عبد الله بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي (ت 672 هـ/ 1273 م) وهو كتاب جامع لمسائل النحو 3 - شرح كتاب الحاوي الصغير في الفروع، للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت 665 هـ/ 1266 م) وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية 4 - شرح الكافية الشافية في النحو، لابن مالك محمد بن عبد الله النحوي (ت 672 هـ/ 1273 م) وهو كتاب منظوم 5 - له الكثير من النظم، ومن شعره:

وقد شاع عني حب ليلى وأنني
كلفتُ بها شوقًا وهمت بها وجدًا

والله ما حبي لها جاز حده
ولكنها في حسنها جازت الحدا

المصادر والمراجع

● ابن حجر، الدرر الكامنة، تح. محمد بن عبد المعيد خان، ط2، حيدر آباد الدكن، 1972، 5/ 308-309 ● أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ط 2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 10/ 295 ● السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق محمد بن أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1965، 1/ 175 ● حاجي خليفة، كشف الظنون، استانبول 1941، أعادت مكتبة المثنى طبعه بالأوفست، 1/ 405 ـ 406، 625، 2/ 1369 ● البغدادي، هدية العارفين، استانبول، 1955، منشورات مكتبة المثنى، 2/ 135 ● العزاوي، الموسيقى العراقية، في عهد المغول والتركمان، بغداد 1951، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 37-39، 46-47، 105-113 ● الزركلي، الأعلام، ط 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 284.

أ. د. عبد الواحد ذو النون طه
جامعة الموصل ـ العراق

الأرّجاني، أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمّد

(460 هـ / 1068 م - 544 هـ/ 1149 م)

هو ناصح الدين، أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني، ولد في أرّجان من كور الأهواز من إقليم خوزستان، عربي الأصل، يرقى نسبه إلى الأنصار، وموطن عائلته تُستُر، وعسكر مُكرم من بلاد خوزستان في إقليم فارس. وشذ الخفاجي وذكر أنه فارسي الأصل، ويخالفه فيما ذكر كل العلماء الذين ترجموا له.

طلب العلم بمدارس كرمان في بلاد فارس، وحصل فيها العلوم الدينية واللغة والأدب، فاشتغل بالفقه، وطلب الحديث ورواه، وتخرج في المدرسة النظامية بأصبهان فقهياً شافعياً.

ومن أشهر شيوخه أبو بكر، محمد بن محمد بن ماجة الأبهري، سمع منه الحديث ورواه عنه.

والشريف أبو يعلي محمد بن الهباريّة الهاشمي، سمع منه الحديث وروى عنه. وقد عده السبكي ضمن الطبقة الخامسة في طبقاته، ووضعه الذهبي في الطبقة السادسة عشرة من حُفّاظه.

ولما عاد الأرجاني إلى موطنه ناب في القضاء في تُستُر وعسكر مُكرَم، وتتلمذ على يديه علماء في الفقه والحديث: رووا عنه، وأجازهم. وأشهر تلاميذه:

أبو بكر محمد بن المظفر (ت538 هـ) وعبد الكريم السمعاني (ت 562هـ)، وعبد الله بن الخشاب النحوي (ت567هـ)، وابن زبادة الشيباني (ت 594هـ). غير أنه لم يُشتهر بالفقه والحديث، وإنما شُهر بالشعر والأدب، وخلّف لنا ديوانا ضخماً، جمعه ابنه بعد وفاته، فجاء في (13021) بيتاً شعرياً في (315) مقطعة وقصيدة. وكان الأرجاني يفتخر بأنه فقيه شاعر، قال:

أنا أشعر الفقهاء غير مُدافع
في العصر بل أنا أفقه الشُّعراء

وأتقن الأرجاني أكثر من لغة، وبرع في الفارسية وترجم منها عدداً من الرباعيات.

وأكثر شعره في مدح السلاجقة وعمالهم: مدح نظام الملك، وعندما خلفه الوزير تاج الملك (ت 486هـ) مدحه بلامية، يقول فيها:

كم موقف دون العلاء وقفته
والخيل بالأسل الطوال تصول

وله في السلطان محمود (511- 525هـ) مدائح كثيرة يقول في إحداها:

أعلى السلاطين في يومي ندى ووغى
رأيا وأفضلهم سراً لإعلان

ويمدح وزيره السميرمي (ت516 هـ)، ويخص معين الدين أحمد بن الفضل (ت521 هـ) وزير السلطان سنجر بمدائح كثيرة.

وكان الأرجاني يزور بغداد ويمدح خلفاءها ووزراءها، وقد عاصر خمسة خلفاء هم: المقتدي بالله (467 هـ - 487 هـ) والمستظهر بالله (487 هـ - 512 هـ) والمسترشد بالله (512 هـ - 529 هـ) والراشد منصور (529هـ - 530 هـ) والمقتفي لأمر الله (530هـ - 555 هـ) وله في الخليفة المستظهر مدائح كثيرة.

ومدح وزراء العباسيين، وفي مقدمتهم بنو جهير، ونوه طويلا بجلال الدين بن صدقة (522 هـ) وبأنو شروان بن خالد (ت 533 هـ) وله في مديحه قصيدة تشتمل على ثمانين رباعية. وللأرجاني أرجوزة يمكن أن تقرأ على أربع قواف: تدل على مقدرة لغوية أكثر منها على مقدرة فنية خالصة، وله قصائد غزلية رائعة كثيرة طبعها بطوابع بدوية.

آثاره

ديوانه: مخطوط في برلين 7689- 7690، ومكتبة الجمعية الالمانية للمستشرقين 106، وليدن 668-669 وجاريت 39، والمتحف البريطاني ثان 1، 62 - 1، 63، وآيا صوفيا 3930، وبريل أول 10، وبريل ثان 23، ولا له لي 1731، وليبزج أول والقاهرة ثان 3: 118 IV 863 والموصل 10، 151.

وهو مطبوع في بيروت بعناية أحمد عباس الأزهري سنة 1307هـ/ 1887م. ونشره عبد الباسط الأنسي في بيروت أيضاً سنة 1317هـ/ 1898م وأعاد تحقيقه ونشره في جزأين: محمد قاسم مصطفى.

المصادر والمراجع

● ابن خلكان وفيات الأعيان 1/ 115 ● السبكي، طبقات الشافعية، 6/ 52 ● ابن العماد، شذرات الذهب 4/ 137 ● اليافعي، مرآة الزمان، 3/ 281 ● الذهبي تذكرة الحفاظ، 4/ 6، 13 ● ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 139 ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 285 ● السمعاني، الأنساب، ص24 ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 147 ● الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، 7/ 373؛ ● الأصفهاني، عمار، خريدة القصر، قسم شعراء بلاد العجم، الورقة 32 وما بعدها؛ ● العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص 13/ 41.

د. أنور أبو سويلم
جامعة مؤتة ـ الكرك ـ الأردن

الأردبيلي، جمال الدين يوسف بن إبراهيم

(... هـ / ... م - 779 هـ/ 1377م)

يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي، جمال الدين، من أهل أردبيل، من بلاد أذربيجان. لم تعرف سنة ولادته، وقد اختُلف في سنة وفاته، فقيل: كانت وفاته سنة 779 هـ، وقيل سنة 799 هـ. وقد قال ابن القاضي شهبة: ذكره العثماني في من هو باق إلى سنة 775 هـ.

كما قال عنه: كبير القدر، غزير العلم، أناف على السبعين، وهو باق بأردبيل [الزركلي، الأعلام، ج 8، ص212؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 13، ص266]. كان فقيها على مذهب الإمام الشافعي وكان محدثًا.

آثاره

1 - الأنوار لعمل الأبرار، في فقه الشافعي، وهو كتاب معتبر متداول، جمع فيه ما يعم به البلوى من المسائل المهمة الغير مذكورة في المعتبرات، ذكر أنه اعتمد على الأكثر على الكتب السبعة، الكبير والصغير للرافعي، والروضة، وشرح اللباب، والتعليقة، والحاوي، والمحرر. وعليه تعليقات، منها تعليقة العلامة جمال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني الشافعي المتوفى سنة 907 هـ، وتعليقة الشيخ نور الدين علي ابن محمد الاشموني المتوفى سنة 900 هـ، وشرح الأنوار لنور الدين علي بن أحمد البوشي الشافعي المتوفى سنة 856 هـ. وأفرد الشيخ السراج عمر بن محمد اليمني المتوفى سنة 887هـ زوائده وسماه أنوار الأنوار [حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص195، 196]. وهذا الكتاب يقع في مجلدين لطيفين، وهو باق بأردبيل 2 - شرح كتاب مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة 516هـ، في ثلاثة أجزاء، وكتاب المصابيح يضم أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر حديثا. ولهذا الكتاب شروح كثيرة [حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص195، 196].

المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص195 ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة، سبتمبر 1992، ج8، ص212 ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، ج 6، ص264 ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 13، ص266.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

الأردبيلي، أبو محمد نور الدين فرج

(... هـ/ ... م - 749 هـ/ 1348 م)

الإمام أبو محمّد نور الدين فرج بن محمّد بن أحمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشافعي الجامع بين المنقول والمعقول [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 10، ص380؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص175؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص230؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص230؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 1879م؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج 8، ص58].

والأردبيلي نسبة إلى أردبيل بالفتح ثمّ السكون، وفتح الدال، وكسر الباء من أشهر مدن أذربيجان بينها وبين تبريز سبعة أيام، وهي مدينة كبيرة جدًا زارها ياقوت الحمويّ سنة 617 هـ، ووصفها في معجم البلدان بقوله «يتسرّب في ظاهرها وباطنها عدّة أنهار، كثيرة المياه ومع ذلك فليس فيها شجرة واحدة من شجر جميع الفواكه، لا في ظاهرها ولا في باطنها ولا في جميع الفضاء الذي هي فيه، وإذا زرع أو غرس فيها شيء من ذلك لا يفلح، هذا مع صحّة هوائها وعذوبة مائها وجودة أرضها» [ج 1، ص174]، انتسب إليها جماعة من أهل العلم في مختلف الفنون، منهم محمّد بن أحمد بن محمّد بن هلال، ومحمّد حسن بن محمد علي الموسوي، وحسن بن عبد الله، وإسحاق بن أحمد، ومحسن بن عبد الله.

كان الإمام محمد نور الدين الأردبيلي فاضلا متواضعا حسن المناقب، قال فيه الإمام الحافظ تقيّ الدين بن رافع «كان ديّنا خيّرا، ملازما للاشتغال والجمع، بشوش الوجه، حسن الملتقى متواضعا» [ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص231؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص230].

كان فقيها شافعيا أصوليا بارعا، قرأ المعقولات بتبريز، وتخرّج بالإمام فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، وكان من أكثر الناس اشتغالا بالعلم، ذا همّة في التحصيل عالية [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 10، ص380؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص175]، ذكر للشيخ تاج الدين السبكي أنه كان يقرأ بتبريز الكشّاف لجار الله الزمخشري على شيخ من فضلائها، وأنه كان يذهب إليه في كلّ يوم من تبريز الصبح، فيصل قريب الظهر، لأنّ منزله كان بعيدا عن البلد، ومازال حتّى أكمله قراءة عليه [طبقات الشافعية الكبرى، ج 10، ص380]، ولمّا قدم دمشق لازم الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وعكف على الفقه، وانتصب للتصنيف بهمّة عالية، وانتفع خلق كثير بدروسه البديعة، وتقريراته البليغة على تفسير الكشّاف، فقد أعاد بالبادرئية مدّة، ثمّ درّس بالظاهريّة البرّانية، ثمّ انتقل عنها إلى

التدريس بالناصرية الجوانية، ثم بالجاروخية بعد الإمام نجم الدين بن الشحام (ت 730هـ) [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج10، ص380؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج1، ص175؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص230؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص230].

آثاره

صنّف في الأصول والفروع كتابين نفيسين يعربان عن رسوخ قدمه في هذين العلمين، فقد شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ) شرحاً جيّداً نوّه به جمال الدين الإسنوي (ت772 هـ) وغيره سمّاه «حقائق الأصول في شرح منهاج الوصول»، وشرح قطعة جيدة من منهاج الطالبين للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي في فروع الشافعيّة وصل فيها إلى أثناء ربع البيوع في ستة مجلّدات أرسل بعضها إلى الإمام السبكي ليقف عليها، وقال فيه الحافظ ابن حجر العسقلانيّ (ت 852 هـ) «ما له نظير في التحقيق» [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 10، ص380؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج1، ص175؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص230؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص230؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، 1874م؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج 1، ص408؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص58].

توفّي الشيخ نور الدين شهيداً بالطاعون بمدرسته الجاروخية في نهار الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 749هـ، ودفن بباب الصغير بدمشق [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 10، ص380؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص176؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص231؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ج1، ص230؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص58].

المصادر والمراجع

● ياقوت، أبوعبد الله شهاب الدين الحموي (ت 626 هـ)، معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1410 هـ/ 1990 م، ج 1، ص174 ● السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحيّ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 1، ج 10، ص81 ـ 380 ● الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772هـ)، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد بغداد، ط1، 1390 هـ/ 1970م؛ ج 1، ص175 ● ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين بن عليّ العسقلانيّ (ت 852 هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ج3، ص230-231 ● النعيمي، أبو المفاخر محيي الدين عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي (ت 927 هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تح. جعفر حسني، مطبعة الترقّي بدمشق، ط 1367 هـ/ 1948 م، ج 1، ص230 ● حاجي خليفة، مصطفى بن

عبد الله القسنطيني الرومي الحنفي (ت 1067 هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا، وكالة المعارف، 1362هـ/ 1943م، ص1874-1879 ● البغدادي، إسماعيل باشا (ت 1339 هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ط 1402 هـ/ 1982م، ج 1، ص408 ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مطبعة الترقّي، دمشق 1376 هـ/ 1956 م، ج 8، ص58 .

د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس

أرسلان، شكيب بن حمود

(1286هـ / 1869 م - 1366 هـ/ 1946م)

ولد شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان بـ «الشويفات» (جبل لبنان) وبها تلقى علومه الأولى ثمّ دخل «مدرسة الحكمة» ببيروت لينهي دروسه الابتدائيّة، فالثانويّة. وفي السّنة 1887 دخل مع أخيه نسيب «المدرسة السلطانية» في بيروت، ليتعلّما التركيّة، والفقه الإسلامي، وحضرا درس مجلة الأحكام العدليّة على الإمام محمد عبده (وكان وقتذاك في بيروت). وانعقدت بين عائلة شكيب والإمام صداقة قويّة كان لها الأثر الفاعل في تكوين «الأمير» وتوجيهه.

وفي السنة 1890 سافر إلى مصر وتعرف من خلال حلقة الإمام محمد عبده إلى رهطه المعهودين وهم كلّهم طلائع النّهضة الحديثة، ومنهم سعد زغلول، والشيخ علي يوسف (صاحب المؤيد)، وأحمد زكي باشا، ورشيد رضا (صاحب المنار)، وسواهم. ثمّ اتّصل بجمال الدّين الأفغاني في الآستانة سنة 1892. وقد اتّخذ الأمير من هذين المُصلحين (عبده والأفغاني) مثلاً أعلى لحياته، ورأى في سيرتهما ودعوتهما إلى الإصلاح طريقا يسلكها، وشعارا يرمي إليه. ولذلك كان موقفه من نصرة العثمانييّن يختلف، آنذاك، عن موقف كثير من زعماء لبنان الذين تأثروا بالإرساليات والدّعايات الأوروبيّة، فكان بمواقفه أشدّ الشبه بمصطفى كامل في مصر، في سياسته نحو العثمانيين.

انتُخب في سنوات الحرب العالميّة الأولى نائبًا عن حوران في مجلس النّواب (المبعوثان) بالآستانة، بعد أن ألغى الأتراك امتيازات لبنان وحكموه حكمًا مباشرًا، ونسب إليه خصومه ومناظروه التعاطف مع الأهداف التركيّة، ولكنّه رأى في تقرّبه من الأتراك خدمة لوطنه لبنان. ولمّا خسر أصدقاؤه

الحرب، خرج من لبنان واستقرّ أوّلا بمرسين، ثمّ انتقل إلى جنيف ليقاوم الانتداب، ويعرض للعالم الغربي مطالب أمّته. وتوثّقت روابط الصّلة بينه وبين الملك فيصل الذي كان يعرف من الأمير ما كان النّاس يجهلونه، وكان يقدّره حقّ قدره. وعقب انتخاب الأمير سكرتيرًا أول للمؤتمر السّوري الفلسطيني سافر إلى جنيف (1925) لتأليف الوفد بتكليف من المؤتمر، وصار ينادي بثلاثة أهداف: الاتحاد العربي، التّحرّر، السير في موكب النهضة والعلم الحديث. وفي هذا المضمار أنشأ مع إحسان الجابري مجلّة بالفرنسيّة باسم «الأمّة العربيّة» من العام 1928 إلى 1930، لتكون لسان حال الوفد لدى جمعيّة الأمم في جنيف.

وقد كان في الفترة التي أقامها بجنيف (1925-1946) في أعلى نشاطه وفي أشد خصوبته، وفي أنعم مآثره، فقد أخرج «الأمير» سلسلة من الكتب هي أروع ما كان له في حياته.

وفي 30 تشرين الأول (أكتوبر) 1946 عاد إلى بيروت، مكلّلا رأس لبنان والبلاد العربيّة بمفاخر أعماله وكتاباته. وفي لحظاته الأخيرة كتب للسيّد عبد الله المشنوق - وكان إلى جانب سريره - بيد مرتجفة «أوصيكم بفلسطين» [الدهان، 99]. وتوفّي الأمير عن سبع وسبعين سنة ليلة الاثنين في 9 كانون الأول/ ديسمبر 1946.

والأميرشكيب سياسيّ، ومؤرّخ، ولغويّ، وأديبٌ، ورحّالة، وأحد كبار النّاشطين في الدّفاع عن القضايا الإسلاميّة والعربيّة والوقوف في وجه الاستعمار الغربي.

كان ممّن يناصرون فكرة «الجامعة الإسلاميّة» المتمثّلة في «الخلافة العثمانية»، ويرون فيها الحائل دون السيطرة الأجنبية، وبالتالي فـ «السلطان العثماني» يمثّل رمزا لإنقاذ الإسلام والمسلمين من هجوم الغربيّين في القرن العشرين كما هجموا في القرون الماضية.

وظلّ الأمير شكيب ماضيا في اعتقاده هذا يناضل بلا هوادة حتّى تكشّفت له أهداف «الثّورة العربيّة» فشرع يشدّ أزر الملك فيصل ويجهد في نصرة القضيّة العربيّة في المحافل الدّولية وفي أوروبا خصوصا. كان عضوا في الجمعية الآسيوية، وعضوا بالمجمع العلمي في دمشق.

ومن أشهر أعمال شكيب أرسلان «الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسية». وفيه خطط لإصدار موسوعة أندلسية تحيط بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود، ليستعيد بالقلم مجدا أضاعه العرب بتفرقهم، فأصدر ثلاثة أجزاء في 1569 صفحة، ولم تر الأجزاء الأخرى النور (ولعلّها كما ذكر خمسة).

وجعل في فاتحة كتابه تنويهًا وثناء على الأمير «عمر طوسون» الذي لقيه خلال الحرب الطرابلسيّة (في ليبيا)، فعرف فيه العالم، والرجل العامل الفاضل. كما جعل في غزوات العرب تنويهًا وإهداء للملك فيصل الأول.

وفي ما طبع من أجزاء، نراه يخصّ الجزئين الأول والثاني بالحديث عن شمالي الأندلس، ويخصّ الثالث بشرقيّها. وهو يقرن في حديثه

وصف الأقاليم وجغرافيتها بذكر الممالك وما يتعلق بها من تاريخ، كما يورد تراجم من انتسب إلى هذه المدن والممالك، من غير أن يفوته الاستنتاج، من هذا كلّه، أثر العرب في العمران والحضارة والتّاريخ.

ولقد جهد الأمير جهدا شاقا في نقل كل ما يرجع إلى الأندلس من كتب العرب، فقد أخذ عن «المسعودي، وابن حوقل، والمقدسيّ، والشّريف الإدريسيّ، وابن الأثير، وياقوت الحموي، وابن خلدون، ولسان الدّين بن الخطيب، والقلقشنديّ، والمقريّ صاحب نفح الطيب...»، كما أخذ عن دوزي المستشرق الهولندي، ورينو الإفرنسي، وإيزودور الباجيّ «...وأصحاب الانسكلوبيدية الإسلاميّة، ولوي بروفنسال من المعاصرين والمسيو جوسيه...» وسواهم [1/ 16]. وطاف من أجل موسوعته خزائن ألمانيا وسويسرا وإسبانيا، واتّصل بالعديد من العلماء، وركن إلى الأسكوريال، وخرج من ذلك بدرس عظيم في بيان مفتاح لدراسة «إسبانيا المسلمة» كما يراها هو، لا كما يراها الفرنجة.

ويضاف إلى ذلك كله مشاهداته العيانية ورحلته في الربوع الأندلسية كما رآها خلال مقامه فيها. فهو يسير بالقارىء بتلك المرابع سيرة هوميروس في الإلياذة والفردوسي في الشاهنامة، فكأنه ينشر ملحمة في النثر عن قومه وأعمالهم في الأندلس، ويتيه بحلل الجغرافية والعلم وبدائع الآثار.

وقسّم المؤلف كتابه إلى قسمين : جغرافي وتاريخي، وكان يبدأ بالجغرافي، ولم يقتصر في ذلك على ما كانت عليه إسبانيا في أيام العرب، أو في القرون الوسطى، غير ناظر إلى أحوالها الجغرافية الحاضرة، بل جمع القديم إلى الحديث، وقرن ما كتبه العرب بما جمعه الإفرنج، وكان يُدخل في هذا القسم تراجم من نبغ من أهل العلم في كلّ بلد من البلدان التي يذكرها.

وقد استغرق الجزء الأول تخطيط الجزيرة الأندلسية وأقوال العرب عن جغرافية الأندلس، وما عرفته من تقسيمات، ثم يأخذ بالحديث عن طليطلة واصلاً بذاك الجزء الثاني بالأول، فيتحدث عن المدن الشهيرة في ممالك قشتالة وسرقسطة وكتلونية وليون وبرشلونة...، ويتابع في الجزء الثالث استكمال الممالك والمدن، وما علق بها من تاريخ وأخبار ووقائع في شيء من التداخل.

وهو حين يتحدث عن الأقاليم وجغرافيتها يشبه إلى حد المطابقة طريقة المصنفات التراثية الكبرى، كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي، في السرد والترتيب من حيث نقل المعلومات والأخبار تباعًا من مصادر مختلفة، ممّا يوقع في تكرر الأحداث والأوصاف والأعلام، كما تعاد الآراء في شكل أوضح أو أقل وضوحًا، ولكنّها متلاحقة، بلا اعتماد للتّرتيب الفنّي أو استصفاء زبدة القول، أو الموازنة بين النّصوص، أو حذف التفصيلات المتشعبة. لذا بدا الكتاب بأجزائه الثلاثة معرضًا لجغرافيّة الأندلس، فقد جمع المؤلف كلّ ما قيل في الموضوع، أو كلّ ما وقعت عليه يده من كتب.

ولا ريب في أن فكرة جمع المادة المتعلقة بالأندلس، من المظان والكتب الأجنبية، قد وفّر للقرّاء والباحثين جهد البحث والتنقيب

عن هذه المصادر. وتأتي فكرة المقابلة بين النصوص القديمة والحديثة، وبين النّصوص العربيّة والإفرنجية، جليلة النفع لتزيد من فرص الاستنتاج والتمرس بتحليل النصوص ونقدها. يضاف إلى ذلك ما في الكتاب من مشاهدات عيانية، دمغت بصحتها وصدقيّتها نوع النصوص من حيث الوصف والتعليق، وارتقت في كثير من الفصول إلى مستوى العمل الوثائقي. وقد عزّز هذا الجانب ما اعتمده الكاتب في عزو الروايات إلى أهلها واعتماد الهوامش التوضيحية أحيانا. يضاف إلى ذلك أهمية ما جاء به من أسماء إسبانيّة وما يقابلها بالعربية، وهو ما شكّل نواة معجم جغرافي تاريخي، يسهل تطويره وتحديثه، فيغدو معجمًا مرتّبًا على حروف المعجم.

ومن أعماله المعتبرة أيضا كتاب «القوْلُ الفصلُ في ردّه العاميّة إلى الأصول». وقد عُثر على مخطوطته بين أوراق أمين خضر، صديق الأمير شكيب. ولم يكن المخطوط، على ما يبدو كتابًا ناجزًا (197 صفحة غير مُرقّمة) بل كان، على الأرجح مسوّدةً أو مشروعًا لكتاب. لذا خلا من مقدمة ومن الترتيب والتبويب والشرح. وقد أشار المحقق إلى ذلك كله، وإلى ما بذله من جهود في التحرير والتحقيق وإخراج المادة (10 ص).

ويوزّع المحقّقُ الكتاب إلى ثلاثة أقسام وفق طبيعة المضمون هي :

(1) ردُّ العاميّة إلى الأصل (ص 13-219)، وفيه 271 كلمة وعبارة، التقطها المؤلّف من أقوال العامّة في لبنان والبلدان العربية.

(2) شذرياتٌ لُغويّة (ص 221-271)، وفيه 407 كلمة من الفصحى.

(3) من كلام البُلغاء (ص 273-294)، وفيه 30 جملة، من أساليب العرب الفصيحة.

لقد بدا من أقسام الكتاب التنوّع في المضمون، فالقسم الأوّل يشكّل مادّة لدراسة «العاميّة» في ضوء علاقتها بالفصحى أو صدورها عن لغات عرفتها المجتمعات العربية بفعل التفاعل الحضاري أو الحوادث التاريخية. وقد عنى المؤلّف بردّ هذه الألفاظ العاميّة إلى أصلها الفصيح، أو الكشف عن أصول لغويّة أخرى.

ويندرج القسم الثاني في العمل المعجمي، المعنيّ بالتوسّع الدلالي، وتحديدًا تقييد المطلق من دلالة الألفاظ. ولم يألُ المؤلّف جهدًا في بيان الدلالة الملتبسة.

ويعنى القسم الثّالث بإحياء استخدام الأساليب الفصيحة التي تداولها القدامى، فأعاد المؤلّف شرحها بصياغة عصرية، كي يفيد منها المنشئون المُحترفون.

جمع الكاتب في مصادره بين السماع والمشاهدة، من جهة، والمعاجم والمظان التراثية الأخرى من جهة ثانية، فهو يحيل إلى معجم «لسان العرب» أو «تاج العروس» أو «المخصّص» إضافة إلى ما كان يعثر عليه من مصنّفات في الطّبقات والدّواوين في أثناء حله وترحاله.

ويُترجم الكتاب، في قسمه الأول، رغبة الأمير شكيب في التقريب بين العاميات والفصحى. فهو يتوفّر على الدّرس اللّغوي المؤدّي إلى كشف جذور الكلمات العامية وبيان ما في منطوقها من دوائر اللّهجات

واللغات. وهو اتجاه نلقى بدايته في أعمال تراثية، ككتاب «بحر العوام في ما أصاب فيه العوام» لابن الحنبلي (ت 971 هـ)، ثم تعمّق الاتجاه في دعوة أمين فكري، في بحثه المقدّم إلى مؤتمر المستشرقين الدّولي الثامن (1889 م)، ومن ثمّ في بحوث عدد من المجمعيين، نذكر منهم أحمد حسن الزيات، ومحمد فريد أبو حديد، ومحمود تيمور، والشيخ أحمد رضا، وعارف النكدي... ؛ وما زال هذا الاتجاه الداعي إلى استثمار العاميات وتوظيفها في تيسير الفصحى يظهر تباعا في بحوث أكاديمية تُعنى بمعالجة الازدواجية اللّغوية في الوطن العربي.

آثاره

1 - باكورة نظم الأمير أرسلان (شعر)، طبعة بيروت 1887، (92 ص؟)؛ 2 - ديوان الأمير شكيب أرسلان (شعر)، وقف على ترتيبه وطبعه السيد محمد رشيد رضا. وتوفي قبل تمام طبعه. نشر بمصر 1354 هـ/ 1935م (205 ص)؛ 3 - الارتسامات اللّطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف. وقف على تصحيحه السيد محمد رشيد رضا، وطبعه بمطبعة المنار بمصر 1931/ 1350 (ص 284)؛ 4 - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط. طبعة عيسى بابي الحلبي، مصر 1933/ 1352 (ص 307)؛ 5 - شوقي أو صداقة أربعين سنة، طبعة بابي الحلبي، مصر 1936 (ص 347)؛ 6 - السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، مطبعة ابن زيدون، دمشق 1937 (ص 811)؛ 7 - تعليقات على ابن خلدون، طبعة مصر 1936 (ص 405)؛ 8 - الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (ثلاثة أجزاء)، المطبعة الرحمانية مصر 1936-1939، (1379 ص)، وطبعة مصورة، منشورات مكتبة دار المعارف بيروت (بلا تاريخ) 3 مجلدات (1574 ص)؛ 9 - لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. طبعة مصر 1939، (166 ص)؛ 10 - النهضة العربية في العصر الحديث. (محاضرة) طبعت على نفقة جريدة الجزيرة بدمشق 1937 (47 ص)؛ 11 - القول الفصل في رد العامي إلى الأصل. وقد أدرج في الكتاب أيضا «شذرات لغوية» ومن كلام البلغاء قدم له وشرحه وعلق حواشيه محمد خليل الباشا، الدار التقدمية، لبنان 1988 (307 ص)؛ 12 - الدرة اليتيمة لابن المقفع، مطبعة الجامعة، بيروت، 1897 وطبعة القاهرة 1910 (70 ص)؛ 13 - المختار من رسائل أبي إسحق الصابي، ج. 1 بعبدا (لبنان) 1898، (286 ص)؛ 14- محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي، طبعة بابي الحلبي، مصر 1933، (166 ص)؛ 15 - آخر بني سراج، تأليف الفيكونت ده شاتوبريان، ومعه كتاب «خلاصة تاريخ الأندلس وانقضاء العصر في دولة بني نصر» طبعة المنار، مصر 1925 (415 ص)؛ 16 - أناتول فرانس في مباذله، تأليف بروسون، ومعه كتاب نقولا سيفور في أناتول فرانس، المطبعة العصرية، 1925، (310 ص)؛ 17 - حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستوداراد، وترجمة عجاج نويهض، ط. 1، المطبعة السلفية، القاهرة 1925، مجلدان؛ ط. 2، بابي الحلبي

القاهرة 1933؛ ط. 3، دار الفكر بيروت 1971؛ ط. 4، دار الفكر بيروت 1973، مجلدان، (815 ص)؛ 18 - النقد التحليلي لكتاب «في الأدب الجاهلي»، تأليف محمد أحمد الغمراوي مصر 1929، (مقدمة الأمير شكيب في 56 ص)؛ 19 - روض الشقيق، وهو ديوان أخيه الأمير نسيب. طبع في دمشق 1925 في 276 ص (مقدمة الأمير شكيب 150 ص)؛ 20 - اللغة العامية توأمة الفصحى، المقتطف ج. 1، لسنة 1912، ص 577-576؛ 21 - علامة التاريخ باللهجات العربية، المقتطف مجلد 80، السنة 1932 ص 142 وما بعدها.

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام 3/ 251؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 4/ 304-306؛ ● فهرس دار الكتب المصرية، 3/ 339، 5/ 168، 7/ 216، 8/ 66، 114، 122؛ ● سركيس، معجم المطبوعات... 1/ 932؛ ● سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان: حياته وآثاره، دار المعارف بمصر 1960؛ ● محمد علي الطاهر، ذكرى الأمير شكيب أرسلان، القاهرة 1947؛ ● دائرة المعارف للبستاني، 1/ 166 ـ 167؛ ● أدهم آل جندي، أعلام الأدب والفن، 2/ 364 ـ 366؛ ● عارف النكدي، مجلة المجمع العلمي بدمشق، الأمير شكيب أرسلان، السنة 1947، 22/ 86-95، 186؛ ● مجلة العروبة، العدد 3، عدد خاص عن الأمير شكيب، بيروت 1347 هـ؛ ● مجلة الأبحاث، جبرائيل جبور، السنة7، العدد 1، بيروت 1954 ص33-38 ● مجلة الرسالة، روفائيل بطي، السنة 15، القاهرة 1947، ص 46-47، 207-208، 348؛ ● مارون عبود، روّاد النهضة الحديثة (البارودي وأرسلان) طبعة دار الثقافة بيروت 141-147؛ ● أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام (سلسة أعلام العرب)، العدد 21، المؤسسة المصرية العامة القاهرة 1963؛ ● رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، 1/ 193-198، 332- 333، 2/ 27-28، 227-235، 600-604.

د. رياض زكي قاسم
الجامعة اللبنانية - بيروت

أرسلان، عادل حمّود

(1304هـ / 1887 م - 1373 هـ/ 1954م)

عادل حمود أرسلان، أمير، وسياسيّ، وشاعر.

وُلِدَ الأمير عادل، بن حمّود، بن حسين، بن يونس، أرسلان، في الشويفات القريبة من بيروت، في العام 1887م، وعلى الأرجح، في العام 1889م، في أسرة أرسلان الدرزيّة العريقة التي حكمت لبنان زمنًا.

ويعيد الأمراء الأرسلانيّون نسبهم إلى الأمير أرسلان بن مالك، بن المنذر، بن ماء السماء اللخميّ.

وقد أقطع الخليفة العبّاسيّ أبو جعفر المنصور الأرسلانيين إقطاعات معلومة في ضواحي بيروت.

ومن اللافت أنّ المؤرّخين للأُسَر اللبنانية العريقة، قد أسهبوا في الكلام على الأسرة الأرسلانية ، ونسبوا إليها الأعمال البطولية الخارقة، حتّى أنّ اسم أرسلان، أو رِسْلان، بلهجة العامّة، يعني: الأسد، والشجاع، والجسور.. [للتوسّع: أحمد أبو سعد: معجم أسماء الأسر والأشخاص..، ص80].

وبقي أثر البطولات ظاهرًا في التسميات التي أسبغها الأجداد على الأولاد، ومنها: عضد الدولة، وشمس المعالي، والغضنفر، وسيف الدولة، وشجاع الدولة، وأبو الغارات، وأبو الجيش، وأبو المكارم، ومفرّج الكروب..

نشأ وترعرع في لبنان، مناصرًا للقضايا العربيّة.

تلقى علومه في مدارس بيروت المعروفة في زمانه: مدرسة الحكمة، مدرسة الفرير، الكلّية العثمانية.. ثمّ سافر إلى فرنسا ليتخصّص بالأدب، وبعدها انتسب إلى الكلّية الملكيّة في اسطمبول.

شبّ مع مولد القضيّة العربيّة، في منزل تعدّدت فيه الآراء السياسيّة، وتباينت أحيانا: فقد كان شقيقه شكيب (1869-1946م) يحسن الظنّ بالأتراك الذين اتّخذوا من «الطورانيّة» قناعًا يجذب الناس إلى الجامعة الإسلاميّة. ثمّ اختلف مع العثمانيين الذين حملوه على الاستقالة من قائمقاميّة الشوف سنة 1900م، فسافر إلى مصر، ومنها إلى طرابلس الغرب.. وفي سنة 1913م انتخب نائبًا عن حوران، وأصبح على وفاق مع السلطة العثمانية.

أمّا الأمير عادل، فقد بدأ حياته السياسيّة، عندما تولّى قائمقاميّة «عاليه» (1916م). وكان خير مناصر للقضايا العربيّة، وقد عمل سرّا على تمكين البلدان العربيّة من التحرّر، وتأمين السيادة الذاتية والاستقلال.. مع ميله «ظاهريا» إلى الأتراك العثمانيين.

وعرف عنه، في ما بعد، أنّه وقف موقفا عربيّا صامدا، وحارب سياسة التتريك والعصبيات المحلّيّة التي أثقلت كاهل المجتمع اللبنانيّ، على وجه الخصوص.

ومختصر القول: إنّ الأمير عادل أرسلان كان

رجل سياسة، وصاحب مواقف سياسيّة تضطرّه إلى المناورة والملاينة والمحاورة..

شغل منصب أمين السرّ، في وزارة الداخليّة العثمانية في اسطمبول، ثمّ عيِّنَ مديرًا للمهاجرين، في ولاية سورية، ثمّ رقّي إلى درجة قائمقام، فأسندت إليه قائمقاميّة الشوف، في جبل لبنان.

في الآستانة، عمل مع فريق من أعلام اليقظة العربية، فانضمّ إلى «الجمعية القحطانية» التي نشأت على أنقاض «المنتدى الأدبي»، أواخر العام 1909، وكان أمين سرّ اللجنة المركزيّة فيها.

ولمّا ضعفت «القحطانية»، واندثرت، أواخر العام 1913، بعد أن قضى عليها الاتّحاديون الأتراك، انضمّ إلى «جمعية العهد» التي أنشأها عزيز علي، مُنْشِىء القحطانية، وسفير الجمهورية المصريّة، في موسكو، وقائد الجيش المصريّ، في ما بعد.

والجدير بالذكر، أنّ رجال «جمعيّة العهد» كانوا ضبّاطًا عربًا، ومعظمهم من العراقيين.

في مطلع العام 1916، انتخب نائبًا عن جبل لبنان في مجلس المبعوثين العثمانيّ.

وفي العام 1919، عيّن حاكمًا لجبل لبنان، وبعدها مساعدًا إداريًّا لحاكم سورية العام، وكان يومها: علي رضا باشا الركابي، في عهد حكومة الملك فيصل.

وبعد انهيار العهد الفيصلي، ذهب برفقة الملك فيصل إلى أوروبا، ثمّ عاد إلى الأردن، في بدء ولاية الأمير عبد الله، فعهد إليه برئاسة ديوان الإمارة، منذ العام، 1921، وحتّى العام 1923م.

في أواخر العام 1923، اضطرّته ظروف سياسيّة إلى الخروج من البلاد، فسافر إلى الحجاز.

ولمّا دخل السعوديّون مكّة، عام 1925، نزح إلى مصر، ومنها إلى القدس التي بقي فيها حتّى قيام الثورة السورية الكبرى، فانخرط فيها، وقاد جيوشه، في كثير من المواضع، إلى جانب قائدها العامّ: «سلطان باشا الأطرش»، فكان قائدها الثاني، وفي معاركها ظهرت بطولته.

وأمام تقدّم الجيش الفرنسي الضاغط، انتقل مع سلطان باشا الأطرش إلى النبك، ثم عاد إلى الأزرق، فأقام فيها مع فريق من المجاهدين، إلى أن أخرجهم الإنكليز إلى «قريات الملح»، في العام 1926م. وقد بقي بعيدًا عن بلاده قرابة عشر سنوات.

ولشدّة تصلّبه في مواقفه الوطنيّة، حُكِمَ عليه بالإعدام، غيابيًا، ثلاث مرّات:

1- يوم دخول الجيش الفرنسي دمشق، في الرابع من تموز، 1920م.

2- أثناء وجود الفرنسيين في سورية، عام 1921م.

3- أثناء الثورة العربيّة على الفرنسيين، عام 1925م.

وقد بقي الأمير عادل مشرّدًا مع القادة الوطنيين، يطوف البلاد العربية، بمهمات وطنيّة استقلالية، متنقّلاً بين العراق ومصر وأوروبا.

وفي العام 1936، حين عقدت المعاهدة الفرنسية السورية، عاد إلى سورية، وعيّن مفوّضًا لها في أنقرة (1937-1938).

وعندما انهارت المعاهدة وفشل مشروعها، اعتقله الفرنسيّون، وسجنوه في قلعة «تدمر». ولمّا بزغ فجر الاستقلال، تسلّم الأمير عادل وزارة المعارف (1946م)، ثمّ تولّى منصب وزير ثلاث مرّات:

1- في السابع عشر من شهر حزيران، 1946م، في وزارة المرحوم سعد الله الجابري.

2- ووزيرًا للخارجيّة السوريّة، في العام 1949م.

3- ووزيرًا وعضوًا في الأكاديمية الديبلوماسية الدوليّة، في العام 1950م.

ولمّا تسلّم الحكم أديب الشيشكلي، رجع الأمير عادل إلى بيروت، وفيها توفّي سنة 1954م.

لازم، طوال حياته، القضايا العربيّة، وعرف من وقائعها، وشؤونها، وشجونها، ما لم يعرفه غيره.

وقد خبر بنفسه الرجالات، والحوادث، والمواقف. وعمل إلى جانب أصحاب ثقات، من أمثال: عزيز المصريّ، وعبد المحسن السعدون، ورفيق العظم، ورشيد رضا.. كما أنّه استقى من الينابيع الأساسية، ومن أصحاب القرارات: كالملك فيصل، والملك عبد الله، وبعض رجالات العراق: كياسين الهاشميّ، وجعفر العسكريّ، ونوري السعيد، وغيرهم.

وقد لقّبه عارفوه: أمير السيف والقلم الشاعر المجاهد الأمير عادل أرسلان.

للأمير عادل شعر جيّد، سلس المعاني بديع الصور، «جدير بأن يُجمع» في ديوان، ويُنشر بين الناس تعميمًا للفائدة. وقد نشر له الزركلي قصيدة بخطّ يده [الأعلام، 3/ 224]. ورد في بعض أبياتها:

تراقصَ دوحُ الوادِ عند قدومِهِ
وأرخَى له الصفصافُ شَعْرًا مُصفَّفا

وغنّاهُ عصفورُ الرياضِ مرحِّبًا
وهزَّ لهُ الملُّول قدًّا مُهفهفًا

وكان له، من غرّة الشمسِ في الضُحَى
رقيبٌ، فلمّا لم يَنَلْ كيدَهُ اختفى

وظلَّتْ مِظلاّتُ الصنوبرِ فوقهُ
إذا خرّقتْها الشمسُ فالغيْمُ قد رفا

وقد عضّ للتفّاح خدًّا مورّدًا
ومصَّ من الدرّاقِ شهْدًا فما اكتفى

ومِنْ كَرَزِ الوادي أصابَ زمرّدًا
تحمّلَ ياقوتًا ومَنْ شاءَ أسرفا

كأنّي بالصفصافِ قد عِيلَ صبْرُهُ
(...) جاءهُ عِلْمُ الزيارةِ فاحتفى

أرادَ عبورَ الماءِ قَصْدَ لقائِهِ
فشمّرَ من أذيالهِ فضْلَ ما ضَفَى

ولمّا أرادَ الجسْرَ والنهرُ تحتَهُ
يطرّزُ بالحصباءِ ثوبًا مُصدّفا

تلقّتهُ طاحونُ القناةِ بقوسِها
فرشّتْ عليه الماءَ قُطنًا مندّفا

أبو الغيثِ حيّتْهُ المياهُ وصفّقَتْ
لعمْرِيَ في الأحفادِ ما أحسَنَ الوفا

-الملّول: نوع من الشجر الحرجيّ، يشبه شجر السنديان، باسق الأغصان عريض الأوراق.

-رفا: من رفأ: لأم خرق الثوب وخاطه بهدوء.

آثاره

أشهر مؤلفاته:

1- ديوان شعر، مخطوط، يحتاج إلى ترتيب وتنسيق، وشرح، ونشر؛ 2- مذكّرات في الأحداث التاريخيّة التي عاشها، أو تمرّس بها، منها: «ذكريات الأمير أرسلان عن حسني الزعيم»، دار الفكر الجديد، بيروت، 1962م.

المصادر والمراجع

● الخازن، وليم دياب، الشعر والوطنيّة في لبنان والبلاد العربيّة، من مطلع النهضة حتّى عام 1939، دار المشرق، بيروت؛ ● الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن؛ ● كرامي، نوّاف وناديا، العالم العربيّ: تاريخ ورجال؛ ● الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفنّ، ج2، ص366 368؛ ● الزركلي، خير الدين، عامان في عمّان، ص 111-114؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، م3، ص243؛ ● البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، قاموس عامّ لكلّ فنّ ومطلب، بيروت، 1956، مج1، ص163؛ ● البستاني، فؤاد أفرام، الأمير شكيب أرسلان فقيد الأدب العربيّ، البشير، 11/ 12/ 1946؛ ● الشدياق، الشيخ طنّوس، أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت، 1859، ج3، ص495؛ ● ابن يحيى، صالح، تاريخ بيروت، طبعة الأب شيخو، بيروت، 1927؛ ● ابن أحمد، حمزة، كتاب نزهة المشتاق، مخطوط، منه نسخة في دار الكتب العمومية بباريس، ونسخة في مكتبة الفاتيكان، ونسخة في مكتبة فؤاد أفرام البستاني بلبنان؛ ● الشهابي، الأمير حيدر أحمد، الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان، ج1، مخطوط، ج2 و3، صدرا في بيروت، بعنوان «لبنان في عهد الأمراء الشهابيين»، طبعة أسد رستم، وفؤاد أفرام البستاني، بيروت، 1933؛ ● شيخو، الأب لويس، بيروت: تاريخها وآثارها، بيروت، 1925؛ ● نويهض، عجاج، أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان، دار الصحافة، بيروت، 1962؛ ● بعض الصحف اللبنانية والسورية والمصريّة، الصادرة في 24 و25/ 1/ 1954؛ ● أبو سعد، أحمد، معجم أسماء الأسر والأشخاص ولمحات من تاريخ العائلات، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1995؛

● H. Lammens: La Syrie, Beyrouth, 1921.

د. ميخائيل مسعود
الجامعة الأمريكية - بيروت

الأرسوزي، زكي بن نجيب بن إبراهيم

(1318 هـ /1900 م - 1388هـ/ 1968 م)

زكي بن نجيب بن إبراهيم الأرسوزي نسبة إلى قرية أرسوز الواقعة في لواء إسكندرون وقد نسب جده إبراهيم إلى هذه القرية. ولد بمدينة اللاذقية (سورية) في شهر حزيران (يونيو) عام 1900م من أسرة متوسطة الحال؛ وكان أبوه يمارس مهنة المحاماة في مدينة أنطاكية حاضرة لواء اسكندرون، حيث ترعرع؛ يروى عن والده أنه أنزل العلم عن دار الحكومة في أنطاكية عام 1917 ووضع العلم العربي مكانه، وأنه قام بتشكيل جمعية سرية تسعى لإقامة حكم عربي بدلاً من الحكم العثماني، وسجن بسبب ذلك.

نفي والد زكي الأرسوزي إلى أنقرة بسبب نضاله الوطني فرافقه ابنه إلى هناك وتعلم اللغة التركية وأتقنها. كما تعلم في الكتّاب وحفظ القرآن الكريم ودخل المدرسة الابتدائية عام 1908 ثم انتقل إلى المدرسة الثانوية واهتم بالرياضيات وتركزت مطالعاته على الكتب الصوفية والدينية.

عيّن مدرّسًا للرياضيات في أنطاكية 1920-1921، ثم مديرًا لناحية أرسوز 1924-1925، فاهتم بالفقراء وانتصر لهم، ونقل من أجل ذلك إلى دائرة المعارف كأمين سر في السنوات 1926-1927.

أوفد إلى فرنسا للدراسة عام 1927 وكان وجوده في فرنسا الحدث الأهم في حياته كما كتب بعد ذلك: «حصلت لي أول تجربة ميتافيزيقية فاستمالت نفسي، وأصبحت مظاهر حياتي بتأثير هذه الاستمالة ترتدي حلة جديدة، بمعنى أن جميع المفاهيم أخذت تكتسب معنى جديدًا غير المعنى الذي كنت آلِفته أثناء المطالعة، وبذلك تكوّنت معالم شخصيتي تكوينًا جديدًا، ووسائلي في الفلسفة والفن والأخلاق توضح هذا الاتجاه». وعاد من فرنسا حيث عين مدرسًا للتاريخ والجغرافيا في ثانوية أنطاكية، وما لبثت السلطة الفرنسية أن نفته عام 1933 إلى مدينة دير الزور شمال شرق سورية بسبب نضاله ضد تتريك لواء اسكندرون، ثم فصلته من الوظيفة عام 1934.

بعد ضم لواء إسكندرون إلى تركيا سجن ثم أفرج عنه وأصدر جريدة (العروبة) عام 1937 في أنطاكية (صدر منها 114 عددًا) وأغلقت. فرحل إلى حلب فحماه فحمص واستقر في دمشق عام 1938، وانتسب إلى عصبة العمل القومي التي كانت تنادي بالكفاح الثوري ضد الاستعمار الفرنسي، وسافر إلى بغداد عام 1940 وعمل مدرّسًا للفلسفة ثم طرد منها بسبب مواقفه السياسية وعاد إلى دمشق، وأصدر مجلة باسم (البعث العربي) كانت تصدر بخط اليد، كما أصدر كتابه الأول عام 1942 بعنوان (العبقرية العربية في لسانها).

مارس مهنة التدريس من جديد في مدينة حماه عام 1947. ثم انتقل إلى حلب وعاد أخيرًا إلى دمشق عام 1953 مدرسًا للفلسفة في

ثانوياتها، واستقر فيها حتّى إحالته على المعاش عام 1959، ثمّ وفاته في الثاني من تموز (يوليو) 1968 دون أن يتزوج.

اعتنى بدراسة التاريخ وفقه اللغة والفلسفة وتأثر بعدد كبير من المفكرين الفرنسيين والألمان مثل برغسون الذي أحبه وتأثر بفلسفته وتابع قراءته وشرح نصوصه، ونيتشه، وديكارت، وكانْتْ، وبشكل خاص بفكر (فيختته) الذي شدد على أهمية اللغة في الوحدة القومية.

يرى الأرسوزي أن للعرب فلسفة كاملة قائمة في ثنايا لغتهم، لم يعبر عنها حتى الآن أي مفكر كلّيًا، إذ إن أحدًا منهم لم ينتبه إلى أن الطريق التي تؤدي إليها يجب أن تستند إلى فهم نظام اللّغة العربية، فاللغة العربية بما لها من قوة بيانية خاصة تبدع كل معنى من المعاني الوجودية الكبرى. ويشكل موضوع اللسان العربي العمود الفقري في فكر الأرسوزي، وآراؤه حول اللسان العربي هي المدخل إلى نظريته الفلسفية العامة، حيث يرى أنّ اللغة العربية هي مستودع التراث وأبلغ مظهر لتجلي عبقرية الأمة، وعلينا أن نبدأ بعثنا القومي ببعث كلامنا، وأن نعود إلى لغتنا ونحياها عن وعي، لأن البعث يكون من الكلام إلى الينبوع.

كما يرى أن الأمة من المرحلة التاريخية كالبذرة من موسمها، ينمو كل منهما بنموّ العلاقة بينه وبين بيئته الخاصة، وعلى هذا الشكل أيضًا تنشأ العلاقة، علاقة تواجد وتعاطف بين الأنا والأشياء (الأنام) بين الولد وأهله، بين المرأة والرجل، بين المبدع وإبداعه. والأمة تعني الأسرة أو ما هو امتداد للأسرة، ويشير الذهن العربي - حسب الأرسوزي - إلى تلك الحقيقة باشتقاقه كلمة (أم) من مصدر (أمّ) فالأم يصدر عنها بنوها وهي منهم محط الآمال. كما أن الأمة هي مصدر الأخوة الاجتماعية، وإن كلمة قومية تعني حسب اشتقاقها اللغوي: قيام ذوي القربى للدفاع عن حقيقتهم المشتركة، عن تراثهم ومثلهم العليا، وعلى هذا فإذا كانت الأمة تعني أصول القرابة بالدم والثقافة فإن القومية تدل على الشعور بهذه القرابة والعمل بمقتضاها.

والأمة - حسب الأرسوزي - هي في الحدس العربي من الأم، وهي منظومة حية، جذورها في الطبيعة، وتطلعاتها نحو الملأ الأعلى، وللبيئة أثر في تكوُّن الأمم، ولكن الأمم تختلف من البيئة موقف المسلّم لها أو المقاوم، وتقوم الأمة على بنيان رحماني مشترك، روابط طبيعية بين ذوي القربة، فهي امتداد للأسرة وهي عقيدة وعبقرية تتخطّى حدود التجلي إلى الإبداع.

وفي ضوء ذلك فإن العهد الجاهلي هو عهدنا الذهبي، فالجاهلية عهد الفطرة، وهي العهد الذي نشأ فيه كياننا الإنساني بصورة عفوية فجاءت مؤسساتنا القومية متلازمة متنامة، وإن كانت الجاهلية تمثل طور الشباب من حياة أمتنا، فإن الإسلام يمثل سن الاستواء، سن النضج، والإسلام رسالة تؤسس الوجود الإنساني. وإننا ندين بمجدنا القومي للإسلام، ندين لمحمد نبيّ الإسلام، وهل يجوز لنا أن نفصل بطل الأمة عن رسول الإسلام إلى العالم في شخص محمد ؟.

أما الدولة فهي في نظر الأرسوزي شخصية الأمة الواعية، وهي ذات جذور في الملأ الأعلى، فالدولة شخص الأمة في طور التحقق وظل حقيقتها المثلى، والثورة

المستوفية شروط كيانها هي التي يتم بها انقلاب في نظام قيم المجتمع، وتقاس قوتها بمدى ما تحدث من تحويل في نظام القيم.

لقد أخذ الأرسوزي الثنائية البرغسونية أو الصيرورة البرغسونية، وتقوم نظريته على جدلين كما يقول الدكتور خليل أحمد: الجدل الأول هو أن المعنى (الإله) متجلّى في الحياة، وأن الحياة تتجلّى في الأمة، والأمة تتجلّى في العبقرية، وتتجلّى العبقرية العربية في لسانها. والجدل الثاني أن دراسة اللّغة أو اللسان العربي تبعث عبقرية الأمة وأن بعث الأمة يبعث الحياة، وبعث الحياة ارتقاء إلى المعنى، والمعنى هو القادر على كل شيء.

يميز الدكتور ناصيف نصار رأي الأرسوزي من رأي أفلاطون في (حيوية اللغة ووحدانية الأسماء مع الأشياء). فيقول إن مشكلة أصل اللغة مشكلة قديمة، نجدها مطروحة بكل وضوح في محاورة أفلاطون التي عنوانها (أقراطيليوس)... وموقف الأرسوزي منها ليس في الحقيقة بالموقف الجديد إلاّ أنه موقف متميز بقطعيته الوحيدة الجانب، فالأرسوزي يرى أن ضياع جذور الكلمات في لغات الشعوب الحضارية المتقدمة، لا يعني أن المشكلة مستعصية على الحل، فاللسان العربي يدل بسبب احتفاظه بجذوره، على كيفية نشوء اللغة، وعلى كيفية ارتباطها بالكائن اللاغي وبالعالم الخارجي، لقد نما اللسان العربي نموًا خاصًا، حتى أصبح أداة بيانية متكاملة، نما ابتداء من الأصوات الطبيعية البسيطة، ومن عبارات الهيجان الطبيعية، فكانت كلماته وسائل طبيعية للتعبير عن المعاني الوجدانية والطبيعية، فالصورة الصوتية من جهة والصورة المرئية من جهة أخرى، تتآلفان في الكلمة العربية لتأدية المعنى، فالبيان المعنوي هو قوام بيانين: بيان صوتي وبيان مرئي، وتحليل كل كلمة إلى هذين البيانين هو السبيل لاكتشاف المعنى الأصلي لها. ومن جهة ثانية ينتج عن تصالب الصوت والخيال المرئي انعدام المترادفات، وتميز تطور الكلمة العربية وتردد الذهن العربي المحسوس والمعقول، والحل الذي يراه الأرسوزي لنشوء اللسان العربي وبالتالي لنشوء اللغة إجمالاً، هو إذن الحل الواقعي الطبيعي. وإذا أردنا مزيدًا من الدقة قلنا إنه الحل الواقعي الحيوي... إلا أن الحدس الفلسفي المحوري عند الأرسوزي ليس حدس الجوهر بقدر ما هو حدس الحياة، فاللسان العربي بيان حيوي، تلك خاصيته الكيانية، وهذه الخاصية هي ما يهمنا أولاً من أفكار الأرسوزي حول اللسان ودلالته الفلسفية.

ويقول رفيقه وصديقه أنطون المقدسي إن الأرسوزي لم يقرأ محاورة أفلاطون اللغوية.. وإنما قرأ أفلوطين، ودرس الرومانطيقية الألمانية وعرف فيخته في رسائله إلى أمته. لقد قرأ أفلوطين كله وأسأله أنا عنه فيجيب: حسن، ممتاز.. إنه فكري يصوغه فيعجز عن أدائه كاملاً، والحق بجانب الأرسوزي حسب رأي المقدسي، بمعنى ما، فأفلوطين كأفلاطون، يحتفظ للمحسوس بوجود ما، في حين أن «الشيء» عند الأرسوزي من «المشيئة» فهو من إنشاء المعنى. وعن صلة الأرسوزي بالرومنطيقية الألمانية ومفهوم الشعب القومي عند فيخته يقول المقدسي إن الأرسوزي عرف منذ سني

الدراسة الرومنطيقية الألمانية، إن لم يكن في نصوص أعلامها، ففي أهم أفكارها: ربط اللغة بالأمة، التصور العضوي - الحيوي للوجود، البحث عن اللغة البدائية.. الخ؛ وعرف منها بشكل خاص كتاب فيختة «رسائل إلى الأمة الألمانية». وكان كتابه المفضل منذ سني الدراسة مؤلف فندريس (اللسان، مقدمة لغوية لعلم التاريخ، المطبوع عام 1921).

ويعتقد صدقي إسماعيل صديق الأرسوزي ورفيقه أن الأرسوزي اختار مصدرين متباينين في الفلسفة الغربية: نيتشه وبرغسون، وكلاهما يؤمنان بالحياة باعتبارها الحقيقة الينبوع الأصيل للحرية في وجود الإنسان، وينكر أن على العقل أن يكون أكثر أداء للمعرفة، ويعتقد إسماعيل أن نيتشه رسم الدعائم الثلاث لفلسفة الأرسوزي وهي الحياة المبدعة، والأصالة، والخلود. وهذه الدعائم اقتبسها الأرسوزي من نيتشه، وكان الأرسوزي يرى أن أولى ملامح الأصالة في فلسفة نيتشه أنه رفض المفهوم السلبي القاتم الذي تمثل به شوبنهاور إرادة الحياة، ومع هذا فإن نيتشه كان في رأيه شاعرًا أكثر منه فيلسوفًا. أما صلته ببرغسون فإن داروين كان ممهدًا لتبنّي الأرسوزي لكثير من النقاط الرئيسية في فلسفة برغسون الذي انطلق في رأيه من نظرية التطور. وقد أخذ الأرسوزي بشخصية برغسون على نحو خاص، منذ أن كان يتابع محاضراته في السوربون، غير أنه اهتم أوّلاً بنقده للاتجاهين المعروفين في تفسير الحياة الميكانيكية والغائية، وتفسيره للتطور على أساس مبدأ جديد هو وثبة الحياة. ومما أخذ به الأرسوزي «الثنائية البرغسونية» أو «الصيرورة البرغسونية» فبرغسون ميّز في نطاق المعرفة، بين عالم الامتداد المتجانس الذي يستطيع العقل أن يدركه ضمن مفاهيمه المحدودة، وبين عالم الديمومة الذي لا يرقي إليه إلاّ الحدس فتبدو الحياة من خلاله صيرورة ليس لها نهاية، وقد أخذ الأرسوزي بشيء من هذه «الثنائية» غير أنه أضاف مفهوم «المصمم» الذي تنعقد عليه النفس منذ البداية في استلهامها الملأ الأعلى المتّصف بالاستقرار والثبات. ومن ثم فإنه اعتبر «الصيرورة البرغسونية» جزءًا من الطابع المميز للحضارة الغربية، في حين تنفرد العقلية العربية بنزعتها إلى الإيمان بالخلود.

جذب زكي الأرسوزي إليه العديد من الشباب وقد شكلوا فيما بعد الرعيل الأول الذي ساهم في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، لكن الأرسوزي لم يلعب دورًا تنظيميًا في الحزب ولا في قيادته فيما بعد.

قدّرته الحكومة السورية بعد تسلّم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة في سورية، فخصصت له معاشًا تقاعديًا وأقامت له تمثالاً في ساحة المدفع في دمشق وسمّت حديقة باسمه، كما نشرت وزارة الثقافة السورية مؤلفاته الكاملة في ستة مجلدات صدرت بين 1972 - 1976.

■ آثاره

من أهم مؤلفات زكي الأرسوزي:

1 - العبقرية العربية في لسانها (1942) ويعتبر أساس فلسفته؛ 2 - الأخلاق والفلسفة (1948)؛ 3 - رسالة عن الفن (1953)؛ 4 - رسالة عن الفلسفة (1954)؛ 5 - الأمة العربية (1955)؛ 6 - مشاكلنا القومية وموقف

الأحزاب (1957)؛ 7 - صوت العروبة في لواء إسكندرون (1961)؛ 8 - متى يكون الحكم ديموقراطيًا (1961)؛ 9 - بعث الأمة ورسالتها إلى العالم (1963).

■ المصادر والمراجع

● بركات سليم ناصر، الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند الأرسوزي زكي، دار دمشق 1979؛ ● زكي الأرسوزي، الأعمال الكاملة، (6 مجلدات) وزارة الثقافة 1976؛ ● مجلة المعرفة السورية عدد خاص عن الأرسوزي، دمشق 1971.

حسين العودات
صاحب دار الأهالي للنشر - دمشق

■ أرشوم، بكير بن محمد

(1345 هـ / 1927 م ـ 1417 هـ / 1997 م) ■ ■ ■

ولد بمدينة بريان جنوب الجزائر في شوال 1345 الموافق لشهر مارس 1927، وتوفي في مكة المكرمة يوم الأربعاء 20 رمضان 1417 الموافق لـ 29 جانفي 1997، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة.

أكمل دراسته الابتدائية في بلدته بريان وكان يتابع دروسه في المدرسة القرآنية، وفي المدرسة الرسمية. ولكنه أصيب بفقدان بصره في الحادية عشرة من عمره.

انتقل إلى القرارة سنة 1943، وبعد حفظه للقرآن الكريم خلال سنة، دخل معهد الحياة لمتابعة الدراسة الثانوية، وعرف عنه اهتمامه بالأدب وحفظ الشعر والمتون، وأكمل الدراسة سنة 1949.

وقد سار على نهج الطلاب في ذلك العهد إذ كانوا يضطرون للسفر إلى تونس لمواصلة الدراسة في الجامع الأعظم، جامع الزيتونة المعمور. ولذلك قصد مدينة تونس عند تخرجه من معهد الحياة، ولازم حلقات المشايخ بصفة حرة، واهتم في دراسته بالتفسير والأصول والحديث والفقه والتجويد واللغة العربية، وتحصل على الإجازات من الشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ الزغواني وكلاهما من أبرز علماء الزيتونة.

عند عودته من تونس سنة 1956 إلى مدينة بريان، عينته إدارة مدرسة الفتح مدرسا للقرآن الكريم والأخلاق، وبعدها بسنة كلف أيضا بتفقيه المرأة وتربيتها في دار مخصصة لهذا الغرض.

تولى مسؤولية الوعظ والإرشاد بالمسجد إلى جانب الشيخ عبد الرحمن بكلي المعروف بـ «البكري»، ثم رشحته حلقة العزابة بمدينة بريان في سنة 1961 للعضوية في الحلقة، وبهذه الصفة كان يشرف على تكوين المرشدين والوعاظ.

شمل نشاطه مجالات متعددة، تدل على اهتمامه بقضايا المجتمع حيث كان يساهم بشكل مباشر في تشجيع التلاميذ على مواصلة الدراسة في معهد الحياة بالقرارة، ويتولى متابعة نشاطهم. وعلى إنشاء المكتبات، ويتولى المساهمة في إنجازه. وتشجيع الشباب والاهتمام البالغ بالفقراء والأيتام والأرامل وبرعايتهم والتخفيف عنهم.

آثاره

وإلى جانب ذلك فقد كانت للشيخ مساهمات في التأليف، ترجم بعضها إلى اللغة السواحلية، ومن هذه المؤلّفات:

1 - الحقوق المتبادلة في الإسلام، الجزائر، 1990، 174 ص؛ 2 - المرشد في الصلاة، ط 2، الجزائر، 1988، 118 ص؛ 3 - المرشد في مناسك الحج والعمرة مع جدول الأحكام على المذاهب الخمسة، الجزائر، 1991، 126ص؛ 4 - الموجز في الجنائز، الجزائر، 1988، 106 ص؛ 5 - النبراس في أحكام الحيض والنفاس، تقديم ناصر المرموري، وفرحات الجعبيري، الجزائر، 1987، 54 ص؛ 6 - الوقاية والعلاة في الإسلام، الكبائر والتوبة، الجزائر، 1994، 106ص.

المصادر والمراجع

● معجم أعلام الأباضيّة، قسم المغرب الإسلامي، 2000، 2/ 96.

محمد عيسى موسى

مجمع اللغة العربية ـ الجزائر

أرصوي، محمد عاكف بن طاهر

(1290هـ/1873م ـ 1375هـ/1936م)

ولد في استانبول في شوال عام 1290هـ (نوفمبر- ديسمبر 1873م) قدم والده من قرية شوشيسة التابعة لقضاء «إيبك» في ألبانيا، وأبوه هو محمد طاهر أفندي وهو من مدرسي مدرسة الفاتح، وأمه من عائلة أصلها من بخارى جاءت واستقرت في طوقاط واسمها أمينة شريفة خانم. وتعلم محمد عاكف دروس المرحلة الأولى في المكتب (المدرسة) الابتدائي بمنطقة الفاتح التي ولد فيها. وبعد أن أنهى مرحلة الرشدية أتم كذلك مرحلة «إعدادية الملكية» والتي تدوم المرحلة الأولى منها ثلاث سنوات. وعندما كان في المرحلة العليا توفي أبوه، وفي العام الموالي (1888) احترق بيتهم في الحريق الذي شبّ في منطقة الفاتح، ولهذا السبب تعرض لصعوبات كبيرة في دراسته. وحتى يحصل على تعليم مهني سريع التحق بمكتب «ملكية بيطار» وأقام فيه. وتخرج من هذه المدرسة

في الترتيب الأول (1893). وفي العام نفسه بدأ العمل موظفا في قسم المراقبة في نظارة الأمور البيطرية وشؤون الحيوانات. وعمل محمد عاكف في مجال أمراض الحيوانات في كل من الأناضول والروملي وعربستان (الجزيرة العربية). وأثناء عمله في استانبول في هذه الوظيفة عمل أيضا مدرسا في «مكتب حلقلي زراعت» (1906) وفي مكتب الهندسة الفلاحية (1907)، وعمل كذلك مدرسا للآداب العثمانية في قسم الآداب بدار الفنون بعد المشروطية الثانية (1908/ 1913). وفي أثناء تلك السنوات قدم مدرسا في الآداب العربية في المركز العلمي (علمي محفلي) الموجود في شاه زاده باشي والتابع لجمعية الاتحاد والترقي، ودرس كذلك بشكل فخري في مدرسة خاصة تسمي «دار الأدب»، وقدّم دروسا في الإرشاد الديني في جامع الفاتح وجامع بايزيد وجامع السليمانية. وفي عام 1913 قام محمد عاكف رفقة عدد من الأدباء والمفكرين وهم عبد الحق حميد ورجائي زاده أكرم وسليمان ناظف وجناب شهاب الدين وحسين كاظم قدري، بمحاولة تنوير وإيقاظ الشعب من خلال الأدب عن طريق قسم هيئة النشريات للدفاع عن الأمة (مدافعة ملية هيئة نشريات شعبهسي). وفي ذلك العام استقال من مهنة البيطرة وبقية وظائفه الرسمية.

في عام 1914 ذهب في رحلة إلى مصر والمدينة بدعوة من عباس حلمي باشا. ثم عيّن محمد عاكف في «التشكيلات المخصوصة» وهي لجنة استخباراتية أنشئت من قبل نظارة الحربية للقيام بأعمال مهمة وسرية. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ذهب في أواخر عام 1914 إلى برلين. واستمرت هذه الجولة ثلاثة أشهر. وزار خلالها المعسكرات التي يوجد بها أسرى مسلمون، وتحدث معهم بشكل مباشر. وكلّف بمهمة أخرى على رأس اللجنة نفسها، وذهب إلى عربستان (الجزيرة العربية) (مايو أكتوبر) وذلك لتقديم المساندة للقبائل المناوئة للشريف الحسين المتمرد على سلطة الدولة. وفي عام 1918 عيّن كاتبا عاما لدار الحكمة الإسلامية، وهي مؤسسة دينية علمية تابعة لمشيخة الإسلام. وإثر ذلك عيّن ضمن الهيئة المؤسسة لهذه المؤسسة حتى يواصل العمل فيها (1920).

انتهت الحرب العالمية الأولى بنتائج وخيمة على الدولة العثمانية، وأصبح الوطن مهددا بالاحتلال فقرّر محمد عاكف الاشتراك بالفعل في الكفاح الوطني، وفي شهر فبراير من عام 1920 ذهب إلى «بالي كسير» واتّصل هناك بعناصر المقاومة الوطنية، ورأى محمد عاكف أنه من غير الممكن تحرير الوطن من خلال الاكتفاء فقط بالوعظ والكتابة إذا بقي في استانبول. وفي شهر أبريل 1920 انتقل إلى الأناضول. وبعد فترة من ذلك عزل من عضوية «دار الحكمة الإسلامية». واشترك محمد عاكف عضوا في المجلس الوطني الكبير (البرلمان) مبعوثا إلى «بودور». وكان من حين لآخر ينتقل إلى قسطموني وأسكي شهر وبودور وصَنْدِقلي ودينار وأفيون وقونية ويلتقي بأفراد الشعب وبعض المبعوثين الآخرين ويخرج معهم إلى جبهة القتال ليشجعهم بخطبه الحماسية.

في الشهور الأخيرة من عام 1920 أقامت وكالة المعارف مسابقة شعرية لاختيار الشعر

الذي يصلح أن يكون نشيدا وطنيا، وبسبب عدم وجود شعر في المستوى المطلوب في تلك الفترة وقع تمديد مدة المسابقة حتى يتسنى لعاكف المشاركة فيها، وبالفعل أتم محمد عاكف القصيدة التي كان بدأها من قبل وتمكّن من المشاركة في المسابقة. وفي جلسة الثاني عشر من مارس عام 1921 أختير نشيده نشيدا وطنيا في الجلسة التاريخية التي عقدها البرلمان. وكان محمد عاكف ضمن المعارضين في المجلس الوطني الكبير، ولذلك فإنه بعد أن انتهى الكفاح الوطني بالنصر وأعيد تشكيل البرلمان من جديد، لم يُقبل عاكف في البرلمان شأنه شأن بقية المعارضين الآخرين. وفي أكتوبر من عام 1923 ذهب إلى مصر بدعوة من عباس حلمي باشا. وكان يقضي الشتاء هناك ويعود إلى استانبول في الصيف واستمر على ذلك مدة عامين. واعتبارا من عام 1925 استقر في مصر بصورة دائمة، وقام بتدريس الأدب التركي في الجامعة المصرية بالقاهرة. وفي هذه الأثناء قامت وزارة الشؤون الدينية بتكليف ألماللي حمدي أفندي بتفسير القرآن الكريم وأوكلت مهمة ترجمته لمحمد عاكف.

في السنوات بين 1926 و 1929 بذل محمد عاكف جهودا مكثفة وتمكّن خلالها من الفراغ من ترجمته. وبقية الشائعات تدور حول مصير هذه الترجمة ، ولكن البحوث التي تمت في السنوات الأخيرة، ووفقا لما قاله بعض الأشخاص القريبين من محمد عاكف، فإنه عند مغادرته لمصر أوصى بأن تحرق هذه الترجمة خشية أن يعمد الناس إلى قراءة القرآن أثناء الصلاة باللغة التركية، ويبدو أن هذه الترجمة قد أحرقت بالفعل بعد فترة من ذلك.

وفي عام 1935 مرض محمد عاكف فذهب إلى لبنان للاستراحة هناك، غير أن حالته ساءت كثيرا فرجع إلى استانبول في شهر حزيران عام 1936. وواصل تلقي العلاج غير أنه توفي في العام نفسه وذلك في 24 من شهر ديسمبر.

تشكلت شخصية محمد عاكف في فترة طفولته ونشأته، وهناك أشخاص كثيرون لعبوا دورا كبيرا في ذلك، ويفهم ذلك من خلال ما نقل عنهم أو الخواطر التي كتبها بعض أقاربه. ومن بين هؤلاء أبوه طاهر أفندي الذي درّسه العلوم الدينية وعلمه العربية وعلوم العقيدة والفقه، وكذلك معلم اللغة التركية خوجه قدري أفندي الذي كان يدرس في «رشدية الفاتح «والذي كان شخصية محبة للحرية في عهد عبد الحميد». وفي الوقت الذي كان يتعلم في «الرشدية» كان أيضا يحفظ القرآن، وكان يحضر دروس أسعد دده السلانيكي المسماة «مثنوي و كُلستان»، وتعلم الفارسية ودرس اللغة العربية عن الخوجه (المعلم) خالص أفندي، ودرس «كتاب الكامل» للمبرد عن علي فهمي أفندي الهرسكلي، ودرس «المعلقات» عن الخوجه خالص أفندي. وفي فترة لاحقة قرأ المؤلفات الكلاسيكية، كما تعلم اللغة الفرنسية كذلك.

كان محمد عاكف معروفا ومشهورا بكتابة الشعر الذي ضمنه مجموعته «شفقات» إلا أن الأبحاث التي جرت بعد وفاته حول شعره كشفت أن له أشعارا أخرى كثيرة منها ما هو منشور ومنها ما هو غير منشور. وتبين الأشعار التي كتبها في بعض المجلات [خزينة الفنون، مكتب، رسملي غزته (الجريدة المصورة)] والأشعار الأولى التي عثر عليها

في مذكراته أنه تأثر تأثرا واضحا بضياء باشا وعبد الحق حميد ومعلم ناجي. وسواء في هذا الشعر أو في الشعر الموجود في «الصفحات» والذي كتبه في فترته الأولى فإن محمد عاكف من حيث البناء ظل يبحث عن شكل ما، أما من ناحية المحتوى فقد تناول بعض القضايا الميتافيزيقية التي كتب فيها كل من ضياء باشا، وعبد الحق حميد. وفي مواطن أخرى يبدو من خلال كلامه أنه تعلق بموضوع تصوير الطبيعة مثلما فعل كل من رجائي زاده أكرم، وتوفيق فكرت ومن بين أقدم شعره الذي نشر نجد شعرا بعنوان «خطاب إلى القرآن» صدر في مجلة «مكتب» ونشر عام 1935.

كانت الفترة الممتدة من عام 1901 حتى عام 1908 من أقل الفترات إنتاجا في مجال الشعر عنده، وفي هذه الفترة اتخذ قرارات مهمة. فقد عمل على إزالة ومسح كل ما أحبه من شعر وحاول نسيانه وقرر أن يترك عالم الخيال الذي كان يعيش فيه بمفرده ويقصر جهوده في شعره على البحث عن الحلول للمشاكل التي يعاني منها المجتمع. وهذا الرأي واضح من خلال البيت الموجود في كتاب «سليمانية كرسي سنده (على منبر السليمانية)» والذي يقول فيه: «هذا هو الهدف الذي سخرت له حياتي لتكُنْ كلماتي مثل الحطب، ولتكن الحقيقة هي طريقي».

هكذا رفض محمد عاكف التحليق في الخيال وأصبح يترصد الحقيقة ويصيغها في شعره الجديد، ومن هذه الناحية فإن محمد عاكف يعتبر على رأس الشعراء الذين يعبرون عن معاناة الشعب في الشعر التركي. وهناك من يرى أن شعر عاكف عبارة عن حكايات منظومة ويناقشه في ذلك، وله أشعار أخرى كذلك في الوعظ والإرشاد.

وإلى جانب هذا، فإذا نظرنا نظرة شاملة إلى شعر عاكف نلاحظ أنه ليس مجرد شعر وصفي وإنما هو شعر يتميز بالروح الإبداعية، فهو شاعر له خلق شعري عبّر في شعره عن الخوف من أن يؤول مصير المجتمع الذي يعيش فيه إلى الموت، وبإرادته الخاصة قرر نسيان فترة من شاعريته وشعره ليستبدل ذلك بما يُعبّر عن معاناة المجتمع وليكون شعره ذا طابع أخلاقي مثالي. وبالنسبة إلى الشعر الذي كتبه في سنواته الأخيرة، فإنه بالمقارنة مع الأشعار السابقة، يتميز بصبغة غنائية، وذلك بسبب مكوثه في مصر ومرضه وشوقه إلى الوطن والوحدة التي عانى منها، ففي هذا الجو الحزين كتب أشعاره التي نشرت في كتاب «ظلال».

أما بالنسبة إلى المقالات التي كتبها عاكف أو الترجمات التي قام بها، وكذلك أشعاره التي كتبها في «صفحات» فقد نشرها إما في «الصراط المستقيم» أو في «سبيل الرشاد». وإذا تأملنا شعره الذي كتبه في «صفحات» نلاحظ أن الجانب المضموني (المحتوى) كان حاضرا أكثر من الجانب الفني على أن ذلك لا يعني إهماله الجانب الإبداعي. وقبل أن يصل محمد عاكف إلى المستوى الذي بلغه في «صفحات» يبدو أنه مرّ بتجربة طويلة في كتابة الشعر.

وقد تمكن محمد عاكف في هذا الكتاب بالذات من النجاح في تحقيق نوع من التناسب بين المحتوى والشكل في نظمه. ومن ذلك أنه في القصيدة نفسها يقوم بتغيير الوزن

وشكل النظم وحتى اللغة الشعرية والأسلوب حسب تغير الأحاسيس والمشاعر. وهذه التقنية تبدو واضحة بشكل خاص في الحكايات المنظومة. وقد بلغ محمد عاكف الذروة بالعروض الخالي من الإمالة والعريضة وهو الأسلوب الذي بدأ مع توفيق فكرت. ومحمد عاكف لم تعوزه ملكته اللغوية عن التعبير بكل يسر عن أعقد المسائل مثل المواضيع الميتافيزيقية وكذلك التعبير عن لغة إنسان الشارع العادي، فقد توفرت لديه القدرة على صياغة الشعر الذي لم يتمكن أحد حتى ذلك العهد من صياغته، فعل ذلك بجميع القوالب الشعرية تقريبا.

كانت الفترة الممتدة من بين عامي 1908 و1922 من أكثر الفترات نشاطا في حياة الشاعر من ناحية إنتاج الشعر ونشره، وهذه الفترة كانت من أشد فترات الدولة العثمانية اضطرابا من الناحية السياسية، ومن أكثر الفترات اشتعالا بالحروب. وكان الإنتاج الوفير للمثقفين المستنيرين مساهمة منهم في تجاوز هذا الوضع الصعب. وإثر المشروطية الثانية وجدت التيارات السياسية والفكرية مجالا للتحرك والنشاط، وانخرط عاكف في فريق أطلق على نفسه فيما بعد اسم «تيار الأسلمة» «إسلامجيليك». وكما هو معلوم نشأ محمد عاكف في بيئة غذته بالثقافة الإسلامية الخالصة ممثلة في العائلة والمدارس وإطار الأساتذة والأصدقاء، ولهذا السبب فإنه لم يقبل أي تنازل في عقيدته وأخلاقه ومنهج حياته المبني على الإسلام. وكل هذا بين أنه صاحب شخصية لا تقبل التعاون مع أصحاب الأفكار الأخرى إذا كانت مخالفة لروح الإسلام. ونلاحظ في كتابه المسمى «صفحات» مواقف واضحة ضد مفهوم «القومية» التي يرى أنها يمكن أن تكون سببا في تقسيم الدولة. وإلى جانب ذلك فهو إنسان مرتبط ارتباطا شديدا بأرض الوطن وبعلمه وقيم الأمة (الشعب) ولغتها وفنونها. بالإضافة إلى كل هذا، كان عاكف معجبا بتطور الغرب في مجالات العلم والتقنية بل وحتى بعض المعاملات الأخلاقية. وهو بذلك مختلف عن بقية السياسيين الإسلاميين الآخرين، بحيث كوّن لنفسه نظرة خاصة للأشياء.

ويمثل الجزء الأول من «الصفحات» لعاكف تعبيرا عن مثالية الإسلام في تفكيره، وهذا يظهر في قصيدته «توحيد ياهود فرياد» وقصيدته «دورمايلم» (لا ينبغي علينا الوقوف). وهذه القصائد تعبير عن فكرة الوحدة الإسلامية، وهي تصوير كذلك لخطر الانحلال الأخلاقي الذي ظهر في الدولة إثر المشروطية الثانية مع ظهور التيارات السياسية داخل المجتمع. وقد كتب منظومة مطوّلة بيّن فيها مخاطر الدعوة إلى القومية، ودعا الأمة الإسلامية إلى اليقظة وبيّن فيها كذلك أن الحل لمجابهة هذا الخطر هو إقامة الوحدة الإسلامية، وكان عنوان هذه المنظومة «سليمانية كرسيسي» بمعنى «منبر السليمانية» (1912). وفي هذه المنظومة كان عاكف يمثل عبد الرشيد إبراهيم من آسيا الوسطى، وهذا الرجل جاب أطراف العالم الإسلامي وكان يدعو إلى النهضة ومحاربة الأفكار التي لا تمت للإسلام بصلة وينتقد بشدة ما فيه المسلمون من تخلف وضعف.

إلى جانب موضوع العقيدة عمل محمد عاكف

على تناول بيان أن الإسلام نظام للعالم كله وعالج القضايا المعاصرة التي ترتبط به. ويؤكد محمد عاكف أن الدين في جوهره يخاطب الإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله. ولا معنى لقول القائلين «لقد وجدنا آباءنا على هذا». ولعل البيت التالي يكشف عن قناعته في هذا الموضوع:

إلهامُنا من القُرآن نأخُذه

إسلامُنَا لضمير العلم نحكيه

بيّن محمد عاكف رؤيته الفكرية في كتاب «منبر السليمانية»، وإثر ذلك عمل على إيجاد الحلول المناسبة لنمط نظام الحياة وتحسين الأخلاق وعلاقات الفرد مع بيئته وتعامله مع الناس الآخرين. وبيّن موقفه من العلوم والتقنيات. وفي بعض المناسبات يكون خطابه منطلقا من المصادر الدينية الأساسية مثل القرآن الكريم والحديث الشريف، وفي مناسبات أخرى يخوض في مسائل وقضايا تتعلق بعصره منطلقا كذلك من هذه الأسس ومستخدما تقنيات خاصة في التعبير. ويمكن أن نورد كمثال على الطريقة الأولى وما ورد في كتابيه «أصوات الحق» و«ذكريات»، اللّذين استعمل فيهما تفسيرا حرّا للآيات والأحاديث. وبالنسبة إلى الطريقة الثانية نورد ما جاء في «منبر الفاتح» و«عاصم» و«ذكريات برلين» من «الذكريات». ونزعة محمد عاكف الإسلامية تتلخص في عقيدته وطبيعة الحياة المأخوذة من الإسلام بأوامره ونواهيه وكذلك في قبوله لفضائل الحضارة المعاصرة التي لا تتعارض مع الإسلام.

كان محمد عاكف معجبا بالموسيقى الشرقية والغربية والناي والسباحة والمصارعة والمشي، وكان إنسانا يتميّز بحسن العشرة مع أصدقائه ومحبا للدعابة مع أقاربه، وكان يوفي بوعوده، وما كتبه ينسجم تماما مع حياته العلمية، وعُرف بإنكاره الشديد لمن يخالف هذه الأسس الأخلاقية.

■ آثاره

1 ـ الأشعار:

صدر للشاعر في حياته سبعة كتب مختلفة، وبعد وفاته صدرت جميع أشعاره المضمنة في هذه الكتب في كتاب واحد بعنوان «صفحات». وهذا الاسم هو عنوان لمختارات قام بها بتوصية من صديقه أشرف أديب. أما الجزء الثاني من الكتاب فاسماه «الكتاب الثاني» وقد نشر بعنوان «في منبر السليمانية». وأما الجزء الأول فقد صدر في الطبعات اللاحقة بعنوان «الكتاب الأول: صفحات». وهكذا حمل كل جزء من الكتاب عنواناً «الكتاب الأول: صفحات»، «الكتاب الثاني: في منبر السليمانية...» وقد احتوى الكتاب الأول «صفحات» (1911) على أربع وأربعين قصيدة أغلبها في مواضيع اجتماعية، أما الكتاب الثاني في «منبر السليمانية» (1912) فقد احتوى على قصيدة واحدة طويلة تعكس مواقفه من العالم الإسلامي وأفكاره عن المسلمين ومثالية الإسلام.

وبالنسبة إلى الكتاب الثالث، وعنوانه «أصوات الحق» (1913) فيتكون من عشر قصائد، ثماني قصائد منها في شكل شرح لآيات قرآنية وواحدة شرح لحديث نبوي شريف والأخيرة بعنوان «ليلة مولد حزينة جدا». وبالنسبة إلى الكتاب الرابع ويسمى

«في منبر الفاتح» (1914) فعالج فيه مسائل القدر والإرادة في الإسلام في علاقتهما بالعمل والترقي، وهي منظومة وحيدة طويلة. والكتاب الخامس سماه «خواطر» (مذكرات) (1917). ويتكون من عشر قصائد، أربع منها شرح لآيات قرآنية واثنتان شرح لأحاديث نبوية، وثلاث منها عن ذكرياته في مصر وعربستان (الجزيرة العربية) وبرلين، وواحدة بعنوان «استيقظ»، وهي خطاب مُوجه إلى المسلمين. والكتاب السادس بعنوان «عاصم» (1924)، وكله تقريبا عبارة عن حوار تم بين الإمام كوسه وخوجه زاده حول معاناة الدولة من الناحية الاجتماعية والأخلاقية. وفي هذا الحوار يوجد شعره المشهور عن شهداء چاناق قلعة. وأما الكتاب السابع فقد أسماه «الظلال» (1933). وهو عبارة عن أشعار مستقلة طبعت في مصر وكتب الشاعر جزءًا منها في استانبول.

2 ـ ترجماته:

فريد وجدي، «المرأة المسلمة»، استانبول 1325؛ محمد عبده، دفاع محمد عبده عن الإسلام في مواجهة هجوم هانوتو، استانبول 1331؛ سعيد حليم باشا، الأسلمة، استانبول 1337؛ عبد العزيز چاويش، جواب إلى الكنيسة الأنكليكانية، أنقرة، 1339؛ عبد العزيز چاويش، المصائب التي جلبها الخمر على البشرية، أنقرة 1339.

نشرت أغلب مقالات محمد عاكف في مجلة «سبيل الرشاد»، أما بقية مؤلفات الشاعر الأخرى فقد جمعها إسماعيل حقي شنكلر في عشرة مجلدات بعنوان «كليات محمد عاكف» (استانبول بدون تاريخ).

■ المصادر والمراجع

● كتب عن محمد عاكف عدد كبير من المقالات والكتب العلمية والأكاديمية المشهورة، كما أعدت حوله دراسات علمية غير منشورة تتمثل في رسائل الماجستير والدكتوراه. ونكتفي هنا بإعطاء بعض النماذج من هذه الدراسات المنشورة. ويمكن الاطلاع على كتاب «سيرة تراجم محمد عاكف، كتاب-مقالة، أنقرة 1991» وهو مؤلف صادر عن المكتبة الوطنية يتضمن مؤلفات محمد عاكف التي تم نشرها حتى عام 1991.

● Süleyman Nazif, Mehmed Akif sairin Zati Hakkinda Malûmat ve Tedkikat, Istanbul 1924; ● Mithat Cemal [Kuntay], Mehmet Akif. Hayati, Seciyesi, Sanati, Eserleri, Istanbul 1939; ● Esref Edip [Fergan], Mehmed Akif. Hayati, Eserleri ve Yetmis Muharririn Yazilari, Istanbul 1939; ● Ömer Riza Doğrul, «Mehmed Akif'in Hayati» Safahat, Istanbul 1944, p.VII-XLIV; ● M.Emin Erisirgil, Mehmed Akif Islâmci Bir Sairin Romani, Ankara 1956; ● A. Cerrahoğlu, Bir Islâm Reformatörü Mehmet Akif, Istanbul 1964; ● Hasan Basri Çantay, Akifname, Istanbul 1966; ● Sezai Karakoç, Mehmed Akif, Istanbul 1968; ● Nurettin Topçu, Mehmed Akif, Istanbul 1970; ● M. Kaya Bigegil, Mehmed Akif Resmî Hal Tercümesi, Basilmamis Bazi Mektup ve Manzumeleri, Erzurum

1971; • Ali Nihad Tarlan, Mehmed Akif ve Safahat, Istanbul 1971; • Fevziye Abdullah Tansel, Mehmed Akif Ersoy. Hayati ve Eserleri, Istanbul 1973; • D. Mehmet Doğan, Camideki sair Mehmed Akif, Istanbul 1979; • M. Orhan Okay, Mehmed Akif Bir Karakter Heykelinin Anatomisi, Ankara 1989; • Ertuğrul Düzdağ, Mehmed Akif Ersoy, Ankara 1998; • Ayni müellif, Mehmed Akif Hakkinda Arastirmalar I-II, Istanbul 2000; • Dücane Cündioğlu, Bir Kur'an sairi Mehmed Akif ve Kur'an Meâli, Istanbul 2000; • Abdüsselâm Abdülaziz Fehmi, Sairü'l-Islâm Muhammed Akif, Mekke; Mehmed Akif Sempozyumu, Istanbul 1979; •Ölümünün 50. Yilinda Mehmet Akif Ersoy, Istanbul 1986; • Mehmet Akif Ilmî Toplantisi (Bildiriler), Ankara 1989; • Vefatinin 60. Yilinda Mehmed Akif Sempozyumu Bildirileri, Istanbul 1997; • Ibnülemin, Son Asir Türk Sairleri I, 81-84; • D. Mehmet Doğan, «Ersoy, Mehmed Akif», Türk Dili ve Edebiyati Ansiklopedisi, III, 71-79; • Fahir Iz, «Mehmed Akif» Encyclopaedia of Islam (new edition), VI, 985-986.

د. م. أورخان أوكاي
استانبول-تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر السَّنيتي - تونس

أرضرومي، إبراهيم حقي

(1115هـ/1703م - 1194هـ1780م)

ولد في ناحية حسن قلعة التابعة لـ «أرضروم» في 18 مايو عام 1703م. والده عثمان درويش أفندي الذي تلقى تعليما جيدا خلال ثلاثين عاما وعلى شكل فترات منقطعة. والدته شريفة هانم بنت محمود داده الذي يقال بأنه ينحدر من نسل النبي ﷺ. ذهب إبراهيم حقي إلى تيللو القريبة من سعرت وهو لا يزال في التاسعة من عمره كي يتتلمذ على يد الشيخ إسماعيل فقير الله نزولا عند رغبة أبيه. ورجع إلى أرضروم في السابعة عشرة من عمره (مايو 1720م) بسبب وفاة والده حيث داوم على تعليمه هناك. ولا تتوفر معلومات تاريخية محددة عمّن تتلمذ على أيديهم من العلماء سوى مفتي أرضروم محمد حاذق أفندي. وعندما أكمل تعليمه عام 1728م ذهب إلى تيللو مرة أخرى كي يكون في خدمة الشيخ إسماعيل فقير الله. وعاد إبراهيم حقي إلى أرضروم عام 1735م وقد

بلغ أعلى مراتب العلم والتصوف، وهذا العام هو العام نفسه الذي توفي فيه الشيخ إسماعيل فقير الله. وتبوأ موقع الإمامة في جامع حبيب يكاري أفندي. وذهب إلى الحج عام 1738م. وبعد عودته من الحج استمر في إمامته في الجامع المذكور وبدأ يجمع قصائد شعراء معروفين أمثال عمر الخيام، وفريد الدين العطار، وسعدي الشيرازي، ونظام العروضي. وكذلك أعد كتابا سماه «لبّ القلوب» ضم قصيدتين من أشعاره .

ذهب إبراهيم حقي إلى استانبول عام 1747م. واستطاع أن يحصل على إذن بالعمل في مكتبة القصر السلطاني مستفيدا من الحضوة التي كان يتمتع بها إسماعيل فقير الله لدى السلطان العثماني محمود الأول. وقد بدأ اهتمامه بعلم الفلك الحديث الذي أطلق عليه اسم «الهيئة الجديدة» بصورة خاصة بعد الإطلاع على كتاب «جنان نوما» لمؤلفه كاتب چلبي. وذهب إلى استانبول مرة أخرى عام 1755م. وبعد عودته منها بفترة قصيرة انتهى من تأليف كتابه المعروف «معرفتنامه» وهو أهم مؤلفاته. وذهب إلى تيللو عام 1762م. وألف هناك كتابه «الإنسانية».

أما في أبريل عام 1764م فقد قام برحلته الثانية لأداء فريضة الحج. وعاد منها متوجها إلى تيللو ليمارس وظيفة التدريس والتأليف فيها. وانتهى في تلك الأثناء من تأليف أحد مؤلفاته الكبيرة وهو المعروف بـ «مجموعة المعاني». وعاد إلى أرضروم بعد فترة. وأدى فريضة الحج للمرة الثالثة عام 1768م ليعود منها إلى أرضروم. ومنها توجه إلى تيللو بعد ثلاث سنوات تقريبا ليستقر فيها. وقضى وقته بين التأليف والتدريس.

وشرع في تأليف كتابيه «عروة الإسلام» و«هيئة الإسلام» وانتهى منهما ليثبت للجميع أنه لا يهتم إلا بالقرآن والحديث خصوصا بعد انتشار الإشاعات التي كانت تلقي ظلالا من الشك على التزامه بعقيدة أهل السنة. وتوفي في 22 يونيو 1780م ودفن في مقبرة شيخه إسماعيل فقير الله.

تدل مؤلفات إبراهيم حقي الأرضرومي على أنه تلقى تعليما جيدا في مجال العلوم الإسلامية. ويتميز أسلوبه بالتدقيق فيما يخص التصوف السائد في عصره؛ وبالترتيب في سرد المواضيع؛ وبالوضوح في التعبير؛ وبلغته العربية السلسة. أما في مؤلفاته التي كتبها باللغة التركية فقد تميّز أسلوبه بالبساطة والبعد عن التكلف خصوصا أن عصره تميز بالأسلوب المُنمق المليء بالتطويل المزخرف. لذلك يعتبر هذا الأسلوب سببا في التقدير الذي حظي به إبراهيم حقي. وكان يتميز باطلاع واسع في الفلك التقليدي والحديث أو على حد تعبيره «الهيئة الجديدة»، وكذلك في علوم الطب والتشريح ووظائف الأعضاء والرياضيات والهندسة والمثلثات والفلسفة وعلم النفس والأخلاق.

كان إبراهيم حقي يؤمن إيمانا عميقا بالمبادئ الأساسية للإسلام كالقرآن والسنة والمصادر الصحيحة الأخرى. وكانت عقيدته عقيدة أهل السنة، أما فقهه فعلى المذهب الحنفي. وانطلاقا من هذه الخلفية العلمية فإنه يؤكد مرارا خلال تناوله المعطيات الحديثة في علم الفلك على أن أي كشف أو تطور لا يتعارض مع حقيقة خلق الله سبحانه وتعالى للكون وإدارته له. ويؤكد كذلك على ضرورة تفسير كل الاكتشافات العلمية بما يتواءم مع هذه

الحقيقة. وبمعنى آخر فالأمر بالنسبة إليه يتلخّص في أهمية قبول فكرة خلق الوجود من قبل الله عز وجل، وربط كل تفسير أو تعليل بهذا الأمر.

يدلّ وصفه للطريقة النقشبندية بأنها «الطريقة التي يفضلها نخبة الأولياء» (معرفتنامه/ 443-450) على انتسابه لها، والذي يؤكد ذلك أنه لم يذكر فيه أية طريقة أخرى. ومن جانب آخر فهو يتحدث عن شيخه فقير الله مستعملا وصف «سيدنا» وهو الشيخ المعروف بانتسابه للطريقة النقشبندية. وتعتبر آراء إبراهيم حقي الأرضرومي التصوفية مثالا حيا للتصوف العثماني. وخير مثال على هذه الآراء ما احتواه كتاب «معرفتنامه» من مفاهيم مثل: المعرفة، والفناء، والبقاء، والمحبة، والعشق، والولاية، والكرامة، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والصبر، والشكر، والرضا، والسير، والسلو، والسالك، والمرشد، والنفس ومراتبها (الأمارة واللوّامة). وهي مفاهيم تقليدية للتصوف تناولها من ناحية نظرية أو عملية وفق المعايير السنية في التصوف. وتظهر آراؤه وشروحاته تشابها واضحا مع آراء وشروحات الغزالي في كتبه «إحياء علوم الدين» مثل ماهية الدنيا وقبولها ورفضها وحقيقة القلب وماهيته وكذلك معرفة الله عز وجل، إلا أن التعمق والتفكر السائد في آراء الغزالي لا يمكن رؤيته في أفكار الأرضرومي إلا قليلا. ويؤكد الأرضرومي في آرائه على أهمية التجارب المكتسبة في استخدام العقل والحواس عند استيعاب الشكل الظاهري للعالم. ولكنه يعود مؤكدا مكانة القلب العاشق في استيعاب المفاهيم الدينية والتصوفية ورُقيه عن فلسفة العقل في هذا الاتجاه، بل يتميز أسلوبه أحيانا بالنقد لمفاهيم كالفلسفة والفيلسوف. وهو بذلك يجاري الاتجاه الفكري السائد. ويشير الأرضرومي في مؤلفاته إلى إمكانية حلّ المشاكل الاجتماعية والفردية عبر الالتزام بمفاهيم القرآن. وهو يقوم بإيراد الأدلة المستقاة من القرآن والسنة في هذا الاتجاه. ويبيّن إن طريق النجاح الوحيد هو السير على منهج الرسول ﷺ. ويورد الأدلة على ذلك من القرآن والحديث. ويلخص فكرته بقصيدة من مائة وستة عشر بيتا احتوت على تلخيص لعقيدة أهل السنة. وذكر هذه القصيدة في الصفحات 263-266 من «معرفتنامه». ويشير في قصيدة أخرى في صفحة 385 من «معرفتنامه» إلى أن التوكل باعتباره شعورا بالعرفان له أربع قواعد يستند إليها وهي التفويض والتسليم والصبر والرضا. وسمّى قصيدته تلك بـ «تفويض نامه» ويقول فيها:

الحقُّ إلى الخير الشرَّ يحوله
لا تنكر هذا لا تنكره
والعارف هذا الأمرَ يدركه
وما يفعله المولى يشاهده
ولا شيء غير الخير يفعله

وتعتبر هذه القصيدة سواء من ناحية جمال الشعر أو من ناحية المحتوى من أجمل نماذج الشعر التركي.

أما الجزء المتعلق بعلم الفلك التقليدي من كتاب «معرفتنامه» فإنه يحتوي على هذه الفقرة «لقد خلق الله عزّ وجل من نوره جوهرا لطيفا وعظيما، وأظهر منه بالتدريج والترتيب جميع الكائنات، وأضاف إليه بما يُسمى بالجوهر الأول والنور المحمدي واللوح المحفوظ

والعقل الكلي والعقل النسبي». ومن هنا يتضح لنا أن فكرة الأرضرومي عن الإنسان هي على النحو التالي: «أن الإنسان خلاصة الوجود وملخص لكل ما هو موجود وثمرة لشجرة الدنيا ومنتهى دورة الزمان». [معرفتنامه 26-27]. والمقصود بدورة الزمان هو الزمن المحصور بين الرقي والانهيار. وهو المفهوم نفسه الذي يتم تناوله في مدرسة أفلاطون الفلسفية، وكذلك يتم تناوله في المدارس الفلسفية التصوفية المتأثرة بها في العالم الإسلامي منذ أيام جابر بن حيان. ويلخص لنا إبراهيم حقي الأرضرومي نظرية الشهيرة المعروفة بـ «الاستحالة» موضحاً أن الزمان قد شهد «بقدرة الله تعالى» تطور العناصر الأربعة إلى معدن ومن ثم إلى نبات وبعدها إلى حيوان وأخيرا إلى إنسان. ويبيّن في نظريته أن الارتقاء من طور إلى آخر شهد ظهور أطوار بينية. فالارتقاء من الحيوان إلى الإنسان شهد ظهور القردة كطور بيني. وهناك جدل دائر حول كون هذه النظرية التي بدأت منذ إخوان الصفا وابن مسكويه وتم تداولها بين العلماء العثمانيين مثل علي أفندي قنالي زاده ومحيي الكولشني قد اتخذت كلبنة استفاد منها لامارك وداروين في وضع أسس نظرية التطوّر بعد حوالي نصف قرن من الزمان. أي أن نظرية التطور في العالم الإسلامي وجدت أفضل تعبير لها في نظرية إبراهيم حقي أرضرومي وآرائه لأنها ليست مجرد تطور بيولوجي فقط وإنما تطور على المستويين المادي والروحي، وهي تمثل تطورا متكاملا يشمل جميع حقائق الوجود. وبالتالي تعتبر هذه النظرية مناقضة لنظرية داروين في التطور. وربط الأرضرومي التطور بالإرادة الإلهية على عكس داروين الذي جعلها مربوطة بالانتقاء الطبيعي. فحسب نظرية الاستحالة والتطور يعتبر الوجود سائرا في رحلة زمنية نحو الهبوط ابتداء من العقل الكلي المخلوق بقدرة الله تعالى نحو العناصر الأربعة ومن ثم التراب. وهذه الرحلة تدعى حسب النظرية بـ «المبدأ» أو «قوس النزول». ويبدأ الوجود بالتحول من هذه النقطة إلى المعدن فالنبات ثم الحيوان ومنتهيا بالإنسان. وبعدها تبدأ رحلة الإنسان نحو الكمال والنهاية أو الصعود إلى الحضرة الإلهية وهو الصعود المدعو بـ «المعاد» أو «قوس العروج».

يبدو أن إبراهيم حقي تناول أولا قضية خلق الكائنات في كتابه «معرفتنامه» لأنها كانت تعتبر ضمن علم الفلك القديم أو «الهيئة القديمة» وهي بعيدة في محتواها عن مفاهيم القرآن والسنة، بل ومن الصعب أن تحقق توافقا مع التطورات العلمية في صورتها غير المفهومة. لهذا السبب ارتأى أن يقوم بالشرح والبيان في هذا الاتجاه قبل أن يخوض في المضمار الذي يريده وهو علم الفلك الحديث أو «الهيئة الجديدة». وكان حريصا على عدم إحداث البلبلة، خصوصا أنه كان يعيش في عهد اتسم فيه العالم الإسلامي بالجهل والتعصب.

أما مرجعه فيما يتعلق بعلم الفلك الحديث فقد كان كتاب « جهان نما» لمؤلفه كاتب چلبي. ولكن المخاوف كانت تراود إبراهيم حقي من مغبة نشوء ردود أفعال سلبية من الأوساط المتعصبة ضد هذه الأفكار، لذلك اختار سبيل الاستفادة من آراء الغزالي في هذا المجال، لما لهذا العالم من مكانة لدى المجتمع العثماني وعلمائه، وهدفه إثبات عدم تعارض

معطيات علم الفلك الحديث مع ثوابت الدين. ومن هنا قام إبراهيم حقي باتباع سلوك غاية في التدبير، إذ قام بترجمة الجزء المتعلق لهذا الموضوع في مقدمة «تهافت الفلاسفة» كما هو إلى اللغة التركية. ويبيّن الغزالي في هذا الجزء كيفية حدوث ظاهرتي الخسوف والكسوف، وهو إذ يبيّن هاتين الظاهرتين وفق مبادئ علم الفلك يوضح عدم الجدوى الدينية في النقاش مع الفلاسفة حول مثل هذه المواضع العلمية.
ويبيّن الغزالي بأن خوض المرء في مثل هذه النقاشات هو خطأ بحق الدين لأن البراهين الرياضية والهندسة تدل دلالة قاطعة على صحة هذه الحقائق العلمية. ويوضح أنه إذا وجد حديث يتعارض مع هذه الحقائق العلمية وجب إعادة تأويل هذا الحديث بما يتوافق مع الحقيقة العلمية. وربما كان هذا الرأي هو الذي شجع إبراهيم حقي على بيان تركيب الأرض والطبقات التي تتألف منها وفق الأسس العلمية. ويؤكد أيضا على ضرورة التعريف بين أدوات البحث في العلوم المادية وأدوات البحث في العلوم الدينية، أي أنه يلفت الانتباه إلى عدم الرجوع في المسائل غير الدينية إلى علماء الدين انطلاقا من الحديث النبوي «أنتم أعلم بشؤون دنياكم».
وهنا أيضا يرجح أن يكون المقصود بالثور والسمك في الحديث الذي أورده ابن عباس، رضي الله عنهما، هما برجا الثور والسمك- إن ثبتت صحة الحديث.

ويستند إبراهيم حقي إلى آراء «أرباب الارصاد وأرباب الحساب والهندسة» في توضيحه بأن الهواء المحيط بالأرض يعاني في طبقاته المختلفة تغيرات مناخية، ويوضح كذلك بأن حرارة الشمس تنعكس من اليابسة فيصبح الهواء القريب بذلك أكثر سخونة. وكلما تم الابتعاد إلى الأعلى انخفضت حرارة الجو وهو بذلك يبدي آراء قريبة إلى حد كبير للآراء العلمية السائدة في زماننا الحالي. ويوضح في الجزء نفسه من الكتاب بأن الفارق الزمني بين الرعد والبرق يرجع إلى الفارق الزمني بين سرعة انتشار موجات الصوت وسرعة انتشار موجات الضوء. وقد استفاد في هذه التوضيحات العلمية من كتاب «الشفاء» لابن سينا إلى جانب استفادته من ملاحظاته الشخصية. وقد ساق أدلة جديدة تثبت كروية الأرض، وكان يعطي الأدلة العلمية ويسوق التوضيحات حول دوران الأرض حول الشمس وحول محورها وكيفية حدوث الليل والنهار، ويورد المعلومات التفصيلية عن رحلة ماجلان حول العالم وكيفية قيام كريستوف كولومبس بكشف قارة أمريكا.
قام إبراهيم حقي بإعطاء المعلومات العلمية عن المواضيع المتعلقة بعلم تشريح الإنسان وعلم وظائف الأعضاء. وقد كانت هذه المعلومات متقدمة وتفصيلية إلى حد كبير بالمقارنة مع المعلومات التي كانت سائدة في عصره. أما معلوماته حول علم النفس فقد كانت في غالبيتها مستوحاة من مدرسة ابن سينا في هذا المجال بل هي تكرار لها. أما الجزء المتعلق بعلم الفراسة والذي خصص له جزءا مستقلا في كتابه «معرفتنامه» فيعتبر مهمًا جدا في تاريخ العلوم الإسلامية من ناحية البحوث التي أجريت في هذا المجال. وفيما يتعلق بالتركيب الأخلاقي للإنسان فإنه يتبع المفهوم المشائي التقليدي، أي أن القوى المؤثرة في هذا التركيب تتألف من قوة الغضب والشهوة والنفس الناطقة.

آثاره

كُتب القسم الكبير من مؤلفات إبراهيم حقي باللغة التركية، وهناك اختلاف في عدد هذه المؤلفات، فمثلا ذكر إسماعيل باشا البغدادي اثنين وثلاثين مؤلفا له، بينما أحصى محمد طاهر البورصوي تسعة وثلاثين أثرا.

1- الديوان : رتبه في عام (1168هـ/ 1755م) من أجل ابنه إسماعيل فهيم (للإطلاع على النسخ المخطوطة أنظر: آمل چلبي أوغلي، ص.42). وطبع هذا المؤلف في عام 1263م. ويتضمن قسما بعنوان «إلهي نامه» يتكون من 366 غزلا في ماهية التصوف الديني وذلك بعد قسم القصائد. ويحتوي الأثر على عدد كبير من المنظومات ومعرفت نامه التي يمرّ ذكرها كذلك في المؤلفات التي كتبها إبراهيم حقي فيما بعد. ونشر «الديوان» من قبل نعمان كوركجي وتورغوت قره بك (أرضروم 1997)؛ 2- معرفت نامه : اكتمل هذا المؤلف في عام 1170هـ/ 1757م. وتعتبر هذه الدراسة أهم مؤلفات إبراهيم حقي. والأثر يعتبر موسوعة دينية وكذلك موسوعة لباقي العلوم الأخرى، فهو يحمل خاصية أخرى مهمة تتمثل في شخصيته العلمية والفكرية وهو يعكس مفهوم الدين والعلم، ويعكس كذلك الجهود المبذولة من أجل التخلص من العقلية المدرسية (السيوكولاستيكية). وتوجد منه نسخ مخطوطة كثيرة. وتمت طباعته مرات عديدة [بولاق 1251هـ، 1280هـ، قازان 1261هـ، استانبول]، وبالإضافة إلي ذلك تم تبسيطه من قبل تورغوت أولوسوي (استانبول، بدون تاريخ) وفاروق ميدان (استانبول 1980)؛

3- مجموعة العرفانية : اسم هذا المؤلف الكامل هو «مجموعة الوحدانية في معرفة النفس الربانية». ويلاحظ أن الكاتب اختصر هذا العنوان بـ «العرفانية». ولهذا السبب ذكر كل من إسماعيل باشا البغدادي ومحمد طاهر البورصوي في قائمتيهما مؤلف «العرفانية» باعتباره مؤلفا مستقلا عن مؤلف «مجموعة الوحدانية في معرفة النفس الربانية». ووقع جلال الدين طوبراك -وهو أحد أحفاد إبراهيم حقي- في الخطأ نفسه عندما بيّن أن مؤلفات حقي حوالي أربعة وخمسين مؤلفا. وفي عام (1174هـ/ 1761م) مع المؤلف فيه - كما ذكر- قسما باللغة العربية وقسما باللغة التركية وقسما ثالثا باللغة الفارسية. وتوجد منه أربع نسخ مخطوطة. وتناول فيه عبارة «الله أعلم» التي يرد ذكرها في رواية الأحداث من زاوية صوفية، وبالوسيلة نفسها أفرد حيّزا لأفكار مختلف العلماء والمفكرين المسلمين فيما يتعلق بالآيات والأحداث المتعلقة بالأمر نفسه؛ 4 - الإنسانية : اسمه الكامل «مجموعة الإنسانية في معرفة الوحدانية». ويعتبر هذا الأثر من المؤلفات الضخمة، ويذكر المؤلف أنه جمع فيه ثلاث لغات من 140 كتابا. ويبيّن عامل چلبي أوغلي أن الأثر يستعرض المصادر العربية والتركية والفارسية. ويلاحظ أن معظم المقتطفات التي تم جمعها من هذه المصادر تدور حول التصوف والتعليم. وتوجد نسخة من المؤلف في مكتبة السليمانية [دوغملي بابا، رقم 352]؛ 5- مجموعة المعاني (مجموعة الحقي) : يوضح الكاتب أنه نظم هذا المؤلف عام 1178هـ/ 1765م في ثلاث لغات. ويتضمن أشعارا صوفية ودينية وكذلك استعمال (خشب العجيب)

المتعلق بعلم الفلك وألف هذا القسم باللغة التركية. وذكر كذلك باللغة التركية معلومات تدور حول تجويد القرآن الكريم. ويحتوي على قسم آخر بعنوان «قواعد فرسية» وهو عبارة عن قاموس صغير باللغات العربية والتركية والفارسية [مكتبة متحف الآثار باستانبول، سعيد باشا، رقم 576]؛ 6- مشارق اليوح: مؤلف كتب في عام 1185هـ/ 1771م. واشتمل على تدوينات قام بها الكاتب من مؤلفاته الخاصة ومن بعض المؤلفات الأخرى في موضوع التصوف وغيره من المواضيع. وهو عبارة عن منظومات باللغتين التركية والفارسية وعدد قليل بالعربية [مكتبة السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم 1/ 3381]؛ 7- سفينة روح من واردات الفتوح: يتألف هذا الأثر من أربعين قسما (واردات) من الأشعار العربية والتركية والفارسية الموجودة في بعض مؤلفاته الأخرى. وتمت كتابته في عام 1187هـ/ 1773م [مكتبة السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم 3413/ 3812]؛ 8- كنز الفتوح: تم ترتيب هذا المؤلف في عام 1188هـ/ 1774م. ويتكون من 1021 بيتا في التصوف بغرض التهذيب [مكتبة السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم 3316]. وترجمت بعض الأشعار من اللغة العربية إلى اللغتين التركية والفارسية. ويقدم الكاتب في نهاية مؤلفه منظومتين عن الأثر في شكل دعاء؛ 9- دفينة الروح: تم تأليف هذا الكتاب في عام (1189هـ/ 1775م)، وفيه اختار 400 بيت باللغة العربية والتركية والفارسية من «مجموعة المعاني». وأورد في رسائله التي كتبها من قبل تحت عنوان «جلال القلوب والإنسان الكامل» ثلاثاً من الرسائل. ويذكر مسيح إبراهيم حقي أوغلي في كتابه (ص140) تحت عنوان «إبراهيم حقي الأرضرومي» أنه يملك نسخة من المؤلف؛ 10- روح الشروح: أعد هذا المؤلف في عام (1189هـ/ 1775م)، ويحتوي على المنظومات التي اختارها من «إلهي نامه» في مؤلفه «الديوان» [مكتبة السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم 3/ 3381]؛ 11- عروة الإسلام: أكمل إبراهيم حقي هذا المؤلف في عام (1191هـ/ 1777م) مستفيدا بشكل كبير من مؤلفه «معرفت نامه» الذي كتبه باللغة التركية. ويتألف من خمسة عشر بابا تناول فيها عظمة القرآن الكريم وقواعد التجويد واتباع السنة والأسماء الحسنى وأسماء النبي ﷺ وحليته والاعتقاد وشروط الإسلام وشروط الصلاة وغيرها من المواضيع [مكتبة السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم 1462]؛ 12- هيئة الإسلام: كتب إبراهيم حقي هذا المؤلف في التاريخ نفسه الذي كتب فيه مؤلف «عروة الإسلام». ويذكر الكاتب في مقدمته أن أقوال الفلاسفة ومؤلفاتهم حول علم الفلك تقود إلى نقض الإيمان لذا ينصح بالابتعاد عنهما. ويذكر مسيح إبراهيم حقي أوغلي في كتابه المذكور (ص 154) أنه يملك نسخة من المؤلف تحتوي على 180 صفحة؛ 13- تحفة الكرام: مؤلف كتبه إبراهيم حقي بعد ذهابه إلى تيللو، وهو يمثل الجزء الأول من سلسلة آثار الأبناء [الإنسانية؛ ورق 341ب]. ويذكر المؤلف أنه أخذ مواد هذا الكتاب من «مجموعة المعاني» الذي كتب بالعربية والفارسية، وقد ألف هذا الكتاب في عام (1180هـ/ 1765م)؛ 14- نخبة

الكلام: يذكر المؤلف أنه كتبه عام (1182هـ/ 1768م)، وهو عبارة عن اقتباسات من «مجموعة المعاني» و«معرفتنامه»، ولم يعثر على هذا الكتاب حتى الآن؛ 15- أنفة الأنام: ذكر الأرضرومي أنه استفاد في تأليف هذا الكتاب من «معرفتنامه» وقد رتبه عام (1189هـ/ 1775م)، ولم يصل إلينا حتى الآن.

ويوجد للمؤلف كتاب آخر بعنوان «لب القلوب» وهو في التراجم، غير أنه غير مذكور في قائمة مؤلفاته، وهو عبارة عن منظومتين من الشعر الفارسي في 144 بيتاً، ولم يعثر على هذا الكتاب. ويورد مسيح إبراهيم حقي أوغلي في مؤلفه «إبراهيم حقي الأرضرومي» (ص 52) أن الكتاب يتألف من سبعة مجلدات وأن اثنين منهما يوجدان عنده. أما عامل چلبي أوغلي فيذكر أن الكتاب هو في خمسة أجزاء، وقد تم اقتناؤه لفائدة مكتبة جامعة أتاتورك.

وهناك رسائل مهمة أخرى لإبراهيم حقي أرسلها لأبنائه ونسائه وأصدقائه وأقربائه، وهي محفوظة لدى أحفاده، وقد قام مسيح إبراهيم حقي أوغلي بنشر أغلبها في كتابه المذكور. وهناك كتب كثيرة أسندها عصمت بنارك ونجات سفرجي أوغلي لإبراهيم حقي وقد تم نشرها في كتاب «ترجمة إبراهيم حقي الأرضرومي» (أنقرة 1977).

■ المصادر والمراجع

● أرضرومي إبراهيم حقي، الإنسانية، مكتبة السليمانية، دوغوملي بابا، رقم 452؛ ● المؤلف نفسه، معرفتنامه، استانبول 1310؛ ● البورصوي محمد طاهر، المؤلفون العثمانيون، استانبول 1333-1336، I، 33-36؛ ● البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، استانبول 1951-1955، I، 39؛

● Cemâleddîn Server Revnâkoğlu, Erzurumlu Ibrahim Hakki ve Ma'rifetnâmesi, Istanbul 1961; ● Mesih Ibrahimhakkioğlu, Erzurumlu Ibrahim Hakki, Istanbul 1973; ● Lütfi Göker, Fen Bilimleri Tarihi, Ankara 1984, p. 322-328; ● Âmil Çelebioğlu, Erzurumlu Ibrahim Hakki, Ankara 1988; ● Numan Külekçi - Turgut Karabey, Erzurumlu Ibrahim Hakki - Dîvân, Erzurum 1997, p. 20-31; ● Mehmed Ali Aynî, «Şeyh Ibrahim Hakki», Dârülfünun Edebiyat Fakültesi Mecmuasi, sy. 2 (1332), p. 117-130; ● Sadi Irmak, «Tip Tarihi: Ibrahim Hakki (1703-1780) ve Pozitif Ilimler», Tip Fakültesi Mecmuasi, XXXVI, Istanbul 1973, p.133-168; ● Ismet Binark - Nejat Sefercioğlu, Erzurumlu Ibrahim Hakki Bibliyografyasi, Ankara 1977; ● Ekmeleddin Ihsanoğlu, «Bati bilimi ve Osmanli Dünyasi: Bir Inceleme Örneği Olarak Modern Astronomi'nin Osmanli'ya Girisi», Türk Tarih Kurumu Belleten, LVI/217 (1992), p. 749-757; ● Emrullah Yüksel, «Erzurumlu Ibrahim Hakki (1703-1780)' da Dini ve Pozitif Ilimler birbirini tamamlar», Atatürk Üniversitesi Ila-

hiyat Fakültesi Dergisi, sy. XI (1993), p. 1-7; • Mustafa Yildirum, «Erzurumlu Ibrahim Hakki'da 'Tekâmül' Anlayisi», Atatürk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Arastirma Dergisi, sy. XXI (1995), p. 195-203; • Nurettin Ceviz, «Erzurumlu Ibrahim Hakki Hazretlerine Ait Bir Yazma: Mecmû'tu'l-'irfâniyye», ayni dergi, sy. XXIII (1996), p. 85-97; • Osmanli Astronomi Literatürü Tarihi, hazirlayan. Ekmeleddin Ihsanoğlu ve diğerleri, Istanbul 1997, p. 487-491; • Abdülbaki Gölpinarli, «Ibrahim Hakki, Erzurumlu», Türk Ansiklopedisi, XIX, 507-508; • Ali Ekber Diyanet, «Ibrahim Hakki», Dâiretü'l-maârif-i Bozorg-i Islâmî, Tahran 1367, II, 487-488.

د. مصطفى جاغريجي
جامعة استانبول- تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي - تونس

الأرغوني، ربضان محمد

(ق 11 هـ - 17 م)

يعد محمد ربضان من أهم العلماء والأدباء الموريسكيين أو الأندلسيين المتأخرين؛ المنحدرين عن الأندلسيين الذين فضلوا البقاء في إسبانية النصرانية بعد سقوط غرناطة الإسلامية. ومن المعروف أنهم قد اعتصموا بإسلامهم، طيلة مكوثهم بهذه البلاد، على الرغم من المجهودات المتعددة التي بذلتها السلطات الدينية والسياسية الإسبانية في تنصيرهم عنوة، واجتثاثهم عن هويتهم الثقافية الإسلامية. ومن المعلوم كذلك، أن هذه السلطات ستعمد، تعبيرًا منها على فشلها في هذه السياسة التنصيرية، إلى إجلاء هؤلاء الأندلسيين عن أوطانهم، ليتشتتوا في منافيهم بالعالم، وبالبلاد الإسلامية بصفة خاصة، وببلاد المغرب الكبير منها بصفة أخص؛ والواقع أنه لا يمكننا أن نظفر الا بالنزر القليل عن هذا الشاعر الأندلسي المتأخر وعن شخصيته، مما ند به قلمه في ديوان أشعاره. ومما يمكن استنتاجه من بعض الشهادات المتفرقة عنه. فهو من أهل مطلع القرن السابع عشر، ومن مواليد «رويدا دي خلون» Rueda de Jalon من جهة «أرغون» Aragon من المملكة الإسبانية. وقد اشتغل في شبابه بالزراعة في هذه المنطقة، بحسب ما جاء في أحد مقاطع نصوص ديوانه. ويعلم من مقاطع أخرى بأنه قد ألف هذا الديوان في إسبانية، مثلما يستنتج ذلك من تاريخ النسختين المخطوطتين لهذا الديوان المحفوظتين بالمكتبة الوطنية بباريس (B.N.P. Esp. 251) إذ جاء فيهما

بالإسبانية ما ترجمته: «ألفه الفقير إلى عفو ربه محمد ربضان الأرغوني المولود برويدا دي خلون وكان ذلك في سنة 1603 من ميلاد عيسى عليه السلام».

ويعلم من شهادة مورغان «J. Morgan»، وهو أحد قناصلة إنجلترة في تونس الذين استطاعوا توطيد علاقاتهم مع التونسيين المنحدرين من الموريسكيين في القرن الثامن عشر، بأن شاعرنا قد هاجر الى تونس وأقام بها، بدليل ما تركه فيها بين هؤلاء المهاجرين الأندلسيين من تقدير لشخصه وتبجيل لذكراه. والجدير بالذكر أن مورغان قد عثر على نسخة من الديوان المذكور بتونس خلال إقامته بها. وهي النسخة التي ترجمها إلى الإنجليزية، والمحفوظة اليوم بالمتحف البريطاني بلندن B. M. Harley L. 7501 (Saa 68), London. كما أن «هارفي» P. Harvy قد ذكر في دراسته الرائدة «للنصوص الدينية للموريسكيين التونسيين»، بأن محمد ربضان لم يقتصر على نظم الأشعار، بل ساهم كذلك في الدراسات الدينية، حيث وضع تفسيرًا للقرآن الكريم بالأعجمية، أو بالألخميادو، أي باللغة الإسبانية المكتوبة بالحروف العربية على عادة الموريسكيين التي اصطنعوها لأنفسهم في وضع مصنفاتهم، قبل أن يشرعوا في تأليفها باللغة الإسبانية، وبالحروف اللاتينية.

وإذ لم ينشر بعد هذا التفسير، بحيث إنه ما يزال مخطوطًا في مكتبة فلورنسة، فإن ديوان شاعرنا قد خضع - لكونه كان من أول النصوص الموريسكية التي تم اكتشافها - إلى عدة طبعات جزئية، قبل أن يعتني «خوسي أنطونيو لسرطي لوبيث» J.A. Lasarte Lopez بجمعه وتخريجه والتقديم له ونشره في طبعة أنيقة سنة 1991، بسرقسطة.

وزع الشاعر ديوانه على أحد عشر قسما، ويتضمن كل قسم من هذه الأقسام قصائد متفاوتة العدد والطول والقصر، ويرجع هذا التوزيع لديه إلى طبيعة الموضوعات التي تناولها في كل قسم من الأقسام، ففي الأقسام الثمانية الأولى من هذا الديوان. اهتم بمدح محمد ﷺ عبر تناول تاريخ قرابته التي تمتد إلى آدم عبر إسماعيل وإبراهيم، مثلما اهتم كذلك بمولد المصطفى وإسرائه ومعراجه ومجمل سيرته إلى موته عليه الصلاة والسلام.

أما في القسم التاسع منه، فلقد تناول مشاهد يوم القيامة، كما تطرق في القسم العاشر من نفس الديوان كذلك، إلى «نشيد الأهلة» أو الأشهر القمرية للسنة، ليهتم بعد ذلك في القسم الحادي عشر بأسماء الله الحسنى. وإذ يشكل كل قسم من هذه الأقسام وحدة موضوعية في ذاتها، تتميز بطبيعته عن الوحدات الأخرى وتدخل معها في نفس الوقت في علاقات متعددة، فإن مجموع الأبيات التي نظمها تصل الى سبعة عشر ألف بيت، مما يبوىء هذا الديوان مرتبة أضخم عمل من الأعمال الأدبية للمورسكيين من حيث الكم والنوع.

ويذهب جميع من تناول هذا الديوان بالدرس الى أن صاحبه قد اتخذ في مجموع الأقسام الخاصة بمدح المصطفى، ومن كتاب أبي الحسن أحمد بن عبد الله البكري الموسوم بكتاب «الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد النبي المختار»، أصلا ونموذجا استفرغ مضامينه المنثورة في قصائده وأبياته، ولا

يتسع المجال هنا لمناقشة هذا الهاجس المستحكم لدى جميع دارسي الأدب الموريسكي، الذي يدفعهم الى البحث دائمًا وأبداً عن الأصول الأدبية الشرقية المفترضة لديهم لهذا الأدب الأندلسي المتأخر، غير أن المجال لا يضيق عن التعريج على مختلف القضايا التي يطرحها هذا الديوان بوصفه وثيقة أدبية وتاريخية في نفس الوقت، تسلط بعض الأضواء على بعض ظواهر الموريسكيين في إسبانية وفي مهجرهم بتونس، وكذا الى همومهم الحضارية والثقافية.

ولا غرو في ذلك، فكثيرة هي المقاطع الشعرية من هذا الديوان التي تعكس لنا كيف يعيش الموريسكيون عمق مأساتهم الوجودية بإسبانية؛ الناتجة بصفة خاصة عن عنف المراقبة والمتابعة اللتين أخضعتهم إليها محاكم التفتيش بتلك البلاد. فلم يكن لأحد منهم أن يجرؤ - لئلا يقع تحت طائلة أشد العقوبات - على خرق مبدإ التقية والتعبير عن انتمائه إلى الإسلام، أو ممارسة لشعائره، مثلما لم يكن في مستطاع أي واحد منهم كذلك أن يتخلص من القهر الذي عبر عنه محمد ربضان في بعض ابتهالاته، متوسّلا إلى اللّه رب العالمين، أن يرفع عن إخوته الموريسكيين هذا العنت، ويخلصهم من أسرهم الروحي داخل وطنهم، ومن تسخير النصارى لهم واستعبادهم إياهم.

وبالإضافة إلى ذلك، فلقد جاء هذا الديوان ليندرج - مثل غيره من قطع الأبيات الموريسكية - ضمن استراتيجية مواجهة تنصير المورسكيين واجتثاثهم من هويتهم الثقافية. فمما لا شك فيه، أنه قد كان لمثل هذا الديوان بما تضمنه من مضامين دينية في أبيات شعرية يسهل حفظها، ويستعذب ترديدها في تخليد مولد الرسول ﷺ، أثر حاسم في إنعاش وجدانهم الديني الأصلي، والمحافظة على معتقدهم الإسلامي وعلى ممارستهم لشريعتهم وشعائرهم وطقوسهم، ولا غرو في أن ينظم محمد ربضان هذا الديوان باللغة الإسبانية رغم معرفته باللغة العربية ما دام قد وضع تفسيرا للقرآن الكريم، إذ من المعروف أن اللغة العربية قد تقهقر استخدامها بين الأندلسيين المتأخرين في مطلع القرن السابع عشر، إلى الحد الذي اتخذ فيه الموريسكيّون من الإسبانية لغة لتداول علومهم ومعارفهم وإنتاج فنونهم وآدابهم المختلفة. وبذلك يندرج أيضًا هذا الديوان ضمن الآداب الإسلامية المكتوبة بغير اللّغة العربية. ثم إن انتقال هذا الديوان مع المورسكيين الى مهجرهم في تونس، واستمرارهم في قراءته بلغته الأصلية، وإنشاد ما فيه من مدح للرسول وذكر لسيرته وشمائله، يجسد كذلك مدى ما سيعرفه تعريبهم بتونس، وتعريب أذواقهم وحساسياتهم الفنية والأدبية من تأخر ومن معوقات. ولا غرو في ذلك، فعلى الرغم من الجهود التي بذلوها طيلة مكوثهم بإسبانية للحفاظ على هويتهم الثقافية الأصلية، فإنهم في واقع الأمر، لم يستطيعوا أن يحتفظوا الا بما كان يشكل في ذاته المكون الأساس من هذه الهوية؛ أي الإسلام الذي عضوا عليه بنواجذهم، من دون أن يرضوا أي بديل له، على أن ذلك لم يمنعهم من أن يتخذوا من اللغة الإسبانية وآدابها، لغة وآدابا لهم، عملوا على تمثلها والإسهام فيها كذلك.

والواقع أنهم قد استطاعوا بمساهمتهم في هذه الآداب، احتلال مكانة مرموقة بين زملائهم

من متأدبة إسبانية النصارى؛ بحيث إنه لا يمكن لأي أحد أن ينتقص من شأنها، ومن قيمتها التي اقتطعتها لنفسها في تاريخ هذه الآداب.

ذلك هو ما يعبر عنه ويجليه بوضوح تام ديوان محمد ربضان، بلغته الإسبانية العالية، وبامتلاكه لناصيتها، ولناصية نظم القصائد الشعرية المطولة على منوال ما كان شائعاً ودارجًا من أوزان وقواف، وأساليب وحساسيات فنية، خلال عصر نهضتها. وفيما خلا قصائده في أسماء الله الحسنى؛ اختار شاعرنا، الالتزام في نظمه لبقية قصائد ديوانه، بالمثمن (octosilabo) من بحور الشعر الإسباني وأوزانه، مع تقفية المزدوج من أبياتها، وتطويع غير المقفى منها لكي يواكب تعبيره عن مضمونها، كما اختار كذلك ألا يقصر من العناية بالإيقاع الشعري، وبما يعتني به غيره من شعراء إسبانية من بلاغة ومحسنات بديعية، وغيرها من القيم الجمالية، وبذلك تمكن من سبك نظمه والرقي به إلى أعلى درجات الروعة والطلاوة المطلوبتين عند هؤلاء الشعراء، كما استحق أن يدرج كذلك ضمن كبار شعراء إسبانية المسلمين الذين اتخذوا من اللغة الإسبانية وآدابها وسيلة للتعبير عن هويتهم الدينية الإسلامية، ومطية لإنعاش هذه الهوية والمحافظة عليها.

■ المصادر والمراجع

- Rabadan, Mohamed, Poemas de Mohamed Rabadan, Edicion de José Antonion Lasarte Lopez, Departamento de Cultura y Educacion, Zaragoza, 1991;
- Vespertino Rodriguez, «Antonion, El discuro de la luz de Mohamed Rabadan y la literatura aljamiada de los ultimos oricos en Espana» Actes du IV symposium International d'Etudes Morisques sur: Métiers, vie religieuse et problématique d'histoire morisque (C.E.E.M) Zaghouan, Tunis, 1990, 279-291;
- Vespertino Rodriguez, «Los açama Allah al-husna en la literatura aljamia-do-morisca. (A proposito de los nombres de Allah en Mohamed Rabadan), Actes du IV Symposium International d'Etudes Morisques sur le Ve centenaire de la chutte de Grenade, 1492-1992, (CEDEROMI), 1993 p611-631.

د. محمد عبد الواحد العسيري

جامعة عبد الملك السعدي - تطوان

ابن أرقم النُّمَيري، أبو عامر محمد بن عبد الله

(... هـ / ... م - ت 740 هـ / 1339 م)

أبو عامر محمد بن عبد الله بن عبد العظيم ابن أرقم النُّميري الوادي آشي، فقيه، أديب، لغوي. ينتمي إلى قبيلة بني نُميْر القيسية، التي استقر أحد أفخاذها، بقيادة جده الأعلى، ثوابة بن حمزة النُّمَيْري، في مدينة وادي آش (Gaudix) بالأندلس، أيام الفتح العربي الإسلامي. وتقع هذه المدينة التي ولد فيها عالمنا، إلى الشمال الشرقي من غرناطة (Granada)، على السفح الجنوبي لجبال سيرانيفادا. وقد تلقى تعليمه الأولي فيها، وقرأ على قريبه الأستاذ القاضي أبي خالد بن الأرقم، وعلى الأستاذ أبي العباس ابن عبد النور. كما روى عن أبيه مديح رسول الله ﷺ.

وأخذ ابن الأرقم في جولاته خارج مدينته، لاسيما في غرناطة، التي دخلها راوياً ومتعلماً، عن الأستاذ أبي جعفر أحمد بن الزبير المتوفى سنة 708 هـ/ 1308 م، وكذلك روى عن الوزير العالم أبي عبد الله ابن أبي عامر بن ربيع، والقاضي أبي جعفر ابن مسعدة، وولي الله الحسن بن فضيلة. ورحل إلى عدوة المغرب، فأخذ بسبتة عن الراوية أبي عبد الله بن محمد الكتامي التلمساني، المعروف بابن الخضار، وعن الأستاذ أبي بكر بن عُبيدة، والإمام الفقيه الزاهد أبي عبد الله بن حريث، وأبي القاسم ابن الشاط، وغيرهم.

وهكذا تكونت لدى ابن أرقم حصيلة جيدة في علوم مختلفة، أبرزها اللغة العربية، والفقه، والأدب، فأصبح أحد شيوخ بلده، حيث تصدى فيها للفُتيا والتدريس والإسماع. وكان بسيطاً في حياته اليومية، وصفه لسان الدين ابن الخطيب، الذي ترجم له بعد دخوله غرناطة، بأنه: «مخشوشن الزّي، قليل المبالاة بنفسه، مُختصراً في كافة شؤونه، مليح الدعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته معمور بالعلماء أولي الأصالة والتعيين ...» [الإحاطة، 88/ 3].

آثاره

لم يترك ابن أرقم النُّميري أية مؤلفات، وكان له شعر. ولكن يبدو بأنه لم يكن شاعراً مُجيداً، فقد وصف ابن حجر العسقلاني شعره على أنه «وسط». وعدّه ابن الخطيب ضمن الجزء المسمى «بشعر من لا شعر له»، وأورد له بيتاً واحداً، يمدح فيه حاكم مدينة سبتة المغربية، أبا زكريا يحيى بن أبي طالب العزفي، الذي استقل بحكم المدينة عن المرينيين من سنة 716-720 هـ/ 1316-1320م، فقال يذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها:

أما الوصال فإنه كالعيد
غُذر المتيَّم واضحٌ في الغيدِ

ومما يجدر ذكره، أن قيادة الأسطول، كانت من أهم الوظائف في سبتة التي عرفت

بأساطيلها القوية، وهذا هو مغزى مدح ابن الأرقم لأبي زكريا بظفره بالأسطول. ويتبين من ملابسات إلقاء هذه القصيدة أيضاً أن رحلة عالمنا إلى سبتة، كانت في حدود التاريخ أعلاه الذي تولى فيه أبو زكريا أمر المدينة، وأنه، لم يكتف بطلب العلم في سبتة، بل ساهم في حياتها الاجتماعية، وخالط كبار رجالها، وحضر مجالس حكامها. الأمر الذي لا نجد له مثالاً في حياته بالأندلس، التي قضاها بين غرناطة، ومسقط رأسه وادي أش، التي توفي فيها سنة 740 هـ/ 1339 م.

المصادر والمراجع

● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975، 89-88/ 3؛ ● ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966، 94/4، 95 الترجمة 3789؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت 1964، المكتبة العصرية، 1/ 135، الترجمة 229.

أ. د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل - العراق

الأرمنازي، أبو الفرج غيث بن علي

(443هـ / 1051 م - 509 هـ/ 1115م)

هو أبو الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الأرمنازي الصوري، الكاتب، المؤرخ، الشاعر، المصنّف، الناسخ، المحدّث، والخطيب في جامع مدينة صور على ساحل الشام. يُنسب إلى «أرمناز» قرية قرب أنطاكية، وقيل: قرب صور، وقد ولد هو وأبوه بصور، فنُسبا إليها. وكان مولده هو في سنة 443 هـ/ 1051 م.

نشأ «غيث» في أسرة يظلّلها الأدب، إذ كان أبوه أديبًا فاضلاً، وشاعرًا مشهورًا، له شعر مطبوع، فقرأ عليه من الحديث شيئًا يسيرًا، أمّا نظمه فسمع أكثره إن لم يكن جميعه. وخرج من بلده طلبًا للعلم أكثر من مرة، ودخل دمشق لأول مرة وهو صغير، فأخذ عن جماعة من شيوخها، ثم عاد إلى صور. وكان المؤرّخ «الخطيب البغدادي» (ت 463 هـ) قد نزلها وأقام فيها من سنة 457 هـ إلى سنة 462 هـ. ونشأت بينهما صُحبة أكيدة، وتبادلا السماع عن بعضهما، وسمع منه «غيث» الروايات الكثيرة، واحتلّ «الخطيب البغدادي»

المرتبة الأولى متقدمًا على جميع شيوخ «غيث» من حيث كثرة القطع والفوائد التي سمعها ورواها عنه، إذ بلغت نحو 100 قطعة، وجاء «مشرّف بن علي التمّار» في المرتبة الثانية، فروى عنه 27 قطعة.

ومن استعراضنا لأسماء شيوخه نعرف أنه تنقّل بين: الإسكندرية، وبانياس، وبيروت، وتنّيس، ودمشق، ودمياط، وصور، وعسقلان، وعكا، ومصر، ومقْرى (من قرى غوطة دمشق).

وكانت تأتيه الرسائل من طرابلس الشام فيفيد منها. وهو يحدّد في بعض الأحيان أماكن سماعه، مثل: باب دار الأمير سيف الدولة أبي تراب الرّبعي بصور، ومسجد باب الخولان ببانياس، ومسجد القدم بظاهر دمشق.

ويظهر أن غيثًا تأثر باثنين، على الأقل: بأبيه أولاً، فنظم الشعر مثله وهو صغير، وكان يُسمعه للخطيب البغداديّ، وتأثر ثانيًا بالخطيب في أمرين: أحدهما الخطابة، فقد تولّى خطابة جامع صور، والمعروف أن شيخه الخطيب البغدادي اشتهر بالخطابة وكان صوته جهوريًا، ولهذا عُرف بالخطيب. وثانيهما: ميوله إلى التاريخ والسيَر والتراجم وتدوين الأدب والفوائد، فاهتمّ بوضع تاريخ لمدينته صور، على غرار ما فعل شيخه في تصنيف «تاريخ بغداد»، فكان يلتقي بالعلماء والأدباء والشيوخ من أهل بلده، وكلّ من يدخل إلى صور من الشيوخ، ويسألهم عن أنسابهم، وسيرتهم، وشيوخهم، ورحلاتهم، ومؤلّفاتهم، ويتحرّى تواريخ المواليد والوفيات، ويسمع الأحاديث الشريفة بأسانيدها، والأشعار، والفوائد، وغيرها، ويدوّن ذلك في أوراق عنده: ولم يكتف بذلك، بل كان يسأل أصحابه عن آبائهم المتوفّين فيحدّثونه عنهم، ويراسل العلماء في البلاد ويكتبون له، حتى أحصى الأغلبية الساحقة من الأعلام الرّواة الذين كانوا بصور أو نزلوها في عصره، وجمع عنهم وعن مدينة صور تاريخًا مهمًا، ولكنّه لم يتمّه: إذ خرج من صور بعد أن أخذت تتعرّض لحصار الفرنج وحملاتهم التي أخذت تتوالى على مدن ساحل الشام، واستوطن دمشق في أواخر عُمره، مصطحبًا زوجه، ومسودّة كتابه عن صور. وحاول أن يجمع تاريخًا جديدًا لدمشق أيضًا، وبدأ به ولكنّ الموت عاجله فلم يتمّه.

وفي إقامته الأخيرة بدمشق التقى به مؤرّخها الكبير «ابن عساكر» وروى عنه، وصار تلميذًا له، فأطلعه «غيث» على «تاريخ صور»، ومشروع «تاريخ دمشق»، فنقل أغلب المادّتين اللّتين فيهما، وأفرغهما في كتابه الموسوعيّ الضخم «تاريخ مدينة دمشق» فحفظ لنا بذلك قسمًا كبيرًا من «تاريخ صور» وجزءًا من «تاريخ دمشق» حيث يعتبر أصل المؤلّف مفقودًا حتى الآن، ونحن بدورنا جمعنا ما نقله «ابن عساكر» عن «غيث» في مجلّدات «تاريخ دمشق» وصرّح بالنقل عن كتابه أو إجازةً أو إملاءً أو نقلاً من خطّه، وألّفنا منه مجموعًا الذي تجاوز خمسمائة قطعة، وجعلنا اسمه «المجموع من المنتخب المنثور في أخبار الشيوخ من تاريخ دمشق وصور».

تجاوز عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم «غيث» المئة بكثير، وتنوّعت المعارف التي أفادها منهم بين حديث شريف، ومعلومة تاريخية، وسيرة ذاتيّة، ووصف لمكان، ونكتة أدبية، وتأريخ لوفاة، وتحقيق لفائدة أو خبر، ولا

يمكننا أن نجزم بأنّ من ذكرهم «ابن عساكر» نقلاً عن كتاب غيث هم كلّ شيوخه، أو أنّ المادّة التي أفرغها في «تاريخ صور» هي كل ما جمعه غيث في «تاريخ صور» ثم في «تاريخ دمشق». ففي «معجم الشيوخ» لابن عساكر يروي عن غيث حديثًا لم يذكره في «تاريخ دمشق». كما أنّ ياقوت الحموي يثبت في «معجم البلدان» معلومات عن الجامع الأمويّ، رواها الوزير القفطي، عن «كتاب دمشق» لغيث، لم يذكرها «ابن عساكر» في تاريخه، وهذا يؤكّد أن ما كتبه «غيث» هو أكثر ممّا نقله «ابن عساكر» عنه، وأنّ هناك شيوخًا آخرين لغيث لم نقف على أسمائهم، ذكر بعضهم ياقوت الحموي دون ابن عساكر.

آثاره

1 - تاريخ دمشق (لم يتمّه)؛ 2 - تاريخ صور؛ 3 - تقييد العلم (تأليف الخطيب البغدادي) نسخه غيث بخطه؛ 4 - تلخيص المتشابه في الرسم. (تأليف الخطيب البغدادي) نسخه غيث بخطه.

المصادر والمراجع

● الذهبي، تاريخ الإسلام، تح. تدمري عمر عبد السلام، وفيات سنة 509 هـ، ص 224-226 رقم 267؛ ● كحّالة، معجم المؤلّفين، 8/ 43؛ ● تدمري، عمر عبد السلام، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، قسم 2، ج. 3/ 132-137، رقم 838؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999، ص 123.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية

الأرموي، أبو الثناء سراج الدين محمود

(594 هـ / 1195 م - 682 هـ/ 1283 م)

أبو الثناء سراج الدين محمود بن أبي بكر ابن أحمد بن حامد الشافعي الجامع بين المنقول والمعقول [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 8، ص 371؛ الأسنوي، طبقات الشافعيّة، ج 1، ص 155]؛ ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة بأرمية من أعمال أذربيجان [ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص 44؛ السيوطي، لب اللباب، ج 1، ص 49]؛ وهي مدينة مشهورة زارها ياقوت الحموي، ووصفها في معجم البلدان [ج 1، ص 190-191]، وقد انتسب إليها طائفة من أهل العلم منهم أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن الشويخ، وأبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف بن محمد، وأبو بكر محمد بن الحسين بن عمر، ومظفّر بن يوسف المؤدب [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 190؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 191].

كان الأرموي فقيها أصوليا متكلّما حكيما

منطقيا، أخذ مبادىء العلوم عن شيوخ بلدته ثمّ هاجر إلى الموصل طلبا للعلم، وقدم دمشق ومصر، وولّي القضاء بمدينة قونية [الأسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 155]. والظاهر أنّه كان ذا منزلة رفيعة نال بها وجاهة عند ملوك عصره، فقد ذكر القاضي جمال الدين محمد بن سالم الحموي (ت 697) في مفرّج الكروب أن الملك الصالح نجم الدين أيوب قد أرسله إلى الإمبراطور الذي صالحه على تسليم بيت المقدس للنصارى، فأكرم مثواه وأحسن إليه إحسانا كبيرا، وصنف له سراج الدين كتابا في المنطق ثمّ عاد إلى الملك الصالح مكرّما [ج4، ص247]. وذكر المقريزي (ت 845) في كتاب السلوك أنه لما قدم مصر حضر مجلس الملك السلطان المعظّم غياث الدين توران شاه بن الصالح نجم الدين أيّوب برفقة العزّ بن عبد السلام، وبهاء الدين بن الجميزي، والشريف عماد الدين، والقاضي عماد الدين القاسم بن إبراهيم بن هبة الله [ج 2، ص354].

لقي الإمام أبا الفتح كمال الدين موسى بن أبي الفضل يونس بن منعة الكردي (ت 639 هـ)، فلازمه وخدمه فترة، وحصّل عليه العقليات والشرعيات وبرع فيهما [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 8، ص371؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 155؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج 1، ص 297] وقد كان هذا الشيخ أعظم أيمّة الموصل في عصره، إذ كان جامعا لعلوم كثيرة لم يدرك شأوه فيها أحد، فقد كان حاذقا لعلوم العربية والتصريف، لذلك كان يدرّس الكتاب لسيبويه (ت 180 هـ)، والإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي (ت377هـ)، والمفصّل للزمخشري (ت538هـ)، وكان أيضًا متضلّعا في أصول الفقه، والكلام، والحكمة والمنطق، والطبّ وفنون الرياضة نحو الهيئة والمجسطي وإقليدس؛ وقد أقرأ كتب الرازي وتعهّدها بالشرح والبيان، إذ كان أعرف الناس باصطلاح الفخر، ويحكى أنّه فاق أحبار اليهود والنصارى في شرح التوراة والإنجيل [الذهبي، العبر، ج 3، ص 236-237؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 7، ص 356-357؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 158؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 8، ص 378].

والظاهر أنّ سراج الدين قد سمع منه هذه الشروح وتأثّر بها. ولعلّ هذا هو موجب عنايته بالمحصول وكتاب الأربعين؛ أخذ عنه الفقيه تاج الدين الكروري [طاش كبري زاده، الشقائق النعمانية، ج 1، ص 8]، والأصوليّ الأشعريّ محمد بن عبد الرحيم بن محمّد الشيخ صفيّ الدين الهندي (ت 715 هـ) صاحب نهاية الوصول في أصول الفقه، والفائق والزبدة في علم الكلام، والرسالة التحسينية في الأصول الدينية [اليافعي، مرآة الجنان، ج 4، ص 272؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 74-75؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج 2، ص 187].

لقد كان الأرموي من أيمّة الشافعيّة المبرّزين الذين تركوا تصانيف جليلة ساهمت بقسط وافر في إثراء العلوم العقليّة نحو الحكمة، والمنطق، والجدل، والعلوم الشرعية نحو الكلام وأصول الفقه.

وقد خلط البغدادي في «هدية العارفين»

(2/ 406) بين السراج الأرمويّ، والصفيّ الأرمويّ، وكلاهما اسمه محمود. أولهما توفي سنة (682 هـ) والآخر سنة (723 هـ)، وأوّلهما شاميّ، وثانيهما مصريّ، فنسب كتب الصفيّ إلى السراج، ويحسن التنبيه إلى أنّ الكتب اللّغويّة كلّها للصفيّ، وهي «تهذيب المحكم، والمحيط الأعظم» لابن سيده، في اللّغة، و«ذيل النهاية» لابن الأثير، في غريب الحديث.

آثاره

1 - مطالع الأنوار، في المنطق، وهو كتاب اعتنى بشأنه العلماء، وصرفوا همّتهم إلى بحثه، ودرسه، وتدريسه، يستكشفون من مظانّه درسه... رتّبه على طرفين: الأوّل: في المنطق، والثاني: يشتمل على أربعة أقسام: الأوّل: في الأمور العامّة، والثاني: في الجواهر، والثالث: في الأعراض، والرابع: في العلم الإلهي خاصّة. ولهذا الكتاب شروح منها شرح قطب الدين الرازي وتعاقب على هذا الشرح حواشٍ كثيرة وأهمّها ما وضعه الشريف الجرجاني. وقد طبع مطالع الأنوار مع لوامع الأسرار وحاشية الجرجاني مرّتين إحداهما في الآستانة (إستنبول) سنة 1303 هـ، والثانية في طهران سنة 1314هـ [معجم المطبوعات، ص 919-920]؛ 2 - التحصيل، وهو مختصر المحصول في أصول الفقه لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606 هـ). وهو مشهور متداول، اختصره بناء على التماس بعضهم، مع زيادات من قبله، فأجاب... إلخ. وقد شرحه تلميذه الجزريّ (ت733هـ) المتقدم في ثلاثة مجلّدات. والتحصيل غير الحاصل، وكلا مؤلفيهما أرمويّ، غير أنّ صاحب التحصيل هو السراج محمود، والحاصل لتاج الدين محمد (ت656هـ). ومن كتاب «الحاصل» أخذ البيضاويّ المنهاج [خليفة، الكشف ص1615-1616]. حقق هذا الكتاب عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة 1408/ 1988؛ 3 - رسالة في أمثلة في أصول الفقه، وقد اطّلع محقق التحصيل على نسخة منه في الخزانة التيمورية برقم 140، دار الكتب المصرية؛ 4 - المناهج، في المنطق والحكمة؛ 5 - بيان الحق؛ 6 - الرسائل في علم الجدل؛ 7 - شرح الوجيز للغزالي.

المصادر والمراجع

● السمعاني، الأنساب، بيروت، ط 2، 1400/ 1980، ج 1؛ ● السبكي، تاج الدين (ت 771 هـ)، طبقات الشافعيّة الكبرى، تح. عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، مكتبة عيسى الحلبي، مصر، 1971م، 8/ 371؛ ● الإسنوي، جمال الدين عبد الرّحيم (ت 772 هـ)، طبقات الشافعيّة، تح. عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف العراقيّة، بغداد، 1390هـ، ط. الأولى 1/ 155؛ ● ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت 851 هـ/ 1448 م)، تح. عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى 1407هـ/ 1987، ص 202؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد، صورة عن طبعة إستانبول؛ ● البغدادي إسماعيل باشا، هديّة العارفين، صورة عن

طبعة إستانبول، مكتبة المثنى؛ ● سركيس يوسف إليان، معجم المطبوعات العربيّ والمعرّبة، القاهرة، 1346هـ/ 1928 م، ص 427- 428 وينظر 919-920؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط الثالثة، 8/ 41- 42؛ ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة عيد إخوان، دمشق، 1380 هـ/ 1961 م؛

● Brockelman: J,I,: 407, S.I: 848,849; 155/12.

د. سليمان أحمد العابد
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ السعودية
د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس
د. ع. سلمان الشمري
كلية الدراسات الإسلامية ـ بغداد ـ العراق

الأرميوني، أبو الخيْر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد

(...هـ/...م ـ 1019هـ/1610م)

يعتبر أبو الخير الأرميوني أحد ممثلي علمي الرياضيات والفلك في مصر. ولا توجد معلومات مستفيضة بشأن حياته. ولد في قرية أرميون الواقعة في الجزء الغربي من مصر. ويعتقد أنه تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه. وتشير نسبة «الأزهري» الموجودة في اسمه إلى كونه تلقى تعليما في مدرسة الأزهر أو درس فيها. ومن جانب آخر ربما حمل هذه النسبة من خلال عمله لسنوات طويلة في جامع الأزهر مؤقتا. وقد اشتهر بين معاصريه بنسبة «الفرضي» نسبة لتخصصه في مجال علم الفرائض، كما اشتهر كذلك بنسبة «الميقاتي» وذلك بسبب عمله لسنوات طويله في مجال التوقيت.

يفهم من التلاميذ الذين تخرجوا على يديه أنه كان مدرّسا ناجحا ومشهورا. وأول هؤلاء التلاميذ هو العالم المشهور في علم الفلك أحمد السنباطي (ت 997/ 1589). وقام السنباطي عندما كان يدرس على يد أستاذه مؤلف «الفتحية في العمل الجيبية» لصاحبه سبط المارديني (ت 912/ 1506)، وكتب مؤلف «إظهار الأسرار الخفية في حل ألفاظ الرسالة الفتحية»، بامتداح في مقدمة مؤلفه هذا أستاذه ابن أبي الخير الأرميوني [جامعة استانبول، المخطوطات العربية، رقم 374]. ويعتبر عالم الفلك سليمان بن حمزه العثماني الفلكي (ت 990/ 1582) تلميذ الأرميوني الثاني المشهور. وأشار سليمان الفلكي في المقدمة التي كتبها لمؤلف أستاذه المسمى «التنقيح في تحرير فصح المسيح» إلى ابن أبي الخير الأرميوني [Bibliothèque nationale,AY,256913].

أما تلميذ ابن أبي الخير الثالث الذي اشتهر في مجال علم الفلك فهو إبراهيم بن محمد ابن محمد الأندلسي المغربي (ت 990هـ/ 1582م)، ويعود أصله إلى مدينة شاطبة الموجودة في قرطبة. ويمتدح إبراهيم الأندلسي في مؤلفيه «رسالة في مسائل علم الوقت بغير آلة» (حالم، الميقات، رقم 13)، وكذلك «رسالة في تعيين الأوقات وأحوال الأزمنة وتواريخ السنين» (مراد بخاري، رقم 262) أستاذه ابن أبي الخير الأرميوني بعبارة «شيخي وأستاذي»، ويذكر أنه استفاد في كتابة مؤلفات من آثار شيخه التي قرأها ومن دروسه التي حضرها. أما أشهر تلاميذ ابن أبي الخير الذين نبغوا في مجال علمي الحساب والجبر وألفوا كتبا فيهما فهو عبد القادر بن محمد الفيومي (ت 1022هـ/ 1613م).

وتذكر بعض المصادر أن ابن أبي الخير الأرميوني توفي في نحو عام 1002هـ/ 1594م، غير أنه وفي عام 1019هـ/ 1610م، أثناء عمله مؤقتا في جامع الأزهر - اشترى مؤلف «رتبة الحاكم» للمجريطي مما يعني أنه كان على قيد الحياة في هذه السنوات.

ويعتبر ابن أبي الخير الأرميوني امتدادا لسبط المارديني في مجالي الرياضيات والفلك في كل من القاهرة ودمشق. وبصفة خاصة ما ورثه من المارديني- الذي كان يعمل مؤقتا في جامع الأزهر-الذي ورث عن تايبوغا أوغلي (ت 850هـ/ 1447م) والذي جمع بين موروث ابن الشاطر المتمثل في علم الفلك النظري وبين موروث شمس الدين الخليلي المتمثل في علم الفلك التطبيقي في مجال علم الميقات.

وهكذا اتخذ ابن أبي الخير الأرميوني هذا الخط العلمي الواضح وتأهل في الرياضيات وعلم الفلك بشقيه النظري والتطبيقي. وعكس لنا في المؤلفات التي كتبها هذا الاتجاه المزدوج. وبناءً على هذا فإنه ليس من المصادفة عندما قام في قسم كبير من مؤلفاته في علم الفلك بشرح مؤلفات تايبوغا أوغلي ابن المجدي الذي يعتبر أستاذ مدرسة علمي الرياضيات والفلك في مصر والشام. وبالإضافة إلى ذلك تأهل على يد ابن أبي الخير الأرميوني عدد كبير من التلاميذ -ذكر قسم من هؤلاء التلاميذ سابقا في علمي الرياضيات والفلك، وأمّن بذلك استمرارية خط علمي الرياضيات والفلك في دمشق والقاهرة.

آثاره

1 - الرياضيات:

في مجال الرياضيات ألف ابن أبي الخير الأرميوني بصفة خاصة في مواضيع الحساب. وفي هذا المجال وقف على حساب الهند. ويتناول أحد كتبه الثلاثة التي وصلت إلينا في مجال الرياضيات الإجابة على سؤال يتعلق بإيجاد مساحة ونصف قطر دائرة متماسة داخليا مع مثلث مختلف الأضلاع.

أما المؤلف الآخر فهو دراسة مقتضبة تمزج بين الرياضيات وعلم الفلك. غير أن أهم مؤلفات ابن أبي الخير الأرميوني في مجال الرياضيات هو بلا شك الشرح القيم الذي كتبه لمؤلف ابن الهائم (ت 815هـ/ 1412م) «نزهة النظار في علم الغبار» الذي يدور حول الحساب الهندي. وعند مقارنته مع شروحات سبط المارديني، وشهاب الدين أحمد البيروني في المصادر تتضح أهميته من أجل تحديد

مستوى اللوغرتمي الموجود في الحساب الهندي في نهايات القرن السادس عشر [مكتبة السليمانية، حميدية، رقم 881/ 2].

2 - علم الفلك:

يعتبر علم الفلك هو المجال الذي أنتج فيه ابن أبي الخير الأرميوني إنتاجا غزيرا. وحتى يومنا هذا تم إحصاء 14 مؤلفا في هذا المجال. وتمثلت نسبة كبيرة من مؤلفاته في علم الفلك في الشروحات التي قام بها لمؤلفات تايبوغا ابن المجدي، أستاذ المدرسة التي وحدت علمي الرياضيات والفلك في الشام ومصر.

1 - الدرة المضيئة في شرح اللمعات البهية: هو عبارة عن شرح لمختصر القوم الريشي لمؤلف ابن الشاطر «اللمع في حل الكواكب السبعة» الذي كتبه للزيجي. وحسب ما ذكر في المقدمة فإنه عمل على إعطاء أمثلة مختلفة من أجل توضيح القواعد والاقتراحات التي بيّنها الشارح في كتابه؛ ـ 2- إتحاف الحبيب بمعرفة التوقيعات والأوقات والقبلة بالتقريب: هو مؤلف يتكون من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. وهو يبحث كيفية تحديد القبلة والوقت بشكل سهل وميسر. واستعمل بصفة خاصة من قبل المؤقتين الموجودين في مصر وأنحائها [Istanbul kandilli rasathanesi No11/2]؛ ـ 3- كشف الكربات بتحقيق مسائل يحتاج إليها طالب علم الأوقات: عبارة عن كتاب أعد من أجل الطلاب المبتدئين في علم الميقات. ويتناول المؤلف مواضيع مثل الأفق الحقيقي والمشاهد وتحليل فرق الزمن بينهما والتغيّر التدريجي للون الشفق وتحوله من اللون الأحمر إلى الأصفر ثم إلى الأبيض وسبب هذا التغيّر وغيرها من المواضع؛ 4 - النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في علم الأوقات: يعتبر هذا المؤلف الذي كتبه ابن أبي الخير الأرميوني في موضوع علم الميقات واحدا من أهم المؤلفات الموجودة في الحضارة الإسلامية. وفي الواقع هو مؤلف نادر في مجال علم الميقات تناول المواد الخام للآلات والأدوات المستعملة في علم الميقات وكيفية الحصول عليها وكذلك كيفية استعمالها، إضافة إلى تناول آلات علم الفلك المنتجة من هذه المواد وكذلك تزيينها وزخرفتها وغيرها من المواضيع. ورتب المؤلف في خمسة وعشرين بابا. وفي الكتاب كذلك نجد مواضيع مثل إنتاج الحبر، والصمغ، والذهب، والفضة، والتذهيب، وطلاء الورق، وإزالة الزبوت، وإعداد خليط من المعادن، وتليين الحديد الخام بهدف صنع آلات مثل السيوف والسكاكين، كذلك احتوى الكتاب على التلميع وحجارة المغنطيس، وتقوية هذه الحجارة والعمليات التي يتم القيام بها من أجل تحديد أقطابها، كما اشتمل على آلة البوصلة وإنتاج الآلات الضرورية في علم الفلك لكل مؤقت والمواد المستعملة في تزيينها.

وقام ألفريد سيغل بدراسة حول هذا المؤلف حيث تطرق إلى الآلات والأدوات التي يستعملها المؤقت في القرن السادس عشر وتقنية صنع هذه الآلات. وبلغ عدد النسخ الذي وصل إلينا من مؤلف ابن أبي الخير الأرميوني قرابة العشرين نسخة، وهو كتاب لفت انتباه المؤلفين وعلماء الفلك في مصر واستانبول [استانبول، نور عثمانية، رقم

3636/ 1]؛ 5- راحة الفؤاد في تيسير الزاد: عبارة عن حاشية لمؤلف تايبوغا أوغلي بن مجدي «زاد المسافر في معرفة رسم خطوط فضل الدائر» الذي يتناول بالبحث آلة علم الفلك. وفي يوم الثلاثاء الموافق 18 ربيع الأول من عام 961هـ أكمل ابن أبي الخير الأرميوني هذا المؤلف، وفي الوقت نفسه ألف حاشية ثانية للمؤلف بعنوان «نزهة الخاطر في وضع حدود على زاد المسافر» غير أن الحاشية الثانية تعتبر أقصر من الأولى. ووصل إلينا عدد كبير من نسخ الحاشية الثانية القصيرة. ويعكس عدد النسخ الذي وصل إلينا اليوم من الحاشية الأولى أن المؤلف لم يستعمل فقط في القاهرة بل استعمل كذلك في استانبول [مكتبة السليمانية، المخطوطات المهداة، رقم 2062]؛ 6- الري والاشباع في شرح كشف القناع: شرح ضخم كتب على مؤلف «كشف القناع في رسم الأربع» لصاحبه محمد بن محمد العطار البلبايسي. وقام الشارح في شرحه هذا بتناول الموضوع بشكل مبسط وذلك بإعطاء عدد كبير من الأمثلة؛ 7- المنهل الثاقب في تحقيق الكواكب: يعتبر هذا الكتاب من مؤلفات ابن أبي الخير المهمة في مجال علم الفلك الرياضي. ويتناول المؤلف عرض النجوم الثابتة وأطوالها وميلها الأول والثاني وأبعادها، وتم ترتيب هذا الكتاب في ستة أبواب. ومن خلال نسخه التي وصلت إلينا يتضح أن هذا الكتاب كان متداولا في مصر وأنحائها؛ 8- رسالة في حصتي الشفق والفجر: يبحث هذا المؤلف خصائص الشفق الفلكية أثناء أوقات الفجر والصبح ومغيب الشمس. وتتمثل أهم خصائص هذا المؤلف في تاريخ علم الفلك الإسلامي في استفادته من موروث مدرسة علم الفلك والرياضيات في مراغه. واستفاد ابن أبي الخير الأرميوني في مؤلفه هذا من آراء علماء فلك كثيرين يأتي على رأسهم ناصر الدين الطوسي، ومؤيد الدين الأردي، أو كما قال هو « فضلاء المشرق والشام»؛ 9- الرسوخ الرواسخ في معرفة البعد وجهاته: عبارة عن مؤلف يدور حول مواضيع تعيين الأبعاد والاتجاهات، وقد استفاد في تأليفه لهذا الأثر من أبحاث تايبوغا بن المجدي التي تتعلق بهذا الموضوع.

تناولت مؤلفات ابن أبي الخير الأرميوني الأخرى التي كتبها في مجال علم الفلك بعض الجداول الفلكية والخصائص الفلكية لليل والنهار وعيد القيامة عند المسيحيين، ووصلت إلينا قطعة ناقصة من مؤلفه المسمى «تحرير المنازل القمرية وأنواعها وطول الكواكب الثابتة بالفجر»، حيث تناول الكاتب في هذا المؤلف الوضع الفلكي للنجوم التي تطلع في وقت الفجر إضافة إلى منازل القمر.

المصادر والمراجع

● البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول 1951-1955، II، 260؛ ● البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في ذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول 1945-1947، ج 546/I، 604، ج 628/II، 636، 638، 642؛ ● كحاله عمر رضا، المؤلفين، بيروت، بدون تاريخ، ج 293/IX، ج 99/ XI؛

● Alfred Siggel, Mitteilungen über

das «Buch der aufgehenden Sterne» des Muhammed b. Abi'l-Hair al-Hasani. Erscheint in Quellen und Studien zur Geschichte d. Natur w. u. d. Med., Bd. 8 (Julius Ruska - Willy Hartner, Katalog der Orientalischen und lateinischen Original handschriften, Abschriften und photokopien des Instituts für Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften in Berlin, p. 115-117).

- Brockelmann, C., Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden: 1937-1949, II, p. 469-470 (358), Supplement, II, p. 159, 485, 943.

- Ramazan SeSen - Cevat Izgi - Cemil Akpinar - Ihsan Fazlğoğlu (edit. Ekmeleddin Ihsanoğlu), Osmanli Astronomi Literatürü Tarihi, Istanbul 1997, I, 255-262 (nr.127).

- Ramazan Sesen - Cevat Izgi (edit. Ekmeleddin Ihsanoğlu), Osmanli Matematik Literatürü Tarihi, Istanbul 1999, I, p. 109-111 (nr.64).

- Suter, H., Die Mathematiker und Astronomen der Araber ihre Werke, Amstredam: 1981, p. 200 (nr. 511).

د. إحسان فاضلي أوغلي
استنبول-تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي - تونس

الأرناؤوط، معروف

(1310 هـ / 1892 م - 1368 هـ / 1948 م)

ولد معروف الأرناؤوط في بيروت، لبنان، عام 1892 لأب ذي أصل ألباني، وتلقى علومه في الكلّية العثمانية الإسلاميّة التي اعتادت أن ترسّخ في طلابها الروح العربية الإسلامية. وكان لمعروف الأرناؤوط الشاب الطُّلَعة آنذاك نصيب كبير من هذه الروح في هذه الكلية، فضلاً عن أنّها أرهفت ذوقه الأدبيّ، ودرّبته على الأسلوب المونّق، وجوّدت لغته الفرنسية، وحفزته إلى الترجمة عنها، وشجّعته على قراءة التاريخ والإفادة منه. وكانت هذه الكلية تحرص عمومًا على العناية بطلابها ورعايتهم وتأهيلهم لخوض الحياة وقيادتها. ومن المصادفات أن يتخرّج بعد ذلك بسنوات، في الكلّية نفسها، شكيب الجابري، وأن يكون صنو الأرناؤوط في الريادة الروائية، وفي الحفاظ على الروح العربية الإسلامية، وإن اختلفت المشارب والاتجاهات الثقافية بينهما.

استجاب معروف الأرناؤوط، وهو بعد طالب في الكلّية العثمانية الإسلامية، لإغراءات

الحياة الأدبية الناهضة، فاتصل بالصحف، وخصوصًا: البلاغ - الرأي العام- الإقبال، وشرع يُترجم لها بعض المسرحيات والقصص. واستمرّ على هذا المنوال بعد تخرّجه في الكلّية المذكورة. ولعلّه كان آنذاك يستجيب لنزوعه الصحفيّ ولضرورات الحياة المعيشيّة. ولذلك انتقل من ترجمة النصوص للصحف إلى طباعة مترجماته في كتب، فنشر اثنين وعشرين كتابًا في سلسلة «سمير الخلان»، لا هوية واضحة لها، لأنّها روايات أُعيد صوغها، أو نصوص تاريخيّة وسياسيّة ورسائل وقصص ومسرحيات أُعيد تقديمها، ولكنّها كلّها ذات رواج في السوق المحلّية.

والملاحظ في سيرة حياة الأرناؤوط أن نزوعه الصحفي كان يترسّخ شيئًا فشيئًا، ويترسّخ بتميّز لغته التي رُبّي على التدقيق فيها وإتقانها، وثقته بأسلوبه الذي جهد في تجويده وتذليله لحاجات التعبير الأدبيّ، فضلاً عن عمق اطّلاعه على الثقافتين العربية والفرنسية، وعشقه التمثيل ورغبته في الانصراف إليه، وتنوّع مشاهداته في أثناء رحلاته في البلاد العربية، ومقابلاته ملوكها وقادة الرأي فيها، واستمراره في كتابة المقالات عن الدول العربيّة، وعن الحركات الاجتماعية والسياسية فيها طوال حياته الصحفية بعد ذلك.

ولقد سيق معروف الأرناؤوط إلى استانبول عام 1916، في أثناء الحرب العالمية الأولى، ضابطًا معاونًا. كان ذلك بالنسبة إليه بداية مرحلة جديدة في حياته. إذ لاحظ أهوال الحرب وأثرها في سيادة الجهل والمرض والفقر في أبناء أمّته، فتألّم لحال العرب المسلمين، دون أن يكون قادرًا على الاعتراض على ذلك أو إظهار ألمه. والغالب أنّ نوعًا من التناقض نما في نفسه، نتيجة إظهاره غير ما يبطن. وربّما ضخّمت قراءاته مؤلّفات الرومانسيين هذا الإحساس بالتناقض في نفسه، فهرب إلى الطبيعة وإلى قراءة كتب التاريخ في استانبول. وتوّج ذلك بهرب مادّي من الجندية نفسها للالتحاق بالأمير فيصل قائد الجيش العربي، ومرافقته إلى دمشق عام 1918، واستقراره فيها، ونيله الجنسيّة السورية عام 1920، دون أن يفكّر بالعودة إلى بيروت ثانيةً.

شجّعت الحياة الجديدة الناهضة في سورية معروفًا الأرناؤوط على المساهمة مع عثمان قاسم في إصدار صحيفة «الاستقلال العربي» عام 1918، ثم مجلّة «العَلَم العربي» في دمشق في عام 1919، وهي مجلّة أدبية، ولما غلبه نزوعه إلى الصحافة اليوميّة، أنشأ بعد نيله الجنسيّة السورية عام 1920 جريدة يوميّة اسمها «فتى العرب»، واشترى لها مطبعة خاصة، وراح يعمل على إصدارها دون توقّف ثمانية وعشرين عامًا، حتّى وفاته في 30/ 1/ 1948م. وكانت جريدة «فتى العرب» من الصحف القليلة التي صمدت لعواصف الانتداب الفرنسيّ، ولتقلّبات الحياة السياسيّة والاقتصادية، ولنهوض المجتمع، وتنوّع الأدب والأدباء، وتغيُّر الأمزجة والحساسيات الثقافية. كما صمدت «فتى العرب» في الوقت نفسه في امتحان المنافسة بين عدد كبير من الصحف اليوميّة التي صدرت في دمشق في الفترة نفسها، ومن ثَمّ أصبحت سجلاً للحياة في سورية بين الحربين العالميتين، ودليلاً على الأثر الذي خلّفه معروف الأرناؤوط في تاريخ الصحافة العربية.

عشق معروف الأرناؤوط التمثيل والتأليف

للمسرح، ولكنه لم يكتب شيئًا عن ذكرياته في التمثيل، واكتفى من التأليف للمسرح بطباعة مسرحيّتين تاريخيّتين، هما: أبو عبد الله الصغير، وفردوس المعرّي، تصلحان للقراءة دون التمثيل على خشبة المسرح لما فيهما من تهويم فكريّ وتأنّق أسلوبي.

وأما كتبه المترجمة والمؤلّفة التي أصدرها قبل إقامته في دمشق، ونشرها في الغالب الأعم في سلسلة «سمير الخلان»، فهي اثنان وعشرون كتابًا صغيرًا، تترجّح بين التلخيص من الكتب العربية، والترجمة من الكتب الأجنبية، وإعادة صوغ بعض الروايات والمسرحيات العالميّة، وتقديم جديد لكتب تاريخية وسياسية ورسائل معروفة. وهذه الكتب كلّها ذات طابع «تجاريّ»، استجابت للحاجات القرائية المتنامية آنذاك، وأفادت صاحبها ماديًّا لإقبال القراء عليها وكثرة النسخ المباعة منها. وقد بقي من هذه الكتب عشرة ليس غير، لأنّ الأرناؤوط لم يحفل بجمعها وإعادة طباعتها، تبعًا لعدم إيمانه بجدواها.

أما الروايات الأربع التي أصدرها معروف الأرناؤوط: سيّد قريش «ثلاثة أجزاء» -عمر ابن الخطاب «جزءان» -طارق بن زياد -فاطمة البتول، فهي المَعْلَم البارز في حياته الأدبيّة، وهو مَعْلَم يوازي أهمّية جريدة «فتى العرب» طوال ثمانية وعشرين عامًا أو يزيد قليلاً.

وعلى الرغم من أنّ الأرناؤوط كان مشهورًا معروفًا قبل إصداره رواياته، فإن إقباله على التأليف في حقل الرواية كان مفاجأة. فقد برز فجأة، عام 1929، بإصداره رواية تاريخيّة ضخمة في ثلاثة أجزاء، عنوانها «سيّد قريش». وكان ذلك البروز أمرًا غير متوقّع، وليس له تمهيد. وقد هلّل الأدباء له، وقرّظوه، ودفعوا بصاحبه إلى أن يُصبح عام 1930 عضوًا في المجمع العلمي العربيّ «سُمّي بعد ذلك: مجمع اللغة العربية»، أكبر مؤسسة لغوية عربية انذاك، وأكثر حصون رجالات الأدب القديم مناعة. والغالب على الظنّ أنّ الضجّة الأدبيّة الإيجابيّة التي أحدثتها رواية «سيد قريش» لقيت قبولاً في نفس الأرناؤوط، هشّ له فنشر رواية أخرى، هي «عمر بن الخطاب» في جزءين عام 1936، وثالثة «طارق بن زياد» عام 1941، ورابعة «فاطمة البتول» عام 1942، مُمهّدًا بذلك الأرض للرواية التاريخيّة، ومتربّعا على عرشها في الرواية السوريّة.

كان معروف الأرناؤوط يطمح إلى كتابة «الملحمة العربية الإسلامية» إرضاءً لنزوعه الداخلي الإسلاميّ، ومخالفة لسلوكه الخارجي الساخر الماجن الذي عُرف به بين أصدقائه. وقد نجح في كتابة الرواية وأخفق في تجسير الملحمة العربية الإسلامية. ذلك أنه كتب رواية «سيد قريش» في 927ص، 85 فصلاً و3 أجزاء، وكان سيّد قريش، محمد ﷺ، لم يشغل في هذه الصفحات والفصول والأجزاء غير ربع الرواية، وهو ربع تقيّد فيه الأرناؤوط بالحوادث التاريخيّة، في حين ابتدع في ثلاثة الأرباع الباقية نصًا متخيّلاً، وشخصيات روائية ليس لها وجود في التاريخ الحقيقيّ. وكرّر هذا الأمر في رواياته الثلاث التالية، فلم يكن فيها من عمر وطارق وفاطمة غير أطياف تمرّ عابرةً في الروايات الثلاث على تعدُّد فصولها وكثرة عدد صفحاتها. وهذا دليل على أنّ الأرناؤوط كان يعاني صراعًا بين القيود التي فرضتها عليه الحوادث التاريخيّة الحقيقيّة، والحرّية التي وفّرها خياله المجنّح

حين ابتدع حوادث وشخصيات وأمكنة تفي بحاجات الرواية، وتبدو في الوقت نفسه بعيدة عن الهدف الأساسيّ الذي دوّنه الأرناؤوط تحت عنوان كلّ رواية من رواياته، مفاده أنها «رواية تاريخية اجتماعية»، تبحث -كما في سيد قريش- في حياة العرب السياسيّة والاجتماعية في العصر الجاهليّ إلى ظهور سيّد قريش محمد ﷺ .والحق أنّ الأرناؤوط حين قفز بين الزمان والمكان، وحين رسم المشاهد الروائية، وحين ابتدع الشخصيات، كان يستجيب لنزوعه في كتابة نصوص روائيّة مخيّلة.

وحين كان يتقيّد بالحوادث التاريخيّة، كان يستجيب لنزوع آخر هو نزوعه العربيّ الإسلاميّ في كتابة رواية تاريخيّة ذات نفس ملاحمي، تُؤرّخ نهوض الإسلام وذيوعه، وتتقيّد تقيُّدا شبه تام بحوادثه وشخصياته. صحيح أنه استجاب للنزوعين معًا، ولكن الصحيح أيضًا أنه غلّب التخيّل على محاكاة الواقع التاريخيّ الحقيقيّ، فضمن لرواياته البقاء سنوات طويلة دون منازع.

■ آثاره

1 ـ الروايات:

1- سيّد قريش، 3 أجزاء، 1929؛ 2- عمر ابن الخطاب، جزءان، 1932؛ 3- طارق بن زياد، 1941؛ 4- فاطمة البتول، 1942 .

2 - المسرحيات:

5- فردوس المعرّي، 1915؛ 6- أبو عبد الله الصغير آخر ملوك العرب في الأندلس، 1929 .

3 - التأليف والترجمة - كتب وروايات صغيرة:

7 - عمرو بن العاص؛ 8 - الحرب في طرابلس؛ 9 - أدرنة في النار؛ 10 - الجاسوس الياباني؛ 11 - الجريمة السورية؛ 12 - الأخرس القاتل؛ 13 - ابنة البحري؛ 14 - نيويورك الخفية؛ 15 - تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر؛ 16 - القاهرة.

■ المصادر والمراجع

● الدهان، سامي، معروف الأرناؤوط، مجلة المجمع، 1954؛ ● الجندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، ج 2 ، 1958؛ ● مصطفى، د. شاكر، محاضرات عن القصة في سورية .1958؛ ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبية، 1972؛ ● الدقاق، عمر، تاريخ الأدب الحديث، 1979؛ ● عياش، عبد القادر، معجم المؤلفين السوريين، 1985؛ ● الفيصل، د.سمر روحي، معجم الروائيين العرب، 1995؛ ● الأرناؤوط، عبد اللطيف، معروف الأرناؤوط.

د. سمر وروحي الفيصل
جامعة العين
الإمارات العربية المتّحدة

الأرواني، أحمد بابير

(1305 هـ/1887 م - 1411 هـ / 1990 م)

المؤرخ مولاي أحمد بابير الأرواني أحد مشاهير العلماء في غرب إفريقيا جمهورية مالي الحديثة على وجه التحديد. ولد سنة 1305 هـ/ 1887 م في قرية «أرَوَان» من إقليم تمبكتو، أسرته أسرة مثقفة ثقافة عربية ومشهورة في المنطقة بأهمية دورها ونشاطها في ميدان القضاء والتعليم.

لقد تزامن مولده مع ظهور الاستعمار الفرنسي في المنطقة وما ترتب على ذلك من تراجع للثقافة الشرقية الإسلامية مقابل حلول الثقافة الغربية المسيحية وسيطرتها. غير أن تجذّر الحضارة الإسلامية في السودان الغربي وفي منطقة تمبكتو على وجه أخصّ من ناحية، ورسوخ عائلة الأرواني قَدَمًا في الثقافة الإسلامية من ناحية ثانية كانت من العوامل التي ستساعد أحمد بابير على المضيّ قدما نحو التمكّن من التراث الحضاري التّليد.

تعلّم أحمد بابير أوّل ما تعلّم على يد أبيه، فحفظ القرآن الكريم ومبادىء النحو العربيّ وبعض العلوم الإسلامية كالحديث والفقه. كما درس عليه مبادىء علم الحساب، انتقل بعد ذلك إلى مدينة تمبكتو قاصدًا جامعتها «جامعة سنكري» للتتلمذ على علمائها، من أمثال أحمد بلعراف (ابن الأعراف) التّكني (1281-1864 هـ/ 1375-1955 م) الذي ذهب بعضهم إلى أنه كان من أبرز أساتذته الذين أثّروا في حياته، إذ لازمه مدّة طويلة من الزّمن، ودرس عليه في علوم التفسير، والفقه، والفرائض، والحديث، وأصول اللّغة العربية، وعلم البيان، والمنطق، والعروض، والتاريخ وغيرها. ومن المصنّفات التي قرأها على هذا الشيخ:

كتاب شفاء الأسقام العارضة والظاهرة والباطنة من الأجسام، للشيخ سيدي أحمد بن عمر الرّقادي، وكتاب اليواقيت الثمينة في نظائر أهل المدينة؛ وكتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث المتفق عليه لابن الجوزي؛ وجمع نوازل محمد فال بن متال؛ ونوازل عبد اللّه بن أحمد حمى اللّه الغلاوي المسمّى بالنّظم الظّريف لنوازل حمى اللّه الشريف.

لم يكتف الأرواني بالنهل من علوم أستاذه المفضل هذا، بل اتصل بمجلس الشيخ محمود الأرواني، وتابع عليه تكوينه في النحو، والفقه، والحساب، والتاريخ بفروعه المختلفة، كتاريخ المدن والقرى، وحكام الممالك، وعلم التراجم، وأدب الرحلات.

ثم درس كتاب «الشفاء» للقاضي عياض على الشيخ سيدي بن علي الجكاني، كما تلقى دروسا أخرى في النحو، والفقه، وعلم الفلك على يد الشيخ محمد الطاهر بن بابا الشرفي، وتنقل بعد ذلك عبر العديد من المدن والقرى طلبا لمزيد من المعرفة والعلم، ومن تلك الأمصار جيني، وجاو، وأقدز.

وإلى جانب اتصاله المباشر بمختلف العلماء في بلاده، كان الأرواني مواظبا على المطالعة والاستفادة من أمّهات المصادر في الفنون الإسلامية. إذ «لم ينقطع عن خزائن مخطوطات الأساتذة الذين درسوه، بل استمر في ارتيادها، فكان كثير التردد على خزانة العالم محمود الأرواني، ينهل من ذخائرها، وخزانة أحمد بن الأعراف التكني، التي تحتوي على 2076 مخطوطًا في مختلف فروع المعرفة بما فيها أرجوزة ابن سينا في علم الطب» [السعادة الأبدية، ص20].

كلّ هذه المناهل المتنوعة المتعددة وفّرت لأحمد بابير ثقافة واسعة وتكوينًا معرفيًا عميقًا أهّله لنشاطات فكرية واجتماعية مخصبة.

ولما اجتمع لأحمد بابير رصيد معرفي هامّ استقر بمدينة تمبكتو، وأخذ يتصدّر فيها مجالس العلم في مختلف المنارات العلمية، ذلك أنه نظم حلقات درس في كل من جامعة سنكري والجامع الكبير، فقصد إليه طلاب العلم من مختلف أرجاء المنطقة، يتلقّون منه ذلك من الحساب، وعلم الفلك، والطبّ. وقد تخرّج على يده علماء نهضوا بدور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة، منهم محمود ددب، وعادل محمود الأرواني، والمرحوم عمر سيسه، وأحمد سالم شوب، ومحمد السيوطي، ونوري الأمين.

على أن أحمد بابير لم يقتصر في نشاطه الفكري على التدريس، إنما تعداه إلى القيام بدور فعّال في بناء مجتمعه، إذ تولى أمر الفتوى في مدينة تمبكتو بداية من سنة 1959م بعد أن ألقى زعيم السودان الفرنسي، موديبو كيتا، القبض على القاضي محمود الأرواني، الذي كان مفتي المدينة، ذلك أنّ هذا الزعيم السياسي الذي سيكون فيما بعد أوّل رئيس لجمهورية مالي إثر استقلال دولة السودان الفرنسي، قد قاد حملة ضد العلماء المسلمين المشهورين الذين كانوا يمثلون خطرًا على وحدة الجمهورية بما لهم من سلطة روحية على الشعب وبما يبطنونه من كراهية لكل سلطة غير إسلامية.

ظلّ أحمد بابير مفتي المدينة طيلة تسع سنوات إلى أن قام القائد موسى تراوري بانقلاب عسكري ضدّ حكم موديبو كيتا سنة 1968 م، فأطلق سراح القاضي محمود وغيره من نظرائه العلماء. فعاد الشيخ محمود مجددا إلى منصبه في الإفتاء. وتبعا لذلك رجع أحمد بابير إلى ممارسة مهنة التدريس، بل إنه استفاد ممّا وفّره النظام السياسي الجديد من حرية في الإنتاج الفكري باللغة العربية أو باللغات الغربية على حدّ سواء، فضمّ إلى التدريس تصنيف الكتب.

ويبدو أن بابير كان إلى علم التاريخ أميل منه إلى غيره من العلوم؛ وفي ذلك يقول مضمّنا قول العلاّمة ابن خلدون: «اعلم أنّ علم التاريخ من أجلّ العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرا وأنفعها عبادة وذخرا، وكفاه شرفا أن اللّه تعالى شحن كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية. وقد كان رسول اللّه كثيرا مّا يحدّث أصحابه بأخبار الأمم الذين من قبلهم...» [ن. م. ص 39]؛ وقد عني بابير عناية خاصّة بالتصنيف في تراجم الأعلام، ذلك أنه يرى أنّ أجلّ ما في علم التاريخ «تراجم الكبار وأخبار الأخيار.

ففيه فوائد جمة ومنافع مهمّة، منها الاطلاع على مناقبهم وأوصافهم ونباهتهم ليحصل التأدّب بآدابهم والتخلّق بأخلاقهم...» [ن. م. ص 40]؛ على هذا الأساس اهتمّ بابير بالترجمة لعلماء بلده مبررا ذلك بقوله: «وقد رأيت سلفنا قد ألّفوا تواليف عديدة في تعريف علماء كل بلد وكل قرية مثل فاس... ومرّاكش، ومصر، وتلمسان وكل نوع من التاريخ. فمنهم من ألّف في تاريخ علماء بلده، ومنهم من ألّف في تاريخ الملوك، ومنهم من ألّف في تاريخ البلدان والأنهار والجبال وغير ذلك، فلم أر أحدا ألّف أو جمع علماء بلدنا إلاّ نادرًا، وكلّ من ذهب وقته يصير نسيا منسيا، حتى إنّك إذا سألت أحدا منهم: فلان توفي في أي زمن؟ فإن جوابه لك: لا أدري! ولذلك أردت أن أجمع أعيان بلدنا، ومن قرب منهم من علماء القريات، والتعريف بمراتبهم في الفقه والدين» [ن. م، ص 40-42].

والخلاصة فإن كتاب «السعادة الأبدية» يعدّ من أثرى كتبه في هذا المجال، وذلك رغم اقتصاره فيه على ذكر المشاهير من علماء تمبكتو وما جاورها، ولا شك أنّ نشره يعد خطوة هامة نحو العناية بجميع ما تركه من الأعمال الفكرية، وبما أسهم به في النّضال من أجل المحافظة على الخصوصية الثقافية في بلاده، وهي كونها همزة وصل بين الحضارتين الإفريقية السودانية والشرقية الإسلامية.

آثاره

جاء عند محقّق السعادة الأبدية أنّ أحمد بابير ألّف في شتّى فروع المعرفة وأنّ عدد مؤلفاته يزيد على الخمسين مؤلفا، ومن أهمّها: 1 - السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية؛ 2 - الجواهر الحسان في أخبار السودان؛ 3. الجواهر الحسان في عقائد الإيمان؛ 4 - شرح رسالة أبي زيد القيرواني؛ 5 - حاشية الشيخ خليل، وحل رموزها؛ 6 - شرح الخريدة (وهو من كتب الفقه).

ويشير المحقق إلى أن من مؤلفات أحمد بابير في الميراث كتابًا فصّل فيه الميراث تفصيلا شرعيّا ميسورا [ن. م].

المصادر والمراجع

● الأرواني، أحمد بابير، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح. الهادي المبروك الدالي، ط 1، جمعية الدعوة الإسلامية، بنغازي سنة 2001 م؛
● التنكي، أحمد بلعراف، إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تح. الهادي المبروك الدالي، ط 1، الشركة العامة للورق والطباعة، الزاوية، سنة 2001 م.

موديبو دايون
جمهورية مالي

الأرواني، القاضي طالبنا بن الوافي بن طالبنا

(1100 هـ / 89-1688 م - 1180 هـ / 67-1766 م)

القاضي طالبنا بن الوافي بن طالبنا بن محمد بن أبي أحمد أغ آد الأزرواني، عرف بالقاضي «سان بير» (أي المعلّم الأكبر بلغة سونغاي).

رأى القاضي طالبنا النور في بلدة أروان (شمال غرب مالي حاليّا) التي كانت حينئذ في أوج ازدهارها الاقتصادي والثقافي، كان والده الوافي قاضيا، بهذه البلدة وضواحيها، وكان متمتّعا بنفوذ كبير، على الصّعيد السياسي والثقافي، وصاحب ثروة عظيمة. في هذه الأسرة الميسورة العالمة أسرة ولد طالبنا.

درس على الفقيه الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي نحو ثلث خليل، وأجاز له الشيخ سيد أحمد بن الشيخ السوقي أن يروي عنه مرويّاته عن شيوخه في الحديث والفقه وغيرهما من العلوم، ومن جملة ما أجازه فيه: صحيح مسلم، والخصائص الكبرى والصغرى للسيوطي.

ثمّ أقبل طالبنا على المطالعة في مكتبة والده وعلماء بلدته حتّى اشتهر في حياة والده، وصفه البرتلي (فتح الشكور): «قاضي أروان المشتهر ذكره وعلمه (...) من صدور الفقهاء، وأعلام النجباء؛ وكان نبيلا من عيون القضاة، رفيع الدرجة في العلم العالي الهمة، بحرا في الدراية والرواية...».

سئل طالبنا عن السبيل الذي سلكه في تحصيل هذا العلم الغزير، وهو في مقتبل العمر فقال: «بفضل غنى والدي، وهدوء بالي، وأحسن الكتب، وأفضل الحظّ...».

كان طالبنا متفرّغا للمطالعة، حتّى كان ينسى، أحيانا، شؤون منزله. وكان يعرض آراءه على علماء عصره المتّصلين به من علماء أروان: مثل أحمد بن سيّد المختار العلوي، وعلماء توات: أحمد بن محمد بن أب المزمري، وكان هؤلاء يسلّمون فتاويه ونوازله.

وكانت لبعض فتاوي الرجل أصداء متجدّدة؛ مثل فتواه في القضاء التي التزمها قضاة تنبكتو وأروان واعترض عليها الشيخ سيد المختار وشنّع على سنبيرو ومن تابعوه تساهلهم في إباحة بعض مال المتقاضين بوصفه حقّا للقضاة في أقيسة اعتبرها الكنتي فاسدة فسادا بيّنا، وألّف في ذلك كتابا ضخما سمّاه: البرد الموشّى في قطع المطامع والرشا. وقفاه في ذلك ابنه الشيخ سيّد محمد الخليفة الكنتي في كتابه: عين اليقين بحسم الإتاوة المزوّرة بحقّ المستحقّين. ولا يبدو أنّ سنبيرو ردّ على هذين العلمين ربّما لجلالة منصبيهما ونفوذهما الدينيّ والعلميّ.

آثاره

1 - صنجة الوزان في نوازل أروان، مفقود؛

2 - فتح الربّ اللطيف في تخريج بعض ما

في المختصر من الضعيف؛ 3 - فتح المشكلات بيد أعيان علماء توات؛ 4 - الجواب الفائق على السؤال الرائق؛ 5 - الجـــواب الشافي على سؤال الفلاني الصافي؛ 6 - فتح الغفار في الردّ على المختار؛ 7 - شرح على خلاصة ابن مالك، لم يعثر عليه؛ 8 - بصمات العلوم العربية على مسائل الديار المغربية.

المصادر والمراجع

● محمد محمود الأرواني، الترجمان في أخبار أروان، مخ، مركز أحمد بابا تمبكتو، مالي؛ ● مؤلّف جماعي، كتاب الحضارة الإسلامية في مالي، ص 256 - 259، الترجمة بقلم أحمد سالم، نشر الإيسسكو، 1996 م؛ ● البرتلي، فتح الشكور، ص 211-212، م. س.

د. حماه الله ولد السالم
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأزدي، أبو إسحق إبراهيم بن حماد

(240 هـ / 854 م - 323 هـ/ 934م)

إبراهيم بن حماد بن إسحق بن إسماعيل الإمام بن حماد بن زيد بن درهم، أبو إسحق الأزدي البصري ثمّ البغدادي، مولى آل جرير بن حازم، محدّث فقيه مالكي، وقد عدّ من فقهاء المالكية ببغداد.

سمع من كبار شيوخ عصره ومنهم: أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري، وعلي بن مسلم الطوسي، وزيد بن أخرم، وحميد بن الربيع، وعيسى بن أبي حرب، والحسن بن عرفة، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، وعلي بن حرب الطائي، وعبد الله بن شبيب الربعي، وتفقه بإسماعيل عمّه وروى كتبه كما روى عن أبيه حمّاد، ومحمد بن يحيى الخيشي وجعفر الفرياني، وأبي إبراهيم الزهري...[ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/ 261].

وكان للأزدي مجالس لإملاء الحديث النبوي الشريف وروايته، فممّن تتلمذ على يديه وروى عنه: أبو الحسن الدارقطني (ت 385 هـ/ 995م)، وكذلك أبو حفص بن شاهين، وأبو طاهر المخلص، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي نفطويه - نحوي بغداد؛ وكذلك المحدث أبو علي إسماعيل بن العباس الوراق البغدادي، وعبيد اللّه بن عبد الرحمن السكري البغدادي، وعبيد اللّه بن عبد الصمد بن المهتدي باللّه، وعلي بن محمد بن هارون الحميري، وأبو عبيد المحاملي القاسم بن إسماعيل، وأبو اكتريك محمد بن الحسين السعدي الحمصي

ثمّ الطرابلسي، وكذلك المحدث أبو عمران موسى بن العباس الجويني، كما روى عنه أيضًا القاضي أبو الحسن الجراحي، ويوسف ابن عمر القواس، وعمر بن إبراهيم الكتاني، كما أورد الحسن بن أبي طالب أن يوسف القواس المحدث المشهور قد ذكر إبراهيم بن حماد الأزدي في جملة شيوخه الثقات.

وقد أخرج له الدارقطني أحاديث في الغرائب، وذكر أنّه سكن مصر، وقد تولّى منصب القضاء، كما تولى ابنه هارون قضاء الديار المصرية في حياة والده بعد أبي عبيد ابن حربويه.. وتذكر المصادر أن إبراهيم الأزدي كان ثقة فاضلا وشيخا صالحا...

آثاره

1 كتاب الرد على الشافعي؛ 2 - كتاب الجهاد؛ 3 - كتاب الجنائز؛ 4 - دلائل النبوة [الفهرست، 2/ 728، دائرة المعارف للبستاني، 11/ 79].

المصادر والمراجع

● السمعاني، عبد الكريم بن منصور التميمي (ت 615 هـ/ 1218 م) الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، طبعة 1، دار الجنان بيروت، لبنان 140 هـ/ 1988 م؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ت 463 هـ)، طبعة دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د. ت؛ فؤاد أفرام البستاني، ● دائرة المعارف، لبنان 1980، طبعة بيروت؛ ● ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، (ت 799 هـ) تح. محمد الأحمدي أبو النور، طبعة دار التراث، القاهرة، مصر د.ت؛ ● الذهبي، محمد ابن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء (ت 748 هـ)، تح. شعيب الأرناؤوط وإبراهيم الزيبق، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ت؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. شعبان خليفة، وليد محمّد العوزة، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991؛ ● ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم، تح. محمد ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، طبعة دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1412هـ/ 1912م؛ ● ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة (813-874 هـ)، تقديم محمد حسين شمس الدين، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413 هـ/ 1992 م.

د. أحمد قوماندار مصطفى الحسن
الجامعة الأسلامية ـ دمشق

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل

الأزدي، أبو أسامة جنادة بن محمد

(توفي حوالي 399هـ/ 1009م)

هو جُنادة بن محمد بن الحسين الهروي الأزدي، أبو أسامة، اللغوي النحوي. [ياقوت، 7/ 209؛ وفيات الأعيان، 1/ 117؛ السيوطي، 1/ 488؛ الزركلي، 2/ 140]. لم تذكر هذه المصادر تاريخ ولادته ولا شيئا مهمّا عن نشأته. وتكتفي بتفسير نسبه إلى هراة، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، أسسها الإسكندر المقدوني. فتحها الأحنف بن قيس صلحا قبل عبد الله بن عامر [وفيات، 1/ 96]. قال عنها ياقوت: «لم أر بخراسان عند سكني بها سنة 607 هـ، مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها. محشوّة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر وخرّبوها سنة 618 هـ. ونسب إليها خلق من الأئمّة والعلماء» [معجم البلدان، 5/ 396].

قدم جنادة مصر من هراة فأقام بها. وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد (332- 409 هـ)، وكان حافظ مصر في عصر جنادة. وله تآليف نافعة منها: «مشتبه الشبه»، و«المؤتلف والمختلف» وغير ذلك ..[سركيس، 1/ 428]؛ كما كانت له مودّة أكيدة مع أبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي. وكانت بين ثلاثتهم مؤانسة واتحاد كثير. وكانوا يجتمعون في دار الكتب، وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب [ابن خلكان، 1/ 372].

وكان جنادة يلقي دروسه في اللّغة في جامع «المقياس»، وممّن أخذ عنه أبو سهل الهروي وغيره من أهل مصر.. و«المقياس» هو العمود الذي يعتبرون به زيادة ماء النيل من نقصه. وصادف أن توقّف النيل في بعض السنين الجافة، فلم يزد زيادة تامة، فهلك الزرع وهدد الجفاف البلاد. فقيل لحاكم مصر حينئذ وهو أحد الملوك المنتسبة إلى العلويين: «إنّ جُنادة رجل مشؤوم يقعد في المقياس ويلقي النّحو، ويعزّم على النيل، فلذلك لم يزد». وكان من حدّة الحاكم وتهوّره، وما عُرف من سوء سيرته لا يتثبّت في ما يفعله، فأمر من ساعته بقتله في الثالث عشر ذي الحجّة سنة 399 هـ [السيوطي].

كما قتل معه أحد صاحبيه وهو أبو الحسن علي بن سليمان المقرىء النحوي، واستتر الثاني عبد الغني بن سعيد في مصر مدّة حتّى حصل له الأمن ثمّ ظهر، وتوفي بعد ذلك سنة 409 هـ [سركيس، 1/ 428؛ ابن خلكان، 1/ 384]. وهو ما يرجّح لدينا صحّة تاريخ وفاة جُنادة سنة 399 هـ.

لم تنسب إليه المصادر التي تحدّثت عنه مؤلفات. وربّما كان ذلك سببا في قلّة الأخبار المتعلّقة به، رغم أهمّيته العلميّة وشهرته باعتباره شيخا مدرّسا. ولهذا السبب لم يترجم

له سركيس مثلا في معجمه، رغم أنّه تعرّض له وذكر معلومات عنه عند ترجمة صاحبه عبد الغني [1/ 428]، الذي كان صاحب تآليف. كما نلاحظ أنّ المصادر التي ذكرنا تكتفي بالإشارة إلى علمه الواسع باللّغة خاصة، إضافة إلى دوره التعليمي، بذكر بعض المتلقّين عنه والعلماء الذين اختصّ بشرح كتبهم.

قال عنه ياقوت: «عظيم القدر شائع الذكر، عارف باللّغة»، أخذ عن أبي منصور الأزهري، وروى عن أبي أحمد العسكري وروى عنه كتبه [وفيات، 1/ 372].

وقال عنه ابن خلكان: «كان مكثرا من حفظ اللّغة ونقلها عارفا بوحشيّها ومستعملها، لم يكن في زمنه مثله في فنّه» [معجم الأدباء، 7/ 209].

وقال عنه السيوطي: «عظيم القدر شائع الذكر، عارف باللّغة، أخذ عن الأزهري، وروى عن أبي أحمد العسكري كتبه. أخذها عنه بمصر أبو سهل الهروي» [بغية الوعاة، 1/ 488].

المصادر والمراجع

● ابن خلكان أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 372، تح. إحسان عباس، بيروت، (د.ت)؛ ● الزركلي، الأعلام، 2/ 140، بيروت، ط 7، 1987؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، 1/ 428، بيروت، 1928؛ ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 1/ 488، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د. ت)؛ ● ياقوت، معجم البلدان، 5/ 396؛ ● م. ن، معجم الأدباء، 7/ 209.

د. الحبيب النصرواي
كلّية الآداب - القيروان - تونس

الأزدي، أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم

(98 هـ/ 717 م - 179 هـ/ 795 م)

حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزدي الجهضمي الأزرقي البصري، ولد بالبصرة سنة ثمان وتسعين للهجرة. قال عارم: سألت أم حمّاد بن زيد وعمّته، فقالت إحداهما: ولد زمن سليمان بن عبد الملك (96-99 هـ)، وقالت الأخرى ولد زمن عمر بن عبد العزيز (99 - 101هـ)، وقال خالد بن خدّاش: ولد سنة ثمان وتسعين، سبي جدّه درهم من سجستان، وهو من أهل الورع والدين ومن أئمّة السلف، كان من أتقى الحفّاظ وأعدلهم، وكان ضريرا طرأ عليه العمى، حفظ أربعة آلاف حديث،

وخرّج أحاديثه الأئمّة الستّة، قال صلاح الدين الصفدي: «خرّج له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة» [الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 271].

توفّي حمّاد بن زيد في تسع وسبعين ومائة (179 هـ) في شهر رمضان بالبصرة، قال أبو حفص الفلاس: «مات يوم الجمعة في التاسع عشر من شهر رمضان»، وقال عارم: «مات لعشر ليال خلون من رمضان يوم الجمعة»، وقال أبو داود: «مات قبله مالك بشهرين وأيام»، وصحّح الذهبي هذا الخبر بقوله: «بل مات قبله بستّة أشهر» [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 7، ص461-462]، وذكر الذهبي أشهر الشيوخ الذين شاركوه الوفاة قال: «ومات فيها بواسط الحافظ الحجّة العابد القدوة خالد بن عبد الله الطحان، ومحدّث الكوفة أبو الأحوص سلام ابن سليم، ومفتي دمشق الهقل بن زياد صاحب الأوزاعي، ومحدّث حمص عبد الله بن سالم الأشعري، وفيها كان مصرع ملك الخوارج الوليد بن طريف الشاري» [م.ن؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 167-168].

أمّا شيوخه، فقد روى حمّاد بن زيد عن ثابت البناني، وأنس بن سيرين، وعبد العزيز بن صهيب، وعاصم الأحول، ومحمد بن زياد القرشي، وأبي حمزة الضبعي، والجعد بن عثمان، وأبي حازم سلمة بن دينار، وشعيب ابن الحبحاب، وصالح بن كيسان، وعبد الحميد صاحب الزيادي، وأبي عمران الجوني، وعمرو بن دينار، وهشام بن عروة، وعبد الله بن عمر، وغيرهم من التابعين [أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 9].

وتلاميذه كثر، ومنهم نذكر: ابن المبارك، وابن مهدي، وابن وهب، والقطّان، وابن عيينة، وهو من أقرانه، والثوري، وهو أكبر منه، وإبراهيم بن أبي عبلة وهو في عداد شيوخه، ومسلم بن إبراهيم، وعارم، ومسدد، ومؤمل بن إسماعيل، وأبو أسامة، وسليمان ابن حرب، وعفان، وعمرو بن عوف، وعلي ابن المديني، وقتيبة، ومحمد بن زنبور المكي، وأبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي وخلق كثير، ومن المتأخرين منهم الهيثم بن سهل التستري [م.ن؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 167-168].

أمّا عن علمه فنوّه العلماء بالمكانة العلمية لحمّاد بن زيد، قال فيه عبد الرحمن بن مهدي: أئمّة الناس في زمانهم أربعة، سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحمّاد بن زيد بالبصرة، وقال يحيى ابن معين: ليس أحد أثبت من حمّاد بن زيد، وقال يحيى بن يحيى النيسابوري: ما رأيت شيخاً أحفظ من حمّاد بن زيد بالبصرة، وقال أحمد بن حنبل: حمّاد بن زيد من أئمّة المسلمين ومن أهل الدين، وقال عبد الرحمان بن مهدي: لم أر أحدا قطّ أعلم بالسنّة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حمّاد بن زيد، وقال سليمان بن حرب: لم يكن لحمّاد بن زيد كتاب إلاّ كتاب يحيى بن سعيد الأنصاري. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حمّاد بن زيد من المتثبتين في رواية الحديث. وقال عبد الرحمان بن خراش

الحافظ: لم يخطىء حمّاد بن زيد في الحديث قط [ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 212]، وقال عبد الله بن المبارك التميمي الحنظلي:

أيـــهـــا الـــطـــالـــبُ عـــلـــمـــا
إيـــتِ حـــمَّـــادَ بـــن زيـــد
تـــقـــتـــبـــسْ حـــكـــمـــا وعـــلـــمـــا
ثـــمَّ قـــيِّـــده بـــقـــيـــد
لا كـــثـــوْر وكـــسَـــهـــم
وكـــعـــمـــرو بـــن عـــبـــيـــد

يعني بثور، ثور بن زيد. عن سلمان بن حرب قال: سمعت حمّاد بن زيد - وذكر هؤلاء الجهميّة - فقال: إنّما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء. وعن عبد الله بن يوسف الحيري حدثنا فطر بن حمّاد بن واقد قال: سألت حمّاد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلّي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة.

وعن موقفه من أهل البدع، قال محمد بن عيسى الطباع، حدّثني أخي إسحاق بن عيسى قال: كنا عند حمّاد بن زيد ومعنا وهب بن جرير، فذكرنا شيئا من قول أبي حنيفة، قال حمّاد بن زيد: أسكت لا يزال الرجل منكم داحضا في بوله يذكر أهل البدع في مجلس عشيرته حتّى يسقط من أعينهم، ثمّ أقبل علينا حمّاد فقال: أتدرون ما كان أبو حنيفة؟ إنّما كان يخاصم في الإرجاء، فلمّا تخوّف على مهجته تكلم في الرأي فقاس سنن رسول الله بعضها ببعض ليبطلها وسنن رسول الله لا تقاس. وعن أبي العذري أنه قال لحمّاد بن زيد: مات أبو حنيفة؟ فقال الحمد لله الذي كنس بطن الأرض به [أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج 6، ص258-259].

كما روى عنه رفضه التمييز بين الصحابة الأجلّاء، عن خالد بن قداش قال: سمعت حمّاد بن زيد يقول: لئن قلت أنّ عليّا أفضل من عثمان لقد قلت إنّ أصحاب رسول الله قد خانوا [م.ن، ص 259].

وعن أبي روح الفرج بن سعيد الصوفي عن حمّاد بن زيد قال: اجتمع أيّوب السختياني، ويونس بن عبيد، وابن عون، وثابت البناني في بيت، قال ثابت: يا هؤلاء، كيف يكون العبد إذا دعا الله فاستجاب له بدعائه؟ قال ابن عون: يكون البلاء على نفسه، قال ثابت فإنه يعرضه العجب بما صنع الله به. فقال يونس بن عبيد لا يكون العبد يعجب بصنع الله به إلاّ وهو مستدرج. فقال أيوب: وما علامة المستدرج؟ قال: إنّ العبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها، وأبقى عليها، ثم شكر الله، أعطاه الله أشرف من المنزلة الأولى، وإذا هو ضيّع الشكر استدرجه الله، وكان تضييعه للشكر استدراجا من الله له، وأنّ العبد المستدرج يكون له فيما بينه وبين الله تيسير وحبس فعليه ينكر العجب عن معرفة الاستدراج، وإنّ العبد المستدرج إذا ألقى في قلبه شيء من الشكر حمله شكره على التفقّد من أين أتى، فإذا عرف ذلك خضع، وإذا خضع أقال الله عثرته. قال حمّاد: إنّ ابن عمر سئل عن الاستدراج فقال: ذلك مكره بعباده المضيّعين. قال: فبكوا جميعا، ثم رفع أيّوب يده من بينهم، وقال: يا عالم الغيب والشهادة لا توفيق لنا إن لم توفّقنا، ولا قوّة لنا إن لم تقوّنا، فقال يونس: به

وجدنا طعم القوّة من دعائك يا أبا بكر. قال وكان أيوب يعرفه أصحابه أنّ له دعوة مستجابة [م.ن، ص 260].

كان حمّاد بن زيد عالما بالسنّة، حافظا للحديث، ومصدرا في أخذ الرواية. عن عبد الرحمان بن مهدي قال: ما رأيت أحدا أعرف بالسنة من حمّاد بن زيد ثم قال: من أدكرت من الناس، كان الأئمّة منهم أربعة مالك بن أنس، وحمّاد بن زيد، وسفيان بن سعيد، وذكر الرابع ونسيته، وإن لم يكن ابن المبارك فلا أدري من هو؟ وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت بالبصرة أفقه من حمّاد بن زيد [الذهبي، العبد في خبر من غبر، ج 1، ص 211؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 228-229].

وقال أبو زرعة: حمّاد بن زيد أثبت من حمّاد ابن سلمة بكثير وأصحّ حديثا وأتقن [الرازي، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، ص 181]. ولقوّة حافظته قال فيه سليمان بن حرب: سمعت حمّاد بن زيد يحدّث بالحديث فيقول: سمعته منذ خمسين سنة ولم أحدّث به قبل اليوم ولم يكن له كتب إلاّ كتاب ليحيى ابن سعيد الأنصاري.

وقال عبد الرحمان بن مهدي: ما رأيت أحدا لم يكتب الحديث أحفظ من حمّاد بن زيد. وقال أيضًا: رأيت سفيان الثوري جاء إلى حمّاد بن زيد ويسأله عن حديث أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري أنّ الأعضاء تكفّر بعضها بعضا. قال: رأيت سفيان الثوري جاثيا بين يدي حمّاد بن زيد وهو يملي عليه هذا الحديث. وعن أبي الربيع الزهراني قال: ذكر اسماعيل بن عليّة حديثًا، فقال: من حدّثك؟ قلت: حمّاد بن زيد، قال شيخ الشباب [م.ن، ص178-182].

ومن أقواله العلمية ما روي عن سليمان بن حرب قال: سمعت حمّاد بن زيد يقول في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2] قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته كرفع الصوت عليه في حياته إذا قرئ حديثه وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن. وعن محمد بن وزير الواسطي قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: قلت لحمّاد بن زيد: هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ قال بلى. الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ. . .﴾ [التوبة: 122]. وقد أخرج هذه الآية الخطيب البغدادي في [الرحلة في طلب الحديث، ص 87].

وعن أيّوب العطّار قال: سمعت بشير بن الحارث يقول: حدّثنا حمّاد بن زيد ثم قال: استغفر الله إنّ لذكر الإسناد في القلب خيلاء، وعن موقفه من المعطّلة عن سليمان ابن حرب قال: سمعت حمّاد بن زيد يقول: إنّما يدرون على أن يقولوا ليس في السماء إله - يعني الجهمية -. وعن رأيه في القرآن ذكر أبو النعمان عارم قال: قال حمّاد بن زيد: القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند ربّ العالمين [سير أعلام النبلاء، ج 7، ص 460- 461].

أما عن روايته الحديث فقد روى حمّاد بن زيد الحديث وكان من الثقات فخرّج له البخاري ومسلم وأصحاب السنن، ومن الأحاديث المروية عنه عن يحيى بن محمد عن أحمد المقدام حدّثنا حمّاد بن زيد عن أبي عمران

الجوني: سمعت جندب بن عبد اللـه - ولا أعلمه إلاّ أنه قد رفعه - وقال: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه» أخرجه البخاري: 9/ 87 في فضائل القرآن باب أقرؤوا القرآن.. وأخرجه أيضًا: 13/ 289 في الاعتصام. والحديث في منع الاختلاف وتجنّب أسبابه.

وعن أبي الربيع الزهراني عن حمّاد بن زيد عن أيوّب عن نافع عن ابن عمر عن بلال: آنّ النبيّ بين العمودين في جوف الكعبة»، وفي رواية ابن عباس: لم يصل فيه إنّما كبّر في نواحيه: أخرجه مسلم، حديث رقم 1329، في الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاجّ، ورواه البخاري في الحجّ باب من كبّر في نواحي الكعبة، ج 3، ص375-376، وأبو داود حديث 2027 [سير أعلام النبلاء، ج 7، ص 462-463].

وحدّث حمّاد بن زيد عن عبيد اللـه بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللـه ﷺ: «إنّ اللـه وكلّ بالرحم ملكا فيقول: يا ربّ نطفة يا ربّ علقة يا ربّ مضغة، فإذا أراد اللـه أن يقضي خلقه، قال: يا ربّ أذكر أم أنثى، شقيا أم سعيدا فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمّه» [الحلية، ج6، ص260].

وأورد صاحب الحلية مجموعة أحاديث مروية عن حمّاد بن زيد في الأخلاق والعبادات والمعاملات، وشكر اللـه على نعمته، والإصلاح بين الناس، والحثّ على فعل الخير [م.ن، ص259-267].

المصادر والمراجع

● الرازي، أبو حاتم، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ج 1، ص ص177-182؛ ● الأصبهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج6، ص 257-267؛ ● النووي، أبو زكرياء، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 167؛ ● الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1402 هـ، 1982 م، ج 7، ص 456-466؛ ● العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الاسلامي لإحياء التراث، ج 3، ص9-11 .

د. حراث بوعلاّقي
مركز الدراسات الإسلامية
القيروان - تونس

الأزدي، أبو عمرو الرّبيع بن حبيب

(75 هـ / 694 م - 175 هـ/ 791 م)

هو أبو عمرو الرّبيع بن حبيب بن عمرو ابن الرّبيع بن راشد بن عمرو الفراهيدي. ويذكر الإمام السّالمي في تحفة الأعيان [ج 1، ص 20] أن المترجَم له ينتسب إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن غانم ابن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود النّبيّ ﷺ.

ولد بين سنتي 75 و80 هـ بـ «الباطنة» على السّهل السّاحلي لمنطقة «غطفان» التّابعة لولاية «لَوَى» بسلطنة عمان، حيث نشأ وتلقى العلوم الابتدائيّة من المسائل العقديّة والفقهيّة على والده حبيب بن عمرو، وغيره من الأساتذة العمانيّين إضافة إلى حفظه القرآن الكريم.
وفي ريعان شبابه، بين سنتي 92 و93هـ رحل إلى البصرة وسكن بمنطقة الخريبيّة، مسكن قومه الأزد، وقد كانت البصرة يومئذ أهمّ مركز علميّ يغصّ بفطاحل الرّجال من محدّثين وفقهاء وغيرهم من العلماء في كلّ فنّ، وقد نزلها جملة من الصّحابة والتّابعين وأتباعهم وكان النّاس يشدّون الرّحال إليهم لرواية الحديث ودراسة الفقه والتّفسير ومختلف العلوم. والتقى الرّبيع فيها جماعة كبيرة من التّابعين وأتباعهم، وفي مقدّمتهم الإمام الحجّة المحدّث البارع جابر بن زيد التّابعي، وتلميذه الإمام المحدّث الحافظ الحجّة أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة، فأخذ عنهما وعن غيرهما علوم التّفسير والحديث والفقه وبرع فيها جميعًا ولا سيّما الحديث والفقه. وصار من أعلام أهل زمانه، وخلَفَ شيخَه أبا عبيدة بعد وفاته [خميّس الشقصي، منهج الطّالبين، ج 1، ص 628].
أوْصَل بعض المؤرّخين شيوخ الإمام الرّبيع إلى ما يزيد على الثّلاثين عالمًا، غير أنّ المترجمين له أجمعوا على أنّ مَنْ كان لهم تأثير كبير في تكوينه العلمي والفكري والاجتماعي والسّياسي، هم: جابر بن زيد الأسدي العماني (21 هـ/ 93 م)، شيخ أبيه حبيب بن عمرو وغيره من التّابعين وأتباع التّابعين، وأبو نوح صالح الدهان، وجعفر ابن السمّاك، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويعلي ابن مسلم، وأيّوب السّختياني، وعمرو بن هرَم، ومسلم بن أبي كريمة التّميمي، وغيرهم. وممّن تتلمذ عليهم الرّبيعُ أيضًا، وروى عنهم الحديث مباشرة: أبو عبيدة مسلم بن كريمة التّميمي (45 - 151 هـ على الأرجح) وهو الّذي روى عن جماعة من الصّحابة ماتوا بين سنتي 60 و 70 للهجرة، وقيل إنّه روى عن عائشة وأبي هريرةَ رضي الله عنهما - وقد ماتا عام 58 على الأشهر.

كما أكثر الإمام الرّبيع بن الحبيب من الرّواية عن شيخه ضمام بن السّائب النّدبي، وقد

ترجم له البدر الشمّاخ في السيَر [ج 1، ص18] قائلاً: «هو مِنْ أهل العلم والتّحقيق، والكاشف أمر المعضلات عند حصر ذوي الضّيق، أخذ عن جابر وغيره؛ وكان ما أخذه عن جابر أكثر ممّا أخذه عنه أبو عبيدة». وذكره الدّرجيني في طبقاته فقال: «طالما أوْصى إليه أبو عبيدة في الفتاوى والمعضلات فانكشفت بأجوبته ظُلَمُ المشكلات». وقد روى عنه الرّبيع في المسند الصّحيح ثلاثة أحاديث: الأوّل في باب «ما يجب منه الوضوء» برقم 112، والثّاني في باب «ما يجوز وما لا يجوز من النّكاح» برقم 520، والثّالث في باب «الضيافة والجار وما ملكت اليمين واليتيم» برقم 688 [عبد اللّه بن حميد السّالمي، الجامع الصّحيح، ص 65 - 66].

وممّن تتلمذ عليهم الرّبيع أيضًا: أبو نوح صالح الدهّان المولود سنة 35 هـ تلميذُ جابر ابن زيد وشيخُ أبي عبيدة شيخ الربيع، قال عنه العلاّمة الدرجيني في طبقاته [ج 2، ص 254]: «شيخُ التّحقيق وأستاذ أهل الطّريق، نَاهِجُ طريق الصّالحين وناقض دعاوي الزّائغين الجانحين، أخذ عنه الحديثُ والفروعُ وكان ذا خشية للّه وخضوع» [أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشمّاخي، كتاب السيَر، ج 1، ص 95 وما بعدها].

وقد أخذ الإمامُ الرّبيع شيخُ الأباضيّين الحديثَ أيضًا عن جماعة من أصحاب المذاهب الأخرى وروى لهم في مسنده، فمِنْ كُتُب أهل السنّة أخذ من مسند الإمام أحمد عن عبد الأعلى بن داود الحديث رقم 16 برواية عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه، كما روى عن يحيى بن كثير حديثين: الأوّل برقم 17 من طريق شعيب بن الحبحاب الأسدي المعولي عن أنس بن مالك وأبي العاليّة وإبراهيم النّخعي، والثّاني برقم 739 من طريق عطاء بن سائب (ت 136هـ).

هذا وقد عاصر الإمامُ ابنُ حبيب كُلاً مِن يحيى بن كثير صاحب البصري وشُعيْب بن حبحاب الأزدي المِعولي، وأنّ يحيى بن كثير قد عاصر داود بن هند، وأنّ شعيب بن حبحاب قد عاصر قَتَادة وكانوا في مصرٍ واحدٍ. ولم يُعرَف عن أحد منهم - الرّبيع ويحيى وشعيب - التّدليسُ، أمّا سماع بعضهم عن بعض فَمُمْكن [القنّوني، الإمام الرّبيع بن حبيب: مكانته ومسنده، ص 15-46].

وكان الرّبيع قد انتقل إلى جوار ربّه تعالى في عمّان التي رجع إليها في آخر حياته بعد جهاد كبير وكفاح مرير خاضهما دفاعًا عن الإسلام وانتصارًا للحقّ وإعلاء لكلمة اللّه تعالى، فتخرّج على يديه أفواج من طلاّب العلم الّذين صاروا بعد ذلك أيمّة ساهموا في إنارة بُقَعٍ شاسعةٍ من العالم الإسلامي بعلمهم الغزير، منهم: الشّيخ الإمام الحافظ الحجّة المؤرّخ أبو صفرة عبد الملك بن أبي صفرة، ومنير بن النّير، ومحمد بن المعلّى، وأبو أيّوب وائل ابن أيّوب، وهاشم بن غيلان الخراساني، وغيرهم كثير [م. س، ص 48].

وكما أسهم الرّبيع في الحركة العلميّة بالبصرة بإعداد الرّجال، ساهم فيها بالتّأليف، فترك آثارًا تدلّ على غزارة علمه ورسوخ قدمه وكثرة اطّلاعه وعلوّ قدره وعمق مأخذه وسموّ مكانته في الحديث والفقه. ومَنْ نظر في أقواله بالمدوّنة وغيرها يُدرك معنى إجماع الجماعة الأباضيّة على أنّه من العلماء المشهورين والجهابذة المتبحّرين.

آثاره

1 - المسند الصّحيح، أغْلَبُ رواياته فيه عن شيخه أبي عبيدة، ويرى علماء المذهب الأباضي أنّه أوّل ما صُنِّف في سنّة رسول اللّه وأغلبه ثلاثيّ السّند، وقد رتّبه صاحبه على أسماء الرّواة حسب الطّريقة المتداولة عند أكثر أهل عصره. والكِتَابُ مطبوع بمكتبة الثّقافة الدّينيّة 14 ميدان العتبة بعنوان «الجامع الصّحيح - مسند الإمام الرّبيع بن عمر الأزدي البصري: أحدِ أفراد النّبغاء من علماء آخر قرن البعثة»، بتحقيق وترتيب الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت 570 هـ). كما طبعته مكتبة الاستقامة بسلطنة عمّان، ودار الحكمة ببيروت، ودمشق سنة 1415 هـ/ 1995 م، بعنوان «الجامع الصّحيح - مسند الرّبيع بن حبيب»، بضبط وتخريج الأحاديث لمحمد أدْريس ومراجعة وتقديم عاشور بن يوسف؛ 2 - بعض الأحاديث النّبويّة والآثار المرويّة عن بعض الصّحابة الّتي لها تعلّق بالعقيدة، وقد وضعها الإمام أبو يعقوب الورجلاني في آخر المسند وهي تشكّل الجزء الثّالث من أجزائه؛ 3 - كتاب آثار الرّبيع، وقد رواه الرّبيع عن شيخه ضمام بن السّائب عن جابر ابن زيد، والكتاب غير مطبوع إلى حدود سنة 2001 م؛ 4 - إجاباتُ أسئلةٍ في العبادات والمعلومات والأحوال الشّخصيّة، وقد رواها أبو غانم الخراساني في مدوّنته [القنّوني، م.س، ص 50].

المصادر والمراجع

● الشّمّاخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السِّيَر، تح. أحمد بن سعود السّيابي، وزارة التّراث القومي والثّقافة، سلطنة عمّان، سنة 1407 هـ/ 1987 م؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1962، ج 3، ص 161؛ ● السّالمي، عبد اللّه بن حميد، تنبيهات سنّة على الجامع الصّحيح - مسند الإمام الرّبيع، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة (د. ت)؛ ● إدْريس، محمد، ضبط وتخريج الجامع الصّحيح - مسند الإمام الرّبيع بن حبيب، دار الحكمة، بيروت، دمشق، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمّان، ط 1، 1415 هـ/ 1995 م؛ ● عاشور بن يوسف، مراجعة وتقديم الجامع الصّحيح؛ - مسند الإمام الرّبيع بن حبيب، مكتبة الاستقامة، عمّان، ط 1، سنة 1995 م؛ ● القنّوني، سعيد بن مبروك، الإمام الرّبيع بن حبيب: مكانته ومسنده، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، سلطنة عمّان، ط 1، سنة 1416 هـ/ 1995 م؛ ● الزّركلي، خير الدّين، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999. مج 3، ص 14.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة ــ تونس

الأزدي، أبو محمد عبد الغني بن سعيد

(332 هـ / 941 م - 409 هـ / 1018 م)

هو عبد الغنيّ بن سعيد بن علي الأزدي أبو محمد. ولد سنة 332 هـ/ 941م في مصر، من أسرة اشتهر أبناؤها بالحديث والرواية، فقد كان أبوه، وجدّ أبيه، وكذلك عمّه من المحدّثين. ومع ذلك فهو لم يسمع من أبيه شيئا، إذ توفّي أبوه سنة 338 هـ. وكان هو في الخامسة من عمره. وسمع من شيوخ مصر والشام في عصره. فكان من بين شيوخه الدارقطني (ت 385 هـ).

وبعد عودته من الطواف على العلماء جلس للإملاء في الجامع العتيق بمصر سنة 380 هـ. فقصده الطلبة من مصر وبلاد الشام، وكان منهم قاضي مصر القضاعي (ت 454 هـ)، والحافظ محمد بن علي الصوري (ت 441 هـ) وابن عبد البرّ (ت 463 هـ)، وغيرهم.

صحبه الصّوري عندما دخل مصر في سنة 405 هـ ولزمه مدّة وتخرّج عليه، وكتب عنه شيئا من تصانيفه، كما كتب عبد الغني عن الصوري في تصانيفه وصرّح باسمه في بعضها.

وللصّوري تعليقات على ما جاء في كتبه، حيث أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر (ت 852 هـ) في كتابه «الإصابة» في ترجمة عمرو بن سبيع الرّهاوي، فقال في «رها»: «قال الصّوري: وقع في الرواية بالضمّ، قيّده عبد الغني بن سعيد بالفتح، فرّق بينه وبين البلد، فإنّها بالضمّ».

وفي العودة إلى باب «الرُّهاوي والرَّهاوي» في كتاب «مشتبه النسبة» نجد أنّ عبد الغنيّ يفرّق بين «الرّهاوي» بالفتح، المنسوب إلى قبيلة، و«الرّهاوي» بالضمّ المنسوب إلى بلد الرّها.

حكى الأمير المختار المعروف بـ «المسبحيّ» في تاريخه أنّ الحافظ عبد الغني كانت بينه وبين أبي أسامة جنادة بن محمد اللّغوي الأزدي الهروي، وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مودّة أكيدة ومؤانسة واتّحاد كثير، واجتماع في دار العلم بالقاهرة، وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب، ولم يزل ذلك دأبهم حتّى قتل الحاكم بأمر اللّه أبا أسامة جنادة، وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي، في يوم واحد من شهر ذي العقدة سنة 399 هـ. وخاف عبد الغني أن يلحق بهما لاتّهامه بمعاشرتهما، فاستتر مدّة حتّى حصل له الأمن فظهر.

وقد ناقش الحافظ الذهبي (ت 748 هـ) موضوع اتصال عبد الغنيّ بالدولة الفاطميّة (العبيديّة)، فقال: «إنّ اتّصاله بالدولة العبيدية كان مداراة لهم، وإلاّ فلو جمح عليهم لاستأصله الحاكم خليفة مصر، الذي قيل إنّه ادّعى الألوهيّة. وأظنّه ولي وظيفة لهم، وقد كان من أئمّة الأثر، نشأ في سنّة واتّباع قبل وجود دولة الرفض، واستمرّ هو على التمسّك بالحديث، ولكنّه دارى القوم، وداهنهم، فلذلك لم يحبّ الحافظ أبو ذرّ

(الهروي شيخ الحرم، ت 434 هـ) الأخذ عنه. ولكنّه ندم بعد ذلك».
سئل الدارقطنيّ: هل رأيت في طريقك من يفهم شيئا من العلم؟ فقال: ما رأيت في طول طريقي أحدا إلاّ شابا بمصر يقال له عبد الغنيّ كأنّه شعلة نار. وحين أراد الدارقطني الخروج من مصر خرج معه أصحابه ليودّعوه، فلما ودّعوه بكوا - قال: لم تبكون؟ قالوا: نبكي لما فقدناه من علمك، وعدمناه من فوائدك. فقال: تقولون هذا وعندكم عبد الغني بن سعيد وفيه الخلف؟
وعندما اطّلع عبد الغني على كتاب «مدخل الصحيح» للحاكم النيسابوري (ت 405 هـ) ردّ عليه في كتاب، فبعث إليه يشكره ويدعو له.
وكان عبد الغني ابتدأ بعمل كتابه «المؤتلف والمختلف»، فقدم الدارقطني إلى مصر، فأخذ عند عبد الغني أشياء كثيرة، فلمّا فرغ من تصنيف كتابه سأله أن يقرأه عليه، ليسمعه منه، فقال له: عنك أخذت أكثره. فقال: لا تقل هذا، فإنّك أخذته عنّي متفرّقا، وقد أوردت فيه مجموعا، وفيه أشياء كثيرة عن شيوخك. فقرأه عليه.
وصف بأنّه كان إماما لأهل زمانه في علم الحديث وحفظه، وهو ثقة مأمون، حافظ المصريّين، وفريد وقته، وأعلم الناس بالأنساب، له المصنّفات المعروفة المتداولة، وهو أوّل من صنّف في علم المؤتلف والمختلف في أسماء الرواة وأنسابهم.
وكان لا يتساهل في أمور دينه، ومن ذلك أنّ شيخ الإقراء بالديار المصريّة ابن حسنون البغدادي (ت 386 هـ) ادّعى أنّه لقي أبا العلاء الوكيعي (توفي 300 هـ) فكان يحدّث بقراءته عنه، فذكر أحدهم لعبد الغنيّ ذلك، فاستعظمه، وقال: سله متى سمع من أبي العلاء، فرجع فسأله، فقال: سمعت بمكة في الموسم سنة 300، فأتى وأخبر عبد الغنيّ بقوله، فقال: لقد مات أبو العلاء عندنا في أوّل سنة 300 هـ! وعندما مرّ عبد الغني بمجلس أبي العلاء وهو يقرئ الناس أبى أن يسلّم عليه وقال: لا أسلّم على من يكذب في حديث رسول الله ﷺ.
وعندما توفّي كانت له جنازة عظيمة تحدّث بها الناس أنّهم لم يروا في تلك السنين جنازة مثلها، وكان بعض أصحابه ينادي: هذه جنازة أبي محمد بن عبد الغني بن سعيد الأزدي الحافظ لكتاب الله، ونافي الكذب عن رسول الله.
ترك تصنيفات كثيرة لم يتمّها. وجاء في مقدّمة كتابه «مشتبه النسبة» ما يلي: «لمّا صنّفت كتابي في مؤلف أسماء المحدّثين ومختلفها، نظرت، فإذا من ينسب منهم إلى قبيلة أو بلدة أو صنعة قد يقع فيه من التصحيف والتحريف مثل ما يقع في الأسماء والكنى التي حواها كتاب «المؤتلف والمختلف» الذي تقدّم تصنيفي إيّاه قبل هذا الكتاب وغيره من مصنّفاتي، فاستخرت الله تعالى، وألّفت كتابا في المنسوب منهم إلى قبيلة، أو بلدة، أو صنعة، يشتبه انتسابه في الخطّ، ويفترق في اللّفظ والمعنى على من ليس له بذلك علم، ولا له به دربة».
هذا، وقد علّق الأمير ابن ماكولا (ت475هـ) على هذا الكتاب في مادّة «الأيلي» عن ابن أبي رواد في كتابه «تهذيب مستمرّ الأوهام»، واستشهد به ابن ناصر الدين الدمشقي (ت842 هـ)، في «توضيح المشتبه»، وهو

يتعقّب الحافظ الذهبي، (ت 748 هـ) في كتابه «المشتبه».

واستدرك عليه الحافظ أبو طاهر السّلفي (ت 576هـ) عدّة أنساب لم يذكرها في «مشتبه النسبة»، فيما ذكر عبد الغني بعض الأنساب التي لم يأت على ذكرها ابن السمعاني (ت 562 هـ) في كتابه «الأنساب»، وبالمقابل يمكن تصحيح بعض المعلومات التي وقعت لابن السمعاني في «الأنساب» اعتمادا عليه.

آثاره

1 - أوهام أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاريّ (ت 256هـ) برواية الحافظ محمد بن علي الصوري (ت 441 هـ)؛ 2 - إيضاح الإشكال في الرواة؛ 3 - الرباعيّات في الحديث؛ 4 الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات، (من حديث أبي الحسين محمد بن أحمد العباس الإخميمي، توفي 395هـ)؛ 5 - كشف الأوهام التي في كتاب «المدخل» الذي صنّفه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ)؛ 6 - المتوارين؛ 7 - مشتبه النسبة في الخط واختلافها في المعنى واللّفظ. (صدر بتحقيقنا)؛ 8 - المؤتلف والمختلف. (طبع بالهند 1327هـ، والقاهرة 1414 هـ/1994م).

المصادر والمراجع

• حاجي خليفة، كشف الظنون، 43 و1583 و1637 و 1691؛ • الزركلي، الأعلام، 4/ 159؛ • رضا كحّالة، معجم المؤلّفين 5/ 273، 274؛ • سزكين، تاريخ التراث العربي، 1/ 548 - 550؛ • مشتبه النسبة، بتحقيقنا طبعة دار المنتخب العربي، بيروت 1417 هـ، 1/ 167 ـ 168.

• Brockelmann.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية - بيروت

الأزدي، أبو عبد الله

(قرن 6 - 7 هـ / 13 م)

بخلت المصادر في إفادتنا بمعلومات كافية عنه. وقد ورد اسمه في ثلاثة مواضع بكتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» [مج 2، ص228، مكتبة الخانجي، القاهرة 1972]. الموضع الأوّل كتلميذ ممن يكتبون للفقيه المحدّث محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي من أهل سبتة المتوفى 575هـ، أو 595هـ حسب [الأعلام لخير الدين الزركلي].

والموضع الثاني [نفس المصدر، م4، ص121] كشيخ للنحوي البارز المالكي المذهب علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن الضايع من أهل إشبيلية والمتوفى 680هـ.

والموضع الثالث [نفس المصدر، مج 3، ص250] كشيخ للفقيه محمد بن إبراهيم بن الفقيه والوزير المشهور أبي البركات، وابن الحاج (642هـ/ 794هـ) ويكنى «أبو عبد الله» أيضًا.

ومما ورد في المواضع الثلاثة يمكن تكوين صورة «أبي عبد الله الأزدي» فهو فقيه مالكي، ومحدّث، وقاض لردح طويل من الزمان عاش، على الأقلّ طوال الربع الأخير من القرن السادس الهجري وحتّى أوّل الربع الأخير من القرن السابع الهجري، وأنه كان يرحل من بلدته إشبيلية لجمع الحديث كرحلته لسبتة للكتابة والرواية عن محمد بن عياض.

وقد شاركه في كنيته «أبي عبد الله» ولقبه «الأزدي» من المشاهير في الأندلس كل من صاحب «جذوة المقتبس»: محمد بن فتوح ابن عبد الله بن حميد، أبو عبدالله الأزدي الحميدي (ت ببغداد 488هـ) [ياقوت، فوات الوفيات]، وابنه هانيء الأصغر: محمد بن إبراهيم بن المفضّل، أبو عبد الله الأزدي، (ت1160م) [خير الدين الزركلي، الأعلام].

د. سليمان العطار
جامعة القاهرة - مصر

الأزدي، أبو علي سند بن عنان

(... هـ / ... م - 541 هـ / 1146م)

هو أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الأزدي، فقيه، وحكيم.

ولد سند بن عنان في الإسكندريّة، وتفقه على علماء عصره، وكان من أنبغ تلاميذ الفقيه أبو بكر الطرطوشي (451 - 520 هـ) صاحب الكتاب المشهور «سراج الملوك»، وأقربهم إليه، وكان أستاذه مالكي المذهب وقد سمع منه، ولازم حلقته سنين طويلة، ولم يأخذ عن أستاذه العلم وحده بل قبس من أخلاقه وفضله، ومن فلسفة الزهد التي أخذ أبو بكر الطرطشي بها نفسه، ولهذا وصفه ابن فرحون بقوله: «كان سند بن عنان من زهاد العلماء وكبار الصالحين، فقيها فاضلا، تفقه بالشيخ أبي بكر الطرطوشي».

وروى عن أبي الطل هو السلفي وأبي الحسن علي بن المشرف وغيرهم، روى نفي الدين ابن دقيق العيد (ت 702خـ) بقوله: «كان سند بن عنان فاضلا من أهل النظر».

وروى فقيه آخر هو القاسم بن مخلوف بن عبد الله بن عبد الحق بن جاره قال: «أخبرني من أثق به أنّه رأى الفقيه أبا علي سند بن عنان في النوم، قال: فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: عرضت على ربي فقال لي: أهلا بالنفس الطاهرة الزكيّة العالمة».

وقال الفقيه تميم بن معين الباديسي:

«رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله، اكتب لي براءة من النار.

فقال لي: امض إلى الفقيه سند يكتب لك براءة.

فقلت: ما يفعل.

فقال: قل له بامارة كذا وكذا.

فانتبهت، فمضيت إلى الفقيه سند.

فقلت له: اكتب لي براءة من النار.

فبكى وقال: ومن يكتب لي براءة من النار؟

فقلت له: الإمارة.

قال: فكتب لي رقعة».

وقال ابن فرحون بعد رواية هذه القصة: «ولما أدركتُ تميما الوفاة أوصى أن تجعل الرقعة في حلقة وتدفن معه».

وكان سند بن عنان كأستاذه أبي بكر الطرطوشي يقول الشعر أحيانا، وقد روى ابن فرحون بيتين من شعره:

وزائرةٍ للشّيب حلّتْ بمفرقي
فبادرتُها بالنتفِ خوفا من الحتف

فقالت: على ضعفي استطلت ووحدتي؟
رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

وقد رشحت هذه المؤهلات جميعا سند بن عنان لأن يخلف أستاذه أبو بكر الطرطوشي، فجلس في حلقته ومدرسته بعده يلقي الدروس في العلوم المختلفة، وخاصة في فقه الإمام مالك بن أنس.

قال ابن فرحون: «وجلس سند بن عنان لإلقاء الدرس بعد الشيخ أبي بكر الطرطوشي، وانتفع الناس به».

ومن الذين دخلوا عليه وأخذوا عنه جماعة من فقهاء عائلة ابن عوف الشهير بالعلم في مدينة الإسكندريّة، قال عالم الإسكندريّة ومؤرخها أبو المظفر منصور بن سليم الإسكندري (ت 673 هـ):

«وبيت ابن عوف بثغر الإسكندريّة بيت كبير شهير بالعلم، كان فيه جماعة من الفقهاء، قال الشيخ شهاب الدين بن هلال: سمعت أنهم اجتمع منهم سبعة في وقت واحد، وكانوا إذا دخلوا على الإمام أبي علي سند بن عنان مؤلف كتاب الطراز، يقول: أهلا بالفقهاء السبعة، تشبيها لهم بالفقهاء السبعة أئمة المدينة النبويّة».

وظلّ أبو علي سند بن عنان يدرس إحدى وعشرين سنة بعد أستاذه أبي بكر الطرطوشي إلى أن توفي في مدينة الإسكندريّة سنة (541هـ)، ودفن بالقرب من قبر أستاذه أبي بكر الطرطوشي، ولازال مسجد سند بن عنان موجودا حتى اليوم في شارع الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندريّة.

آثاره

1 - اشتغل سند بن عنان بالتأليف، وذكرت

المصادر أنّه ألّف كتابا ضخما حسنا في الفقه شرح به «المدونة» وهي من أمّهات الكتب في فقه الإمام مالك، وسمي سند بن عنان شرحه هذا «طراز المجالس»، وكان في نحو ثلاثين سفرا، غير أنّه توفي قبل إتمامه وإكماله. يوجد نسخة منه في مكتبة الرباط بالمغرب برقم 878.

ويذكر ابن فرحون وعمر كحالة أنّ لسند بن عنان مؤلّف آخر في الجدل وغير ذلك.

2 - كتاب في الجدل

المصادر والمراجع

● ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت 799هـ)، 1351 هـ، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ص 92-126؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، الفقه، مج 1، ج 3، ص 150؛ ● الشيال، جمال الدين، 1965 م، أعلام الإسكندريّة في العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ص 101؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج4، ص 283.

د. محمد هشام النعسان
معهد التراث العلمي العربي
حلب - سوريا

الأزدي، أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد

(... هـ / ... م - 367 هـ / 977م)

محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن يزيد بن النعمان الازدي الموصلي، نزيل بغداد، الحافظ البارع المحدث، وهو من أهل الفضل والعلم.

أخذ الحديث عن كبار شيوخ عصره وروى عنهم، ومنهم أبو يعلى الموصلي، والهيثم بن خلف الدوري، وعلي بن سراج المصري ومحمد بن جرير الطبري، وأحمد بن الحسن ابن عبد الجبار الصوفي، وأبو عروبة الحراني، ومحمد بن محمد الباغندي، وإبراهيم بن عمر البرمكي، كما أخذ في بغداد عن محمد بن ثمامة بن وكيع، أبي بكر السراج [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 110]، وأخذ عن عبد الله بن زيدان البجلي، وعلي بن زاطيا، وعبد الله بن إسحق المدائني، كما أخذ ايضا عن طريف بن عبيد الله صاحب علي بن الجعد، وكذلك أخذ عن عباد بن علي السيريني وعن إسماعيل الحاسب، وأخذ عن حمدان بن عمرو الوراق الموصلي، وأيضا أخذ عن أبي القاسم البغوي أيضا، كما روى عن الحسن بن مهدي ابن عبده المروزي وغيرهم كثير.

كان حافظا صنف كتبا في الحديث النبوي الشريف وعلومه، كما كان بارعا في علم «الجرح والتعديل»، يقول الخطيب البغدادي: «سألتُ محمد بن جعفر بن علان عنه، فذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث وأثنى عليه...»، في الوقت الذي ضعّفهُ جماعة من المحدثين من دون أن يكون لديهم سند لذلك.

ومما لا شك فيه أن تصانيفه تشير إلى اهتمامه بعلم الحديث والمحدِّثين، وأنه كان قد بذل جهودا كبيرة في خدمته والنهوض به إلى ما يستحقّه من مكانة رفيعة.

وكان للأزدي مجالس لإملاء الحديث وروايته في الموصل وبغداد، يتردد عليه طلاب الحديث، فقد حدث عنه إبراهيم بن عمر البرمكي، وأبو نعيم الحافظ، وأحمد بن الفتح بن فرغان، ومحمد بن جعفر بن علان الشروطي، وعبد الغفار بن محمد المؤدب، وأبو طالب محمد بن الحسين بن أحمد بن بكير، وغيرهم كثير.

وجدير بالذكر أن القرن الرابع للهجرة، وهو العصر الذي عاش فيه صاحب الترجمة (الأزدي)، شهد تطورا واسعا للمعرفة العلمية بمختلف منابعها واتجاهاتها ، ومنها الحديث النبوي الشريف وعلومه الذي يعد من أشرف العلوم لأنه يتضمن أقوال الرسول محمد وأفعاله وتقريراته، ولأنه مصدر تشريعي تستنبط منه الأحكام الشرعية، ولكونه يفسر القرآن الكريم، مما حدا بالعلماء إلى الاهتمام به جمعا ورواية وشرحا، والتمييز بين صحيح الأحاديث وضعيفها عن طريق الرحلة في طلب الحديث ومقابلة شيوخ الحديث، وكذلك تصنيف كتب في هذا المجال وتأسيس علم هو «علم الجرح والتعديل» لمقاومة الوضع في الحديث والبحث في أحوال الرواة جرحا وتعديلا مع بيان ما ورد في شأنهم مما يشينهم أو يزكّيهم بألفاظ مخصوصة من أجل المحافظة على الشريعة الإسلامية دون الطعن في الناس [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 582؛ صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص 109].

لذلك اهتم صاحب الترجمة بالحديث النبوي الشريف وأصبح أحد أعلام عصره.

توفي أبو الفتح الأزدي سنة (367 هـ/ 977م) وقيل (374 هـ/ 984 م) كما يذكر ذلك الخطيب البغدادي.

آثاره

من كتبه في الحديث النبوي الشريف وعلومه:

1 - كتاب «الجرح والتعديل والضعفاء» الذي ضعّف فيه جماعة من رواة الحديث في حين وثق آخرين، كما ميز فيه بين صحيح الاحاديث وسقيمها، وكان أبو الفتح الأزدي الموصلي قد اهتم بهذا العلم من خلال كتابه ـ الآنف الذكر ـ على الرغم من أن البعض من العلماء قد طعنوا في هذا الكتاب وأخذوا عليه مؤاخذات، لأنه قد ضعّف جماعة من المحدثين سبق لغيره أن وثّقهم.

إلا أنّ ما ورد من مآخذ على كتاب «الجرح والتعديل» لا يعد نقصا في الكتاب، لأنّ مسألة التعارض في الجرح والتعديل أمر وارد، فقد يحصل في بعض الحالات من يرى أنّ ذلك الراوي ضعيف وفاسق فيجرّحه، في الوقت الذي يوثّقه الآخرون لأنهم رأوه قد

تاب [الدوري، قحطان، علوم الحديث الشريف، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، 7/ 116]، علما أن طلاب الحديث كانوا يرحلون إلى الأزدي من مختلف البلدان لسماع كتابه منه لشهرته، وممّن رحل إليه، أبو الحسن محمد بن يحيى بن سراقة العامري البصري (ت 410 هـ/ 1019 م)، فقد أخذ عن أبي الفتح كتابه المذكور، وقام بنسخه وتهذيبه [ابن الصلاح الشهرزوري، طبقات الشافعية، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب جامعة بغداد برقم (1289) ورقة 27]. كما حمله معه إبراهيم بن بكر الموصلي، عندما رحل من الموصل إلى الأندلس، ودخل إشبيلية، فحدث هناك به عن مؤلفه أبي الفتح الأزدي، مما يشير إلى أهميته وشهرته [الحميدي، جذوة المقتبس، ص 153؛ ابن بشكوال، الصلة، 1/ 102]؛ 2 - كتاب «شرح الشهاب القضاعيّ» تناول فيه الأحاديث النبوية وشرحها؛ 3 - كتاب «فوائد في الحديث»؛ 4 - كتاب في «تراجم الصحابة»، وسمّاه بـ «تسمية من وافق اسمه اسم أبيه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المحدثين». وتوجد نسخة منه في ليدن برقم (1087)، وكذلك في سراي أحمد الثالث برقم (624/ 17) [سزكين، تاريخ التراث، م. 1، ج. 1/ 402؛ برو كلمان، تاريخ الأدب العربي، 3/ 226]؛ 5 - كتاب جمع فيه اسم كل صحابي روى عن رسول الله أمرا ونهيا، ومن بعده من التابعين وغيرهم ممن لا أخ له يوافق اسمه من نقلة الحديث من جميع الامصار. توجد نسخة منه في سراي أحمد الثالث برقم (2969/ 5) [سزكين، تاريخ التراث، م. 1، ج. 1/ 403]؛ 6 - كتاب «المخزون في علم الحديث»، وهو مرتب على حروف الهجاء، يتناول صحابة رسول الله (الذين لم يرو عن كل منهم إلا راوية واحد من التابعين). توجد نسخة منه في سراي أحمد الثالث برقم (624/ 20) [سزكين، تاريخ التراث، م 1، ج 1/ 403]؛ 7 - كتاب فيه «مواعظ وحكم». يوجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية، مجمع 18، (176 أ-193 أ/ القرن الرابع للهجرة) [سزكين، تاريخ التراث، م. 1، ج. 1/ 403]؛ 8 - كتاب جمع فيه «أحاديث منتقاة، وغرائب من ألفاظ رسول الله مما يحتاج الى استعماله»، مع «حديث أبي هشام الحسن بن محمد بن الفرج الحداد البزاز» اختارها أبو الحسن أحمد بن أبي الفتح بن عبد الله بن فرغان. يوجد نسخة منه في مكتبة الظاهرية (مجموع 79) [سزكين ، تاريخ التراث، م1، ج. 1/ 403].

المصادر والمراجع

● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، د. ت، دار الكتاب العربي، 2/ 243-244، 253؛ ● ابن الجوزي، المنتظم، بغداد، 1990، الدار الوطنية، 7/ 125؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1965، دار صادر للطباعة، 9/ 40؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. أكرم البوشي، بيروت 1986، مؤسسة الرسالة، 16/ 343-349؛ ● الذهبي، تذكرة الحفّاظ، بيروت، 1965، دار إحياء التراث العربي، 3/ 967؛ ● الذهبي، تاريخ

الإسلام، تح. عمر عبد السلام التدمري، ط. 1، بيروت 1989، (حوادث ووفيات 351-380)، ص 564؛ ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح. فؤاد سيد، الكويت 1961، سلسلة التراث العربي، ص 367 ـ 368؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، ط. 2، 1977، مكتبة المعارف، 11/ 303؛ ● العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ط. 2، بيروت، 1971 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2/ 258 و 5/ 139-140؛ ● السمعاني، الأنساب، ط. 2، بيروت 1980، 1/ 198؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979، 3/ 84؛ ● السيوطي، طبقات الحفاظ، تح. علي محمد عمر، ط 1، القاهرة، 1973، نشر مكتبه وهبة، ص 386؛ ● الكتاني، الرسالة المستطرفة، تح. محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط3، دمشق، 1964، مطبعة دار الفكر، ص 144؛ ● البغدادي، هدية العارفين، إستانبول، 1951، منشورات مكتبة المثنى، 2/ 50؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، 9/ 232.

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الأزدي القرطبي أبو يحيى أبو بكر بن هشام

(635 هـ أو 640 هـ / 1237 م أو 1242م)

أبو بكر بن هشام بن عبد الله بن هشام بن سعيد الأزدي القرطبي الكاتب، يكنى أبا يحيى؛ فقيه، مقرىء، محدّث، شاعر. كان أبوه، أبو الوليد هشام، أحد حكام قرطبة (Cordoba)، ومن العلماء المرموقين بالأندلس. وهو ينتمي إلى إحدى الأسر المعروفة بالعلم والجاه في هذه المدينة. كما كان أخوه أبو القاسم بن هشام، شاعراً وأديباً مشهوراً. وقد نشأ ابن هشام في هذا الجو العلمي، ودرس الفقه والحديث على أقطاب عصره، أمثال أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، مؤلف كتاب الصلة، المتوفى سنة 578 هـ/ 1183 م، الذي أجاز له، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن عُقاب، الذي أخذ عنه في صغره كتاب الشهاب لأبي عبد الله القضاعي. كما سمع أيضاً أبا القاسم الشّراط، والخطيب أبا جعفر بن يحيى الكتامي، وأخذ عنهما القراءات. وقرأ بالسبع عن ابن غالب، وسمع أيضاً عن صهره القاضي أبي العباس المجريطي. كذلك روى عن أبيه أبي الوليد، الذي أجاز له رواية جميع

ما يرويه، فضلاً عن كتابيه: المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام، وكتاب بهجة النفس وروضة الأنس، في التاريخ.

ونتيجة لدراسته المكثفة هذه، فقد برع ابن هشام في الأدب، وأصبح كاتباً بليغاً، وشاعراً مُجيداً. بل أضحى، وحسب وصف تلميذه ابن سعيد المغربي له: «شيخ الكتّاب في أوانه، المُشار إليه بذلك ما بين أقرانه ... وهو ممن كان يُنتفع بكتبه وأدبه» [إختصار القدح المعلى، 89]. وقد امتهن وظيفة الكتابة للحكام، فكتب في أول أمره ببلده، وولي القضاء ببعض المناطق، ثم انتشر صيته في مدن الأندلس الأخرى، فكتب في إشبيلية (Sevilla)، وغرناطة (Granadda)، ومرسية (Murcia).

وكان من أشهر الحكام الذين عمل في خدمتهم وكتب عنهم إدريس بن منصور الموحدي، أيام ولايته على قرطبة، وهو نائب أخيه العادل عبد الله بن يعقوب على الأندلس. وبعد انتصار ثورة السيد أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن البياسي، صاحب جيّان (Jaen)، على الخليفة العادل، وتغلبه على قرطبة، كتب له ابن هشام أيضاً، وصار مختصاً به، وتنقل معه، الأمر الذي أثار حنق أبي العلاء إدريس عليه. فلما انتهت حركة البياسي، وقُتل على يد أبي العلاء سنة 623 هـ/ 1226 م، خاف ابن هشام واستخفى بإشبيلية. ولكنه حاول أن يعتذر عن فعلته، وأرسل رقاعاً إلى أبي العلاء، ثم دخل عليه، وأنشد قصيدة منها:

مولاي إنّ بليتي مع خدَمتي
خصمان فاحكُم للتي هي أقدم

وقد نال ابن هشام عفو أبي العلاء، وأصبح يحضر مجلسه، ويلقي فيه بعض القصائد الشعرية ارتجالاً. وبعد ذلك استمر في خدمة بعض حكام الأندلس الآخرين في الكتابة، فكتب لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، الذي استغل ضعف السلطة الموحدية، وسيطر على عدة مدن أندلسية في الحقبة الممتدة من سنة 625-635 هـ/ 1227-1237م. كما كتب أيضاً للثائر أبي مروان أحمد بن محمد الباجي، الذي قام بإشبيلية على ابن هود سنة 631 هـ/ 1233م.

وهكذا تكررت مأساة تجربته الأولى مع البياسي، ولكن لحسن حظه، فإن حكم ابن هود لم يطل كثيراً، ليتمكن من معاقبته، كما فعل أبو العلاء الموحدي. والواقع أنه لم يكن لأبي هشام خيار فيما يفعل، فالرجل كان يمتهن الكتابة، التي كانت، وكما يبدو، مصدر رزقه الوحيد، وعاش في ظروف سياسية متقلبة، كانت تتبدل فيها الأدوار، والحكام باستمرار، مما أوقعه في مأزق مع كل متغلب جديد.

آثاره

لم يترك ابن هشام مؤلفات في المعارف التي أتقنها ودرسها على والده، وأساتذته، وجُلّ ما خلّفه من تراث ثقافي، ونقله عنه تلامذته، هو بعض الأبيات من شعره، الذي يشمل مجالات متعددة، منها المدح، والوصف، والخمريات، والغزل.

كما أورد له تلميذه ابن سعيد المغربي المتوفى

سنة 685 هـ/ 1286 م، إضافة إلى الشعر، نماذج من نثره أيضاً [المغرب في حلى المغرب، 1/ 75]. ويُشيد تلميذه الآخر، أبو الحسن علي بن محمد الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة 666 هـ/ 1267م، بأستاذه، ويصف كتابته بأنها كانت «رائعة» وكذلك شعره، الذي أنشده الكثير منه. وقد استفاد من علمه لطول مجالسته له، وحدّثه بكتب مفيدة، منها الشهاب للقضاعي؛ كما ناوله كتب أبيه المذكورة أعلاه.

ويشير أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة 658 هـ/ 1260 م، إلى التقائه بابن هشام في مدينة إشبيلية، ولكنه لم يأخذ شيئاً من روايته [التكملة لكتاب الصلة، 1/ 222]. ومع هذا فقد أورد له بيتين من الشعر، قالهما في ليلة أنس [المقتضب من تحفة القادم، 211]:

ولما دنا الإصباحُ قام مُودّعي
وخلّفني في قبضة الوجد هالكا
وكان سوادُ الليل ابيض ناصعا
فعاد بياضُ الصبح أسود حالكا

توفي ابن هشام في مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras سنة 635 هـ/ 1237م، حسب قول تلميذيه: الرعيني، وابن الأبار، بينما يذكر ابن سعيد المغربي، الذي كان في مصر، أنه سمع بخبر موته سنة 640 هـ/ 1242م.

المصادر والمراجع

● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955-1956، 1/ 222، الترجمة 598؛ ● م.ن، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح. إبراهيم الأبياري، ط 2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983، ص 211؛ ● الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1962، ص 200-201، الترجمة 106؛ ● ابن سعيد المغربي وأسرته، المغرب في حلى المغرب، تح. ضيف شوقي، القاهرة، دار المعارف، 1964، 1/ 74-75؛ ● ابن سعيد المغربي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تح. إبراهيم الإبياري، ط 2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980، ص 89-93؛ ● المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب/ قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني ورفاقه، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 271؛ ● ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر. بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979، 4/ 169؛ ● المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، 3/ 315-316؛ ● عنان، عصر المرابطين والموحدين/ القسم الثاني: عصر الموحدين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، 1964، 2/ 360، 692-693.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل ــ العراق

الأزدي القرطبي، أبو بكر يحيى بن سعدون

(486 هـ / 1093 م – 567 هـ/ 1171 م)

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، عالم بالقراءات، محدّث، نحوي، لغوي. أندلسي من أهل قرطبة Cordoba، تلقّى فيها تعليمه الأولي، ثم اهتمّ بالحديث النبوي الشريف، فسمعه فيها من أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتّاب (ت 531هـ/ 1136م). وقرأ القرآن الكريم على أبي القاسم خلف بن إبراهيم الحصّار، وأبي الحسن عون الله بن عبد الرحمن.

خرج من الأندلس في عنفوان شبابه، وقدم مصر، فسمع بالإسكندرية من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الرازي، وبالقاهرة من أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني، وأبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي.

ودخل إلى العراق، فوصل بغداد سنة 517هـ/ 1123م، وقرأ بها القرآن على الشيخ المقرئ أبي محمد عبد الله بن علي، سبط أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتبًا كثيرة، منها كتاب سيبويه، وسمع بها الحديث من أبي القاسم بن الحصين، وأبي محمد بن عبد الباقي البزاز، المعروف بقاضي المارستان، وأبي العز بن كادش، وغيرهم.

انتقل الأزدي إلى مدينة دمشق، وأقام بها مدة يُقرئ القرآن والنحو، وانتفع به عدد كبير من الناس. وقد سمع منه أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت 571هـ/ 1175م)، وقال عنه أنه «ثقة ثبت»، ونقل عنه في كتاب تاريخ مدينة دمشق الكثير من مروياته. وكذلك أقرأ في حلب، ثم رحل إلى الموصل وسكنها، وغادر بعد ذلك إلى أصفهان، وعاد إلى الموصل، التي استوطنها بشكل نهائي، وأصبح علمًا من أعلامها البارزين. وقد أخذ عنه في هذه المدينة أبرز شيوخها، لا سيّما القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (ت 632هـ/ 1160م)، فقرأ عليه بالطرق السبع، وأتقن عليه فنّ القراءات. ولنستمع إلى شهادة ابن شداد التي دوّنها في أحد مؤلفاته «دلائل الأحكام»، ونقلها عنه ابن خلكان [وفيات الأعيان، 7/ 84-85]: «أوّل من أخذت عنه شيخي الحافظ صائن الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، رحمه الله تعالى؛ فإني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة، فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات، وقراءة القرآن العظيم، ورواية الحديث وشروحه، والتفسير، حتّى كتب لي بخطه، شهد بأنه ما قرأ عليه أحد مما قرأت، وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين، وفهرستُ ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه.

ومما يشتمل عليه فهرستُ البخاري ومسلم من

عدة طرق، وغالب كتب الحديث، وغالب كتب الأدب وغيره، وآخر روايتي عنه شرح الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام، قرأته عليه في مجالس، آخرها في العشر الأخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة». أي قبل نحو أربعين يومًا من وفاة الأزدي، لأنه توفي يوم الجمعة في عيد الفطر من هذه السنة. وكان ابن شداد يفخر بروايته وقراءته عليه.

ومن تلاميذه الذين قرؤوا عليه في الموصل أيضًا: كمال الدين بن يونس أبو الفتح موسى ابن أبي الفضل بن منعة الفقيه الشافعي الموصلي (ت 639هـ/ 1241م)، ومجد الدين أبي السعادات بن الأثير المبارك بن محمد، وكذلك عبد الله بن الحسن بن الحدوس (ت625هـ/ 1227م)، وفخر الدين محمد بن أبي الفرج بن معالي الموصلي (ت612هـ/ 1215م).

كان ابن سعدون الأزدي، كما وصفه معظم من ترجم له: رجلاً صدوقًا، ثقة، ثبتًا، دينًا، كثير الخير، ناسكًا، قليل الكلام، ورعًا، بالغ الحرمة، عليه وقار وهيبة وسكينة، يُحضِر طعامه بيده. وهو يُعد أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والنحو، واللغة، وغير ذلك من اهتمامات أخرى. فقد حدّث بكتاب أبي القاسم الزمخشري الموسوم أسماء الجبال والمياه [ابن الأبار، التكملة، 724]. كما كان له اهتمام بالشعر ونظمه، حيث أشار ابن سعيد المغربي، إلى أنّ الصاحب كمال الدين ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم (ت660هـ/ 1261م)، قد أنشده أبياتا للأزدي هي:

عَرِّج على منزل الأحباب يا حادي
ببابِ أبْرز حيث الكوكب الهادي
لعلّنا نلتقي ليلاً بهم وعسى
نُلقي إليهم حديثًا ليس بالبادي
يا حادي العيس لا تعْجَلْ وها كبدي
ودع عيني عن ماءٍ وعن زاد

■ المصادر والمراجع

● ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، نسخة على القرص المرن، بإشراف مركز التراث لأبحاث الحاسوب الآلي، 64/ 230-231، وصفات متفرّقة في أجزاء كثيرة؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، بيروت، طبعة دار المستشرق، 17/ 72، 19/ 171، 20/ 14-15؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1979، 11/ 376؛ ● ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، مخطوط مصوّر في قسم اللغة العربية، كلّية التربية، جامعة الموصل، عن الأصل المحفوظ في مكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول رقم 2324، ج10، الورقة 176أ؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1886، 724؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1968، 6/ 171-172، 7/ 84-85، ضمن ترجمة ابن شداد؛ ● ابن سعيد المغربي وأسرته، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964، 1/ 135؛ ● ابن الزبير، صلة

الصلة، نشر، ليفي بروفنصال، بيروت، مكتبة خياط، 177؛ • الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986، 20/ 529، 546-548؛ • الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح. أبو هاجر محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 3/ 125؛ • اليافعي، مرآة الجنان، الهند، حيدر آباد الدكن، 1338، 3/ 380؛ • ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، 12/ 270؛ • ابن الجزري ، غاية النهاية، باعتناء ج.برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980، 2/ 372؛ • ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصوّرة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، وزارة الثقافة، 6/ 66؛ • السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964، 2/ 334؛ • المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر 1968، 2/ 117-118؛ • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط 2، بيروت، دار المسيرة، 1972، 4/ 225؛

- c. Brocklmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden, E.J. Brill, 1938, Vol. 1, p.551 (429).

• الزركلي، الأعلام، القاهرة، مطبعة كوستاتوماس، 1955، 9/ 181؛ • طه عبد الواحد ذنون، صور من التأثير العلمي بين الموصل والأندلس، بحث ضمن محاضر المؤتمر العلمي الأوّل لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة بغداد، مركز التراث العلمي العربي، 4-6 مايو/أيار 2002، ص 12 .

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل - العراق

ابن الأزرق، ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر

(... هـ / ... م - 815 هـ/ 1412م)

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عرف بلقب الأزرقي، كما عرف بابن الأزرق، والثانية هي الأشهر، وإن كان اللقب الأول يقابلنا - أيضًا - في عديد من النسخ الخطية للكتاب الذي هو سبب شهرته: «تسهيل المنافع في الطبّ والحكمة».

ومن ثمّ، فقد أورده بروكلمان في موسوعته بلقب الأزرقي [تاريخ الأدب العربي، 2/ 170]، لما وجده على هذا النحو في مخطوطات كتابه، غير أن المصادر العربيّة تحدّثت عنه حديثا مقتضبا تحت اسم: إبراهيم ابن الأزرق.

وكما أثير الجدل في لقبه، فقد حدث اضطراب في تاريخ وفاته.. فقرر عمر كحالة أنه «كان حيّا قبل سنة 518 هـ» [معجم المؤلفين 1/ 44]، وهو خطأ بالطبع، قد يكون وقع أثناء طبع الكتاب. أما بروكلمان فقد جعل وفاته سنة 815 هـ/ 1412 م، بينما ذكر الزركلي [الأعلام، 1/ 46]، أن وفاته كانت سنة 890 هـ/ 1485 م دون أن يذكر مرجّحا لما قرّره.

ومع أنّ ابن الأزرق من أهل القرن التاسع الهجري، إلاّ أنّ السخاوي أهمل ذكره في كتابه «الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع»، مع أنه ترجم لكثيرين، يبدأ اسم الواحد منهم بإبراهيم بن عبد الرحمن [المجلد الأوّل، 56..]، والظاهر أنّ الرجل لم يكن معروفا في زمنه، غير أنّ كتابه «تسهيل المنافع» لقي رواجا في القرون اللاحقة عليه، فاشتهر الرجل بشهرة كتابه هذا تحديدا.

آثاره

لا تكاد مكتبة خطّية تخلو من نسخة على الأقل من كتاب «تسهيل المنافع»، وهو ما يشهد بالرواج الذي لقيه الكتاب في القرون الأربعة الأخيرة، وهو رواج يرجع في المقام الأول إلى سهولة الكتاب، وبساطة عرضه للموضوعات الطبيّة... وثبت في الشرع أصله، وشهد بصحّته الكتاب والسنّة... وكان يخطر ببالي أن أضع فيه مجموعا سهل التناول ... إلخ.

وأشار الحاجي خليفة إلى أنّ ابن الأزرق جمع في كتابه هذا كتابيه: «شفاء الأجسام» و«الرحمة»، وزاد عليهما مقتطفات من برء ساعة للرازي، واللقط لابن الجوزي، والتذكرة للسويدي.. ومن ثمّ، فقد أورد حاجي خليفة الكتاب تحت عنوان: «تسهيل المنافع في الطبّ والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة» [كشف الظنون، 407].

وبالإضافة إلى النسخ الخطّية الكثيرة من «تسهيل المنافع» هناك عديد من طبعات الكتاب، وقد حصر منها محمد عيسى صالحية [المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، 1/ 56] الطبعات التالية: القاهرة 1323 هـ، على هامش: الطب النبوي للذهبي، القاهرة 1324 هـ/ 1906 م، القاهرة 1329 هـ/ 1911 م، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر 1304 هـ/ 1886 م، المطبعة الخيريّة بالقاهرة 1306 هـ/ 1888 م، المطبعة الميمنية بالقاهرة 1307 هـ/ 1889 م، طبعة ثانية 1308 هـ/ 1890 م، طبعة ثالثة 1320 هـ/ 1902 م.. كما طبع بتصحيح أحمد سعد علي، البابي الحلبي 1347 هـ/ 1948م.

ولا تزال المطابع تخرج، بشكل دوري المزيد من طبعات «تسهيل المنافع» الذي يلقى رواجا كبيرا لدى العامة بمصر، وينال عندهم مكانة لا يتجاوزها إلاّ كتاب داود الأنطاكي «التذكرة».

المصادر والمراجع

- حاجي خليفة، كشف الظنون، ص407، دار الفكر، بيروت، ط مصوّرة؛
- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1989، 1/ 46؛

كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1957، 1/ 44؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (بالألمانية)، ليدن 1937، 2/ 170؛ ● صالحية محمد عيسى، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة 1992، 1/ 56؛ ● زيدان يوسف، فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية، المخطوطات العلميّة، مكتبة الإسكندرية 1996، 1/ 87.

د. يوسف زيدان
جامعة الإسكندرية ـ مصر

ابن الأزرق، شمس الدين أبو عبد الله محمد

(831 هـ / 1428 م - 896 هـ/ 1491م)

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي الأزرق الأصبحي، المالقي، السني المالكي، كان موسوعة في العلوم والمعارف، وله قدم راسخة فيها، وإن كانت تظهر في أعماله العلوم المتعلقة بالأخلاق والسلوك والاجتماع، والسياسة، أكثر من غيرها، خاصة إذا علمنا أن حياته العملية قد اصطدمت ببداية الصراع الذي انتهى بزوال دولة المسلمين بالأندلس، ومن ثم فقد وجهه هذا الواقع السياسي للبحث في أصول الأخلاق والسياسة، وأصول الحكم، مستندا في ذلك على المنقول والمعقول معا، من خلال مؤلفاته «بدائع السلك».

ولد بمدينة مالقة التي حفظ فيها القرآن وتعلم فيها علومه، وتتلمذ على مجموعة من الأساتذة منهم: القاضي أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد البدوي الذي تلا عليه القرآن برواية ابن كثير، وقد تضلع على يده في العربية والفرائض، كما تلا على أبي عمرو محمد بن منظور برواية نافع، وتضلع على يديه في الفقه والحساب. وقد أخذ مبادئ العربية وعلومها، وكذا الفقه والفرائض على الخطيب أبي عبد الله محمد الفهروي. أما النحو والأصول والمنطق فقد درسها على ابن فتوح مفتي غرناطة، وإلى جانب ذلك جالس بعض علماء الأندلس، الذين استفاد منهم، نذكر منهم: أبا عبد الله محمد بن محمد السرقسطي الذي كان زاهدا متصوفا، ومفتيا لمدينة سرقسطة، والعالم الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني، والشريف أبي العباس أحمد بن أبي يحيى بن شرف التلمساني قاضي الجماعة، وكذا الخطيب المفتي أبي عبد الله بن المواق العبدلي. أما الأدب وفنونه فقد أخذه عن محمد بن زكريا بن جبير، وعن أدباء آخرين كان قد لقيهم بمدن فاس وتلمسان، مثل

قاضي الجماعة أبي يحيى بن محمد بن عاصم، الذي اتصل به كثيرا وانتفع بعلومه وآدابه.

تولى محمد بن الأزرق القضاء في مالقة، و«وادي آش»، وقضاء الجماعة بغرناطة في أيام سعد بن علي بن يوسف بن نصر الذي كان يومئذ حاكما للأندلس، كما تولى نفس المهمة في أواخر حياته بالقدس الشريف التي توفي بها في 17 ذي الحجة سنة 896 هـ/ 20 أكتوبر 1491 م.

وبعد القضاء تولى مهمات سياسية لدى بعض الدول الإسلامية، لمساعدة الأندلسيين على أعدائهم النصرانيين. فكانت أولى سفراته في هذا الخصوص إلى تونس طالبا من سلطانها أبي عمرو عثمان مساعدة الأندلسيين. إلا أن الأجل المحتوم فاجأ سلطان تونس في ذلك الحين، وفي طريقه مر بفاس وتلمسان، ثم بعد ذلك اتجه إلى مصر، وفي نفسه القيام بمهمتين جوهريتين في المشرق: أولاهما، القيام بفريضة الحج، حيث أقام شهرين بمكة وأربعة أشهر في المدينة، وثانيهما، التوسط لدى سلطان مصر لمساعدة الأندلسيين.

وبعد قيامه بفريضة الحج، عاد إلى مصر بحرا ونزل بتربة السلطان، حيث أقام عند أحمد بن عاشر الذي عرض عليه ولاية القضاء في مدينة القدس. وكان ابن الأزرق يتميز بالعلم والمعرفة والكبرياء والوقار كما أشار إلى ذلك السخاوي عندما التقى به في مصر، فوصفه قائلا: «وقصدني في أثناء ذلك ورأيته من رجال الدهر، وأظهر الاغتباط باجتماعه بي، وطالع بعض تصانيفي وغيرها» [السخاوي، الضوء اللامع، ج. 9، ص 21].

كما كان مقصدا لطلاب العلم والمعرفة من خلال الدروس التي كان يقدمها سواء في الجامع الأعظم بغرناطة أو غيره، وكان ملما بمناهج التربية التي تعتمد على الحوار والمناقشة، كما كان يفعل أستاذه ابن فتوح الذي قال عنه إنه كان يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا، ويوسع المراجع له قبولا ورُحبا، بل يطالب بذلك ويقتضيه، ويختار طريق التعليم ويرتضيه، توقيفا على ما خلص له تحقيقه، ووضح له في معيار الاختيار تدقيقه. ومن تلامذته: محمد بن أحمد الوادي آشي، وأحمد البلوي الغرناطي، وشرف الدين يحيى بن محمد الأنصاري الأندلسي.

آثاره

1 - بدائع السلك في طبائع الملك. قال عنه المقري إنه «كتاب حسن مفيد في موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه، وغيره، مع زوائد كثيرة» [المقري، النفح، ج. 2، 699]، وهو يعتبر أول كتاب عرّف بابن خلدون، كما كان يهدف ابن الأزرق من ورائه إلى تصحيح القواعد السياسية في نظام الحكم الإسلامي الذي لم يخرج فيه عن تصور ابن خلدون في إقامة الدولة، حيث يقول: «قصدت إلى تلخيص ما كتب الناس في الملك والإمارة، والسياسة التي رعيها على الإسعاد بصالح المعاش والمعاد أصدق إمارة على نهج يكشف عن محيا الحكمة قناع الاحتجاب، ويأتي في تقريره لتهذيب ما فضل من تحريره بالعجب العجاب» [بدائع السلك، ج. 1، ص 38]؛ 2 - روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام. قال عنه المقري

إنه: «مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات، لم يؤلف في فنه مثله، وقفت عليه بتلمسان» [المقري، النفح، ج. 2، ص 700]. أما التنبكتي فيكون قد أخطأ في تسمية الكتاب حين يقول: روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم اللسان [نيل الابتهاج، ص 561].

3 - شفاء الغليل في شرح مختصر خليل، ويشير إليه المقري في نفحه بقوله: «رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاثة مجلدات، ولا أدري هل أكمله أم لا، لأن تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا. إذ المجلد الأول ما أتم مسائل الصلاة، ورأيت الخطبة وحدها في أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم، ولم أر في شرح خليل مع كثرتها مثله» [المقري، النفح، ج. 2، ص 701-702]؛ 4 - الإبريز المسبوك في كيفية أدب سير الملوك، رغم الاهتمام الذي أولاه المقري لابن الأزرق، فإنه لا يشير إلى هذا الكتاب، وإنما أشار إليه محمد عبد الله عنان في كتابه «نهاية الأندلس»، فقال بأنه كتاب في السياسة الملكية [ص 490]، إلا أن محمد بن عبد الكريم الذي حقق كتاب «بدائع السلك» ذكر هذا الكتاب، وعارض رأي محمد عبد الله عنان الذي زعم بأن الكتاب مطبوع، مؤكدا أنه في الحقيقة غير مطبوع، «بل هو مخطوط، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 1375» [ج. 1 ص 34-35]، وقد وقفنا عليه بالفعل في المكتبة الوطنية بالجزائر، كما ذكره الزركلي بعنوانه السابق [الأعلام، ج. 6، ص 289] مع الملاحظة بأن هذا الكتاب هو جزء من كتابه «بدائع السلك».

المصادر والمراجع

● ابن الأزرق، الإبريز المسبوك في كيفية أدب سير الملوك، مخ. المكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 1375، ص 152؛ ● ابن الأزرق، بدائع السلك، تح. محمد ابن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1977 م، في جزءين، ص1024؛ وتح. علي سامي النشار، بغداد 1977 م في جزءين، وانظر: المقدمة ص 5-32؛ ● أبو اليمن عبد الرحمن، الأنس الجليل، المطبعة الحيدرية، النجف، 1968 م، ج. 2، ص255-256؛ ● المقري، أزهار الرياض، تح. مصطفى السقا وغيره، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942 م، ج1، ص 71، ج.3، ص317-318؛ ● م.ن .نفح الطيب، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج. 2، ص 699-704، ج. 3، ص 298-303، ج. 6، ص 151-153، 447؛ ● السخاوي، الضوء اللامع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت) ج. 9، ص20-21؛ ● التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص561؛ ● السايحي الحسن، نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الأزرق، الأصالة، تصدر عن وزارة الأوقاف، الجزائر، العدد 13، صفر، ربيع الأول 1393 هـ، مارس/أفريل 1973 م، ص121-123؛ ● عنان محمد عبد الله،

نهاية الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط. 3، 1966م، ص 490؛ ● م. ن، كتب تأثرت بمقدمة ابن خلدون، مجلة العربي، العدد 182، يناير (كانون الثاني) 1974م؛ ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج. 6، ص 43؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1980م، ص 289؛ ● شعبان عبد العزيز خليفة، ومحمد عوض العايدي، مداخل الأسماء العربية القديمة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مج. 1، ص 155؛ ● عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، دار إقرأ، بيروت 1986 م، ص 287؛ ● زروخي إسماعيل، الفكر السياسي عند ابن خلدون وابن الأزرق، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1988م، مخ؛ ● الجابري، محمد عابد، في الكثير من مؤلفاته منها: فكر ابن خلدون، العصبية والدولة... الخ؛ ● الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999م، ص585.

- Ahmed, Abdesselam, Ibn Khaldoun et ses lecteurs, P.U.F. 1983.

د. إسماعيل زروخي
جامعة منتوري ـ قسنطينة ـ الجزائر

الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد

(... هـ/ ... م ـ بعد 244 هـ/ 858م)

محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي المكّي، مؤرخ إخباري، جغرافي صاحب كتاب أخبار مكّة. كنيته أبو الوليد، وهذه الكنية جرّت له إشكالاً في نسبه، ذلك أنّه يشترك في هذه الكنية مع جدّه أحمد بن محمد الأزرقي الذي مات في العقد الثاني من القرن الثالث، وكان عالماً، نسب إليه بعضهم أنّه هو جامع مادة كتاب أخبار مكّة، وتوهم الإمام النووي فنسب إلى أبي الوليد الحفيد أنّه أخذ عن الشافعي وصحبه وروى عنه والصحيح أن الآخذ هو الجد.

لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخا لولادته أكثر من القول أنّه ولد في مكّة في القرن الثاني الهجري، تضاربت الأقوال في تاريخ وفاته؛ لأن الذين ترجموا له كانوا من المتأخرين، وكما خلط المؤرخون بين كنيته وكنية جدّه، خلطوا بين تاريخ وفاتهما، فصاحب كشف الظنون يرى أنّ وفاته كانت سنة 223، وابن عزم التونسي يرى أنّها كانت سنة 212، والفاسي مؤلف العقد الثمين من أخبار البلد الأمين يقول إنّه عاش

حتّى زمن الخليفة العباسي المنتصر، وكانت خلافة المنتصر سنة 247-248، والمستشرق الألماني وستنفلد الذي حقق كتابه «أخبار مكّة» وقدّم له بدارسةٍ عن حياته، استنتج أنّه ختم كتابه أخبار مكّة سنة 244 ثمّ مات عقب ذلك، وعند الزركلي أنه توفي سنة 250 هـ/ 865 م [الأعلام، 6/ 222].

تتلمذ الأزرقي على جده أحمد بن محمد بن عقبة بن الوليد الأزرقي (ت 222 هـ/ 836م)؛ وكان جده من علماء الحديث في مكة وثقه بدلالة أن علماء الجرح والتعديل وثّقوه، فوثقه ابن سعد (230 هـ/ 844 م) [الطبقات، 2/ 502] وأبو حاتم (ت 277 هـ/ 890 م) [الجرح، 1/ 70] وذكره ابن حيان (ت 354 هـ/ 965 م) في الثقات [ابن حجر، تهذيب، 1/ 79]. وهذه دلالة على أن معلوماته كانت مستقاة من رجل موثق يمكن الاعتماد عليها. وأصبح تلميذ جده، وراويته في الأخبار والسير.

ثم بعد ذلك اتجه الأزرقي في دراسته إلى الأخبار والسير وأيام العرب، وبدأ بجمع الروايات التاريخية الخاصة بمكة، وبعد أن جمع كل هذه المادة التاريخية الضخمة قام بتأليف كتابه أخبار مكة، وقد شبه بعض الدارسين هذا الكتاب بسيرة ابن هشام، وذلك لاشتراك أشخاص عدّة في تأليفه، فقد ذهبوا إلى أنّ الكتاب كان صغيرًا، ثمّ زيدت عليه علاوات كثيرة، وضمّت إليه فصول عدّة أدّت إلى اتساعه وتضخّم حجمه، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنّ محمد بن عبد اللّه الأزرقي روى مادة هذا المؤلّف عن جدّه أحمد بن محمد الأزرقي وعن غيره، إلى درجة أنّهم نسبوا إلى الجدّ أنّه المؤلّف الحقيقي للكتاب.

ومن الثابت عند المؤرخين أن الأزرقي المتوفى في أواسط القرن الثالث هو أوّل من ألّف كتابا مفصّلا عن تاريخ مكّة، وأنّ المؤرخين الذين جاؤوا بعده في القرون التالية كانوا عالة على معلوماته التي جمعها عن تاريخ هذا البلد الحرام، ونقول إنّه ألّف كتابا كاملا مفصّلا في تاريخ مكّة، لأنّ أخبار مكّة وتاريخها وجغرافيّتها مبثوثة تفاريق في كتب السيرة والتاريخ العالم. فجاء كتاب الأزرقي جامعا لكلّ هذه التفاريق من الكتب، فلذلك تُعد عمليته هذه رائدة في زمنه، تلتها حركة تأليف في تاريخ مكّة لاحقة. ومن الذين ألفوا في تاريخ هذه المدينة محمد بن إسحاق الفاكهي (ت في حدود 272/ 885) وقد طبع قسم منه، والشريف زيد بن هاشم الملقب بوزير المدينة (كان حيا في حدود 676/ 1277)، والقاضي الفاسي (ت 822/ 1419)، والنجم عمر بن فهد (ت 885/ 1480)...

يعد كتاب الأزرقي في طليعة المصادر القيّمة التي لا يستغني عنها طالب العلم عن تاريخ مكّة، لأنّ الأزرقي اختط لنفسه خطّة سهلة في تأليف كتابه، تقوم على قسمته إلى بحوث وفصول مبوّبة، وتوخّي الإفاضة والتطويل في ما يهمّ طالب التاريخ والجغرافية والأدب، ولذلك احتوى الكتاب من شوارد الأخبار وأوابد الأشعار ما يندر أن نجده في كتاب آخر.

ومن خلال دراسة أسانيد كتاب مكّة للأزرقي، تبيّن أنّ معظم الروايات التي أوردها عن شيوخه المكيين تدور على ثلاثة أشخاص، تكون رواياتهم الغالبية العظمى من الكتاب وهم: سعد بن سالم القدّاح (ت 187/ 802)، ومسلم بن خالد الزنجي (ت 180/ 796)، وداود بن عبد الرحمان العطار (ت 174/ 790). نستدل من هذه الروايات التي ذكرها العطار أن معظمها يتناول تاريخ العرب في الإسلام، وسيرة الرسول وكذلك العبادات والمناسك. وأن مجموع ما أورده الأزرقي في كتابه عن شيوخه المكيين هو (247 نصّا) من مجموع روايات الكتاب، فضلاً عن ذلك فقد أفرد الأزرقي ثلاثة أرباع الكتاب لذكر قصص تواترت على ألسنة القوم، ووصف للشعائر المتصلة بها، والربع الأخير خصّصه لذكر الأماكن المقدّسة الأخرى في مكّة، والآبار، ورباع قريش أي المواطن والمنازل التي يسكنون فيها.

ونظرا إلى القيمة التاريخيّة والدينية لكتاب أخبار مكة للأزرقي فلم يكتف المؤرخون بالنسج على منواله، وإنما عمدوا إلى اختصاره، وممن اختصروه الاسفراييني سعد الدين بن عمر المكي (من أعلام القرن الثامن)، ويحيى بن محمد الكرماني (من أعلام القرن التاسع)، كما نظم كتاب أخبار مكة من قبل عبد الملك الأنصاري الأرمنتي (632هـ/ 1234م-722هـ/ 1322م)

آثاره

1 - أخبار مكة، طبع مرارا ومنها طبعة المستشرق الألماني فردينان وستنفيلد بليبسيك سنة 1275هـ/ 1858م، وحققه رشدي الصالح ملحس، مكة 1352هـ؛ 2 - رسالة في ذرع المسجد الحرام وعدد أبوابه وشرفاته، مخطوط بالقاهرة رقم ثاني (5) 199 [بروكلمان، تاريخ 3/ 22].

المصادر والمراجع

● ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت 385 هـ)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1987 م؛ ● السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ)، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت 1988 م، 1/ 122؛ ● ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن الخير بن عمرو بن خليفة الأموي (ت 575 هـ)، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تح. فرنشكة قداره، وتلميذه جليان زبارة قرغواة، دار الآفاق، بيروت 1979 م، ص 78؛ ● ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630م)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد (د. ت)، 1/ 47؛ ● الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت 832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح. محمد حامد الفقي، وفؤاد السيّد، القاهرة 1959 م، 1/ 2؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، مطبعة الترقي، دمشق، 1960م، 9/ 198؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جهان، طهران 2/ 40؛

● مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته، وضعه خالد الريان، دمشق، 1973 م، 2/ 607؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربيّة فهمي أبو الفضل، مراجعة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1971 م، 1/ 553؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربيّة الدكتور عبد الحليم النجار، ط 2، دار المعارف، مصر 3/ 22-23؛ ● مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت 1978م، 1/ 206؛ ● الأزرقي، أبو الوليد محمد ابن عبد الله بن أحمد (ت 250 هـ)، أخبار مكة وما جاء بها من آثار، تح. رشدي الصالح ملحس، إسبانيا، مدريد (د.ت)، 1/ 10-22؛ ● ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت 230 هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1960 م؛ ● ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ)، تهذيب التهذيب، حيدر آباد، الدكن 1327هـ؛ ● ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي (ت327 هـ)، الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد، الدكن 1952م)؛ ● سالم، عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م؛

- Chroniken der Stadt Mekka, hsg. V.F. Wustenfeld, I, Die Geschichte U. Beschrcibung de Stadt Mekka uon el-Azra Ki, Leibzig, 1858.

د. عبد الستار حمدون
جامعة الموصل
د. محمود الربداوي
جامعة دمشق

■ الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر

(838 هـ / 1434 م ـ 905 هـ / 1499 م)

خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري؛ ويسمى أيضا الوقاد وإن اشتهر خاصّة بالأزهري نسبة إلى الأزهر حيث درّس. ولد بجرجا في الصعيد المصري (تقريبا سنة 838) حسب السخاوي [الضوء اللامع 3/ 171]؛ وانتقل وهو طفل إلى القاهرة مع أبويه، فدرس القرآن وبعض المواد اللازمة لتعليم الأطفال قبل أن ينتقل إلى الأزهر حيث درس العربيّة والمعاني والبيان والأصول والمنطق والفرائض والحساب. ومن أشهر أساتذته: تقي الدّين الشمني (801هـ/ 1398م-872هـ/ 1467م)

النحوي المفسّر الفقيه وإن لم يأخذ عنه إلاّ قليلا، وقد أخذ العربيّة أيضا على يعيش المغربي (ت. 864/ 1459) وأخذ علوما أخرى عن الأمين الأقصرائي، والجوجري، وإبراهيم العجلوني، والزين الأبناسي، والشهاب السجيني، والزين المارداني، ويشير السخاوي إلى أنّه سمع منه يسيرا [الضوء اللاّمع 3/ 172].

وقد برع في العربيّة ودرّسها لكن لا تتوفّر معلومات عمّن تتلمذوا عليه وقد يكون السيوطي سمع منه، وقد حظي الأزهري بشهرة كبيرة خاصّة بفضل مصنّفاته التي كانت تعتمد في التّدريس بالأزهر والزيتونة والقرويّين.

آثاره

جلّ مؤلّفات الأزهري هي شروح لمتون نحويّة وخاصّة لمصنّفات ابن مالك (600هـ/ 1203م - 672هـ/ 1274م)، وابن هشام الأنصاري (708هـ/ 1308م- 761هـ/ 1359م) ومنها:

1 - شرح التصريح على التوضيح وهو شرح لكتاب ابن هشام «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، طبع مرارا وأوّل طبعاته في بولاق، القاهرة 1252هـ، والقاهرة 1374هـ/ 1954م، تح. محمد عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت؛ 2 - المقدّمة الأزهريّة في علم العربيّة، منشورة مع شرح المؤلّف لها: بولاق 1252هـ و1257هـ والقاهرة 1307هـ، وقد وضعت لهذا التّصنيف عدّة حواش ذكر بروكلمان ما لا يقلّ عن اثنتي عشرة حاشية؛ 3 - شرح الآجرّومية، مطبوع؛ 4 - شرح المقدّمة الجزريّة، مطبوع؛ 5 - شرح البردة، مطبوع؛ 6 - الألغاز النّحويّة، مطبوع؛ 7 - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب.

المصادر والمراجع

● السخاوي عبد الرّحمان، الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع، مكتبة القدسي، القاهرة 1354، 3/ 171 - 172؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة 1350؛ 8/ 26؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 3، 2/ 338-339؛ ● كحالة رضا، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي بدمشق، 4/ 96 - 97؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، القسم السادس، ترجمة محمود فهمي حجازي وحسن محمود إسماعيل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1994، ص 97 - 199؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة، طبعة جديدة، المجلد الأوّل؛ ● ضيف شوقي، المدارس النحويّة، دار المعارف بمصر 1968، ص 359.

عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر

(282 هـ / 895 م - 370 هـ / 981 م)

هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري أبو منصور، الهروي مولدا ونشأة، الشافعي مذهبا. لغوي، أديب. عُني بالفقه أولا، ثم غلبت عليه اللغة فاشتهر بها.

سمع ببلده من الحسن بن إدريس ومحمد بن عبد الرحمان السامي وآخرين. قدم إلى بغداد وهو شاب، وأخذ العلم عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي، وعن أبي محمد المزني، لقي نفطوية إبراهيم بن عرفة (ت 323 هـ)، وابن السراج محمد بن السري وغيرهم. أدرك ابن دريد (ت 316 هـ) ولم يرو عنه. التقى ببغداد أبا إسحاق الزجاج، وأبا بكر بن الأنباري ولم يأخذ عنهما شيئا.

روى عنه أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي مؤلف «الغريبين في القرآن والحديث»، وأبو يعقوب القراب، وسعيد بن عثمان القرشي، والحسين بن محمد الباشاني، وجنادة بن محمد بن الحسن الهروي (ت 399هـ)، وآخرون.

وقع في أسر القرامطة منصرفه من الحج في محرم سنة 312 هـ.

وأقام بين آسريه من قبيلة هوازن مدة مديدة، واستفاد من محاورته ومخاطبة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أثبتها في كتابه «تهذيب اللغة». ثم عاد إلى بلده هراة واشتغل فيها بالتدريس والتأليف.

كان عالما، ثقة، ثبتا، ديِّنا. وهو حجة فيما يقوله وينقله. توفي في هراة سنة 370هـ.

آثاره

1 - تهذيب اللغة، هو معجم لغوي كبير. رتبه الأزهري على مخارج الحروف مبتدئا بحرف العين، على طريقة الخليل بن أحمد، كما يلي: (ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ي، م، و، أ، ي). ويقع مخطوط الكتاب في نحو عشرة مجلدات.

اختلف في زمن تصنيفه بين قائل إنه صنفه في سنوات أسره، وقائل إنه صنفه بعد بلوغه السبعين. والراجح أنه صنفه على كبر بعد أن اكتملت له مادته اللغوية التي كان لإقامته بين الأعراب في الأسر أثر في إثرائها. كما اختُلف في نسبة الكتاب إليه، إذ ذهب بعضهم إلى أنه من تصنيف أستاذه محمد بن أبي جعفر المنذري.

حظي الكتاب بعناية الدارسين، فظهرت له أربعة مختصرات، منها واحد للمصنف نفسه. وعقدت مقارنات بينه وبين معجم «الصحاح» للجوهري معاصره (393 هـ) والذي فاقه انتشارا وذيوعا: لسهولة ترتيب المادة اللغوية فيه بالقياس إلى «التهذيب». كما كان المعجم موضوع دراسات معاصرة كثيرة.

طبع المعجم لدى الهيئة العامة المصرية للكتاب بالقاهرة سنة 1967 بتحقيق عبد الحليم النجار في خمسة عشر جزءا، ثم طبعت الهيئة ذاتها في سنة 1975 إكمالا للمعجم بتحقيق رشيد عبد الرحمان العبادي باسم «تهذيب اللغة» تضمن استدراك ما سقط من الطبعة الأولى للمعجم، وكان ذلك في الأجزاء 7 و 8 و 9، ووضع عبد السلام هارون فهارس له، وصدرت الطبعة الأولى منها عن مكتبة الخانجي سنة 1976 ويقع في 766 صفحة.

كما فهرس مواده اللغوية صلاح الفرطوسي سنة (1978) دون إشارة إلى مكان النشر أو الناشر. وتقع هذه الفهارس في 60 صفحة. كما طبعت مقدمته مستقلة بدار البشائر بدمشق سنة 1985.

2 - الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، وقد ورد هذا الكتاب بعدة عنوانات. من ذلك أن بعضهم ذكره باسم «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء»، وآخر باسم «غريب الفقه»، وثالث باسم «تفسير ألفاظ مختصر المازني»، ورابع باسم «عمدة الفقهاء»، يقع الكتاب في مجلد واحد «وهو ـ كما يقول ابن خلكان ـ عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه». طبع الكتاب طبعة أولى ببيروت سنة (1988) بتحقيق عبد المنعم بشناتي، وثانية بالقاهرة سنة (1994) بتحقيق سعد عبد الحميد السعدني، وثالثة في دار الفكر بعمان (1999) بتحقيق سميح أبو مغلي.

3 - كتاب معاني القراءات، ويقع في 170 صفحة، طبع بالقاهرة سنة (1991) في دار المعارف بتحقيق مصطفى درويش وعوض القوزي، وطبع مرة ثانية ببيروت في دار الكتب العلمية سنة (1999) بتحقيق أحمد فريد المزيدي.

وما عدا هذه الكتب المطبوعة يذكر له مؤلفو التراجم كتب أخرى، ولكن لم ترد فيما بين أيدينا من فهارس المخطوطات، وهي:

4 - أخبار يزيد بن معاوية؛ 5 - تفسير السبع الطوال؛ 6 - تفسير ديوان أبي تمام؛ 7 - التقريب في تفسير القرآن؛ 8 - شرح أسماء الله الحسنى؛ 9 - كتاب الأدوات؛ 10 - كتاب الحيض؛ 11 - ناسخ القرآن ومنسوخه؛ 12 - كتاب معاني شواهد غريب الحديث انفرد بذكره ياقوت الحموي في «إرشاد الأريب»، وذكر له كتابا آخر بعنوان «كتاب تفسير شواهد غريب الحديث» والراجح أن العنوانين هما لكتاب واحد؛ 13 - كتاب الروح؛ 14 - تفسير إصلاح المنطق؛ 15 - كتاب معرفة الصبح؛ 16 - كتاب الرد على الليث؛ 17 - علل القراءات، انفرد بذكره فؤاد سزكين صاحب «تاريخ التراث العربي»، وذكره كحالة صاحب «معجم المؤلفين»، دون أن يذكر الكتاب الآخر في القراءات وهو «معاني القراءات»، ولعل العنوانين هما لكتاب واحد، على أن محققي كتاب «معاني القراءات» لم يشيرا إلى ذلك.

المصادر والمراجع

● القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب العلمية بيروت ط 1، 1406-1986، ج. 4، ص 177-179؛ ● الحموي، ياقوت بن عبد الله، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت ط. 1، 1991 ج. 5 ص 112-113؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر بيروت (د. ت)، ج. 4، ص 334-336؛ ● الفيروزآبادي، مجد الدين، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح. محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث ط 1، 1987، ص 186؛ ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 1، 1964، ج. 2، ص 19؛ ● الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1406/ 1986، ج. 3، ص 72؛ ● اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج. 2، ص 797؛ ● حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت (د. ت) ج. 1، ص 31، 465، 515، و ج. 2، ص1032، 1207، 1414؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار العلوم الحديثة بيروت (د. ت)، ج 2، ص 49؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 10، بيروت، 1992، ج. 5، ص 311؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1993/ 1414، ج. 3، ص 47؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة (د. ت)، ج 2، ص 263؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة عرفة مصطفى، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1408/ 1988، مج. 8، ج. 1، ص 360-368.

د. ممدوح محمد خسارة
جامعة دمشق

ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد

(186هـ / 802 م ـ 282 هـ/895 م)

أبو محمد، الحارث بن محمد بن أبي أسامة، داهر التميمي البغدادي، وقيل «زاهر» بن يزيد بن عدي بن السائب... بن تميم بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد في شوال من سنة (186 هـ/ 802 م)، كان عارفا بالحديث وكثير الرواية له، ثقة، راوية للأخبار، عارفا بالقراءات القرآنية.

نشأ منذ صباه محبا للعلم والمعرفة، وبعد اجتيازه مرحلة «الكُتّاب» بدأ يتردد على مجالس العلماء لكي ينهل منهم علومهم، فقد درس على كبار شيوخ عصره في الحديث والقراءات القرآنية ورواية الاخبار التاريخية. فمن شيوخه: علي بن عاصم، ويزيد بن هارون، وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف، وأبو النضر هاشم بن قاسم، وروح بن عبادة، ومحمد بن عمرو الواقدي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبو عاصم النبيل، ومحمد ابن كناسة، وإسحق بن عيسى الطباع، والحسن بن موسى الأشيب، وأسود بن عامر ابن شاذان، وهوذة بن خليفة، وعفان بن مسلم، وأبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري، -كاتب الواقدي - نزيل بغداد (ت 230 هـ/ 844م)، وعبد الله بن بكر، وأبو بدر السكوني، وكذلك أبو خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي نزيل بغداد أيضا (ت 234 هـ/ 848 م) [السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 183، 191].

وفي مجال القراءات القرآنية ذكر ابن الجزري أن ابن أبي أسامة روى القراءة عن محمد بن سعد، كاتب الواقدي - السابق ذكره - وبذلك يكون محمد بن سعد أحد شيوخه في القراءات فضلا عن الحديث [غاية النهاية، 1/ 201].

وكان ابن أبي أسامة قد ذاع صيته بين العلماء وأهل عصره، فأثنى عليه الكثير منهم، فوصفه ابراهيم الحربي بأنه «ثقة»، ووصفه الدارقطني (ت 385 هـ/ 995 م) بأنه «صدوق»، مع علمه بأنه يأخذ أجرا على تدريسه، وكانت رواياته موضع ثقة عند العلماء، لذلك ذكره ابن حبان (ت 354 هـ/ 965 م) في الثقات، كما كان عالي الإسناد في رواياته والعلوّ في السند: الحديث الذي نقله رواة قلة من الثقات [السامرائي، خليل، دراسات في تاريخ الفكر العربي، ص 142]. ولو أن البعض ضعفه بسبب أخذه الأجر.

وكان مجلسه يتردد إليه العلماء والطلاب، ويملي فيه الحديث النبوي الشريف ، فمما رواه أحمد بن سلامة بسلسلة إسناد عن أحد الذين حضروا مجلس ابن أبي أسامة، وهو محمد بن خلف بن المرزبان، يصف ذلك المجلس بقوله: «مضيت إلى الحارث بن أبي أسامة، فوجدت في دهليزه قوما من الوراقين وهو يكتب أسماءهم على كل واحد درهمان، فقلت له: اكتب اسمي فكتب، ثم عرضها

الوراق عليه، فلما قرأ اسمي قال: ابن المزربان مع هؤلاء؟ ولا كرامة! فأخبروني، فأخذت رقعة وكتبت فيها:

أبلغ الحارث المحدث قولا
عن أخٍ صادق شديد المحبه
ويك قد كنت تعتري سالف الده
ر قديمًا إلى قبائل ضبه
وكتبت الحديث عن سائر النا
س وحانيت في اللقاء ابن شبه
عن يزيد والواقدي وروح
وابن سعد والقعنبي وهُدبَه
ثم صنفت من أحاديث سفيا
ن وعن مالك ومسند شعبه
أفمنهم أخذت بيعك للعلم
وإيثار من يزيدك حبه
سوءة سوءة لشيخ قديم
ملك الحرصُ والضراعة قلبه

فلما قرأها قال: أدخلوه قاتله الله! فضحني». وبذلك فإنه قد وجه له نقد بسبب أخذه الأجرة على رواية الحديث، وعد ذلك إهانة للعلم، لأن التعليم يكون في الغالب احتسابا لوجه الله تعالى، إلا أن العلماء قد أعطوا الحق لابن أبي أسامة في أخذ الأجرة على رواياته، لأنه كان فقيرا كثير البنات.

ويبدو أنّ مجلسه كان كثير الحضور وممتلئا بالناس وطلاب الحديث، لذلك كان له مساعدون من الوراقين لتنظيم أمور المجلس والحضور.

وقد تتلمذ على الشيخ ابن أبي أسامة عدد كبير من الطلاب ورحلوا إليه ورووا عنه، ومنهم: عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن خلف وكيع، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وأحمد بن معروف الخشاب، ومحمد بن مخلد العطار، ومحمد بن أحمد الحكيمي، وعبد الصمد بن علي الطستي، وأبو عمرو بن السماك، وأحمد بن سلمان النجاد، وأبو سهل بن زياد، وأحمد بن عثمان ابن الآدمي، وأبو بكر الشافعي، وجعفر الخلدي، وإسماعيل بن علي الخطبي، وأبو بكر بن خلاد النصيبي؛ كما روى عنه أحمد ابن نصر الذراع وهو بغدادي مشهور، وعبد الله بن الحسين النضري شيخ مرو. ومن طلابه أيضا محمد بن مالك الإسكاف الذي كان يرغب بشوق للسماع من الحارث بن أبي أسامة، فاستشار إبراهيم الحربي - أحد شيوخ بغداد - فقال له الأخير: «اسمع عنه فإنه ثقة»، كما روى عنه محدث جرجان إسحق بن إبراهيم بن محمد الجرجاني (ت337هـ/ 948م)، وكان ثقة كشيخه، وكذلك حدث عنه الشيخ يوسف بن محمد بن علي المؤدب [العسقلاني، لسان الميزان، 6/ 329]، كما روى القراءة القرآنية عنه أبو بكر بن مجاهد [ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 201].

وتوفي ابن أبي أسامة سنة 282 هـ/ 895 م ليلة عرفة، ودفن في اليوم التالي، وكان قد بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة.

آثاره

ولابن أبي أسامة عدد من المؤلفات منها:

1 - مسند كبير في الحديث النبوي الشريف وهو مشهور متداول، وظل ذلك المسند يروى

في عصره والعصور اللاحقة له، فذكر ابن الأثير (ت 630 هـ/ 1232 م) بأن ذلك المسند كان يروى في زمنه [الكامل، 475/ 7]. لذلك اشتهر صاحبه بأنه «مسند بغداد» و«صاحب المسند» نسبة إلى مسنده المشهور (والمسند: جمعه مسانيد، وهي كتب ليست على الأبواب، موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة، صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا، مرتّبة على حروف الهجاء في أسماء الصحابة، وهو أسهل تناولا، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، أو الشرافة النسبية، وغير ذلك).. [حضارة العراق، نخبة من الباحثين، 121/ 7].

ومسند ابن أبي أسامة منه مختارات بعنوان: «المنتقى» في دار الكتب بالقاهرة برقم 1/ 108، حديث 1259 (في مجموعة). ومنه: «العوالي المستخرجة من مسند الحارث» برواية أبي بكر أحمد بن يوسف بن خلاد (ت 359 هـ/ 969 م)، يوجد في المكتبة الظاهرية، مجمع 101/ 16 [سزكين، تاريخ التراث العربي، 1/ 406].

ومنه اقتباسات في «الإصابة في معرفة الصحابة» للعسقلاني، 1/ 889، 936 و 3/ 792، 1110 و4/ 261، 402. وبعنوان: «مسند المشايخ»، الظاهرية، مجمع: 55 (183، 2 أ -197 أ، في القرن الرابع الهجري) [سزكين، تاريخ التراث، 1/ 407].

ومما رواه ابن أبي أسامة عن شيوخه في مسنده ونقله عنه طلابه بسلسلة إسناد عالية جدا، أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ سألت رسول الله؟: «إن وافيتُ ليلة القدر بماذا أدعو؟ قال: قولي: اللهم إني أسألك العفو والعافية» رواه النسائي.

2 ـ كتاب الخلفاء، ومنه اقتباسات في كتاب «الوزراء» للجهشياري، ص 241 [سزكين، تاريخ التراث، 1/ 407]؛ 2/ 201؛

- D. Souydel, Arabica.

3 ـ كانت له روايات تاريخية نقلها عنه الطبري (ت 310 هـ/ 922 م) في كتابه «تاريخ الرسل والملوك» - وكان أحد طلابه - نقل وروى عن ابن أبي أسامة في أكثر من مائة وثلاثين موضعا، وكان يشير إليه بقوله: «حدثني الحارث» أو «ما حدثني به الحارث» أو «حدثني الحارث بن أبي أسامة»، ممّا يعني أنّ صاحب التّرجمة كان مؤرّخا فضلا عن كونه محدثا، لا سيما وأنه يروي عن شيخه ابن سعد، فجاء كتاب الطبري مليئا بروايات ابن أبي أسامة التاريخية، مما يشير إلى أنّ الطبري كان يتردّد على مجلس ابن أبي أسامة ويأخذ عنه [أجزاء الطبري، في مواضع متعددة].

المصادر والمراجع

● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، 8/ 218-219؛ ● السلمي، طبقات الصوفية، تح. نور الدين شريبة، ط 3، مصر، 1986، ص435؛ ● ابن الجوزي، المنتظم، الدار الوطنية، بغداد، 1990، 5/ 155؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت 1977، دار صادر، 4/ 351؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، تح. شكري فيصل، فسبادن 1981، 11/ 261؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت دار إحياء التراث العربي، 2/ 619-620؛ ● الذهبي، ميزان

الاعتدال، تح. علي محمد البجاوي، ط 1، مصر 1963، دار إحياء الكتب العربية، 1/ 442-443؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، ط 2، بيروت 1971، مؤسسة الأعلمي، 2/ 194؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط 2، دار المسيرة، بيروت 1979، 2/ 178؛ ● العسقلاني، لسان الميزان، ط 2، بيروت 1971، مؤسسة الأعلمي، 1/ 317 و 2/ 157- 159؛ ● السيوطي، طبقات الحفاظ، تح. علي محمد عمر، ط 1، مصر 1973، مكتبة وهبة، ص272؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1957، المكتبة العربية، 3/ 176.

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الإسبيجابي، أبو نصر أحمد بن منصور

(....هـ/....م - 480هـ/1087م)

ولد بمدينة إسْبِيجاب، ونشأ بها، وتعلَّمَ في صغره العربية والقرآن الكريم، ولمّا قَوِيَ عُوده، واشتدَّ ساعده طلب، بنفسه، فَدَرَس على شيوخ إسْبِيجاب، وأخذ الفقه عن أعيان الفقهاء المشهورين فيها، والوافدين عليها، حتى برع في الفقه وتبَحّر، وصار المشار إليه ببلده في الفقه والفتوى، وأصبح ملحوظاً من الخاص والعام في وقت مبكِّر من عمره، امتاز فيه بتفوّقه على أقرانه ومعاصريه.

ولمّا أحسّ أبو نصْر برغبة أكيدة في نفسه للرِّحلة خارج إسْبيجاب، للتزوّد من العلوم والمعارف، ولقاء المشايخ والعلماء، والمناظرة معهم، عقد العزم على السفر إلى سمرقند، وكانت تعجُّ بالعلماء والفقهاء والأدباء، وكانت محطّ أنظار طلبة العلم من أبناء المدن المجاورة لها، والبلدان العربية منها، فدخلها وهو مطمئن إلى علمه، ومستند إلى حفظه وحِدَّة ذكائه، وعقد مجالس المناظرة مع أكابر علمائها وأفاضل فقهائها، فناظرهم، وقطعهم متفوّقاً عليهم، فأجلسوه للفتوى، فانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار السنية، فكان عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه والفتوى.

ولمكانته العلمية انتظم الطلبة والفقهاء في حلقة درسه، يأخذون عنه، ويسمعون عليه، ويتعلّمون منه كل ما قصروا عن معرفته من أمور الفقه الحنفيّ، وحلّ مسائله ومشكلاته الغامضة، ولا سيّما بعد وفاة فقيه سمرقند المشهور العلامة أبي شجاع السيد محمد بن أحمد بن حمزة بن الحسين العَبّاسيّ العَلَويّ السَّمَرْقَنْديّ، فأصبح لا يُدانيه فيها أحد، ولا يُقرن به ثانٍ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية،

ورحل إليه في النوازل والواقعات، فضلاً عمّا كان يتمتّع به من أخلاق رضيّة، ونفس زكيّة، وميلٍ إلى فعل الخير والصَّفح الجميل.

لقد كان الإمام أبو نصْر الإسْبِيجابِيُّ عالماً تقيًّا، وَفِيًّا لأقرانه ومعاصريه من العلماء ينظر إليهم نظرة إجلال واحترام وتقدير، بعيداً عن حَسَد العلماء المتعاصرين ووقيعة بعضهم ببعض، والتشهير، والتعرّض إليهم عند حصول خطأ غير مقصود في حكم أو فتوى، فنراه يقوم بما يمليه عليه الشرع والواجب، فيصحِّح أجوبة تلك الفتاوى ويرسلها إلى أصحابها المستفسرين عنها، ويدل على ما ذكرنا ما جاء في هذا النّصّ: «ووجد بعد وفاته صندوق له فيه فتاوى كثيرة، كان فقهاء عصره أخطأوا فيها، ووقعت عنده فأخفاها في بيته لئلا يظهر نُقْصانهم، وما تركها في أيدي المستفيدين لئلا يعملوا بغير الصَّواب، وكتب سؤالاتهم ثانياً، وأجاب على الصواب».

وكان أبو نصْر الإسْبِيجابِيُّ ذا اطّلاع واسع ومتابعة جيّدة لما يكتب علماء المذهب، وما يَصْدر عنهم من مؤلّفات فيقرأ ما يكتبون ويُدوِّنون ملاحظاته ومآخذه على تلك المؤلفات بنظر ثاقب، وفكر نَيِّر، فقد أثبت في آخر «شرحه لمختصر الطحاوي» نقده للمسائل الفقهية التي دوّنها الشيخ أبو الحسن عليّ بن بكر الحَنَفيُّ ولم يجمعها في مؤلّف، وللشيخ الفقيه الحافظ أحمد بن منصور المُظَفَّريّ في جمعه المطوّل لتلك المسائل الفقهية، وثنائه على هذا الجمع فيقول: «وكان الشيخ الإمام أبو الحسن عليُّ بن بكر ينشر هذه المسائل، وكان في نشرها وذكرها شائعاً، إمام كل عصر وقوام كل دهر، إلّا أنه لم يجمعها في مؤلّف، وبعده الشيخ الفقيه الحافظ أحمد بن منصور المُظَفَّرِيُّ المتوطن سمرقند، أكرمه الله في الدارين، جمعها على غاية من التطويل، وهو في كل ذلك مفيد، وفي جمعها مجيد».

توفّي أبو نَصْر سنة ثمانين وأربعمائة على ما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: 2/ 1627، وذكر أيضاً في: 1/ 563 أنه توفّي سنة خمسمائة تقريباً.

آثاره

كان الإمام أبو نَصْر فقيهاً مناظراً، تَصَدَّر للإفتاء، وولي القضاء فانشغل بهما، وعلى غزارة علمه، وعُلُوّ هِمّته، لم تكن مؤلفاته على قدر مكانته العلمية فهي قليلة جداً، وهي:

1 ـ شرح الجامع الصغير للإمام محمد بن الحسن الشَّيْبانيّ (ت 187هـ/ 803م)؛ 2 ـ شرح الكافي، للحاكم الصَّدر الشهيد محمد بن محمد الحَنَفي (ت 334هـ/ 946م)؛ 3 ـ شرح مختصر الإمام الكبير أبي جعفر أحمد بن محمد الطَّحَاوِيّ (ت 321هـ/ 933م)؛ 4 ـ الفتاوى، وهي مجموعة أسئلة أجاب عنها.

ذكر أبو نصر منهجه في هذا الشرح لمختصر الطَّحاوي، والترتيب الذي سلكه فقال: «وكان الإمام أبو الحسن عليُّ بن أبي بكر ينشر هذه المسائل إلّا أنه لم يجعلها في تصنيف ولم يجمعها في مؤلف، وبعده الشيخ الحافظ أبو نصْر أحمد بن منصور الطَّبَرِيُّ (المُظَفَّرِيُّ) السَّمَرْقَنْديُّ، جمعها على غاية من

التطويل، فهَذبت هذا منه متوسّطاً، وكنت فيما سلف هذبته على غاية من الإيجاز في العبادات خصوصاً في البيوع، فوقع السَّهو مني فرأيت أن أزيد، فَضَمَمْتُ إلى العبادات مسائل الفتوى والعيون وحذفعت منها ما يُشاكِلُهَا، وجعلْتُها على أنواع، ورتبتها على تصنيف الطَّحاويِّ، فذكرت لفظة روايته، أوّلاً، والجمع ثانياً...».

المصادر والمراجع

● السمعاني، الأنساب، نشره المستشرق د. س مرجليوث، 1912م، وأعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد 1970م؛ ● القرشي المصري، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محمد بن نصر الله، الهند، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، 1332هـ؛ ● ابن عزام التونسي، دستور الإعلام بمعارف الأعلام، نسخة خطّية بمكتبة الحرم المكي الشريف، مكة المكرّمة تحت رقم «28 تاريخ»؛ ● الهروي القاري، طبقات الحنفية، نسخة خطية محفوظة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد تحت رقم «1/ 929 ـ 930»؛ ● التميمي المصري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، 1390هـ/ 1970م وما بعدها؛ ● اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، بيروت، دار المعرفة، د.ت؛ ● الكفوي، كتائب أعلام الأخيار من فقهاء النعمان المختار، نسخة خطية في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم «1242»؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، المطبعة الإسلامية، 1387هـ/ 1967م؛ ● البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، المطبعة الإسلامية، 1387هـ/ 1967م.

د. صالح مهدي عباس
جامعة الموصل ـ العراق

الإستانبولي، بدر الدين محمد بن أسعد بن علي الينوي

(...هـ/....م ـ 1146هـ/1733م)

عمل أسعد أفندي بجانب وظائفه الإدارية والسياسية، اثنين وثلاثين عاما في مجال التدريس (1699-1731). وترك أثرا عميقا في القرن الثامن عشر في مجال الحياة العلمية والثقافية العثمانية وذلك من خلال مؤلفاته التي تركها وتلاميذه الذين أهّلهم. ونجد من بين هؤلاء التلاميذ عباس وسيم أفندي (ت 1173/ 1760)، وهو يعتبر أشهر طبيب وعالم فلك في تلك الفترة. ونجد كذلك من تلاميذه ابنه بدر الدين محمد بن أسعد بن

علي الينوي الاستانبولي.

لا توجد معلومات بشأن تاريخ ميلاد بدر الدين محمد. والشيء الوحيد المعروف عنه هو أنه تأهل من قبل والده. وتأهل أكثر في مجالات الشعر والرياضيات وخصوصا الهندسة. وتتناول المصادر الكلاسيكية بصورة أكثر رسائله في الهندسة. ووصلت إلى يومنا هذا اثنين من رسائله التي تتناول علم الهندسة. وتدور الرسالة الأولى حول رسم دائرة وبداخلها سباعي ومضلع، أما الرسالة الثانية فتتناول واحدة من أهم المشاكل في الهندسة القديمة وهي «تثليث الزاوية»، و «تربيع الدائرة». واستفاد بدر الدين محمد في هاتين الرسالتين من معلومات أقليدس وأرخميدس، وأبوليونيس، وبني موسى، وابن الهيثم، وغيرهم من العلماء. واستعمل مفهوم «الحركة» في اثباتاته الهندسية، وقام باثباتاته داخل مفهوم الهندسة «الهندسة المتحركة».

آثاره

أهم مؤلفات بدر الدين التي وصلت إلينا هي:

1- «شرح بعض المقالات الأقليدسية» وهو شرح لمؤلف «أصول الهندسة» لأقليدس، حيث تناول فيه بعض نظرياته. وأكمل هذا الشرح في عام 1136هـ/ 1723. ويعتبر هذا الشرح واحدا من أهم الشروح التي كتبت في الفترة المتأخرة لمؤلف «أصول الهندسة» في الفترتين الإسلامية والعثمانية. وكان بدر الدين محمد على قدر كبير من الثقة في مقدمة هذا المؤلف إذ ادعى أنه حل المسائل الهندسية التي لم يُتوصل فيها إلى حل حتى عهده [مكتبة الدولة بايزيد، عمومي، رقم 9787].

يذكر محمد طاهر البورصوي أن لبدر الدين مؤلفات أخرى بجانب هذه التي ذكرت وهي:

2- «ريحانة الروح في رسم الساعات في معرفة الأوقات» وهو مؤلف في مجال علم الفلك؛ - 3- «كتاب البصريات» لأقليدس والذي تمت ترجمته إلى اللغة العربية في العهد العباسي، ورتبه تحت عنوان «تحرير المناظير لأقليدس». ويبين أيضا أنه شرح مؤلف «خلاصة الحساب» لصاحبه بهاء الدين الآملي، وهو كتاب يُدرّس في المدارس العثمانية. غير أنه لم يصل إلينا أيّ مؤلف من هذه المؤلفات.

المصادر والمراجع

• Brockelmann, Carl, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden: 1937-1949, c. II, p. 594 (447), Supplement, c. II, 632, 665; • Bursali Mehmed Tahir, Osmanli Müellifleri, Istanbul 1333-1342, c. I, p. 234-236, c. III, p. 257; • çelebi-zade Asim, Tarih, Istanbul 1282, p. 358-360; • Ihsan Fazlioğlu, «Osmanlilarda Hendese» Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul, c. XII, p. 202; • izgi, Cevat, Osmanli Medreselerinde Ilim, Istanbul 1997, c. I, p. 292-293, 301-302; • Kaya, Mahmud, «Some Findings on Translations Made in the 18th Century From Greek and Esad Efendi's Translation of the Physica» Transfer of Modern Science and Technology to Mus-

lim World (Edit: E. Ihsanoğlu), Istanbul 1992. p. 385-392, • Kazim Sarikavak, XVIII. Yüzyilda Bir Osmanli Düsünürü Yanyali Esad Efendi, Ankara 1997; • Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmani yahud Tezkire-i meçahir-i Osmaniye, Istanbul 1308-1311, c. I, p. 332, c. II, p. 13; • Ramazan Sesen - Cevat Izgi (edit. Ekmeleddin Ihsanoğlu), Osmanli Matematik Literatürü Tarihi, Istanbul 1999, c. I, p. 175-176 (nr. 111), p. 178-180 (nr. 113); • Salim, Tezkire, Istanbul 1315, p. 76-78; • Salim Aydüz, «Lale Devri' nde Yapilan Ilmi Faaliyetler (1718-1730)» Divan Ilmi Arastirmalar Dergisi, 3 (1997), p. 151-152.

د. إحسان فضلي أوغلو
جامعة استانبول-تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي - تونس

■ الإسترابادي، محمد أمين بن محمد شريف

(... هـ/ ... م - 1033 هـ/ 1623م) ■ ■ ■

ولد الميرزا محمد أمين بن محمد شريف الإسترابادي في مدينة استراباد ونشأ بها، ثم هاجر إلى مدينة شيراز، وتلقى علومه على الشيخ تقي الدين النسابة، الذي قرأ عليه كتاب «شرح العضدي للتجريد»، وفي عام 1007 هـ/ 1598 م هاجر إلى مدينة النجف الأشرف، ودرس على فقهائها وعلمائها منهم: الشيخ محمد بن علي العاملي، والشيخ حسن بن الشهيد الثاني، والشيخ محمد بن علي الاسترابادي.

ولما أتمّ علومه في الفقه والحديث، أصبح عالمًا فاضلاً محققًا مدققًا، ماهرًا في علم الأصول والحديث، دعا إلى العمل بمتون الأخبار، وقد أيده جماعة من الفقهاء، مما عدّه بعض العلماء مؤسسا لجماعة الإخباريين مقابل جماعة الأصوليين الذين يأخذون بالعقل والإجماع. إذ كان قد رفض العقل بكلّ أشكاله، ورفض الاجتهاد القائم على الظن. كما أنه رفض وجود المجتهد المطلق. وكان قد شنّ حملة عنيفة على الفقهاء الإماميين القدامى الذين كانوا من رواد علم الأصول، من أمثال الشيخ محمد بن إدريس الحلي (ت 597 هـ)، والعلامة الحلي الحسن بن يوسف (ت 726 هـ).

ويمكننا القول بأن الميرزا محمد أمين الاسترابادي قد أعلن ثورة سلفية في وجه الفكر الأصولي عند الشريعة الإمامية، وقد استند في ذلك على أقوال بعض الأئمة من آل

البيت ممن يذهبون إلى اعتماد القرآن الكريم والسنة الشريفة في التشريع، دون الرجوع إلى آراء الآخرين من فقهاء ومجتهدين.

آثاره

تشعّبت ثقافة العلامة الاسترابادي فكتب في الفقه والحديث وعلم الكلام ومن أعماله المعروفة: 1 - حاشية على كتاب شرح المدارك؛ 2 - شرح كتاب أصول الكافي؛ 3 - شرح كتاب تهذيب الأحكام؛ 4 - شرح كتاب الاستبصار؛ 5 - كتاب في مطالب متفرقة من علم الكلام؛ 6 - الفوائد المدنية.

المصادر والمراجع

● الإسترابادي، محمد أمين، الفوائد المدنية، طبع حجر، طهران 1321 هـ؛ ● الأفندي، عبد الله بن عيسى الأصفهاني، رياض العلماء، محفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامة، النجف الأشرف؛ ● الأمين، محسن العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة الانصاف، بيروت والاتقان، دمشق؛ ● البحراني، يوسف ابن أحمد (ت 1186 هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف؛

● الجابري، علي حسين، الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشر، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى 1977م؛ ● الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت 1313 هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات؛ ● الخياباني، محمد علي التبريزي المدرس، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، مطبعة سعدي؛ ● الشيبي، كامل مصطفى، الفكر الشيعي والنزاعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مطبعة دار التضامن، بغداد 1966م؛ ● الطهراني، محمد محسن (آغابزرك) (ت 1389 هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطابع الغري والآداب، النجف، ومجلس الشورى ودولتي طهران؛ عدة طبعات من سنة 1936 الى 1998م. ● المولوي، محمد علي الكشميري، اللكهنوي، نجوم السماء في تراجم العلماء، مطبعة جعفري، لكنهو 1303هـ.

أ.د. حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة ـ العراق

الإستراباذي، جمال الدين الحسن بن محمد بن الحسن

(كان حيّا سنة 891 هـ / 1495 م)

كمال الدين أو جمال الدين الحسن بن محمد بن الحسن الأستراباذي المولد، النجفي المسكن واستراباذ بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم في كلّ فنّ، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان [ياقوت، 1/ 174].

لا نعرف شيئا عن سيرته سوى أنه كان حيّا عام 891 هـ/ 1495م؛ وهو متكلّم، ومفسّر، وفقيه إمامي. قال محسن العاملي: كان من جلّة المتأخرين، وأكابر العلماء والفقهاء والمفسرين. وذكر أنّه عاش متأخرا عن المقداد السيوري، والسيوري هو المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين الأسدي (ت 826 هـ/ 1423م)، ولكن ليس من تلامذته.

ويبدو من كتابه «معارج السؤول» ميله إلى التصوّف، ويظهر أنّه ألّفه في زمن الشيخوخة [أعيان الشيعة، 23/ 89]؛ ولا توجد إشارة إلى شيوخه سوى إشارة إلى أنّ والده كان من العلماء لأنه صرّح في كتابه «معارج السؤول» إلى أنه من تلامذة والده.

آثاره

أشارت مصادر ترجمته إلى مؤلفاته، وأوسع هذه الإشارات ما ذكره السيد محسن الأمين العاملي (23/ 89-93)، وهي: 1 - معارج السؤول ومدارج المأمول، وهو شرح 500 آية من القرآن الكريم، وهي آيات الأحكام على أحسن وجه وأبسطه، ويعرف بكتاب «تفسير اللباب»، فرغ منه سنة 891هـ/ 1490م؛ 2 - شرح الفصول النصيرية في الكلام، وهو شرح فصول الخواجة نصير الدين الطوسي، فرغ من تأليف الكتاب سنة 872هـ/ 1471م ويقول السيد محسن الأمين: ذُكر أنّه ألّف هذا الكتاب لسلطان الحويزة كمال الدين عبد المطلب بن محسن بن محمد المهدي بن فلاح المشعشعي الموسوي الحويزي. ويرى محسن الأمين العاملي أنّ هذا غير صحيح لأن السيّد عبد المطلب توفّي قبل الألف، وقام مقامه ولده الأكبر السيد مبارك (ت 1025 هـ/ 1616م)، وابنه الأصغر السيد خلف (ت1074 هـ/ 1663م)، وبين تاريخ الفراغ من التأليف وموت السيّد مطلب قريب من 130 سنة، مع أنّ السيّد محمداً، الذي هو الجدّ الأعلى للسيّد عبد المطّلب، توفّي 866 هـ/ 1461م قبل تاريخ التأليف بأربع سنين. ويقول أيضا ولعلّ السيد حيدر والد عبد المطّلب لم يكن موجودا يومئذ ولعلّه كتبه بأسم السيد محسن ابن محمد الذي تولّى الحكومة بعد وفاة والده السيد محمد سنة 866 هـ، وتوفّي السيد محسن سنة 905 هـ/ 1499م [التاريخ

الضيائي، تح. طارق الحمداني، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب - جامعة بغداد]؛ 3 - كتاب عيون التفاسير في تفسير القرآن الكريم، هذا ما أفادت به مصادر ترجمته القليلة.

المصادر والمراجع

● محسن الامين العاملي، أعيان الشيعة، 23/ 89-93، دمشق 1946؛ ● السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص 402، بغداد، شركة النشر والطباعة العراقية؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 3/ 278، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

د. نبيلة عبد المنعم داود

مركز إحياء التراث العلمي - بغداد

الإستراباذي أبو محمد، الحسن بن رضي الدين محمد

(645 هـ / 1247 م ـ 715 هـ / 1315 م)

هو الحسن بن رضي الدين محمد بن شرفشاه، ركن الدين أبو محمد العلوي الحسيني الأستراباذي المولود سنة (645 هـ/ 1247 م). والاستراباذي بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وفتح الراء والباء الموحدة بين الألفين، وفي آخرها الذال المعجمة، نسبة إلى إستراباذ، وهي بلدة من بلاد مازندران بين سارية وجرجان، ظهر فيها جماعة كثيرة من الفضلاء الأعلام [السمعاني، الأنساب، 1/ 214] ومنهم صاحب الترجمة.

وكان الاستراباذي شافعي المذهب ومدرس الفقه الشافعي في المدن التي حلّ فيها، كما كان جليل القدر ومقربا عند حكام عصره وله حرمة لديهم، متواضعا مع كل الناس. وهو من كبار تلامذة نصير الدين الطوسي (ت 672هـ/ 1273 م)، أخذ عنه علوما كثيرة ثم أصبح الاستراباذي رئيس أصحاب الشافعي بمراغة بلدة مشهورة في أذربيجان، [الحموي، معجم البلدان، 5/ 93]، ثم معيدا لدروس النصير الطوسي ومع ذلك يذكر عنه بأنه كان لا يحفظ القرآن الكريم.

والأستراباذي برع في علوم كثيرة فهو من العلماء الموسوعيين، فقد كان عالما بالنحو والتصريف ، يجيد الفقه وتكلم في أصوله، وعرف المنطق والطب وعلم الكلام، لذلك صنف كتبا كثيرة في مختلف مجالات المعرفة.

وفضلا عن اهتماماته في تصنيف الكتب فإنه قد شغل مناصب علمية أثبت من خلالها مقدرته العلمية، فقد درس الفقه الشافعي في عدة مدن منها مراغة، وماردين، والموصل،

وسمي بـ «عالم الموصل» وتخرج على يده عديد من الفضلاء والعلماء. ففي مراغة أصبح مقدما على الفقهاء الشافعية، وصار معيدا للدرس هناك كما ورد آنفا. وفي ماردين وهي قلعة مشهورة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، فتحها عياض بن غنم سنة (19 هـ/ 640 م) زمن عمر بن الخطاب (رض) [الحموي، معجم البلدان، 5/ 39] - درّس في مدرسة (الشهيد)، وكان يقوم بالإفتاء فيها، فدخلت عليه امرأة فسألته عن أشياء مشكلة في الحيض فعجز عن الجواب، فقالت له المرأة: «أنت عذبتك واصلة إلى وسطك وتعجز عن جواب امرأة؟ قال لها: يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عذبتي الى قرن الثور».

وفي سنة 672 هـ/ 1273 م قدم إلى الموصل (إحدى مدن العراق الكبيرة، تقع على الجهة الغربية من نهر دجلة على درجة خط العرض 20.36 دقيقة، سكنتها قبائل عربية قبل الإسلام وبعده مثل إياد ونمر وتغلب والأزد، وربيعة، وكندة، وطي، وقد حررها العرب المسلمون سنة 16 هـ/ 637 م على عهد عمر ابن الخطاب (رض) بقيادة ربعي بن الأفكل وقيل سنة 18 هـ/ 639 م على يد عياض بن غنم) [الحموي، معجم البلدان، 5/ 223؛ البلاذري، فتوح، 3/ 407، 408؛ الطبري، تاريخ، 4/ 36 - 37؛ نيبور، رحلة، ص105]، واستوطنها حتى وفاته. ثم درس في المدرسة النورية، وفيها صنّف غالبية كتبه، كما فوض إليه النظر في أوقافها (بنى المدرسة النورية، نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود الاتابكي، حكم من 589 هـ/ 1193 م إلى 607 هـ/ 1210 م، وقد أنشأها للشافعية ووقفها على ستين فقيها وخصص لها الوقوف الكثيرة، وهي تقع في الجهة الغربية من نهر دجلة، ومن آثارها الموجودة إلى اليوم جامع الإمام محسن، ومن مدرسيها صاحب الترجمة)، [ابن الأثير، الباهر، ص198، 201؛ ابن خلكان، وفيات، 1/ 193 - 194].

ويذكر أن الاستراباذي كان يحصل على مرتب قدره ألف وستمائة درهم في الشهر عندما كان يتولى مناصبه العلمية، توفي في الموصل سنة 715 هـ/ 1315 م، وهو ابن سبعين سنة.

وقد عاش الإستراباذي في فترة حكم المغول الايلخانيين التي امتدت بين 656-738 هـ/ 1258 -1337 م، فاستطاع أن ينهض بعلومه مع بقية علماء العرب المسلمين في تلك الفترة على الرغم من أن عصره كان عصرا توقفت فيه المعرفة العلمية بسبب إجراءات المغول التعسفية وسياستهم القائمة على عدم الاهتمام بالعلم والمعرفة، والتعامل مع الناس بصرامة ووحشية من قتل وتخريب وتدمير، بسبب نقمة المغول على العرب والمسلمين [ابن الطقطقي، الفخري، 12-13؛ الصائغ، تاريخ الموصل، 2/ 112-120].

آثاره

1 - شرح المطالع في المنطق؛ 2 - شرح شمسية المنطق وأصول الدين، وقد وقف السبكي على هذا الكتاب وأثنى عليه [طبقات الشافعية، 6/ 86]؛ 3 - شرح على مقدمة ابن الحاجب في النحو وهي التي

تسمى (بالكافية) وهي ثلاثة شروح مطول ومتوسط ومختصر. والمطول هو الكبير ويسمى ايضا (بالبسيط) منه نسخة في خزانة الأزهر كتبت سنة 703 هـ/ 1303 م، وأخرى كتبت سنة 792 هـ/ 1389 م [فهرس خزانة الأزهر، 4/ 116]. والمتوسط يسمى (بالوافية) نظمها في أرجوزة، منه نسخة بدار الكتب بالزقازيق كتبت سنة 1009 هـ/ 1600م [مجلة معهد المخطوطات العربية، 3/ 80]، وعليه حاشية للسيد الجرجاني ولم يكملها، وأكملها ولده محمد، وحاشية أخرى لمحمد ابن عبد الله المريني، أولها: الحمد لله الذي جعل النحو زينة الكلام، والمتوسط هو المتداول بين أيدي الناس في زمن السبكي (ق8 هـ). الشرح الثالث صغير وهو المختصر. (والكافية في النحو للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي النحوي (ت 646 هـ/ 1248 م)؛ 4 - شرح كتاب الحاوي الصغير، شرحان، وهو في فروع الفقه الشافعي للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت 665 هـ/ 1266م)، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية، وجيز اللفظ، بسيط المعاني، محرر المقاصد، مهذب المباني، حسن التأليف والترتيب، جيد التفصيل والتبويب، ولذلك عكفوا عليه بالشرح ومنهم صاحب الترجمة، الاستراباذي [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 625 - 626]؛ 5 - شرح كتاب التصريف لابن الحاجب أيضا، وهو الذي يسمى (بالشافية)، وابن الحاجب (ت 646 هـ/ 1248 م) هو الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المالكي النحوي - المار ذكره - (والشافية) هي مقدمة مشهورة في هذا الفن كمقدمته في النحو، وقد اعتنى بها جماعة من الشراح منهم الاستراباذي [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 1020-1021]؛ 6 - شرح كتاب قواعد العقائد للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ/ 1111 م)، وهي في علم الكلام [حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ 1358]؛ 7 - كتاب حل العقد والعقل في شرح مختصر السول والأمل. وهو في علمي الاصول والجدل للشيخ الامام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (ت 646 هـ/ 1248 م) ، صنفه أولا ثم اختصره، وهو المشهور المتداول «بمختصر المنتهى» و«مختصر ابن الحاجب»... شرحه الاستراباذي، وهو شرح بالقول أوله: أما بعد حمد الله خالق الصور والاشباح... إلخ، سماه «حل العقد والعقل في شرح مختصر السول والأمل»، ذكر في أوله اسم السلطان الملك المظفر قرأ أرسلان ابن السعيد نجم الدين الغازي الارتقي، وفرغ من جمعه في جمادى الأولى سنة (684 هـ/ 1285م) [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 1855]؛ 8 - شرح الحماسة، والحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ/ 845 م) جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب ورتب على أبواب عشرة: الحماسة، المراثي، الأدب، النسيب، الهجاء، الإضافات، الصفات، السير، الملح، مذمة النساء، واشتهر ببابه الأول. والحماسة: شجاعة العرب، وقد شرحها عدد كبير من العلماء منهم الاستراباذي [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 691]؛ 9 - شرح «الفصيح» في

اللغة لثعلب؛ 10 - كتاب «مرآة الشفاء» في الطب.

المصادر والمراجع

● ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، النجف 1969، 2/ 376؛ ● السبكي، طبقات الشافعية، تح. محمد محمود الطناحي، ط 1، القاهرة 1968، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 6/ 86؛ ● العسقلاني، الدرر الكامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة 1966، دار الكتب الحديثة، 2/ 98-99؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط 2، بيروت 1979، دار المسيرة، 6/ 35؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، ط 2، بيروت 1970، مؤسسة الاعلمي، 4/ 255؛ ● المقريزي، السلوك، القاهرة 1941، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ج2، ق1/ 158؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 9/ 231؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت د/ ت)، 1/ 521-522؛ ● البغدادي، هدية العارفين، 1/ 283؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1957، 3/ 283؛ ● الزركلي، الاعلام، ط 3، 2/ 233؛ ● العزاوي، عباس، تاريخ الادب العربي في العراق، بغداد 1961، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1/ 165.

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الإستراباذيّ، محمّد رضي الدّين بن الحسن

(684 أو 686 هـ - 1285 أو 1288 م)

هو محمد رضيّ الدّين بن الحسن الإستراباذيّ نسبة إلى أستراباذ، وهو اسم يطلق على مدينة ومقاطعة من أعمال طبرستان بفارس، ورغم ما نجده من تنويه به وبآثاره فإنّ المصادر القليلة الّتي تحدّثت عنه لا تكاد تورد شيئا عن حياته وسيرته؛ فالسّيوطيّ يشير إلى أنّ لقبه «نجم الأمّة»، وإلى أنّه لم يقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته. ولا يفيدنا بأكثر من إشارته إلى أنّه فرغ من تأليف شرحه للكافية سنة 683 هـ، وإلى أنّه ليس متيقّنا من تاريخ وفاته، فيذكر سنة 684 وسنة 686 هـ [بغية الوعاة، 1، ص 567-568]؛ والأغرب من ذلك أنّ عبد القادر البغداديّ (ت 1093 هـ/ 1682م) وهو الّذي شرح الشّواهد الواردة في شرح الكافية للأستراباذيّ يقرّ بأنّه لم يطّلع على «ترجمة له وافية بالمراد»، فاكتفى بنقل ما وجده في آخر «نسخة قديمة» من الشّرح. ويستفاد منه أنّه كان

«مفتي الطّوائف» فقيها معظّما، كما نقل ما قاله الشّارح في آخر شرحه «قبل أحكام هاء السّكت» من أنّه أتمّ مصنّفه في شوّال من سنة 686 هـ، وعلى هذا الأساس يرفض التّاريخين الممكنين اللّذين يذكرهما السّيوطيّ لوفاته، اعتمادا على أنّه «عاش مدّة يحرّر شرحه» أي يصلحه، كما أنّه شرح الشّافية بعد ذلك. ولعلّه ممّا يفسّر قلّة المعلومات حول الإستراباذيّ أنّه لم يشتهر أمره في حياته، وأنّ شرح الكافية - حسب ما نقله البغداديّ - «لم ينقل من العجم إلى الدّيار المصريّة إلاّ بعد أبي حيّان (745هـ/ 1344م)، وابن هشام (761هـ/ 1359م)» [خزانة الأدب، I، ص28 وما بعدها]؛ يفهم من هذا أنّ الأستراباذيّ كان بعيدا عن العواصم الّتي كانت مركز كبار النّحاة في القرنين السّابع والثّامن، وهي خاصّة دمشق والقاهرة، ففيهما عاش ابن الحاجب ودرس ووضع مصنّفاته، وفي القاهرة عاش كلّ من أبي حيّان النّحويّ، وابن هشام الأنصاريّ وألّف كتبه العديدة؛ وفي دمشق استقرّ ابن مالك وصنّف. وخلافا لهؤلاء لا نعرف للإستراباذيّ شيئا عن تلاميذه رغم أنّه أشار في مقدّمة شرح الكافية إلى أنّ الدّاعي إلى وضع كتابه هذا هو طلب بعض من قرأ عليه «مقدّمة ابن الحاجب» [شرح الكافية، I، ص17].

ولم يمنع خمول ذكر الإستراباذيّ في كتب التّراجم والطّبقات من اشتهار مصنّفيه وذيوع صيته في العصور الموالية؛ ولعلّ ذلك راجع إلى ما اتّسم به شرحاه من طابع شخصيّ يتميّز بكثرة المباحث مع النّحاة، ومخالفتهم الرّأي في المسائل الكثيرة، والانفراد بالقول، والحرص على التّوقّف عند الحدود والتّعريفات وسبرها على محكّيْ الجمع والمنع، وكثرة تصريف أصول النّحو واعتمادها في التّعليل والاحتجاج، ممّا يكسب خطابه صنعة تجريديّة على قدر كبير من الصّرامة والإحكام. كما تتضمّن شروحه ما قد لا تجده عند غيره من الحرص على ضبط عدد من المفاهيم، وما قد يطرحه تصوّرها أو تحديدها من مشاكل؛ من ذلك على سبيل المثال نظريّته الفاحصة لمفهوم الكلمة وعدم تردّده في تجزئة ما يبدو ملفوظا واحدا إلى أكثر من كلمة، ومنه تحديده لمفهوم العامل قصد إزالة الالتباس الّذي يبدو في استعمال هذا المصطلح، ومنه استعراضه في تصوّر شامل - انطلاقا من المعاني المستفادة من الإعراب - للمعاني الطّارئة وغير الطّارئة على الكلمة، وطرق التّمييز بينها. ويعتبر البغداديّ أنّ الرّضيّ تبع ابن مالك في تجويزه الاحتجاج بالحديث النّبويّ خلافا لما شاع في التّراث النّحويّ، ويرى أنّه «زاد عليه» الاحتجاج بكلام أهل البيت [خزانة، I، ص 9].

آثاره

خلافا لما وضعه أعلام النّحو في القرنين السّابع والثّامن خاصّة من عشرات المؤلّفات فإنّه لم ينسب إلى الإستراباذيّ سوى مصنّفين اثنين هما: «شرح الكافية» و«شرح الشّافية لابن الحاجب».

1 - شرح الكافية: هو شرح لـ«كافية» ابن الحاجب في النّحو، وقد شرحها غير الإستراباذيّ كثير كابن مكتوم (ت. 749 هـ/ 1348م)، وشمس الدّين محمد بن عبد

الرّحمان الاصفهانيّ (ت. 749 هـ/ 1348م)، وركن الدّين حسن بن محمّد الإستراباذيّ الحسينيّ (ت 715هـ/ 1315م) وله عليها ثلاثة شروح كبير ومتوسّط وصغير، وتاج الدّين عليّ بن عبد الله بن أبي الحسن التّبريزيّ (ت. 746 هـ/ 1345م)... ولكنّ شرح الرّضيّ هو أشهر هذه الشّروح، وقد أورد الخطيب البغداديّ إجازة الشّريف الجرجانيّ (815 هـ/ 1413م) لأحد من قرأ عليه هذا الشّرح بسمرقند، وقد كتب سنة 802 هـ/ 1399م؛ ويقدّم عبد القاهر البغداديّ كتابه خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب على أنّه شرح شواهد الكافية لنجم الأئمّة وفاضل هذه الأمّة المحقق ابن الحسن الشّهير بالرّضيّ الإستراباذيّ [I، ص 3]. ونشر شرح الكافية مرّة أولى سنة 1275 هـ/ 1858م، وثانية سنة 1305 هـ/ 1887م، وثالثة سنة 1310 هـ/ 1892م وكلّ هذه النّشرات بتركيا في جزءين، ونشر ببيروت ضمن منشورات جامعة بنغازي وهو من «عمل» يوسف حسن عمر 1398 هـ/ 1978م؛ 2 - شرح الشّافية: وهو شرح شافية ابن الحاجب في الصّرف، وقد خصّت هي أيضا بشروح عديدة تزيد على العشرين، ومنها شرح ابن الحاجب نفسه، وشرح أحمد بن الحسن الجاربرديّ (ت 647 هـ/ 1249م)، وشرح عبد الله بن محمد الحسينيّ المعروف بـ «نقره كار» (ت 776 هـ/ 1374م)، وشرح ابن هشام الأنصاريّ، وشرح ابن مكتوم (كشف الظّنون، II، ص1020-1022).

ويعتبر شرح الإستراباذيّ من أكثر الشّروح شهرة ورواجا، وقد نشر مرارا آخرها بتحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزّفزافي، ومحمد محيي الدّين عبد الحميد، وهو في ثلاثة أجزاء أضيف إليها جزء رابع يتضمّن شرح عبد القادر البغداديّ لشواهد الشّافية، وما أضافه إليها الجاربرديّ من الشّواهد الّتي أوردها في شرحه للشّافية، القاهرة، 1358 هـ/ 1939 م؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، 1395 هـ/ 1975م.

المصادر والمراجع

● السّيوطيّ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1384 هـ/ 1964م؛ ● عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح. عبد السّلام هارون، دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر، 1387 هـ/ 1967م؛ ● الحرّ العامليّ، محمد بن الحسن، أمل الآمل، طهران، 1302 هـ/ 1885م؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، تكملة، I؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة ط. 1، مجلّد 1، ص721، ط. 2، مجلّد 2، ص 743؛ ● عصام نور الدّين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، بيروت، 1402 هـ/ 1982م.

- Henri FLEISCH, Traité de philologie arabe, Vol. I, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1961.

محمد الشاوش

الجامعة التونسية

الإستراباذي، أبو نعيم عبد الملك بن محمد

(242 هـ/ 856 م - 323 هـ/ 935م)

الحافظ الجوّال أبو نعيم عبد الملك ابن محمد بن عديّ بن زيد الجرجانيّ الفقيه الشّافعيّ، المعروف بالإستراباذي [السّهمي، تاريخ جرجان، ص235؛ الخطيب، تاريخ بغداد، ج 10، ص 428؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص104؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3، ص816؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 6، ص191؛ الزّركلي، الأعلام، ج 4، ص162].

ولد سنة 242 هـ بإستراباذ بكسر الألف وسكون السّين وكسر التّاء وفتح الرّاء، وقد يلحقون ألفا أخرى بين التّاء والرّاء، فيقولون إستاراباذ إلاّ أنّ الأوّل أشهر [السّمعاني، الأنساب، ج 1، ص 130؛ ابن الأثير، اللّباب، ج 1، ص 51]. وذهب ياقوت الحمويّ في معجم البلدان إلى أنّ أستراباذ بالفتح ثمّ السكون وفتح التّاء المثنّاة [ج 1، ص 208] هي بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقا من أهل العلم في كلّ فنّ، وهي من بلاد مازندران بين سارية وجرجان، زارها السّمعاني، وأقام بها قريبا من عشرة أيام، فكتب بها عن جماعة منهم، وكتب تاريخ إستراباذ من تصنيف أبي سعد عبد الرحمان بن محمّد بن محمّد المعروف بالإدريسي [الأنساب، ج 1، ص 130]، انتسب إليها طائفة من المحدّثين أشهرهم الإمام الفاضل المناظر الورع الصّدوق أبو حاجب محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم، والشّيخ أبو سهل هارون بن أحمد بن هارون بن بندار، وأخوه أبو أحمد محمّد بن أحمد بن هارون ابن بندار، وأبو الحسين أحمد بن محمّد بن الحسن بن حمويه المعروف بابن أبي نعيم [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 130]؛ وجماعة أخرى منهم القاضي أبو نصر سعد بن محمّد بن إسماعيل المطرفيّ، والحسين بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن رامين [ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 208].

كان أبو نعيم إماما حافظا ورعا فقيها، أخذ عن شيوخ بلدته، ورحل إلى العراق والشّام ومصر وأكثر عن الشيوخ، وورد نيسابور وهو قاصد بخارى، فأخذ عنه الحفّاظ، ولمّا ذاع صيته كثرت الرحلة إليه وانتفع به خلق عظيم من أئمّة الأقطار [السمعاني، الأنساب، ج1، ص 130؛ الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج3، ص 817؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج1، ص 70].

نوّه معاصروه بمنزلته العلميّة، وشهدوا له بجودة الحفظ، قال أبو سعد الإدريسي: «ما أعلم من نشأ بإستراباذ مثله في حفظه وعلمه» [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 3، ص 817؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3، ص 336]. وقال أبو الوليد حسّان بن محمّد القرشي: «لم يكن في عصرنا من الفقهاء

أحفظ للفقهيّات، وأقوال الصّحابة بخراسان من أبي نعيم الجرجاني، ولا بالعراق من أبي بكر بن زياد النيسابوري» [الذهبي، العبر، ج2 ص 198-199؛ تذكرة الحفّاظ، ج 3، ص817؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1 ص 70؛ السّيوطي، طبقات الحفّاظ، ص 342؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص 299]، وقال أبو عليّ النيسابوري: «كان أحد الأئمّة ما رأيت بخراسان بعد ابن خزيمة مثل أبي نعيم، كان يحفظ الموقوفات والمراسيل كما نحفظ المسانيد» [الذّهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 817؛ سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 474؛ السّبكي، طبقات الشّافعية الكبرى، ج 3، ص 336؛ السّيوطي، طبقات الحفّاظ، ص 342].

سمع خلقا كثيرا بخراسان، والعراق، والحجاز، والشّام، ومصر، والجزيرة؛ ولقي بمكّة أبا يحيى بن أبي مسرّة [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج3، ص 817؛ سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 474].

حدّث عن عليّ بن حرب الطّائي، وعمر بن شبّة النّميري، والرّبيع بن سليمان المراديّ، وأحمد بن منصور الرّمادي، وإسحاق بن إبراهيم الطّلقي، وعمّار بن رجاء، ومحمّد ابن عيسى الدّامغاني [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 10 ص 428؛ الذّهبي، تذكرة الحفّاظ، ج3 ص 817؛ سير أعلام النّبلاء، ج 11، ص 473-474]، وعن الحسن بن محمّد الزعفراني، ومحمّد بن عبد الله بن عبد الحكم، ويوسف بن سعيد بن مسلم المصّيصي، [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 10، ص 428؛ الذّهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11 ص 474] وعفّان بن سيّار، ومحمّد بن سليمان بن بنت مطر، وأبي يحيى محمّد بن سعيد القطّان، ومحمّد بن عوف الحمصيّ، وأبي يحيى بن أبي ميسورة المكّي [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 10، ص428]، ويزيد بن عبد الصمد، وسليمان بن سيف الحرّاني، والعبّاس بن الوليد البيروني، وعلي ابن عثمان النفيلي، وأبي عتبة أحمد بن الفرج الحجازي [الخطيب، تاريخ بغداد، ج 10، ص 428؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص 474].

وقد روى أبو نعيم الإسترابادي بسنده جملة من الأحاديث النبوية منها ما حدّث به عن أبي أيّوب سليمان بن عبد الحميد البهرانيّ عن أبي عقبة وسّاج عن هقل بن زياد عن الأوزاعيّ عن الزّهريّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم»، وهو حديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه [ج 2، ص 258] وأبو داود في كتاب الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته [ج 2، ص 834-835] وعن أحمد ابن عيسى اللّخمي عن عمرو بن أبي سلمة عن عبد الرّحيم بن زيد العميّ عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ قال: «خمس دعوات يستجاب لهنّ، دعوة المظلوم حتّى ينتصر، ودعوة الحاجّ حتى يصدر، ودعوة المجاهد حتى يقفل، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب»؛ وهو حديث أخرجه البيهقي في كتاب شعب الإيمان [ج 2، ص 46-47]؛ وعن عمر بن شبّة البصري عن عبد الوهاب الثّقفي عن أيّوب عن أبي قلابة عن أنس

رضي الله عنه قال: «أمر بلال رضي الله عنه أن يشفع الأذان، ويوتر الإقامة» [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3، ص 337]، وعن محمّد بن سعيد بن غالب العطّار، عن أبي قطن، عن شعبة عن قتادة عن خلاس بن عمرو، عن أبي رافع عن أبي هريرة، عن النّبي ﷺ قال: «لو يعلمون ما في الصف المقدم، كانت قرعة» قال الذهبي: «غريب، فرد تفرّد به أبو قطن عمرو بن الهيثم، أخرجه مسلم عن ابن حرب النشّائي عنه» [سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 475]، وعن محمّد بن عوف، عن عثمان بن سعيد الحمصّي، عن عيسى بن إبراهيم القرشيّ عن زهير بن محمّد، عن العلاء بن عبد الرّحمان عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولنّ أحدكم للمسجد مسيجد، فإنّه بيت الله يذكر الله فيه، ولا يقولنّ أحدكم مصيحف، فإنّ كتاب الله أعظم من أن يصغّر، ولا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي، كلّكم عباد وإماء، ولا يقولنّ للرّجل رويجل، ولا للمرأة مُريّة»؛ قال الحافظ الذّهبي: «هذا حديث منكر شبه موضوع لا يحتمله زهير التّميمي، وإن كان كثير المناكير، بل آفته عيسى، فإنّه غير ثقة» [سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 476]؛ وبه تخرّج أبو زرعة، وأبو حاتم [الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 817]؛ وذكر العبّادي أنّ المحاصليّ حكى في المجموع عنه مسائل [الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 71].

وعنه أبو محمّد يحيى بن محمّد بن صاعد مع تقدّمه، والحافظ أبو علي النيسابوري، وأبو محمّد المخلدي، وأبو إسحاق المزكّي، وأبو بكر الجوزقي، وأبو الحسين أحمد بن محمّد البحيري، وأبو بكر بن مهران المقرئ وخلق سواهم [الذّهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 3، ص 817؛ سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 474؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3، ص 336].

آثاره

توفي أبو نعيم بإستراباذ في ذي الحجّة سنة 323 هـ عن ثلاث وثمانين سنة، قال الحاكم سمعت عليّ بن محمّد بن شعيب الإستراباذي يقول: توفيّ أبو نعيم بعد منصرفه من بخارى سنة 322 هـ .[الذّهبي، تذكرة الحفّاظ، ج. 3 ص 818؛ سير أعلام النبلاء، ج ـ 11 ص 475].

وحاصل القول أنّه كان من كبار الأئمة الحفّاظ لشرائع الدين الذين جمعوا بين العلم والورع والصدق والتيقّظ، وانتفع بهم خلق كثير في الفقه والحديث.

له تصانيف في الفقه وكتاب الضعفاء في رجال الحديث يقع في عشرة أجزاء [الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 817؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 2، ص 299؛ الزّركلي، الأعلام، ج 4، ص 162؛ كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 6، ص 191]، وكتاب الجرح والتعديل [كحّالة، معجم المؤلّفين، ج6، ص 191؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج3، ص 360].

المصادر والمراجع

• البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي

(ت 256 هـ)، الجامع الصحيح، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2، 1413 هـ/ 1993 م، ج 2، ص 258؛ ● أبو داود، سليمان بن أشعث (ت 257 هـ)، السنن، دار الدعوة ودار سحنون، ط 2، 1413 هـ/ 1993 م، ج 2، ص 834-835؛ ● السّهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف ابن إبراهيم (ت 427 هـ)، تاريخ جرجان، أو كتاب معرفة أهل جرجان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط 1، 1396هـ/ 1950 م، ص235؛ ● البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (ت458 هـ)، شعب الإيمان، تح. محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410هـ/ 1990م، ج2، ص 46-47؛ ● الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السّلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج. 10، ص 428؛ ● الشيرازي، أبو إسحاق (ت 476 هـ)، طبقات الفقهاء، تح. إحسان عبّاس، ص104؛ ● السّمعاني، أبو سعيد عبد الكريم التميمي (ت 562 هـ)، الأنساب، تح. عبد الرّحمان بن يحيى المعلمي اليمالي، بيروت، لبنان، ط 2، 1400هـ/ 1980 م، ج. 1، ص 130؛ ● ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت 626 هـ)، معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1 1410 هـ/ 1990م، ج 1، ص 208؛ ● ابن الأثير، أبو الحسن عزّ الدين علي بن محمد بن محمد الجزري (ت 630 هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، 1400 هـ، 1980 م، ج 1، ص51؛ ● الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز (ت 748هـ)، تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التّراث العربيّ، ج3، ص 816 - 817؛ ● م.ن، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدّين أبي سعيد عمر ابن غامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 1، 1417 هـ/ 1997 م، ج11، ص 473 - 476؛ ● م. ن، العبر في خبر من غبر، تح. فؤاد سيّد، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية، الكويت 1380 هـ/ 1961 م، ج 2، ص 198-199؛ ● السبكي، أبو نصر تاج الدّين عبد الوهّاب بن تقيّ الدين (ت 771 هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطّناحيّ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، ج3، ص 336-337؛ ● الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772 هـ)، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الحبوري، مطبعة الإرشاد بغداد ط 1، 1390 هـ/ 1970 م، ج 1، ص 70-71؛ ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)، طبقات الحفّاظ، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1403 هـ/ 1983م، ص 342؛ ● ابن العماد، أبو الفلاح شهاب الدّين عبد الحيّ الحنبلي (ت 1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط،

دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ج 2، ص299؛ كحّالة، ● عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ببروت، دار إحياء التراث العربي، ج 6، ص 191؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا (ت 1339 هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ط1402 هـ/ 1982 م، ج 3، ص360؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط 10، 1412هـ / 1992 م، ج 4، ص 162.

د. برهان النفاتي
جامعة الزيتونة

ابن إسحاق الجهضمي، إسماعيل بن إسحاق

(200 هـ / 815 م - 282 هـ/ 896م)

إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي، ولد في مدينة البصرة سنة مائتين للهجرة، وبها نشأ، واستوطن بغداد، وتوفي بها فجأة وقت صلاة العشاء الأخيرة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وصلّى عليه ابن عمه يوسف وورث خطته من الإمامة في الدين والدنيا بنو عمه.

فقيه على مذهب الإمام مالك بن أنس - رضي الله عنه - من بيت علم وفضل. قال ابن فرحون: هو من بيت علم، من أجلّ بيوت العلم بالعراق، وأرفع مراتب السؤدد في الدين والدنيا، وهم نشروا هذا المذهب هناك وعنهم اقتبس؛ فمنهم من أئمة الفقه ومشيخة الحديث عدة كلهم جلة ورجال سنة، روي عنهم في أقطار الأرض وانتشر ذكرهم ما بين المشرق والمغرب، وتردد العلم في طبقاتهم وبيتهم، نحو ثلاثمائة عام من زمن جدهم الإمام حماد بن زيد وأخيه سعيد [ابن فرحون، الديباج، ص 92].

كان من نظراء المبرّد. وولي قضاء بغداد والمدائن والنهروانات، ثم ولي قضاء القضاة إلى حين وفاته. وقد كانت وفاته هي الباعث للمبرّد على تأليف كتابه "التعازي والمراثي"، وهو مخطوط [الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 310].

كان رحمه الله عفينا صلبا فهما فطنا، إماما علامة في سائر الفنون والمعارف، فقيها محصلا على درجة الاجتهاد، حافظا معدودا في طبقات القراء وأئمة اللغة.

قال أبو بكر بن الخطيب: كان إسماعيل فاضلا عالما متفننا فقيها على مذهب مالك، شرح مذهبه ولخصه واحتج له، وصنف

المسند وكتبا عدة من علوم القرآن، وجمع حديث مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب السختياني.

وقال أبو إسحاق الشيرازي: كان إسماعيل جمع القرآن وعلم القرآن والحديث وآثار العلماء والفقه والكلام والمعرفة بعلم اللسان، وكان من نظراء المبرد في علم كتاب سيبويه، وكان المبرد يقول: لولا اشتغاله برئاسة الفقه والقضاء لذهب برئاستنا في النحو والأدب، وحمل من البصرة إلى بغداد، وعنه انتشر مذهب مالك بالعراق، وكان ثقة صدوقا.

وقال أبو محمد بن أبي زيد: القاضي إسماعيل شيخ المالكية في وقته وإمام تام الإمامة يقتدى به. وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه ألّف كتبا، ككتاب أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله، وكتابه في القراآت، وهو كتاب جليل القدر عظيم الخطر، وكتاب في معاني القرآن، وهذان الكتابان شهد بتفضيله فيهما المبرد.

وقال نصر بن علي: ليس في آل حماد بن زيد أفضل من إسماعيل بن إسحاق، وفلان...

وقال أبو الوليد الباجي، وذكر من بلغ درجة الاجتهاد وجمع إليه من العلوم، فقال: ولم تحصل هذه الدرجة بعد مالك إلا لإسماعيل القاضي.

وذكر أبو عمرو الداني في طبقات القراء، فقال: أخذ القراءة على قالون وله فيه حرف عن غيره. وقيل لإسماعيل: لِمَ جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن، فقال: قال اللّه تعالى في أهل التوراة ﴿ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: 44]، فوكل الحفظ إليهم، وقال تعالى في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فلم يجز التبديل عليهم، فذكر ذلك للمحاملي فقال: ما سمعت كلاما أحسن من هذا [ابن فرحون، الديباج، ص 92-94].

وقال أبو طالب المكي: كان إسماعيل من علماء الدنيا وسادة القضاة وعقلائهم، كما كان شديدا على أهل البدع يرى استتابتهم.

من الحكايات التي تروى عنه أنه قد دخل عليه وزير نصراني يُدعى عبدون بن صاعد، فقام له ورحب به، فرأى إنكار الشهود ومن حضره، فلما خرج قال لهم: قد علمت إنكاركم، وقد قال اللّه تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: 8]، وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتضد، وهذا من البر، فسكت الجماعة [مخلوف، شجرة النور، ص 65 ـ 66؛ ابن فرحون، الديباج، ص94].

سمع ابن إسحاق من أبيه، ومن محمد بن عبد اللّه الأنصاري، وسليمان بن حرب الواشحي، وحجاج بن منهال الأنماطي، وسمع مسددا، والقعنبي، وأبا الوليد الطيالسي، وعليّ بن المديني، كما سمع من نصر بن علي الجهضمي، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي مصعب الزهري، وجماعة غيرهم.

وتفقه بابن المعذل، وكان يقول: أفخر على الناس برجلين بالبصرة، ابن المعذل يعلمني الفقه، وابن المديني يعلمني الحديث.

روى عنه موسى بن هارون، وعبد اللّه بن الإمام أحمد بن حنبل، وأبو القاسم البغوي،

ويحيى بن ساعد، وابن عمه يوسف بن يعقوب، وابنه أبو عمر القاضي، وأخوه، وإبراهيم بن عرفة نفطويه، وابن الأنباري، والمحاملي، وجماعة غيرهم.

وممن روى وتفقه عنه وسمع منه، ابن أخيه إبراهيم بن حماد، وابن بكير، والنسائي، وابن المنتاب، وأبو بشر الدولابي، وأبو الفرج القاضي، وأبو بكر بن الجهم، وبكر القشيري، والفريابي، وابن مجاهد المقرىء، ويحيى بن عمر الأندلسي، وقاسم بن أصبغ الأندلسي، وخلق عظيم. وبه تفقه أهل العراق من المالكية.

آثاره

1 - الموطأ؛ 2 - كتاب في القراآت؛ 3 - أحكام القرآن؛ 4 - معاني القرآن وإعرابه، في خمس وعشرين جزءا؛ 5 - المبسوط في الفقه ومختصره؛ 6 - الرد على أبي حنيفة، (في بعض ما أفتى به)؛ 7 - الرد على الشافعي، (في بعض ما أفتى به)؛ 8 - الرد على محمد بن الحسن، وهو في مائتي جزء، ولم يتم؛ 9 - الأموال والمغازي؛ 10 - كتاب الشفاعة؛ 11 - كتاب الفرائض، في مجلد؛ 12 - زيادات الجامع من الموطأ، في أربعة أجزاء؛ 13 - شواهد الموطأ، وهو في عشرة مجلدات؛ 14 - كتاب الأصول؛ 15 - كتاب السنن؛ 16 - مسند يحيى بن يزيد الأنصاري، ومسند حديث ثابت البناني، ومسند حديث مالك بن أنس، ومسند حديث أيوب السختياني، ومسند حديث أبي هريرة، وجزء حديث أم زرع..؛ 17 - الاحتجاج بالقرآن، وهو في مجلّدين؛ 18 - كتاب الشفعة وما روي فيها من الآثار؛ 19 فضل الصلاة على النبي ، وهو مطبوع.

المصادر والمراجع

● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة، سبتمبر 1992، ج 1، ص 310؛ ● عياض، القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح. سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، طبعة أولى سنة 1401 هـ/ 1981 م، ج 7، ص166؛ ● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم، الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 92-95؛ ● مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ص 65 ـ 66.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

إسحق، أديب الدمشقي

(1272هـ/1856م - 1302هـ/1885م)

ولد أديب إسحق في دمشق عام 1856 والتحق بمدرسة الآباء العازاريين، وبدأ نبوغه مبكرًا وخاصة في مجال امتلاك اللغة العربية والإبداع الأدبي ونظمَ الشعر في العاشرة من عمره، حتّى أن أستاذه قال لوالده «إن ابنك سيكون قوالاً» أي شاعرًا، وبالفعل فقد ألف عدة قصائد وموشحات وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

كانت ظروف أسرته المالية سيّئة وصعوباتها كثيرة في هذا المجال، ولذلك التحق في خدمة (الجمرك) وهو في الحادية عشرة من عمره (عاملاً غير نظامي)، وما لبث والده أن رحل إلى بيروت وعمل في مؤسسة البريد فيها فالتحق أديب بوالده وهو في الخامسة عشرة يعاون والده في عمله، ثم صار موظّفًا في الجمارك وهو في السابعة عشرة.

تواصل أديب إسحق مع المثقفين والأدباء والصحفيين في بيروت فور وصوله إليها، وتعامل معهم معاملة الند للند رغم صغر سنه، وشارك في جلسات وحوارات تبادل الشعر والنقد وعقد المحاضرات، وانتسب إلى جمعية «زهرة الآداب» برئاسة سليم البستاني ابن المعلم بطرس البستاني، وكان يلقي الشعر والمحاضرات في هذه الجمعية.

تولى إدارة تحرير جريدة ثمرات الفنون في بيروت وكانت صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية أنشأتها (جمعية الفنون) المؤلفة من بعض الأدباء المسلمين، وهي أولى الجرائد الإسلامية في بيروت صدر عددها الأول في 20/ 4/ 1875 وكان كتابها من المثقفين والأدباء اللبنانيين (المسلمين والمسيحيين)، كما تولّى بعد ذلك تحرير جريدة «التقدم» حيث تركها وسافر إلى مصر، وعندما عاد إلى بيروت فيما بعد تولّى تحريرها لمدة سنة كاملة، وكان يدفع أجرًا شهريا لصاحب امتيازها «فألبسها حلة قشيبة ورتب مباحثها وحسّن مواضيعها حتّى أقبل القوم على مطالعتها من كل البلدان العربية»، وعادت الجريدة للازدهار بعد أن تدنّى مستواها و«تقمّصت من الحياة ثوبا جديدًا» كما وصفها هو نفسه، وتولّى أيضًا تحرير جريدة «المصباح» التي كانت «أنطق الصحف وأجرأها حتّى أن جرأتها جنت عليها» فأغلقت بأوامر رسمية بسبب نقدها بلدية بيروت.

رحل أديب إسحق إلى الإسكندرية وعمل في مجال التمثيل مع سليم نقاش بتشجيع من الخديوي إسماعيل، ثم رحل إلى القاهرة ولزم فيها الشيخ جمال الدين الأفغاني مزودًا بكتاب من حنين الخوري فتوسم الشيخ خيرًا في ثقافته وجودة شعره وأدبه، فقرأ عليه «الفلسفة الأدبية والعقلية والمنطق» وساعده في كلّ مجال. ولزمه «ملازمة اللام للألف» وساعده على إصدار جريدة «مصر» عام 1877 في

القاهرة، ثم نقلها إلى الإسكندرية حيث شاركه في تحريرها سليم نقاش، ونجحت الجريدة نجاحًا هامًا، خاصة وقد كان يكتب فيها الشيخ الأفغاني نفسه، ومن أهم المواضيع التي نشرها الشيخ في جريدة «مصر» «الحكومات الشرقية وأنواعها»، واشتهرت الجريدة بمقالاتها واتجاهها الوطني وهي أول جريدة أطلقت تعبير «مصر الفتاة». وقد شجعه نجاح جريدة «مصر» على إصدار جريدة «التجارة» في الإسكندرية في 15/ 5/ 1878 بالاشتراك مع سليم نقاش رصد فيها حركة السوق التجارية، وقال سليم عنحوري إن «الشيخ محمد، وإبراهيم اللقاني كانا يخدمانها قلمًا وسعيًا ما استطاعا إلى ذلك سبيلا، وكان جمال الدين الأفغاني يواصلها بشذرات من قلمه وخطرات من فكره حتّى كان سبب شهرتها». وقال عنها جرجي زيدان إنها «كانت من أعظم أركان النهضة الإنشائية في الجرايد»، وقد انحازت للمصريين فأخذت الحكومة تعاكسها حتّى ألغتها، وفعلت مثل ذلك مع جريدة «مصر».

هاجر أديب إسحق إلى باريس بعد إيقاف صحفه في مصر فتعرف على سياسيين ومثقفين وأدباء عربًا وفرنسيين وألف فيها كتاب «تراجم مصر في هذا العصر»، وأصدر هناك جريدة «مصر القاهرة» في 24/ 12/ 1879 سياسية شهرية شعارها «حرية - مساواة - عدالة»، وكتب في افتتاحيتها بأنها خليفة جريدة «مصر»، «ما تغيرت الحقيقة بتغير الرسم ولا تغيرت الصحيفة بتغير الاسم بل هي مصر خادمة مصر»، قال عنها لويس صابونجي إن مصدرها «يستنفر بها همة الشرقيين إلى النهوض من سقطة الخمول، والانتباه من سنة الغفول، والاعتصام بحبال النخوة العربية والاعتياض عن التقاعد بتجريع قلوبهم وإجماع كلمتهم المتفرقة والذب عن مصالح أوطانهم».

عاد أديب إسحق إلى مصر مصدورًا بعد تسعة أشهر من إقامته في باريس ثم انتقل إلى بيروت وتولى تحرير جريدة «التقدم» وبقي محررها لمدة سنة كاملة كما أسلفت حيث عاد لمصر عام 1881 وعين ناظرًا لـ «قلم الإنشاء والترجمة» بديوان المعارف، واستأنف إصدار جريدة «مصر»، «ثم طلب منه إغلاقها كونه موظفًا»، وعين كاتبا لمجلس النواب.

طرد من مصر فذهب إلى بيروت، ثم عاد إلى مصر بعد وساطة، ثم نصحه الأطباء بالعودة إلى بيروت حيث توفي في 12/ 6/ 1885 في قرية الحدث بلبنان.

قال سليم عنحوري عن جريدة «مصر»: «اشتهرت بمقالاتها الضافية في تعريف الوطنية والدعوة إلى الاعتدال في الحرية، أدى فيها أديب إسحق خدمة عظيمة للغة العربية بما صرف من العناية إلى تهذيب عبارات الجرائد وعذب الكلام وسهولته»؛ وقال جرجي زيدان عنها: «انتقل الإنشاء الصحافي - مع جريدة مصر - من العبارات الضعيفة الركيكة إلى الرشاقة والطلاوة العصرية». أما جريدة «التقدم» التي عاد إليها بعد تراجع مستواها فقد «ألبسها حلة قشيبة ورتب مباحثها وحسن مواضيعها»، وكانت قبل توليه تحريرها وصلت إلى الحضيض وانحط شأنها، فكتب في عددها الأول بعد توليه تحريرها: «لقد أتى على هذه الصحيفة حين من الدهر دفنت حبة قصدها وجرد غصن نفعها بما طرأ عليها من

حوادث الأيام وعاديات الحدثان، ثم انجلت بهذا المظهر، لم تنشأ من العدم البحت ولم تبد بعد المحو المطلق». وقد تبنت «التقدم» في عهده الدعوة للتعليم الإلزامي ونشر المدارس العلمانية، وكانت من الصحف الحرة التي تنادي بالأفكار المعاصرة.
عاش أديب إسحق الدمشقي تسعة وعشرين عامًا، أعطى خلالها نتاجًا إبداعيًا وأدبيًا وصحفيًا ما لم يعطه معمرون.

وأخيرًا نذكر من شعره الأبيات المشهورة التالية:

قتلُ امرئ في غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن
مسألة فيها نظرْ
والحق للمقسوة لا
يُعطاه إلا من ظفرْ
ذي حالة الدنيا فكنْ
من شرها على حذرْ

آثاره

1 ـ ألف أديب إسحق كتابه الأول «نزهة الأحداق في مصارع العشاق»، وكان هذا المؤلف بداية انطلاق شهرته؛ 2 ـ شارك مع سليم الخوري في تحرير بعض أجزاء «آثار الأدهار» الذي يمكن اعتباره أول موسوعة عربية استفاد منها المعلم بطرس البستاني فيما بعد عندما أصدر موسوعته؛ 3 ـ ترجم رواية أندروماك لراسين ونظمها شعرًا أي عرّبها؛ 4 ـ وترجم فيما بعد في الإسكندرية رواية شارلمان.

حسين العودات
صاحب دار الأهالي للنشر - دمشق

ابن أبي إسحاق، أبو بحر عبد الله

(29 هـ / 650 م - 117 هـ/ 735م)

أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق، مولى آل الحضرمي، حلفاء بني عبد شمس ابن عبد مناف من قريش. اشتهر بكنية أبيه، وإسحاق زيد بن الحارث.

وأخطأت مصادر عدة في اسمه. فذكر خليفة ابن الخياط (ت 240 هـ) أنه حضرمي، وابن الأثير (ت 630 هـ) أنه مولى الخضر، ووصفه العمري (ت 749هـ) بحليف عبد الشمس. وأضاف عبد القادر البغدادي (ت 1093 هـ) الزيادي إلى نسبه، ولم تتوفر في أي مصدر آخر.
هو نحوي مقرىء لغوي محدّث. اتفق الأكثرون على قول حفيده يعقوب بن إسحاق

(ت 205 هـ): «مات جدّي عبد اللـه سنة 117هـ وهو ابن ثمان وثمانين سنة». وصلّى عليه بلال بن أبي بردة أمير البصرة، وعلى هذا يكون مولده سنة 29 هـ ولكن ابن الأثير ومن تابعه جعل وفاته سنة 127 هـ/ 745 م، ونص العمري (ت 354 هـ) ومن تابعه أنه مات سنة 129 هـ/ 747 م، وذكر اليغموري (ت 673) أنه مات قبل 130 هـ/ 748م. ويرجع القول الأول لصدوره من حفيده، ولأنّ ابن أبي بردة - الذي صلّى عليه - ناب عن خالد بن عبد الله القسري (ت 126 هـ) في حكم البصرة منذ سنة 109 هـ، وبقي إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي (ت 127 هـ) فعزله وحبسه.

وقد ولد عبد اللـه في أسرة من أهل العلم بالقرآن والحديث. فقد روى عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (ت 40 هـ) وذكر البخاري (ت 256 هـ) أخاه يحيى. واشتغل بالقراءة ابن أخته مسلمة بن عبد الله الفهري، وحفيداه أحمد ويعقوب ابنا إسحاق بن زيد.

وبالإضافة إلى أبيه، أخذ عن نصر بن عاصم (ت 89 هـ)، ويحيى بن يعمر (ت 129 هـ)، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، والحديث عن عثمان بن موهب وأنس بن مالك (ت 93 هـ).

وذكر العلماء أن عيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ)، وأبا عمرو بن العلاء (ت154هـ)، وهارون بن موسى الأعور (ت170هـ)، وحفيده يعقوب أخذوا عنه القراءة والنحو والحديث. وانفرد الزبيدي (ت 379 هـ) بذكر بكر بن حبيب السهمي [طبقات، 46]؛ وعبد القادر البغدادي بذكر الأخفش الأكبر (ت 177 هـ)، ويونس بن حبيب (ت 182 هـ) [خزانة 1/ 237]؛ وأبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) بذكر يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 202 هـ) [نزهة، 81]. ويبين تاريخ مولد اليزيدي أن من المحال أن يكون قد أخذ مباشرة عن عبد الله.

أجمع المؤرخون على مقولة لم تتغيّر كثيرا وعندهم، قال فيها الجمحي (ت 232 هـ): «كان عبد اللـه أول من بعج النحو، ومدّ القياس، و(شرح) العلل».

ونعتقد أنهم أرادوا بذلك أنّ من سبقه منهم شغل بنقط القرآن، وبالجدل بينه وبين تلاميذه حوله، وأن هذا الجدل ساقهم إلى حديث ما عن بعض قواعد اللغة العربية، أو ما سمّي بعلم النحو، ثم فطن بعضهم - ولا سيما معدان الفيل - إلى أنّ في بعض هذه القواعد عمومية وأقيسة. ثم ظهر عبد اللـه فآمن بخضوع الفصيح من كلام العرب لها خضوعا تاما، واستنكر ما خرج عنها حتّى لو صدر عن عربي قح.

وعبّر الزبيدي عن هذا الموقف مقتصدا. فاكتفى بوصف عبد اللـه بأنه كان مائلا إلى القياس؛ وأبو الطيّب اللغوي (ت 351 هـ) في صراحة فقال: «فرّع النحو وقاسه» [مراتب، 12]. وغلا الجمحي فقال: «كان شديد التجريد للقياس».

ولم يبق من أقوال عبد اللـه إلاّ أقلّ القليل. روى الزبيدي أن ابن سلام سأل يونس: «(إياك زيدا) تجيزها؟» فقال: أجاز ابن أبي إسحاق للفضل بن عبد الرحمن (ت 173 هـ):

إيــــاك إيــــاك الــمــــراءُ فــــإنــــه
إلــى الــشــر دعَّــاءٌ، ولــلــشــر جــالــب

وكان عبد الله يفسّر الشعر لتلاميذه، ويبدو أنه تعدّى الشرح والإعراب إلى شيء من النقد. روى الجمحي: أخبرني يونس كالمتعجب أنّ عبد الله كان يقول: أشعر أهل الجاهلية مرقّش، وأشعر أهل الإسلام كثيّر، (ت 105 هـ) ولم يقبل هذا القول ولم يشيّع [طبقات 52/ 540].

ووضع ابن النديم (ت 438 هـ) عبد الله تحت عنوان «أسماء قراء الشواذ» ووصفه بأنه بصري له قراءة [الفهرست، 47]، وجعله ابن الجزري (ت 833 هـ) أحد القرّاء العشرة [غاية، 1/ 410]. ومن قراءته: «قال: هو الله أحد» بدون تنوين.

وذكر ابن حِبّان (ت 354 هـ) عبد الله في كتاب الثقات [5/ 61]، وذكر المزي (ت 742هـ) أن أبا داود (ت 496 هـ) روى له كتاب القدر.

وقد برع عبد الله منذ وقت مبكّر حتّى قال أبو الطيّب: «توفي ميمون الأقرن وليس في أصحابه أحد مثل عبد الله». واستمرّ يزداد علما حتّى صار قيّما بالعربيّة والقراءة إماما فيهما، أو - كما قال أبو الطيب - أعلم أهل البصرة وأعقلهم... رئيس الناس وواحدهم [مراتب، 12].

وممّا له دلالة على مكانته وسرعة تطوّر علم النحو السؤال الذي وجّهه الجمحي إلى يونس ابن حبيب عنه، فأجاب: «هو والنحو سواء»، أي هو الغاية. فسأل: «وأين علمه من علم الناس اليوم؟» فقال: «لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلاّ علمه يومئذ لضحك به، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرهم، كان أعلم الناس».

وولع العلماء بالموازنة بينه وبين نظرائه في عصره. قال الخليل بن أحمد (ت 170 هـ): «كان عبد الله يقدّم على أبي عمرو بن العلاء في النحو، وأبو عمرو يقدّم عليه في اللغة». وقال السيرافي (ت 368 هـ): يقال: إن عبد الله كان أشدّ تجريدا للقياس من أبي عمرو وعيسى بن عمر، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها.

وأولى عبد الله الألفاظ المهموزة عناية خاصة، جعلته يتفوّق على أبي عمرو في مجلس ابن أبي بردة، وساقت أحد تلاميذه إلى أن يعمل فيها كتابا ممّا أملاه عبد الله.

المصادر والمراجع

● سيبويه، الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1408/ 1988، 1/ 279، 2/ 77، 3/ 44، 313، 315 424، ، 4/ 121، 443؛ ● المبرد، المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1385، 2/ 159، 162، 198؛ ● البخاري، التاريخ الكبير، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ق 1، ج 5، / 43-44؛ ● الأنباري، نزهة الألباء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1386/ 1967، ص13، 18، 20، 23، 81، 406؛ ● السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح. طه محمد

الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1374/ 1955؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384/ 1964، ص 16، 19-22، 32، 61؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، تح. دور تياكرا فلوسكي، دار نشر فرانتس شتاينر 1411/ 1991، 17/ 66؛ ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، 1371/ 1952، 2/ 104؛ ● العمري، مسالك الأبصار، مصورة فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت، ألمانيا، 1408/ 1988، ص 53 - 54؛ ● المرزباني، الموشح، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1343، ص 41، 95، 99-102؛ ● الصغاني، الشوارد في اللغة، تح. عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403/ 1983، ص 140، 143، 157؛ ● ابن جني، الخصائص، لبنان، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط 2، تح. محمد علي النجار، 1/ 369؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، 1326، 5/ 148؛ ● ابن حبان، كتاب الثقافة، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1399/ 1979، ط 1، 5/ 61؛ ● أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، 1375/ 1955، ص 12-14؛ ● البغدادي، خزانة الأدب، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي بالقاهرة، 1387/ 1967، ص 237-239؛ ● الجزري، غاية النهاية، تح. برجشتراسر، طبع المثنى ببغداد والخانجي بمصر، 1351/ 1932، ص410؛ ● الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح. محمود شاكر، دار المدني بجدة، مطبعة المدني بمصر، 1394/ 1974، ص14-21، 52، 540؛ ● خليفة بن خياط، طبقات، تح. شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، دار الإشعاع بمصر، 1991، ص47؛ ● الخزرجي، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ط 1، مصر، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق، 1301، ص191؛ ● الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1973، ص27، 31 _ 33، 40، 45 _ 46، 53، 86، 107؛ ● اليغموري، نور القبس، تح. رودلف زلهايم، فيسبادن دار فرانتس شتاينر للنشر، 1384/ 1964، ص5-6، 24، 38 - 39، 46-47؛ ● المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح. د. بشار عواد معروف، طبع مؤسسة الرسالة، 14/ 304-308؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، لبنان، دار صادر بيروت، 1385/ 1965، 5/ 340 _ 341.

د. حسين نصار
مجمع اللغة العربية - القاهرة

أبو إسحاق التونسي، إبراهيم بن حسن

(... هـ/ ... م - 443 هـ/ 1051م)

إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافري التونسي القيرواني. أبو إسحاق، الإمام، الفقيه المالكي، الحافظ، الأصولي، المحدث.

أصله من تونس، ونزل القيروان واستقر بها.

تفقه بكبار علماء عصره، كأبي عمران الفاسي، وأبي بكر بن عبد الرحمان، وطبقتهما، ودرس أصول الدين على الحسين ابن عبد الله الآذري نزيل القيروان. ومع هذين التخصصين فقد كان عالما بالقراءات واللغة، مشتهرا بمعرفته بالحديث ووجوهه. وقد أهلته معارفه إلى أن يكون دقيقا في الفهم، ميالا إلى النظر؛ وأن يعد من أركان طبقة علماء عصره مع السيوري، واللبيدي، وابن محرز، وأبي حفص العطار، وغيرهم. قال الميروقي فيه وفي السيوري: «لحقا من تقدمهما في العلم والورع، وأعجزا من يأتي بعدهما». وكان أبو حفص العطار يقول: «إذا وافقني أبو إسحاق التونسي وعبد الواحد الكفيف، ما أبالي بمن خالفني».

ولهذه المكانة العلمية المعترف له بها، فقد كان من أهل الشورى في القيروان، مع أبي القاسم اللبيدي وغيره؛ وكان مقدما في أجوبته.

عرف أبو إسحاق التونسي بأنه كان صالحا، من أهل النسك والعبادة، منقبضا متبتلا؛ وبأنه كان مستجاب الدعوة. وفي جمعه بين العلم والعمل يقول عبد الحميد الديباجي:

حاز الشريفين من علم ومن عمل
وقلما يتأتى العلم والعمل

وقد تصدّى للتعليم والتدريس بالقيروان، فتخرجت على يديه ثلة من جلّة العلماء، منهم عبد الحميد بن سعدون، وعبد الحميد الصائغ، وعبد العزيز التونسي، وعبد الحق ابن هارون، وغيرهم.

تعرض أبو إسحاق التونسي لمحنة، وصفها ابن ناجي بأنها «عظيمة»، بسبب فتوى أصدرها عن سؤال وجّه إليه، يتعلّق بنكاح كان الولي فيه من أهل دعوة بني عبيد الشيعية. فأجاب بتقسيم هذه الفرقة على قسمين: أحدهما كافر مباح الدم، لا يحل نكاحه، وهم الذين يفضلون عليا رضي الله عنه، ويسبون غيره من الصحابة؛ والثاني غير كافر ولا مباح الدم، فلا يبطل نكاحه، وهم الذين يقولون بالتفضيل أيضًا، لكن دون سب لغيره من الصحابة. وقد قوبلت هذه الفتوى بالرفض الشديد من قبل العوام وجمهور العلماء الذين ما كانوا يفرقون بين فرقة وأخرى في الحكم عليهم بالكفر، وكانوا يرون في هذه الفتوى تساهلا مع بعضهم ومشعرا بعدم الحرج الشرعي من مخالطتهم، الأمر الذي يوجب سد هذا الباب، معتبرين

أن الداخل في دعوتهم كافر، وإن لم يقل بقولهم، لتوليه الكفر. وأرسل الفقهاء إلى أبي إسحاق أن يعاود النظر، وأن يرجع عن قوله؛ فأبى ذلك. فأطلقوا عليه الفتيا بالتضليل والتبديع، وقال الشعراء قصائد تناولوا فيها الفتوى وصاحبها بالأذى والتبري وأنشدها الطلبة.

وقد أصدرت فتوى أبي إسحاق التونسي في وقت كان الأمير المعز بن باديس يعدّ العدة، ويهيّئ النفوس لإزالة المذهب العبيدي - الإسماعيلي الشيعي - من إفريقية، وقطع العلاقات مع الدولة الفاطمية العبيدية في مصر؛ فأمر بسجل في القضية من التبري من قوله، وأمر بقراءته يوم الجمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام 438 هـ/ 1046 م. ثم أمر بإحضاره في ذلك اليوم إثر الصلاة، وأحضر معه بعض الفقهاء الذين حكموا بأن يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس، وأن يقول: كنت ضالا فيما رأيت ورجعت عن ذلك. فاستعظم الأمر، وطلب ان يقول ذلك بينهم؛ فقنعوا منه بقول ذلك بمحضر الأمير وجماعة الفقهاء.

وقد أصابت الشيخ من ذلك غضاضة؛ فخرج في صبيحة يومه إلى منستير الرباط. ثم عاد إلى القيروان بعد أن سكتت القضية.

قال القاضي عياض [ترتيب المدارك، 8/ 62] مقيّما فتوى أبي إسحاق: «لا امتراء عنده منصف، أن الحق ما قاله أبو إسحاق؛ ولا امتراء أن مخالفته لرأي أصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة، وأن رأي الجماعة كان أسد للحال وأولى بعائدة الخير؛ وفتواه هذه أجرى على العلم وطريق الحكم؛ ومع هذا، فما نقصه هذا عند أهل التحقيق، ولا غض من منصبه عند أهل التوفيق».

تعرض أبو إسحاق في فترة من حياته إلى الخصاصة وقلّة ذات اليد، وبلغت منه الحاجة إلى أن آجر نفسه في طرح المبتة، وقد يكون حصل له ذلك في سفره للحج، أو بعد المحنة التي حدثت له بسبب الفتوى.

وقد توفي بالقيروان يوم الاثنين الثاني من ربيع الآخر 443 هـ/ 1051 م، وحضر جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم. ودفن بباب سلم. وقبره معروف إلى عهد ابن ناجي [معالم الإيمان، 3/ 180]. ورثي بمراث كثيرة منها مرثية ابن رشيق القيرواني، التي وصفها القاضي عياض بأنها قصيدة فريدة. ومنها:

يا للرزية في أبي إسحاق قد
ذهب الزمان بأنفس الأعلاق

ذهب الزمان بخاشع متبتِّلٍ
تبكي العيون عليه باستحقاق

■ آثاره

انشغل أبو إسحاق بالتأليف مع التدريس والرواية. ولكن يبدو أنّه قصر اهتمامه في التأليف على الفقه، إذ لم يذكر له المترجمون سوى كتابين موضوعهما في الفقه.

1 - «التعليقة»، وهو شرح على المدونة لسحنون بن سعيد التنوخي.

2 - تعليق على «الموازية»، لمحمد بن المواز. والكتابان متخصصان في الفقه المالكي، إذ هما شرحان على أهم كتابين من كتب المذهب، المؤلفة في القرن الرابع الهجري، على يدي تلاميذ أصحاب الإمام

مالك؛ الذين كان هدفهم من التأليف ابتداء، جمع شتات المذهب، بجمع وتدوين أقوال وآراء إمام المذهب وأصحابه.

وقد احتاج كل من الموازية والمدونة، فيما بعد عصر تأليفهما - كشأن غالب مصنفات تلاميذ أصحاب الإمام - إلى الدراسة: بتفسير مجمله، وحل مشكله، وإتمام ناقصه، وبيان احتمالات ألفاظه، وتفريق متداخله، والتفريع على أصول مسائله، وتنظيم أبوابه، وبيان تقديرات أحكامه، من وجوب، وندب، وحرمة، وكراهة، وإباحة، وصحة، وبطلان، ونحو ذلك، ومقارنة رواياته بروايات غيره؛ وهذا هو المراد من إطلاق لفظ الشرح أو التعليق لمثل هذه المصنفات.

وقد اكتسبت شروح أبي إسحاق التونسي قيمتها من أمرين: الأول، من مكانته العلمية وثقة أهل المذهب فيه. فقد وصف عياض [ترتيب المدارك، 8/ 58] شروحه وتعاليقه بالحسنة، والمستعملة، والمتنافس فيها. وتقدم ما قاله فيه الميروقي والعطار. الثاني، من قيمة الكتابين المشروحين، وما بذل فيهما من جهد في اعتماد أصحّ المسالك لتوثيق أقوال إمام المذهب وفتاويه وبيان قواعده وأصوله، وتدوين آراء كبار أصحابه. فالمدونة تعتبر أصحّ وثيقة في ذلك لاعتماد سحنون على عبد الرحمان بن القاسم، أجل أصحاب مالك، وأعلمهم باختلاف أقواله، والمتقدم والمتأخر منها، وبه كانت المدونة مقدمة على غيرها من الدواوين والمصنفات في المذهب [عياض، ترتيب المدارك، 3/ 300؛ ابن رشد، المقدمات الممهدات، 1/ 44-45]؛ والموازية تعتبر رابعة الأمهات والدواوين في المذهب، فقد بلغ من تقدير المالكية لهذا الكتاب أن رجحه أبو الحسن القابسي على سائر الأمهات [ترتيب المدارك، 4/ 169] لاعتماد صاحبها على كبار أصحاب إمام المذهب: ابن القاسم، وابن الماجشون، وابن عبد الحكم، وأصبغ.

المصادر والمراجع

● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1955، 5/ 8؛ ● الحجوي الثعالبي الفاسي، محمد بن الحسين، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار التراث، القاهرة، ط 1، 1396 هـ، 2/ 207؛ ● الدباغ الأنصاري الأسيدي، عبد الرحمن بن محمد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح إبراهيم شبوح ومن معه، المكتبة العتيقة، تونس، ومكتبة الخانجي مصر، ط 2، 1413 هـ/ 1993م، 3/ 177-180؛ ● ابن رشد القرطبي، محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ/ 1988م، 1/ 44-45؛ ● السبتي اليحصبي، عياض بن موسى، ترتيب المدارك، تحقيق مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف، المغرب 1403 هـ/ 1983م، 8/ 58-63؛ ● ابن فرحون اليعمري المدني، ابراهيم، الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص88-89؛ ● ابن قنفد القسنطيني، أحمد بن حسن، شرف الطالب في أسنى المطالب، تح. عادل

نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1971م، ص 244؛ ● محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1982 م، ط 1، 1/ 263-264؛ ● مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية، دار الفكر، ص 108-109؛ ● مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، 1/ 341-342؛ ● ابن ناجي، أبو القاسم بن عيسى، إكمال معالم الإيمان، مع معالم الإيمان، تح إبراهيم شبوح ومن معه، المكتبة العتيقة، تونس، ومكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1413 هـ/ 1993 م، 3/ 177-180.

الحبيب بن طاهر
وزارة الشؤون الدينية ـ تونس

ابن إسحق التونسي، أحمد بن علي

(القرن 7 هـ ـ 13م)

هو أحمد بن علي بن إسحاق التونسي، التّميمي، توفّي في مستهلّ المائة السابعة للهجرة/ القرن الثالث عشر الميلادي ذكره ابن خلدون في المقدمة، ط. مصر، 489؛ وابن البنّاء المرّاكشي في مقدمة كتابه منهاج الطالب لتعديل الكواكب؛ سوتر Suter، 142، رقم 356؛ Ibn Khaldoun, Prolegomenes, trad. De Slane, III, 149؛ الاسكوريال 1، 909؛ مكتبة الجزائر 1454، 63؛ فهرس E. Fagnan، ص 400؛ [حاجي خليفة يخلط بينه وبين ابن كمّاد ويتبعه في ذلك المنوني].

قدّمه ابن خلدون بقوله: «قد عوّل المتأخّرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن إسحاق، من منجّمي تونس في أول المائة السابعة، ويزعمون أنّ ابن إسحاق عوّل فيه على الرصد، وأنّ يهوديا بصقلية، ماهرا في الهيئة والتّعاليم، وكان ممن يُعنى بالرّصد، كان يبعث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها، فكان أهل المغرب لذلك عنوا به، لوثاقة مبناه على ما يزعمون، ولخّصه ابن البنّاء في آخر سمّاه «المنهاج»، فولع به النّاس لما سهل من الأعمال فيه، وإنّما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبني عليها الأحكام النّجومية، وهو معرفة الآثار التي تحدّث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان من الملك والدّول والمواليد البشرية».

وتدلّ عبارة ابن خلدون ذاتها أنّ زيج ابن إسحاق تلاشى وفقد في عهده. وبقي هذا

الزيج في عداد المفقودات زمنا طويلا، إلى أن ساعد الحظ أخيرا الباحث أ. كنغ A. King، إذ عثر بين مخطوطات حيدر آباد، على نسخة من زيج ابن إسحاق. وهو عمل بديع في 400 صفحة من بينها 360 جدولا فلكيا تخصّ مشاهدات وأرصادا متنوعة. ويمثّل هذا الزيج الحلقة المفقودة من أعمال الفلك المغربي، وحرر، فيما يبدو سنة 1218م (وبالتاريخ الهجري قيد = 614)، بمدينة تونس، وحسبت جداوله في الفلك الكروي بطول مدينة تونس. على أنّ باقي الجداول يتبع طول طليطلة، ونقلت نقلا عن أعمال أندلسية، ويبرر ابن إسحاق ذلك بكون بنية الجداول بنية عامّة، لا تتأثر بما اتخذ من أصل من دوائر الزّوال، واختيار الدّائرة اختيار اعتباطي، فيمكن صرف نتائج طليطلة إلى غيرها من المدن بمجرّد عملية لتغيير الأصل.

وكثيرا ما كان ابن إسحاق يحيل على أعمال الزرقالي بطليطلة (سنة 1070) وابن الكمّاد (إشبيلية 1150 م)، وابن الهيثم (إشبيلية 1200)؛ كما يسجّل عددا من أرصاده الذاتية الخاصة، كتقديره للميل الكلّي (أي ميل فلك البروج على خطّ الاستواء) بالنسبة إلى تونس سنة 588 هـ/ 1192 م.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن من أوّل ما ظهر من الأزياج بأوروبا ما حرر منها بالدانمارك في القرن الثالث عشر الميلادي، إذن تمّ التواصل مع الأزياج العربية وأكملت الحلقة في الأرصاد الفلكية، وستنتهي إلى أرصاد تيكوبراهة وقوانين كبلار ونيوتن المتعلقة بحركات الكواكب السيارة.

وممّا يبدو بالعودة أيضا إلى مخطوط الأسكوريال ومخطوط الجزائر 1445 (الذي يختتم بالملاحظة الثمينة: نسخة بخطّ المصنّف: رصد أبي إسحاق التونسي لحركة الكواكب التي عليها هذا الزيج سنة (حيط = 619 للهجرة/ أي فيفري 1222 م)، أن المصنّف ينقسم إلى 24 بابا ويشتمل على 55 جدولا، منها: الباب الأول: في التواريخ، الباب الثاني: استخراج تاريخ الرّوم من تاريخ العرب..، الباب الثاني عشر: معرفة مطارح الشعاع، الجدول الأول: ما بين التواريخ، الجدول الثاني: علامات شهور العرب...، الجدول الرابع: حركة رأس الحمل في السنين العربية...، الباب الخمسون: مطالع البروج على الأفق الشرقي من مدينة فاس، الباب الخامس والأربعون: أزمان الساعات بمدينة فاس.

آرشارة

زيج ابن إسحق، عثر عليه أ. كنغ بين مخطوطات حيدرآباد، ومنه نسخة في الأسكوريال، والأصل موجود في الجزائر برقم 1445... إلخ.

المصادر والمراجع

يضاف إلى ما سبق: • محمد سويسي، دور تونس في تطوّر العلوم والحضارة في العهد الإسلامي، مجلة «أعلام ومعالم»، تونس 1977، ص 116؛

- Driss Lamrabet, Introduction à l'histoire des Mathématiques Maghrebines, Rabat, 1994, No 368 p.76-77; • M. Comes, A propos de l'influence d'az- Zarqa-

lah en Arique du Nord, l'apogée solaire et l'obliquite de l'ecliptique dans le «Zidj» d'Ibn Ishaq [las actas del IIe coloquio Hispano - Marroqui de ciencias Historicas (Granada, 1989); • Al-Zarqali, Dictionary of Scientific Biography, 14 (1976), p.112-113 et p.592-595; • Marmol, Obra de Zamquel, «Hommage à Georges Vadja», Louvain 1980, p.151-154.

د. محمد سويسي
الجامعة التونسية

ابن إسحاق، أبو عبد الله محمد بن إسحاق

(85 هـ / 407 م - 151 هـ / 768 م)

أبو عبد الله، وقيل أبو بكر، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المديني، المطلبي القرشي بالولاء، مولى قيس بن مخرمة بن المطّلب بن عبد مناف، كان جدّ أبيه خيار وجدّه يسار من بين أسرى عين التمر، وهي بلدة تقع بالقرب من الأنبار غربي الكوفة فتحها المسلمون في خلافة أبي بكر الصديق رضي اللـه عنه، سنة (12 هـ/ 633م)، على يد خالد بن الوليد، وأعتق يسار وأبوه خيار بعد اعتناقهما الإسلام وصارا من الموالي.

وأنجب يسار بن خيار ثلاثة ذكور برع اثنان منهما في دراسة الحديث والفقه، فكان إسحاق بن يسار من المحدّثين، وروى أخوه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي اللـه عنه، وتزوّج إسحاق ابنة أحد الموالي ويدعى صبيح، فأنجبت له في سنة (85 هـ/ 704 م) مولودا ذكرا هو محمد - وكان مولده بالمدينة المنوّرة - وقد ظهر عليه النبوغ في وقت مبكّر، وتتلمذ على يدي والده وعمّه، فتلقّى عنهما الحديث والفقه، ثم تتلمذ على أعلام المحدثين في المدينة المنوّرة مثل: عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان، ومحمد بن إبراهيم، والأعمش، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ونافع مولى عبد اللـه بن عمر، وعطاء والقاسم بن محمد، وعبد الرحمن بن الأسود، وسالم بن عبد اللـه بن عمر، وأدرك أنس بن مالك وسعيد ابن المسيّب، وقد أحصى الرواة الذين أخذ عنهم في المدينة المنوّرة فبلغوا نحو المائة، كما تتلمذ على يد إمام علماء السيرة محمد بن شهاب الزهري.

ولم يكتف محمد بن إسحاق بتلقّي العلم في المدينة المنوّرة فقط، فارتحل إلى مصر لطلب العلم حيث وصل إلى الإسكندرية سنة

115هـ/ 733م حيث درس على أيدي جماعة من العلماء منهم: عبيد اللـه بن المغيرة، ويزيد ابن قزمان، والسكن بن أبي كريمة؛ وعاد محمد بن إسحاق إلى المدينة المنوّرة، فأجازه شيخاه محمد بن شهاب الزهري، وسفيان بن عيينة وشهدا بكفاءته في علم الحديث. واختلف محمد بن إسحاق مع اثنين من كبار علماء المدينة المنوّرة، في الحديث وهما: مالك بن أنس، وهشام بن عروة اللذين طعنا في علمه، واتهماه بأنّه كان قدريًا من المعتزلة، كما اتّهم بملازمته لعبد اللـه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (والد محمد النفس الزكيّة)، ويقول المؤرخون أنّ خلافه مع مالك وهشام كان السبب في ترك محمد بن إسحاق المدينة المنوّرة والتوجّه إلى العراق حيث تنقّل بين الكوفة والجزيرة والريّ والحيرة وبغداد، والتقى بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. وتروي المصادر أنّ محمد بن إسحاق عندما دخل على الخليفة المنصور وكان اللقاء في بغداد - وقيل بل كان في الحيرة - وبين يديه ابنه المهدي، قال له المنصور: «هل تعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين، قال: اذهب فصنّف له كتابا منذ خلق اللـه تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا»، لذلك ألّف ابن إسحاق كتاب «المبتدأ والمبعث والمغازي»، وهناك من يرى أنّ ابن إسحاق إنّما ألّف هذا الكتاب في المدينة المنوّرة وقبل أن يتوجّه إلى العراق، لأنّ جميع من روى عنهم من علماء المدينة المنوّرة ومصر، وليس فيهم أحد من العراق. كما ذكر في كتابه أحداثا لم يكن العباسيون ليرضوا عنها، مثل حديثه عن اشتراك العباس بن عبد المطلب في غزوة بدر مع الكفار وأسره، وهو الخبر الذي حذفه ابن هشام من بعد، وظلّ محمد بن إسحاق مقيما بالعراق حتّى وافته المنيّة ببغداد سنة 151 أو 152 أو 153 هـ/ 768 أو 769 أو 770 م.

اختلف العلماء والمؤرخون حول ابن إسحاق، وتراوحت آراؤهم ما بين قادح ومادح، أو مجرّح ومعدّل، فمن المجرحين: مالك بن أنس الذي قال عنه: «ابن إسحاق كذّاب ودجّال من الدجاجلة»، وروي عن أحمد بن حنبل قوله: «ابن إسحاق ليس بحجّة». وممّن جرّحه أيضًا هشام بن عروة، ويعقوب بن شيبة، وسليمان التيمي، والدار قطني. ويقول ابن النديم في الفهرست عن ابن إسحاق: «ويقال كان يعمل الأشعار ويؤتى بها، ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر. وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه. وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسمّيهم في كتبه أهل العلم الأول».

أما المعدلون فمنهم ابن عدي الذي يقول عن ابن إسحاق: «ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلاّ أنّه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول اللّه ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجدها تهيّئ أن يقطع عليه بالضعف، وإنما أخطأ واتّهم في الشيء بعد الشيء كما يخطىء غيره».

ويذكر المعدّلون أنّ مسلما أخرج له بعض الأحاديث في المبايعات، واستشهد به البخاري في غير موضع، كما روى له أبو

داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال عنه ابن معين: «ابن إسحاق ثبت في الحديث»، وقال أبو زرعة: «قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه».

ويقول المتوسطون في الرأي، ومنهم أحمد بن حنبل الذي ذكرنا ما نسب عنه في تجريح ابن إسحاق قوله: «حسن الحديث»، أو قوله: «هو صالح الحديث، ما له ذنب عندي إلاّ ما روى في السيرة من الأخبار المنكرة»، وقال عنه محمد بن عبد الله بن نمير: «كان ابن إسحاق يرمي بالقدر، وكان أبعد الناس عنه»، وقوله: «إذا حدّث عن المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة»، وعن كتاباته في السيرة يقول ابن نمير: «روى في السيرة عن المجهولين ما لا يحترمه الصدق، وروى أيضًا ما ينفح بطيب الحق».

ورغم كل ما قيل يبقى ابن إسحاق أوّل من جمع سيرة الرسول ﷺ وأوصله ذلك إلى ذروة المجد والشهرة، عن طريق ابن هشام الذي اختصر سيرة ابن إسحاق لأسباب أشار إليها في مقدّمته.

آثاره

من أهمّ كتب محمد بن إسحاق:

1 - كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، قسم ابن إسحاق هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: المبتدأ والمبعث والمغازي، تناول في المبتدأ التاريخ قبل الإسلام، وقسّمه إلى أربعة فصول، **أوّلها** عن تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام، **والثاني** عن تاريخ اليمن قبل الإسلام، **والثالث** عن تاريخ القبائل العربية وعباداتها، وأشار في هذا الجزء إلى بعض قبائل العرب البائدة مثل عاد وثمود كما أشار إليها القرآن الكريم، كما يروي أخبارا تتعلّق بغيرها من قبائل العرب التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم مثل طسم وجديس. **والرابع** عن تاريخ مكّة وأجداد الرسول ﷺ. أمّا المبعث، فقد تناول فيه سيرة الرسول ﷺ في مكّة وبعد الهجرة، وقدّم إلى جانب ذلك العديد من القوائم مثل: قائمة بالمؤمنين الأوائل، وقائمة بالمهاجرين إلى الحبشة، وقائمة بأول من أسلم من الأنصار، وقائمة بالمهاجرين والأنصار الذين تلقوهم في المدينة، وقائمة بالأنصار والمهاجرين الذين آخى بينهم الرسول ﷺ. وقد تناول في المغازي حياة الرسول ﷺ في المدينة.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1997م؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة 1998 م؛ ● القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة، دار الكتب المصرية 1369 هـ/ 1950-1973 م؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر د. ت؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف بمصر، سنة 1968 م؛ ● فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر.

عرفة مصطفى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1408 هـ/ 1988م؛ ● أبو فيد السدوسي، كتاب الأمثال، تح. أحمد بن محمد الضبيب، الرياض، مطابع الجزيرة 1390 هـ/ 1970م، المقدّمة؛ ● زلهايم رودولف، الأمثال العربية القديمة، تر. رمضان عبد التواب، بيروت 1390 هـ/ 1970م، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة.

د. عبد الرحمان الأنصاري
جامعة الملك سعود

ابن إسحاق، يحيى النصراني

(القرن 4 هـ - 10 م)

يحيى بن إسحاق، طبيب أندلسي، وهو ابن الطبيب إسحاق النصراني النحلة الذي كان يعيش بقرطبة Cordoba في عصر الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/ 888-912م). وقد اعتنق ابنه يحيى الإسلام، وأتقن مهنة الطب على يد والده، وحذق فيها، وعلا نجمه في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م).ولم يكتف هذا الخليفة بالاعتماد عليه في الطب فحسب، بل ولاّه الولايات العديدة، والوظائف العالية، فأصبح أحد وزرائه في صدر خلافته. ثم ولاّه قيادة مدينة بطليوس Bodajoz في غرب الأندلس، مما يدل على شدة اعتماده عليه. وبالنسبة للطب، كان الخليفة الناصر يثق به كثيرًا، ويأتمنه على بناته وحريمه، ويبعث في طلبه من بطليوس لعلاج الحالات الطارئة.

ويعرض أبو سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل في ترجمته لهذا الطبيب إلى ذكر بعض الشواهد التي تدل على قوة ملاحظته الطبية، وعلاجه لبعض الحالات المستعصية التي تدل على حدس صحيح، وقريحة صادقة حسنة. وكان ابن اسحاق لا يكتفي بعلمه وخبرته فحسب، بل يطلب في بعض الأحيان مشورة من هو أدرى بعلاج بعض الحالات، من ذلك مثلاً استشارته لرهبان بعض أديار النصارى لهذا الغرض، مما يدل على عناية خاصة بالبحث والاستقصاء، والمواصلة الدؤوبة لزيادة خبرته.

آثاره

ليحيى بن إسحاق كتاب كبير في الطب، أشار إليه ابن جلجل، على أنه كناش من خمسة أسفار، ألفه على مذهب الروم، يسمّى الإبريشم. وهذا الأمر يدل على أنه كان على اطّلاع على المؤلّفات الطبية الإغريقية وقد فُقِدت كتبه، وكذلك لم تشر المصادر المتوفّرة إلى تاريخ وفاته.

المصادر والمراجع

● ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح. فؤاد سيّد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية 1955، ص100؛ ● صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح. حياة العيد بوعلوان، بيروت، دار الطليعة، 1985م، ص187؛ ● الضبي، بغية الملتمس، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد 1884، ص43؛ ● القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزك 1903، ص359-360؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح. نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965، ص488-489؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 13/ 186.

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل - العراق

أسد السنة، أسد بن موسى بن ابراهيم

(132 هـ / 750 م - 212 هـ/ 827 م)

أسد بن موسى بن إبراهيم بن الخليفة، الوليد بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي المرواني المصري، المعروف بأسد السنة، محدّث وحافظ.

ولد أسد بالبصرة، وقيل بمصر، فنشأ، وطلب العلم، ولقي الكبار، وسافر، وجمع وصنّف. رحل إلى طلب الحديث، ونزل بمصر التي توفي بها في شهر محرم سنة اثنتي عشرة ومائتين، وقد عاش ثمانين سنة [كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص 241؛ الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 298؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 27؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص187؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 461 - 462].

هو أحد الثقات الأكياس، والعلماء الأثبات، قال عنه الإمام البخاري: هو مشهور الحديث. وقال عنه الإمام النّسائي: هو ثقة ولو لم يصنّف كان خيرا له. وقال عنه ابن حجر: صنف في فضائل الشيخين.[الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 298؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 27]؛ وقال ابن يونس: روى أسد أحاديث منكرة، وكان ثقة، وأحسب الآفة من غيره؛ وقال العجلي: هو ثقة؛ وقال ابن حزم الأندلسي الظاهري في كتاب «الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والإجماع»: هو ضعيف، ذكره في كتاب الزكاة؛ وقال ابن دقيق العيد المتوفى سنة 702 هـ في كتابه

«الإلمام في أحاديث الأحكام»: يقال إن أسدا أول من صنف في المُسند.
وقال الخليلي: مصري صالح، [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 461؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مجلد 1، ص 260].
روى أسد بن موسى عن شعبة بن الحجاج، والليث بن سعد، وشيْبان النحوي، وعبد الرحمن المسعودي، ويونس بن أبي إسحاق وهو أسن شيخ له، وابن أبي ذئب، وفُضيل ابن مرزوق، وحمّاد بن سَلَمَة، وعبد العزيز ابن الماجشون، وعافية بن يزيد القاضي، وجرير بن عبد الحميد، ومعاوية بن صالح، وغيرهم [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 461؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مجلد 1، ص 260].
حدث عنه: أحمد بن صالح المصري، وعبد الملك بن حبيب الفقيه، والربيع بن سليمان المرادي، والربيع بن سليمان الجيزي، وولده سعيد بن أسد، والمقدام بن داود الرُّعيني، وأبو يزيد يوسف بن يزيد القراطيسي، وغيرهم .[الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 461؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مجلد 1، ص260].

■ آثاره

1 - كتاب الزهد؛ 2 - مصنف في فضائل الشيخين؛ 3 - المسند ويقال: هو أول من صنّف المسند [الزركلي، الأعلام، ج 1، ص298؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص27؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص 241].

■ المصادر والمراجع

● ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852 هـ)، تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت، ج 1، ص 260؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين العَمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1417 هـ/ 1997 م) [ج 8، ص461 ـ 462]؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (طبعة عاشرة، سنة سبتمبر 1992)، ج 1، ص 298؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات من ذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ج 2، ص 27؛ ● ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء، البداية والنهاية، تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، (1419 هـ/ 1998 م) ج 14، ص 187؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص 241.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

الأسدي، أحمد بن محمد

(1035 هـ/ 1625 م - 1066 هـ/ 1656 م)

الشيخ أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي، ولد بمكة المكرمة سنة 1035هـ ونشأ فيها. ويعود في نسبه إلى أحد فقهاء اليمن أسد بن عامر، ولذلك سمي الأسدي. وينتمي هذا الجد إلى قبيلة بني خالد، التي كانت ديارها في نواحي جازان من بلاد اليمن، تلقى علومه في مكة، ولم يعرف عنه أنه غادرها إلى غيرها من المدن سواء في جزيرة العرب أو ما جاورها من البلدان، كما هي عادة العلماء في طلب العلم من خلال الرحلة. ورغم شهرته لم يعرف عنه أنه ارتبط بشرفاء مكة، حكام البلد الحرام، أو أنه اتصل بالشخصيات السياسية أو العلمية التي كانت تحج إلى البيت الحرام، ويعود هذا على الأرجح إلى ما وصف به من ورع وحب للعزلة، رغم أن نبوغه كان منذ ريعان الشباب، حيث تبرز إلى العيان طموحات الإنسان ورغبته في تحقيق الأماني على كافة الأصعدة.

أما أبرز أساتذته الذين أخذ العلم عنهم فقد كانوا: الشمس محمد بن علان (ت1057هـ/ 1647 م) والذي كان علم علماء عصره فقهًا وحديثًا وتفسيرًا ولغةً وتأليفًا، حتى قيل عنه إنه شبيه جلال الدين السيوطي، فضلاً عن الإمام علي بن عبد القادر الطبري (ت 1075 هـ/ 1664 م) والذي كان إمامًا في الفقه الشافعي، وكان يتولى أمر الفتوى والتدريس في الحرم، وألف كتابًا في تاريخ مكة. أما أستاذه الثالث فهو محمد الطائفي (ت 1052 هـ/ 1942 م) فقد كان علمًا في الفقه الشافعي، إضافة إلى قيامه بالتدريس في المسجد الحرام [المحبي، خلاصة الأثر، 1/ 325-327، 161-166، 4/ 22، 184-189].

ولم يشر من ترجموا للأسدي إلى تلاميذه الذين أخذوا عنه وهم كثر، لاسيما في علم القراءات الذي قام بتدريسه في المسجد الحرام، أو عن علاقته معهم وطريقة تدريسه، أو الكتب التي كان يدرسها في هذا العلم. كانت وفاة الأسدي في ريعان شبابه، ودفن بالشبيكة في مكة 1066هـ/ 1655 م عن عمر ناهز الحادية والثلاثين من العمر. وقد عرف عنه تمكنه من علم القراءات، وفقه اللغة والشعر والتاريخ.

آثاره

1 - قلائد النحور بنظم الشذور لابن هشام في النحو، ويشير البغدادي إلى أن قلائد النحور قد شرحها فيما بعد محمد نهالي الحلبي [إيضاح المكنون، 1/ 239]؛ 2 - أخبار الكرام بأخبار البلد الحرام؛ 3 - طبقات الشافعية [كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 81]؛ 4 - إتحاف الكرام بفضائل الكعبة الغراء والبلد الحرام، وهو اختصار كتاب أخبار الكرام، وتوجد نسخة

منه في خزانة الرباط، المجموع 1141 كتاني [الزركلي، الأعلام، 1/ 238]؛ 5 - له شعر منه:

دع المدامة يعلو فوقها الحبب
وثنايـاه لنـا أرب

نزه فؤادك عن راح الكؤوس وخذ
راحًا من الثغر عنها يعجز العنب

كيف السلوّ وعيني كلما نظرت
لوامع البرق قالت زالت الحجب

كما مدح شيخه الإمام علي عبد القادر الطبري بقصيدة منها:

من أين للبدر جزء من محيّاك
أم للصباح نصيب من ثناياك

والبدر يزريه ما يعلوه من كلف
والصبح يكفيه أن يدعى بأفّاك

كل المحاسن في مرآك قد جمعت
فجلّ من بجلي الحسن حلاك

ويظهر من هذه القصائد القليلة أن الأسدي كان شاعرًا غير متكلّف، ورزق ملكة شعرية طيّبة.

المصادر والمراجع

● المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، المطبعة الوهبية، 1284هـ/ 1867م، 1/ 161-166، 325-327، 4/ 33، 184-189؛ ● البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، 1951 م، عن طبعة طهران، 1387 هـ/ 1947م، 1/ 160؛ ● البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، 1945، مكتبة المثنى، عن طبعة إستانبول، 1/ 256؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1376 هـ/ 1957، مطبعة الترقي، 2/ 81؛ ● الزركلي، الأعلام، ط14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 1/ 238.

د. رعد محمود البرهاوي
دار المعلمات - الموصل

الأسدي، أيمن بن خُريم

(..... هـ / ..... م - نحو 80 هـ / نحو 700 م)

هو أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد: كان أبوه قد صحب النبي ﷺ وروى عنه أحاديث. شاعر أموي، كان فارساً شريفاً، وكان يدعى «خليل الخلفاء» لإعجابهم في تحديثه لفصاحته وعلمه.

غزا مع يحيى بن الحكم، وانصرف عنه إلى عبد العزيز بن مروان، لأن يحيى أصاب جارية بها وضح - وكان الشاعر أبرص -، فقال: أعطوها أيمن بن خريم، فغضب أيمن، وقال في الموضوع شعراً. كان أثيراً عند عبد

العزيز، غير أنه لمّا فضّل عليه الشاعر «نُصيباً»، وقال له: «هو و الله أشعر منك» غضب أيمن، وقال له: «أنت طِرْف» الطرف (بكسر الطاء وسكون الراء): الذي لا يثبت على امرأة و لا صاحب ملولة»، فأجابه عبد العزيز - وقد كان يواكله على ما به من وضح -: «أنا ملولة وأنا أؤاكلك؟»، فانصرف أيمن عنه ولحق ببشر بن مروان، فأكرمه واختصه، لكنه لم يكن يواكله.

أعطاه عبد الملك بن مروان مالاً ليقاتل ابن الزبير، فأبى وقال:

ولستُ بقاتل رجلاً يصلّي
على سلطانِ آخر من قريش
أأقتل مسلماً وأعيش حيّاً
فليس بنافعي ما عشت عيشي ؟!

وكانت له مع عبد الملك قصة طريفة تتصل بالنساء ، افتخر أيمن فيها بقوله معهن في حين كان الآخر ضعيفاً في شيخوخته ، فغضب منه بدءاً ، ثم رضي عنه بعد أن توسطت زوج أيمن عند زوج عبد الملك ، وجعلته يدخل اليه ويعكس القصة عمداً، وينقض كلامه الاول، ثم انشده قصيدته التي مطلعها:

لقيت من الغانيات العجابا
لو ادرك مني الغواني الشبابا !

فقال له عبد الملك: «ما وصف النساء أحد مثل وصفك، ولا عرفهن أحد معرفتك».

ليس لأيمن ديوان شعر، بيد أن الطيب العشّاش جمع ما بقي من شعره ودرسه، وهو ينم على شاعرية تتصف بالسهولة الجزلة في المدح لا سيما في مدح بشر بن مروان وفي النساء، حتى إن عبد الملك ابن مروان، قال: يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الأجاج، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم:

نهاركم مكابدة وصوم
وليلكُمُ صلاة واقتراء

المصادر والمراجع

● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972، ج. 20، ص307-314؛ ● الخالديان، المختار من شعر بشار، عناية بدر الدين العلوي، دار المدينة، بيروت (د.ت)، ص211-212؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة 1980، ج. 2 ، ص35؛ ● ابن سعد، الطبقات الكبرى، تح. علي محمد علي، الخانجي، القاهرة 2001، ج. 6، ص159 - 160؛ ● العشّاش، الطيب، أيمن بن خُريم الأسدي، أخباره وأشعاره، حولية الجامعة التونسية، العدد 9-1972، ص 101- 149؛ ● بابتي، عزيزة فوال، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر، بيروت 1998، ص 54؛ ● العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، المطبعة الشرقية، القاهرة 1907، ج. 2، ص109-110؛ ● العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح. علي محمد البجاوي

ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1952، ص 98 -100؛ ● الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1966، ج. 1، ص 541 - 543؛ ● م.ن، عيون الأخبار، مصورة دار الكتب المصرية (تراثنا)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة (د.ت) ج. 1، ص 164 وج. 4، ص 102؛ ● ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تح. كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد 1963، ص 215-218؛ ● المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، تح. علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة 1965، ص 346 - 349.

د. يوسف بكار
جامعة اليرموك ـ الأردن

الأسدي، أبو محمد خلف بن هاشم

(150 هـ / 767 م - 229 هـ / 844 م)

خلف بن هشام بن ثعلب، ذكر بعضهم أنه خلف بن هشام بن طالب بن غراب. وكنيته: أبو محمد، وينسب إلى بغداد، فيقال: البغدادي، مع أنه كانت نشأته في أهل فم الصلح، وهذا نهر كبير فوق واسط، بينها وبين جَبُّل، عليه عدة قرى؛ وفيه كانت دار الحسن بن سهل، وزير المأمون، وقد نُسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم [ياقوت الحموي، معجم البلدان]، لكنه عُدَّ من أهل بغداد التي أقام فيها من بعد، وتأهل ليكون أحد القراء العشرة الكبار المعروفين، فعرف بلقب المقرىء، كما عرف كذلك نسبة إلى مهنته التي كان يتكسب منها في بداية حياته بالبزّار، إذ كان المقربون منه يعرفون عنه بيع البزر.

سمع خلف بن هشام عددًا كبيرًا من الأئمة، والعلماء الفقهاء، والقراء، ومنهم: الإمام مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وأبو عوانة [طبقات الحنابلة 1/ 153، معرفة القراء الكبار 1/ 208]، وأبو معاوية، وخالد بن عبد الله، وشريك بن عبد الله، وحبان بن علي، وأبو الأحوص سلام بن سلم، وأبو شهاب عبد ربه الحناط، وهشيم [تاريخ بغداد 8/ 322، رقم 4417]، وحماد بن يحيى الأربح.

وكان إمامًا في القراءة، علمًا بين القراء العشرة وفي مضمار القراءات وحروفها. روى الحروف جميعها، ولكنه آثر حرف نافع عن اسحاق المسيبي، وقراءة أبي بكر عن يحيى ابن آدم. كما أنه روى رواية ابن قتيبة عن عبيد ابن عقيل من طريق ابن شنبوذ المطوعي أداء

وسماعًا. وسمع أيضًا الكسائي ولكنه لم يُعرَف عنه أنّه قرأ عليه القرآن. ويذكر كذلك أنه قرأ على أبي يوسف الأعمش لعاصم.

وتمّ له بذلك التعمّق في القراءات المختلفة التي أخذ من كل منها بنصيب؛ وتجمع أكثر المصادر على القول بأنه، أي خلف بن هشام، كان أحد الرواة عن سُلَيم بن عيسى عن حمزة بن حبيب. فقد أخذ القرآن عرضًا عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، وأبي زيد الأنصاري عن المفضل الضبي. ومع أنه كان يميل إلى مذهب حمزة في القراءات إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفا في اختياره، فكانت له قراءة خاصة اختارها لنفسه، وقرّت عينه بها، واشتهر بها لوحده، وقد وثّق له ابن معين، والنسائي، والدارقطني.

صار لخلف بن هشام عدد كبير من المريدين والتلاميذ ممن قرؤوا عليه، ورووا عنه، وغدوا من أصحاب الشهرة والصيت الذائع من بعده، وعرفوا بالثقة والأمانة. ويُذكر منهم أحمد بن يزيد الحلواني، ووراقه: أحمد بن إبراهيم، وكذلك محمد بن يحيى الكسائي الصغير، كما كان يعرف، وعباس الدوري، والبخاري. وتذكر المصادر كذلك إدريس بن عبد الكريم المعروف بالحداد، ومحمد بن الجهم السمَّري، وسلمة بن عاصم، وغيرهم.

وحدّث عنه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، من مثل: عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن إبراهيم بن إبّان السراج، وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم البغوي، وابن معين، والنسائي، ومحمد بن أحمد بن البراء، وإبراهيم الحربي، وموسى بن هارون، والحسين بن فهم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، والحسن بن سلام.

وكان عالمًا بالحديث، يُشهد له بالصدق والأمانة بذلك، وقد روى عن الإمام مالك بن أنس. ويذكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد، 8/ 322] من الأحاديث التي رويت عن خلف بن هشام، على سبيل المثال: «أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا شريك عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ رجم يهوديًا ويهوديّة». وقال عبد الله: «حدثنا خلف أيضًا، قال: حدثنا سليمان بن محمد المباركي، حدثنا شريك عن سماك عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ رجم يهوديًا ويهودية». رواه خلف بن هشام عن شريك نفسه مقطوعًا، وعن المباركي عن شريك موصولاً.

كان تلامذته ومعارفه المقربون يذكرونه بصفات تؤكد أنه الثقة الأمين، وأنه صدوق، عابد، فاضل. وكان آخر من روى عنه ابن منبع الذي كان يلازمه طوال تتلمذه عليه، ولا ينقطع عنه وعن مجالسته والانتفاع منه. ويذكر هذا عن خلف بن هشام أنه أعاد صلاة أربعين سنة كان خلف خلالها يتناول النبيذ على مذهب الكوفيين، مكفرًا عن ذنبه، سائلا الله أن يغفر له، وأن يرضى عنه. وقد أكد الإمام أحمد بن حنبل ما قيل عن خلف أنه كان يشرب حين سئل الإمام عن ذلك، إذ أجاب جازمًا: «قد انتهى إلينا علم هذا عنه، ولكنه

هو والله عندنا الثقة الأمين، شرب أو لم يشرب». وتنسب المصادر إلى خلف بن هشام نفسه رواية لمحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وهو أحد تلامذته، كما مرّ بنا، يقول فيها إن الإمام أحمد كان عند خلف يستمع إليه، ويأخذ عنه، وكان معه ثلّة من رفاقه الصالحين، من بينهم زهير بن حرب أبو خيثمة، ويحيى بن معين. فقال خلف لمحمد ابن يحيى: من رأيته خرج من عندي؟ قلت فلان... فقال: إنه كان قدامي قنينة فيها نبيذ. فلما رأتهم الجارية جاءت تبعدها. فقلت: لِمَ هذا؟ فقالت: يا مولاي جاء هؤلاء الصالحون فيرون هذا عندك. فقلت: أضيف إليها أخرى يرى الله عز وجل شيئًا فأكتمه عن الناس؟ وأردت أن أنظر إلى عقل هذا الفتى، يعني أحمد بن حنبل، فحوّل ظهره إليها (القنينة)، وأقبل علي يسألني عما يريده. فقلت له لما أراد الانصراف من بين القوم كلهم: أي شيء تقول في هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: ليس ذاك إليّ، ذاك إليك. فقلت: كيف؟ فقال: قال النبي: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. والرجل راع في منزله ومسؤول عما فيه. وليس للخارج أن يغير على الداخل شيئًا. قال خلف ابن هشام: فلما خرج أحمد بن حنبل سكبت خابيتين من النبيذ، وعاهدت الله على أن لا أذوقه حتى أُعْرَضَ على الله عز وجل. وقال أبو جعفر النفيلي: خلف بن هشام كان من أصحاب السُّنَّة لولا بلية فيه شرب النبيذ.

كما يروى أن سبب إقلاعه عن احتساء النبيذ يعود إلى ابن أخت له. فقد كان هذا يقرأ على خاله خلف سورة الأنفال حتى بلغ الآية الكريمة ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الانفال: 37] فقال ابن الأخت: يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب، أين يكون الشراب؟ فنكس الخال رأسه طويلاً، ثم قال: مع الخبيث. فقال ابن الأخت: فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث؟ فأجابه خلف: يا بني امض إلى المنزل، فأصيب كل شيء فيه، وترك الشراب، وأعقبه بالصوم، فكان يصوم الدهر إلى أن مات. كما حدث محمد ابن الحسن بن زياد النقاش الذي سمع إدريس ابن عبد الكريم، تلميذ خلف، يقول: إن خلف ابن هشام يشرب من الشراب على التأويل، ثم يتحدث عن حكايته مع ابن أخته. ويذكر عن خلف أنه كان محبًا للعلم، ولا سيما لعلم النحو الذي كان المعين الأول للقراء، وعليهم أن يكونوا ضليعين به. ويذكر حمدان بن هانيء المقرىء في هذا الصدد أنه سمع خلف بن هشام يقول إنه أنفق ثمانين ألف درهم حتى حذق بابًا من أبواب النحو كان قد أشكل عليه.

ويقال عنه أنه كان في مجلسه يبدأ بأهل القرآن، فقد كان يفضلهم على سواهم من تلامذته ومريديه، ثم يأذن للمحدثين الذين كانوا يؤمون مجلسه، وكان ذلك يُعَدُّ نبلاً في طبعه؛ كما يقول ورّاقة أحمد بن إبراهيم، وقد سمعه يقول: «قدمت الكوفة فصرت إلى سُلَيم (أستاذي) فقال (سليم): ما أقدمك؟ فقلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش. فقال: ألا تريده؟ قلت: بلى. فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبي بكر. وكان خلف ابن سبع عشرة سنة. فأتيناه. فقرأ الورقة وصعّد النظر فيَّ. ثم قال: أنت خلف؟ قلت: نعم. قال: أنت لم تخلف ببغداد أحدًا أقرأ منك؟ فسكتُّ. فقال لي:

اقعد. هات أقرأ. قلت: عليك؟ قال: نعم. قلت: لا والله لا أقرأ على من يستصغر رجلاً من حملة القرآن. ثم خرجت. فوجّه إلى سليم يسأله أن يردّني. فأبيت، ثم ندمت، واحتجت فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش.

كما يروي خلف قصة مقابلته لسليم أول مرّة من قبل أن يقصده ليقرأ عليه، ويتتلمذ له. فقال له سليم: بلغني أنك تريد الترفع في القراءة، فلست آخذ عليك شيئًا. ولم يُعِرْهُ اهتمامًا، أو يكترث لوجوده. فكان خلف يحضر مجلسه أيامًا رغم ذلك، ويصر على الاستفادة من الشيخ. فبكّر يومًا في الغلس، وجلس أمامه في المقدمة من دون أن يلفت انتباهه. فطلب إليه الأستاذ من دون أن يتعرّف إليه أن يقرأ، إذ قال: مَنْ ههنا يتقدم يقرأ. فقرأ خلف مستفتحا سورة يوسف، وهي من أشد القرآن إعرابًا. فتوجه إليه سليم بالسؤال: من أنت؟ فما سمعت أقرأ منك. وعندما عرّفَ عن نفسه، قال له سليم: فعلتها، ما يحل لي أن أمنعك، اقرأ. قال: فكنت أقرأ عليه... فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: 7] بكى بكاءً شديدًا، ثم قال لي: يا خلف أما ترى ما أعظم حق المؤمن، تراه نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له، حدثني حمزة الزيات... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق مائة رحمة، فأنزل منها رحمة على عباده يتراحمون بها. وخبأ تسعًا وتسعين عنده، فإذا كان يوم القيامة جمع تلك الرحمة إلى التسعة والتسعين وفرقها على عباده». فمن رحمة واحدة جعلني مسلمًا، وعلّمني القرآن، وعرفني نبيّه، وفعل بي وفعل. إني أرجو من تسع وتسعين الجنة» [ابن عساكر، 8/ 324].

كان خلف بن هشام مجتهدًا في تلقي العلم، وحريصًا على الاستزادة من علم القراءات، ولا سيما من شيخه سليم بن عيسى، كما يذكر بنفسه عندما سأله أحد المعجبين به: لِمَ لم تبيّن عدد قراءاتك على سليم بن عيسى، كما بيّن هو، أي سليم بن عيسى، حين ذكر أنه قرأ القرآن على حمزة بن حبيب عشر مرات؟ فكان رده أنه لما أكثر من القراءة على سليم، ثم أقام في بغداد يُقْرِىء فيها، قدم عليه بالكوفة بعد ذلك. فقال له: ما جاء بك يا خلف فقد اكتفيت، فأجابه إنه يريد أن يزداد من الدرس. فكان أن أجابه سليم بأن سبب مجيئه إنما هو ليقول أمام الناس إنه قرأ على سليم عددًا من المرات، يذكره أمامهم متفاخرًا. لكن خلفًا عاهد شيخه أن لا يحدد المرات، فكان إذا سئل أجاب بالقول: قرأت على سليم بن عيسى مرارًا.

وكان آخر من روى عن خلف بن هشام أبو القاسم عبد الله بن البغوي؛ ويقول بعضهم إنه كان ابن منيع. ويذكر هذا أن وفاة خلف كانت في سنة تسع وعشرين ومائتين وهو مختف من الجهمية في بغداد التي عاش فيها كأنه من أهلها بعد أن كان من أهل فم الصلح، قرب واسط.

آثاره

لم يُعْرَفْ لخلف بن هشام سوى «كتاب القراءات» الذي يذكره عبد العزيز بن علب الوراق نقلاً عن عدد من الرواة عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن أبي

قرية المؤدب في حكاية عدد المرات التي قرأ فيها خلف على شيخه سليم التي ذكرناها، والتي تبدأ بسؤال ابن أبي قرية لخلف: يا أبا محمد قرأتُ في كتابك حروف القراءات، حدثني سليم بن عيسى، قال: قرأت القرآن على حمزة بن حبيب عشر مرات، وقرأت أنا القرآن على سليم بن عيسى مرارًا. فلِمَ لم تبين ذلك، كما بينه سليم؟

كما يذكر النديم «كتاب القراءات» لخلف بن هشام [الفهرست، طهران 1971، ص 34، 38]، والخطيب البغدادي [تاريخ بغداد، 325]. ولعل اسم الكتاب هو ما ذكرناه «كتاب القراءات»، ولكننا نجد تسمية أدق منها، وهي كتاب «حروف القراءات» تعني الكتاب نفسه. ويشير سزكين [تاريخ التراث العربي، 39] إلى كتاب لخلف باسم «الاختيار في القراءات» لعله كتاب مختصر ووجيز لكتابه الأصل «كتاب القراءات»، أو كتاب «حروف القراءات» المذكور. والثاني متوافر في مخطوط أيا صوفيا 39/ 3، وقد نظمه أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي حزم الدمشقي (المتوفى 732 هـ/ 1331 م). أما كتاب القراءات، «حروف القراءات» فقد ألّف عنه أحمد بن عمر بن محمد الجُملاني كتابًا بعنوان «نفيس الأثاث في القراءات الثلاث». ويتوافر الكتاب هذا مخطوطًا في الظاهرية بدمشق 5729 [الأوراق 1-14]. وعن قراءة خلف كتب علي بن عساكر بن المُرَجَّب البطائحي (المتوفى 572 هـ/ 1170 م)، وذكر الخلاف بين قراءة خلف وأبي عمر بن العلاء [مخطوط في بورسة (تركيا)، حرَاجي زادة 726/ 2].

المصادر والمراجع

● ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القرّاء، تح. برجشتراسر، ليدن، 1351 هـ/ 1932 م؛ ● ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دمشق 1345 هـ/ 1927 م، 1/ 191؛ ● الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تح. محمد حامد الفقي، القاهرة 1931 م، 8/ 322 وما بعدها؛ ● الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، تح. أوتوبرتزل، إستانبول 1930؛ ● الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح. عواد أرناؤوط - عباس، مؤسسة الرسالة 1404 هـ، 1/ 208-210؛ ● أبو زرعة، عبد الرحمن ابن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تح. سعيد الأفغاني، الطبعة الثالثة، بيروت 1402 هـ/ 1982 م، 59-60؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت 1980، 2/ 311-312؛ ● سيزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، تعريب محمود فهمي حجازي، نشر جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية 1983م، مج1، ج1، ص39؛ ● الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، 13/ 222، رقم 4090 (وفيه عدد كبير من الإحالات إلى المراجع)؛ ● الفارسي، أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تح. بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دمشق 1404 هـ/

1984م وما بعدها، 1/ 285، 320؛

● النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق الوراق، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران 1971، ص 38-42؛

● ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، تح. محمد حامد الفقي، القاهرة 1952 م، 1/ 153، رقم 207... إلخ.

د. أحمد هبو

جامعة حلب

■ الأسدي، الحسين بن مطير

(... هـ / .... م - 169 هـ / 785 م) ■ ■ ■

هو الحسين بن مُطير بن مكمّل، مولى لبني أسد. يحكى أن جدّه كان عبداً، فأعتقه مولاه. ولا يعرف تاريخ ميلاده بالتحديد، ولكنه من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية. والأخبار عن حياته قليلة، فيصعب على الدارس ان يرسم خطوطها العريضة.

قيل: إنه كان يقيم في زبالة، وهي منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وقرية عامرة بها أسواق. ويجمع القدماء على أنه في سنة 125- 126هـ، وفد، مع مروان بن أبي حفصة، وطريح بن إسماعيل الثقفي، وعدد من الشعراء، على الوليد بن يزيد، ومدحه، إلا أنه لم يصلنا شيء من مديحه له.

وفي العصر العباسي، اتصل بوالي أبي جعفر المنصور على اليمن، معن بن زائدة الشيباني، وشكا له سوء حاله، ومدحه، فلم يعجبه مديحه، وضرب له مثلاً على المديح الجيّد، فجاءه بعد أيام بأرجوزة لاميّة، فاستحسنها وأجزل عطاءه ، فحفظ له يده البيضاء عليه.

ولما قتل الخوارج معناً عام مائة واثنين وخمسين للهجرة رثاه الشاعر بقصيدة من عيون شعر الرثاء. ومّما جاء في مرثاته:

لِنَدبِك أحزانٌ وسابِقُ عبرةٍ
أثرْنَ دماً من داخل الجوف مُنقعا

تجرّعتُها من بعد معْنٍ بموتِه
لأعظُمُ منها ما احتسى وتجرّعا

ومن عَجَبٍ أن بتّ بالرُّزء ثاوياً
وبتُّ بما خوّلتني مُتمتّعا

ولو أنّني أنصفتُك الوُدّ لم أبت
خلافك حتّى ننطوي في الرّدى معا

فيا قبر معن كنت أوّل حُفرة
من الارضِ خُطّت للسّماحة مضجعا

ويا قبر مَعْنٍ كيف واريت جُودَهُ
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترعا

جاء في أعلام الزركلي [2/ 260]: هو شاعر متقدم في القصيد والرّجز ... وكان زيّه وكلامه كزيّ أهل البادية وكلامهم .

ويقول ابن المعتز في طبقاته [ص 114]: حدثني عبد الله بن محمد الخزري قال: حدّثني التوزيّ قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر ابن مطير؟ قال: إنه ليقع في شعره الشيء بعد الشيء فيكثر تعجبي من كثرة بدائعه، فإذا لقيته فاعلمه أنّ شعره من أعجب الشعر إليّ.

وقد اختار الحسين بن مطير الأوزان الطويلة في شعره، والألفاظ القوية الفخمة، والأسلوب الجزل الرصين. ويرى ياقوت الحموي [معجم الأدباء، 10/ 167] أنه من فحول المحدثين.

وأما عبد الله بن طاهر، فقد فضّله على الشعراء العباسيين جميعاً، لقوله في رثاء معن:

ايا قبر مَعْن انت أوّلُ حُفرةٍ
من الأرض خُطّت للسّماحة مضجعا.

آثاره

كان للحسين بن مطير الأسدي ديوان شعر من مائة ورقة، كما يقول ابن النديم في الفهرست، ولكنه ضاع، ولم يبق منه سوى مقطوعات وأبيات متفرقة، جمعها وشرحها وقدم لها د. حسين عطوان، وهي بعنوان: شعر الحسين بن مُطير الأسدي، عن دار الجيل في بيروت.

ويتضمّن الديوان مائتين وواحداً وعشرين بيتاً تصحّ نسبتها إليه، وثمانية أبيات تنسب إليه والى سواه.

وتراوحت موضوعاته بين الوصف، ولاسيما وصف المطر، والرثاء، والمدح، والحكمة، والغزل. ويقول في وصف المطر مُرتجلاً:

مُستضحكٌ بلوامع مُستعبرٌ
بمدامع لم تمر بها الأقذاءُ

فلهُ بلا حُزن ولا بمسرّة
ضحكٌ يُؤلّفُ بينه وبُكاءُ

وقد وصف القصيدة ابن قتيبة بأنها - مع إسراعه فيها - كثيرة الوشي، لطيفة المعاني [الشعر والشعراء، ص 34].

وأما غزله، فكثير، قياساً على موضوعات شعره الأخرى.

وقد امتاز بالصبوة والتعفف، وحرارة العاطفة. يقول متغزّلاً:

قضى الله يا أسماءُ أن لستُ زائلاً
أحبُّك حتى يُغمض العين مُغمضُ

فحبُّكِ بلوى غير أن لا يسوءني
وأقرضني صبراً على الشّوق مُقرض

فيا ليتني أقرضتُ جلداً صبابتي
وأقرضني صبراً على الشّوقِ مُقرضُ

وأمّا جيميته في الغزل، فيصفها ابن المعتز بأنها «شعر كأنه الديباج، بل نظمُ الدُّرّ في حُسنه وصف، وإحكامه رصف» [الطبقات، 114].

وامتازت حكمته بالواقعية والتشاؤم، وترين عليها مسحة من الحزن، وتنضح بالألم والمرارة. ويقال إنها أسهرت الخليفة المهديّ، وهو يعيد النظر فيها، وأبكته يقول:

وقد تغدُرُ الدُّنيا فيُضحي فقيرُها
غنياً ويغنى بعد بُؤسٍ فقيرُها

وكم قد رأينا من تغيُّره عيشة
وأُخرى صفا بعد اكدرار غديرُها
فلا تقرب الأمر الحرام فإنّهُ
حلاوتُهُ تفنى ويبقى مريرُها.

شعر الحسين بن مطير الأسدي. تحقيق د. حسين عطوان، دار الجيل بيروت، لاط، لات.

المصادر والمراجع

● خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط جديدة 1980م 2/ 260؛ ● أبو الفرج الأصفهاني. الأغاني، شرح عبد مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2002م، 6/ 80 و16/ 20 32 و 18/ 367 و20/ 140؛ ● التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م، 2/ 148 و 6/ 168؛ ● الحماسة البصرية لأبي تمام شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق علي المفضل حمودان، دار الفكر بيروت، 1992م، 1/ 209 و 2/ 14، 159، 169، 173، 191، 349؛ ● شعر الحسين بن مطير الأسدي، تحقيق د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت؛ ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف ط 2، 1967، ص34؛ ● ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، ط2، ص 114 وما يليها.

د. أنطونيوس بطرس
الجامعة اللبنانية
طرابلس - لبنان

الأسدي، الحَكَم بن عَبْدَل

(... هـ / ... م - 103 هـ / 721 م)

هو الحكَمَ بنِ عَبْدل بن جَبَلة، من بني غاضِرة، من بني أسد بن خُزَيمة، فيقال له: الحَكَم بن عبدل الغاضري، الأسديُّ، الفاخري، الكوفيّ، الأعرج ...

و(اللام) في «عبدل» زائدة كـ (نون): رَعْشَن، وَخلْبَن؛ ومثل ذلك قولهم في «زيد» زَيْدل؛ وقالوا: ذلك و(أُلالِك) و(هنالك) و(ذيَّالك)...

شاعر أمويٌ هجّاء، من شعراء الدولة الأموية.

منشأه ومنزله: الكوفة.

من أوصافه البدنية أنه أعرج، أحدبُ، وأنه في آخر أيامه أُقعِد بسبب فالج أصابه، فأصبح ينقل على مِحفَّة.

أما أوصافه الذاتية، فأهمها: سلاطة لسانه فيمن أساء إليه أو قصَّر في العطاء بعد السؤال، وإذا أُجزلَ له في العطاء فهو مدَّاح شكور.

وبسبب عَرَجه الدائم، فإنَّ العصا لم تفارقه. لذلك لم يقف بباب الملوك، وإنما كان يكتب حاجته على عصاه ويبعث بها مع رسله، فلا يُحبَس له رسول، ولا تؤخر له حاجة، ما دفع يحيى بن نوفل (الشاعر اليماني الهجَّاء: ت سنة 125ه/ 743م) إلى القول:

عَصا حكَمٍ في الدار أولُ داخلٍ
ونحنُ على الأبواب نُقْصى ونُحجَبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً
وهذي لعَمرُ الله، أدهى وأعجبُ

فكان ابنُ عبدل يقول ليحيى: يا ابن الزانية، صيَّرتَ عصاي ضُحْكَة. فاجتنبَ أن يكتب عليها، وتحوَّل إلى الرقاع.

ومن يقرأ شعر الحكم ويقلب صفحات حياته، يكتشف أن ما وُصف به من فحش الهجاء وخبث اللسان، لم يكن إلاَّ تعويضاً عما مُني به من عاهة وضيق ذات اليد، من جهة، ومن تنعّم الناس بما لا يستحقون فلا ينفقون مما آتاهم الله، للمحتاج وابن السبيل. فكان يطلق لسانه فيهم ويتمادى في الجَرْح واللغة المكشوفة، كما نبين في فقرة الأغراض الشعرية. ومع ذلك فقد آلى ألاَّ تبقى صورته رَذْلةً في عيون الناس، فضمَّنَ شعره كثيراً من الصور المضيئة التي كان يتمتع بها، سواء أكان ذلك في معرض الهجاء، أم الشكوى، أم أشعار التندر والفكاهة حيث الطبعُ اللطيف، والحسُّ المرهف، والظَّرفُ وروح المرح، من مثل قوله لصاحب العَسَس (الحارس الليلي) وكان محمولاً في محفَّة وهو سكران، بعد أن سأله: من أنتَ؟ فقال له:

يا بَغيضُ، أنتَ أعرفُ بي من أن تسألني من أنا. فاذهب الى شغلك، فإنك تعلم أنّ اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في مِحفَّة. فضحك الرجل وانصرفَ عنه.

وهذا يؤكد خفَّة ظله وبساطة حياته. ونستكشف مزيداً من طبيعته، في قصيدة (ضاديّة) أنشدها في مجلس الحجاج بن يوسف الثقفي، وفيها:

وإني لأسْتَغْني، فما أَبْطَرُ الغِنى
وأَعرضُ ميسوري لمن يبتغي قَرْضي
وأُعْسِرُ احياناً فتَشتدُّ عُسْرتي
فادرك ميسور الغنى ومعي عِرْضي

شرحهما المَرزوقي: فقال: «إني أنال الغنى فلا يكسبُني أَشَراً ولا بَطَراً، بل يُقرِّبُني ما أنا لهُ من المتصلين بي، فأعرِضُ ما يتيسَّر لي على طلاَّب قرضي. وقد يتعقبُ الإيسار إعسارٌ، فأصبِرُ، وأُسْبِل على نفسي جناحَ تحملي وتعففي حتى أدرك ميسور الغنى، ونفسي معي لم أبتذلْها ولم أُدنِّسْها بتعريض أو تصريح» .[شرح المرزقي، 3/ 1164].

وقد نكشف المزيد إذا قرأنا بائيته المتنازع عليها مع الراعي النميري، فنقع على صورة لا صلة لها بما شاع عن الشاعر من خبث اللسان والطوية، وتناوُلِ الرجال:

إني امرؤٌ لم أزلْ، وذاك من ال
لَّهِ اديباً، أُعلِّمُ الأدَبا

أقـيـمُ بـالـدار مـا اطـمـأنّـتْ بـيَ الـ
دارُ، وإن كـنـتُ نـازعـاً طَـربـا
أطـلـبُ مـا يـطـلـبُ الـكـريـمُ مـن الـرِّ
زْقِ بـنـفـسـي وأُجْـمِـلُ الـطَّـلـبـا

«يقول: مَطالبي من الدنيا ومَراغبي على حَدٍّ من استعمال الكرم والتعفُّف، لا يُزْري بي نظرُ الناظر إليّ، لأني إذا طلبتُ أجملْتُ، وإذا سُدَّتْ مفاقري اكتفيتُ، ثم لا أعوّل إلاّ على نفسي» .[شرح المرزوقي، 3/ 1205].

ومن طرائف أخباره، وجودُه في لحظة ما بين ثلاثة عرجان في الكوفة، وهو رابعُهم؛ وذلك أن أمير الكوفة آنذاك أعرجُ وهو عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي المتوفى سنة 115 هـ / 733 م، ورئيس شُرَطه أعرج .. فخرجَ الحكم يقصد الأمير، فلقيَ سائلاً أعرجَ تعرَّضَ للأمير يسأله، فقال ابن عبدل أبياتاً سمَّيْتُها: «إمارة العرجان»:

ألْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والْتمِسْ عملاً
فـهـذي دولـةُ الـعـرجـانِ
لأمـيـرنـا وأمـيـرِ شـرطـتـنـا مـعـاً
يـا قَـوْمَـنـا لِـكـلَـيْـهـمـا رِجْـلانِ
فـإذا يـكـونُ أمـيـرُنـا ووَزيـرُنـا
وأنـا، فـإنَّ الـرابـعَ الـشـيـطـانُ

التخامع: التظاهر بالعرج. وفي البيت الثالث إقواء، وقد وقع فيه الشاعر غير مرة.

ومن هذه الطرائف أيضاً رؤيا، قَصَّها على عبد الملك بن مروان شعراً سلِساً جميلاً، فحْواها أنه رأى الخليفة قد منحه جارية رشيقة القوام مغناجاً وبَدْرةً (كيساً مملوءاً مالاً)، وبَغْلةً سريعة شهباء اللون؛ فما كان من عبد الملك إلاّ أن دعا وكيله وأمرَه بإحضار كل ما رآه الحكَم، فيؤكد الشاعرُ أن ما أحضره وكيلُ عبد الملك هو هو الذي رآه، فأُعطيَ كل ما أحضر له؛ وبينما هو خارج لقيه أحد رجال الإمارة راغباً في شراء البغلة، فباعها الحكَمَ بما طلب من المال، ومضى...

والطرفة الأغرب أن أحد وُجهاء الكوفة محمد ابن حسّان بن سعد التميمي تزوج امرأة من ولَد قيس بن عاصم المنقري؛ زوَّجها إياه رجلٌ منهم يقال له: زياد، فعلم بذلك الحكمُ ورأى فيه غبْناً كبيراً. فأنشأ قصيدة يذمُّ فيها ابنَ حسّان الذي كان يشغل أمين خراج الكوفة - وكان سأله مرةً معروفاً فلم يُلبِّه - وأن هذا الزواج وبال على بني قيس بن عاصم، وأنه ليس إلاّ بيعاً بالمزاد:

ومـا كـان حـسَّـان بـنُ سَـعْـدٍ ولا ابْـنُـهُ
أبو المِسْك، من أكفاء قيسِ بن عاصم
ولـكـنـه رَدُّ الـزمـانَ عـلـى اسْـتِـهِ
وضـيَّـعَ أمـرَ الـمُـحْـصَـنـاتِ الـكـرائـمِ

فلما بلغ أهلَها شعرُه أنِفُوا من ذلك، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها.

ومن أخباره المشوّقة التي تدعو إلى الضحك والشفقة معاً، قصتهُ مع المرأة التي استعانت به لتحصيل ديونها، بعد أن ألمحت بالزواج منه؛ ففعَل؛ فأخلفتْ وقالت شعراً مفاده أنها فعَلتْ معه مثلما فعل ابن بِشْر بن مروان الذي سأله الحكَمُ مالاً فماطل - المرةَ تلو المرة، حتى مات... فلما علم عبد الملك بن بشر بقصَّته، ضحكَ، وأمر له بألْفَي درهم.

ولعلّ أطرف ما وقع لهذا الشاعر، وأدعاه إلى التأمل والاعتبار، حكاية زواجه من امرأة من

همدان، فقيل له: على كم تزوَّجْت؟ فقال:

تَــزوَّجْــتُ هَــمْــدانــيــةً ذاتَ بَــهــجَــةٍ
عَــلــى نَــمَــطٍ عــاديَّــةٍ ووَسَــائــدِ

لَعَمْري لقد غاليتُ بالمَهْرِ إنهُ
كذاكَ يُغالى بالنساءِ المَواجِدِ

النمط: ضرب من البُسط؛ وعاديةٍ (مؤنثة على غير وجه) وعنى بها: القِدَم، نسبة إلى عاد. والمواجد، ج ماجدة: المرأة السمحة الخُلق.

فلما دخل بها كرهها لأنه صُدم بشكلها وهيئتها وعمرها، وتزييف زينتها المستعارة، إضافة إلى قصصها مع أزواج كثيرين قبله، معظمُهم مات من زمن بعيد، ومع ذلك راحت تسأله عن ثروته مؤمِّلةً حياة رغيدة، فأجابها: ليس لي غير حمار أعرج، ومزادتان، وحصير من قصب، ودراهم زائفة، وثياب متخرقة؛ فما كان منها إلا أن رضيتْ لكنها، طلبت أن يسمِّي لها مهراً، ألفاً من الدراهم، ليسمع الشهود على النكاح فلم يستطع وغدها بشيء سوى العمر البائس وحياة الهوان؛ ومما قال فيها:

تُــحَــدِّثُــنــي عــن الأزمــانِ حــتــى
سَــمِــعْــتُ نِــداءَ حُــرٍّ بــالأذانِ

فقالت قد نَكِحتُ اثنينِ شتى
فــلــمَّــا صــاحــبــانــي طــلَّــقــانــي

وأربعةً نكَحْتُهُمُ فماتوا
فــلــيــتَ عــريــفَ حَــيٍّ قــد نَــعــانــي

تلكم كانت عيِّنات مختارة من أخباره وأحواله، اقتطفتُها بخاصة، من كتاب الأغاني، الذي أورد له أضعاف ما ذكرت، معظمها في مواقف وعلاقات اجتماعية نسائية واقتصادية، بعضها مضحك مفْرِح، وبعضها الآخر محزن مُبك، وربما اجتمع الوجهان في حكاية واحدة.

وهذا لا يعني أن الشاعر لم تكن له أخبار سياسية؛ فقد عُرف عنه أنه أمويُّ الهوى، استناداً إلى ما قام به مصعب بن الزبير (توفي سنة 71 هـ / 690 م) لمّا ظفر بالعراق: أخرجَ عمّالَ بني أمية، كما أخرجَ الحكم بن عبدل إلى الشام، فحظي بحياة هانئة في كنف عبد الملك بن مروان، توطدت لتصبح نوعاً من السَّمر والصحبة، حققا له قدراً من النفوذ والاستقرار. لكنْ هناك من شكّك بهذا الهوى الأموي، ورأى فيه هوىً عابراً غير دائم، لأنه لا ينطلق من عقيدة حزبية راسخة كما هي حال شعراء الأحزاب المعروفين في عصره، أمثال الكميت، والطرمّاح، وعديّ بن الرقاع وابن قيس الرقيّات... وليس ابن عبدل من هذا القبيل، لأنه كان يمدح الرجل، وهو من موظفي النظام الأموي، ثم يهجوه، كما فعل مع ابن حسان بن سعد التميمي أمين خراج الكوفة الذي حظي عنده بمدْح لافت، ثم بهجاء مُرّ؛ ومثله عمر بن هبيرة، وغيرهما. فقد تجد شعراء كثراً على شاكلة ابن عبدل، يوظفون شعرهم لصالح غاياتهم ومساعيهم مادحين ألأم الناس، وسوقتهم بالبيت والبيتين، أو العكس بالعكس، سالكين سبيل الهجاء نحو جهات شتى من الموقع والمستوى والانتماء.

عاش الحكمُ على هذا المنوال حتى نهاية حياته ووفاته التي اختلف في تاريخها: بعضهم جعلها في حدود ال 100 هـ كالزركلي بخاصة، وشوقي ضيف بما يقرب منه... لكن

بعضهم الآخر، كمحقق شعر الحكم: نايف الدليمي، ود. عمر فروخ، قدّرا وفاته ما بين 103 و 106 هـ استناداً إلى زمن ولاية عمر ابن هبيرة الذي وليَ العراق على فترتين: الأولى زمن عمر بن عبد العزيز أولاً، ثم ليزيد بن عبد الملك ثانياً، كان ذلك سنة 103هـ، وقد استمرت علاقته به حتى وفاة هذا الأخير... فتكون وفاة الشاعر ما بين 103 و106 هـ والله أعلم.

كائناً ما كانت السنة التي توفي فيها الحكم، فقد شغل زمانه بقصصه وأخباره وأشعاره حتى حفظها الرواة وأخبروا بها إلى زمن متقدم هو الزمن العباسي، كما نرى في الكلام على أغراضه. وكان لعاهته الدور الكبير في تنشيط قريحته الشعرية وشحذ لسانه الشعري على أولي الشأن في حياته.

لا بد من الإشارة إلى أن شعر الحكم بن عبدل لم يُجمع في ديوان، وأن باحثاً عراقياً هو محمد نايف الدليمي، قام بجمعه من عشرات المصادر، ونشره محققاً ومشروحاً في مجلة «المورد» العراقية، في العدد الرابع من المجلد الخامس، من سنة 1976، فبلغ تعداد ما جمعه من شعره 258 بيتاً في 39 موضعاً ما بين قصيدة ومقطعة وبيتٍ مفرد، أو بيتين؛ تبين لي في هذا المجموع وفي معظم الشواهد الشعرية التي أوردها الأغاني، وبعض المصادر الأخرى، أن الحكم قد خاض في عدد غير يسير من الأغراض والفنون الشعرية، يتصدرها غرض رئيس هو الهجاء، يليه الرثاء فالمدح، فالتهكم والنقد الاجتماعي، فالغزل فآداب السلوك، فالحكمة، فشيء من الفخر الذاتي. ومعظم هذه الأغراض، فيما عدا الرثاء والحكمة، مضمخة بروح الفكاهة والطرافة اللتين جعلتا من شعر الحكم مروياً على ألسنة الرواة، سائراً بين الأمكنة والأصقاع البعيدة.

وسأتوقف قليلاً عند ثلاثة من هذه الأغراض هي الهجاء والرثاء والحكمة، لافتاً إلى أنني قد عرضتُ لغير شاهد من أشعار الطرافة والتهكم الساخر، على وجوه وشخصيات صادفته في حياته، في فقرات سابقة.

الهجاء: تُعدُّ داليّتهُ التي نظمها في محمد بن حسان بن سعد التميمي، صاحبِ خراج الكوفة في عهد عبد الملك بن مروان، أطول قصائد الشاعر التي تمَّ جمعُها؛ وهي كلها في هجاء ابن حسّان الذي قصده الشاعر في خدمة صغيرة هي أن يضع عن خراج رجل مُعْوز ثلاثين درهماً، كان الرجلُ قصد الشاعرَ ليكون وسيطاً بينه وبين ابن حسّان، فرفض هذا الأخير الوساطة ولم يُسقط عن الرجل الفقير شيئاً من المال.

ويقول الرواة: إن ابن عبدل ما زال يزيد في هذه القصيدة حتى مات، وهي طويلة، لم يُهْتَدَ منها إلا على واحد وخمسين بيتاً، ومنها:

نَجوتُ محمداً ودُخانُ فيه
كريحِ الجَعْر فوق عَطينِ جِلْدِ

نَجَوتُ: استنكَهْتُه. الجَعْرُ: بِرازُ كل ذي مخلب من السباع. العطينُ: الجلد المنتن....

نجوتُ محمداً فوجدتُ ريحاً
كريحِ الكلب مات قريبَ عَهْد

وقــد أدنَـيـتُ فـاهُ إلـيَّ حـتـى
قـتـلْتُ بـذاك نـفـسـي غـيـر عَـمْـدِ

فـمـا يَـدْنـو إلـى فـيـه ذبـابٌ
ولـو طُـلِـيـتْ مشـافِـرُهُ بـقَـنْـدِ

القند: عسل قصب السكر إذا جَمدَ.

أظُـنُّـي مـيِّـتـا مـن نَـتْـنِ فـيـهِ
أمـاتَ الـلـهُ مـن نـاجـاه بَـعْـدي

[شعر الحكم بن عبدل، المورد، ص 107-104].

معظم ما في القصيدة، على هذا المنوال؛ جملةُ قبائح وعاهات خَلعها على مهجوه، ولم يَـلْطف في واحدة أو في صورة من صور التشويه المُسِيء الذي وصلتْ أصداؤه إلى المُكَارين في الدساكر والقرى؛ فيقول أحدهم سائقاً بَغْلته أو حماره: «عَدْ» «أماتَ اللهُ حسَّانَ بنَ سَعْد». فإذا سمع ذلك أبوه قال: «بل أماتَ ابني محمداً، فهو عرَّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً..».

الرثاء: هو الوجه المعاكس للهجاء، لكنه في الميت الراحل الذي بقدر ما تتوطد العلاقة بين الشاعر والفقيد، تعلو نبرة الإخلاص والتحسّر، وتالياً صنف الأشعار.

وفي شعره المجموع غيرُ قصيدة رثـاء، عـلـى درجـة مـن الـصـدق والـسـمـوّ الشعري. أذكر اثنتين: **الأولى**، في والي البصره بشر بن مروان الذي صحبه الشاعر طويلاً وأحبه، فلم يجد بعده من يسدُّ فراغه، ويخدِبُ عليه:

مـا زلـتُ اطـلـبُ فـي الـبـلاد فـتـىً
لـيـكـون لـي ذُخـراً مـن الـذُّخـر

حـتـى إذا ظَـفِـرتْ يـداي بـهِ
جـاء الـقـضـاءُ بـحَـيْـنِـهِ يـجـري

[المورد، 108]

والثانية: في بعض قومه من بني غاضرة، أصابهم الطاعون بالكوفة، فأفناهم، تاركاً هلعاً شديداً على الشاعر، فكتب فيهم مقطّعة (ضاديّة) قوامها أربعة أبياتٍ تقطر حزناً وتوجعاً، كما لو كان الكلام على نفسه وسيرته:

مَضَوا ويَقِينا نَأْمُل العيشَ بَعدهمْ
ألاَ إنَّ من يبقى، على إثْرِ مَن يَمْضي

فقد كان حولي مِن جيادٍ وسالمٍ
كُهولٌ مَسَاعيرٌ، وكلُّ فتىً بَضِّ

يَرى الشُّحَّ عاراً والسماحَة رِفعةً
أغرُّ كعود البانة الناعم الغَضِّ

[المورد، ص 109]

لا بد من التوقف ههنا عند أصالة هذا الشعر ومصداقية صاحبه سواء اكان هجاءً أم مدحاً ورثاء؛ إنَّ من رثاهم الشاعر هم من الذين كان يرى فيهم واحة حياةٍ ميسَّرة، أتاحت له فرصةً وضع حدٌ للوحشة القائمة التي خيمَّتْ عليه ردحاً طويلاً من عمره...

كذلك، هم المهجوون الذين ضيَّقوا الخناق عليه، فزادوا من تباريح العيش وكَدره؛ فصوَّب نحوهم سهام الانتقام والتجريح. فالمدح والهجاء عنده قائمانَ على الصلات التي يتلقاها، أو الصدُّ والحرمان من هذه الصلات. ولا شيء ثابت في السلوك والمبدأ. إذ يمكن أن يتوجَّه المدح إلى أيِّ جهة يأنس بعطائها وبهجة نوالها، والعكس بالعكس فيمن

يقفون دونه. وما يؤكد ذلك، قوله لبشر بن مروان، بعد انقطاعه عنه شهراً، دفع بشراً إلى استئخاره والسؤال عن غيبته:

كنتُ أُثني عليكَ خيراً فلمّا
أضمَرَ القلبُ من نوالك ياسا

كنتَ ذا منْصِبٍ قَنَيْتُ حياتي
لم أقُلْ غيرَ أن هجرتُك باسا

قَنيتُ: لزمتُ

لم أُطِقْ ما أردتَ بي يا ابنَ مَرْوا
نَ ستلقى إذا أردتَ أُناسا

يَقْبلون الخسيسَ منكَ ويُثْنو
نَ ثَناءً مُنَخْمَساً بِخِماسا

المُنَخْمَس: إذا لم تكن له حقيقة....

فهو يلزمهُ ما دام هناك رِفْد ووصالٌ، وإلاّ فإلى مَرْبع آخر وتواصلٍ جديد....

في شعره المجموع، قصيدتان متشابهتان، قيّمتان، الأولى تخصُّه هو وغير متنازع عليها، وهي «ضاديَّة»، قوامها أربعة عشر بيتاً، والثانية منسوبة إليه وإلى الراعي النميري، والأرجح أنها له، «بائية» من أحد عشر بيتاً:

نظم الأولى في مناسبة غريبة، أو بالأحرى ألقاها في لحظة تحدّ من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، الذي اجتمع في مجلسه عدد من الشعراء الذين ضاقوا ذرعاً بوجوده بينهم بباب الحجاج. فقالوا: أصلح اللهُ الأميرَ، ما الذي يجعل الحكمَ في بابك، وليس في شعره غير أوصاف الفأر وما أشبهه؟ فقال الحجاج: ما يقول هؤلاء يا ابن عَبْدل؟ قال: اسمعْ أيها الأمير؛ وأنشده، قصيدة مختلفة عن كثير مما نظم وشاع عنه؛ فهي مليئة بمناقب الشاعر، وسلوكه الخلقي الحكيم المترفع عن الدنايا والمحاباة والتسكع والمخاتلة والمصانعة الرخيصة التي يسلكها معظم الشعراء في زمانه. إنها صفحة بيضاء ناصعة الدلالة على رقيّ هذا الشاعر وجمال سيرته التي لا تفضلها إلاّ سِيَرُ الأنبياء والصحابة والبَرَرَة، أشرنا إلى بعض أبياتها في الكلام على «أوصافه» في فقرة سابقة. ونضيف الآن هذه الأبيات:

أكُفُّ الأذى عن أسرتي وأذُودُهُ
على أنني أجزي المُقَارِضَ بالقرْضِ

وأبذلُ معروفي وتصفو خَليقتي
إذا كُدِّرتْ أخلاقُ كلِّ فتى مَحْضِ

وأقضي على نَفسي إذا الحقُّ نابني
وفي الناس من يُقْضى عليه ولا يَقْضي

(...) ولستُ بذي وجْهَيْنِ فيمن عرَفْتُهُ
ولا البخلُ - فاعْلَمْ - من سمائي ولا ارضي

لا أظن أنّ الشاعر يتزلف ويتملّق لأحد... فالشعر عنوان واضح وحجّة دامغة في وجه من يتهمه بإذْلال النفس والخضوع للرغبات الرخيصة... مثل هذا لا يصدر عنه شعر رفيع من هذا النوع... إنه نشيد ذاتيٌّ، يقرأه الحكم في مجلس مشهود، يضع النقاط على الحروف، حتى ولو كان في شعره كلام في الفأر والجرذ؛ ليس المهم في الموضوع بل في التناول والمغزى المحصَّل. والجميلُ في هذا المحفل أن الحجاج قد تأثر بما سمع وفضّله على الشعراء وأجزل له فوق ما أُعطوا.

أما قصيدته «البائية» المنسوبة إليه، فهي من

عيون الشعر الحكمي، صاغها الشاعر بكثير من العمق والبساطة. طارحاً فيها رؤىً كونية وجودية، خالصة الانتماء إلى الأدب الإنساني الجميل:

إنـي رأيـتُ الـفـتـى الـكـريـمَ إذا
رَغَّـبْـتَـهُ فـي صـنـيـعـةٍ رَغِـبـا

والـعـبـدُ لا يُـحـسـنُ الـعـطـاءَ ولا
يُـعـطـيـك شـيـئـاً إلاّ إذا رَهِـبـا

قـد يُـرزَقُ الـخـافِـضُ الـمُـقـيـمُ ومـا
شَـدَّ بِـعَـنْـسٍ رَحْـلاً ولا قَـتَـبـا

ويُـحـرَمُ الـرزقَ ذو الـمـطـيـةِ والـرَّ
حْـلِ ومَـن لا يَـزال مُـغـتـربـا

[معجم الأدباء لياقوت، 10/ 238-239]

رأينا فيما سُقنا من شواهد شعرية، كيفَ تصْلُبُ اللغةُ الشعرية لدى الشاعر وتخْشُن، في جانب، وترقّ وتلين في جانب آخر، تبعاً للغرض الشعري والمناسبة والمعنى الذي يقصد إليه، كقوله وهو يخاطب بشر بن مروان الذي لم يُعْنَ به، فأهمله الشاعر واحتجب، حتى إذا عاتَبه لتغيبه الطويل، لم يجد الشاعر بداً من تذكيره بأسلوبه الملتوي في معاملة الناس الذين يعرفونه جيداً فيعاملونه بالمثل:

يَـقْـبـلـون الـخَـسـيـسَ مـنـكَ ويُـثْـنـو
نَ ثـنـاءً مُـدَخْـمَـسـاً بِـخِـمـاسـا

لله ما أبلغ وقع لفظة (الدَّخْمَسة) التي حملتْ حروفُها، بتركيبها وتصريفها، معناها من دون حاجة إلى شرح، وهذا ما يُعرف بملاءمة اللفظ لمعناه...

ومثل ذلك ما جاء في «ضاديَّته» التي انبرى فيها يتلو سلوكَه ومشاعره المتدفقة في قرارة نفسه، حيث طاوعت القافية ورويُّها الصعبُ (الضاد) مكنونَ نفسه وما يختلج فيها من فضائل ومكارم خافية على الناس، فانطلقت من عُقالها وأبانت عن نفسها بمَجْرَيَيْن تعبيريَّين متناغمَيْن هما الدفْقُ المعنوي المنظم، والوقع الصوتي الأجشُّ الذي تمثله الضاد المكسورة، من غضاضة صاحبها ومَضضهِ ومضيضه (من المضض: التألم، والمضيض- الجرح المؤلم).

وأكثر ما يكشف عن نمطية الكلام ويضع معياراً لمستوى الموافقة والمواءمة بين اللفظ والمعنى، من جهة، وما يعتمل في صدر الشاعر من جهة، هو القافيةُ التي إليها ينتهي الكلام وتتّحِد هويّة التعبير والأداءُ الأدبي اللغوي. وبقدر ما يكون النبض الداخلي محترماً مضطرماً، أو مختلاً بارداً مضطرباً، تعكسُ القافيةُ ذلك بكثير من الصدق والأمانة. فلو عدنا إلى الضادية الآنفة الذكر، وهي من أربعة عشر بيتاً، فإننا لا نجد فيها قافية واحدة قاموسية أو عصيَّة على الفهم، باستثناء: «الغَرْض» التي تعني حزام الرحْل؛ وما سواها سهلٌ لين واضح، برغم صعوبة الرويِّ وقلة مشتقاته وجذوره اللغوية.

أما «داليّته» التي يهجو فيها محمد بن حسّان التميمي، ذات الواحد الخمسين بيتاً، فقد اشتملت على نسبة كبيرة من المفردات - القوافي القاموسيّة الصعبة، مع أن حرف «الدال» في اللغة غنيٌّ بمفرداته، بعد «الراء» و«الميم» و«اللام» و«الباء» و«النون» التي تتضمن معظم ألفاظ اللغة العربية.. ومع ذلك أغْرَبَ الحكم في قصيدته، فجاء بقوافٍ مثل:

ضَمْد(المكان العالي) زَنْدِ(لم تفد شيئاً) المُغِدّ (المصاب بالطاعون) القِنْدِ (عسل قصب السكر) كَنْعِدِ (نوع من السمك) فَقْدِ(شراب من زبيب) مُسْمعدٌ (منتفخ وَرَماً) المقدِّي(ضربٌ من الشراب غليظ)...

كما وقع في الإبطاء، أي تكرار قافية واحدة بالمعنى نفسه في أقل من سبعة أبيات... كل ذلك يدلّ على ما أوضحتُه من التوافق أو الخَلل ما بين النبض الداخلي وانسكاب القوافي. فقد نظم الحكم هذه القصيدة على مراحل، وأطال فيها، فتقطع السكب الداخلي، وتعقد السبك اللغوي الشعري: وقس على ذلك سائر ما نظم الشاعر في مختلف أغراضه وموضوعاته.

المصادر والمراجع

● شعر الأسدي الحكم بن عبدل، صنعة الدليمي محمد نايف، مجلة المورد، وزارة الإعلام، المجلد الخامس، العدد الرابع، بغداد سنة 1976؛ ● الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان، الجزء الأول، المجمع العلمي العربي الاسلامي، الطبعة الثالثة، منشورات محمد الداية، بيروت سنة 1388هـ/ 1969م؛ ● الآمدي، بشر، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة 1381هـ/ 1961م؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، لا تاريخ؛ ● التبريزي، أبو زكريا، شرح ديوان الحماسة، الجزء الثالث، القاهرة سنة 1296 هـ/ 1878م؛ ● المرزوقي، أبو علي، شرح ديوان الحماسة، الجزء الثالث، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون، لجنة الترجمة والتأليف، الجزء العاشر، القاهرة سنة 1968؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، د. أحمد فريد الرفاعي، الجزء 10 القاهرة سنة 1323هـ/ 1905 م؛ ● ابن منظور مختار الأغاني، الجزء الثالث، أشرف على طبعه زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت سنة 1383هـ/ 1964؛ ● الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت سنة 1973؛ ● شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، القاهرة سنة 1963؛ ● فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت 1987.

د. ياسين الأيوبي
الجامعة اللبنانية ـ لبنان

الأسَدي، عَمْرو بنُ شَأْسٍ

(... هـ / ... م - ... هـ / ... م)

شاعر عاش جُلّ حياته قبل البعثة النبوية، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وجاهد وأبلى في موقعة القادسيّة، ثمّ مات بعدها بقليل. قال ابن الأثير الجزري: هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن رويبة بن مالك بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي. له صحبة، وشهِدَ الحديبيّة، وكان ذا بأس ونجدة،وكان شاعرًا جيّد الشعر معدوداً في أهل الحجاز [أسد الغابة، 4/ 339].

ورد اسمُ أبيه في يوم جبلة، حيث كانت بنو أسَد مع لقيط بن زرارة ثم رجعت ولم تشهد المعركة معه، إلاّ نفرًا يسيرًا منهم شأس.

وقد جعله ابن سلام في الطبعة العاشرة من فحول الجاهلية، وقال عنه: عمرو بن شأس كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، أكثر أهل طبقته شعرًا. وكان ذا قدر وشرفٍ ومنزلة في قومه [الطبقات، 1/ 196].

وقد ذكر عمرو أبناءه في شعره، ومنهم ابنته شوكة، وابنه عِرار. قال:

ألم تعلمي يا شوك أن رُبّ هالك
ولو كبُرتْ رُزْءًا عليَّ وَجَلَّتِ

أمّا عرار فكان فصيحًا ،لكنهّ كان أسود دميمًا، وكانت زوجة أبيه تسومه الهوان. قال عمرو:

أرادت عِرارًا بالهوانِ ومَنْ يُرِدْ
عِرارًا بالهَوانِ فَقَدْ ظَلَمْ

فإن عِرارًا إن يكن غَيْرَ واضِحٍ
فإنّي أُحبّ الجَوْنَ ذَا المنكب العَمَمْ

وقد تضمّن شعره فخرًا بانتسابه إلى بني أسَدٍ فَنَجِدُه يقول: [د/ 85]:

ونَحْن بَنُو خَير السِّباع أكيلَةً
وَأحْرِ به إذ ما تَنَفَّسَ عايِبَا

بنو أسَدٍ وَرْدٌ يشق بنابه
عِظامَ الرِّجال لا يُجيبُ الرَّواقيا

وتتضمّن الأبيات بقايا من تأثير التوتميّة حيث أبناء القبيلة يعتقدون أن جدّهم جاء من صلب أسَدٍ أو نمر أو غير ذلك من الحيوانات والطيور ومظاهر الطبيعة التي ينتسبون إليها.
وقد مرّت ببني أسد فترة استعبدهم فيها حجر أبو امرىء القيس، ثم ثارت بنو أسَد وقتلوا حجرًا، وقد ذكر ذلك عمرو بن شأس، فقد كَانَ الشاعِرُ عَينَ قومه ومؤرّخهم وصحيفتهم السائرة، ولسانهم الذي يعدد مفاخرهم ويذود عنهم أعداءهم.
يقول عمرو:

ونَحْنُ قَتَلْنا الأجْدَلَين ومَالكًا
أبا منذرٍ والجمعُ لم يَتَزَيَّلِ

وقرصًا أزالته الرماح كأنّما
تَرامَت به من حَالقٍ فوق مَهْيَلِ

وحجرًا قتلنا عنوةً فكأنّما
هوى من خفافي صعبة المتنزّلِ

فما أفلحت في الغزو كندةُ بعدها
ولا أدركوا مثقالَ حبّةِ خردلِ

سوى كلماتٍ من أغاني شاعرٍ
وقتلى تمنّى قتلَها لم تُقتّلِ

عززْنا فما للمجدِ من متحوَّلِ
سوى أهلِهِ من آخرين وأوّلِ

وتنتظم «نا» الجمع الأبيات، فالشاعر فرد من هؤلاء الذين حققوا النصر، وأسسوا للمجد بنيانا لم يتحوّل عنهم فهم أهله.

ويكشف البيتان الرابع والخامس عمّا يشبه الوظيفة التطهيرية للشعر Catharsis فالتغني بالأمجاد الموهومة قد يحقق نوعًا من شفاء النفس، وقد ورد في العمدة حديث شريف بهذا المعنى، قال ابن رشيق: روى ابن عائشة، يرفعه - قال: قال النبي ﷺ: «الشعر كلام من كلام العرب جَزْلٌ، تتكلّم به في نواديها، وتَسُلُّ به الضغائن من بينها» [العمدة، 1/ 23].

وبهذا يصبح الشعر الجاهلي قيمة من القيم الحضارية للعصر الجاهلي، فضلاً عن تضمّنه لقيم حضارية تتّصل بهذا المجتمع.

فإذا كنا نحاول في دراستنا للشعر، وفي قراءتنا له - أن ننشد ضربًا من الوحدة بين حضارة الإنسان والشعر - فإنّ هذه الوَحْدة كما يراها عز الدين إسماعيل: «هي الوحدة التي نستطيع أن نرى فيها القيمة الحضارية من خلال الشعر، ونرى الشعر من خلال القيم الحضارية» [أروح العصر، 73].

وقد كانت المجالس في العصر الجاهلي تمثّل مظهرًا من مظاهر الحضارة بوصفها تضم النخبة التي تمثّل البنية العليا للمجتمع، والتي يمكن أن نطلق عليها مجالس حكماء القبيلة، يقول عمرو بن شأس:

وإنْ يأتِنا ذو حاجةٍ يُلْفِ وسْطَنا
مجالِسَ يَنْفِي فَضْلَ أحْلامها الجَهْلا

تَقُولُ فَنَرْضى قولَها ونُعينُها
بَقَوْلٍ إذا ما أخْطَأ القائِلُ الفَصْلا

فالمجالس ينتظمها الحلم الذي ينفي عنها الجهل، والحكماء يقولون فيقبل من في المجلس قولهم إن كان هو القول الفصل، أو يعينونهم بقولٍ سديد إذا أخطأ القائل الفصل. ومستوى الأداء الفني مستوى عالي الجودة يكشف عن عمق وشاعرية استكمل لها شاعرها أدواتها.

والشاعر يؤكّد مسؤولية المتكلّم من حيث صدقه، ومن حيث صياغته أو نظمه وعرضه معرضًا مقبولاً شَكْلاً ومحتوى، يقول عمرو: [د/ 38 ـ 39]:

ألا أيُّها المرء الذي ليس مُنْصِتًا
ولا قائلاً إنْ قال حَقًّا ولا عَدْلاً

إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تكن
كحاطبِ ليلٍ يجمعُ الدّق والجزْلا

ويمثل الحلم والفضل والقول الفَصْل بانيات رئيسية من بانيات نموذج القبيلة عند عمرو بن شأس، إلى جانب البانيات الموروثة والتي عبر عنها عمرو أروع تعبير وأعمقه في لاميته من بحر الكامل، حيث يقول: [د/ 35]

نَحْنُ الذينَ لِحِلْمِنا فَضْلُ
قِدْمًا، وعند خطيبنا فَصْلُ

وإذا نُطاوِعُ أمرَ سادَتِنا
لَمْ يُرِنْنا عَجْزٌ ولا بُخْلُ

وَلَنا مِنَ الأرْضِينَ رابيةٌ
تعْلُو الإكامَ وَقُودها جَزْلُ

ولنا إذا ارتحلَتْ عشيرتُنا
رحلٌ ونحن لرحلنا أهلُ

وَلَنا رَوايا يحْمِلُونَ لَنا
أثقالنا إذ يُكْره الحملُ

ولنا فواريس يركبون لنا
في الرَّوْع لا مِيلٌ ولا عُزْلُ

المطْعِمُونَ إذا النُّجُومُ خَوَتْ
وأحَاطَ بالمُتَوحِّدِ المَحْلُ

نَدَعُ الدَّنيَّةَ أن تَحُلَّ بنا
وتَشُدُّ حينَ تعاوَرَ النَّبْلُ

لَسْنَا نَمُوتُ عَلَى مَضَاجِعِنَا
يَا لَيْلُ بَلْ أدْواؤُنا القَتْلُ

الروايا: الإبل.

والشاعر يقدم رؤيته الخاصة في إطار الرؤية العربية التي تمثلها الشُّعراء الجاهليون وصَاغُوها شِعْرًا.. «وهو على وعي بتوظيف الأنماط الفنّية الموروثة لتجربته الخاصة فنراه يستخدم ما يطلق عليه البلاغيون الاحتذاء، وهو أن يقتفي المتكلّم الآخر في أُسلوبٍ من أساليب فَنّي البلاغة والفصاحة، وهو محمود، بل مقصود».

[كتاب التبيان للطيبي، ص451].

ومن ذلك قول بشر بن أبي خازم: [د/ 7 ـ 8]

وما مَغْزِلٌ أدْماءُ أصْبَحَ خَشْفُها
بأسْفَلَ وادٍ سَيْلُهُ مُتَصَوِّبُ

خَذُولٌ من البيض الخُدُودِ دَنَا لَها
أراكٌ وجنَّاتُ الخُزامى حُلَّبُ

بأحْسَنَ مِنْها إذ تَرَاءَت وذُو الهوى
حَزِينٌ ولَكِنَّ الخَليطَ تجَنَّبُوا

ويقول عمرو بن شأس: [د/ 31]

ومَا جَأبَةُ القرنين أدْماءُ مُخْرِفٌ
ترعى بذي نَخْلٍ شِعابًا وأقْرُعا

بأبْعَدَ مِن لَيْلَى نَوالاً فلا تكُن
بذكراكَ شيئًا لا يُواتيك مولعًا

ويتميّز نمط عمرو بأنه ينتهي برؤية تمثّل نتيجة للمفاضلة التمثيلية إذ الظبية النافرة التي تسكن الجبال ولا تألف البشر ليست بأبعد من ليلى نوالاً، لهذا يتوجه الشاعر مخاطبًا نفسه قائلا: فلا تكن بذكراك ليلى مولعًا - وهو يستخدم ضمير الخطاب في حديثه لنفسه، فكأن نفسه أصبحت ممثلة للآخر حين فارقته ولَهًا وعشقًا بمحبوبته ليلى التي ملأت عليه نفسه، أو مَلأت عليه عالمه الشعري حيث نراه يذكرها في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله [د/ 29]:

متى تعرف العنان أطلال دِمْنَةٍ
لِلَيْلى بأعلى ذى مَعَارِكَ تدمعا

وما زال يزجي حُبَّ ليلى أمَامَه
وليدين حتّى عمرنا قد تسعسعا

وبناء بعض القصائد عند عمرو يتّفق وبناء القصيدة عند سابقيه، فنجده يبتدىء لاميته من بحر الطويل، على سبيل المثال بمقدمة طللية

غزلية منها قوله: [د/ 42]

قفا تعرفا بين الرُّجَي فقراقرٍ
منازلَ قد أقوين من أمِّ نَوفَلِ

تهادت بها موجُ الرِّياح كأنّما
أجَلْن الذي استودَعْن بمنخلِ

منازل يبكين الفتى فكأنّما
يَسُحُّ بَغَرْبي ناصحٍ فوق جَدْوَلِ

ثم يتحدّث عن المحبوبة فيقول: [د/ 43]

تراءت لنا جنية في مجاسدٍ
وثوبي حرير فوق مِرط مُرَحَّلِ

ثم يتحدّث عن الرحلة واصفًا ناقته فيقول منها:

وخَرقٍ كأهدام العَبَاء قطعتُه
بعيدِ النياطِ بين قُفٍّ وأرْمَلِ

بناجية وجناء تستلب القطا
أفاحيصه زجرًى إذا الْتَفَتتْ حَلِي

ويعدد بعد ذلك مآثره وأفعاله التي تنضوي في إطار مفاخر الفرد الجاهلي كما عبر عنها امرؤ القيس وطرفة، ويتناصّ شعره مع شعرهم إلى حد بعيد، ويختم ذلك بقوله:

ألاَ تلم أخلاق الفتى قد أتيتها
فلا تَسْألُوني واسْألُوا كُلَّ مُبْتَلِي

ثم ينتقل إلى الفخر بقبيلته، ومن هذا الفخر الأبيات الستة التي ذكرنا في معرض حديثنا عن الفترة التي استبعدت فيها بنو أسد.

قد تبيّن لنا ممّا سبق من شواهد شعرية أنّ عمرًا كان شاعرًا يقدم شعره -غالبًا- في إطار من الحكمة والرؤية العقلية، والأساس النظري، فهو -من هذه الناحية- شاعر مؤسس، والتأسيس يعني أنّ الشاعر عاش تجربته وكابد الإبداع الشعري وتمخّض إبداعه عما يمكن أن يكون حضره عميقة في الوجود تلك الحضرة التي تنتظم العام والخاص، والظاهر وما وراء الظاهر.

وتمثّل نونيته المتميزة من بحر الوافر لشاعرية عمرو بن شأس وثقافته والتزامه الاجتماعي الذي ينتظمه إحساس كبير بالاغتراب والتناهي إزاء الوجود اللامتناهي، وما يتبع ذلك من إحساس بالقهر والحصر النفسي الذي يحاول الشاعر أن يتجاوزه شعرًا بمواجهة الضرورة في الواقع، وإنشاء النموذج الذي يحاول به أن ينتصر على عوامل السلب الواقعية والوجودية وما يتبع ذلك من تصدّع نفسي وإحساس بالضياع.

يقول عَمْرُو بنُ شأس: [د/ 59]

تذكر حُبَّ ليلى لات حينا
وأمسى الشيب قد قطع القرينا

تذكر حبها لا الدُّهر فانٍ
ولا الحاجات مِن ليلى قُضِينا

وكانت نفسه فيها نفوسًا
إذا لاقينها لا يشتفينا

فالحبُّ واقعة موقوتة انتهت بالمشيب الذي قد قطع القرين، وهو حين يتذكّر حبها يواجه الدّهر الذي لا يفنى، والإحساس بأن إمكاناته لم تكن ممكنة، فالحاجات من ليلى المحبوبة واقعًا، أو من الحياة ضمنًا ورمزًا -لم تقض - وكان ذلك سببًا لتصدّع نفسه وتشتتها نفوسًا، لا يشفيها من المحبوبة لقاء، ولا من الحياة - ضمنًا - لحظة عيش.

لكن الشاعر يحاول أن ينتصر على الإحساس بالتناهي، بتقديم النموذج الذي يحقق من خلاله الخلود - رمزًا - لقومه وله -ضمنًا؛ فيقول: [د/ 61]

فإنّا ليلُ مذ بُرِىءَ الليالي
بُرينا من سَرَاةِ بني ابينا
فلاَ وأبيكُما يَنْفكُّ مِنَّا
من الساداتِ حَظٌّ مَا بَقِينا

هذه إطلالة على عالَم شِعْرِي لشاعر متميز على الرغم من قِلَّة شِعره، وهي إطلالة لم تُسْعِفِ الناقد أن يتزوّد -قبل الفراق- من هذا الشاعر الذي أحبَّه وعشق شعره، ومازال يمثل لنا -كما كان يمثل لقومه- نافذة نطل منها على أنفسنا وعلى الوجود.

آثاره

جمع الدكتور يحيى الجبوري شعر عمرو بن شأس الأسدي، وأصدرته دار القلم بالكويت في ديوان كامل سنة 1396 هـ / 1976 م.

وله قصيدة من 45 بيتًا وقصيدة من 36 بيتًا، وقصيدة من 26 بيتًا، وقصيدة من 24 بيتًا، وواحدة من 23 بيتًا، وواحدة من 21 بيتًا، وواحدة من 19 بيتًا، وواحدة من 16 بيتًا، وواحدة من 14 بيتًا، وواحدة من 11 بيتًا، وواحدة من 10، وواحدة من 9، وعدد الأبيات المفردة 12، وستّ مقطوعات من بيتين، وواحدة من 3، وواحدة من 4، واثنتان من 5، وواحدة من 6، وواحدة من 7.

وأغراضه الشعرية: الفخر، والغزل، والشكوى من الزمان والشيب، والحكمة، كما تضمّنت الأغراض شعرًا عبر فيه عن جدله مع زوجته التي كانت تؤذي ولدًا له من زوجة غيرها وتعيره بسواد لونه.

والأوزان التي نظم فيها شعره هي الطويل الذي بلغت عدد مقطوعاته وقصائده ثمان وعشرين، والبسيط مقطوعة واحدة، والكامل قصيدة واحدة، والوافر أربع، والخفيف بيتان، والمتقارب بيت واحد، والرجز أربعة أشطار.

المصادر والمراجع

● الجبوري، د.يحيى، شعر عمرو بن شأس الأسدي، دار القلم، الكويت، 1396ه/ 1976م، ط2؛ ● الجزري، عز الدين بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح. محمد إبراهيم البنا وآخرين، دار الشعب بمصر؛ ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح.أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1966م؛ ● الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر؛ ● الأندلسي، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح. عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر؛ ● الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الشعر بمصر؛ ● المرزباني، معجم الشعراء، مكتبة القدسي، بيروت 1402 هـ / 1982 م؛ ● الآمدي، المؤتلف والمختلف، تصحيح وتعليق الدكتور كرتكو، دار القدسي، بيروت 1402 هـ / 1982 م.

د. حسني عبد الجليل يوسف
جامعة حلوان - مصر

الإسرائيلي، إسحاق بن سليمان

(... هـ / ... م - بعد 341هـ/953م)

أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي طبيب وكحال يهودي، ولد في مصر وعاش في القيروان (تونس) حيث شاع ذكره وعُرف بالإسرائيلي.

وقد استدعاه للعمل في القيروان الأمير زيادة الله بن الأغلب الذي تولى إفريقيّة خلال المدة (290 هـ / 902م - 296 هـ/ 909 م) وهو آخر أمراء بني الأغلب، ولما وصل إلى القيروان وجد الأمير بالأربص يستعدّ بجيوشه لملاقاة عبد الله الأصفهاني الداعي لعبيد الله المهدي، فانتقل إلى الأربص حيث اجتمع بالأمير وقد وصف مجلسه بقلة الوقار وأنه مجلس هزل ولهو.

ويروي أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار (ت 400 هـ/ 1009 م) عن إسحاق بن سليمان قال: «لما قدمت من مصر على زيادة الله بن الأغلب وجدته مقيماً بالجيوش في الأربص، فرحلت إليه، فلما بلغه قدومي، وقد كان بعث في طلبي وأرسل إلي بخمسمائة دينار تقويت بها على السفر، فأدخلت إليه ساعة وصولي، فسلمت بالإمارة، فرأيت مجلسه قليل الوقار والغالب عليه حب اللهو، وكل ما حرك الضحك، فابتدأني بالكلام ابن خنيس المعروف باليوناني فقال لي: تقول إن الملوحة تجلو؟ قلت: نعم، قال: وتقول: إن الحلاوة تجلو؟ قلت: نعم. قال لي: فالحلاوة هي الملوحة، والملوحة هي الحلاوة. فلما رأيت ذلك قلت له: تقول أنت حي؟ قال: نعم. قلت: والكلب حي؟ قال: نعم. قلت: فأنت الكلب. والكلب أنت. فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً، فعلمت أن رغبته في الهزل، أكثر من رغبته في الجد.. وقال إسحاق: فلما وصل أبو عبد الله المحتسب أو الشيعي (ت299هـ/ 911 م) داعي المهدي إلى رقادة (قاعدة أمراء الأغالبة في إفريقيّة) أدناني وقرب منزلتي، وكانت به حصاة في الكلى، وكنت أعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة، فجلست يوماً مع جماعة من كتامة، فسألوني عن صنوف من العلل، فكلما أجبتهم لم يفقهوا قولي. فقلت لهم: إنما أنتم بقر وليس معكم من الإنسانية إلا الاسم. فبلغ الخبر إلى أبي عبد الله، فلما دخلت إليه قال لي: تقابل إخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب، وبالله الكريم لولا أن عذرك بأنك جاهل بحقهم، وبقدر ما صار إليهم من معرفة الحق، وأهل الحق لأضربن عنقك. فرأيت رجلاً شأنه الجد فيما قصد إليه وليس للهزل عنده سوق».

استقر إسحاق بن سليمان الإسرائيلي في القيروان بعد انهزام الجيش الأغلبي ولما كانت البلاد خالية من طبيب بارع فقد قربه أول الخلفاء الفاطميّين أبو محمد عبيد الله المهدي الذي دامت خلافته (296 هـ/ 909 م - 322 هـ/ 933 م).

ويؤكد ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» في ترجمة الظافر العبيدي استمرار خدمة إسحاق بن سليمان للخلفاء الفاطميين حتى زمنه، لذلك يقول لوكليرك في كتابه «تاريخ الطب العربي»: إن وفاة هذا الطبيب كانت بعد عام 341 هـ/ 953 م وليست عام 320ه كما ذكر كل من ابن أبي أصيبعة وحاجي خليفة وإسماعيل باشا البغدادي، وهذا يتوافق مع القول إن إسحاق بن سليمان توفي عن عمر تجاوز المائة وكانت وفاته في القيروان. كذلك لا يعلم تاريخ ميلاده في مصر مع العلم بأن المدة التي استقر بها في القيروان تبلغ خمساً وأربعين سنة تقريباً. وقد مات من دون أن يتزوّج. وقيل له: «أيسرّك أن لك ولداً؟ قال: أما إذا صار لي كتاب الحميات فلا». أي أن بقاء ذكره بكتابه أكثر من بقاء ذكره بالولد. كما يروى أنه قال: «لي أربعة كتب تحيي ذكري أكثر من الولد هي: «كتاب الحميات»، و«كتاب الأغذية والأدوية»، و«كتاب البول»، و«كتاب الأسطقسات»».

كان إسحاق بن سليمان إضافة إلى حذقه لمهنته، متكلماً فصيحاً، جيد التأليف، بصيراً بالمنطق والفلسفة، بدأ حياته كحالاً ثم ترقى في مدارج العلم حتى غدا أحد روّاد مدرسة القيروان الطبية. وضع كتباً في الطب والحكمة والمنطق بأمر من الخليفة عبيد الله المهدي وتشجيعه، نقل معظمها إلى اللغة اللاتينية في أوروبة وكذلك إلى اللغة العبرية، وكان أول من ترجم جانباً من أعماله إلى اللاتينية قسطنطين الإفريقي (ت 479 هـ/ 1087 م)، وقد ساعد خاصة على نقل الطب العربي إلى مدرسة سالرنو الإيطالية.

آثاره

فقدت أكثر مؤلفات إسحاق بن سليمان المدوّنة باللغة العربية، وبقيت محفوظة في مكتبات أوروبة باللغة اللاتينية.

قام الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت 629 هـ/ 1231 م) باختصار بعض مؤلفات إسحاق بن سليمان ولا سيما كتاب الحميات [توجد نسخة منه في مجلدين بمكتبة الفاتح برقم 3604 وهي بعنوان أقاويل الأوائل في طبائع الأغذية وقواها] وهو خمس مقالات؛ ويقول عنه علي بن رضوان الطبيب المصري (ت 453 هـ/ 1061 م): «إن هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه وبالله التوفيق والمعونة». وكذلك كتاب البول [توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم 311 طب] وكتاب النبض.

ومن مؤلفات إسحاق بن سليمان في الطب كتاب الأدوية المفردة والأغذية [توجد نسخة منه في مجلدين بمكتبة الفاتح برقم 3604 وهي بعنوان أقاويل الأوائل في طبائع الأغذية وقواها]، وكتاب في الترياق، ودليل الأطباء [نصه العربي مفقود وبقي نص له باللغة العبرية بعنوان (منهج هاروفعيم) ترجمه إلى الإيطالية ف. سواف سنة 1861م]، والمدخل إلى صناعة الطب.

أما مؤلفاته في الحكمة والمنطق فله كتاب الأسطقسات (نشره سالمون فريد في كتاب «في العناصر»، وهو دراسة للفلسفة الدينية اليهودية في العصور الوسطى؛ وقد ترجمه من اللغة العربية إلى اللغة العبرية ابن حسداي

«إبراهيم بن سامويل هالفي») في العناصر، وكتاب بستان الحكيم ويحتوي على مسائل من العلم الإلهي، وكتاب الحكمة، وكتاب في الحدود والرسوم، وكتاب المدخل إلى المنطق، وله كتاب في التعريفات (نشره بالنص من ترجمة نسيم بن سولمون، هارتفيج هرشفلد سنة 1896 م).

ويقول ألدوميلي في كتابه «العلم عند العرب» بأنه ظهرت طبعة كاملة لكتب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي التي ترجمت إلى اللاتينية في العصور الوسطى في ليون عام 1515 م.

المصادر والمراجع

● الدوميلي، العلم عند العرب، بيروت 1962 م؛ ● لوكليرك، تاريخ الطب العربي، باريس 1876 م؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة 1881م؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت (أول طبعة في القاهرة سنة 1881م)؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هديّة العارفين 1/ 199.

د. زهير الكتبي

دمشق ـ سوريا

أسعد أفندي، محمد بن أبي إسحاق إسماعيل

(1096 هـ / 1685 م ـ 1166 هـ / 1753 م)

اسمه الكامل محمد أسعد، كان والده أبو إسحاق إسماعيل أفندي وأخوه إسحاق أفندي شيخين من شيوخ الإسلام. ولد في شهر ذي القعدة من عام 1096ه الموافق لـ أكتوبر عام 1685م بإستانبول. وتلقى علومه الأولى على يدي والده، ثم اشتهر بعد ذلك بلقب «المطول»، واكتسب تعليما جيدا من بعض العلماء الآخرين. وفي عام 1122هـ/ 1710م بدأ التدريس بعد أن تخرج في المرتبة الثالثة من غلاطة سراي. وتم تعيينه مدرسا في مدرسة عبد السلام عندما كان والده يشغل منصب شيخ الإسلام (1129 - 1130هـ/ 1716- 1717م)، وعيّن كذلك مدرسا في مدرسة صحن ثمان عندما كان عبد الله أفندي الذي ينحدر من يني شهير شيخا للإسلام وذلك في الفترة من عام 1131هـ/ 1718م إلى عام 1133هـ/ 1720م. ثم عيّن على إدارة القضاء في سالونيك، وذلك بعد أن شغل عدة مناصب مثل مفتشية مكة والمدينة وأمانة الفتوى وغيرهما من المناصب. وبعد عزله من وظيفة القضاء في سالونيك تم منحه درجة المدينة المنورة. وفي العام الموالي أصبح قاضيا على مكة.

أثناء اندلاع الحرب العثمانية الروسية ثم الحرب العثمانية النمساوية التي بدأت في عام 1736، تم عزل أسعد أفندي من مهنة القضاء في مكة وعيّن قاضيا للجيش برتبة قاضي

عسكر الأناضول (23 ذو القعدة 1150هـ الموافق لـ14 مارس 1737م). وقدم خدمات جليلة في هذه الحرب. وأثناء هذه الحملة ساءت العلاقة بين يغين محمد باشا الصدر الأعظم وعوض محمد باشا سر عسكر «ودن» مما أدى إلى عزله، إلا أنه وبعد أن تعرض الجيش لهزائم متلاحقة من قبل القوات النمساوية المهاجمة، أراد الصدر الأعظم إرجاعه إلى السرعسكرية مرة ثانية ولكنه رفض ذلك، فتدخل أسعد أفندي لدى عوض محمد باشا وأقنعه بالعودة إلى منصب السرعسكر، ورجع إلى منصبه بالفعل. وهكذا تمّ التغلب على النمساويين وأُلحقت بهم الهزيمة. وبالإضافة إلى ذلك لعب دورا مهما غير مباشر عند فتح قلعة الجزيرة في أغسطس عام 1738م. وتم تعيينه ممثلا في مفاوضات السلام المتعلقة بإحلال الأمن في بلغراد. وبعد نهاية المحادثات ذهب إلى بلغراد برفقة ممثلين آخرين.

تم منح أسعد أفندي رتبة قضاء عسكر الروميلي أثناء عقد اتفاقية بلغراد. وفي 27 محرم الموافق لـ 13 مارس عام 1744م تم تعيينه فعليا في هذا المنصب. وبعد مرور سبعة عشر شهراً من تعيينه تم عزله، غير أنه أعيد إلى الوظيفة مرة ثانية بتاريخ 10 شوال 1159هـ الموافق لـ 29 أكتوبر 1746م. وفي هذه المرة تم عزله من الوظيفة قبل أن يكمل المدة المقررة. وبعد عامين تقريبا أي في 24 رجب 1161هـ/ 20 يوليو 1748م عين شيخا للإسلام، بيد أنه عزل من هذا المنصب بعد مرور عام واحد أي في 27 شعبان 1162هـ/ 12 أغسطس 1749م.

قرر أسعد أفندي الإقامة في مكة المكرمة بتوصية من خلفه خليل أفندي زاده محمد سعيد أفندي وذلك بعد أن تم عزله من منصب شيخ الإسلام. إلا أن السلطان لم يقبل هذا الاقتراح وأرسله إلى سنوب. وبعد فترة قصيرة تم نقله إلى غليبولي ومكث فيها ثلاثة أعوام. وفي 16 ربيع الثاني من عام 1165هـ الموافق لـ 4 مارس عام 1752م تم العفو عنه من قبل السلطان وسُمح له بالإقامة في الشاطئ الذي اشتراه في قرية إنجر على ضفاف البسفور بإستانبول. وبعد عودته إلى إستانبول أصيب أسعد أفندي بالمرض. وفي يوم 10 شوال 1166هـ/ 10 أغسطس 1753م انتقل إلى الرفيق الأعلى، وتم دفنه بجانب والده وأخيه الأكبر في مقبرة الجامع الذي أنشأه والده أبو اسحاق أفندي بالقرب من قارشمبه في إستانبول. وكان أسعد أفندي قد أنشأ بجانب هذا الجامع مدرسة ومكتبا ونافورة وعدة غرف لإلقاء الدروس.

آثاره

يعتبر أسعد أفندي واحدا من أبرز العلماء العثمانيين الذين عاشوا في القرن الثامن عشر. وقد كتب أشعاره باللغات العربية والفارسية والتركية، ويعتبر شخصية مهمة تركت مؤلفات قيمة في مجالات المعاجم (القواميس) والتفسير والموسيقى. وكان أسعد أفندي في الوقت نفسه من أكبر الشخصيات في مجال تاريخ الموسيقى التركية وواحداً من الملحنين المعروفين في فترته. وقد ألف كتبا عديدة في كل من الأشعار الدينية والأشكال الغنائية. غير أن ألحانه الموسيقية المخطوطة والمطبوعة نسي أكثرها تقريبا، ولم يحتفظ سوى بالقليل منها. والمؤلفات التالية تمثل أشهر كتبه:

1- لهجة اللغة، وهو عبارة عن قاموس من اللغة التركية إلى اللغتين العربية والفارسية. وإذا استثنينا القواميس التي كتبت في الفترات الأولى مثل «ديوان لغة الترك» و«الترجمان»، فإن هذا القاموس يعتبر أول معجم في اللغة التركية اتخذ الكلمات التركية أساسا له. وقد تم إهداء هذا المؤلف إلى السلطان محمود الأول. وفي عام 1210هـ/ 1795م طبع في إستانبول. وللوهلة الأولى يبدو هذا المعجم عبارة عن قاموس من اللغة التركية إلى اللغتين العربية والفارسية، إلا أنه في الوقت نفسه يحتوي على شروح للمواد باللغة التركية، وبذلك يصبح القاموس عبارة عن معجم من اللغة التركية إلى اللغة التركية أيضا. وتحتوي كل مادة في القاموس على نحو 3700 كلمة. وقام المؤلف باختصار «لهجة اللغة» في مؤلف آخر أسماه «بهجة اللغة» [المكتبة المركزية بجامعة إستانبول، المخطوطات التركية، رقم 202]. كما اختصر هذا المعجم من قبل علي كاشف الأسكداري [المكتبة المركزية بجامعة إستانبول، المخطوطات التركية، رقم 2573]، وتمت طباعة المختصر الثالث الذي هو تحت عنوان «ترجمان اللغة» في عام 1871م بإستانبول. 2- أطرب الآثار في تذكرة عرفاء الأدوار، يحتوي على السيرة الذاتية لنحو مائة موسيقار عاشوا في القرن السابع عشر والربع الأول من القرن الثامن عشر. وقد تم تقديم هذا الكتاب إلى داماد إبراهيم باشا، الصدر الأعظم، والذي ينحدر من نوشهير. وذكر اسم هذا الكتاب في بعض نسخه المخطوطة ب «تذكرة خنانديغان» و«تذكرة الموسيقيين». وقام ولد جلبي بتلخيص المؤلف وألحق إليه بعض الإضافات ونشره ضمن «مجلة المكتب» [سنة III، العدد 1-7، 10، إستانبول 1894م]. كما قام حسين سعد الدين أريل بكتابة المؤلف باللغة التركية المعاصرة، وشرح العبارات التي وردت فيه باستثناء المعلومات التاريخية ونشره ضمن «مجلة الموسيقى» [نوفمبر 1948م - فبراير 1950م، العدد 9 - 24]. 3- الديوان، تم العثور على خمس نسخ منه موجودة في مكتبات إستانبول. ويحتوي المؤلف على 400 مقطوعة في مختلف أنواع الشعر. وقام محمد نور دوغان بتحقيقه وإعداد رسالة دكتوراه حوله في جامعة إستانبول، ثم نشره بعد ذلك.

وباستثناء أشعار أسعد أفندي التي توجد في ديوانه، فهناك بعض القصائد التي توجد في مختلف المجلات المخطوطة. 4- خلاصة التبيين في تفسير سورة ياسين، توجد من المؤلف عدة مخطوطات [انظر مثلا المكتبة المركزية بجامعة إستانبول، المخطوطات التركية، رقم 700، 1753. مكتبة السليمانية، حميدية، رقم 1461، ورق 147151]. 5- تفسير آية الكرسي، توجد من الكتاب عدة مخطوطات، وتمت طباعته في إستانبول، بيد أنه لا يعرف تاريخ هذه الطباعة. 6- تفسير الآية المصدرة بربنا، هو عبارة عن تفسير باللغة العربية يدور حول الآيات التي كان يدعو بها النبي ﷺ [مكتبة الملا مراد، لاله إسماعيل أفندي، رقم 8]. 7- رسالة النصرية، هو عبارة عن تفسير باللغة التركية يدور حول الآيات المتعلقة بالنصر. وتم تأليفه بطلب من محمود الأول [مكتبة السليمانية، حميدية، رقم 1461، ورق

6-21. أسعد أفندي، رقم 92/ 1، ورق 1-44]. 8 - إطباق الأطباق، كتاب باللغة العربية، وكتب معارضة لكتاب «أطباق الذهب» لعبد المؤمن الأصفهاني، والذي كتبه بدوره معارضة لكتاب «أطواق الذهب» للزمخشري [مكتبة السليمانية، حميدية، رقم 1461. رشادية، رقم 465. مكتبة عاطف أفندي، رقم 1999].

تذكر المصادر أن أسعد أفندي قام بتأليف كتاب «بلبل نامه» بطلب من داماد إبراهيم باشا النوشهيري. وتبيّن كذلك أنه أهدى كتابه «غل زار إبراهيم» الذي يدور حول الزهور إلى داماد إبراهيم باشا. لكنّه لم يصل إلينا من هذين الكتابين شيء. وذكر حافظ محمد أفندي في كتابه «نتيجة الفتاوى» (إستانبول 1269) نحو عشرين فتوى لشيخ الإسلام أسعد أفندي.

المصادر والمراجع

● سالم، التذكرة، إستانبول 1315، 73؛ ● شمع داني زاده، مريد التواريخ، نشر منير أق تبه، إستانبول 1976، I، 133 - 134، 143، 148، 174؛ ● واصف أفندي، أحمد، التاريخ، إستانبول 1219، I، 17؛

● Ismail Hakki Uzunçarsili, Osmanli Tarihi, IV/2, Ankara 1947-1959, p.476-479; ● Satettin Nüzhet Ergün, Türk sairleri, Istanbul 1936-1945, III, 1329-1335; ● Muhammet Nur Dogan, seyhülislam Esad Efendi ve Divan'nin Tenkitli Metni, Istanbul 1997; ● Cavid Baysun, «Es'ad Efendi», Islam Ansiklopedisi (Milli Egitim Bakanligi), IV, 359-362; ● Yilmaz Öztuna, Büyük Türk Musikisi Ansiklopedisi (Milli Egitim Bakanligi), IV, 359-362; ● Yilmaz Öztuna, Büyük Türk Musikisi Ansiklopedisi, Ankara 1990, I, 265-267; ● Muhammet Nur Dogan, Esad Efendi, Ebuishakzade, Türkiye Diyaret vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1995, XI, 338-34.

د. أحمد أوزال
هيئة الموسوعة الإسلامية
اسطنبول - تركيا

أسعد أفندي، محمد أسعد بن علي بن عثمان الينوي

(.....هـ/.....م - 1143هـ/1730م)

هو منجم ومدرس وفيلسوف عاش في الدولة العثمانية في فترة اللاله. وتلقى تعليمه الأول في المكان الذي ولد فيه وهو يانية. ونجد من بين أساتذته محمد أفندي، مفتي يانية، وإبراهيم أفندي العالم المعروف في تلك الفترة. وبعد أن أكمل تعليمه الأول، ذهب في عام 1098هـ/ 1686-1687م إلى استانبول وبدأ تعليمه المدرسي. وأثناء تحصيله في استانبول تلقى العلوم العقلية والنقلية من بعض العلماء. ونجد من بين هؤلاء محمد أفندي رئيس منجمي الهندسة والذي قرأ عنه الحساب والجبر والفلك، ومصطفى أفندي (ت 1099هـ/ 1687م) وهو مفتي تكرداغ وتلقى عنه الفلسفة والكلام وغيرهما من العلوم، وزاده إبراهيم أفندي الأق شهيري حيث درس عنه اللغة الفارسية.

بعد أن أنهى أسعد أفندي تحصيله، لازم أبا سعيد زاده فيض الله أفندي (ت 1698م) وهو شيخ الإسلام في ذلك العهد (1102هـ/ 1691م). وعند نجاحه في امتحان التدريس الذي عقد ونيله لـ إبتدائي-خارج أصبح في عام 1110هـ/ 1698-1699م مدرسا في دار حديث سليمان أغا. واجتاز أسعد أفندي بنجاح كامل التدرج السُلمي الموجود في التشكيلات العلمية في الدولة العثمانية، فتم تعيينه في عام 1116هـ/ 1704م في مدرسة الدفتردار يحيى أفندي بدرجة حركة-خارج، وعيّن في عام 1119هـ/ 1707م في مدرسة أبتم بدرجة إبتدائي-داخل، وعين في عام 1122هـ/ 1710م مدرسا في مدرسة أيوب فرحات باشا بدرجة حركة-داخل، وعين في عام 1125هـ/ 1713م في مدرسة مهر ماه سلطان في أدرنة قابي بدرجة مثلي صحن ثمان. وفي عام 1129هـ/ 1717م تم تعيينه في مدرسة عتيق مراد باشا بدرجة حركة-ألتملشلي، وفي عام 1130هـ/ 1718م عيّن في مدرسة السليمانية بدرجة مثلي القصوى، وفي عام 1133هـ/ 1720-1721م عيّن مدرسا في مدرسة أيوب. وهكذا نال أسعد أفندي أعلى الدرجات في مجال التدريس، وقام وهو في مدرسة أيوب بإنجاز دراساته العلمية من جانب وتأليف أكبر مؤلفاته من جانب آخر.

بالإضافة إلى ذلك تم تعيين أسعد أفندي في وظيفة القضاء في غلاطة التي تحتل موقعا مهما في التسلسل الإداري في الدولة العثمانية. وانضم في عام 1138هـ/ 1725-1726م إلى مجلس المشورة، وهكذا أصبح اسما بارزا في إدارة الدولة. وعهد إليه بترجمة مؤلف «عقد الجمان» لعيني وذلك في عام 1138هـ/ 1725م في عهد اللاله ضمن هيئة الترجمة في مطبعة الدولة التي تم إنشاؤها حديثا. كما عين أسعد أفندي من قبل السلطان أحمد الثالث حافظا للكتب في مكتبة السراي

التي أنشئت في سراي طوب قابي. وبجانب إرثه العلمي وهويته السياسية، واصل أسعد أفندي حياة الزهد وانتسب إلى الطريقة النقشبندية. وتوفي عقب فترة اللاله مباشرة، ودفن بالقرب من غرفة الأمير البخاري التي توجد خارج أدرنة قابي باستانبول.

مارس أسعد أفندي نشاطاته العلمية في العهد الذي يعرف في الدولة العثمانية بفترة اللاله. ويعتبر أهم المفكرين الذين عاشوا في هذه الفترة. وبجانب معرفته باللغة التركية، واللغة العربية، واللغة الفارسية، كان كذلك يعرف اللغتين الأغريقية واللاتينية، وبسبب ذلك اكتسب ميزة لم ينلها المدرس العثماني الكلاسيكي، حيث قام بتأليف وترجمة عدد كبير من المؤلفات. كما أكسبته الوظائف التي شغلها والترجمات التي أنجزها والشروح التي كتبها والكتب التي ألفها شهرة مستحقة، فأطلق عليه العلماء العثمانيون لقب «المعلم الثالث».

وبالإضافة إلى ذلك كان عالما بالأديان السماوية الثلاثة. وتلقى عنه بعض علماء الدين المسيحي والدين اليهودي علوما في أديانهم، لذا يمكن القول إن أسعد الينوي كان علاّمة بمعنى الكلمة. ومن جانب آخر كان شاعرا جيدا يكتب الشعر باللغات التركية، والعربية، والفارسية. وشخَّص أسعد أفندي معالم الركود في المسيرة العلمية للدولة العثمانية، وبدأ في استنهاض الجانب العلمي مرة أخرى، لذا كانت أهم سمة لترجماته هي ممارسة النقد حيال النموذج الذي كان يمثله السلطان محمد الفاتح وعلي كوشچو بعد فتح استانبول. وكان يؤكد على ضرورة اتباع مدرسة أرسطو في الفكر عوضا عن الفكر العثماني السائد، ولهذا السبب اجتهد كثيرا في إحياء منطق أرسطو من جديد بمعنى إحياء «الحكمة الطبيعية» من الناحية النظرية. وكان ينتقد كل من يتبنى نظرية مخالفة، ويبين في ترجمة جديدة لـ «أورغانون» لأرسطو أن الفيزياء علم نظري وفي الوقت نفسه علم برهاني، وذكر أن ابن رشد قد أوضح هذا من قبل، غير أنه يستدرك قائلا إن بعض علمائنا غير هذا الأمر فيما بعد وجعل هذا العلم ضنيا ووهميا، وهو بذلك يشير بطريقة غير مباشرة إلى أفكار علي كوشچو في كتابه «شرح التجريد».

إن هذا النمط من التفكير لدى أسعد أفندي كان يعكس التوجهات الفكرية للعلماء العثمانيين في عصر النهضة، وهو النمط الذي هيأ الأرضية لظهور نتائج إيجابية في مجابهة أوروبا الغربية في عصرها الحديث. وضمن هذا الاطار ترجم أسعد أفندي أغلب مؤلفات أرسطو في المنطق والفيزياء إلى اللغة العربية، وتمت هذه الترجمات بناء على أوامر من الصدر الأعظم إبراهيم داماد باشا النوشهيري وكذلك من شيخ الإسلام عبد الله أفندي، وكتب لها كذلك شروحات وضمنها تصحيحات لأفكاره مفضلا عليها أفكار ابن رشد وآرائه. وكذلك أدرج أفكارا لفلاسفة لاتينيين مثل بركوس ماجنوس، وسكوتوس أريجينا، وثوماس أكويناس، وفلاسفة مسلمين مثل الفارابي، وابن سينا، ونصير الدين الطوسي. وتميّز أسعد أفندي باستخدام بسيط وسهل للغة العربية في ترجماته، كما ذكر في هذه الترجمات عددا كبيرا من العلماء والفلاسفة، واقتبس الكثير من شروحات

وأبحاث العاملين في أكاديمية بادو الإيطالية التي كانت تمثل مركزا رئيسيا لفلسفة أرسطو وابن رشد، كما اقتبس شروحات ليوانيس كوتينيوس الكاريفيري مطران سالوكينا (ت 1658) الذي كان يرأس أكاديمية باخوسوس.

ويلاحظ أن أسعد أفندي أضاف آراءه إلى هذه الشروحات أيضا منتقدا الأخطاء التي وقع فيها الفلاسفة والمفكرون الذين سبقوه، وأشار كذلك إلى الأفكار التي لم يكن يؤيد فيها كل من ابن رشد وأرسطو. ويعتقد أن أسعد أفندي هو أول من تناول بالحديث الآلات البصرية الجديدة مثل المنظار والمجهر، وهي الآلات التي كانت تنتشر في أوروبا خلال عصر النهضة كتطور لعلم البصريات، وهو في الوقت نفسه موضوع ذو علاقة بعلم البصريات الإسلامي بصورة عامة وعلم البصريات العثماني على وجه الخصوص.

آثاره

تتحدث المصادر عن الكتب التي ألفها والكتب التي ترجمها أسعد أفندي، فبعض هذه المصادر تذكر أن له مجموعة أشعار في شكل ديوان، ويقال إنه ترجم كتاب «الشفاء» لابن سينا وكتب شرحا على «حكمة الإشراق» لشهاب الدين السهروردي، وترجم كتاب سراج الدين الأورموي المسمى «مطالع الأنوار» إلى اللغة التركية. بيد أن نسخ هذه المؤلفات لم تصل إلينا.

وهناك بعض مؤلفات أرخميدس في المعادلات الهندسية لم يقع ترجمتها إلى اللغة العربية، فقام أسعد أفندي بترجمة كتاب «العمل المربع المساوي للدائرة» إلى اللغة العربية، وقد استفاد في ذلك من مؤلفات أرخميدس الأخرى. وبينت المعلومات التي احتوى عليها هذا الكتاب أن أسعد أفندي كان لديه علم جيد بالترجمات التي تمت في العهد العباسي، كما كان لديه علم كذلك بالمؤلفات العلمية التي وقع اكتشافها في أوروبا في الفترة التي عاش فيها والتي تعود إلى العهد اليوناني. وبالإضافة إلى هذه الترجمة التي وصلت إلى أيدينا اليوم قام أسعد أفندي بترجمة بعض النصوص في مجال الرياضيات من اللغة اللاتينية مثل «ترتيب الدائرة» و «النسبة المؤلفة». وإلى جانب أعماله هذه يمكن أن نورد أهم أعماله على النحو التالي:

1 ترجمة شرح الأنوار: وقد استعان أثناء الترجمة ببعض المواطنين العثمانيين الذين يتقنون اللغة اليونانية ومن بين هؤلاء اثنان من أبنائه. وقد كان مؤلفه هذا متداولا في الأوساط العلمية العثمانية، وقد وصل إلينا هذا الكتاب؛ 2- التعليم الثالث: هو ترجمة للشرح الذي كتبه إيوانيس كوتينيوس لكتاب أرسطو طاليس المسمى «فيزيقا» والمتكون من ثمانية أبواب. وبالنسبة إلى المقالات الثلاث الأولى فقد ترجمها أسعد أفندي مع شرحها، أما المقالات الخمس الأخيرة فقد ترجمها بشكل مختصر. وعند القيام بهذه الترجمة أيضا، استفاد كثيرا من كتب المنطق، واستعان بولديه اللذين يتقنان اليونانية، واستعان كذلك بمواطنين عثمانيين من أصل يوناني لهم دراية جيدة بلغة اليونان. غير أن أسعد أفندي أكد في المقدمة أن الكتاب ليس ترجمة خالصة وإنما تضمن بعض تعليقاته هو

[مكتبة جامعة استانبول، المخطوطات العربية، رقم 534]. وتشير كثرة النسخ المتوفرة من هذا المؤلف إلى أنه كان ذا قيمة كبيرة بين أوساط العلماء العثمانيين؛ 3- الرسالة اللاهوتية: هو من صنف الأعمال التي تبحث في الأدلة على وجود الخالق. ويبحث الكتاب في الأدلة التي ساقتها كتب علم الكلام الكلاسيكية. وقد ألف هذا الأثر بطلب من شيخ الإسلام ميرزا مصطفى أفندي (ت 1722). وفي هذا المؤلف عمل الكاتب على التمييز بين المصطلحات التي استعملها ابن سينا وهي «الواجب» و«الممكن» و«الممتنع». وعند تناول هذه المواضيع اعتمد المؤلف على أساليب العلماء العثمانيين في كتابة المؤلفات الفلسفية والكلامية، كما عرض لآراء المتكلمة والفلاسفة والمتصوفة؛ 4 حاشية على رسالة في إثبات الواجب: هو عمل يشبه إلى حد كبير «الرسالة اللاهوتية»، ويتناول كذلك الأدلة على الخالق. ويشير العنوان إلى أن المؤلف في شكل حاشية لكن الحقيقة غير ذلك، فهو عبارة عن المناقشات التي كانت تدور بينه وبين كبار العلماء بحضور شيخ الإسلام ميرزا مصطفى أفندي. وقام هو بنفسه بتدوين هذه المناقشات في شكل كتاب بطلب من شيخ الإسلام. ولهذا السبب فهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من الملاحظات حول المواضيع التي تناولها في مناقشاته. ونجد في الكتاب كذلك التمييز الذي وضعه أسعد أفندي بين المصطلحات التي استخدمها ابن سينا والمتمثلة في «الواجب» و«الممكن» و«الممتنع». وعند إيراد آرائه حول هذا الموضوع يعرض كذلك إلى آراء المتكلمة والمتصوفة والفلاسفة الميتافيزقيين (الحكماء الإلهيين)، ثم يقارن بين آراء المجموعات الثلاث؛ 5- الحاشية الفتحية على شرح الحنفية للرسالة العضدية: حاشية كتبها أسعد أفندي على الشرح الذي وضعه محمد الحنفي التبريزي (ت 900هـ) لكتاب «أدب العضد» الذي كتبه عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت 756هـ/1355م). وهو كتاب في موضوع أدب النقاش وأصوله، ويتناول كذلك مواضيع في آداب علم المنطق. وقد عرض توضيحات ضافية للمواضيع التي تناولها في مجال علم الأدب، وحلل تحليلا طويلا لمفهوم «العلم»، وهذا ما أكسب الكتاب أهمية خاصة. وعند النظر في مفهوم العلم يقيم أسعد أفندي باستمرار مقارنة بين آراء المتكلمين والفلاسفة في هذا المجال؛ 6- ترجمة منظومة شاهدي: عبارة عن ترجمة وضعها أسعد أفندي باللغة اليونانية للمعجم الذي نظمه شاهد باللغة الفارسية. وعندما أرسله أسعد أفندي إلى يانيا كان سببا في انتشار اللغة الفارسية بين أوساط العلماء في تلك المنطقة. وتذكر المصادر أن أسعد أفندي قام بشرح «منظومة شاهد» إلى جانب ترجمتها.

د. احسان فضلي اوغلي
جامعة استنبول-تركيا

إسعيد، فايز

(1358 هـ / 1939 م - 1421 هـ / 1997 م)

أقبل فايز إسعيد على كتابة القصة القصيرة متأخراً، وما لبث أن تميز في صوغه السردي من حيث موضوعاته والتزامه بتقاليد القص الإتباعي الذي يأخذ بمقومات القصة التقليدية ولا سيما تعبيرها عن مشكلات جماعة مغمورة، وهي المغتربون بعيداً عن وطنهم في مجموعته «عندما يكبر الوطن» (1995) من جهة، والفقراء البائسون الذين يعانون قسوة العيش في مجموعته «النورس المتسول» (1996) من جهة أخرى. وثمة سقومات أخرى مثل نشدان التعاطف الإنساني مع الجماعة المغمورة وضبط المنظور السردي الكاشف عن المحتوى القيمي الذي تتلفع به قصصه جميعاً.

ولد محمد فايز إسعيد بدمشق في 5 شباط 1939، وحمل إجازة في الحقوق من جامعة دمشق عام 1963 والدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بلغرانو في بوينس ايرس (الأرجنتين) عام 1992. وعمل في وزارة الخارجية السورية منذ عام 1964 في سفارات الجمهورية العربية في السودان (الخرطوم) وإسبانيا (مدريد). واتبع دورة كارنجي في نيويورك، وحاز منها على دبلوم العلاقات الدولية. وشغل مدير مكتب وزير الخارجية في الفترة ما بين 1970 و1973 والفترة 1978 و1980. وعمل مديراً لمكتب الجامعة العربية في إسبانيا (1980-1985)، وتونس (1986-1989)، والأرجنتين (1988-1994)، والقاهرة (1996-1997)، وألمانيا (1996-1997). وتزوج من السيدة هيفاء السرميني، وله ابنان: فراس وآلاء. وتوفي في بون (ألمانيا) في 5 أيلول 1997.

وضع محمد فايز إسعيد عدة مجموعات قصصية، وبعضها ما يزال مخطوطاً، ونشر مجموعتين هما «عندما يكبر الوطن» بدمشق عام 1995 و«النورس المتسول» بالقاهرة عام 1996.

قدم شاكر مصطفى، الناقد والمثقف العربي، لمجموعته الأولى مشيداً بنسيجها الأدبي المتصل بدنيا الاغتراب، على أن قصصه تؤلف ملحمة لهؤلاء المغتربين الذين افترستهم الغربة، وتفردت قصصه أيضاً بهاجسها الوطني عند المغتربين الأوائل ممن أثارت الغربة حنينهم للوطن حتى درجة الالتهاب، فصارت القصص جميعا صلاة للوطن وطوافاً حول كعبة قدسية واحدة هي الوطن، وصرخة حنين ممدودة بين ذرى جبال الأندلس من الأرجنتين وذرى جبال الشام.

حوت المجموعة ست عشرة قصة قصيرة عن الغربة مكتوبة بأسلوب إتباعي يأخذ بعناصر السرد التقليدي من حيث العرض والتحفيز (تنامي الفعلية) وأنساق التنضيد الناظمة لوجهة النظر في جلاء الأغراض المتوخاة وإظهار المنظومة القيمية الإنسانية المفعمة بالأمل

والرجاء والتعاطف العميم مع جماعة المغتربين المغمورة بوطأة عيشها ودفق حنينها لوطنها. يجلس ممثل الوطن (الرامي) في قصة «عندما يكبر الوطن» مع المغترب «انطون» الشاكي من وطأة الغربة على وجدانه وهو يتذكر قريته «بحور» من أعمال حمص الملاصقة لبلدة «رباح»، وتتحشرج المرارة في نفسه لاعناً أبا الغربة، ثم يدفعه الحنين إلى أن يعلن أنه يحضّر نفسه وعائلته للعودة، وقد أدرك الراوي فجأة جواب سؤال قديم، وتأكد بأن الوطن يكبر برجاله، ولا يكبر الرجال بوطنهم، وعاهد نفسه أنه في أول سفرة للوطن سيزور بحور قرية المغترب التي تعلم منها كيف يكبر الوطن من كل قرية أو من كل ذرة من ترابه. وختم القصة بتصويب معنى الحنين في وجدانه: «أرجو المعذرة، فالمعادلة غير صحيحة فيما اعتقد، الوطن يكبر برجاله، كما يكبر الرجال بوطنهم.. ألا ترى ذلك» [ص21].

ويتأسى أبو مصطفى في قصة «وتختصر الدنيا» لفقد زوجته الأولى على الرغم من رحابة صدر زوجته الثانية الشابة قياساً لعمره، فقد تزوجها في السبعينات من عمره وهي في الأربعينات، وحلت خديجة محل الراحلة. وقضى خمسين سنة من عمره في الأرجنتين ثم عاد إلى بلدته يبرود. وظن الأولاد أن عودته للوطن بسبب وفاة زوجته وشعوره بالوحدة، ولكنه اعترف في صميمه «أن المرء في وطنه يشبه من يجلس على كومة ذهب، لا يراها ويدرك قيمتها وبريقها إلا عن بعد» [ص28]. وعندما مشى في الطريق إلى بلدته، رأى الدنيا كلها مختصرة في هذا الطريق وفي هذه البلدة، «وهل دنيا الإنسان غير ألفة ومحبة ومودة، وهل حياته غير بسمة وكلمة حلوة ولفتة حنان» [ص29].

وأحس أحدهم بالاغتراب في قصة «دمشق في بوينس ايرس» على الرغم من مدة إقامته الطويلة. فإنه «كان يعيش دمشق في بونيس ايرس، بل كان أحياناً يختصر الأرجنتين كلّها لتصبح إحدى حارات دمشق، وما أكثر ما كان يقارن ويتذكر ويذكر» [ص32].

والقصة أقرب إلى مرثية للمغترب فتحي، فالراوي ينسى غربته عندما يكون معه، وعندما علم بموته شعر بالغربة لأول مرة، وأحس بابتعاده عن دمشق، «أما الأرجنتين، فعلى الرغم من تعرفي عليها فإن الكثير من الأسئلة تبقى بحاجة إلى جواب وتوضيح سواء كان ذلك صحيحاً أو خطأ، وألتفت لأسأل فتحي فلا أرى إلا ابتسامته ووجهه السمح، وتبقى آلاف الأسئلة دون جواب» [ص37].

تعنى قصص «عندما يكبر الوطن» بالجماعة المغمورة من المغتربين، وتتعاطف معها بشراً يكابدون قسوة الحياة في المغترب، ولا شيء يثري نفوسهم المترعة بصور الوطن سوى الحنين وعزيمة البقاء منتمين لإنسانيتهم، فصوّر في قصة «وما يزال صاحبنا تائهاً» النزوع الإنساني الذي يغطي إرباكات الانتماء الديني وتعارضاته مع الانتماء الوطني والقومي، فقد لفت نظر الراوي حال هذا المغترب المعذب حتى ظن أنه ربما كان ملاحقاً في سورية، غير أن المغترب صرح أنه يهودي من حلب، فصرخ متأسياً «سيبوني يا ناس» تناصاً مع مدى المفارقة اللفظية والمعنوية في أنه إنسان شديد الاعتزاز بتكوينه

في وطنه، ولا يعنيه الانتماء لأية جنسية.

وثمة إشكالية أخرى تظهرها قصة «الهوية الضائعة» التي تروي خشية فاديا المرأة المغتربة من لبنان أن تكون قد أضاعت الهويتين من وطنها الأم ووطن المغترب (الأرجنتين)، إذ حصلت على الهوية، ولم يقلل ذلك من وطأة معاناتها وأمثالها من الجالية العربية.

استفاد محمد فائز اسعيد من بعض تقانات السرد المتطورة في تفصيل المنظور السردي الهادف إلى جلاء أغراض القصة، مثل المفارقة اللفظية والمعنوية التي تتكرر في عديد القصص كما هو الحال في قصة «نقاط الجغرافية»، فقد التقى به الراوي، وأثيرت في لقائهما معاناة غربته، فأراد أن ينهي اللحظات الوجدانية بينهما، لأنه لم يصل إلى آخر الدنيا ليبكي على حالهم، فلجأ إلى المفارقة اللفظية للإفصاح عن حساسية الانتماء ومعاناته في الغربة تحت وطأة ضغوط الجغرافية القاهرة، فخاطب الغيوم باعثاً الدلالات الثرة الناجمة عن هذه المفارقة: «اذهبي حيث شئت لأن كلّ ذرة من ذراتك تحمل وتحكي عن قضيتي حتى ولو وصلت إلى بويرتو مونت» [ص68].

وتوجز قصة «دوامة الوطن» معنى الغربة وأسباب مجاوزته بوعي الانتماء ودفق الحنين إلى جذوره، فالمرء ابن تمثيله الثقافي وأصوله الثقافية العريقة والعميقة: «لا نريد أن نكون غرباء في أنفسنا، لأن الوطن في داخلنا، ومهما اغتربنا، فنحن قريبون منه.. أما الأحداث فهي ذكريات.. الوطن هو نحن.. هو روحنا وفكرنا ومشاعرنا، وعلينا أن نتكيف مع كل شيء» [ص113].

وبنى فائز إسعيد قصص مجموعته «النورس المتسول» وفق أمرين: **الأول** هو مقاربة الصور الإنسانية لأفراد الجماعة المغمورة بتأثير عوامل الحاجة إلى معاني الحياة المهددة بالفقر أو المرض أو الشيخوخة أو التشرد، **والثاني** هو الإيمان بالإنسانية والتعلق بفيضها نحو تقديس الطبيعة دفاعاً عن البيئة أو رفضاً لبعض القيم الجديدة في مجتمعاتنا مما لا يتفق مع الأعراف والتقاليد أو انتقاداً لبعض المظاهر الحضارية التي أهملت الإنسان أو تذكيراً بقيم أخلاقية أخذت بالضعف والزوال أو تعبيراً عن مثاليات لم يعد لها مكان في عالم اليوم بما يجعل من قصصه «رحلة في المشاعر والعواطف الإنسانية التي تتواجد داخل الكثيرين منا» حسب تعبيره في تقديمه لمجموعته [ص8]. ورأت سلمى شلاش القاصة والروائية من مصر في كلمتها على غلاف المجموعة أن «الكاتب يحمل معه أينما ارتحل في أرجاء الكون أدواته من فكر وتفاعل وتناغم يسجل ما يرى وما يسمع.. دهشته هي التي تحدد هوية أعماله.. في لحظات نادرة من يقظة الوعي».

عنيت قصة «بيومي لا يحبّ العزلة» بالتعاطف الحميم مع المحتاج إليه، واستعان القاص بالسخرية في قصة «فيزا للشوق والحنين»، فقد تفاقمت وطأة الشيخوخة على روحه لدى شكواه من عدم الحصول على تأشيرة لزيارة ابنته المتزوجة في إيطاليا، فحصر في المطار، ومنع من الدخول، وعليه المغادرة عائداً إلى وطنه، وغمره التأسي الحزين، فاستطرد قائلاً: «- حتى الشم كان عبر الحدود بإشراف مسؤولي الأمن والهجرة والجمارك».

وتسيل دمعة على وجنة أبي نظمي، ويضيف:

"لم يتبق لنا إلا الشوق من بعيد لبعيد.. ومن يدري ربما يفرضون غداً تأشيرة خروج «فيزا» على الشوق والحنين والعواطف، بل قد لا يحتاجون لها في النظام الدولي الجديد» [ص37].

ومدّ القاص التعاطف في قصة «من يبكي على من؟» إلى متعاطف التقاه على جانب الجسر وهو يجمع القمامة، بينما يرتفع صوت شكوى المرء من حال البشر المتأذين من انتشار الفساد، إلى أن رحل الرجل الذي كان «يرى أن تبكي الناس على نفسها لا على غيرها» [ص47].

وتدخل قصص كثيرة في مدى مجازي إزاء صعوبة الحياة ومرارة العجز عن إصلاح الكون وعذرية الأماكن التي ينتهكها أذى الإنسان، كما هو الحال في قصة «النورس المتسول»، فلطالما دجنت الحياة في غير مسراها الإنساني الغامر، فقد التقى الراوي وزميلة له عالمة بالإناسة وهما يتحدثان عن مدينة «سان كارلوس دي باري لونشي» القريبة من بوينس أيرس إزاء ما تواجهه من عبث العابثين بالطبيعة من أجل مصالحهم وحدها، فقد تساءلت المرأة بمرارة:

- يدجنون النورس بغير فائدة، ويعيدون الأغنام للحياة الوحشية للفائدة.. وتنهدت غبرييلا بهدوء وتمتمت:

- ألم أقل لك منذ بداية الرحلة: إنه عالم مجنون [ص89].

ومدّ إسعيد رؤيته الإنسانية إلى تثمير دلالات التسمية كما في قصة «جراح حضارية» التي تتحدث عن تضاعيف «دمار» العلاقة بالمكان، وقصة «مراهقة خريفية» التي تنادي رجاء التواصل الإنساني إزاء خيبات تقادم العمر، وقصة «نافذة حرية» التي تستغرق في الشجن القومي الضاغط على الوجدان، من خلال المفارقة اللفظية بين دفن أحلام الوحدة العربية في أكثر من قبر ودفن شهادة الدكتوراه في إطار سياسة فارهة تجوب شوارع الوطن العربي، وقصة «شمس وزجاج وشجر» التي تدعو إلى اندغام أنفاس الطبيعة بأنفاس محبيها وباعثي نشرها الإنساني الدافئ.

المصادر والمراجع

● إسعيد، فائز، عندما يكبر الوطن، تقديم: د. شاكر مصطفى، دار الأهالي، دمشق 1995؛ ● إسعيد، فائز، النورس المتسول، دار عيون جديدة، القاهرة 1996؛ ● معمر، عيد، النورس المتسول: صور مفعمة بحب الإنسان والطبيعة، في جريدة «تشرين» (دمشق) العدد 6648 تاريخ 21/ 10/ 1996 ص7؛ ● مفرح، سعدية، د. إسعيد فائز يطرح السؤال الصعب: ماذا يحدث «عندما يكبر الوطن»؟ في جريدة «القبس» (الكويت) العدد 8183 تاريخ 4/ 4/ 1996 ص20؛ ● الأمين، سليم، غرباء في أقصى الجنوب، في جريدة «الحياة» (لندن) العدد 12001 تاريخ 1/ 1/ 1996 ص13.

د. عبد الله أبو هيف
جامعة تشرين- اللاذقية - سوريا

الإسفراييني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد

(337 هـ / 949 م – 418 هـ / 1027 م)

ولد في إسفرايين التي تقع بين نيسابور وجرجان، ولا تذكر المصادر تاريخا محددا لمولده إلا أنه وبناء على بعض المعلومات يكون قد توفي في الثمانين من عمره، وبالتالي يكون تاريخ ولادته حوالي عام 337هـ/ 949م. ويعتقد أنه ذهب إلى بغداد قبل عام 351هـ/ 962م وتلقى مع ابن فُريق والباقلاني علم الكلام وأصول الفقه عن أبي الحسن الباهلي، وهو أحد تلاميذ أبي الحسن الأشعري، وتلقّى العلم عن علماء من أمثال أبي محمد دعلج بن أحمد السّجزي، ومحمد ابن علي الجوزكاني، وأبي بكر أحمد بن إسماعيل الإسماعيلي، وأبي بكر محمد بن يزداد.

وبعد أن أكمل تحصيله للعلم درّس العلم في موطنه، اسفرايين، فترة من الزّمن، ثم دعي بعد ذلك إلى نيسابور، ودرّس العلم في مسجد عقيل وفي المدرسة التي أنشئت خصيصا لأجله وتخرج على يديه الكثير من طلاب العلم.

ويذكر أبو إسحاق الشيرازي أنّ أغلب علماء نيسابور تلقوا علم الكلام وأصول الفقه عن الإسفراييني، ويعتبر كل من أبي بكر أحمد ابن حسين البيهقي، وعبد الكريم بن هوازن الكُشيري اللذين مرّ ذكرهما في كثير من المواطن في مؤلفات أبي الطيب الطّبري، وعبد القاهر البغدادي من تلاميذ الإسفراييني أيضا، وحيث رافق لفترة طويلة المتكلم الأشعري المشهور ابن فُورك، وقد جادل علماء الكرّامية في قصر محمود الغزنوي، وتوفي الإسفراييني في 10 محرم عام 418 الموافق لـ 20 فبراير 1027، ودفن في مقابر الحيرة، إلاّ أن ابنه قدم في جمع غفير من إسفرايين وذلك بعد ثلاثة أيام من وفاة أبيه ونقل نعشه إلى موطنه إسفرايين ودفن بها [عبد الغافر الفارسي، ص 152].

اشتغل أبو إسحاق الإسفراييني بالفقه، والحديث، والكلام، واعتبر واحدا من العلماء المجتهدين في مجال الفقه واشتهر بكونه شيخا في هذا العلم، وكان يقول بأن السنّة لا تنسخ القرآن. ومن أفكاره التي تسترعي الانتباه أنه يرى في الحكم الذي أصاب فيه كل مجتهد أمراً قد يعاد النظر فيه [ابن الصلاح، I، 313؛ تقي الدين بن تيمية، منهاج السنة، V، 86].

وحسب ما نقله السّبكي فقد كان للإسفراييني آراء مختلفة في مذهبه، ويعتبر من العلماء المجتهدين، وكان من المشتغلين برواية الحديث، وكان لا يميل إلى التأويلات العقلية في مجال الحديث، كما كان يرفض كل ما يخالف ما جاء في صحيح البخاري وصحيح

مسلم، وكان لا يثق في الروايات التي تصدر عن أشخاص لهم صلة بالحكام الفاسقين. ويشكل علم الكلام حيّزا مهمّا في شخصية الإسفراييني العلمية، ويفهم من مؤلفاته التي وصلت إلينا ومن مناقشاته للكرّاميين ومن استفسارات ابن فُورك له في هذا العلم وكذلك من كلمات المدح التي قالها فيه الصّاحب بن عبّاد أنه كان من المشهود لهم بالقدرة في هذا العلم [تقي الدّين بن تيمية، درء التعارض، VI، 253، السبكي، VI، 257]، ويؤيد هذا أيضا تفوّقه على القاضي عبد الجبّار وهو أحد علماء المعتزلة في مناظرة دارت بينهما في موضوع العقائد، وحسب ما يروي عبد الكريم بن هوازن القشيري فإنّ الذين حضروا دروسه في علم الكلام كان يخيل إليهم أنهم كأنما دخلوا الإسلام من جديد، وذلك بتأثير شخصيته العلمية والأخلاقية [الرسالة، I، 42].

وينتمي الإسفراييني إلى المدرسة الأشعرية، بيد أنّ له آراء وأفكارا أخرى يتميّز بها مثل «أن الله تعالى إلى جانب اتصافه بصفة الحياة والعلم والسمع والبصر والإرادة والكلام فإنّ لديه صفة التنزه عن المكان والجهة، وهذه الصفة تقتضي أن يكون الله تعالى موجودا منزها عن المخلوقات ولا يشبهها في شيء» [العقيدة، ص. 133-134]، وبموازاة مع أفكار الماتريدي فإنّ الإسفراييني يعتبر أنّ الكلام الإلهي لا يتكون من أصوات وحروف ولذلك فإنّه لا يمكن سماعه [النّسفي، I، 305]. وكذلك فإنّ الصفات الثبوتية شأنها شأن الصفات الخبرية يمكن إثباتها بواسطة العقل [تقي الدّين بن تيمية، درء التعارض، 71 ، 350].

كان الإسفراييني واحدا من العلماء الذين لهم دور كبير في جعل الأشعرية مدرسة قائمة بذاتها في علم الكلام، ويرى أن الصفات الخبريّة يمكن إثباتها عن طريق العقل، كما تبنى آراء مختلفة فيما يتعلق بموضوع المعجزات، وقد كان يتبع المعتزلة في موضوع إعجاز القرآن والكرامات، في حين كان يتّبع الماتريدية في صفة الكلام، كما أنّه طوّر نظرية الكسب في المذهب الأشعري، وقد انتقد من قبل العلماء بسبب رفضه لموضوع الكرامات التي تخالف السنّة النبوية، ويُعتقد أنّه لهذا السّبب تم إهمال مؤلفاته كما أنّه لم تصل إلينا مؤلفاته حول الفقه وأصول الفقه، إلاّ أنّ المصادر المتأخرة ألقت الضوء على هذه المؤلفات، ويذكر ابن خلّكان أنّ عبد الكريم القشيري وهو تلميذ كلّ من الإسفراييني وابن فُورك قام بتوحيد منهج أستاذيه في أصول الفقه [الوفيات، III، 206].

■ آثاره

1- العقيدة: رسالة تتكون من بابين وتوجد في مكتبة السّليمانية [حسن حسني باشا، رقم 1160/ 5]، وقد قام ريتشارد م.فرنك بنشر هذه النسخة [انظر البيليوغرافيا]، وقام محمّد كون دوغدي بإعداد رسالة ماجستير حول هذا الكتاب 1991، [كلية الإلهيات جامعة مرمرة، إسطانبول]، وكتب محمد بن جعفر الصّنهاجي شرحا لهذا المؤلف [مكتبة السليمانية، الشّهيد على باشا، رقم 1724]؛

2 - الجامع في أصول الدّين والردّ على الملحدين، يذكر ابن خلّكان أنّه اطلع على هذا المؤلف، وهو يتكوّن من خمسة مجلّدات [الوفيات، I، 28] إلاّ أنه لا يعرف هل وصل إلينا أم لم يصل؛ 3 - نور العين في مشهد الحسين، وهو مؤلّف تناول مواضيع مثل أحقية الخلفاء الأربعة الأوائل بالخلافة، ووصيّة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بشأن أهل البيت، وذهاب الحسين بن علي إلى كربلاء وصراعه مع جيش يزيد [بومباي 1282، 1292، القاهرة 1302، 1339]؛ 4 - أدب الجدل، توجد نسخة منه في مكتبة راشد أفندي في قيصري بعنوان «شرح أدب الجدل» [رقم 9329]؛ 5 - شرح الفروع، وهو شرح لكتب ابن الحدّاد [كشف الظنون، II، 1257]. وتذكر المصادر مؤلفات أخرى للإسفراييني وهي كالتّالي:

«شرح الاعتقاد»، و«تعجيز المعتزلة»، و«المختصر في الردّ على أهل الاعتزال والقدر»، و«الوصف والصفة»، و«الخالي في أصول الدين»، و«تحقيق الدّعاوي»، و«معالم الإسلام»، و«المختلف في أصول الفقه»، و«ترتيب المذهب»، و«شرح الترتيب»، و«مسائل الدور».

وقد أعد عبد الله بن زيد المسلم بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، رسالة دكتوراه حول «آراء أبي إسحاق الإسفراييني الأصولية» (1414هـ/ 1994م).

المصادر والمراجع

● أبو إسحاق الإسفراييني، العقيدة، نشر ر. م. فرنك، MIDEO، ضمن العدد 19 (1989)، ص. 133-134، 141؛ ● البيهقي، الأسماء والصفات، بيروت 1405هـ/ 1984، ص 143-144؛ ● القشيري، الرّسالة، نشر عبد الحليم محمود، القاهرة 1972-1974، I/، 42، II/، 660؛ ● النّسفي، تبصرة الأدلة، نشر ج. سلامة، دمشق 1990-1993، I/، 112، 305: II/ 586-587، 664؛ ● الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت 1395هـ/ 1975، I/ 100؛ ● عبد الغفّار الفارسي، الحلقات العلى من تاريخ نيسابور، رقم 1403، ص. 151-152؛ ● ابن صلاح، طبقات فقهاء الشافعية، نشر يحيى علي نجيب، بيروت 1413هـ/ 1992، I/، 312-314؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، I/، 28، III/ 206؛ ● تقي الدّين ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، نشر م. رشاد سالم، الرياض، 1979، I/ 85-86؛ III/ 382؛ VI/ 253، 350؛ VII/ 224-225، 440 ● المؤلف نفسه، منهاج السّنة، نشر م. رشاد سالم، الرياض 1406هـ/ 1986، II/ 296؛ III/ 75، 240؛ V/ 86، 244؛ ● السّبكي، طبقات الشافعية الكبرى، IV/ 256-262؛ ● ابن حجر الهيثمي، الإعلام بقواطع الإسلام، بيروت، 1407هـ/ 1987، ص 11-12؛ ● كشف الظّنون، I/ 45، II/ 1257، 140؛ ● قيس علي قيس، الإيرانيون في

الأدب العربي، طهران، 1984-1986، 11/ 494.

- R.M.Frank. Al-Ustadh Abu Ishak: An Akida Together with Selected Fragments. MIDEO, SY. 19 (1989), S. 144-173; • Salih Sabri Yavuz «Isferayini, Ebu Ishak, Türkiye Diyanet Vakfi, Islam Ansiklopedisi, Istanbul 2000, XXII, 515-516.

د. أحمد أوزال
هيئة الموسوعة الاسلامية ـ اسطنبول
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي
السودان

الإسفراييني، عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه

(873 هـ / 1468 م ـ 945 هـ / 1538 م)

هو المحدث المتكلم عصام الدين إبراهيم ابن محمد بن عربشاه الإسفراييني الحنفي الأشعري، ينحدر من نسل الفقيه العظيم أبو إسحاق الإسفراييني، وكان جده عربشاه شاعرا مجيدا، وعاصر العضدي شارح «المختصر»، ويعد من فضلاء عصره وعلمائه.

ولد عصام الدين الإسفراييني عام 873 هـ/ 1468 م في بيت علم وفضل في مدينة «إسفرايين»، وكان ذلك في عهد السلطان العثماني محمد الثاني بن مراد خان والذي حكم من سنة 855 هـ/ 1451 م وحتى عام 886 هـ/ 1481 م.

واسفرايين من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، وتقع في الشمال الشرقي من خراسان، وتشتهر خراسان بجودة أعنابها وكثرة حقول الأرز فيها، وقد احتلها المغول عام 617 هـ/ 1220 م، كما خربت في غزوة الأوزبك قبيل عام 1006 هـ/ 1597 م، وينسب إلى هذه البلدة كثير من أعيان الأئمة منهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني أحد حفاظ الدنيا، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، وغيرهم.

تتلمذ عصام الدين الإسفراييني على أيدي مشاهير وعلماء مدينته، وكان من بينهم والده محمد بن عرب شاه، والذي كان يعتبر من أكابر علماء عصره، وكذلك إمام النحو وشارح «الكافية» الشاعر الفارسي الكبير عبد الرحمن الجامي (817 هـ/ 1414م - 898 هـ/ 1492م). وبعد أن انتهى عصام الدين من دراسته عيّنه السلطان حسين أستاذا في مدرسة شاه رخ مرزا عام 935 هـ/ 1528م، ثم هاجر بعدها إلى بخارى لدى السلطان عبيد الله خان ابن محمود الشيباني وكانت وفاته بسمرقند عام 945 هـ/ 1538م، وكان ذلك في عهد

السلطان العثماني سليمان خان الأول القانوني ابن سليم والذي حكم من عام 926 هـ/ 1520م وحتى 974 هـ/ 1566م.

هذا وقد حاز عصام الدين الإسفراييني شهرة واسعة لتبحره العلمي واجتهاده في مختلف ميادين المعرفة، مثل التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والمنطق والفلسفة والعقائد وعلم الكلام، حتى استحق مكانة مرموقة في صفوف كبار العلماء من أمثال العلامة البيضاوي والعلامة الباقلاني والملا علي القاري والتفتازاني وغيرهم ممن هم في درجتهم، وصار له تلامذة كثر كانوا من المميزين في عصرهم، ومن هؤلاء:

- القاضي كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود الحكيم الفرحان صاحب كتاب «المستوفي» في النحو؛ - سعيد العجمي المشهور بالنجم سعيد شارح «الحاجبية»؛ - عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري مصنف كتاب «التبصرة»؛ - إبراهيم ابن يحيى أبو إسحاق النحوي صاحب كتاب «المنخل»؛ - إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد ابن عبد الله الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي؛ - أبو موسى عيسى بن مروان الكوفي مصنف كتاب «القياس».

ويعتبر شرح عصام الدين الإسفراييني على تفسير البيضاوي من أهم ما ألف عصام الدين من كتب لم تطبع بعد، إذ كان عصام الدين مجيدا للعربية وعلومها متمكنا منها؛ ولذا فإن حاشيته هذه قد اعتمد فيها على توضيح نواحي الفصاحة والبلاغة والمسائل الفقهية الدقيقة. ومن هنا فقد حظيت بمقام خاص منفرد، إذ إنها تساعد كثيرا على فهم القرآن العظيم. وكان من نتيجة شهرة هذه الحاشية ورواجها أن كتبت لها عدة نسخ نجدها في المكتبات المختلفة، منها على سبيل المثال «المكتبة الآصفية» بالهند، وأخرى في مكتبة استنبول، وثالثة في المكتبة الهندية بلندن وغيرها من المكتبات.

آثاره

تدور مؤلفات عصام الدين الإسفراييني حول علوم النحو واللغة والأدب والبيان والتصوف والحديث والتفسير والمنطق، ولم يطبع من هذه المؤلفات إلا قلة قليلة، ويبلغ عدد ما أمكن العثور عليه من مؤلفاته خمسة وعشرين كتابا فقط، ولعله ألف أكثر منها، وهذا بيان بأسماء هذه المؤلفات:

1 - ميزان الأدب، وهو في الصرف والنحو والبيان، ط. وكان قد شرح هذا الكتاب بعض الفضلاء منهم الفاضل التاشكندي محمد؛

2 - رسالة في بيان النسب بين القضايا؛

3 - رسالة في تحقيق المحصورات الأربع؛

4 - رسالة في مبحث تقسيم القضية؛

5 - رسالة في الاستعارات البديعية والحقيقة والمجاز، وهو بالفارسية؛ 6 - حاشية على تفسير البيضاوي؛ 7 - حاشية على شرح آداب السمرقندي محمد بن أشرف الحسيني الحكيم المحقق صاحب «الصحائف والقسطاس» (ت في حدود 600 هـ/ 1203 م)، وهي أشهر كتب الفن (آداب البحث)، ألفها لنجم الدين عبد الرحمن، وجعلها على ثلاثة فصول: **الأول** في التعريفات، **والثاني** في ترتيب البحث، **والثالث** في المسائل التي اخترعها وتعتبر حاشية عصام الدين الإسفراييني على هذا الشرح من أدق الحواشي التي كتبت عليه؛

8 - شرح الرسالة الترشيحية في أقسام الاستعارات، والرسالة لأبي القاسم السمرقندي الليثي، وهي في أقسام الاستعارات على ست فرائد؛ 9 - شرح الشمائل في حقوق أفضل الورى وأقوى الدلائل، وهي موجودة في دار الكتب الشامية؛ 10 - شرح طوالع الأنوار للبيضاوي، واسم كتاب البيضاوي «طوالع الأنوار من مطالع الأنظار» في علم الكلام؛ 11 - الأطول، وهو شرح على تلخيص المفتاح، وقد سماه عصام الدين بهذا الاسم - الأطول - في مقابلة شرحه «المطول» للعلامة التفتازاني، وهو شرح ممزوج عظيم؛ 12 - شرح على رسالة آداب البحث للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت سنة 756 هـ/ 1355 م)، وقد بين قواعدها في عشرة أسطر أولها: لك الحمد والمنة... الخ، وأول شرح العلامة عصام الدين عليها: نحمدك يا من لا ناقض لما أعطيت... الخ، وهذا الشرح مخطوط في مكتبة أوقاف بغداد؛ 13 شرح العقائد العضدية للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، وهذه الرسالة للقاضي عضد الدين مختصرة مفيدة، ولما أتمها القاضي قضى نحبه بعد اثني عشر يوما، فهي آخر ما ألف عام 756هـ/ 1355 م؛ 14 - شرح على أصل الكافية لابن الحاجب؛ 15 - حاشية على شرح الجامي على الكافية لابن الحاجب، ورد عصام الدين فيها على أستاذه الجامي في أكثر من موضع، وناقض مع المولى عبد الغفور - وهو أحد تلامذة الجامي أيضا ومعاصر لعصام الدين - وعلى حاشية عصام الدين هذه حاشية للمولى محمد الشهير بملا زاده الكردي المتوفى بعد عام 1070 هـ/ 1659 م؛ 16 - شرح على شمسية المنطق، كتبه في مقابلة شرح كتبه العلامة التفتازاني؛ 17 - حاشية على أول شرحه القطبي المشهور؛ 18 - حاشية على حاشية السيد الشريف؛ 19 - حاشية على «كبرى» المنطق، وهو شرح بالفارسية؛ 20 - شرح على قول شارح «الشمسية»: قد جرت عادة المصنفين... الخ؛ 21 - رسالة في شرح قوله: إن كل ج ب، يعبر تارة بحسب الحقيقة...؛ 22 - حاشية على شرح العقائد النسفية للتفتازاني. وهي حاشية تامة لطيفة العبارة دقيقة الإشارة كما هو دأب المحشي في مؤلفاته؛ 23 - الفريد في النحو، وله شرح عليه أيضا؛ 24 - شرح على محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي؛ 25 - حاشية على الهداية، وصل فيه إلى كتاب البيع. وقد ألفها بالتماس من عبيد الله خان، وفرغ من إتمام الثلث الأول في ربيع الآخر عام 934 هـ/ 1527 م.

المصادر والمراجع

- كحالة، معجم المؤلفين؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء؛ الخوانساري، روضة الجنات؛ دائرة المعارف الإسلامية؛ طبعة جديدة، ج1؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب؛
- حاجي خليفة، كشف الظنون؛
- الزركلي، الأعلام.

د. إبراهيم محمد إبراهيم

جامعة الأزهر ـ القاهرة ـ مصر

الإسفراييني، أبو حامد أحمد بن أبي طاهر

(344 هـ / 955 م ـ 406 هـ / 1016 م)

أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد، أبو حامد الاسفرايني الفقيه الشافعي المولود في إسفرايين سنة (344 هـ/ 955 م). وإسفرايين بكسر الألف وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر الياء المنقوطة وبعدها نون، هي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور على منتصف الطريق إلى جرجان [السمعاني، الأنساب، 235]، وقد نسب إليها الشيخ أبو حامد الذي انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد، واتفق أهل عصره على تفضيله في العلم والمعرفة، وكان ثقة حافظا متقناً، برع في الفقه الشافعي، وأربى على المتقدمين، وكان إمام الشافعية ورئيسهم في العراق، وشيخ عصره، وهو جبل من جبال العلم؛ عظم جاهه عند رجال الدولة والعوام، كما تولّى منصب قاضي القضاة في بغداد سنة (398 هـ/ 1007 م).

قدم بغداد شابا سنة (364 هـ/ 974 م)، وله عشرون سنة، وكان في بداية أمره يحرس في بعض الدور في إحدى دروب بغداد، ثم يستغل وقته للتعلّم والتفقّه. وهذا يعكس الرّغبة الكبيرة عند أبي حامد في طلب العلم، فهو يعمل ليلا لكي يعيش. ثم يباشر دراسته في النّهار لكي يتعلم. وهذا الجهد الدؤوب في طلب العلم جعله يحصل عليه في وقت مبكر من حياته. يذكر الخطيب البغدادي أن أبا حامد درس الفقه منذ سنة (370 هـ/ 980 م) إلى أن مات، إلا أنّ ما ذكره الذهبي في [سير أعلام النبلاء، 17/ 196]؛ والسبكي في [طبقات الشافعية، 3/ 26]، وبعض المؤرخين من أنه بدأ يفتي وهو ابن سبع عشرة سنة غير صحيح، لأنه يتعارض مع تاريخ ولادته وتاريخ قدومه إلى بغداد، وتاريخ بدء دراسته للفقه التي أوردها الخطيب البغدادي والذي كان معاصرا له وحضر مجالسه.

وقد درس الفقه والحديث وتتلمذ على كبار شيوخ عصره في بغداد حال قدومه إليها. فمن شيوخه في علم الفقه، أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان البغدادي، الفقيه الشافعي (ت 366 هـ/ 976 م)، كان من كبار الفقهاء الشافعية، أخذ عنه الشيخ أبي حامد أول مجيئه إلى بغداد [ابن خلكان، وفيات، 3/ 281]، وبعد وفاة شيخه هذا لزم الشيخ أبا القاسم الداركي، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الفقيه الشافعي (ت 375 هـ/ 985 م)، وهو من كبار فقهاء الشافعية، وكان يُدرّس ببغداد في مسجد دعلج بن أحمد بدرب أبي خلف من قطيعة الربيع، وله حلقة في هذا المسجد للفتوى والنظر [ابن خلكان، وفيات، 3/ 189]، وقال أبو حامد عنه: «ما رأيت أفقه منه». كما تتلمذ على الشيخ أبي أحمد بن أبي مسلم الفرضي، وأخذ عنه الفرائض [الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 120].

إلا أن أبا حامد اتخذ له منهجا خاصا في

الفقه، ولا سيما عند الغوص في دقائقه، فهو يتبع شيوخه ومن سبقه في الظواهر فقط إذ يقول: «نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقائق»، (وأبو العباس هو أحمد ابن عمر بن سريج (ت 306 هـ/ 918 م)، وكان من كبار فقهاء الشافعية، تولى قضاء شيراز) [الشيرازي، طبقات، ص 109]، لكن أبا حامد كان يثني على من سبقه من الفقهاء الذين نهل منهم معارفه، فمثلا قال عن الطبري (ت 310 هـ/ 922 م)، صاحب «التفسير» و«تاريخ الرسل والملوك»: «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا» [الذهبي، العبر، 1/ 460]، إشارة منه إلى أهمية هذا التفسير، بحيث يحق للفرد أن يبذل جهده للحصول عليه.

أما شيوخه في علم الحديث، فمنهم: عبد الله بن عدي الذي حدث عنه بشيء يسير، وكذلك أبو بكر الإسماعيلي، كما سمع السنن من أبي الحسن الدارقطني، وحدث عن إبراهيم بن محمد بن عبدك الشعراني.

وبعد إكمال تحصيله العلمي، بدأ العلماء والطلاب (المتفقهة) يرحلون إليه للأخذ من علومه، وحضور مجالسه العلمية التي خصصت للتدريس وعقد المناظرات والإفتاء؛ وكان كثير الاعتزاز بمجالسه، روي أنّ قارئاً في مجلسه قرأ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: 83]، فقال الشيخ أبو حامد: «أما العلو فقد أردنا، وأما الفساد فما أردنا»، وهو القائل: «ما قمت من مجلس النظر قط، فندمت على معنى ينبغي أن يذكر فلم أذكره»، وكانت الهيبة والوقار والسكينة تطبع مجلسه كسائر المجالس العلمية، لذلك يروى أنه عندما قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق، ثم أتاه في الليل معتذرا إليه، قال أبو حامد:

جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط
وعذر أتى سراً فأكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلي جفائه
خفي اعتذار فهو في أعظم الغلط

ومجالسه كانت مزدحمة بالفقهاء وطلاب العلم، فيذكر المؤرخون أن عدد من كان يحضر مجالسه أكثر من ثلاثمائة فقيه ومتفقه، وقيل سبعمائة فقيه ومتفقه. وممن حضر مجلسه، أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي (ت 450 هـ/ 1058 م)، حيث رحل إلى بغداد وحضر مجلس الشيخ أبي حامد [الشيرازي، طبقات، ص 127]، كما حضر مجالسه الخطيب البغدادي (ت 463 هـ/ 1070 م) وقال: «رأيته غير مرة وحضرت تدريسه»، وكانت مجالسه العلمية يعقدها في مسجد عبد الله بن المبارك في منطقة قطيعة الربيع، وكان الفقهاء الذين يحضرون مجلسه يستمعون لدروسه، ومنهم من يناظره في مسائل فقهية كثيرة. وممن ناظره في مجلسه، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القدوري، الفقيه الحنفي (ت 428 هـ/ 1036 م)، الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق [ابن خلكان، وفيات، 1/ 79]، كما كان آخرون يعلقون عنه تعاليق مفيدة، وكان ينصح بعض من يحضر مجلسه بأن لا يعلقوا كل ما يسمعونه أثناء المناظرة في الجدل وعلم الكلام، لأن كل شخص من الطرفين

المتناظرين يريد إثبات وجهة نظره، وقد تقع بعض المغالطات في تلك المجالس. وهذا يدل على أن ما يكتب عن أبي حامد في مجالسه وبعلمه كان خالصا وصادقا.

وكان السبكي (ت 771 هـ/ 1369 م) قد وقف على أكثر تعليق للشيخ أبي حامد بخط الفقيه سليم الرازي - أحد طلابه المار ذكره - وهي الموقوفة في خزانة المدرسة الناصرية بدمشق والتي علقها البندنيجي عليه، ونسخت نسخ أخر منها.

وممن تتلمذ على يديه وأخذ الفقه الشافعي عنه: أبو الحسن المحاملي (ت 415 هـ/ 1024 م)، أحمد بن محمد الفقيه الشافعي، أخذ الفقه عن شيخه أبي حامد، وله عنه تعليقة، درّس الفقه في حياة شيخه أبي حامد وبعد وفاته [ابن خلكان، وفيات، 1/ 75]، والقاضي أبو العباس الأبيوردي، (ت425هـ/ 1033 م)، أخذ من أبي حامد وولي القضاء ببغداد ودرس فيها وتوفي بها [الشيرازي، طبقات، ص129]، وكذلك أبو الفضل السعدي (ت441 هـ/ 1049 م) محمد ابن أحمد بن عيسى البغدادي الفقيه الشافعي - راوي معجم الصحابة للبغوي - أخذ الفقه عن ابي حامد [الذهبي، العبر، 2/ 279]. ومنهم ابن الحراني، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الأعلى الرقي الفقيه الشافعي (ت 443 هـ/ 1051 م) ويعرف بابن الحراني لأنه حراني الأصل رقّي المولد [ابن الأثير، اللباب، 2/ 34]، وكذلك أبو محمد ابن اللبان (ت 446 هـ/ 1054 م) تفقه هو الآخر على أبي حامد [الذهبي، العبر، 2/ 289]، ومنهم أبو القاسم منصور بن عمر الكرخي الفقيه (ت 447 هـ/ 1055 م) درس الفقه على أبي حامد وعلق عنه تعليقه، وصنف كتاب «الغنية» في المذهب الشافعي، ودرس ببغداد حتى وفاته [الشيرازي، طبقات، ص 130]. ومنهم الفقيه سليم الرازي، أبو الفتح سليم بن أيوب الشافعي المفسر الأديب (ت 447 هـ/ 1055 م) وكان من الفقهاء المشار إليهم، درس الفقه على أبي حامد، وذكر سليم أنه جاء إلى بغداد لطلب علم اللغة، وكان يتردد على أحد شيوخ اللغة فيها، ودخل يوما مجلس أبي حامد، وكان يملي طلابه في المسجد كتاب «الصيام»، فجلس مع الطلاب، وكان أبو حامد قد أولج في مسألة من كتاب «الصيام» ولم ينته منها حتى طلوع الفجر، فاستحسن سليم ذلك وكتب الدرس عن أبي حامد، وعندما عاد إلى منزله أخذ يعيد ذلك الدرس فاستحسنه، وظل بعدها يتردد على مجلسه حتى أتم دراسة كتاب «الصيام» وعلق عنه جميع التعليق [ابن خلكان، وفيات، 2/ 397-398]، والتعليقة في الفقه: هي المادة الفقهية التي جمعها المدرس ليلقيها على الطلبة على وفق مذهبه [الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 609].

ومن طلابه أيضا أبو سعيد الخوارزمي الضرير (ت قبل 450هـ/ 1058م) ودرس ببغداد وتوفي بها [الشيرازي، طبقات، ص 131]. وأخذ عنه الفقه الشافعي أبو الحسن علي بن محمد البصري المعروف بالماوردي (ت 450 هـ/ 1058 م)، وهو من كبار فقهاء الشافعية وصاحب كتاب «الأحكام السلطانية» [ابن خلكان، وفيات، 3/ 282]، ومن

تلاميذه أبو نصر زهير بن الحسن السرخسي الفقيه الشافعي - مفتي خراسان - (ت 454هـ/ 1062 م)، درس على أبي حامد وعلق عنه تعاليق جيدة [الذهبي، العبر، 2/ 302] وغيرهم كثير.

بقي أن نذكر أن شهرة أبي حامد العلمية جعلت له أصحابا في مختلف الأصقاع سواء من الشافعية أو من المذاهب الأخرى، فمن أصحابه، أبو عبد الله الحناطي الطبري (ت بعد 400 هـ/ 1009 م) وهو من كبار شيوخ طبرستان، قدم بغداد والتقى به، وكذلك أبو الفرج محمد بن عبد الواحد بن محمد المعروف بالدارمي البغدادي (ت 409هـ/ 1018 م) صاحب كتاب «الاستذكار»، كان فقيها متصوفا أديبا، وكان أبو حامد يزوره في بيته، وقد زاره مرة أثناء مرضه فنظم بحقه أبياتا جاء فيها:

مرضتُ فارتحتُ إلى عائدي
فعادني العالم في واحد

ذاك الإمام ابن ابي طاهر
احمد ذو الفضل أبو حامد

ومن أصحابه أيضا أبو أحمد عبد الرحمن بن الحسين الغندجاني، ومنهم القاضي أبو علي الحسن بن محمد بن ابراهيم الكواري الفقيه، كان قاضيا في الأحواز ودرس بها سنين عدة ومنهم القاضي أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الجزري الداؤودي (ت 391 هـ/ 1000م)، ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن عمر الشيرازي - شيخ الشيرازي صاحب كتاب طبقات الفقهاء - ومن أصحابه في الموصل أبو الحسن أحمد بن الفتح المعروف بابن الفرغان الموصلي (ت 438 هـ/ 1046م) [الشيرازي، طبقات، ص 118، 128، 130، 134، 178]. وعندما ورد خبر وفاة أحد أصحابه الإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت 371 هـ/ 981 م)، اجتمع أبو حامد مع بقية فقهاء بغداد وجلسوا في مسجد أبي القاسم الداركي ثلاثة أيام لتلقّي التعازي [السهمي، تاريخ جرجان، ص 111].

وكان يحمل إليه من معارفه الزكاة والصدقات لكي يفرقها على الفقراء والمحتاجين كما كان يجري على الفقراء من أصحابه، مائة وستين ديناراً كل شهر، وينفق على الحاج أيضا، فقد أعطى الحاج في بعض السنين أربعة عشر ألف دينار. وشهرته هذه وصلت إلى عامة الناس فكانوا يقولون عنه: «لو رآه الشافعي لفرح به». كما كان العلماء من المذاهب الأخرى يعظمونه لمكانته، فأبو عبد الله الصيمري الحنفي يقول بحقه: «ما أرى أنظر من أبي حامد الاسفراييني». وأبو الحسين القدوري إمام أصحاب أبي حنيفة يعظمه أيضا ويفضله على كل واحد، ويقول: «ما رأينا في الشافعيين أفقه من أبي حامد».

مات أبو حامد في شوال سنة (406 هـ/ 1016 م)، وصلى على جنازته الخطيب البغدادي في منطقة الصحراء والذي يقع وراء جسر أبي الدن. وكان الإمام في الصلاة عليه أبا عبد الله بن المهتدي خطيب جامع المنصور ودفن في داره ثم نقل منها بعد أربع سنين أي سنة (410 هـ/ 1019 م) لكي يدفن في باب حرب بعد أن بلغ من العمر إحدى وستين سنة وشهوراً.

آثاره

ترك أبو حامد - فضلا عما ذكر - عددًا من المؤلفات التي كانت لها أهمية كبيرة وهي:

1 - التعليقة الكبرى في أصول الفقه الشافعي في نحو خمسين مجلدا؛ 2 - كتاب «البستان»، ذكر فيه النوادر والغرائب، وهو كتاب صغير؛ 3 - كتاب «الرونق»، وهو مختصر، منسوب إليه ولا يجزم القول بأنه له؛ 4 - مختصر في الفقه؛ 5 - «الفرائض» وفيه تعليقات نقل منها السبكي ما يخص المواريث، وما يخص فرض الزكاة على بعض المواد الغذائية وفوائد أخرى [طبقات الشافعية، 3/ 28، 28، 31]؛ 6 - شرح «المزني» في تعليقة كبيرة (والمزني هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل (ت 264 هـ/ 878 م) وهو صاحب الإمام الشافعي من أهل مصر، وكان إمام الشافعيين، من كتبه في المذهب الشافعي: الجامع الكبير، والجامع الصغير، ومختصر المختصر، والترغيب في العلم) [الزركلي، الأعلام، 1/ 327].

المصادر والمراجع

● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، 4/ 368-370؛ ● العبادي، طبقات الفقهاء الشافعية، ليدن 1964، ص 113؛ ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. إحسان عباس، ط 2، بيروت 1981، دار الرائد العربي، ص 124؛ ● ابن الجوزي، المنتظم، بغداد، 1990، الدار الوطنية، 7/ 278؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1/ 73-74؛ ● الذهبي، العبر، تح. أبو هاجر محمد، السعيدي، بيروت 1985، 1/ 460 و2/ 145، 181، 191، 211، 279، 288، 290، 302، 322؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت 1956، دار احياء التراث العربي، 3/ 1064؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 17/ 193-195؛ ● السبكي، طبقات الشافعية، ط 2، بيروت، دار المعرفة، 3/ 24 - 28؛ ● الاسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، بغداد، 1390 هـ، 1/ 58-59؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، ط 2، بيروت 1977، مكتبة المعارف، 2/ 2-3؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، تح. إحسان عباس، فيسبادن 1969، 7/ 357-358؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، ط 2، بيروت 1970، مؤسسة الأعلمي للطباعة، 3/ 15؛ ● الحسيني، طبقات الشافعية، تح. عادل نويهض، ط 2، بيروت 1979، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص 127-128؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 423-424؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 3، بيروت 1969، 1/ 203.

د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل - العراق

الإسفراييني، عماد الدين شاهفور بن طاهر

(... هـ / ... م - ت 471 هـ / 1078 م)

شاهفور بن طاهر بن محمد، أبو المظفر الإسفراييني، الشافعي، عماد الدين. فقيه، ومفسر، ومن كبار أئمة أصول الدين. ينتسب إلى إسْفَرايين، وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور، على منتصف الطريق إلى جرجان. واسمه شاهفور معرب من (شاهبور)، وهو بالأصل بمعنى نجل الملك بالفارسية. سمع الحديث من القاضي أبي بكر الحميري. كذلك استفاد من بحوث أستاذه، وحميه أبي منصور عبد القاهر ابن طاهر التميمي البغدادي، المتوفى سنة 429 هـ/ 1037 م، الذي كان فقيهًا شافعيًا، وعالمًا ماهرًا في فنون شتى، مثل الحساب، والفرائض، والنحو، وله كتاب التكملة في علم الحساب، ومؤلفات ممتعة في الملل والنحل، لا سيما كتاب الفرق بين الفرق. واستفاد الإسفراييني أيضًا من بحوث أئمة المهتمين بالملل والنحل، أمثال أستاذ حميه عبد القاهر البغدادي، أبي إسحاق الإسفراييني، وابن فورك الأصبهاني.

كان أبو المظفّر الإسفراييني، يسافر في طلب العلم في مدن خراسان المختلفة، لكنه استقر بمدينة طوس، للتدريس فيها، وذلك بتكليف من الوزير نظام الملك، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، المتوفى سنة 485 هـ/ 1092 م، الذي وزر لألب أرسلان السلجوقي، وابنه ملك شاه، وكان محبًا للفقهاء والصوفية، وبنى المدارس، التي عُرفت باسمه، والربط والمساجد في أنحاء كثيرة من الدولة العربية الإسلامية. ويبدو أن أبا المظفر الإسفراييني قد درّس في إحدى الرُبط التي أنشأها نظام الملك في طوس، حيث يشير أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل النيسابوري، مؤلف كتاب ذيل تاريخ نيسابور، وكما كتب بذلك إلى ابن عساكر، بأن نظام الملك قد «ارتبط» شاهفور الإسفراييني بطوس [ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، 276].

وفي هذه المدينة تلقى الكثير من التلاميذ العلم عن الإسفراييني، لا سيما سهل بن أحمد بن علي الحاكم، أبو الفتح الأرغياني، صاحب الفتاوي، الذي قرأ عليه التفسير والأصول. وكذلك إسماعيل بن محمد أبو علي الطوسي، المتوفى سنة 459 هـ/ 1066م، الذي تفقه على أبي المظفر الإسفراييني، وأصبح قاضيًا لمدينة طوس، وكان يُعرف بالعراقي، لطول مقامه في بغداد. وتتلمذ على الإسفراييني أيضًا، أولاده، ومنهم أبو المعالي بن شاهفور الإسفراييني، ويبدو أن أولاد شاهفور، قد تركوا مدينة طوس بعد وفاة والدهم فيها عام 471 هـ/ 1078 م، ونزحوا إلى مدينة بلخ في خراسان، حيث أصبحوا من وجوهها المشهورين المعروفين بها، والمتقدمين من علمائها وأئمتها.

آثاره

ألف الإسفراييني ثلاثة كتب هي: 1 - التبصير في الدين وذكر مقالات المخالفين، استوفى فيه بيان عقائد أصحاب الملل والنحل، كما أجاد في شرح معتقد أهل السُنة، وخصص الباب الخامس عشر لبيان ما لهم من المفاخر والمحاسن والآثار في الدين. وتطرق الإسفراييني في مقدمة كتابه إلى السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب، فأشار إلى أنه أراد أن يبيّن موقف أهل البدع والضلالة، واختلافهم عن اعتقاد أهل السُنة والجماعة، فقال: «فأردت أن أجمع كتابًا فارقًا بين الفريقين، جامعًا بين وصف الحق وخاصيته، والإشارة إلى حججه، ووصف الباطل، وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقانا في دينه، وتحقيقا في يقينه،فلا ينفذ عليه تلبيس المُبطلين، ولا تدليس المخالفين للدين. وقسمته بحول الله وقوته على خمسة عشر بابًا جامعًا لبيان أوصاف عقائد أهل الدين، وفضائح أهل الزيغ والملحدين، والله تعالى ولي التوفيق لإتمامه بفضله وإنعامه إنه على ما يشاء قدير وبالفضل والإحسان جدير» [التبصير في الدين، 23]؛ 2 - الأوسط، هو يندرج أيضًا ضمن موضوع الملل والنحل. ويحتمل أن الإسفراييني قد أراد منه أن يكون متوسّطًا بين الإيجاز والتفصيل، خلافًا لكتابه المفصل الأول، فحاول فيه الإيجاز والتركيز دون إخلال بالمادة، فأسماه الأوسط. ولم يصلنا هذا الكتاب، على الرغم من أنه كان واسع الانتشار، حتى أنه استخدم في الأندلس من قبل محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة 671 هـ/ 1272 م، الذي اعتمد عليه في تفسيره المشهور الجامع لأحكام القرآن، ووصف مؤلفه بأنه: «عظيم من أئمة التحقيق» [القرطبي، الجامع، 7/ 14، 13/ 176]؛ 3 - تاج التراجم، في تفسير القرآن الكريم، وقد وضعه الإسفراييني باللغة الفارسية، ليستفيد منه من لا يحسن العربية من الفرس، وهو مطبوع في إيران بعناية بعض المستشرقين؛ 4 - كان الإسفرايني يهتم أيضًا بالشعر، فقد أشار أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل النيسابوري أن الإسفراييني أنشده هذين البيتين لنفسه:

ليس الجواد هو البذول لماله ... إن الجواد هو المحقر للندى
من غير شكر يبتغيه بجوده ... كلا ولا منّ لذلك ولا أذى

المصادر والمراجع

● الإسفرايني، التبصير في الدين، تح. محمد زاهد الكوثري، القاهرة 1955، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ببغداد، مقدمة المحقق، ص 23؛ ● السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تح. منيرة ناجي سالم، بغداد 1975، وزارة الأوقاف، 2/ 105؛ ● ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، عُني بنشره، حسام الدين القدسي، دمشق 1347 هـ، مطبعة التوفيق، 276؛ ● القزويني، التدوين في أخبار قزوين، تح. عزيز الله العطاردي، بيروت 1987، دار الكتب العلمية، 3/ 210؛ ● القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح. أحمد عبد العليم البردوني،

ط 2، القاهرة 1372، دار الشعب، 7/ 14، 13/ 176؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت 1413 هـ، مؤسسة الرسالة، 18/ 401-402؛ ● السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مصر 1992، هجر للطباعة والنشر، 1/ 291.

أ. د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل ـ العراق

الإسفراييني، أبو عوانة يعقوب بن اسحاق

(230 هـ/ 845 م – 316 هـ/ 928 م)

أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الاسفراييني نسبة إلى إسفرايين بليدة بنواحي نيسابور على منتصف الطريق إلى جرجان [ابن الأثير، اللباب، 1/ 55]. تقع اليوم في الشمال الغربي لإقليم خراسان بشمال جمهورية إيران.

محدث، حافظ، وفقيه، اشتهر بوضعه لأهمّ مستخرج على صحيح مسلم، وهو أوّل من نشر المذهب الشافعي في منطقة إسفرايين.
هو من أصيلي نيسابور [سير، 11/ 391-392] التي ولد فيها أو في ناحيتها بعد الثلاثين ومائتين 230هـ [سير، 11/ 391]، ولا تقدم المصادر المعروفة معلومات كافية وتفصيلية عن أطوار حياته، كما تقتصر على ذكر نسبته البلدانية ولا تشير إلى أصله العائلي القبلي لا صليبة ولا ولاء، وهو ما يخالف المألوف المتبع في كتابة التراجم والسير في عصر أبي عوانة، وهذا ما يرجّح الظنّ بأعجمية أصل المترجم.

والأظهر أن والده إسحاق كان من أهل العلم المشتغلين بالحديث، فقد روى عنه أبو عوانة في أربعة عشر موضعا من مسنده [1/ 23، 32، 257، 269، 285، 323، 334، 348، 402، 2/ 207، 218، 224، 226، 238]، وهو من تلاميذ علي بن حجر المروزي، وأبي مروان محمد بن عثمان بن خالد الأموي. ولا شكّ أن حظّ والد أبي عوانة من العلم قد أتاح له تربية قويمة ورعاية علمية حسنة منذ الصّغر. وبعض أخبار أقاربه تفيد أن عائلته تنتمي إلى الوسط العلمي. فأخوه أحمد كان من النابهين، وهو يروي عن اسحاق بن منصور أبي يعقوب التميمي المروزي، حدّث عنه أبو عوانة مرّة واحدة في مسنده [1/ 139].

وتذكر المصادر ولدا لأبي عوانة يدعى أبا مصعب محمدا كان من تلاميذه [تذكرة الحفاظ، 3/ 780] ونقل عنه الحاكم تاريخ وفاة أبيه [سير الأعلام، 11/ 392]. أما

حفيده أبو النضر شافع بن محمد (ت378هـ) الذي كان من تلاميذه أيضًا فقد روى عنه أبو ذرّ الهروي، وأبو نعيم، والحاكم في الصحيح، وأهمّ قريب لأبي عوانة حفظ علمه ورواه للناس هو ابن ابن أخته: أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحاق بن الأزهر الإسفراييني (ت 400 هـ) حدث عن أبي عوانة - خال أبيه - بكتابه، وقد سمعه منه بقراءة والده الحافظ الحسن، وطال عمره وتكاثر عليه المحدّثون ووصف بمسند خراسان [سير، 13/ 35].

ولأبي نعيم عناية خاصّة بقريبه هذا، إذ كان يسمعه مع القوم ووحده ليلا ونهارًا ويلاعبه ويطعمه الفانيد -ضرب من الحلواء- وأجاز له بجميع مروياته [سير، 17/ 159].

سكتت المصادر عن بيان ظروف دراسته، وكل ما نعرفه أنه داوم على السفر في طلب الحديث بالبلاد [ابن الأثير، اللباب، 1/ 55] وأكثر من ذلك حتّى وصف بالجوّال [سير، 11/ 391] طاف في كل الأقاليم الشرقية التي كانت مراكز شهيرة للعلم والرواية في وقته، ومنها الحجاز، والشام، والعراق، ومصر، والثغور، والجزيرة، وخراسان، وفارس [سير، 11/ 391] واليمن [المسند، 1/ 240].

وفي مسنده -تأليفه الوحيد الذي وصلنا- ذكر للعديد من البلدات التي ارتحل إليها للقاء الشيوخ وهي: حرّان [1/ 49، 311، 2/ 288]، وطرسوس [1/ 68]، والرقّة [1/ 284، 344] وبيت المقدس [1/ 414]، وبيروت [2/ 29]، ودمشق [2/ 108، 181] ودخلها عدّة مرات، ومكّة [1/ 88، 98، 163، 189]، وصور [1/ 99]، والرملة [1/ 166، 2/ 39]، والاسكندرية [2/ 181]، والرصافة [1/ 159]. وسرّ من رأى [1/ 236]، وبغداد [1/ 344، 360]، ودار قطن [2/ 304]، والكوفة [1/ 152، 170]، وصنعاء [1/ 240، 246، 2/ 21]، وترمذ [2/ 289]، وعسكر مكرم [2/ 291]، وكذلك سمع بالمدينة وإصبهان [سير، 1/ 391]، والريّ وواسط، والبصرة [ياقوت، معجم البلدان، 1/ 228]، والمصيصة [ابن خلكان، 6/ 393].

ويبدو أنّ رحلاته العلمية لم تقتصر على أيام الطلب فقط بل تواصلت أيضًا بعد ذلك لإسماع الحديث إذ يذكر السهمي أنه قد روى بجرجان سنة 292هـ [تاريخ جرجان، 148].

ومكنته تنقلاته الكثيرة من الأخذ عن أكثر حفّاظ عصره، وتوسّع في السماع ونزل فيه إلى طبقة عبد الله بن أحمد، وعبدان، وعبد الرحمن بن خراش [سير، 11/ 392]. وروى في المسند عن زهاء أربعمائة شيخ ينتمون إلى كل أمصار الشرق الاسلامي، فيهم الكثير من أئمّة المحدّثين في عصرهم ومشاهير النقاد وأعيان الفقهاء كمحمد بن يحيى الذهلي، والإمام مسلم بن الحجاج، وأبي داود السجستاني، وأبي حاتم الرازي، وأبي زرعة الرازي، ومحمد بن مسلم بن وارة الرازي، والربيع بن سلمان المرادي راوية كتب الشافعي الجديدة وهو ممّن جمع بين الفقه والحديث، وأبي إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزني والأخيران كبيرا تلاميذ الشافعي ومن أركان مذهبه وبهما تفقّه أبو عوانة، كما تخرّج في الحديث بحافظ اسفرايين محمد بن يحيى ابن موسى حيوية (ت 259هـ).

وشيوخه الذين أكثر عنهم في مسنده أكثر من سواهم ثلاثة روى عن مجموعهم قرابة نصف مادة كتابه كلّه، وهم: - أبو أميهة محمد بن ابراهيم بن مسلم الخزاعي الطرسوسي (ت 273هـ) وهو صدوق صاحب حديث، وروايته في سنن النسائي؛ وأبو بكر محمد بن اسحاق الصغاني وهو من الأثبات الثقات (ت 270هـ) من شيوخ مسلم في صحيحه وروى عنه الأربعة -ويونس بن عبد العلي بن موسى بن ميسرة الصدفي أبو موسى المصري (ت 264هـ) من شيوخ مسلم وروى عنه النسائي وابن ماجة..

وعني بهذا الشأن واجتهد فيه وانقطع له وتميّز في ذلك حتّى بزّ أقرانه [سير، 11/ 391]. وصفه الحاكم بأنه من علماء الحديث وأثباتهم [سير، الأعلام، 11/ 391] واعتبره ابن الأثير أحد حفّاظ الدنيا [اللباب، 1/ 55] ونعته الذهبي بالحافظ الثقة الكبير [تذكرة، 3/ 779] وعدّه ياقوت من أهل الاجتهاد والطلب والحفظ [معجم البلدان، 1/ 228].

وتخرّج به أعلام كبار كان لهم حضورهم القوي في تاريخ الحديث منهم: أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي الجرجاني الحافظ كبير الشافعية بناحيته (ت 371هـ)؛ وأبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ الكبير صاحب كتاب الكامل في الضعفاء (ت 365هـ)؛ وسليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ مسند الدنيا في وقته وصاحب المعاجم الثلاثة في الحديث (360هـ)؛ وأبو علي النيسابوري الحسين بن علي بن يزيد الحافظ محدث الإسلام في وقته (ت 349هـ)؛ وراوية مسنده وخاتمة أصحابه ابن ابن أخته أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني (400هـ).

برّز أبو عوانة في الحديث والفقه، وفي مسنده تصوير لمقوّمات محدّثيّته الرفيعة التي تجلّت في كثرة حفظه وسعة معرفته بالأسانيد مع التبرز في فقه الحديث.

في إجازته لحفيده أبي نعيم المكتوبة سنة 315هـ ما يبيّن اتّساع محفوظه من الحديث إذ نصّت على أنه يروي كتب عبد الرزاق الصنعاني وكتب ابن أبي الدنيا، وأحاديث سفيان الثوري، وشعبة، ومالك، والأوزاعي، إضافة إلى التفاسير والقراءات وغيرها [سير، 17/ 159].

وصنّف في عداد الحفاظ الجوالين والمحدثين المكثرين [ياقوت، معجم البلدان، 1/ 228] ونعته الذهبي بحافظ اسفرايين الكبير [دول الاسلام، 1/ 171]. وفي كتابه شواهد كثيرة على علو كعبه في هذا الشأن، فالمسند من أهمّ ما ألّف في بابه، ويفرد دائما بالذكر دون سواه في كتب المصطلح كمثال على المستخرجات مع أنّه خاصّ بصحيح مسلم فقط وأنّ غيره قد خرّج على الصحيحين، وبعضهم قد خرّج على صحيح البخاري الذي هو أعلى درجة من صحيح مسلم، وذلك لما اختصّ به كتابه من زيادات في المتون مستقلّة وطرق متعدّدة غير ما اشترك مع غيره فيه من زيادة مستقلّة في أحاديثهما ونحوها [السخاوي، فتح المغيث، 1/ 39]. قال ابن حجر: لم أر في المستخرجات من أخرج أحاديث زائدة في المستخرج إلا أبا عوانة لكنه ينبّه على ذلك [العراقي، فتح المغيث، تح. محمود ربيع، ص18].

ومن أهمّ إضافات أبي عوانة في مجال الرواية تخريجه لكثير من المسانيد المتعلّقة بالسيرة النبوية في كتابه فزاد ذلك في توثيق رواياتها. كما أنّ عمله في مسنده يعدّ تهذيبا لصحيح مسلم -مع أنه مستخرج عليه- لأنه لم يستوعب فيه تخريج كل ما رواه صاحب الأصل وإنّما اختصره وركز مادة تخريجه على أحاديث العقيدة والفقه التي يحتاج إليها المسلم في عبادته ومعاملاته، وتكثر الأسانيد العالية في مستخرجه لإدراكه لعدد من شيوخ مسلم كيونس ابن عبد الأعلى، ومحمد بن إسحاق الصاغاني اللذين أكثر من الرواية لهما.

ولهذه الميزات في مسنده فهرسه ابن حجر مع كتب أصول في الرواية في كتابه اتّحاف المهرة بأطراف العشرة،واعتمده البيهقي في [سننه، 2/ 66، 93، 141، 213، 3/ 392، 4/ 19، 29، 207، 248، 10/ 290]. ويكثر ذكره في مجالي الرواية، والتصحيح والتضعيف، في كتب التخريج والشروح الحديثية والفقه الاستدلالي. ولما كان أبو عوانة من المتيقظين المتثبتين في الرواية لأنّ الرواة الذين انفرد بهم ليسوا على وجه الاجمال ممّن لا يوثق بهم [الألباني، الدرر في مسائل المصطلح، 120-121] دأب النقاد في معرض بيان أحوال الرواة على ذكر أنّ الرّاوي ممّن أخرج له أبو عوانة، وذلك لنظافة أسانيده.

كان أبو عوانة أوّل من أظهر لأهل إسفرايين مذهب الشافعي وكتبه [السبكي، طبقات، 3/ 487] وذلك بعد أن اتّصل في مصر بالربيع والمزني وتلقى عنهما أصول المذهب وبرع في هذا الأمر حتّى صار من أئمّة الشوافع.

ومن آثار خدمته لهذا المذهب انتشاره الواسع في ناحية اسفرايين وكثرة الفقهاء الشافعية الأعيان من أهلها حتّى قال الإمام أبو حفص عمر بن أحمد الصفّار (ت 553هـ) قد قيل إن بمقبرة إسفرايين من الفقهاء الشوافع أربعين إماما كل واحد منهم لو تصرّف في المذهب وأفتى برأيه واجتهاده على مقتضاه لكان حقيقا بذلك [المسند، 1/ 421، تعليق المحقق].

ومن شواهد تبريزه في الفروع أن شحن مسنده بآرائه وتخريجاته الفقهية، ويعدّ هذا الكتاب باعتبار أهمّية تراجمه حجما ونوعية ومضمونا نموذجا متميّزا لشرح الحديث على طريقة التراجم التي كانت سائدة في القرن الثالث كما نراه في الكتب الستة. وهو يسمّي الباب بيانا لأنه يبيّن في ترجمته مجمل متعلّقاته الفقهية ثم يورد الأحاديث التي تصلح دليلا على ذلك في أصل الباب.

وتوسّع في الاستشهاد بالمتون على المسائل الدقيقة وفيه من هذا الضرب ما لا يوجد في غيره وله اهتمام كبير بتكثير أبواب المسائل وتفريعها المفصّل المبتكر مع دقة العبارة وقوة الاستدلال وحسن صياغة القضايا ووضوح الفكرة ووفرة المعاني الشرعية والدينية في التراجم التي بلغت مادّتها خمس حجم المسند أو أكثر.

وفي الترجمة يلخص بتركيز فقه الباب بأسلوب مباشر، وهو متميّز في هذا المضمار عن الكثير من مصنّفي كتب الأبواب ويشبه في عمله هذا صنيع البخاري في صحيحه من حيث العناية الكبيرة بالفقه في التراجم، ولا يعرف كتاب بعد صحيح البخاري اعتنى فيه صاحبه بفقه الأبواب عناية أبي عوانة بهذا

الأمر، وهو يقتصر في كل ذلك على الاستدلال بالحديث ولا يتعدّاه إلى غيره من الآثار والآيات ونحوها كما هو صنيع البخاري [الزعايري، الصناعة الحديثية في مسند أبي عوانة، ص6].

مات باسفرايين في سلخ ذي الحجة سنة 316 هـ على ما ذكره راويته أبو نعيم [تذكرة الحفاظ، 3/ 780]. ودفن بها وبني على قبره مشهد يزار وهو في داخل المدينة [سير، 11/ 393] على يسار الداخل من باب نيسابور وبجنب قبره قبر راويته أبي نعيم في مشهد واحد [ابن خلكان، الوفيات، 6/ 393].

آثاره

1 -المسند الصحيح، خرّجه على صحيح مسلم وزاد فيه أحاديث في أواخر الأبواب ويسمّى أيضًا المسند [سير، 13/ 660] والصحيح [سير، 9/ 398] ومستخرج أبي عوانة [كشف الظنون، 2/ 1671]. والكتاب مطبوع متداول، نشرته دار المعرفة ببيروت، ودائرة المعرفة العثمانية بالهند سنة 1363هـ في جزءين بتصحيح عبد الرحمن اليماني، وسنة 1386هـ في أربعة أجزاء بمراجعة محمد عبد المعيد خان، ولخّصه الذهبي في كتاب المنتقى من مسند أبي عوانة سمعه ابن حجر على التقي الصالحي (ت 803هـ) وقال هو جزء كبير يشتمل على 230 حديثا، ذكره في مسموعاته بالمجمع المؤسس [نجم خلف، استدراكات على سزكين، ص472].

وأصدرت مكتبة الأقصى بالكويت فهرسا لمواد المسند بعنوان: الابانة في ترتيب أحاديث وآثار مسند أبي عوانة؛ 2- دلائل النبوّة، ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة، ص79 .

المصادر والمراجع

● ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر 1323 هـ / 1906، 1/ 228؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، 6/ 393؛ ● ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1/ 55؛ ● السّبكي، طبقات الشافعيّة الكبرى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1384/ 1965، 3/ 487 - 488؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 3/ 779 - 780؛ سير أعلام النبلاء (له) تحقيق العمروي، دار الفكر، بيروت، 1417/ 1996، 11/ 391-393؛ ● اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ 2، 1390/ 1970، 2/ 269-270؛ ● اليماني عبد الرحمن، خاتمة تصحيحه لمسند أبي عوانة، ط حيدر آباد، الهند 1362، 1/ 418-426.

محمد الناصر الزعايري
جامعة الزيتونة - تونس

الإسفزاري، أبو حاتم المظفّر بن إسماعيل

(كان حيّا سنة 506 هـ/ 1172 م - 480 هـ/1087 م)

أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الإسفزاري، عالم رياضي وفلكي ومهندس اشتهر في القرن الخامس الهجري. ولد في مدينة إسفزار من نواحي سجستان من جهة هراة، وبها نشأ وترعرع.

درس الإسفزاري في مسقط رأسه العلوم الأساسية كبقيّة أبناء بلدته، ولكنه أظهر في فترة مبكّرة اهتماما شديدا بالأمور الرياضيّة والهندسية. فلمّا بلغ من العمر ما يسمح له بالارتحال سافر إلى بغداد ليستزيد علما. وفي بغداد تتلمذ الإسفزاري على مؤلفات كبار العلماء فدرس مؤلفات بني موسى، والحيل الهندسية للجزري، وقد عمل الإسفزاري في الرصد للسلطان ملكشاه السلجوقي، مع جماعة من أعيان المنجمين ، ذكر منهم ابن الأثير في الكامل، عمر بن إبراهيم الخيام، وميمون بن نجيب الواسطي، وذلك بهدف تصحيح الأخطاء الموجودة في التقويم اليزدجردي، وتواصل عمله في هذا المرصد حتّى وفاة السلطان ملك شاه عام 485/ 1092، وقام بدور مهم في هذا المرصد. وهذه الهيئة التي رأسها عمر الخيام تضم أيضًا إلى جانب الإسفزاري ميمون بن نجيب الواسطي وعبد الرحمن الحارث، ومحمد الخازن. وبعد دراسة التقويم اليزدجردي الذي كان سائدا في تلك الفترة وكذلك التقويم الاسكندري، تم إحداث تقويم جديد مكانهما بدل تصحيح الأخطاء الموجودة فيهما، ونتيجة لذلك تم إحداث التقويم الجلالي نسبة إلى السلطان جلال الدين.

تنقّل الإسفزاري بعد ذلك على التوالي في كل من خراسان، هراة، وبلخ. ويذكر النظام العروضي أنه رآه في عام 506هـ/ 1112-1113م في بلخ في قصر الأمير أبي سعيد وذلك رفقة عمر الخيام [شهار مقالة، ص 100]. وبعد هذا التاريخ استفاد من كتاب أرخميدس «ميزان القصة» واستطاع أن يميز ما إذا كان الذهب أو الفضة المستعملان في صناعة شيء ما خالصين أو مشوبين بمواد معدنية أخرى، وصنع لهذا الغرض ميزانا هيدروستاتيكيا يتبيّن به مقدار المواد المعدنية التي تخلط بالذهب أو الفضة. وبغرض تقديم هذا الميزان للسلطان سنجر ذهب إلى مرو ومات فيها. وفي عام 506هـ/ 1112-1113م ذهب عبد الرحمن الخازني إلى بلخ، وفي عام 515هـ/ 1121م كتب الخازني كتابا أسماه «كتاب ميزان الحكمة» وسعى فيه إلى تطوير ميزان الإسفزاري، وأطرى فيه على صاحب الميزان، وهذا يعني أن تاريخ وفاته كانت خلال هذه السنوات. وتذكر الروايات أنه أهدى للسلطان هدايا قيّمة، بيد أن أمين خزينة السلطان استبدلها بأشياء أخرى مزيّفة فحزن لذلك حزنا شديدا ثم مات.

وصلنا من آثار الإسفزاري كتابات في

الرياضيات والآثار العلوية والأثقال والحيل. ففي الرياضيات بقي من مؤلفاته قطعة من اختصار كتاب الأصول لأقليدس [المكتبة الوطنية بباريس، مخ عربي 2458، 2] تتعلق بالمقالة الرابعة عشرة وتضم إحدى عشرة مسألة، ورسالة في المساحة توجد بإسطنبول [مكتبة لاللّي، مخطوط 2708 ورقة 19 ب - 23 ب]. كما تنسب للإسفزاري رسالة في أعداد الوفق المعروفة بالمربعات السحرية. أما في الآثار العلوية فقد ترك رسالة نشرت مؤخرا بالفارسية، ولا نعلم إن كانت قد كتبت أصلا بالفارسية، أو ترجمت إليها لاحقا.

وتتمثل المساهمة العلمية الأساسية للإسفزاري في علمي الأثقال والحيل. فقد صنف في هذا الموضوع رسالتين لم تنشرا بعد وتمثلان أهمّ كتاباته المعروفة اليوم. الأولى في الأثقال تحمل «عنوان إرشاد ذوي العرفان إلى صناعة القبان»، والثانية رسالة «الحيل في جر الأثقال». توجد رسالة الإرشاد في نسخة وحيدة تحتفظ بها المكتبة الوطنية بدمشق عن المجموع 4460، وقد اختصرها الخازني في المقالة الثانية من كتاب «ميزان الحكمة» وأورد بعض المقاطع التي سقطت من نسختها الدمشقية. وبالاعتماد على نشرة الخازني نستخلص أن ما كتبه الإسفزاري حول الميزان القباني يتكون من قسمين يعرض أولهما الأساس النظري، ويقدم الثاني وصفا للميزان القباني وكيفية تركيبه واستخدامه. والقفان، أو القبان، هو «ميزان الكرة» اللامتساوي الأذرع المسمّى أيضًا بالقرسطون. وقد خصص علماء دار الإسلام كمّا وفيرا من الكتابات لهذه الآلة.

لقد حاول الإسفزاري التوصل إلى نظرة مركز الثقل من خلال تجربة أعدّها كما يلي: «ندع كرات تتدحرج في وعاء نصف كروي، نرمي أوّل كرة واحدة، ثمّ كرتين متساويتين في القطر والوزن. ففي الحالة الأولى يكون مركز ثقل الكرة موجودا على السهم الذي يصل مركز الوعاء مع مركز الكون. وفي الحالة الثانية يكون مركز ثقل المجموعة الذي يصل مركز ثقل الوعاء مع مركز الكون. وفي الحالة الثالة يكون مركز الثقل في نقطة من السهم تبعد عن مركزي ثقل الكرتين بمسافتين متناسبتين عكسيا مع وزنيهما».

وقد جمع الإسفزاري صيغتي مبدأ الرافعة وهي صيغة أرشميدس، وصيغة أخرى وضعها هو تقول مسلمتها كما جاء في كتاب ميزان الحكمة: «إن حركات الميزان (ذي الرافعة) يمكن اعتبارها حركات دائرية ، ذلك لأن جزئي قضيب الميزان في جانبي محور التعليق عينه هو مركز تلك الدائرة».

وقد ربط الإسفزاري حركة طرفي رافعة عند اختلال التوازن بالمفاهيم الأرسطية عن الحركة الطبيعية والحركة القسرية. فعندما يهبط الميزان، يقوم وزنه بحركة طبيعية في حين أنّ وزنا صاعدا يكون في حركة قسرية، ووفقا للإسفزاري، فإن سبب الحركة القسرية لأحد وزني الميزان ليس قوّة أو أيّ تأثير خارجي، بل هو الحركة الطبيعية للطرف الآخر. والحركة الطبيعية هذه تنتج بدورها عن ميل طبيعي للذراع الثقيل نحو مركز الكون. وبهذا استطاع الإسفزاري أن يحوّل شروط توازن العتلة إلى شروط تساوي الميول فيذكر «أنّ قضيب الميزان سوف يحافظ على توازنه... إذا

لم تزد أو تنقص انحناءات الموزونات الموجودة عند طرفيه».

وقد زاد الإسفزاري عدد كفّات الميزان المعمول به في البلدان الإسلامية إلى خمس، وكانت الموازين المستخدمة مائيّة ذات ثلاثة أذرع. وصنع الإسفزاري ميزانا شامل الاستعمال، أسماه ميزان الحكمة. وهو في الأساس ميزان ذو ذراعين متساويين ومزوّد بميناءين وخمس كفّات نصف كرويّة ووزن متحرّك ولسان مثبّت في وسط قضيب الميزان. واللسان يرتكز على قاعدة، ولا يكون ارتكازه بواسطة محور بل من خلال نظام بارع من التعليق الحرّ، مؤلف من عارضة ومن قطعة بشكل منصّة حاملة، وهذا النظام هو من دون أدنى شكّ من تصميم الإسفزاري نفسه. إن ميزة نظام التعليق هذا هي التقليل من تأثير الاحتكاك على دقّة ميزان الحكمة، كما أنّ الدقّة العالية قد تأمنت أيضًا بانتقاء ملائم لقياسات القضيب واللسان ولزاوية انحناء القضيب ولدقة اللسان. ولقد استطاع الإسفزاري بعد فترة من الزمن أن يعمل ميزانا يعرف به الغش والعيار. وقد نال هذا الميزان شهرة عالية حتّى بلغ أمره خازن السلطان فكسره وفتت أجزاءه خوفا من ظهور خيانته في الخزانة، فسمع المظفّر بهذا فمرض ومات أسفا.

وقد عرف عنه محبّته لتلاميذه وحرصه على إيصال المعرفة لهم وبذلها لكل من يسأل عنها. ومن أقواله: «المعلم أب روحاني والوالد أب بشري»، «يجب أن يكون الملك سخيّا على نفسه وعلى رعيّته»، «علم المهندس سبب للبناء فالمهندس بعمله وعلمه هو الأصل»، «ويتلوه الباني ثم الأجير، فيأمر المهندس الباني، والباني الأجير، والأجير يتصرّف في الماء والطين».

أما نص الحبل في جر الأثقال، الذي يندرج في التقليد الميكانيكي العربي حول الآلات، فقد وصل إلينا في نسختين تملكهما مكتبة الجامعة العثمانية بحيدر آباد (مخطوط ق ع س 20 ج)، ومكتبة جون رايلاند بمانشستر (مخطوط 419). ويتألف هذا النص من مقتطفات من نصوص إيرن الإسكندراني، وفيلون البزنطي، والأخوان بنو موسى، إضافة إلى شروح وتعاليق الإسفزاري.

تتألف رسالة الإرشاد من مقدمة وخمسة فصول تدرس المسائل الرياضية والتجريبية للميزان القباني. وتتميز بالجمع بين معالجة هندسية مجردة وتناول ديناميكي لمسائل مركز الثقل وقانون المحل وعدد من حالات التوازن، كما تعرض جملة من براهين قانون المحل الذي يقول إن كل عمود معلق بنقطة في غير الوسط ويجعل على طرفيه ثقلان نسبة أحدهما الى الاخر كنسبة أحد قسمي العمود الى الآخر بالتكافي، فإن العمود يبقى على موازاة الأفق. وتستند براهين الإسفزاري على الاستدلالات الواردة في مقالة «في الميزان» المنسوبة إلى إقليدس وفي كتاب ثابت بن قرة في القرسطون، غير أنّها تختلف عنها في مناح متعددة.

تنتمي رسالة الإرشاد للإسفزاري الى التقليد العربي حول الأثقال والذي يتألف من عشرات الرسائل التي صنفها رياضيون وفيزيائيون ومهندسون وصناع. ويضمّ أيضًا النسخ العربية لأصول إغريقية من تأليف أقليدس وأرخميدس

وإيرن وباتّس. وتتمثّل دلالة هذا التقليد في كونه يؤشر إلى نشأة علم جديد هو علم الأثقال الذي اعتبر المؤرخون أنه رأى النور على يد مدرسة جوردانوس في القرن 13 م. بيد أن الوقائع تثبت أنه برز في البيئة العلمية الإسلامية في القرن الثالث الهجري قبل أن ينتقل إلى أوروبا اللاتينية في سياق ترجمة المؤلفات العلمية العربية، وضمنها كتاب في القرسطون لثابت بن قرة. وحتّى اسم علم الأثقال اللاتيني (Scientia de ponderileus) اقتبس من الترجمة اللاتينية لكتاب إحصاء العلوم للفارابي وأول من استخدمها بهذا المعنى هو جونديسالينوس في كتاب أقسام الفلسفة.

آثاره

1 - آثاري علوي، يتعلّق بشرح لأحوال الطقس والجو، وهذا الكتاب ألف باللغة الفارسية قبل عام 500هـ / 1106-1107م، وقد أهدى هذا المؤلف إلى فخر الملك علي بن نظام الملك، ونشره محمد طاغي مدرّس رضوي، طهران 1319هـ/ 1941م، وقد نقل شمس الدين أبو الخير الرازي هذه الرسالة كاملة ما عدا مقدمتها في كتابه «نزهة ناه عالي»؛ 2 - اختصار في أصول أقليدس، وهي عبارة عن اختصار للمقالة الرابعة عشرة من كتاب أقليدس «العناصر» (Bibiliothèque nationale de Paris, Nr 2458/4) والتي قام لويس أميلي سديللو بترجمتها إلى اللغة الفرنسية بعنوان:

«Notice de plusieurs opuscules mathèmatiques qui composent le manuscrit arabe No 11034. ancien fonds de la Bibliothèque du Roi», Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque de Roi, XIII, Paris 1838, p.126-150.

3 - مراكز الأثقال وصنعة القبان (إرشاد ذوي العرفان إلى صناعة القبان)، رسالة تتكون من أربعة أبواب تتناول كيفية استعمال قياس الموازين، الشام، دار الكتب الظاهرية، رقم 446؛ 4 - مقدمة في المساحة، مكتبة السليمانية، قسم لاله لي، رقم 2708؛ 5 - خلاصة (تلخيص، منتخب) كتاب الحيل، وهو ملخّص لكتاب بني موسى المشهور «كتاب الحيل» في علم الميكانيكا، مكتبة مانشستر جون ريلاندس، رقم 347 ب)؛ 6 - رسالة الشبكة، طهران، مكتبة مليك، رقم 3183، رسالة كتبها إلى برك يروك بن ملك شاه وتحتوي على معلومات غنية تتعلّق بالطبيعة وعلم النبات. كما أن للإسفزاري مؤلفات أخرى بيد أنها لم تصل إلينا.

المصادر والمراجع

● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 13 مج، دار صادر بيروت 1965؛ ● البيهقي، تاريخ الحكماء، تح. محمد كرد علي، دمشق 1946؛ ● عبد الرحمن الخانجي، ميزان الحكمة، حيدر آباد الدكن 1359؛ ● الشهرزوري، تاريخ الحكماء، تر. مقصود علي التبريزي، طهران 1365؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1989، 7/ 255؛ ● جورج، سارتون، مقدمة في تاريخ العلم، 3 مجلدات، بالتيمور 1929؛ ● موسوعة تاريخ العلوم

العربية، إشراف ر. رشدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1993؛ • عروضي، شهار، مقالة، نشر محمد معين ومحمد قزويني، طهران 133، هش؛

• Heinrich Suter, Die Mathematiker und Astronomen der Araben und ihre Werke, Leipzig 1900, p.114; • Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Supplementband, Leiden 1943-1949, I, 383, 856; • Aydin Sayili, The Observatory in Islam, Ankara 1960, p.161; • Said Nefisi, Tarih-i Nazm u Nesr der Iran, Tahran 1344 h-sh, p.467-469; • Arbert Napolian Companiu, «Hakim Ebu Hatim Muzaer Isfizari», Mecelle-i Daniskde i Edebiyyat, v/1 - 2, tahram 1336 h - sh, p.166-230; • D. Pingree, «Asfezari», Encyclopadeia Iranica, London 1985, II, 748-749; • Perviz Emin, «Esfizari», Dairetülmaarif Bozargi Islami, Tahran 1377, VIII, 330-331. • Riza Kurtulus, «Isfizari», Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi, Istanbul 2000, XXXII, 518.

د. محمد أبطوي
جامعة ظهر المهراز - فاس - المغرب

د. أحمد أوزال
جامعة اسطنبول

د. أحمد فؤاد علي
جامعة القاهرة

■ الإسكاف، أبو القاسم عبد الجبار بن علي حسكان

(... هـ / ... م - 452 هـ / 1060 م) ■■■

هو عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسكان أبو القاسم الإسفراييني الأصم، متكلم وفقيه وأصولي إمام دويرة البيهقي (قرية قرب نيسابور)، قال الفهري: «وأمّا الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني شيخ الإمام أبي المعالي فهو على ما ذكره الحافظ ابن عساكر بسنده المتقدّم فيه قال: عبد الجبار ابن علي بن محمد بن حسكان الأستاذ الإمام أبو القاسم المتكلم الإسفراييني الأصمّ المعروف بالإسكاف شيخ كبير جليل من أفاضل العصر» [الفهري أحمد بن يوسف، فهرست اللبلي، ص 49 - 50] وقال فيه الذهبي: «العلامة الأستاذ أبو القاسم عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسكان الإسفراييني الأصمّ المتكلم عرف بالإسكاف» [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج

18، ص 117] وقال فيه ابن عساكر: «عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسكان الأستاذ الإمام أبو القاسم المتكلم الإسفراييني الأصمّ المعروف بالإسكاف شيخ كبير جليل من أفاضل العصر ورؤوس الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعري، إمام دويرة البيهقي، له اللسان في النظر والتدريس والقدم في الفتوى مع لزوم طريقة السلف من الزهد والفقر والورع، كان عديم النظر في فنّه ما رؤي مثله» [ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ص 265]. وذكر النص السبكي في طبقاته إلاّ أنّه عوّض عبارة «وكان عديم النظر في فنّه» بـ «عديم النظير في وقته» وهو الأصوب، قال: الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني الإسكاف أستاذ إمام الحرمين في الكلام قال فيه عبد الغفار: شيخ جليل كبير من أفاضل العصر ورؤوس الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعري، إمام دويرة البيهقي، له اللسان في النظر والتدريس والتقدّم في الفتوى مع لزوم طريقة السلف من الزهد والفقر والورع كان عديم النظير في وقته ما رئي مثله [عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص 99].

تشبع الإسكاف بالفقه وأصوله وبالكلام والجدل ودرس عن كبار مشائخ عصره مثل الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، وعبد الله ابن يوسف الإصبهاني وغيرهما قال الذهبي: «أخذ عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني وغيره وسمع من عبد الله بن يوسف الإصبهاني وطائفة» [م. س، ج. 18، ص 117] وقال الصفدي: «عبد الجبار بن علي ابن محمد بن الإسكاف الأستاذ أبو القاسم الإسفراييني المتكلم الأصمّ المعروف بالإسكاف فقيه إمام أشعري من تلامذة أبي إسحاق الإسفراييني المبرّزين في الفتوى» [صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 36]، كما تخرّج على يديه علماء كبار مثل إمام الحرمين. قال ابن عساكر في تبيينه: «قرأ عليه إمام الحرمين الأصول وتخرّج بطريقته» [م. س، ص 265]، ومثله في فهرست اللبلي [الفهري، م س، ص 49]، وورد في معجم المؤلفين أنه صحب إمام الحرمين؛ قال عمر رضا كحالة: «صحب إمام الحرمين وصنف في أصول الفقه» [معجم المؤلفين، م 3، ج 5، ص 81]، وقال الذهبي: «وروى عنه أبو سعيد بن أبي ناصر وغيره وقرأ عليه إمام الحرمين فنّ الأصول» [السير، م. س، ج 18، ص 117]. وقال السبكي: «قرأ عليه إمام الحرمين الأصول وتخرّج بطريقته، عاش عالماً عاملا» [م. س، ج 5، ص 99]. كان الإسكاف يتصف بالورع في الأخلاق والميل إلى الزهد وكثرة العبادة وكان متبحرا في آراء أبي الحسن الأشعري. قال الذهبي: «وكان ورعا قانتا عابدا زاهدا مفتيا متبحرا في رأي أبي الحسن الأشعري» [السير، ج 18، ص 117]. وقال الفهري: «شيخ جليل من أفاضل العصر ورؤوس الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعري» [فهرست اللبلي، ص 50].

وممّا روى عنه أنّه نقل عن أستاذه أبي إسحاق رأيه في من وطيء زوجته معتقدا أنها أجنبيّة عنه فعليه الحدّ، قال السبكي: «قال ابن الصلاح رأيت في ترجمة إمام الحرمين بخط

بعض المعلّقين عنه سمعته - عبد الجبار الإسكاف - يقول عن الأستاذ أبي إسحاق: لو أنّ واحدا وطيء زوجته واعتقد أنّها أجنبيّة فعليه الحدّ. قال ابن الصلاح: «هذا يبادر الفقيه إلى إنكاره، ولكنّ الحقائق الأصوليّة آخذة بتضعيفه فإنّ الأحكام ليست صفات للأعيان. قلت وهذا فيه نظر وقوله - الأحكام ليست صفات للأعيان - مسلّم، ولهذا قلنا بأنّ هذا الوطء حرام يعاقب عليه. ولو كانت صفات للأعيان لم نحرّمه. وأمّا انتفاء الحدّ فإنّما كان لأجل الشبهة فإنّ أقلّ أحوال كونها في نفس الأمر زوجته أن تكون شبهة ينفي الحدّ بمثلها والأصولي لا ينكر أنّ الشبهات تدرأ الحدود. فهذه مقالة ضعيفة لا يشهد لها فقه ولا أصول» [الطبقات ج 5، ص 99-100].

هذا مجمل ما ورد عنه في كتب الطبقات أمّا عن خبر وفاته فالمصادر تجمع على أنّه توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة. قال ابن عساكر: «وتوفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة» [تبيين كذب المفتري، ص 265]؛ وقال الصفدي: «توفي سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة» [الوافي بالوفيات، ج 18، ص 36] وقال الذهبي: «توفي في الثامن والعشرين من صفر سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة» [السير، ج18، ص 117]، وجاء كذلك في فهرست اللبلي أنه توفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة [الفهري، م. س، ص 50].

المصادر والمراجع

● أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت 571 هـ)، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط 2، دار الفكر دمشق 1399؛ ● الفهري، أحمد بن يوسف (ت691 هـ)؛ ● فهرست اللبلي، تح، ياسين يوسف وعواد عبد ربّه، ط 1، دار الغرب الإسلامي 1408/ 1988؛ ● الذهبي، شمس الدين محمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء تح، بشار عواد ومعه، ج18، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت 1390 هـ/ 1971 م؛ ● السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ط 1، مطبعة عيسى الحلبي؛ ● عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، م 3، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

د. حزاك بوعلاقي
جامعة الزيتونة - تونس

الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب

(... هـ/ ... م - 240 هـ/ 854م)

محمد بن عبد الله الخطيب أبو عبد الله المعروف بالإسكافي نسبة إلى إسكاف وهي ناحيتان بالنهر: إسكاف العليا وإسكاف السفلى التي خرج منهما أعيان العلماء والكتاب المحدثين، ويكنّى الإسكافي بأبي جعفر وهو من أهل أصبهان وأصله من سمرقند. والخطيب متكلم حاذق من متكلّمي بغداد وواحد من رؤساء متشيعة المعتزلة. وعالم بالأدب واللغة، كان إسكافيا ثم خطيبا بالريّ بالقلعة الفخرية. اعتبره الذهبي علامة، وقال عنه نقلا عن ياقوت إنه «أعجوبة في الذكاء وسعة المعرفة مع الدّين والتصوّن والنزاهة» [سير أعلام النبلاء، 10/ 550]، وهو فاضل ومتصف بصيانة النفس ونبل الهمة والنزاهة عن الأدناس وسعة المعرفة فبلغ مقدار عمره ما لم يبلغه أحد [لسان الميزان، 5/ 221].

عمل أبو جعفر في صباه خياطا. وكان أبواه، وقيل بل عمه وأمه، يأمرانه بلزوم المعيشة والتكسب ويمنعانه من الاختلاف في طلب العلم [فرق المعتزلة، 83]؛ فضمه أبو الفضل جعفر بن حرب إليه وهو متكلّم ومعتزلي وزاهد ورع، (ت 236 هـ/ 850 م)، فكان الخطيب الإسكافي يبعث إلى أمه كل شهر عشرين درهما بدلا من كسبه، حتّى بلغ ما بلغ [الفهرست 213؛ سير أعلام النبلاء 10/ 551؛ المنية والأمل 66].

وكان الخليفة المعتصم أبو إسحاق محمد بن الرشيد معتزليا، فأعجب بالإسكافي أشد الإعجاب وأجلّ علمه وقدّمه ووسّع عليه وأجزل عطاءه. وجعل منه داعية للمذهب المعتزلي [دائرة المعارف الإسلامية IV/ 132]، فكان إذا تكلّم أصغى إليه وسكت من في المجلس [الفهرست، 213]، وإذا انتهى من مناظرته قال له المعتصم على مسمع من الحاضرين «يا محمد اعرض هذا المذهب على الموالي فمن أبى فعرّفني خبره لأنكل به» [الفهرست 213؛ سير أعلام النبلاء 10/ 551]، ولشدة إعجاب أتباعه وتعلّقهم به أنه لما بلغ محمد بن عيسى برغوث موته، سجد فمات بعده بأشهر [سير أعلام النبلاء 551؛ الفهرست 213].

لا يعرف تاريخ ولادته، وتروي كتب التراجم أنه عمر طويلا ومات سنة 240 هـ/ 845 م، وقيل سنة 241 [كشف الظنون 2/ 1579؛ هدية العارفين 2/ 64].

للإسكافي ابن اسمه جعفر بن محمد أبو القاسم صاحب كتاب المعيار والموازنة في تفضيل علي على أبي بكر، وجعفر كوالده معتزلي من الطبقة الثامنة، وهو كاتب موهوب وبليغ، سمّاه المعتصم رئيس ديوان [دائرة المعارف، 4، ص 132]. والخطيب الإسكافي صاحب أبي جعفر الأحول محمد ابن النعمان المتكلّم الملقب بشيطان الطاق

والذي تلقبه الشيعة بمؤمن الطاق (ت 148 هـ/ 765 م) [الفهرست 264]، وصاحب الصاحب بن عباد الذي قال عنه «فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة؛ حائك وحلاج وإسكاف. فالحائك أبو علي المرزوقي، والحلاج أبو منصور ماشدة، والإسكافي أبو عبد الله الخطيب» [بغية الوعاة 1/ 149؛ معجم الأدباء 18/ 215].

أخذ الإسكافي عن جعفر بن حرب في القدر ثم خالفه في بعض فروعه. كفر أبا إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظّام (ت 231 هـ/ 845 م) لإنكاره إعجاز القرآن ومعجزات النبية ﷺ.

انبثقت عن مذهبه فرقة الإسكافية، وهي متكوّنة من أتباعه، الذين قالوا إن اللّه لا يقدر على ظلم الفقراء.

ناقش أبو جعفر الإسكافي عديد المسائل الدينية ذات الطابع الفلسفي والتي لها علاقة بالإعتزال فتحدث في موضوع قدرة اللّه على الظلم، وبيّن أن العقول تدل بأنفسها على أنّ اللّه ليس بظالم. وقال في المكان إن الباريء مدبّر لكل مكان وإن تدبيره في كل مكان. أما وصف الخالق بالكريم، فقد اعتبر أنّ هذا الوصف يحتمل وجهين: **أحدهما** صفة نفس إذا كان الكرم بمعنى الجود، **والآخر** صفة فعل إذا أريد به الرفيع العالي على الأشياء لنفسه [كتاب مقالات الإسلاميين، ص 178]. كما تكلّم الإسكافي في لعن الكفار في الدنيا وفي الحركات والسكون، وفي أفعال الإنسان، وفي معنى الخالق وصلاح عذاب جهنّم، وفي أن اللّه لم يزل سامعا مبصرا، وأنه حي قادر وكريم ومتكلّم وموجود خارج الزمان. كما ناظر الإسكافي في عديد المواضيع الأخرى ككلام اللّه تعالى وخلق القرآن والاستطاعة والفعل المباشر واجتماع النار والحطب والكمُون والحُسْن والقبح والعلة والمعلوم والمجهول والتوليد وإيجاب الإرادة ومعنى الخلق.

ووصف أسلوبه الحجَاجي في تناول هذه المسائل الفلسفية الدينية «بالكلام اليسير الواضح البين» [كتاب الانتصار].

وإلى جانب تكفيره النظّام، فقد كانت للإسكافي مناظرات مع الحسين بن علي الكرابيسي الشافعي (ت 245 هـ/ 859 م) وغيره [لسان الميزان، 5/ 221]، وله كلام في الرد على أبي الهذيل في مسألة التناهي وكلام في عثمان، وطلحة، والزبير وعائشة [دائرة المعارف الإسلامية، IV، 132؛ الانتصار 228]، ورد على ابن الروندي الملحد [الانتصار، 228].

أما في السياسة فهو وإن بدا مقرا لشرعية خلافة عثمان إلاّ أنّه من المنتصرين لإمامة المفضول والقائلين بتفوّقه على أبي بكر. وقد ظلّ رافضا لكتاب العثمانية للجاحظ [شرح البلاغة لابن أبي حديد].

آثاره

له سبعون كتابا في الكلام [فرق المعتزلة 83؛ المنية والأمل 66؛ تاريخ التراث العربي 2/ 402]، وعدّت كتبه من التصانيف الحسنة [بغية الوعاة، 1/ 149]، ورد ذكرها أساسا في معجم الأدباء ودائرة المعارف الإسلامية. وله كتب في تفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر قال عنها الخياط إنها «معروفة

مشهورة» [كتاب الانتصار، ص228]. من أشهر ما ذكر له من المؤلفات: 1 -كتاب غلط العين، وفيه شيء كثير من أغلاط الأدباء؛ 2 درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة، وهو كتاب في التفسير؛ 3 - الرد على من أنكر خلق القرآن؛ 4 - لطف التدبير في سياسة الملوك، وقيل في سياسات الملوك [معجم المؤلفين، ص 210]؛ 5 - مبادىء اللغة، وهو أشهر كتبه [الوافي 3/ 337]؛ 6 - كتاب اللطيف؛ 7 - كتاب المقامات، في تفضيل علي عليه السلام. اقتبس منه ابن أبي حديد في شرح البلاغة؛ 8 - كتاب في إثبات خلق القرآن؛ 9 - كتاب الرد على المشبهة؛ 10 - كتاب المخلوق على المجبرة؛ 11 - كتاب بيان المشكل على برغوث؛ 12 - كتاب التمويه؛ 13 - كتاب نقد كتاب حفص؛ 14 - كتاب النقد لكتاب الحسين النجار؛ 15 - الرد على من أنكر خلق القرآن؛ 16 - الشرح لأقاويل المجبرة؛ 17 - إبطال قول من قال بتعذيب الأطفال؛ 18 - كتاب حمل قول أهل الحق؛ 19 - كتاب النعيم؛ 20 - كتاب ما اختلف فيه المتكلّمون؛ 21 - كتاب علي حسين في الاستطاعة؛ 22 - كتاب فضائل علي عليه السلام؛ 23 كتاب علي هشام؛ 24 - كتاب في نقض كتاب ابن شبيب في الوعيد؛ 25 - في أن الطبعين المختلفين يفعل بهما فعل واحد؛ 26 - كتاب الإمامة [الفهرست 264]؛ 27 كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم؛ 28 - كتاب شرح الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ/ 846 م)؛ 29 - كتاب نقض مقالات العثمانية: توجد منه قطعة في كتاب شرح البلاغة لابن أبي حديد. جمع نصوصها حسن السندوبي ونشرها في كتابه رسائل الجاحظ، ثمّ نشرها عبد السلام هارون بكتاب العثمانية بالقاهرة سنة 1955 [تاريخ التراث العربي 2/ 403].

المصادر والمراجع

● الخياط، أبو الحسن عبد الرحيم، (ت 319 هـ)، كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، تح. الدكتور نيبرج. الدار العربية للكتاب، ط 2، 1993؛ ● الأشعري، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت 324 هـ)، كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط 3، مطبعة دار النشر فرانز شتاينز فيسبادن 1980؛ ● المسعودي، أبو الحسن علي ابن الحسن، (ت 346 هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح. شارل بلا، 7 أجزاء، المكتبة الشرقية بيروت 1979؛ ● ابن النديم، أبو الفرج، (ت 378 هـ)، الفهرست تح. رضا المازندراني، دار المسيرة، ط 3، 1988؛ ● الهمذاني، القاضي عبد الجبار أحمد (ت 415 هـ)، فرق وطبقات المعتزلة، تح. وتعليق علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، دار المطبوعات الجامعية مصر 1972؛ ● المنية والأمل، تح. عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985؛ ● البغدادي، أبو منصور عبد القاهر (ت 429 هـ)، الفرق بين الفرق، د. ت؛ ● الخطيب، أحمد بن علي، (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي بيروت؛

● السمعاني، أبو سعيد، (ت 560 هـ)، الأنساب، الجزء 10، تح. عبد الرحمان ابن يحيى المعلمي اليماني، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ط 2، 1980؛ ● الحموي، ياقوت، (ت 626 هـ)، معجم الأدباء، 20 جزءا، مطبوعات دار المأمون، الطبعة الأخيرة؛ ● الصفدي، صلاح الدين، (ت 764 هـ)، الوافي بالوفيات، 9 أجزاء، ط 2، دار النشر فرانز شتايز. فيسبادن 1974؛ ● الذهبي، شمس الدين، (ت 774 هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1982؛ ● ابن المرتضى، أحمد يحيى، (ت840هـ)، طبقات المعتزلة مكتبة الحياة، بيروت 1960؛ ● العسقلاني، شهاب الدين بن حجر، (ت 852 هـ)، لسان الميزان، ط 2، 1971، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت؛ ● السيوطي، جلال الدين، (ت 911هـ)، بغية الوعاة جزءان، ط 2، 1979، تح. محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر؛ ● حاجي خليفة، (ت 1067 هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 4 أجزاء، دار الفكر؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنّفين، جزءان، بيروت 1955، منشورات مكتبة المثنى؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1960، مطبعة الترقي؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، الجزء 4، 1978؛ ● سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1976، دار العلم للملايين، ط 7؛ ● البستاني، بطرس، دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، بيروت، دار المعرفة، ج 3.

د. زكية السائح دحماني
جامعة منوبة ــ تونس

الإسكندري، أحمد بن علي بن عمر

(1292هـ / 1875 م – 1357 هـ/ 1938م)

أحمد بن علي بن عمر الإسكندري أو السكندريّ، أديب، لغويٌّ، ومعجميٌّ مصري، وُلد في مدينة الإسكندرية في السادس والعشرين من فبراير سنة 1875 م لأسرة مكوّنة من أربعة أبناء، كان هو ثالثهم في ترتيب الميلاد، وقد أشرف أبوهم الشيخ علي عمر على تعليمهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، فقد كان من العلماء المتفقّهين في الدين، وكان يتولى الخطابة وإقامة الشعائر الدينية في أحد مساجد الإسكندرية.

التحق الإسكندري بالمعهد الديني بالإسكندرية، وهو المعهد المعروف (بجامع الشيخ)، ولكنه وجد أن الإسكندرية لن تشبع نهمه إلى العلم فتوجّه إلى القاهرة رغماً عن أبيه، حيث أتمّ تعلميه بالأزهر، ثمّ التحق بعد ذلك بمدرسة دار العلوم، وتخرّج فيها سنة 1898 م وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وكان من أساتذته في الأزهر ودار العلوم الشيخ حسين المرصفي، والشيخ حمزة فتح الله، وحسن الطويل، وعثمان غالب، وحسونة النواوي.

عمل الإسكندري بعد تخرُّجه في دار العلوم مدرّسًا للغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية: مدرسة رأس التين بالإسكندرية، ومدرسة القربية بالإسكندرية أيضًا، ومدرسة الجيزة الابتدائية، ومدرسة السويس الابتدائية، ثمّ ناظرًا لمدرسة المعلمين الأولية بالفيوم، ومدرسة المعلمين الأولية بالمنصورة، ثم مفتشا مساعدا بالمعارف العمومية إلى أن انتقل إلى مدرسة دار العلوم في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة 1907م بدلاً من الشيخ محمد المهدي الذي نُقل إلى مدرسة القضاء الشرعي في ذلك الوقت.

ظلّ الإسكندري في دار العلوم ما يربو على ربع القرن حتّى أول أكتوبر سنة 1933 م؛ فدرّس فيها مادّتي الإنشاء والأدب العربي، وألّف في أثنائها كتابًا عن الأدب العربي في العصر العباسي، ووضع لطلبته مذكرات في عصور الأدب الأخرى، وهو أول من اقترح تدريس مادة فقه اللغة في مدرسة دار العلوم.

ومن أشهر تلاميذه في دار العلوم: أحمد حسين والي، ومحمد خلف الله أحمد، وعبد الوهاب أبو العيون، ومحمد المدني، وعلي الجارم، وأحمد ضيف، ومحمد أحمد حسونة، وبيومي السباعي بيومي، وعبد الحميد حسن، وعبد العزيز عيسى، وعطية الصوالحي، وإبراهيم مصطفى، وعلي النجدي ناصف، ومهدي علام.

في الفترة التي قضاها في دار العلوم شارك في المجامع اللغوية والنوادي الأدبية واللجان العلمية التي أُنشئت قبل إنشاء مجمع اللغة العربية سنة 1932م؛ فقد كان عضوًا في نادي دار العلوم الذي أُنشيء سنة 1908 م، وعضوًا في «المجمع اللغوي المصري» الذي أنشأه أحمد لطفي السيد سنة 1916 م، ومجمع إدريس راغب الذي أُنشيء آنذاك، ولجنة المصطلحات العلمية بوزارة المعارف والتي أُنشئت سنة 1913 م، وفي سنة 1922 م انتُخب عضوًا مراسلاً بالمجمع العلمي العربي بدمشق؛ والذي أُنشيء في يونية سنة 1919 م.

ولما صدر المرسوم الملكي بإنشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة في 13 ديسمبر 1932م كان الإسكندري من الرعيل الأول المؤسس للمجمع، فقد كان العضو الرابع من الأعضاء العشرين الذين تألّف منهم المجمع، وقد اختاره المجمع رئيسا للجنة علوم الحياة والطب، كما اختاره عضوًا في عدة لجان أخرى: لجنة الرياضيات، ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية، ولجنة المصطلحات العسكرية، ولجنة الأصول العامة وغيرها.

ومن يُراجع محاضر جلسات المجمع في سنواته الخمس الأولى يجد أنه كان المحور الذي تدور حوله المقترحات والمناقشات، فكان بحق كما وصفه بعض العارفين به «مخ المجمع».

ومنذ تعيينه في المجمع أعطى الجانب الكبير

من اهتماماته للغة العربية والدفاع عنها أمام الدعوات الهدّامة التي كانت تحاول النيل منها في ذلك الوقت، فجاءت أبحاثه المجمعية التي قدمها في السنوات الست التي قضاها في المجمع (1932-1938) على جانب كبير من الأهمّية، وأسهمت إسهاماً فعّالا في رسم الطريق الذي اختطه المجمع، وقد كان المنافح الأول عن قراراته، يبيّن الغرض من هذه القرارات ويحتج لها بالشواهد والنصوص من التراث اللغوي الذي تضلّع منه.

وفي أول أكتوبر 1933 م انتقل إلى كلية الآداب بالجامعة المصرية منتدبًا من دار العلوم في وظيفة مدرس للأدب العربي، ثم وافق مجلس الجامعة المصرية بجلسته التي عُقدت في 6 أكتوبر 1934 م على أن يوضع الإسكندري في درجة أستاذ اعتبارًا من أول أكتوبر 1933 م وهو تاريخ انتدابه للعمل بالكلية، ولم يطل به المقام في كلية الآداب ففي فبراير 1935 م أحيل إلى التقاعد (المعاش)، وبعد التقاعد (المعاش) انتدبه أحمد نجيب الهلالي وزير المعارف آنذاك إلى الوزارة عضوًا في المكتب الفني يمثّل اللغة العربية في هذا المكتب، وقد بهر سائر الأعضاء الممثلين للمواد الأخرى بسعة علمه وشمول معارفه، وقد شارك في وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية، وفي مراجعة كتب اللغة العربية لهذه المدارس مع طه حسين ومهدي علاّم، كما قام بالاشتراك مع حفني ناصف ومصطفى عناني بتصحيح النسخة الاسمية من المصحف الشريف الذي قررت وزارة المعارف العمومية اعتمادها بمدارسها المختلفة.

وفي فبراير 1938 م أصدر محمد بهي الدين بركات رئيس المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية آنذاك قرارًا بضمّ الإسكندري إلى الدار لما كان يتمتع به من ميزة فريدة في معرفة المخطوطات وكشف زيفها، ويُعدّ هذا العمل آخر ما كُلِّف به في حياته، حيث قضى فيه مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر فقط قبل وفاته في التاسع عشر من أبريل 1938 م.

توفي في منتصف الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء 18 صفر 1357 هـ/ 19 أبريل 1938 م لقي ربّه بعد حياة حافلة استمرت ثلاثة وستين عامًا. وقد تصادف وفاة المستشرق الإيطالي كارلو نلينو عضو المجمع في العام نفسه (25 يوليو 1938 م) فأقام لهما المجمع حفل تأبين في دار الأوبرا الملكية يوم الجمعة 13 يناير 1939 م، وقد ألقى كلمة الأسرة شقيقه المؤرخ عمر الإسكندري، كما ألقى الشاعر علي الجارم عضو المجمع قصيدة في رثائه هو ونلينو [مجلة مجمع اللغة العربية، ج 5/ 58-175].

آثاره

هي في معظمها كتب مدرسية أو جامعية أُلِّفت للتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية أو دار العلوم وهي: 1 - تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1912 م؛ 2 - تاريخ آداب اللغة العربية في الأندلس والدول المتتابعة، مطبعة الجمل المصرية 1925م، والمطبعة التجارية الكبرى بمصر 1927 م؛ 3 - اقتراح في الكيمياء، دار الكتب المصرية، 1938 م؛ 4 - الأمثال والمختارات، انتخبها وفسّرها وعلّق عليها، ط سنة 1919 لطلبة السنة

الرابعة بدار العلوم؛ 5 - صفوة تاريخ مصر والدول العربية للمدارس الابتدائية، بالاشتراك، مطبعة المعارف، ج 1، (1924)، ج 2، (1929)؛ 6 - المجمل في تاريخ الأدب العربي، بالاشتراك، المطبعة الأميرية، القاهرة 1933 م؛ 7 - مذكرات في فقه اللغة لطلبة السنوات الأربع بمدرسة دار العلوم العليا، مطبعة القاهرة، 1926 م؛ 8 - المفصّل في تاريخ الأدب العربي، جزءان، ج 1، مطبعة مصر 1934، ج 2، المطبعة الأميرية 1936 م؛ 9 - معجم المعاني، لطلاب دار العلوم، مطبعة المعاهد، القاهرة 1926 م؛ 10 - المنتخب من أدب العرب، جمعه وشرحه أحمد الإسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشرى وأحمد ضيف، المطبعة الأميرية، القاهرة 1948 م؛ 11 - نزهة القارىء في المطالعة للمدارس الثانوية في أربعة أجزاء، طُبع منه جزءان، مطبعة المعارف بالفجالة، القاهرة 1922 م؛ 12 - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، بالاشتراك مع مصطفى عناني، مطبعة المعارف، القاهرة 1922 م؛ 13 - تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية (بالاشتراك)، المطبعة الأميرية، القاهرة 1938م؛ 14 - قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية، (7 أجزاء) راجعها بالاشتراك مع طه حسين ومهدي علاّم وآخرين، المطبعة الأميرية، القاهرة 1912 م؛ 15 انتقاد كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» الذي وضعه أيضًا جرجي زيدان في جزء واحد. وقد طُبع هذان الانتقادان مع انتقاد شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني، لكتاب «تاريخ التمدن الإسلامي»، الذي وضعه جرجي زيدان في خمسة أجزاء، وطُبعت هذه الانتقادات الثلاثة في مطبعة المنار، القاهرة 1912 م؛ 16 - كتاب «اللهجات العامية»، تقدّم به سنة 1911 م إلى مؤتمر المستشرقين في أثينا، وهو في قواعد اللغة العامية، وقد تحرّج من نشره خشية إذاعة اللغة العامية، وقد كان عند صهره الأستاذ محمد أحمد برانق نسخة مخطوطة مجلّدة منه، عدد صفحاتها 256 من القطع الكبير؛ 17 - كتاب «نزهة القارىء» للمدارس الثانوية (ج 3)، عدد صفحاته 340 من القطع الكبير؛ 18 - كتاب عن «رسم المصحف الشريف وكتابته»، ألّفه بالاشتراك مع حفني ناصف، وعدد صفحاته 400 صفحة، وكان حفني ناصف قد كتب مقدمة له (مجلة الهلال، السنة 27، مج 27، ص 595)؛ 19 - كتاب «الرأي الفصل في قضايا العصر»، عكف عليه في الأسابيع الأخيرة من حياته، حيث جمع فيه أهم القضايا اللغوية التي دار حولها الجدل في عصره. ذكر ذلك صديقه منصور فهمي بك (جريدة الأهرام 20، من أبريل سنة 1938، العدد 19253، ص 10)؛ 20 - كتاب «الأدب العربي في جميع عصوره»، يقع في بضعة آلاف صفحة، وكان في نيته أن يطبعه، واشتغل في السنة الأخيرة من حياته بوضع مقدمة له، وصفها هو بأنها تقع من تاريخ الأدب موقع مقدمة ابن خلدون من التاريخ العام، وقد عاجلته المنيّة فاقتطعته دون هذه الأمنية.

المصادر والمراجع

● الترزي، ابراهيم، التراث المجمعي في خمسين عامًا، مطبوعات مجمع اللغة

العربية، القاهرة، ص42، 44، 106، 110، 118، 132، 154، 165؛ ● عز العرب، ابراهيم عبد الرزاق، الشيخ أحمد الإسكندري، حياته وآثاره الأدبية واللغوية، رسالة ماجستير، إشراف محمد خلف الله أحمد، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة د. ت؛ ● تقويم الهلال، القاهرة 1939؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة، 1/ 183؛ ● مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، 1994 م، ج 2/ 847، رقم 958؛ ● صحيفة دارالعلوم، جامعة القاهرة، 5/ 136؛ ● نصير عايدة إبراهيم، الكتب العربية التي صدرت بين سنتي 1926 1940 م في مصر، دار الكتب، القاهرة 1966 م؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين 2/ 14-15؛ ● فهرس دار الكتب المصرية، القاهرة 3/ 42، 409، 433؛ ● مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 1، (1935)، ج 2، (1936)، ج 3، (1937)، ج 4، (1939)، ج 5، (1948)؛ ● برانق، محمد أحمد، مقال عن الإسكندري، مجلة الرسالة، 11 يوليو 1938، العدد 262، ص 1129؛ ● محمد عبد الجواد، تقويم دار العلوم، العيد الماسي، القاهرة 1963م؛ ● علام مهدي، المجمعبون في خمسين عامًا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة 1986 م؛ ● يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، مطبوعات جمعية أهل القلم، بيروت 1956م، ج 2/ 121؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، مطبعة سركيس بمصر، القاهرة 1928 م، ص 394، 438.

د. رجب عبد الجواد إبراهيم
جامعة حلوان - مصر

الأسلافي، محمد بن الحسين بن إبراهيم

(1170 هـ/ 57-1756م ـ 1250 هـ/ 35 - 1834م)

هو العلامة الجليل القاضي، الشيخ محمد بن الحسين الأسلافيّ، المنسوب الى قرية (الأسلاف)، من ناحية (جبله) في بلاد اليمن، وهي لواءٌ معروف وكبير [زبارة الحسني، نشر العرف، ج 3، ص110-111؛ الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص 128-129؛ والحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الأول، الجزء الأول، ص 78].

يعد صاحب الترجمة من رجالات القرن الثاني عشر الهجري، تلقّى العلم أوّلاً على يد

والده العلامة المعمّر الحسين بن إبراهيم، وتربّى على يديه تربية صالحة [نشر العرف، ج 3/ 111].

وبالنسبة إلى طلبه العلم قبل أخذ عن والده وعن غيره من العلماء آنذاك، وجدّ واجتهد وألزم نفسه بالآداب الشرعية في عباداته وعاداته، حتّى صار الأدب سجيَّة له. وهكذا المحاولات والمزاولات للعلوم النافعة والأعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة تُصيِّرُها مَلَكات وسجيَّات حتّى فاق الأقران وصار علمًا بارزًا آنذاك [نشر العرف، ص 111 - باذيب، عن كتاب مسطور الافادة مما يعين على الحضور في العبارة، ص 12-13].

ومن أجل التوسّع والاستزادة في طلب العلم استأذن والده للارتحال الى مدينة زَبيد ليأخذ من علمائها ويستجيز منهم، خاصة الشيخ الكبير أحمد بن حسن الموقري (ت1201هـ) الذي سبق أن أخذ الكثير عن شيخه الصالح محمد بن ياسين باقيس الحضرمي (ت1183هـ) [مسطور الافادة، ص 13؛ عبد الرحمن بن عبيد اللّه السقاف: معجم بلدان حضرموت، ص 70 عن (المخطوط)، وعن الكتاب بعد تحقيق المخطوط، ص 143].

فلما وصل إلى زبيد نزل على الشيخ الموقري، الذي أكرمه إكرامًا عظيمًا، وأتاه علماء البلد إلى منزل الشيخ، ووقعت بينهم وبينه إفادات واستفادات، ومذكرات ومراجعات؛ وكان ممن أخذ عنهم الشيخ الأسلافي صاحب الترجمة الإجازة؛ الشيخ سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الزَّبيدي (ت1193 هـ)، والشيخ أبو الزين عبد الخالق ابن علي بن الزين المزجاجي (1135-1209هـ) صاحب كتاب «نُزْهة رياض الإجازة المستطابة بذكر المشايخ أهل الرواية والإصابة» وغيرهما من العلماء [نشر العُرف، ص 111؛ مسطور الإفادة، ص 17؛ محمد ابن محمد زباره، نيل الوطر، ج 2/ 265].

وتخرج على يد الشيخ الأسلافي عدد من الطلاب، وكان منهم مفتي مدينة زبيد وعالمها ومسنِدُها في القرن الثالث عشر الهجري الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن سلمان بن يحيى بن عمر الأهدل، وهو الذي قال عن شيخه الأسلافي: كان ذا حِلم وأناةٍ عظيمة، وهما خصلتان يحبهما اللّهُ، كما ورد في الحديث الصحيح: روى مسلم في كتاب الإيمان أن رسول اللّه قال للأشَجّ - أشجّ عبد القيس -: «إن فيك خصلتين يُحبُّهما اللّه ورسوله: الحلمُ والأناةُ» فكان عظيم التأني في أموره، طويل التفكير في السؤال والجواب وإن كان في غاية الظهور، عاملاً بما قيل في منثور الحِكَم: من قلّت فكرتُهُ.. اشتدّت عثرتُهُ، ومن امتطى العجلةَ.. لم يَأمَن الكَبْوَةَ، ومن لم يتأمل ما سُئِلَ عنه كما ينبغي.. لم يُجِبْ كما يَجِبُ [نشر العرف، ج 3، ص 111-112؛ مسطور الافادة، ص18-20؛ نيل الوطر، ج 2، ص 30].

■ آثاره

1 - جمع رسائل ووصايا الشيخ أحمد بن حسن الموقري في مجموع، وضمّنها وصايا وتعليقات؛ 2 - شرح وتعليق على أبيات الموقري في التصوّف؛ 3 - عقود اللؤلؤ في أقيال الأولياء الفُحول» نسخة منه بمكتبة جامع (صنعاء الغربية) برقم 336 مجاميع؛ 4 «مسطور الإفادة فيما يعين على الحضور

في العبادة»، التقطه من دفّتي كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي مع تعليقات لطيفة تدلّ على عُمق التفكير وشفافية التدبُّر، (مخطوط) بمكتبة الاحقاف (جامع تريم) بحضرموت، ولعلّها الوحيدة، وهي نفيسة لكونها قُرئت على مصنّفها؛ 5 - له رسائل ووصايا في الفقه والتصوّف.

المصادر والمراجع

● الصنعاني، محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف الى سنة 1357 هـ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1405هـ - 1985 م؛ ● الصنعاني، محمد بن محمد زبارة، نيل الوطر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ودار العودة، بيروت د. ت؛ ● الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تح. محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثالثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ودار الآداب، بيروت، لبنان؛ ● اليماني، محمد بن أحمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح. وتصحيح إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الثانية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء؛ ● باذيب، محمد أبو بكر عبد الله، عن كتاب محمد بن الحسين الأسلافي، مسطور الإفادة بما يُعين على الحضور في العبادة، اعتنى به محمد نور عبد الرحمن كنجو ومحمد غسان نصوح غرقول، الطبعة الأولى، دار المنهاج، 1422هـ/ 2001م؛ ● السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت (مخطوط)، وتمّ تحقيقه وطبعه في كتاب حققه إبراهيم المقحفي وعبد الرحمن حسن السقاف، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1423هـ/ 2002م.

محمد عبد الله بن هاوى باوزير
جامعة عدن - اليمن

إسلام، عزمي موسى

(1350 هـ / 1931 م - 1408 هـ/ 1987م)

هو عزمي إسلام موسى إسلام، أستاذ مصري في الفلسفة المعاصرة، ولد في مدينة القاهرة في الثامن عشر من أغسطس عام 1931 وبعد أن تلقى علومه الأولية في مدارسها التحق بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم الفلسفة حيث تخرج بعد أربع سنوات عام 1953. وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس 1954. وبعد ذلك عيّن بالتعليم الثانوي وسجّل لدراسة

الماجستير في الفلسفة في موضوع «نظرية المعرفة عند جون لوك» وحصل عليها عام 1962، حيث قدم دراسة تحليلية لفلسفة لوك لإظهار ما تقوم عليه من أسس ومبادئ وهو يوضح أن ما دفعه إلى الاهتمام بفلسفة لوك أنه كان أول من وضع مشكلة المعرفة الإنسانية في تاريخ الفلسفة موضع البحث المستقل، وأن ذلك كان بمثابة مرحلة انتقال ضرورية في تاريخ الفكر الفلسفي في القرن السابع عشر، بالإضافة إلى ما امتازت به فلسفته من تحليل للفكر وعملياته تحليلا دقيقا. وقد حصل عزمي إسلام على الدكتوراه بإشراف زكي نجيب محمود في بحثه عن «فلسفة التحليل عند فتجنشتين» 1966.

وبعد حصوله على الدكتوراه عين مدرسا بجامعة عين شمس، في فبراير 1967 وأصبح أستاذا مساعدا 1972 وأستاذا للفلسفة المعاصرة والمنطق الرياضي 1978 وتولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة عين شمس، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عن كتابه «مقدمة لفلسفة العلوم» في نفس العام. وهي دراسة يتناول فيها العلوم الطبيعية والرياضية. وعمل بالعديد من أقسام الفلسفة بالجامعات العربية، حيث أعير إلى الجامعة الليبية ببني غازي في الفترة 1964-1967، وجامعة الكويت لمدة أربع سنوات 1971-1975، وأستاذا زائرا بجامعة القاهرة فرع الخرطوم بالسودان أعوام 1976، 1977، 1978، وجامعة الإمام محمد بن سعود عامي 1980-1981 ثم جامعة الكويت من عام 1982 حتى وفاته في أكتوبر 1987.

ولقد اهتم اهتماما كبيرا بالمنطق وبنظرية المعرفة وفلسفة التحليل المعاصرة. وما دفعه لدراسة فتجنشتين وترجمة أعماله، أن فلسفة فتجنشتين كانت نقطة تحول في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، ويرجع ذلك إلى أهمية المنهج الذي اصطنعه، وهو المنهج التحليلي الذي يتناول المشكلات، الفلسفية بتحليل اللغة الفلسفية وبالتحليل المنطقي لكي يكشف عن أنّ هذه المشكلات ليست أصلا بمشكلات وأنّها لم تنتج إلاّ عن سوء استخدام اللغة. وقد ظل اهتمامه بهذا الفيلسوف ملازما له طوال حياته حيث ترجم إلى العربية أهم عملين له وهما: «رسالة منطقية فلسفية» القاهرة 1968، و«بحوث فلسفية» الكويت 1990. وفي التمهيد لترجمة رسالة منطقية فلسفية يتحدث عن أهمية الرسالة سواء بالنسبة إلى الاتجاهات الفلسفية المؤيدة للاتجاه التحليلي المنطقي مثل: مدرسة كمبرديج، وأكسفورد، وفلسفة الوضعية المنطقية أو حتى التي لا تؤيدها كالاتجاهات المثالية المعاصرة موضحا أنّ الرسالة كانت تطبيقا للمنطق الرمزي على أوسع نطاق، وصاحبها أول من تكلم في المنطق المعاصر على أنه مجرد علامات اتفاقية لا تكشف عن طبيعة الأشياء، لذا كانت قضايا المنطق كلّها تحصيلات حاصل عنده. ويتحدث عن تأليف الرسالة وصعوبتها وتكوينها وقضاياها وموضعها في فلسفة فتجنشتين.

وقدم العديد من المؤلفات والبحوث الفلسفية بالإضافة إلى رسالته عن جون لوك التي صدرت في كتاب سنة 1964، وكتاب عن ولودفيج فتجنشتين سنة 1967 خاصة في المنطق الرياضي وفي فلسفة العلوم التي قدّم

فيها كتاب «أسس المنطق الرمزي» 1970 الذي سعى فيه إلى تقديم المنطق الرمزي في صورة مبسطة عن طريق توضيح أسسه وأهمّ مفاهيمه وذكر أنواع الاستدلال الخاصة بكل موضوع من موضوعاته.

كما أصدر كتاب «الاستدلال الصوري» في جزأين سنة 1972 1973. وقد خصص الجزء الأول منه لدراسة المنطق التقليدي القديم والثاني لنظرية الاستدلال والمنطق المعاصر. ويهدف في هذا العمل إلى صياغة وتدوين المنطق التقليدي صياغة وتدوينا رمزيين من أجل تعويد القارئ استخدام الرمز، ذلك لأنّ استخدام الرموز في المنطق يساعد على إبراز عمليات الاستدلال والبرهان وتوضيحها. وأصدر «مقدمة لفلسفة العلوم»، و «مدخل إلى الميتافيزيقا» 1977؛ ويظهر هذا العمل اتجاهه العلمي فهو يقدم إطارا يخطط لوضع أهم مشكلات موضوع التحليل في ضوء الاتجاهات الفلسفية المختلفة قديمة أو معاصرة. وأصدر كتاب «اتجاهات الفلسفة المعاصرة» 1980. و«مفهوم التفسير في العلم» من زاوية منطقية [حوليات كلية الآداب، الكويت 1983]، يتناول هذا البحث مفهوم التفسير كما هو مستخدم لدى العلماء وفلاسفة العلم، لكنه يقتصر في هذا التناول على وجهة النظر المنطقية.

ويتناول كتاب «مفهوم المعنى: دراسة تحليلية» مفهوم المعنى. إذ لا قيام للغة بدون معنى طالما أنّ المعنى هو ما يتم التعبير عنه وتوصيله إلى الآخرين، وطالما أنّ التعبير والتوصيل (أو الاتصال) هما الوظيفتان الأساسيتان للغة.

وكتاب «دراسات في المنطق» القاهرة 1970 فقد اختارته وزارة التربية والتعليم ليكتب كتابا لطلاب التعليم الثانوي 1976 هو «مبادئ التفكير العلمي» كما كتب عدة مواد في معجم الأعلام الصادر بالقاهرة 1984.

ومن البحوث التي خص بها الدكتور عزمي إسلام المجلات العربية: الفكر المعاصر، وتراث الإنسانية في مصر، وعالم الفكر في الكويت، نذكر «رسالة منطقية فلسفية للولدفيج فتجنشتين» [تراث الإنسانية، سبتمبر 1966]، مشكلة المعنى في الفلسفة المعاصرة، [الفكر المعاصر، يناير 1967]، وفيها يرى إسلام أنّ أية عبارة لا تكون ذات دلالة حقيقية بالنسبة لأي شخص، إلا إذا كان الشخص يعرف كيف يتحقق من القضية التي توحي هذه العبارة بالتعبير عنها، أي معرفة ما هي المشاهدات التي تقوده - في ظروف معينة - إلى قبول القضية على أنها صادقة أو رفضها على أنها كاذبة.

يتناول في دراسته «التحليل في الفلسفة المعاصرة» [الفكر المعاصر، يونيو 1967] ويكتب عن معنى التحليل، والسمات الأساسية لفلسفة التحليل؛ ثم يتناول ثلاثة فلاسفة من أعلام التحليل هم: جورج مور، وبرتراند راسل، لودفيج فتجنشتين واحدية محايدة بين العقل والمادة [الفكر المعاصر، ديسمبر 1967]؛ الاتجاه الذري في الفلسفة المعاصرة، [الفكر المعاصر، أبريل 1978]؛ ومبادئ الأخلاق لجورج مور، [تراث الإنسانية، إبريل 1968]؛ مشكلة الحتمية [الفكر المعاصر، أغسطس 1968]؛ «من حقوق الإنسان في الإسلام»، [الفكر

المعاصر، ديسمبر 1968]؛ «من الميتافيزيقا إلى فلسفة العلوم»، [الفكر المعاصر، فبراير 1969]؛ ابن تيميه والرد على المنطق الأرسطي [مجلة الكاتب، أبريل 1969]؛ والمنطق الصحيح لتشارلز بيرس، [تراث الإنسانية، مايو 1969]؛ برتراند راسل الفيلسوف الإنسان، [الفكر المعاصر، مارس 1970]. كما قدم في مجلة عالم الفكر الكويتية الدراسات التالية: «ألفرد نوارث هويتهيد، فتجنشتين وفلسفة التحليل»، «الفلسفة والطب لليدرمان»، «في فلسفة العلوم الإنسانية»، «البرهان الرياضي على وجود الله عند جان موران».

وفي مجلة الثقافة بالقاهرة نشر «ابن رشد دراسة تحليلية» يناير 1976 تناول فيها فلسفة ابن رشد النقدية بالمقارنة مع فلسفة كانط. وشارك في بعض الكتب التذكارية عن الأساتذة: عثمان أمين 1979 ببحثه «مفهوم الزمان عند ماكتجارت»، وعن الدكتور زكي نجيب ومكانته في الفكر العربي المعاصر، كما نشر ترجمة لمحاضرة رسل «فلسفة الذرية المنطقية» في الكتاب التذكاري عن زكي نجيب محمود الذي شارك في إعداده وصدر عن جامعة الكويت.

■ المصادر والمراجع

● مكاوي، عبد القادر، مقدمة تقديم ترجمته لكتاب فتجنشتين بحوث فلسفية جامعة الكويت 1990 ● محمود، زكي نجيب، أستاذ جامعي غاب، الأهرام، 15 أكتوبر 1987/ 7 ● العراقي، عاطف، فقيد الفلسفة الدكتور عزمي إسلام، مجلة القاهرة، العدد 77، نوفمبر 1987.

د. عبد الحليم أحمد عطية

جامعة القاهرة ـ مصر

■ أبو إسماعيل الأنصاري، عبد الله بن محمد بن علي

(396 هـ / 1005 م - 481 هـ / 1088 م)

أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر ابن منصور بن مت الأنصاري الهروي (نسبة إلى مسقط رأسه هراة) الصوفي الحنبلي. أما الأنصاري، فيقال: أنها تصعد إلى أبي أيوب الأنصاري (ت 52 هـ/ 672 م) الصحابي الجليل رضي الله عنه مما يدل على شرف انتسابه للعرب. حافظ، ومؤرّخ، ومتكلّم، ومحدّث، وصوفي، ومفسّر.

ولد أبو اسماعيل الأنصاري في قندهار في سنة (396 هـ)، وتلقّى العلم في هراة على عدد من علماء عصره، منهم:

سمع الحديث عن عبد الجبار بن محمد الجراحي، والقاضي أبي منصور محمد بن

محمد الأزدي، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي الحافظ، وأبي سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد السرخسي (خاتمة أصحاب محمد بن إسحاق القرشي)، وعلي ابن محمد بن محمد الطرازي، وأبي يعقوب القراب الحافظ، وأبي نصر منصور بن الحسين بن محمد المفسر، كما سمع بنيسابور من أبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وأحمد بن محمد بن الحسن السليطي صاحبي أبي العباس الأصم.

وقد حدث عن أبي إسماعيل الأنصاري: المؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وعبد الله بن أحمد بن السمرقندي، وحنبل بن علي البخاري، وعبد الله بن عطاء الإبراهيمي، وأبو الفتح عبد الملك الكروخي، وآخرون. وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الفتح نصر بن السيار، وبقي إلى سنة نيف وسبعين وخمس مائة.

وقد برع أبو إسماعيل الأنصاري في التفسير، واللغة، والحديث، والتاريخ، وعلم الأنساب، كما خاض معمعة الفكر في عصره حتى لقب بشيخ خراسان.

قال محمد بن طاهر: «سمعت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: إذا ذكرت التفسير، فإنما أذكره من مائة وسبعة تفاسير».

وقال السلفي: «سألت المؤتمن الساجي عن أبي إسماعيل الأنصاري، فقال: كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء، سمع ببغداد من أبي محمد الحسن ابن محمد الخلال، وغيره. يروي في مجالس وعظه الأحاديث بالإسناد، وينهى عن تعليقها عنه. قال: وكان بارعًا في اللغة، حافظًا للحديث، قرأت عليه كتاب ذم الكلام... كان يدخل على الأمراء والجبابرة، فما يبالي، ويرى الغريب من المحدثين، فيبالغ في إكرامه».

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أبي إسماعيل الأنصاري فقال: «قال الحسين بن علي الكتبي: خرج شيخ الإسلام لجماعة الفوائد إلى أن ذهب بصره، فكان يأمر فيما يخرجه لمن يكتب، ويصحح هو، وقد تواضع بأن خرج لي الفوائد، ولم يبق أحد ممّن خرج له سواي».

وقد امتاز أبو إسماعيل الأنصاري بقوّة العارضة وصلابة الموقف تأييدًا للسنة وحربًا على الابتداع. وقد تعرّض لألوان من الأذى والابتلاء، وجاوزها أقوى صلابة ممّا كان. يؤكّد ذلك السيوطي بقوله: «وكان إمامًا متقنًا قائمًا بنصر السنة ورد المبدعة، قال ابن طاهر وسمعته يقول بهراة: عرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، ولكن يقال له: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكت، وسمعته يقول: أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردًا. وقال غيره: كان حافظًا للحديث، بارعًا، في اللغة، آية في التصوّف والوعظ».

يصف ابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب أبا إسماعيل الأنصاري بقوله:

«شيخ الإسلام.. وكان قذى في أعين المبتدعة، وسيفًا على الجهمية، وقد امتحن مرات، وصنّف عدة مصنفات، وكان شيخ خراسان في زمانه غير مدافع قاله في العبر».

وقال الحافظ أبو النضر الفامي: «كان شيخ

الإسلام أبو إسماعيل بكر الزمان، وواسطة عقد المعاني، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، منه نصرة الدين والسنة، من غير مداهنة ولا مقاربة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في روحه مرارًا، وعمدوا إلى إهلاكه أطوارًا، فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه».

وأصبح أبو إسماعيل الأنصاري من أشهر مؤلّفي التصوّف، فقد نشر شعرًا ونثرًا عربيًا وفارسيا.

ومن شعره:

سبحان من اجمل الحسْنَى لطالبها
حتّى إذا ظهرتْ في عبده مدحا

ليس الكريم الذي يُعطي ليمدحَه
إن الكريمَ الذي يثني بما منحا

وقد توفي أبو إسماعيل الأنصاري في هراة في يوم الجمعة وقت غروب الشمس رابع عشرين ذي الحجة سنة 481هـ عن أربع وثمانين سنة.

■ آثاره

ألف أبو إسماعيل الأنصاري كتبًا كثيرة باللغتين العربية والفارسية، وقد ذكره الذهبي، فقال: «الواعظ المحدث، صاحب التصانيف».

وقال عنه ابن الجوزي في المنتظم: «وكان كثير السهر بالليل، وحدث وصنف، وكان شديدًا على أهل البدع، قويا في نصرة السنة. وكان لا يشد على المذهب شيئًا ويتركه كما يكون ويذهب إلى قول رسول الله: لا توكي فيوكى عليك».

1 - ذم الكلام وأهله، ذكر حاجي خليفة أن هذا الكتاب: «انتقاه الإمام برهان الدين بن عمر البقاعي المفسر حين سمع من الشيخ شهاب الدين بن حجر الحافظ العسقلاني بالقاهرة في رمضان سنة 846هـ وسماه أحسن الكلام ومنتخبه الكبير ومنتخبه الصغير كلاهما ذكره ابن حجر في المجمع»؛ 2 - كتاب الأربعين، في التوحيد؛ 3 - مناقب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل؛ 4 - علل المقامات؛ 5 - أنس المريدين؛ 6 - شمس المجال في قصة يوسف عليه السلام؛ 7 - أنوار التحقيق في المواعظ؛ 8 - شرح كتاب التعرف لمذهب التصوّف للكلاباذي (ت 380 هـ)؛ 9 - الفاروق في الصفات؛ 10 - أربعون حديثًا؛ 11 - تفسير القرآن؛ 12 - منازل السائرين إلى الحق المبين.

يعد كتاب منازل السائرين من الكتب المهمّة التي وضعها أبو إسماعيل الأنصاري لما رسم فيه من منهج مركز منظم للتصوف الذي لا يثير اعتراضًا.

«وقد انتفع به خلق، وجهل آخرون، فإن طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في منازل السائرين وينتحلونه، ويزعمون أنه موافقهم. ويزعم البعض بأن أبا إسماعيل الأنصاري هو رجل أثري، لهج بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جدًا، وفي منازله إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك الفناء عن الشهود السوى، ولم يرد محو السوى في الخارج، ويا ليته لا صنف ذلك، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين».

وهو كتاب في أحوال السلوك، ألفه أبو

إسماعيل الأنصاري حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق من أهل هراة.

وقد رتبه أبو إسماعيل الأنصاري مائة مقام، مقسومة على عشرة أقسام، كل قسم منها يحتوي على عشر مقامات، وهي:

1 - قسم البدايات: وهي عشرة أبواب.

2 - قسم الأبواب: وهي عشرة أبواب.

3 - قسم المعاملات: وهي عشرة أبواب.

4 - قسم الأخلاق: وهي عشرة أبواب.

5 - قسم الأصول: وهي عشرة أبواب.

6 - قسم الأودية: وهي عشرة أبواب.

7 قسم الأحوال: وهي عشرة أبواب.

8 - قسم الولايات: وهي عشرة أبواب.

9 - قسم الحقائق: وهي عشرة أبواب.

10 - قسم النهايات: وهي عشرة أبواب.

وهذه مقامات يصح أن تكون رتبًا ثلاثًا هي:

- أخذ المريد.
- دخوله في الغربة.
- حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد.

بعض أقواله الصوفية:

- **في التوبة**: «والتوبة لا تصحّ إلا بعد معرفة الذنب، وهي أن تنتظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه؛ وفرحكَ عند الظفر به؛ وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينكَ بنظر الحق إليك.

وشرائط التوبة ثلاثة أشياء: الندمُ والاعتذارُ، والإقلاعُ.

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء: تعظيم الجنايةِ، واتهامُ التوبةِ، وطلبُ إعذار الخليقةِ».

- **في الزهد**: «الزهدُ هو إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية. وهو للعامة قربة، وللمريد ضرورة، وللخاصة خشية».

- **في الصبر**: «الصبر حبسُ النفس على المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى. وهو أيضًا من أصعب المنازل على العامة. وأوحشُها في طريق المحبّة. وأنكرها في طريق التوحيد».

- **في التوحيد**: «التوحيدُ تنزيهُ الله تعالى عن الحدث. والتوحيد على ثلاثة أوجه:

- **الأول**: توحيد العامة الذي يصحُّ بالشواهد.

- **الثاني**: توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق.

- **الثالث**: توحيدٌ قائمٌ بالقدم».

- **في العلم**: «العلمُ ما قام بدليل ورفع الجهلَ.وهو على ثلاث درجات:

- **الدرجة الأولى**: علمٌ جليّ به يقع العيانُ؛ أو استفاضة صحيحة؛ أو صحةُ تجربة قديمة.

- **الدرجة الثانية**: علم خفيّ يثبتُ في الأسرار الطاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة. ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية في الأحايين الخالية في الأسماع الصاحية. وهو علمٌ يظهرُ الغائبَ، ويُغيبُ الشاهدَ، ويشيرُ إلى الجمع.

- **الدرجة الثالثة**: علم لدني، إسنادهُ وجوده،

وإدراكهُ عيانه، ونعته حكمهُ، ليس بينه وبين الغيب حجابٌ».

وتظهر أهمّية كتاب منازل السائرين للأنصاري من كثرة شروحه، فقد شرحه جماعة، منهم:

- عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني (ت 690 هـ)

- كمال الدين عبد الرزاق الكاشي (ت730هـ).

- شمس الدين محمد التبادكاني الطوسي (ت 891 هـ) وهو شرح ممزوج بالفارسية، سماه: تسنيم المغربين في شرح منازل السائرين.

- محمود بن محمد الدركزيني (ت743هـ) وسماه تنزل السائرين.

- أحمد بن إبراهيم الواسطي (ت 711 هـ).

عبد الغني التلمساني.

- ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) وسماه مدارج السالكين.

- وترجمه إلى التركية مصلح الدين المعروف بابن نور الدين (ت 981 هـ).

- وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد القيسي (ت 747 هـ).

- واختصرته عائشة بنت يوسف الدمشقية، وسمته: الإشارات الخفية في المنازل العلية.

المصادر والمراجع

● ابن أبي يعلى، محمد بن الحسن، طبقات الحنابلة، تح. محمد حامد الفقي، القاهرة، ج 2، ص 247؛ ● ابن الجوزي، أبي الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 9، ص 44؛ ● ابن العماد الحنبلي (ت 1089 ه)، شذرات الذهب، ج 3، ص 365؛ ● أبو إسماعيل الأنصاري، عبد الله بن محمد، 1989، منازل السائرين، شرح عفيف الدين سليمان التلمساني، إيران، ص 21، 61، 139، 219، 331، 601؛ ● البغدادي، إسماعيل، إيضاح المكنون، ج 1، ص 310، ج 2، ص 118؛ ● البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين، ج 1، 452؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون، ص 56، 420، 828، 1828، 1836؛ ● الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، حيدر آباد، ج 3، ص 1183؛ ● الذهبي، شمس الدين، دول الإسلام، تح. فهيم شلتوت، ج 2، ص 10؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح.شعيب الأرناؤوط، بيروت، ج 18/ 503؛ ● السيوطي، جلال الدين، طبقات الحفاظ، مكتبة الثقافة الدينية، ص460؛ ● كحالة، عمر رضا، المستدرك على معجم المؤلفين، ص434؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج 6/ 133.

د. محمد هشام النعسان
معهد التراث العلمي العربي
حلب - سوريا

إسماعيل، محمود حسن

(1910م - 1977م)

هو أحد الشعراء العرب الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن العشرين، ولد في 2 من شهر يوليو 1910 بقرية النخيلة التابعة لمحافظة أسيوط بصعيد مصر، اتجه في دراسته وجهة عربية إسلامية: فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في مكتب القرية، واستمر طالبًا للعلم، فحصل على الباكالوريا نظام دار العلوم سنة 1932م [مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود إسماعيل، ص 17، ط. 1987] ثم تخرج في دار العلوم سنة 1936.

عاصر محمود حسن إسماعيل من الأحداث الفكرية والسياسية ما صقل تجربته وعمق سبله في التعبير عنها بصياغات شعرية دمغت بأصالة تدل على الشاعر وتشير إليه من هذه الأحداث: الاحتلال الإنجليزي لمصر؛ ثورة 1919م؛ فترة ما بين الحربين؛ معاهدة 1936م؛ الثورة العربية بفلسطين؛ الحرب العالمية الثانية؛ النكبة العربية 1948 م؛ ثورة يوليو 1952 م؛ نكسة يونيو 1967م؛ نصر أكتوبر 1973م؛

كما شغل محمود حسن إسماعيل عددًا من الوظائف الحكومية الرسمية حيث عمل: مساعدًا فنيًا بمعجم فيشر بالمجمع اللغوي سنة 1937، ومديرًا لقسم المباريات الأدبية والعلمية والإذاعة المدرسية بمراقبة الثقافة بوزارة المعارف سنة 1938، ومديرًا لمكتب وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية، ومساعدًا لنائب المراقب العام للبرامج العربية بالإذاعة المصرية، ثم مساعدًا للمراقب العام للمراقبة نفسها، ومراقبة الثقافة بوزارة المعارف سنة 1950، ومساعدًا للمراقب العام للبرامج العربية بالإذاعة المصرية 1952، ثم مراقبا للبرامج الثقافية، وبعدها أصبح مراقبا عاما للبرامج الثقافية، ثم رئيسا للجنة النصوص بالإذاعة فمستشارا ثقافيا بها، ومشرفا على مجلة الشعر سنة 1956. وسافر إلى الكويت بعد خروجه إلى المعاش ليعمل خبيرا بإدارة بحوث المناهج بوزارة التربية بها حتى غادر دنيانا في25 أفريل سنة 1977 م [مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، ص 18 ط. 1987].

تفتحت لمحمود حسن إسماعيل موهبة شعرية فريدة، فتعهدها درسًا وتذوقًا للشعر العربي عبر تاريخه الطويل، حتى استوت له مقومات النبوغ المبكر الذي ينطلق من فهم واضح ورؤية عميقة للشعر. فالشعر عنده «موجود حر الطبيعة والكيان لا يعوزه التلقين الخارجي»: لأنه جوهر في ذاته ينصهر بتيار الحياة الجارف «بقوة النبض الإنساني، وإشراق الطبيعة النفسية، وأصالة التعبير عن الشعور في لحظات احتراقه وانطلاقه من أعماق الوهج الغامر الملح بشجو غني الإيقاع والصدق في كل ما تنبض به وتنفذ منه،

وتحلق إليه أجنحة الشاعر وانفعالاته الكبيرة الخالدة...» [محمود حسن إسماعيل، مقدمة ديوان «أين المفر»، الأعمال الكاملة، ص 647، 648، سنة 1993، نشر دار سعاد الصباح].

بهذا الفهم العميق لطبيعة الشعر جاء محمود حسن إسماعيل: «خلاصة فنية راقية لكل الجهود الأدبية والنقدية قبله» [أ.د. محمد أبو الأنوار، التراث الشعري ودوره في مراحل تطور الشعر العربي، مجلة جذور، ص 144 العدد 14 رجب 1424هـ] حيث الجمع بين القدرة البيانية الرصينة في رصف الشعر وبنائه لدى تيار المحافظين، والذهنية الراقية المحلقة لدى تيارات التجديد، تلك الذهنية التي استحالت لديه اهتماما دائبا «باكتناه المجهول، واكتشاف أسرار النفس الإنسانية، مما يضفي على بعض قصائده مسحة صوفية دقيقة» [أ. د. محمد فتوح أحمد، الحداثة الشعرية من منظور رمزي، ص 62، دار الثقافة، القاهرة 1991] «تتضح رؤيتها وتزداد إشراقا كلما تقدمت بالشاعر السن أو صهرته التجارب والمحن» [الزركلي، الأعلام، ص 163 التتمة ج. 2].

هذا بالإضافة إلى رومانسيته الأصلية التي فُطر عليها من نشأته بين ربوع الريف الخلابة في صعيد مصر، والتي عمقها لديه وجوده بين شعراء مدرسة «أبوللو» فترة غير قصيرة، هذا فضلا عن تأثره بأدب المهجريين الذين غلب على إبداعهم الطابع الرومانسي الحزين.

وأخيرا تأتي واقعية التجربة الشعرية أحد أهم محددات فهم محمود حسن إسماعيل للشعر وطبيعته، حيث انغمس في البيئة المصرية بعمق لافت يفسره أنه «منذ دواوينه الأولى يملك رؤية اجتماعية على قدر كبير من الوضوح والنفاذ، بل من الحدة أحيانًا... ولم تفقد هذه الرؤية إنسانية وصوفية أكثر رحابة وروحانية» [علي عشري زايد، قراءات في الشعر العربي المعاصر، ص 18، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998].

هكذا تخلل محمود حسن إسماعيل البيئة المصرية وتخللته، فكأنما خلق ليستل أعماقها، فإذا هي أبيات تقرأ مصورة هذا الوجود أدق تصوير يقول:

خُلقتُ لأرتاد روحَ الحياة
واستُلَّ أعماقَها للوجود
ومهمَا سرى قبلي السائرون
فإني على كل خطْو جديد

وهذه الجدة، سواء على مستوى المضمون أو الشكل، تذكرنا بنزعة المتنبي في أصالته التي انتزعها من السّمات الخالدة للشعر العربي ثم طبعها بطابعه وأفاض عليها من عطائه.

اتجه محمود حسن إسماعيل في شعره اتجاها ابتداعيا عاطفيا حيث الإبداع المنطلق المتحرر الثائر على التقليد، سواء في الشكل أو في المضمون، معتمدا في الوقت ذاته على الوجدان العاطفي المتدفق.

ويتميز محمود حسن إسماعيل في شعره بعدد من الخصائص الفنية التي تفرده بين معاصريه شاعرا عربيا أصيلا فهو: «من أكثر الشعراء المعاصرين دورانا حول كنه تجربته الشعرية وتصوره لأبعادها وأسلحتها ومداها بل تفردها» [د. أحمد درويش، الكلمة والمجهر، ص 70].

غيري يسوق الشعر فضل بلاغة
وأنا أفجر في منابعه الدما

هذا وقد اتسع مدى التجربة الشعرية لديه اتساعا يؤكد قدرة هذا الشاعر الجبارة، قدرة استمدت بقاءها من جذورها الضاربة في عمق التراث العربي والإسلامي بآفاقه المتعددة والشعر منها على نحو خاص. وليس أدل على ذلك من هذا الكم الضخم من أبيات الشعر التي حواها ثلاثة عشر ديوانًا، هي المطبوع الفعلي لأعماله حتى الآن، بخلاف ديوان لم يطبع وهو بعنوان: «ديوان الحب» [مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، ص 45].

والتجربة الشعرية لدى محمود حسن إسماعيل تدور حول موضوعات رئيسة تضم رؤيته ورصده للبيئة المصرية، سواء في واقع القرية البائس الحزين، أو واقع المدينة التي تعج بمظاهر الفساد السياسي الذي تمثله سلطة الاحتلال آنذاك، ودونها سلطة القصر وحاشيته، هذا بخلاف البؤس الاجتماعي العام الذي ملأ وجدان الشاعر تحفزًا نحو الثورة على الأوضاع، ورفضاً لكل أسباب الحزن فيها من: فقر وحاجة وافتقاد للعدل والكرامة الإنسانية وتطلع إلى حياة المثل العليا التي تمثلها قيم الإسلام الرفيعة.

هذا وليس من شك في أنه «من الميسور لمح المراحل الكبرى للتجربة الطويلة المتنوعة» مثل: تجربة الريف والفلاح والطبيعة، ثم مرحلة الحب، ثم المرحلة الاجتماعية والسياسية قبل سنة 1952، والمرحلة المناظرة لها بعد سنة 1952، ثم مرحلة التصدع النفسي بعد هزيمة 1967، وأخيرا المرحلة الصوفية» [د. أحمد درويش، الكلمة والمجهر، ص 84].

أما عن هذه الموضوعات التي دارت حولها تجربة محمود حسن إسماعيل الشعرية بتركيز شديد فهي: الفلاح بأبعاد حياته وما يغلفها من شقاء وبؤس؛ الطبيعة المصرية بعناصرها المادية والمعنوية المختلفة؛ التجربة السياسية والاجتماعية قبل 1952 وبعدها؛ النفس الإنسانية من حيث طبيعتها ووظائفها وكذلك من حيث البحث عن المعرفة؛ التجربة الصوفية بداية من التأمل في القيم وانتهاء بالاتصال بالله حتى يستحيل الأمر مع تطور تجربته وخبراته النفسية والفكرية إلى ما يشبه التوحد بمعناه الصوفي [مصطفى السعدني، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، 23-44].

آثاره

بدأ محمود حسن إسماعيل إنتاجه الشعري بإصدار ديوانه الأول: «أغاني الكوخ» وهو لا يزال طالبا في دار العلوم ثم توالت بعد ذلك دواوينه:

1- أغاني الكوخ، 1934؛ 2- هكذا أغني، 1937؛ 3- الملك، 1946؛ 4- أين المفر، 1947؛ 5- نار وأصفاد، 1959؛ 6- قاب قوسين، 1964؛ 7- لابد، 1966؛ 8- التائهون، 1968؛ 9- السلام الذي أعرف، 1970؛ 10- صلاة ورفض، 1970؛ 11- نهر الحقيقة، 1972؛ 12- هدير البرزخ، 1972؛ 13- موسيقى من السر، 1978؛ 14- صوت من الله

1980؛ 15- رياح المغيب، 1993 (نشرته بعد وفاته عن دار سعاد الصباح)؛ 16- ديوان الحب، مخطوط؛

المصادر والمراجع

1 - دراسات اهتمت بمرحلة زمنية معينة من إنتاجه الشعري:

● هيكل، أحمد، دراسات أدبية، دار المعارف 1980؛ ● م. ن، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة؛

2 - دراسات حللت دواوينه:

● السيد، شفيع، ديوان «لا بد»، دراسة ملحقة بطبعة الديوان الصادرة عن دار المعارف سنة 1977؛ ● م. ن، مع محمود حسن إسماعيل في ديوانه قراءات في الشعر المعاصر، القاهرة دار الفكر العربي، 1998.

3 - دراسات اهتمت بظواهر فنية من شعره:

● درويش، أحمد، الحوار الخلاق مع الطبيعة عند حسن إسماعيل، فصل في كتاب «النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة»، مكتبة النهضة 1988؛ ● م.ن، كيمياء التعبير والتصوير في شعر محمود حسن إسماعيل في كتاب «الكلمة والمجهر»، 1993؛ ● عبد الدائم، صابر، محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة، دار المعارف 1988؛ ● دعبيس، سعد، الغزل في شعر محمود حسن إسماعيل ضمن كتابه «الغزل في الشعر العربي الحديث»، دار المعارف الجامعية بالاسكندرية، ط. 4؛ ● أحمد، محمد فتوح، رمزية التعبير عند محمود حسن إسماعيل ضمن كتابه «الحداثة الشعرية من منظور رمزي» دار الثقافة العربية 1991؛ ● السيد، شفيع، التجربة الشعرية وبناؤها الفني في شعرمحمود حسن إسماعيل في كتابه «قراءة الشعر وبناء الدلالة»، دار غريب، القاهرة 1999؛ ● السعدني، مصطفى، التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، دار منشأة المعارف الإسكندرية 1987؛ ● الدسوقي، عبد العزيز، محمود حسن إسماعيل، مدخل إلى عالمه الشعري، دار المعارف، القاهرة؛ ● داود، أنس، «شعر محمود حسن إسماعيل محاولات للتذوق الفني»، هجر للطباعة والنشر 1407هـ.

د. محمد أبو الأنوار

دار العلوم - جامعة القاهرة

مصر

إسماعيل، صدقي

(1343 هـ / 1924 م - 1392 هـ / 1972 م)

تنهض قصص صدقي إسماعيل في التقاليد سواء في الفن أو الحياة. وما اتباعيته في التقنية القصصية إلا صدى لموضوعاته. أما نظرته إلى العربي فهي ثمرة الانشغال بهذه الموضوعات التي تصبح أساس القصة ومنطلقها نحو منطق صارم من أولى لوازمه الوضوح والسرد والأخبار: إنه منطق الراوية الذي لا يبخل بالتعليق على الشخصية أو الحدث أو العقلية أو المكان أو الزمان وكأنه المعلم يقص الحكاية، ويضيف على إيقاعها المعنى الذي لا يستقيم الأسلوب دونه، وهذا بالذات ما يجعل فن صدقي إسماعيل في مقدمة الإنجاز الإتباعي للقصة العربية.

ولد صدقي إسماعيل في أنطاكية عام 1924، وتلقى علومه فيها وفي حماه وحلب، وتخرج في دار المعلمين بحلب، وعمل معلماً. ثم تخرج في جامعة دمشق عام 1952 حاملاً الإجازة فالدبلوم، ودرس في حلب ودمشق، وسمي أميناً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام 1968. وأصبح رئيساً لاتحاد الكتاب العرب عام 1971، ورئيساً لتحرير مجلة «الموقف الأدبي»، وأسس جريدة «الكلب» الانتقادية الساخرة، وجريدة «السوري الجديد». وتوفي في دمشق عام 1972.

لقد توجه صدقي إسماعيل إلى الواقع العربي بصورته الحضارية الشاخصة، ثم تطلع إلى آفاق جديدة من الراهن، هي آفاق الثورة العربية المعاصرة، وفي كتابه «العرب وتجربة المأساة» (1963) استطاع صدقي إسماعيل أن يبلور تجربة العرب منذ فجر تاريخهم حتى اليوم في مفهومات معينة ناشداً الموقف الإيجابي الذي يصوغ فيه العربي إرادته وحريته، ثم يبني مستقبله. إن فجائعية الشرط العربي ليست وجوداً بقدر ما هي الظرف الذي يمكن تجاوزه، وفي تلمسه لمراحل البؤس التاريخي التي شهدتها الحياة العربية عبر قرون من الاضطهاد والقمع والتردي الحضاري وضع صدقي إسماعيل ملامح واضحة لنقد الواقع العربي الراهن.

ولئن تعلق صدقي إسماعيل بمثال العربي الذي يراه شاخصاً وقابلاً للتحقيق، فإنه أراد استخلاص المعنى من دراسته لتجربة العرب في التاريخ، كما في دراساته الأدبية عن «المتنبي» و«طرفة بن العبد» و«مقصورة ابن دريد» وسواها، مثلما أراد دراسته في أعماله القصصية عبر موازنة بين عناصر العمل الفني لا تخفي حرصه على مباشرة الموضوع، وربما لهذا كلّه، كان مقلاً في نتاجه مما دعاه إلى التأمل العميق في أسلوبه الذي ينتشر في الوقت ولا ينتظم في طريقة، ولربما كان هذا التأمل ذاته مبعث قلق دائم في مسألة تجويد فنّه، وفي الحرص على أداء غاياته في الوقت

نفسه، فقد خلّف روايته «العصاة» (1964) ومجموعته «الله والفقر» (1971)، وضمت ثلاث قصص.

تعد رواية «العصاة» من أوائل الروايات الانسيابية في سورية، إذ بنيت أحداثها وفق سيرورة الوقائع التاريخية في تواصل الأجيال، وهي تسير في مسرى التاريخ الحديث في بلاد الشام أواخر العهد العثماني حتى أواخر الاحتلال الفرنسي لسورية من خلال حياة عائلة بأجيالها المتعاقبة خلال أكثر من قرن من الزمن.

بدأت الرواية بالأب الكبير محمد الحلبية، وتابعت أحداثها في حياة أولاده وأحفاده، ولا سيما عدنان وعمران ومديحة. وقد دانت العائلة للسلطان العثماني في زمن محمد الحلبية الذي صار جداً للعائلة، وتوالت سيرة العائلة، ومن خلالها سيرة الوطن الناهض إلى الحرية، جيلاً بعد جيل. وتحدد إطار الروائي مع عمران الذي يعاني ذيول النظام الأبوي الذي يخدم مصلحة السلطان العليا دون تمعن في دواعي مجاراتهم لمرضاة السلطان.

نظر والدهم إلى «عصيانهم» لمشيئته التي تخدم مشيئة السلطان، وصاروا عصاة متمردين، وتزداد تفاصيل حياة الأولاد والأحفاد تعقيداً وتشابكاً مع تعاقب الأحداث التاريخية، وبرز من خلالها دلالات كثيرة شديدة الحضور التاريخي واشتراطاته الواقعية وهي:

- التعبير الوطني المناضل ضد الاستعمار الفرنسي؛ - إدانة تواطؤ المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي؛ - وصف التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية، ولا سيما الوعي القومي وتجلياته بأفضل مما نقرأه في المدونات التاريخية؛ - الاستناد إلى التواريخ والأسماء والأحداث الواقعية البارزة في تمتين الصوغ الروائي، مثل الحرب العالمية الأولى عام 1916، وثورة الشريف فيصل عام 1919، والاحتلال الفرنسي عام 1920، والثورة السورية عام 1925، وإضرابات عام 1926، وحوادث إسكندرون عام 1937، وثورة العراق عام 1941، وحوادث الاستقلال عام 1945، وحرب فلسطين عام 1948؛ - العناية بوظيفية السرد وبنية الخطاب الروائي؛ - غلبة التحليل الفكري والسياسي لأفكار الشخوص على تحليل أفعالها؛ - اعتمال السرد الروائي ببعض تقانات التحليل النفسي وعناصر تيار الوعي حين يستعمل الراوي الاسترجاع أو التعليق أو ينغمر بفيض الذكريات؛ - الاستفادة من تقانات الرواية الانسيابية مثل الوقوف عند مفاصل تاريخية محددة تكون إطاراً لتتالي حياة الأجيال داخل الأسرة وداخل المجتمع في بلاد الشام، وثراء السرد الروائي بالنقاشات عن أفكار العصر وأخلاقياته إذ نقرأ باتساع التشكلات الفكرية داخل تشكلات السرد، والكشف عن الصعود الطبقي للطبقة المتوسطة من خلال ضعف الطبقة البرجوازية أو الإقطاعية بتأثير الصراع بين المحافظة والتقليد من جهة والثورية والعمل الوطني من جهة أخرى، وفيض التناصات المباشرة من حكم وأمثال وموروثات شعبية وأدبية وتاريخية، والاستفادة من معطيات علم النفس وعلم الاجتماع وتمازجهما بالعقائدية في تصوير الصراعات الدائرة. فقد امتلأ السرد بعامة في الرواية بمجريات التاريخ منظوراً إليها بمعطيات جوهر التجربة الوطنية والقومية كقول الراوي على لسان إحدى الشخصيات:

- «كانوا يرون أنفسهم في مرحلة حاسمة من حياة الوطن كله، ويشعرون بأن التاريخ قد اختارهم ليكونوا الطليعة المناضلة التي يتلخص كلّ قدرها في كلمة واحدة هي البطولة. وقد درجت على ألسنتهم في تلك الفترة أمثال هذه العبارات الضخمة: عنفوان الحياة، نداء التاريخ، إنقاذ الإنسانية، الثورة المقدسة، روح الأمة وغيرها». [ص292].

إن رواية «العصاة» من الروايات الهامة في التطور الروائي العربي ليس في سورية وحدها، بل في أقطار الوطن العربي كلها ترسيخاً لاتجاه جديد في الرواية هو الرواية الانسيابية التي تنساب أحداثها وتخييلها المجتمعي مع نهر التاريخ لتنطق بعمق عن دلالات التحولات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية بأفضل من الرواية التاريخية التقليدية بكثير.

بدأت القصة تبحث عن صوتها، ولكن داخل حنجرة المؤلف، فكأن أبطال صدقي إسماعيل أسرى المخيلة التي أنجبتهم على الورق، لا يستطيعون فكاكا إلى الأرض الواسعة حيث أفعالهم وتاريخ البشر. في قصته «قبل السهرة» لا شيء سوى صوت المؤلف سرداً وتعليقاً ليقول بعد ذلك إن غياب المسؤولية عن حياة الناس لا بد أن يؤدي إلى المأساوي. على أن القصة فرصة لإبداء الرأي أو حوار النفس، ولجلاء الخلل الداخلي العميق من خلال استظهار الهزيمة الوجودية بوصفها سابقة على الهزيمة التاريخية.

وفي قصته «العطب» على أهمية التصريح في العنوان دلالة على مغزى القصة، فإن صدقي إسماعيل يوغل بعيداً في تعرية الضمير المنقسم لشخوصه دون أن يتخلى عن نزعة الإخبار محتفظاً بموضوعه الأثير: تقليب الخلل الداخلي على وجوهه المختلفة، فالعطب التاريخي في الروح الإنسانية وإن تزيّا بمظاهر جسدية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية.

إن المهم في أسلوب صدقي إسماعيل هو قوته عندما يحكي القصة معتمداً على نقاوة السرد يتلفع مئزر الحكمة راغباً عن حركة الفن ما دام يصطنع حركته في أبسط التكاليف. وهذا الأسلوب يعفي المؤلف من إرهاق البنية القصصية ويسمح له بالخروج عنها إلى محاكمة العقلية في اختيار التفاصيل وما يناسبها من تفسير: «وهيمنت عليه فكرة واحدة، كانت تدور حولها جميع أحاديثه، هي أن الحياة قذرة، والناس فيها مثل العناكب السامة التي تمدّ خيطانها السوداء للأذى» [ص486].

وهكذا، يتموج الإحساس بحرارة التجربة الإنسانية مع أقوال مؤلفها، وتصير القصة إلى تجسيد لفكرته في الحياة بفضل عنصر السرد، إذ يجري الإلحاح عليه باستمرار، ولعل نفور إسماعيل من تكاليف الأسلوب جعله يؤثر ضميراً واحداً في القصة هو الضمير الغائب مما لا يتيح لحركة القصة أن تتسع إلى ما هو خارج نظر المؤلف وقناعته، فقد كان ينوب عن الشخوص في التفسير، ويرى أن السرد يحمل موضوعه مستعيناً بالحوار غالباً، وبالإثارة الخجولة حيناً كالذهول والغربة والمحرم الذي يكسر الإيقاع البطيء.

وفي قصة «الله والفقر» يبدو الغموض في منتهى الوضوح إذ يتحول التركيب إلى نقيضه

في مبنى يقترب من الحكاية الشعبية، وفي التركيب تحتفظ الكلمات بقدرتها على الإيحاء مستندة إلى مخزون الذاكرة الشعبية وكأنها لجمهور منقسم، ولعل صدقي إسماعيل يستعيد قابلية القص لدى الرواة والإخباريين الذين ينطلقون في الأداء من قابلية جمهورهم في مستوى اللغة وهي تؤدي المراد من صياغتها في بساطة اليقين أو الاستسلام لليقين.

لقد اختار إسماعيل شخصية أسعد الوراق الفرد على سبيل الجنس وكأنه رمز جماعته المظلومة، ثم وضعه بين أقرانه وكشف بوساطته نمط الحياة. بينما هذا النمط معروف لجمهوره المحدد، وربما مايزال يعاني من وطأة الظلم بأشكال مختلفة، ليحمل معنى المأساة أو الفاجع بتعبير صدقي إسماعيل نفسه.

بيد أن أسعد الوراق يبدو فردانياً لا ينطوي على صفات جماعته، ولكنه، وهو يعمّق مجراه في الحياة، يحفر اختياره المسلوب الذي يدفع إليه دفعاً وقد «فلسفه» على قدر «المصاب الجليل»، وما حياته في الواقع إلا شظايا هذا المصاب، ثم نعجب بعد ذلك إلى قدرة أسعد الوراق على تطويع البلية إلى منجاة وقناعة لكأن المؤلف يسعى بنا إلى رمزه: نمط أسعد الوراق في مجتمع تقليدي متخلف.

ومع هذا الجواب صار أسعد الوراق ضحية الظلم التاريخي الذي ينجب معه قانون التحدي والاستجابة معاً على مثاله: عقلية شعبية مستكينة للخارق وغير المألوف بظواهره المختلفة مثل الفقر والتفاوت الطبقي والمرض والجهل هي استجابة لأدوات القمع حيث تحول الوراق في إطار هذا القانون إلى رمز من رموز العقلية الشعبية المستكينة ونتاج لها يجسدها ويبرهن على «لا تاريخيتها».

إن «الله والفقر» جواب لإحساس صدقي إسماعيل الفاجع بالحياة وترسيخ للمعنى المأساوي في تواتر التقاليد التي أصبحت رواسب قاهرة أكثر منها علامات على الزمن، إلا أنه جواب جاهز سواء في الأمانة لاعتياد القبول الشعبي ومحاولة استنطاقه النقيض الثوري أو في الاعتناء بالخبرة الفنية المتوارثة كالخبر والحكاية والمقال القصصي ومحاولة توليدها قصة إتباعية تستجيب لنظامها الصارم ولحياكتها الدقيقة.

صدقي إسماعيل من هؤلاء الفنانين النادرين الذين يخلصون لذاتيتهم بوصفها التعبير الساطع عن إنسانية فاجعة ومفجوعة في إطار ظرفها التاريخي ومفجوعة في إطار شروط الضعف عندما يكبل صاحبه قيود الحياة، فيصبح فن صدقي إسماعيل مراودة للحرية من أجل تحقيق الوجود الذاتي.

لصدقي إسماعيل أربع مسرحيات، وجميعها نشرت في حياته، باستثناء الفصل الثالث من مسرحية «عمار يبحث عن أبيه».

ومن الملاحظ، أن المسرحيات جميعها، نشرت للمرة الأولى في دوريات «الموقف العربي» و«الجندي» و«البعث» و«الموقف الأدبي» حسب توالي نشرها، ولم تجمع في كتاب إلا في المجلد الخامس من الأعمال الكاملة، مما يشير إلى حرص مؤلفها على الانتشار الواسع والسريع بالدرجة الأولى.

وكما قلنا، لقد كان واضحاً في كتاباته المسرحية على وجه الخصوص وعي الذات مندغماً في وعي التاريخ نحو مجاوزة السقوط

في الحياة العربية، فنموذجه المسرحي يتجاوز راهنه الشاخص للعيان في رحاب يقظة ذاتية تحاول ما وسعتها المحاولة الإحاطة بمعاينة العطب وعناصر البناء في الذات، سبيل المرء إلى الحرية، وكأن هذه المعاينة تحمل شروط الوجود حين يصبّه الكاتب على الورق كما يراه. على أن هذه الرؤيا تظل تحمل حطام الراهن وحطام الروح فتجتمعان أو تختلفان، وهكذا لا تسلم كتابة صدقي إسماعيل المسرحية من تنازع وحدة التأثير نتيجة هذه الرؤيا مثلما تتداخل فيها الكتابة السردية والأدبية.

إن الحيرة إزاء تصنيف أعمال صدقي إسماعيل المسرحية تزول إذا نفينا التباس المصطلح ومرد ذلك أن المصطلح عنده يتخلق أثناء الكتابة نفسها. فليست أشكال الأدب هامة قدر حرصه على توافر شكل ما يكون إطاراً للتجربة الإنسانية الواسعة لشخوصه مستوعباً لمداها الوجودي. فهل كانت أعماله المسرحية مسرحاً؟ وهل كانت أعماله المسرحية تعبيراً عن ذاتية خالصة؟

من المؤكد، أنه يصعب علينا أن نسميها مسرحاً، ومن المؤكد أنه لا يصعب علينا أن نراها تعبيراً عن ذاتية خالصة. وتبدو القضية على النحو التالي: يريد الكاتب أن يكون أو لا يكون من خلال قومه، حتى يمكن القول: إن أدب صدقي إسماعيل هو محنة حكيم القوم عندما يريد خلاصه ضمن خلاص جماعته، ثم لا يرتاح إلى خلاصة فيصير أدبه إلى قلق فردي عميق يستكن في عمق أعماق الروح يؤرق أو يعذب ولا يشفي.

أما الشكل وأما المعالجة فهي صنوف من التعبير منذورة لوجه نقاوة الموقف من فاجع الحياة، إذ يتراكم على حواف الروح، ويحيلها إلى قوة مناهضة للهزيمة الوجودية الذي يتلفع فعل الثورة أو اسمها وكأن الوجود ناتج ثوري بعد ذلك.

إن مهزلة الوجود عند صدقي تجد صواها الدالة في حطام الروح إذ ينطبق على حطام الراهن في عملية بارعة لظلمة الرؤيا، وهي تنوع العزف على أداة التغيير، دون ملموسية واقعية إلا من مصداقية الفن عندما يستجيب للمصير الفاجع المستجد في نبرات الوجود كلها.

إن الشكل في كتابة صدقي المسرحية هو لملمة الرؤية في بعض شروط العمل المسرحي، وكأنه يعتمد على مأثور الرأي في فن المسرح: لا فرق بين دراما الفن ودراما الحياة، فنحن نماثل بينهما كلما أعوزتنا الشهادة أو الحاجة، وعلى الفن أن يومىء في الحياة، فهو يستجيب بالمقابل إلى أعمق أعماق روحنا. وبذا يتساوى الفنان وجمهوره في تجنيح الرؤيا، نوع من الفلسفة الوجودية تنادي الداخل الإنساني بوصفه قيعان الخارج المكسور. وما مهمة الفنان إلا أن يلتّم على ذاته ويتأملها في زمن مهيض الجناح، وكأن هذا الالتمام جماع الشكل الفني نفسه. هناك حوار وحدث وشخصيات وصراع ولكن استخدامها يوافي المسرح حيناً ويجافيه حيناً آخر، ولعل في الإشارة إلى أعمال صدقي المسرحية ما يوضح وجهة النظر في إبداعه أكثر.

آثاره

1- الينابيع، مقالات، دمشق؛ 2- رامبو، دراسة، دمشق عام 1952؛ 3 الإعصار، قصص لبوشكين، ترجمة، دمشق، عام

1954؛ 4 - محمد علي النعابسي، مؤسسة النقابات التونسية، دراسة، دمشق، عام 1955؛ 5 - فان غوخ، دراسة، دمشق، عام 1956؛ 6 العرب وتجربة المأساة، دراسة، بيروت، عام 1963؛ 7- الأعمال الكاملة (خمسة مجلدات) وزارة الثقافة 1977؛ 8- «سقوط الجمرة الثالثة»، مسرحية في فصل واحد وخمسة مشاهد، (1964)؛ 9- «الأحذية»، مسرحية قصيرة في مشهدين، (1966)؛ 10- «عمار يبحث عن أبيه»، مسرحية في ثلاثة فصول (1968)؛ 11- «أيام سلمون»، قصة تاريخية في حوار مسرحي (1972).

المصادر والمراجع

● إسماعيل، صدقي، العصاة، دار الطليعة، بيروت 1964؛ ● إسماعيل، صدقي، المؤلفات الكاملة، المجلدان الأول والثالث، دمشق 1977-1979؛ ● ابن ذريل، عدنان، الرواية العربية السورية، دراسة نفسية، دمشق 1973؛ ● أبو موسى، أحمد، الطفل في النثر الفني السوري، دمشق 1987؛ ● أبو هيف، عبد الله، فكرة القصة، نقد القصة القصيرة في سورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1981؛ ● أبو هيف، عبد الله، الأدب والتغير الاجتماعي في سورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1990.

د. عبد الله أبو هيف
جامعة تشرين - اللاذقية - سوريا

إسماعيلوفيتش، أحمد بن علي

(1358هـ/ 1938 م - 1408 هـ/ 1988م)

هو أحمد بن علي إسماعيل وفيتش البوسنوي، عالم، باحث، مفكر، من نوادر الدّهر في العصر الحديث علما وفضلا وألمعيّة.

ولد بمدينة سربرنيتسة في البوسنة سنة (1358هـ/ 1938 م)، وتعلّم مبادئ العلوم الشرعيّة أول الأمر على والده - وكان من شيوخ العلم - وعلى غيره من العلماء في المدرسة الابتدائية، ثمّ انتقل إلى عاصمة بلاده سرايفو، ودرس فيها بمدرسة غازي خسرو الشرعيّة الثانويّة وتخرّج فيها سنة (1378 هـ/ 1958 م) وسافر بعدها إلى الأزهر ودرس بجامعته بقسم اللغة العربيّة وآدابها وتخرج فيه، وتابع دراسته العليا فيه فحصل على الماجستير سنة (1390 هـ/ 1970 م)، وعلى الدكتوراة سنة (1394 هـ/ 1974 م)؛ وكان موضوع رسالته «فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر» وحصل بعد مناقشتها على مرتبة الشرف الأولى بإجماع من لجنة

المناقشة، وعاد بعدها إلى بلاده، فعمل مديرا لمكتب رئيس العلماء لفترة من الزمن، ثمّ انتخب رئيسا للمشيخة الإسلاميّة في البوسنة والهرسك وما كان يتبعها في حينه، واستمرّ في منصبه هذا قرابة عشر سنوات.

وسعى في تأسيس كليّة الدراسات العربيّة الإسلاميّة بسرايفو إلى أن افتتحت سنة (1397 هـ/ 1977م) فكانت القاعدة الكبرى لتعليم العربيّة والعلوم الشرعيّة في البلقان، وتخرج منها عدد كبير جدّا من طلبة العلم وتحوّلت إلى نقطة إشعاع في المنطقة البلقانيّة كلها.

وكان له نشاط علمي واجتماعي بارز، فقد كان يجوب البلاد طولا وعرضا، يلقي المحاضرات والدروس في المساجد والمدارس، ويتفقد أحوال طلبة العلم والعلماء، ويمدّ لهم يد العون، ويحرص على الأخذ بأيديهم للعمل في العلم ونشره بين النّاس.

واشتهر في بلاده وخارجها، فسمي عضوا في الهيئة التأسيسيّة لرابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، وأسّس مجلّة «الفكر الإسلامي»، وكان يكتب فيها مقالات في العربيّة والعقيدة والتراث والفلسفة. وكان على خلق نادر وفهم ثاقب شهد به خصومه قبل أحبابه.

وكان شعلة نشاط نادرة المثال، وأقام علاقات وصداقات برجال العلم والأدب والبحث العلمي في الوطن العربي والعالمي الإسلامي.

آثاره

خلّف العديد من البحوث والمقالات إضافة إلى كتابه «فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر» الذي سبقت الإشارة إليه، والذي يكشف عن فهم عميق للاستشراق والأدب العربي وعن وجهه نظر في هذا الإطار تستحق الدراسة والمناقشة نظرا إلى ما جاء فيها من الآراء والنظريّات الجريئة، وقد أثّر في معظم أبناء الجيل الحالي من العلماء والباحثين في بلاده والبلقان عموما.

وأزيح سنة (1405 هـ/ 1985 م) عن عمله كرئيس للمشيخة الإسلاميّة في البوسنة والهرسك، فأثّر ذلك سلبا على شعوره ونفسيته؛ ومات مهموما مغموما سنة (1408هـ/ 1988 م) فترك نبأ وفاته أشد الألم والحسرة في نفوس معارفه وطلابه وأحبابه في البلقان خاصّة وفي الوطن العربي والعالم الإسلامي بشكل عام، رحمه اللّه برحمته الواسعة وجزاء عن أمته وطلبة العلم فيها الجزاء الأوفى.

المصادر والمراجع

● نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، دار الفكر، دمشق - دار صادر ط 3، 2003، إتمام الأعلام ص22؛ ● يوسف، محمد خير رمضان، «تتمة الأعلام» (1/ 27)؛ ● «ترجمة مخطوطة» كتبها وأرسلها لي من البوسنة تلميذه الأستاذ خليل إبراهيم مهتيتش البوسنوي؛ ● «صحيفة الأسبوع الأدبي» الدّمشقيّة العدد (689).

محمود الأرناؤوط
دمشق - سورية

الإسماعيلي، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

(277 هـ / 890 م – 371 هـ/ 981 م)

ولد بجُرجان، وتَرَبَّى في حجْر والده الذي تكفَّل به، وأحسن تربيته وتعليمه، وسارع به إلى الكُتّاب وهو صبي، فقد كتب الحديث بخطّه مبكّرًا في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وله ستّ سنين، وطلب العلم في سنة تسع وثمانين ومائتين وما بعدها، فاختلف إلى شيوخ جرجان وعلمائها النابهين يسمع منهم، ويقرأ عليهم، ويكثر الرجوع إليهم، والجلوس بين أيديهم، فأتقن علوم بلده، وتخرّج بعلمائها الأجلاّء، فازداد شوقًا إلى طلب العلم خارج جرجان، فشدّ الرِّحال إلى بغداد، والبصرة، والكوفة، والحجاز، والجزيرة، والأحواز، ونَسا، ونيسابور.

وحصّل في رحلته علومًا كثيرة، وشارك في كثير منها وتَفَنَّنَ، وأتقن ما وصلت إليه يده من مرويات شيوخه وشيوخهم، وأجاد الإجادة التامّة في حفظها إسْنادًا ومَتْنًا حتّى بَهَرَ العقول بقوّة حفظه، وفَرْط ذكائه، فاستطاع أن يجمع أكبر عددٍ من الشيوخ في هذه الرحلة كان منهم: عمران بن موسى السَّخْتِيَانِيّ، والحسن ابن سُفْيان الشَّيْبانيّ، ويوسف بن يعقوب القاضي، وأبو خليفة الفَضْل بن الحُباب الجُمَحِيُّ، وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحَضْرَمِيُّ، وأبو يَعْلَى أحمد بن علي ابن المثنى المَوْصِلِيُّ، وعَبْدان بن أحمد العَسْكَرِيُّ، وإبراهيم بن زهير الحلْوانيُّ، وحمزة بن محمد الكاتب، وأحمد بن محمد ابن مَسْرُوق، ومحمد بن يحيى المَرْوَزِيُّ، والحسن بن علويه القَطّان الدامَغانيُّ، وجعفر ابن محمد بن الحسن الفرْيابِيُّ، ومحمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة، وإبراهيم بن يزيد بن شَريك التَمِيمِيُّ، وجعفر بن محمد بن الليث البَصْرِيُّ، ومحمد بن أبي حَيّان بن أزهر، ومحمد بن عثمان بن أبي سُوَيْد، ومحمد بن اسماعيل بن سَماعَة، وبُهْلول بن إسحاق الأنْباريُّ، وخلق سواهم، يجمعهم معجم شيوخه.

وعند عودته إلى جرجان تصدَّر للتدريس والإسماع فيها، فانثال عليه الطلبة، وازدحموا في الأخذ عنه، والسَّماع عليه لعُلُوِّ إسناده، وتبحّره في الرواية، فلا يخلو مجلسه من طالب قاصد للسَّماع عليه، ومستطرق مارٍّ بمجلسه، ومن مقيم بجرجان ووافد عليها، ويحدّثنا الحافظ أبو الحسين محمد بن المظفّر البَغْداديُّ عن حلقة درسه وانتظام الطلبة فيها، فيقول: «...وكنت كلّما حضرت مجلس الشيخ الإمام أبي بكر الإسْماعيليّ، ورأيته لم يتفوّه بشيء من تفسير خبرٍ، أو ضرب مثل أو حكاية، أو بيت شعر، أو نادرة، أو غير ذلك من سائر العلوم إلاّ ويبادر جماعة من الغرباء وأهل البلد علقوا وكتبوا خصوصًا أبو بكر البَرْقانيُّ أحمد بن محمد بن غالب الخُوَارَزْميُّ فإنه قلّما كان يترك شيئا يجري إلاّ وهو

يكتب... وكان بحضرته من الغرباء الجوّالين مِمّنْ يفهم ويحفظ مقدار أربعين أو خمسين نفسًا، وكنت أعلّق عنه بمقدار فهمي وحفظي، أو أنسخ مِمّا علق عنه أبو بكر البَرْقانيُّ..".

ومَنْ كان مجلسه بهذا الوصْف الجميل، فلا بدّ أن يكون طلابه أشدّ تعلُّقًا وحرصًا على حضور مجلسه للإفادة منه، والسَّماع عليه، وقد استطعت الوقوف على مجموعة طيّبة من طلابه، كان منهم:

الحافظ أبو الحسن محمد بن محمد بن يعقوب الحَجّاجيُّ النَّيسَابُوريُّ، وأبو عليٍّ محمد بن علي بن سَهْل الماسَرْجِسِيُّ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النَّيْسَابورِيُّ الحافظ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البَرْقانيُّ الخُوَارَزْمِيُّ، وأبو القاسم حمزة بن يوسف ابن إبراهيم السَّهْمِيُّ الجُرْجانِيُّ، ومحدِّث نيسابور أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العَبْدَوِيُّ، والحسين بن محمد الباشانيُّ، والحافظ أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو الأصبهانيُّ النَقّاش، وأبو الحسن محمد بن علي الطَّبَرِيُّ، والحافظ أبو بكر محمد بن إدريس الجَرْجانيُّ، وأبو عمرو عبد الرحمن ابن محمد الفارِسِيُّ سبط أبي بكر الإِسْماعيليّ، وغيرهم.

وإذا أنعمْنا النظر في تراجم هؤلاء الطلبة، وجدنا أكثرهم نال علمًا واسعًا، وجاهًا عريضًا، ودنيا واسعة، قد جمعوا بين العلم والعمل، هذا فضْلا عن التدريس والإسماع والإقراء والقضاء، والسفارة بين الملوك والرؤساء، وذلك بفضل رعاية الإمام أبي بكر الإسماعيليّ لهم وعنايته بهم، وحرصه على إفادتهم جميعًا، فكانوا أعلامًا بارزين، وأئمّة مشهورين.

كان لأبي بكر الإسْماعيليّ منزلة رفيعة، ومكانة سامية بين علماء عصره، دَلَّتْ على علو مكانته العلمية والاجتماعية، حتّى عُدَّ أحد أكابر جُرْجان في العلم والعمل، والمعتكف على الاشتغال والإشغال بغير فتور ولا مَلَلٍ، انفرد في ذلك الإقليم، وتلقّى الناس قوله بالتسليم، وقابلوه بالتبجيل والتعظيم، فقد عزم الدارَقُطْنِيُّ على الرحلة إليه، فلم يُرْزَق، كانت أوقاته معمورة بالعلم والعبادة، وقسّم أيامه للنظر والإملاء والكلام والقراءة، فكان واحد عصره، وشيخ الفقهاء والمتحدّثين في مصره، أثنى عليه العلماء ووصفوه بكلّ جميل، وأشادوا بعلمه وقدرته على التصنيف: قال حمزة بن يوسف السَّهْميُّ: «سمعت الحسن بن علي الحافظ بالبصرة يقول: كان الواجب للشيخ أبي بكر أن يُصَنِّف لنفسه سُنَنًا ويختارُ ويجْتَهِدُ، فإنّه كان يقدر عليه لكثرة ما كتب، ولغزارة علمه وفهمه وجلالته، وما كان ينبغي له أن يتقيّد بكتاب محمد بن إسماعيل البُخارِيّ، فإنه أجلّ من أنْ يَتّبع غيره».

وأثنى عليه أبو عبد الله الحاكم النَّيسابُوريُّ فقال: «الإمام أبو بكر الإسْماعيليُّ، واحد عصره، وشيخ الفقهاء والمحدُثين، وأجلّهم في الرئاسة والمروءة والسخاء بلا خلاف بين عقلاء الفريقين من أهل العلم فيه، وقد أقام بنيسابور لسماع الحديث غير مرّة، وقَدِمَها - وهو رئيس جُرْجان- سنة سبع عشرة وثلثمائة، ثم قدِمَ علينا في ذي القعدة من سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة على صاحب الجيش أبي

منصور بن فراتكين، فسأله مراسلة -وهو في الطرق- فأجابه إلى ذلك، ثم إنّ الشيخ أبا نصر العَبْدوسِيَّ استقبله بنفسه وسأله النزول عنده، فنزل عنده إيثارا للتخفيف عن الإمام أبي بكر، فعقد له المجالس بالعشيات كل يوم إلاّ الجمعة: يومين للإملاء ويومًا للنظر، ويومين للقراءة، ويومًا للكلام، وكان لا يتخلّف عن مجلسه كل يوم من المذكورين في هذه العلوم أحد إلاّ لعذر».

وامتدحه الحافظ هبة الله بن عبد الجبار بن فاخر السِّجْزِيُّ قائلاً: «أبو بكر الإسماعيليُّ شيخ كبير جليل، ثقة، من الفقهاء والمحدّثين في عصره، يرجع إلى علم وافر، ومعرفة بالحديث صادقة، ومروءة ظاهرة، وكانت إليه الرحلة في زمانه».

عرف أبو بكر الإسماعيليُّ في جميع البلدان بتصانيفه الحسان، التي أجاد فيها، وأحسن كلَّ الإحسان فيما جمعه وصنّفه، وأربى على من تقدَّم بالترتيب والتحقيق، وراجت في حياته، وانتشرت بين العلماء والفقهاء، واعتنوا بها عناية تامّة، ومؤلّفاته جميعًا تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث.

توفّي أبو بكر الإسماعيليُّ يوم السبت غُرَّة رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة، وله أربع وتسعون سنة وخلف ولدين هما: أبو نصر محمد، وأبو سعد إسماعيل.

آثاره

قال شمس الدين الذهبيُّ في وصف مؤلّفاته - بعد أن ذكر منها: المعجم، والصحيح، ومسند عمر (رضي الله عنه)-: «وابتهرت بحفظ هذا الإمام، وجزمت بأن المتأخّرين على إياس من أن يلحقوا المتقدّمين في الحفظ والمعرفة».

1- الصَّحيح، ويعرف بصحيح أبي بكر الإسماعيليّ، وقد جمع في هذا الكتاب الأحاديث الصَّحيحة على شرط الإمام محمد ابن إسماعيل البُخاريّ، ومن وقف عليه علم مقدار العلم المودع فيه، ودلّ على الفضل الكبير لمؤلّفه، وهو في أربعة مجلّدات؛ 2- مسند عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقد جمع فيه أحاديث الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب، وأحسن في تبويبه وترتيبه، وهو في مجلّدتين؛ 3- معجم الشيوخ، وهو معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيليّ في جرجان والأقطار التي رحل إليها وسمع من شيوخها، وقد جمع فيه ما يقرب من ثلاث مائة شيخ، وقد اتّصل إسناد روايته بأسانيد رواية شيوخه المذكورين وصولاً إلى رسول الله ﷺ، وهو في مجلّد لطيف، منه نسخة خطّية في مكتبة ولي الدين التركية برقم 845، ونسخ أخرى في معهد المخطوطات العربية ينظر الفهرس: 1/ 273، رقم 810؛ 4- جزء حديث، قطعة صغيرة فيها مجموعة أحاديث له ولمحدّثين آخرين في تسع ورقات في المكتبة الظاهرية بدمشق، مجموع 31 حديثاً.

المصادر والمراجع

● السمعاني، الانساب، نشره المستشرق د.س مرجليوث، 1912م، وأعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد، 1970م؛
● السهمي، تاريخ جرجان، بيروت، عالم الكتب، 1401هـ/ 1981م؛
● الدمشقي، ابن عساكر، (ت 571هـ)،

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الاشعري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979م؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، الناشر، محمد أمين دمج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت؛ ● التونسي، ابن عزم، دستور الإعلام بمعارف الأعلام، نسخة خطية بمكتبة الحرم المكّي الشريف، مكة المكرّمة برقم 28 تاريخ؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء السادس عشر، تح. اكرم البوشي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م؛ ● السبكي، طبقات الشافعية، تح. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، 1964م؛ ● الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح. د.إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، 1970م؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، المطبعة الاسلامية، 1387هـ/ 1967م؛ ● الحسيني الواسطي، المطالب العلية في طبقات الشافعية، نسخة خطية في مكتبة فيض الله بتركيا تحت رقم 1525؛ ● ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الهند، حيدر آباد الدكن، دائرة المعرف العثمانية، 1357م؛ ● البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، طهران، المطبعة الاسلامية، 1387هـ/ 1967م؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، الجزء السادس باعتناء ديدرينغ، فيسبادن 1389هـ/ 1970م، منشورات جمعية المستشرقين الالمانية.

د. صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد - العراق

■ الإسماعيلي، أبو بكر محمد بن مهران

(.....هـ /..... م - 295 هـ/ 907م) ■ ■ ■

الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي. أحد المحدّثين الكبار في مدينة نيسابور، ويشير الذهبي نقلا عن الحاكم قائلا: «...كثرة ورحلة واشتهارا وهو مجود عن البصريين والشاميين [سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 189]. جمع حديث الزهري وجوّده، هذا فضلاً عن جمعه حديث مالك، ويحيى بن سعد، وعبد الله بن دينار، وموسى بن عقبة [سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 189؛ تذكرة الحفّاظ، ج 2، ص 682].

ويذكر الذهبي نقلا عن إبراهيم بن أبي طالب رفيق محمد بن إسماعيل: «لم يخرج لنا حديث مالك كما أخرجه الإسماعيلي فإنه مجود» [تذكرة الحفّاظ، ج 2، ص 682]،

وقد وثّقه الحاكم قائلا: «هو ثقة مأمون» [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2، ص 682]، وقال الذهبي «صدوق مشهور» [ميزان الاعتدال، ج 3، ص 485].

سمع من شيوخ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وفي الشام، وفي مصر، والكوفة، والبصرة، وبغداد، ونيسابور، وأماكن أخرى عديدة. ومن أشهر من سمع عنهم، هشام بن عمّار، وحرملة بن يحيى، وعيسى بن حماد، وأحمد بن أبي الحواري، وأبي نعيم الحلبي، وإسحاق بن موسى الخطمي، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن طلحة اليربوعي، ومحمد ابن بكار، وابو حمة محمد بن يوسف الزبيدي، ومحمد بن رمح، ودحيم، وأبو كريب.

وتتلمذ على يد محمد بن إسماعيل عدد كبير من التلاميذ. وعندما أنهوا مدّة التلمذة حدّثوا عنه، ومن هؤلاء: إبراهيم بن أبي طالب وهو صديق محمد بن إسماعيل، فضلاً عن أنّه كان أحد الذين حدّثوا عنه، وأبو العباس السراج، وأبو حامد بن الشرقي، وأبو بكر أحمد بن علي بن الرازي، وأبو عبد اللّه محمد بن الأخرم، ودعلج السجري، وإسماعيل بن نجيد، وعلي بن حمشاذ، وأبو الحسن أحمد ابن محمد بن إسماعيل بن مهران الصيدلاني. وهناك من العلماء من يتأسّف لعدم حضور مجالس محمد بن إسماعيل العلميّة، والأخذ عنه الحديث. وهذا ما أكّده عبد اللّه بن سعد، وهو يتأسف غيرة على ما فاته من الإسماعيلي، وذلك بسبب مرضه [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2، ص 682].

ومن الأحاديث الشريفة التي رواها محمد بن إسماعيل بن مهران عن الرواة الثقات عن أبي هريرة قال: «قال رسول اللّه ﷺ: إذا ولغ الكلب في الإناء غسل سبع مرات أوّلهنّ بالتراب، وإذا ولغ الهر غسل مرّة» [الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ج 2، ص 682].

أصيب محمد بن إسماعيل بن مهران بالمرض سنة 289 هـ/ 901 م، واستمر المرض ملازمه حتّى وفاته في ذي الحجّة سنة 295 هـ/ 907 م. وهذا يعني أنّه بقي مريضًا ستّ سنوات، وكان قد أصيب بمرض اللقوة (هي علّة آلية في الوجه ينجذب لها شقّ من الوجه إلى جهة غير طبيعية، فتتغيّر هيئته الطبيعية).

المصادر والمراجع

● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. محيي الدين أبي سعيد عمر ابن غدقة العمروي، ج 11، دار الفكر، بيروت، 1417 هـ/ 1997م، ص 189؛ ● الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفّاظ، ج 2، ط 8، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955 م، ص 682؛ ● م. ن، العبر، تح. صلاح الدين المنجد، ج 4، الكويت 1963م، ص 103؛ ● السيوطي، عبد الرحمن، طبقات الحفّاظ، تح. علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1393 هـ/ 1973 م، ص 296؛ ● ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 4، المكتبة التجارية، بيروت، د. ت، ص 535؛ ● اليافعي، أبو محمد عبد اللّه بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج 3، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت، 1390 هـ/ 1970 م، ص 225؛
• حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ص 1432؛
• كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص 62.

د.غانم هاشم خضير السلطاني
جامعة المستنصرية - بغداد

الأسمر، الشيخ عبد السلام

(880 هـ / 1475 م - 981 هـ / 1573 م)

الشيخ عبد السلام الأسمر أحد أبرز أقطاب التصوّف الإسلامي الذين ظهروا في القرن العاشر للهجرة، وهو رمز لطريقة صوفية تسمى باسمه هي «السلامية» التي تعد استمرارا للطريقة العروسيّة نسبة إلى الشيخ أحمد بن عروس (ت 868 هـ / 1463 م)، التي بدورها تمثّل فرعا للطريقة الشاذليّة نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ / 1250م).

وللشيخ عبد السلام الأسمر دور كبير في تطوير أدب السماع ومجالس الذكر والإنشاد التي تمثل عماد المجاهدة الروحية عند الصوفية فهي السبيل إلى الارتقاء بالذات في معراج الأحوال والمقامات بحثا عن سعادة روحية كبرى يكون معها يقين المعرفة ويقين المشاهدة.

وللشيخ عبد السلام الأسمر مؤلّفات صوفية ورد أغلبها في شكل «أحزاب» ووصايا ورسائل وأشعار ضمنها أفكاره الصوفية وصوّر فيها أحواله ومذاقاته الوجدانية ومكاشفاته العرفانية.

ولد الشيخ عبد السلام الأسمر في 12 من شهر ربيع الثاني سنة (880 هـ / 1475 م) بزليطن من بلاد طرابلس (ليبيا). وهو عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميد ابن عمران بن أحمد بن خليفة، الملقب بفيتور (ومن هنا جاءت تسميته في بعض المصنّفات بالفيتوري) بن الشيخ الشريف الحاج عبد الله الملقب بنبيل، وقبره بمكّة وتنتهي سلسلة هذا النسب إلى آل البيت، إلى السيدة فاطمة بنت النبي محمد ﷺ، كما أنّ نسبه من جهة أمّه ينتهي إلى آل البيت مرورا بالصوفي الكبير القطب سيدي عبد السلام بن مشيش (625هـ)، وهو أستاذ أبي الحسن الشاذلي وشيخه في علوم الطريقة؛ وقد ظل الشيخ عبد السلام الأسمر وفيّا لمبادئ الطريقة الشاذلية، معتبرا نفسه غصنا من غصون شجرتها الكبرى طوال حياته.

توفّي والده وهو لا يزال في حداثة صباه حيث لم يتجاوز السنوات الثلاث فتولّت تربيته والدته التي عرفت بزهدها وصلاحها

ومداومتها على العبادة، واهتم عمّه أحمد بن أحمد الفيتوري بأمره وتنشئته على حبّ العلم والمعرفة سيما وأنّه كان عالما بالعربيّة وآدابها يجيد قرض الشعر حتى وصفه الشيخ عبد السلام قائلا: كأنّه كعب بن زهير أو حسان ابن ثابت. «فكان يعلمه الأجرومية وأدخله الكتّاب ليحفظ القرآن الكريم، فتتلمذ هناك إلى الشيخ عبد الرحمان المسلاّتي التونسي ثمّ درس كذلك ألفية ابن مالك في النحو، وقرأ كتب المعاني والبيان وعندما بلغ سنه الثانية عشرة اتجهت همته إلى الحياة الروحية، فبدأ في طلب علوم الأسرار ومعارف الصوفية. وقد جدّ عمّه في أن يجعل طلبه لهذا العلم يكون من لدن شيخ صوفي يلتقي فيه العلم بالصلاح، فكان أن تولى هذا الأمر الشيخ عبد الواحد الدوكالي، وهو من صلحاء ذاك الزمان ومن شيوخ الطريق الصوفي في تلك الفترة، وقد لازمه وانتفع به لمدة سنوات سبع نجد الشيخ عبد السلام يثني عليه في ما بعد ويعدّد مناقبه ومعرفا به في الآن ذاته فيقول: «إنّه قرشي يسكن مسلاته، مالكي المذهب، عروسي الطريقة (نسبة إلى أحمد بن عروس...)، (وهو) من الرجال الأعيان أهل الأسرار والبرهان.. فتواه تعجب علماء طرابلس وتونس أشدّ الإعجاب ويعملون بها؛ وكان يحب الشيخ زروق (أحمد زروق ت899 هـ/ 1493 م)، مواظبا له ويتذاكر معه في العلوم».

وقد التقى الشيخ عبد السلام بالشيخ أحمد زروق الذي اشتهر بعميق الصوفية وكثرة تأليفه في العلوم العقليّة النقليّة والعلوم الحكمية بفرعيها الذوقي والعقلي. وستتردّد أقوال وتعاليم الشيخ زروق في مؤلّفات عبد السلام الأسمر، وستكون «الوظيفة» التي وضعها الشيخ زروق (وهي ترتيب من الأدعية والتوسلات والتسبيحات والصلوات على النبي ﷺ، يعتمده الصوفية في مجاهداتهم الروحية) من جملة آداب الطريق الصوفي عند الشيخ عبد السلام وأتباعه (السلامية).

ولع الشيخ عبد السلام بالسماع وكانت تأخذه أحوال ومواجد عالية. ولعلّ شيخه عبد الواحد الدوكالي كان معارضا للسماع، وللتوقيع على الدفّ، غير أنّه وبعد أن ظهرت للشيخ عبد السلام حسب ما تذكره المصادر التي ترجمت له كرامات تجيزه ذلك، سلم له وصار من مؤيديه في ذلك، وليس عرضا أن يتوافق ذلك مع حصول الفتح العرفاني للشيخ عبد السلام ومع بداية تدرجه في طريق الولاية، وقد أقدم عندها على التكثيف من زيارة الأولياء والصالحين. ولما توفيت والدته واصل زيارة الأولياء لينتهي به المطاف إلى جبل زغوان بالبلاد التونسية، ويمكث به متعبّدا ومتأملا في خلوة وانقطاع تام للعبادة والذكر. وجبل زغوان كما جاء، في كتب التاريخ وأخبار المناقب فضائله كثيرة، وأسراره عظيمة في نظر الأولياء والصوفية إذ لا بد أن يمكث فيه كل ولي وقتا للعبادة والذكر، وقد حصل فيه الفتح لأبي الحسن الشاذلي من قبل. وبعد هذه السياحة الصوفية عاد عبد السلام الأسمر إلى زليطن بأرض طرابلس، غير أنّ أهلها سيكبر حسدهم له ويرمونه بالسحر، وكما يذكر صاحب مختصر البرموني «فإنهم مازالوا به (رميا بالسحر وحسدا) إلى أن نفوه منها سبع مرات ينتقل ثم يرجع، ولم يستقر أمره إلاّ بعد نفيه منها ومن غيرها من المدن ورجوعه إلى تاورغاء ومصراته الخ...» وفي أثناء رحلاته

نزل مدينة طرابلس وأقام بمسجد الناقة، وله فيها خلوة تسمى باسمه إلى زمننا هذا، وقد ذاع صيته عند استقراره بخلوة بطرابلس «فاجتمع عليه خلق كثير من كل ناحية، وصار يلقنهم ويربيهم أحسن تربية، واستعمل لهم السماع المعبّر عنه بالحضرة». ومن الأماكن التي بها استقر جبل غريان وقلعة سوف الجين.

وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم سنة 981 هـ/ 1573 م فارق الشيخ عبد السلام الأسمر الحياة بعد أن جمع مريديه وأصحابه في الطريق ليعظمهم ويوصيهم في الآن ذاته، وصار ضريحه بمدينة زليطن زاوية ومزارا، كما أنشئت بجواره مدرسة للعلم والفقه.

آثر الشيخ عبد السلام الأسمر «السماع» مبدأ أساسيا في السير الصوفي، وأوصى به مريديه؛ كما اعتبر الخلوة والاستغراق في المحبة الإلهية شرط تحقق العارف بحقيقة الوجود. والناظر في مؤلفاته يجد أنّها استمرار لأدبيات الإمام الشاذلي، وتوسع في ما قال به القشيري والغزالي من تأكيد على تعاضد الشريعة والحقيقة وتكاملهما لتحصيل المعرفة غير أنّه يؤكد دائما أنّ التجربة الذاتية سبيل تحصيل معارف ومكاشفات ذوقية عالية وسعادة قصوى، وهو يرى الولاية هبة من الله وهي ليست كسبية، فليس كل من استقام وانقطع إلى العبادة والرياضة الروحية حصلت ولايته.

آثاره

يبدو أنّ أغلب مؤلفات الشيخ عبد السلام الأسمر أتلفت سيما بعد تدمير زاويته أو جانب كبير منها بعد وفاته، وقد كان غزير التأليف وتولّى عدد كبير من طلبته تدوين مؤلفاته التي ألقى بعضها إملاء، ومنها:

1 - الأنوار السنّية في أسانيد الطريقة العروسيّة وهو عبارة عن رسالة في الأدعية والتوسلات وشرح بعض المسائل الصوفية، طبعت بتحقيق للشيخ صالح الجعفري، الطباعة المحمديّة، القاهرة، 1964؛ 2 - الوصية الكبرى، نصيحة المريدين في الأولياء والصالحين؛ 3 - الوصيّة الوسطى؛ 4 - الوصيّة الصغرى؛ 5 - رسائل بعث بها الشيخ إلى مريديه في تمبكتو، ومالي، وطرابلس، وتونس، والمغرب الأقصى؛ 6 - التحفة القدسيّة لمن أراد الدخول في الطريقة العروسيّة؛ 7 العظمة في التحدث بالنعمة؛ 8 - نصائح التقريب في الأولياء والنقيب؛ 9 - سفينة البحور، من كلام سيدي عبد السلام الأسمر وأتباعه، أو السفينة السلاميّة، طبعت بالمطبعة الأهلية بتونس، سنة 1346 هـ / 1927 م.

وله أحزاب كثيرة على غرار عبد القادر الجيلاني والإمام الشاذلي منها «الحزب الكبير»، و«حزب الطمس»، و«حزب الخوف» و«حزب الفلاح».

وله أشعار بعضها فصيح وبعضها أميل إلى لحن اللهجة صور فيها أحواله ومكاشفاته، وتصوّر مدى تجذره في أسرار الطريق الصوفي.

المصادر والمراجع

• البرموني كريم الدين، «تنقيح روضة الأزهار»، المكتبة الثقافيّة، بيروت، (د.

ت)؛ ● المصراتي، الطيب بن طاهر، «فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر»، دار الكشاف، بيروت، القاهرة، بغداد، 1969؛ ● القطعاني، أحمد، «عبد السلام الأسمر»، طبعة مشتركة بين دار الكتاب الليبي ومكتبة جمهوريّة مصر، 1993؛ ● زغندة، فتحي، «الطريقة السلاميّة في تونس»، بيت الحكمة، قرطاج تونس، 1991؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكيّة، دار الفكر، بيروت، (د. ت.)؛ ● سفينة البحور، المكتبة الثقافيّة، بيروت، (د.ت.).

محمد الكحلاوي

باحث في التراث الصوفي - تونس

الأسمر، محمد

(1318هـ/1900م - 1376هـ/1956م)

ولد محمد الأسمر في مدينة دمياط في يوم الثلاثاء 6 نوفمبر عام 1900 وقد كتب عن ميلاده صديقه قاسم مظهر يقول: تحت سماء دمياط الساحرة وعلى أرضها الصافية الجمال ولد الشاعر النابغ محمد الأسمر وقد استمد من جمال بلدته وخضرتها دماثة الخلق ووداعة النفس وطيبة القلب.

التحق الشاعر في طفولته بمكتب من المكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم بدمياط، لكنه لم يلبث به إلا قليلا ثم التحق وهو في الثامنة من عمره تقريبًا بإحدى المدارس الأهلية بالمدينة وكان من العلوم التي يتلقاها في هذه المدرسة: القرآن الكريم حيث حفظ نصفه كذلك بعض المحفوظات الأدبية شعرًا ونثرًا والنحو، والإملاء، والحساب.

وكانت هذه المدرسة تعد من يتخرج منها ليكون كاتبًا محاسبًا بإحدى المحلات التجارية. وتخرج محمد الأسمر من هذه المدرسة في عام 1914 وزاول التدريس بها شهورًا، ثم قام بعمل كتابي في إحدى المحلات التجارية برأس البر مدة المصيف، ثم عاود بعد ذلك مهنة التدريس بالمدارس الأهلية إلى جانب مزاولة الكتابة الحسابية بالشركات التجارية.

بعد ذلك التحق بمعهد دمياط الديني طالبًا في عام 1915 بعدها التحق بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة في عام 1920 وظل بها ثلاث سنوات. ومن بعدها التحق شاعرنا الأسمر بالأزهر الشريف الذي تخرج منه عام 1930 وظل يعمل حتى عين أمينًا للمحفوظات بالمعاهد الدينية، كما أوكلت إليه مشيخة الأزهر تنظيمها ثم عين بمكتبة الأزهر ثم أمينا لهذه المكتبة.

وقد انتدب وهو أمين مكتبة الأزهر للعمل

بوزارة الداخلية في قسم مراجعة الكتب كما اختير مرتين عضوًا بلجنة النصوص بالإذاعة، وفي عام 1956 اختير عضوًا بلجنة الشعر الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وتوفي في العام نفسه.

وتقول سيرة حياة محمد الأسمر إن الصحف المصرية كانت تنشر له إبداعاته في الشعر وهو لا يزال طالبًا بالسنة الثانية بمعهد دمياط الديني ثم تتابعت بعد ذلك إشراقاته في الشعر فألف العديد من القصائد سواء الدينية أو الوطنية وقد خلف وراءه عدة أعمال كان من أهمها ديوانين.. الأول: «تغريدات الصباح» وهو أول مجموعة شعرية، وكتب مقدمة هذه المجمعة أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام، ثم «ديوان الأسمر» الذي صدر عام 1950. وله كذلك كتاب في النثر بعنوان «مع المجتمع».

أبّنه عبد الوهاب عزام بقوله:

إن بعض الشعراء الأتراك يقول: «ليس بعيب أن تعرق في شعرك إنما العيب أن يشم الناس منك رائحة ذلك العرق»، وهو يشير إلى الجهد الذي كان يبذله محمد الأسمر في شعره لأنه كان من المجوّدين لشعرهم والمحتفين به والمشذبين له.

وبالرغم من أنه نال الجائزة الثانية في مسابقة مجمع اللغة العربية سنة 1947 عن ديوانه «تغريدات الصباح» إلا أن هذا الشاعر لم ينل حظه عند الدارسين والباحثين فلم تفرد له دراسة فيما نعلم بعد أن تتبعنا معظم المراجع التي تتحدث عن الشعر في عصره باستثناء دراسة عنه كتبها دكتور إبراهيم علي أبو الخشب في كتابه «تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر» تحدث فيها عن شعره وخصائصه الفنية وانتمائه إلى مدرسة الإحياء في الشعر العربي الحديث.

د. محمد علي محمد سلامة
جامعة حلوان ـ مصر

الأسمندي، أبو الفتح محمد بن عبد الحميد

(488 هـ / 1095 م – 553 هـ/ 1158م)

اختلف أهل التراجم في كنية محمد بن عبد الحميد الأسمندي وأصوله، أمّا كنيته فالأكثر على أنه أبو الفتح [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 255؛ ابن الجوزيّ، المنتظم، ج 18، ص 180؛ ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص 59؛ القرشي، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 3، ص 218]؛ وقيل أبو حامد [اللكنوي، الفوائد البهية، ص 176]؛ وقيل أبو بكر [البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 92؛ إيضاح المكنون، ج 2، ص 613]. وأما أصوله فجرى فيها اختلاف كبير،

فقيل هو محمّد بن عبد الحميد بن الخسين بن الحسن بن حمزة [السمعانيّ، الأنساب، ج 1، ص 255؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص 218؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص35]، وقيل هو محمد بن عبد الحميد بن الحسن بن الحسن [ابن الأثير، اللباب، ج 1، ص 59]، وقيل هو محمد بن عبد الحميد بن الحسن بن الحسين بن حمزة [القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص 56]، وخالف اللّكنوي في أبيه فقال في الفوائد البهيّة «هو محمد بن عبد الرّشيد» [ص 176]. ولعلّ في هذا تحريفا عن عبد الحميد، والراجح ما ذكره السمعاني في الأنساب من أنّه «أبو الفتح محمّد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن ابن حمزة الأسمندي» [ج 1، ص 255] لثبوت المعاصرة واللقاء بينهما.

وقد اشتبه على بعض المترجمين المتأخّرين محمّد بن عبد الحميد هذا بعالم آخر معاصر له، وهو علاء الدّين شمس النظر أبو بكر محمّد بن أحمد السمرقندي، فنسب البغداديّ إلى الأوّل «تحفة الفقهاء» و«شرح التأويلات للماتريدي» و«ميزان الأصول في نتائج العقول» [هدية العارفين، ج 2، ص 92]؛ والتحقيق أنّها من تصانيف الثاني وآثاره [ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص 60؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 371؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص 267]. ونسب بروكلمان «مختلف الرواية» إلى الثاني [تاريخ الأدب العربي، ج6، ص297]. والصحيح أنّه كتاب للأوّل، واعتبر حاجي خليفة، وعمر رضا كحالة سنة (553 هـ) تاريخا لوفاة شمس النظر والواقع خلاف ذلك، لأن هذه السّنة هي إحدى الروايات لتاريخ وفاة محمّد بن عبد الحميد [كشف الظنون، ج 2، ص 1917؛ معجم المؤلفين، ج 8، ص 267].

والظاهر أنّ موجب هذا الاشتباه أمران أحدهما الاشتراك بينهما في اسم محمّد، وكنيتي أبي بكر وأبي حامد والنسبة إلى سمرقند [ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص 60؛ اللكنوي، الفوائد البهيّة، ص 158؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 371، ج 2، ص 1917؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج 2، ص 613؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ج 6، ص 296؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص 267]. الثاني: اشتهار محمد بن عبد الحميد الأسمندي بلقب «العلاء العالم» [ابن الجوزي، المنتظم، ج 18، ص 180؛ القرشي، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج 5، ص 243].

والأسمندي نسبة إلى أسمند، وهي قرية من قرى سمرقند. والأكثر على أنها بضمّ الهمزة [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 255؛ السيوطيّ، لبّ اللّباب، ج 1، ص 59؛ اللّكنوي، الفوائد البهيّة، ص 176]، وقال ياقوت الحمويّ «أسمند بالفتح ثمّ السكون وفتح الميم وسكون النّون ودال مهملة من قرى سمرقند، ويقال لها سمند بإسقاط الهمزة، ينسب إليها أبو الفتح محمّد بن عبد الحميد بن الحسن الأسمندي» [معجم البلدان، ج 1، ص 224]. وقال ابن الأثير: «هذه النسبة إلى أسمندوين قرية من قرى سمرقند» [اللّباب، ج 1، ص 59]، ونسبه

ابن الجوزيّ وابن تغري بردي إلى الريّ (والنسبة إليها الرّازي) [المنتظم، ج 18، ص 180؛ النجوم الزاهرة، ج 5، ص379].

ولد بسمرقند سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ السيوطي، طبقات المفسّرين، ص 35]، وهي مدينة مشهورة تقع خلف نهر جيحون على الضفّة الجنوبية، قيل إنّها من أبنية ذي القرنين، وقال الأزهريّ: بناها شمر أبو كرب فسمّيت شمر كنت فأعربت فقيل سمرقند، ويقال لها سمران [ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص279]، دخلها المسلمون لأول مرة صلحا في عهد معاوية سنة 55هـ، وتمّ فتحها سنة 93هـ في عهد الوليد بن عبد الملك بقيادة قتيبة بن مسلم [ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 281؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 79، ج 9، ص 58؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج 1، ص 166]، انتسب إليها جماعة من المحدّثين والفقهاء والنحاة مثل المحدّث أبي مقاتل حفص بن مسلم الفزاري المتوفّى في حدود 208 هـ، والفقيه الحنفي أبو الفضل محمّد بن صالح الكرابيسي المتوفى سنة 322 هـ، والنحوي محمّد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط المتوفى سنة 320 هـ [البغدادي، هدية العارفين، ج 5، ص 333، ج 6، ص31 و 33].

كان فقيها حنفيّا، وأصوليّا بارعا، ومناظرا حاذقا لقواعد الجدل [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 256؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 18، ص 180]. لمّا ورد بغداد حاجّا صحبة الشمس بن الحسام بن البرهان حدّث بها وناظر وفاق أهلها [القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 379]، وقيل بأنه كان شحيحا بكلامه، إذ كانوا يوردون عليه الأسئلة وهو عالم بأجوبتها فلا يذكرها شحّا لئلاّ يستفاد منه، وعلم ذلك منه علماء عصره [ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 379؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 348].

وما ذكروه يتعارض مع وصفه بالفضل والحكم بكونه من فرسان البيان؛ فكيف يضنّ بعلمه من أفنى عمره في الدرس والمناظرة والتأليف. وفي مقدّمة كتابه في أصول الفقه ما يدحض هذه الدّعوى، فقد قال: «وبعد فإنّي كنت جمعت طريقة الخلاف وأدرجت في أثناء مسائلها قدر ما يحتاج فيها من أصول الفقه على وجه الاقتصار والاقتصاد. ثمّ إنّ بعض الأعزّة من أصحابي لم يقنع بذلك وسألني أن أؤلف فيه جمعا مفردا يأتي على جميع أبوابها، وأستوفي الكلام في كلّ باب منها على الرّسم المعهود في مثله؛ فأجبتهم إلى ذلك وسألت الله تعالى التوفيق لإصابته الحقّ والعصمة من الخطأ إنه على ذلك قدير» [بذل النظر، ص 3]. فلو كان كما زعموا ما استجاب لهذه الدعوة، وقد قرأ عليه السمعاني أحاديث بقرية سيد على طرف البريّة عندما وافى مرو منصرفا من الحجاز والحجّ سنة 553 هـ [الأنساب، ج 1، ص 256] ولو كان كما قالوا لبخل عليه.

سمع أبا الحسن عليّ بن عمر الخرّاط [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 256؛

السيوطي، طبقات المفسّرين، ص 35]؛ وحدّث عن عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاريّ المعروف بالصدر الشهيد [القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 3، ص 218]، وتفقه بالسيّد الإمام أشرف العلويّ أحد الأيمّة المشهورين في الفروع والأصول [القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج 5، ص 243؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص56].

سمع أبو المظفّر عبد الرحيم بن أسعد عبد الكريم منه أحاديث [السمعاني، الأنساب، ج 1، ص 256؛ القرشيّ، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74-75؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص 56]، وروى عنه أبو البركات محمّد بن عليّ بن محمد الأنصاري قاضي أسيوط في مشيخته [الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 3، ص 218]؛ وتفقّه به أبو المظفّر جمال الإسلام أسعد بن محمد بن الحسين الكرابيسي النيسابوري مصنّف الفروق، وشيخ الإسلام نظام الدّين عمر بن شيخ الإسلام برهان الدين [اللّكنوي، الفوائد البهيّة، ص 176].

توفّي بعد ما تنسّك وترك المناظرة واشتغل بالخير [القرشي، الجواهر المضيّة، ج 2، ص 74؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 379]؛ واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة 552 هـ، وقيل سنة 553 هـ. والظاهر أنّ الرواية الثانية أرجح، إذ يعضدها ما ذكره السّمعاني في الأنساب من أنّه قرأ عليه أحاديث بقرية سبّد على طرف البريّة سنة 553 هـ [ج 1، ص 256].

وحاصل القول إنّه كان من كبار الحنفيّة الذين ساهموا بقسط وافر في إثراء المدوّنتين الأصوليّة والفقهيّة، وشهد له أهل عصره من العلماء بالسبق والفضيلة.

آثاره

أملى في التفسير، وصنّف في الكلام والأصول والفروع والخلاف العالي ما يؤذن برسوخ قدمه في هذه العلوم، وحذقه لقواعد الجدل وأصول الحنفية، 1 - فقد ألّف «بذل النظر في الأصول»، وهو كتاب نفيس يحتوي على أبواب عديدة يجمع كلّ واحد منها مسائل منتظمة، وقد اختلف منهج المؤلّف في معالجة الأبواب بحسب طبيعة القضايا، فإن كانت جليّة لا يجري فيها الاختلاف بين الأصوليين تناولها بأسلوب التقرير، وأتبعها بأمثلة من اللّغة أو الكتاب أو السنة، ومثال هذا الضرب قوله في صدر باب مسالك التعليل «اعلم أن طريق معرفة العلل الشرعية هو الشرع...» [ص 616]، وأما إذا كانت محلّ نزاع أورد مختلف الأنظار فيها، وسلك في ترجيح مذهبه أحد طريقين: الأوّل أن يحاور المخالفين ويسبر أقوالهم وأدلّتهم لينتهي إلى نقضها وإبطالها ثمّ يعمد إلى تقرير مذهبه، والتعليل له ومثاله ما ورد في طرق العلل المستنبطة «فقد تكلّم الناس فيها بعضهم اعتبر المشابهة... وبعضهم اعتبر الإخالة... وبعضهم اعتبر الاطّراد في جميع المعلومات وعندنا طريق معرفة العلّة المستنبطة ثلاثة أشياء: التأثير والملازمة بين الحكم والوصف، وإبطال جميع الأوصاف إلاّ الوصف الذي هو العلّة ونحن نبطل أقاويل

المخالفين، ثم نقرّر كلّ واحد من هذه الطرق الثلاثة...» [ص 620]. الطريق الثاني أن يستهلّ بنصرة مذهبه وإقامة الحجج على دعواه، ثمّ يعمد إلى إبطال أدلّة الخصم، ومثاله ما ورد في باب تعليل أصول العبادات والتقديرات فقد قال «اختلف الناس في إثبات أصول العبادات وغيرها من المقدّرات كالحدود والكفّارات بالقياس، فذهب الكرخيّ وجملة من المتكلّمين إلى المنع منه... وذهب الشافعيّ وأصحابه إلى جواز ذلك كلّه بالقياس، وحكي عن أبي يوسف رحمه اللّه أنّه قبل خبر الواحد في إثبات الحدود... والدلالة على صحّة ما ذهبنا إليه أنّ القياس إثبات الحكم بأمارة يغلب على الظنّ ثبوت الحكم بها إذا عرض على العقل... وأمّا المخالف فاحتجّ بقوله تعالى ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: 2] وغيره من الدلائل الموجبة للقياس على سبيل الإطلاق، والجواب أنّ هذه الدلائل تقتضي التعبّد بالقياس فيما تعرف علّة القياس فيه وأمكن تعديته فيه بالمشاركة في العلّة وهنا لا يمكن...» [ص 623-626]. والكتاب حقّقه وعلّق عليه محمّد زكي عبد البرّ وطبعته لأوّل مرّة مكتبة دار التراث - القاهرة، 1412 هـ/ 1992 م؛ 2 _ «طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف»، وهو مصنّف مفيد؛ جمع فيه المؤلف أكثر من مائتي مسألة فرعيّة مختلف فيها وزّعها على (32) كتابا. أوّلها كتاب الطّهارة، وآخرها كتاب الجنايات. وهو وإن حرّر بأسلوب جامع بين الدقّة والوضوح، ورتّبت مباحثه ترتيبا حسنا إلاّ أنّه يعرب عن نزعة مذهبية جليّة، فقد انتصر فيه الأسمندي لمذهبه الحنفيّ وتصدّى لدحض مستنبطات غيره مراعيا في ذلك قواعد الجدل والمناظرة. ولا غرو في هذا فقد ظهر في عصر نما فيه التعصّب وترسّخ، وعاش في بيئة اشتدّ فيها النزاع بين الحنفية والشافعية واستفحل، وقد سلك منهجا واضحا طرده في جميع المسائل مفاده أن يذكر الفرع ويعلّل قول الأصحاب فيه، ثم يورد اعتراضات المخالف، وهي قوادح راجعة إلى طريقي المنع والمعارضة؛ والمراد بالأول إنكار مقدمات الدليل كلاّ أو بعضا، وقد عدّه الحنفية أصل المناظرة، لكونه موضوعا على شكل النزاعات في الدعاوى المتعلّقة بالحقوق، وبالثاني التسليم بدليل الخصم ومعارضته بمثله أو بما هو أقوى منه. ثم يجيب المؤلّف عن تلك الاعتراضات بالمنع لينتهي إلى إثبات دعواه وتقرير مطلوبه، ومثاله ما جاء في المسألة الخامسة من كتاب الزكاة «مسألة لا تجب الزكاة في المال الضّمار وعنده تجب، والوجه فيه أن مال الضّمار ليس بنام، فلا تجب الزكاة فيه قياسا على ثياب البذلة... فإن قيل التعليل يشكل بالمال الموضوع في صندوقه، إذ نسيه حتّى حال الحول، وبالدين على المفلس المقرّ... ثم نقول لا نسلّم بأن دليل النماء هو القدرة على التجارة... ولئن سلّمنا أنّ دليل النماء هو القدرة ولكن لم قلتم بأنه لم توجد؟... ثمّ هذا معارض بقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [المعارج: 24]، وقوله عليه السّلام: «في الرقة ربع العشر»... الجواب: أما المال الموضوع في الصندوق فلا يرد نقضا... وأما الدّين على المفلس قلنا القدرة ثابتة ثمة في الجملة... قوله بأن دليل النّماء هو الصّلاحية للتجارة قلنا ليس كذلك، لأن الصّلاحية قد تفضي وقد لا تفضي... وأما

النصوص قلنا: هذه عمومات خصّت منها ثياب البذلة وبدل الكتابة وغيرها فيخصّ المتنازع فيه بما ذكر من الدليل» [ص16-17]؛ والكتاب حقّقه وعلّق عليه أيضًا محمّد زكي عبد البرّ، وطبعته لأول مرّة مكتبة دار التراث القاهرة؛ 3 ـ «مختلف الرواية» وهو مصنّف في الخلاف العالي، وقد أفصح المؤلّف عن الغرض من وضعه بقوله «قصدت فيه أن أكتب مسائل مختلف الرواية وأرسم لخلاف كلّ واحد من الأئمة بابا على الترتيب الذي رتّبه بعض أساتذتنا إلاّ أنّهم أوردوا الكتب كلّها في باب، وأنا أورد الأبواب كلّها في كلّ كتاب وأذكر في كلّ مسألة نكتة شافية وحجّة كاملة. أوّله الحمد لله المتفرّد بذاته...» [حاجّي خليفة، كشف الظنون، ج 2، ص 1636]؛ 4 ـ «التعليقة» المعروفة بالعالم [القرشي، الجواهر الثّمينة، ج 2، ص 74؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص 56]؛ 5 ـ «المعترض والمختلف» [ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 379؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 348]. وقد ذكر له البغدادي كتبا أخرى منها: 6 ـ «حصر المسائل وقصر الدلائل في شرح منظومة النّسفي»؛ 7 ـ «شرح الهداية للصابوني»؛ 8 ـ «شرح عيون المسائل» [هدية العارفين، ج 2، ص 92].

المصادر والمراجع

● الأسمندي، أبو الفتح محمد بن عبد الحميد (ت 553 هـ)، بذل النظر في الأصول، تح. محمد زكي عبد البرّ، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط 1، 1412 هـ/ 1992 م، ص 616، 620، 623، 626؛ ● م. ن، طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمّة الأسلاف، تح. محمد زكي عبد البرّ، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط 1، ص 16-17؛ ● السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم التميمي (ت 562 هـ)، الأنساب، تح. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمالي، بيروت لبنان، ط 2، 1400 هـ/ 1980 م، ج 1، ص 255-256؛ ● ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ)، المنتظم، تح. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ط 1، 1412هـ/ 1992 م، ج 18، ص 180؛ ● ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت 626 هـ)، معجم البلدان، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1410 هـ/ 1990 م ج 1، ص 224، ج 3، ص279، 281؛ ● ابن الأثير، عز الدين (ت 630 هـ)، الكتاب في تهذيب الإنسان، دار صادر، بيروت، 1400 هـ، 1980 م، ج 1، ص 59؛ ● القرشي، أبو محيي الدين (ت 775هـ)، الجواهر المضيّة، ط1، 1332هـ/ 1972م، ج 2، ص 74 - 75؛ ● الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ)، الوافي بالوفيّات، تح. محمد بن الحسين بن عبد الله ومحمّد بن عبد الله الشبلي، ط2، 1394 هـ/ 1974م، ج 3، ص218؛ ● ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ببيروت، ط 1، ج 6، 1385 هـ / 1966 م، ج8،

ص79، ج 9، ص58؛ ● ابن حجر، أبو الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 2، 1390 هـ/ 1971م، ج 5، ص 243؛ ● ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين قاسم (ت 879 هـ)، تاج التراجم في طبقات الحنفيّة، مطبعة العاني، بغداد 1382 هـ/ 1962 م، ج5، ص 379؛ ● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، تح. محمد أحمد عبد العزيز، وأشرف عبد العزيز، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ج 1، ص 59؛ ● م. ن، طبقات المفسرين، طهران 1380 هـ/ 1960 م، ص 35؛ ● ابن العماد، أبو الفلاح شهاب الدين (ت1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ج 6، ص 348؛ ● اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي (ت 1304 هـ)، الفوائد البهيّة في تراجم الحنفيّة، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، مطبعة السعادة مصر، ط 1، 1324 هـ/ 1906م، ص 158، 176؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد الدين بالتقايا، وكالة المعارف 1362 هـ/ 1943م، ج2، ص1917؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت 1339 هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، وكالة المعارف، إستانبول 1375 هـ/ 1955م، ج 2، ص 92، ج5، ص 333، ج 6، ص 33-31؛ ● م. ن، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا، وكالة المعارف استانبول 1364 هـ/ 1945 م، ج 2، ص613؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، مطبعة الترقي، دمشق 1376 هـ/ 1956م، ج8، ص277؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجّار، دار المعارف 1397 هـ/ 1977م، ج 6، ص 296-297؛ ● م. ن. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكّي، دار العلم للملايين - بيروت، ط 1، 1367 هـ/ 1948م، ج 1، ص 166.

د.برهان النفاتي
جامعة الزيتونة ـ تونس

الإسنوي، أبو محمد جمال الدين، عبد الرحيم

(704 هـ/1305 م - 772 هـ /1371 م)

اسمه عبد الرحيم بن الحسن بن علي، الشيخ جمال الدين أبو محمد الإسنوي نسبة إلى «إسنا» وهي مدينة بأقصى صعيد مصر واقعة على الضفة الغربيّة من النيل. ولد ونشأ بها، وقضى طفولته، فحفظ في رحاب مسجدها القرآن وكتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في فقه الإمام الشافعي، وتوفي والده سنة 718 هـ. وحين بلغ السابعة عشرة من عمره وكان ذلك سنة 721 هـ غادر الصعيد متجها إلى القاهرة للأخذ عن علمائها. وقد شغف في بداية الطلب بعلمي الأصول والنحو، وسرعان ما تفوّق فيهما، قال في ذلك: «وقد اعتنيت قديمًا بهذين العلمين بخصوصهما وصرفت لهما - مدة مديدة - همّتي، وأسهرت فيهما - ليالي طويلة - مقلتي؛ حتى أنصبتُ للإقراء فيهما ولي من العمر دون العشرين سنة. وكان نظري في العلمين المذكورين يغلب على نظري في علم الفقه» [الإسنوي، نهاية الراغب، مقدمة التحقيق، ص 9- 10].

أخذ الإسنوي النحو عن أبي الحسن النحوي (ت 724 هـ) وعن أثير الدين الشهير بأبي حيّان النحوي (ت 745 هـ) صاحب شرح التسهيل وعليه قرأ كتاب التسهيل للإمام ابن مالك فكتب له في إجازته: قرأ عليّ الشيخ فلان كتاب التسهيل، ثم قال له منوّها بصغر سنه «لم أشيّخ أحدا في سنّك». وذكر أوّل أمره حتى أقرأه وله نحو العشرين سنة [السيوطي، بغية الوعاة، ج 2/ 92].

أما علم الأصول فقد تلقّاه عن العلمين بدر الدين التّستري (ت 732هـ)، وعلاء الدّين القونوي (ت 729 هـ) شارح الحاوي الصغير، قال عنه الإسنوي: «كان القونوي أجمع من رأيناه للعلوم مع اتّساع فيها، خصوصًا العلوم العقلية واللغوية، ولا يُشار بها إلاّ إليه، ولا يُحال فيها إلاّ عليه» [الإسنوي، نهاية الراغب، مقدّمة التحقيق ص 13].

وسمع الحديث عن أبي النون الدبابيسي (ت 729 هـ)، وأبي الفضل الصابوني (ت739 هـ). وتفقّه عن قطب الدين السنباطي (ت 722 هـ)، ومجد الدين الزنكلوني (ت 740 هـ)، وجلال الدين القزويني (ت 739 هـ)، وتقي الدين السبكي (ت755هـ).

تضلّع الإسنوي في العلوم التي تلقّاها عن شيوخه، وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في الديار المصرية، وجلس للتدريس والإفتاء في سنّ مبكّرة، وولي الحسبة ووكالة بيت المال مكرها، ثم تركهما ليتفرّغ للتدريس والتأليف بقيّة حياته.

وانتهج الشيخ جمال الدين في التدريس سبيل النصح والتودّد والتواضع، وأخذ بيد الضعاف

من تلاميذه، فأدناهم منه، وبسّط لهم المسائل وذلّل الصعوبات، وظلّ محافظا مع ذلك على فصاحة العبارة وحلاوة المحاضرة. ويبدو أنّه كان متأثرا في هذا النهج التعليمي بشيخه القطب السنباطي الذي يقول عنه: «كان إمامًا حافظا للمذهب، عارفا بالأصول، ديّنا، خيّرا، سريع الدمعة، متواضعا، حسن التعليم، متلطّفا بالطلبة» [الإسنوي، نهاية الراغب، مقدمة التحقيق، ص 11].

وتذكر كتب التراجم كثيرًا من تلامذة الإسنوي في فروع العلم التي أجادها، وهي الفقه والحديث والأصول والنحو. وقد أثبت محقق نهاية الراغب في مقدّمة التحقيق أسماء واحد وعشرين منهم، نذكر من بينهم أحمد البلبيسي (ت779هـ)، وجمال الدين الأسيوطي (ت790هـ)، وسراج الدين البلقيني (ت791هـ)، وبدر الدين الزركشي (ت794هـ)، وبدر الدين الطنبُذي (ت809هـ)...

آثاره

خلّف الإسنوي كثيرًا من المؤلفات في الفقه والأصول والنحو والعروض، نُفض غبار النسيان عن بعضها وطُبع، ومازال أكثرها إمّا مخطوطًا في خزائن دار الكتب المصرية أو ضائعًا لا يُعرف له أثر. وبلغت مؤلّفاته حسب إحصاء الباحث شعبان صلاح ثلاثة وعشرين مؤلّفا نذكر المطبوع منها أوّلا:

1 - نهاية السّول في شرح منهاج الأصول؛ ومنهاج الأصول لناصر الدين البيضاوي (ت 685 هـ). نشرت الكتاب جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة في أربعة مجلّدات. صدر الأوّلان سنة 1343 هـ والثالث والرابع سنة 1345 هـ. ومع الكتاب حواشيه المسمّاة «سلّم الوصول بشرح نهاية السّول» للشيخ محمد بخيت؛ 2 - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول. طُبع بالمطبعة الماجدية بمصر سنة 1353 هـ، ثم نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت، بتحقيق الباحث محمد حسن هيتو سنة 1400 هـ/ 1980م؛ 3 - الكوكب الدريّ في تنزيل الفروع الفقهية على القواعد النحوية. وهو كتاب ممزوج من فنّي الفقه والنحو، بيّن فيه الإسنوي كيفية تخريج الفقه على المسائل النحوية، ورتّبه على أربعة أبواب، **الأوّل** في الأسماء، **والثاني** في الأفعال، **والثالث** في الحروف، **والرابع** في التركيب والمعاني المتعلّقة بها. قام بتحقيقه ودراسته الباحث محمد حسن عوّاد في رسالة لنيل درجة الدكتورا من جامعة عين شمس وطبعه سنة 1405هـ/ 1985م؛ 4 - طبقات الشافعية. تح. عبد الله الجبوري، وطبعه في بغداد سنة 1390 هـ/ 1970 م؛ 5 - نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب. وهو شرح لمنظومة ابن الحاجب «المقصد الجليل في علم الخليل». تح. شعبان صلاح، ونشر دار الجيل، بيروت (د. ت).

- أمّا غير المطبوع فكثير، ذكرت منه كتب التراجم:

6 - الفروق في فرع الشافعية؛ 7 - شرح أنوار التنزيل للبيضاوي والزيادة عليه؛ 8 - المهمات الغامضة في الأحكام المتناقضة؛ 9 - نزهة النواظر في رياض النظائر؛ 10 - الجامع؛ 11 - شرح ألفية ابن مالك؛ 12 - الأشباه والنظائر...

المصادر والمراجع

● الإسنوي، جمال الدين، نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، تح. شعبان صلاح، مقدمة التحقيق، ص 9-45، دار الجيل، بيروت؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 6/ 223-224، تر. رقم 6619، سلسلة ذخائر التراث العربي منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ج. 2/ 92، ترجمة رقم 1518، ط 2، سنة 1399 هـ/ 1979 م، دار الفكر؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 484-485، 11/ 1258-1523، إستانبول 1941؛ ● الزركلي، الأعلام، ج. 3/ 344 ط.7 سنة 1986، دار العلم للملايين، بيروت؛ ● الشوكاني، البدر الطالع، دار المعرفة، بيروت؛ ● مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية، ج 8/ 63، الهيئة المصرية العربية للكتاب، 1980.

الشاذلي الهيشري
الجامعة التونسية

الإسنوي، محمد بن أحمد بن علي

(... هـ / ... م - 763 هـ / 1361 م)

محمد بن أحمد بن علي بن عمر شمس الدين الإسنوي، نحوي محدث

لا نجد حوله في المصادر سوى إشارات مقتضبة، لعله ولد بإسنا وهي مدينة في الصعيد المصري بين الأقصر وأدفو، وهو من عائلة علم ينتسب إليها عدد من أعلام مصر في القرنين السابع والثامن ومنهم محيي الدين سليمان بن جعفر وكان ماهرا في الجبر والمقابلة، ومحمد بن الحسن بن علي وهو فقيه أصولي، وجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن وهو أيضا فقيه أصولي ونحوي وصاحب طبقات الشافعية [السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 429]، ويعرّف وهو أشهر أفراد هذه الأسرة، ويعدّ محمد بن أحمد عند بعض من ترجم له بأنه «ابن عم الشيخ جمال الدين» [شذرات الذهب، 6/ 198].

وتذكر بعض المصادر من أفراد هذه الأسرة نجم الدين محمد بن ضياء الدين بن أحمد بن عبد القوي الإسنوي، وتشير إلى أنه ألّف في علوم متعددة [حسن المحاضرة]، ومما يبعث على التساؤل عن هوية هذا العلم أنه توفي حسب هذه المصادر في ذي الحجة سنة 763 هـ وهو تاريخ وفاة علمنا، لكنه لقب بنجم الدين، ومما يلفت الانتباه أن السيوطي ترجم في بغية الوعاة لمحمد بن أحمد هذا بدون أن يورد لقب شمس الدين [1/ 35]، بينما ترجم ضمن أفراد أسرة الإسنوي لنجم الدين: فهل

هما شخصان توفيا في نفس الشهر والسنة أم شخص واحد اختلف في بعض عناصر اسمه؟

لا نعرف شيئا عن تكوين علمنا وعن شيوخه، ويمكن أن نستنتج من العناوين الواردة في المصادر عن مؤلفاته أنه تضلّع خاصّة في النحو والحديث: ولا نعرف كذلك شيئا عن تلامذته، وتكتفي المصادر بالإشارة إلى أنه أقام بإسنا مدة اشتغل بها، ثم جاور بالمدينة سنة وبمكة سنة إلى أن توفي بها، وقد اعتبر عالما بارعا و«أحد العلماء العاملين» [شذرات الذهب].

آثاره

ذكرت له المصادر ثلاثة مصنفات كلها شروح لمؤلفات في النحو والحديث وهي:

1 - شرح ألفية ابن مالك؛ 2 - شرح مختصر مسلم؛ 3 مختصر الشفا.

المصادر والمراجع

● ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة 3/ 432؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384 هـ/ 1964م، 1/ 35؛ ● م. ن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة؛ تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، 1/ 429؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، 6/ 198؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى ببيروت، ص 153، 558، 1053؛ ● كحالة، رضا، معجم المؤلفين، دمشق، 8/ 297.

د. عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية

أبو الأسود، الدؤلي

(... هـ / ... م - 69 هـ / 688 م)

ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الدؤلي، لغوي راوية يُنسب اليه نقط المصحف ووضع النحو، يرجع نسبه إلى الدئيل بن بكر بن كنانة، لا تذكر المصادر سنة ولادته ومكانها، لكن إذا اعتبرنا أنه حسب ابن خلّكان [وفيات، 2/ 539] وحسب أكثر المصادر، توفّي سنة 69 للهجرة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة فإنه يمكن أن نفترض أنه ولد سنة ستّ عشرة قبل الهجرة (606 م)، وقد يكون ولد قريبا من مكة باعتبار أن أباه عمرو بن سفيان شارك في محاربة المسلمين ببدر، ومعلوم أنّ المحاربين في هذه الوقعة قدموا من مكة وضواحيها، ومن ناحية أخرى فإنه أسلم حسب أغلب الروايات في حياة الرسول وإن كان لم يره بل يعتبر من التابعين [بغية الوعاة، 1/ 22]، ويستفاد من خبر جاء في الأغاني في

ترجمة أبي الأسود [12/ 300] أنه أتى المدينة والتقى بعمر بن الخطاب.

قد يكون أخذ علم الفقه والنحو عن علي بن أبي طالب، وروى عنه وعن عمر بن الخطاب، ومعاذ، وأبي ذر، وابن مسعود، والزبير، وأُبَيّ بن كعب، وعمران بن حصين، وابن عباس وغيرهم [الإصابة، 3/ 561؛ إنباه الرواة 1/ 340؛ معجم الأدباء، 12/ 34؛ الديوان، ص 23].
وروى عنه ابنه أبو حرب، وعبد الله بن بُريدة، وعمر مولى عفرة، وسعيد بن عبد الرحمن بن رقيش [الإصابة، 3/ 561].
وممّن تتلمذ عليه في النحو والعربية: ابنه أبو حرب، وعبد الرحمن بن هرمز، وعنبسة الفيل، وميمون بن الأقرن، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر [السيرافي، أخبار النحويين، ص22؛ إنباه الرواة، 1/ 340؛ النديم، الفهرست، ص 46 - 47؛ معجم الأدباء، 12/ 34]. بعد زيارته المدينة المنوّرة انتقل إلى البصرة وقد يكون ذلك بعد العام الثامن عشر للهجرة [د. فتحي الدجني، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، ص 109]. وخلافا لبعض المعلومات حول أبي الأسود أثناء خلافة عمر وعثمان أي من سنة 13 إلى سنة 35 هـ، لم يكن سبب انتقاله تولي خطة من الخطط. على أنه يبدو أنه كانت له علاقة ودّ بعامل عثمان على البصرة عبد الله بن عامر قبل أن يحدث جفاء بينهما حسب ما يستنتج من أبيات شعر قالها في ذلك [ديوان أبي الأسود، ص 61].
وتتّضح ملامح حياته بعض الشيء في خلافة علي بن أبي طالب، فقد توفّرت بعض الأخبار المتعلّقة به وإن كانت لا تخلو من التناقض أحيانا، فمنها ما يشير إلى أنه قام بدور الوسيط في وقعة الجمل [الطبري، تاريخ، ج 3، ص 479] ومنها ما يؤكّد مشاركته في معركة صفّين [معجم الأدباء، ج 14، ص 34؛ وفيات الأعيان، ج 1، ص 24]، ويشير الشريف المرتضى إلى أنه نصح عليا ألاّ يقبل موسى الأشعري حكما [الأغاني، ص 292] «... وعلى كل فإنه كان من وجوه شيعة علي» [الأغاني، 12/ 297] فوُلّي القضاء بالبصرة عندما كان عبد الله بن عباس عاملا عليها فكان يستخلفه كلّما غادر البصرة في شأن من شؤونه، لكن ذلك لم يمنع أبا الأسود الدؤلي -عندما تصرف عبد الله بن عباس، على ما يبدو في شيء من مال بيت المال وغادر البصرة إلى المدينة، من أن يتبعه ليرده إلى رشده. وتشير الأخبار إلى أنّ عليا عين أبا الأسود بعد ذلك عاملا على البصرة [م.س].
وبعد مقتل علي بقي أبو الأسود وفيا له و«من المتحققين بمحبته ومحبّة ولده» [السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص 14] ممّا قد يكون جلب له بعض الأذى. وفي عهد الدولة الأموية وبالتدقيق خلال خلافة معاوية زال ما كان له من الحظوة، على أنه لا يبدو أنّ معاوية عامله بجفاء بل استرضاه [القفطي، إنباه الرواة، ج 1، ص 23] وقرّبه، وتشير بعض الأخبار إلى أنّه جالسه [الأغاني، 12/ 309؛ أمالي المرتضى، ص 92]، كما كانت له علاقة بعامل االبصرة زياد بن أبيه بعد جفاء، ومن الروايات ما يشير إلى أنّ زيادًا هذا هو الذي أمره بنقط الصحف، ومنها ما يشير إلى أنه أمره بوضع النحو.

أما حياته الخاصّة فليس لدينا معلومات دقيقة حولها سوى أنه تزوّج أربع نساء وأنّه ترك ولدين وعدداً من البنات. وتشير الأخبار إلى أنّه كان رجلا بخيلا شجاعا، وينسب أبو الفرج الأصفهاني قولا للجاحظ يفصل فيه علمه ويعدد خصاله وعيوبه: «أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدودا في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والفرسان والأمراء الدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلع الأشراف والبُخر الأشراف» [الأغاني، 2/ 299؛ الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 324].

ومهما كان الدور الذي اضطلع به أبو الأسود في خلافة علي فإن مكانته في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية راجعة أساسًا إلى ما يمكن أن تكون مساهمته في وضع النحو العربي، لقد اختلفت الروايات في شأن نشأة النحو العربي فنسب وضعه إلى علي بن أبي طالب تارة وأبي الأسود الدؤلي تارة أخرى وإلى نصر بن عاصم الليثي أو عبد الرحمان بن هرمز تارة ثالثة [أخبار النحويين، ص 13]، على أنّ أكثر الروايات تنسب وضعه إلى أبي الأسود الدؤلي، ولئن روي أن واضعه هو علي بن أبي طالب فإن الروايات المعنية لا تنفي مساهمة أبي الأسود في رسمه إذ تشير إلى أنه أخذ أسسه أو حدوده عن علي [الأنباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، ص 4]، كما تشير مختلف الروايات إلى أنّ الداعي إلى وضع النحو هو تفشّي اللحن وصيانة القرآن منه [الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 89؛ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/ 83]، وقد شكّ عدد من الدارسين المحدثين في أن يكون علي بن أبي طالب أو أبو الأسود هو واضع النحو كما تصوّره الروايات المذكورة أي علما قائما على التبويب والتفريع وتحديد جانب من أمّهات المفاهيم ومصطلحاتها بالإضافة إلى أنه لا يستبعد أن تكون قضية نشأة النحو قد تأثرت بالخصومات السياسية وخاصة بالاتجاه الشيعي.

ولئن كان من العسير أن يعتبر أبو الأسود واضعا لنحو مبوّب مفرّع بما يقتضي ذلك من اصطلاح وتحديد، فإنّ الرجل عاش في فترة تضافرت فيها العوامل المهيئة لتمخّض علوم اللسان، الداعية إلى تناول اللغة بالضبط، وهي عوامل دينية تتمثّل أساسا في توحيد النص القرآني شرط تمهيد الطريق إلى ضبطه الدقيق، وتيسير تلاوته، وعوامل اجتماعية ناجمة عن اختلاط العرب بغيرهم ممّن اعتنقوا الإسلام ممّا اقتضى توفير وسائل تعلّم العربية للمسلمين من الأجناس الأخرى، ولا يكاد يوجد خلاف حول دور أبي الأسود في نقط المصحف أي تزويده بالحركات والسكنات الضامنة للتلاوة الصحيحة، وقد عرف بأنه كان يجيد قراءة القرآن. وإذا كان للرواية والذاكرة دور عام في نقل النصّ القرآني وضبطه فان نقطه لمما يحمل من يقوم بذلك على إدراك ما تتّسم به الأبنية والتراكيب من انتظام نتيجة تماثل السياقات وتناظر الدلالات، ولا يخفى أنّ الوعي بالانتظام من شأنه أن يفضي إلى الوقوف على الظواهر العامة ويمكّن من المبادرة إلى محاولة تقعيدها: فمن الطبيعي إذن أن يكون لأبي

الأسود الدؤلي بفضل قيامه بنقط المصحف دور في تمهيد الطريق إلى الدراسات النحوية بل ليس من المستبعد أن يكون «أول من وضع في النحو كلاما» على حدّ تعبير ابن النديم [الفهرست، ص 66] ولا شك أننا لا نجد في أقدم ما لدينا من الوثائق النحوية أي كتاب سيبويه إحالات على أقوال أبي الأسود ونقلا لآرائه، لكن ينبغي أن نسجّل ما أشار إليه ابن النديم من أنه وقف على أربع أوراق في النحو لأبي الأسود ممّا يدلّ على أنّ الرجل تجاوز الوعي بما في النصوص من نحو ضمني إلى التصريح به ولو في شكل ملاحظات بسيطة وفي إيجاز شديد.

ولعلّ دور أبي الأسود في تاريخ علوم اللسان لا يمكن فصله عن دور أربعة أعلام يُعدّون من أصحابه أو تلامذته وهم نصر بن عاصم (ت 89 هـ / 707 هـ)، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ويحيى بن يعمر. فمنهم من ينسب إليه نقط المصحف ومنهم من قام بإعجامه أي التمييز بالنقط بين الأحرف المتماثل شكلها، بل منهم من يعتبر «أوّل من وضع العربية» وهو نصر بن عاصم [أخبار النحويين، ص 20] تارة، وعبد الرحمان بن هرمز تارة أخرى [نفسه، ص 22] فهؤلاء مع أبي الأسود يمثّلون جيلا بادر بلا شك إلى النظر في النصوص وخاصّة القرآن لضبط رسمه، ووفّر المواد الأولى والمنطلقات التي ستستغلها الأجيال الموالية وتبني النحو على أساسها، ويمثّل أصحاب أبي الأسود المذكورين حلقة وصل بينه وبين الجيل الموالي الذي أشهر أعلامه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (117 هـ / 735 م)، وأبو عمرو بن علاء (154 هـ / 770 م)، وعيسى ابن عمر الثقفي (149 هـ / 766 م)، وهو الجيل الذي يعتبر قد فصّل النحو شيئا ما، وشرح العلل، ووضع بعض المصنّفات في هذا الفن وإن كنا لا نعرف عنها شيئا بل لا يكاد يعرف عنها شيئا أصحاب كتب التراجم.

ولئن كنا لا نعرف شيئا عما يكون الدؤلي قد صنّفه في المجالات التي اشتهر بها أي النحو وضبط المصحف فقد سلم من الضياع شعره، وتتميّز تجربة الدؤلي الشعرية بأنها تتجاوز أغراض الشعر العربي التقليدية، فلم يتغزّل ولم يرث أو يمدح إلاّ نادرًا وبما يتناسب وعقيدته الشيعية، فله خمسة أبيات في مدح الإمام علي [شعر رقم 64]، وله تسعة أبيات في رثاء الحسين [رقم 66]، وثمانية أبيات في بني هاشم [رقم 67]. وكان مصاحبا للإمام علي محبًّا لأهل بيته. وكان بنو قشير --جيرانه وأصهاره- يرجمونه بالليل لحبّه لعلي، فإذا ذكر لهم رجمهم قالوا: إنّ الله يرجمك فيقول لهم: «تكذبون لو رجمني الله أصابني ولكنكم ترجمون فلا تصيبون». فهجاهم، مؤكدا حبه لعلي وآله [نزهة الألبّاء، ص19]: [الوافر]

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ:
طِوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيًّا
فَقُلْتُ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَكُونُ تَرْكِي
مِنَ الأَشْيَاءِ ما يَقْضِي عَلَيَّا

وله شعر في العتاب والهجاء وتضمن هجاؤه نقدًا اجتماعيا. فقد جعل شعره مرآة لواقعه، وانعكاسا لأحداث حياته وتجاربه فيها، فربط بين الفن وواقع الذات الشاعرة، وهذا ما

نفتقده في شعر الأقدمين. ويمثّل الهاجس الأخلاقي محورًا هامًا في شعره إذ تبرز فيه القيم الاجتماعية التي يتبنّاها، والفلسفة التي يبني عليها سلوكياته القائمة على التشبث بالثوابت الأخلاقية ويجعل الدين والشخصية المتّزنة وقيمها الأصيلة هي المرجعية الدافعة للتشبّث بالمبادىء الخلقية.

فمن شعره في الهجاء: [الطويل]

وخبٌّ لُحُومُ الناسِ أكْثَرُ زادِهِ
كَثِيرُ الخَنَا بعْدَ المحالةِ هَمَّاسِ
تَرَكْتُ لَهُ لَحْمِي وأبْقَيْتُ لَحْمَهُ
لِمَنْ نابَهُ مَنْ حاضِرِ الجِنِّ والناسِ

وكان يعيب مخالفة القول للفعل، هجا رجلاً فقال: [الطويل]

لِسانُكَ مَعْسُولٌ فأنْتَ مُمَزَّجٌ
ونَفْسُكَ دُونَ المالِ صابٌ وحَنْظَلُ
نَعَمْ مِنْكَ لا مَعْرُوفةٌ غَيْرَ أنَّها
تَغُرُّ ويَرْجُوهَا الضَّعِيفُ المُغَفَّلُ

[الديوان ، ص174]

وتبرز في شعر الدؤلي نزعة تربوية تأخذ طابع الوعظ الأخلاقي، يقول ناصحًا: [رمل]

حَقِّقِ القَوْلَ إذا ما قُلْتَهُ
واحْذَرَنْ مَخْزاتَهُ في المَجْمَعَهْ
لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خُلَّبًا
إنَّ خَيرَ البَرْقِ ما الغَيْثُ مَعَهْ

وينزع الدؤلي منزعا تأمليًا فيذم الدنيا ومجانبة الحق والصواب: [الطويل]

ولَمْ أرَ كالدُّنْيَا بِها اغْتَرَّ أهْلُهَا
ولا كاليَقينِ اسْتَوْحَشَ الدَّهْرَ صاحِبُهْ

[الديوان، 165]

وينعى على الشباب لما فيه من نزق وإقبال على الذنوب: [الطويل]

غَدَا مِنْكَ في الدُّنْيَا الشَّبابُ فأسْرَعَا
وكانَ كَجارٍ بانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا
فقلتُ لهُ: فاذْهَبْ ذَمِيمًا فَلَيْتَني
قَتَلْتُكَ عِلْمًا قَبْلَ أن تَتَصَدَّعَا
جَنَيْتَ عَلَيَّ الذَّنْبَ ثُمَّ خَذَلْتَني
عَلَيْهِ فَبِئْسَ الخَلَّتانِ هُمَا مَعَا

[الديوان، ص169]

ولتوجهه العقلي برزت الحكمة في شعره، وهي حكمة استمدّها من تجربته في الحياة وخبرته فيها، ومن تقديره للعقل الذي يجلّه: [الطويل]

إذا لَمْ يكُنْ لِلمَرْءِ عَقْلٌ فإنَّهُ
وإنْ كانَ ذَا مالٍ عَلَى الناسِ هَيِّنُ

[الديوان، ص373]

وجعل العلم محورًا في حياته، وتجاربه وعلاقاته مصدرًا معرفيا يستخلص منه الخبرة: [الكامل]

وبَلَوْتُ أخْلاقَ الرِّجالِ وفِعْلَهُمْ
فَشَبِعْتُ عِلْمًا مِنْهُمُ وتَجارِبَا

[الديوان، ص 52].

آثاره

ليس لدينا مصنّفات تذكر في شتّى العلوم

يرجع عهدها إلى القرن الأوّل فلا يمكن والحالة هذه الحديث عن آثار لأبي الأسود سوى ديوان شعر مما يبوّئه مكانة بين الشعراء لا بين النحّاة.

عني بشعر الدؤلي كبار علماء اللغة وأشهر رواة الأدب، لما فيه من فصاحة ولغة نقية، ولما فيه من شواهد يستدلّ بها علماء اللغة والنحو والقراءات، وصنع شعره كل من أبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ / 770 م)، والأصمعي (ت 210 هـ / 525 م)، والسكري (ت 288 هـ / 900 م)، ورواه عن محمد بن حبيب (ت 245 هـ / 859 م)، وعرضه على كتاب أبي عمرو، وقرأه على أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ / 903 م) [الديوان، ص 24 و26]. كما عني أبو الفتح بن جني (ت 392 هـ / 001 1م) بشعر الدؤلي عناية خاصة، فجمع ما صحّت روايته، ونسخ لنفسه نسخة علق عليها وأصبحت مصدرًا فيما بعد، فقد نسخ عنها عفيف بن أسعد نسخة لنفسه، وغدت هذه النسخة أصلاً للكثير من النسخ التي وصلتنا [الديوان، ص 25]. حديثا حقّق الديوان كل من عبد الكريم الدجيلي ونشره في بغداد عام 1954 م، ومحمد حسن آل ياسين وطبع في النجف عام 1954 أيضًا، ثم طبع عدة طبعات [عزيزة بابتي، معجم الشعراء المخضرمين، ص 24-26]. وطبع أخيرًا طبعة مزيدة ومنقّحة عام 1982 ونشرته دار ومكتبة الهلال ببيروت. وتضمّنت هذه النسخة ديوان الدؤلي صنعة السكري، وشعر أبي الأسود برواية ابن جني، واشتمل على الشعر الثابت النسبة والمشكوك فيه، وملاحق احتوى الملحق الأوّل على ما بقي من شعر الدؤلي صنعة الأصمعي، والملحق الثاني ما بقي من أخبار الدؤلي برواية أبي عبيدة، والثالث ما بقي من كتاب الدؤلي تصنيف علي بن محمد المدائني (ت215 أو 224 هـ/ 830 أو 838م).

المصادر والمراجع

● أبو الطيب اللغوي، تح. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة؛ ● السيرافي، أبو سعيد، تح. فريتز كرنكو، بيروت، 1936؛ ● ابن النديم، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1373 هـ / 1954م؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج12، مصوّر عن طبعة دار الكتب؛ ● الطبري، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، 1357 هـ / 1939 م؛ ● الأنباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة؛ ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج 12، مطبعة دار المأمون؛ ● القفطي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ج 1، 1369 هـ / 1950 م؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج 2، تح. إحسان عباس، بيروت؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1384 هـ / 1965 م؛ ● م.ن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 2، تح. محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة؛ ● د.الدجني، فتحي عبد الفتاح، أبو

الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974 م؛ ● د. أبو المكارم، علي، تاريخ النحو العربي حتّى أوائل القرن الثاني الهجري، القاهرة 1391 هـ / 1971 م؛ ● ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف بمصر، 1968 م؛ ● د. السيد عبد الرحمان، مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطوّرها، دار المعارف بمصر، 1968 م؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، 1961؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. جديدة، المجلّد1، فصل أبو الأسود الدؤلي.

د. عبد القادر المهيري
جامعة منوبة - تونس
د.أنيسة أحمد خليل المنصور
جامعة البحرين

الأسود الغندجاني، الحسن بن أحمد بن أبي محمد

(.... هـ / .... م - نحو 430 هـ/ 1040 م)

الأسود الغندجاني لقب العالم اللغوي الأديب الأحسن بن أحمد بن أبي محمد الأعرابي، لم تعرف سنة ولادته ولا سنة وفاته، وإنّما استخلصت سنة وفاته على وجه التقريب من طُرّة أحد كتبه، وغَنْدَجان التي نُسب إليها الأعرابي، وصفها ياقوت بقوله: «بلد قليل الماء، لا يخرج منه إلاّ أديب أو حامل سلاح»، وذكره الفيروزآبادي في القاموس، فقال: «غَنْدجان، بالفتح، بلد بفارس بمفازة معطشة». ولُقب الغندجاني بالأسود لأنّه كان، فيما ذكر، يتعاطى تسويد لونه ويدهن وجهه بالقطران ويقعد في الشمس ليحقّق لنفسه لقب الأعرابي.

كان الغندجاني أديبًا وعالمًا بالعربية والأنساب وأيام العرب، راويًا لأشعار العرب وأخبارها، واقفًا على مواطن العرب وشعابها. وقد أخذ علمه عن عالم اسمه محمد بن أحمد وكنيته أبو الندى، وهو يروي عنه في كثير من مرويّاته، ولم يعرف ياقوت هذا العالم فقال: «رجل مجهول لا معرفة لنا به». والغريب أنّ ياقوتا نفسه ترجم لأبي الندى في [معجم الأدباء، الجزء الخامس، ص2319] وأورد نبذة من أخباره تدلّ على سعة اطّلاعه على أشعار العرب. وجاء في هذه الترجمة أنّ أبا الندى أقام في البادية سنوات عدّة، وعاد يروي ويُخبر، وكان له ابن فأخذ يطليه بالزيت ويقفه في شمس القيظ بغندجان وهي حارة جدًا، ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتّى مات ذلك المسكين. وخبر القعود في الشمس مذكور في مصادر أخرى منسوبا إلى الغندجاني نفسه.

عاصر الغندجاني دولة بني بويه وعاش في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام بن مافنّة، وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، صاحب شيراز، وكان إذا صنّف كتابًا جعله باسمه، فكان الوزير يغدق عليه صلاته، فأثرى وعاش في رغد وبحبوحة بفضل ما نال من الوزير.

أُخذ على الغندجاني تعرّضه بالنقد لعلماء العربية والأدب المشهورين السابقين عليه، وقد ألّف كتبًا عدّة في الردّ عليهم وتخطئتهم.

أدّى تعرّض الغندجاني لأئمّة النحو واللغة والأدب إلى نقد طائفة من العلماء له، وممّن تصدّى له الشاعر أبو يعلى بن الهبّارية (ت509 هـ)، فقد ذكر ياقوت أنه كان يعيّره ويقول: «ليت شعري من هو هذا الأسود الذي نصب نفسه للردّ على العلماء وتصدّى للأخذ على الأئمّة القدماء؟». وقد وافقه ياقوت في هذا النقد، وعلّق على تعرّضه للعلماء بقوله: «وكان الأسود لا يقنعه أن يردّ على أئمّة العلم ردًا جميلاً حتى يجعله من باب السخرية والتهكّم».

وقد وُجد من الباحثين من تصدّى للدفاع عن الغندجاني، ومنهم العلاّمة حمد الجاسر، فقد كتب مقالاً في مجلّته العرب [ج5 و6، سنة 1975م] تحدّث فيه عن كتاب فرحة الأديب -وكان مخطوطا في ذلك الحين وطبع بعد ذلك- فقال في كلمته هذه: «قد يكون السيرافي أبصر منه (أي من الغندجاني) بدقائق النحو والصرف، إلاّ أنّ أبا محمد أوسع اطّلاعا وأطول باعًا في معرفة أيام العرب وأخبارها. ولهذا فمؤلّفاته تعتبر مصادر أصيلة في كل ذلك، وكتابه هذا يحوي قدرًا صالحًا قد لا نجده في المؤلفات التي وصلت إلينا».

وقد ذكر الغندجاني موضوع كتابه هذا في مقدّمته فقال: «تأمّلت ما فسّره أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله السيرافي من أبيات كتاب سيبويه فوجدته قد فسّر من أبيات ذلك الكتاب غيضًا من فيض، والقليل الذي فسّره فيه خلل كثير وفساد ظاهر».

ومهما يكن رأي من نقدوا صنيع الغندجاني في كتابه هذا وفي سائر كتبه فمن الإنصاف أن نقرّ له بأنه كان أديبا واسع الاطّلاع على أشعار العرب وأيامها.

آثاره

1 - فرحة الأديب، في الردّ على أبي سعيد السيرافي (ت 368هـ) في شرحه للأبيات التي أوردها سيبويه في كتابه وهو مطبوع؛ 2- ضالّة الأديب، في الردّ على ابن الأعرابي محمد بن زياد (ت 231هـ) في النوادر التي رواها عن ثعلب؛ 3- قَيد الأوابد، في الرد على السيرافي أيضًا في شرح أبيات كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكّيت؛ 4- الرد على النَمَريّ في شرح مشكل أبيات الحماسة، وعنوانه الكامل الذي ورد في مصوّرة الكتاب: «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمري البصري ممّا فسّره من أبيات الحماسة»، وقد جاء في طُرّته أنّ المؤلّف عمله في شهور سنة ثلاثين وأربع مائة، وهذا يدل على أنه عاش إلى تلك السنة؛ 5- نزهة الأديب، في الرد على أبي الفارسي الحسن بن أحمد (ت 377هـ) في كتاب «التذكرة»، وهو كتاب ضخم في علوم

العربية، وهؤلاء كلّهم من أئمّة النحو والعربية؛ 6- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، وهو مطبوع، وقد رتّبه على حروف المعجم، وكتاب في أسماء الأماكن، وكتب «السلّ والسرقة».

المصادر والمراجع

● معجم الأدباء، 7/ 261، طبعة الرفاعي؛ ● البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، تح. محب الدين الخطيب، 1/ 51؛ ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، القاهرة 1326هـ؛ ● العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، حيدر آباد الدكن، 2/ 194؛ ● الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصر، 1294هـ.

د. احسان النص
مجمع اللغة العربية - دمشق - سوريا

الأسير، يوسف بن عبد القادر الحسيني

(1232هـ / 1817 م - 1307 هـ/ 1889م)

ولد يوسف بن عبد القادر بن محمد الحسيني من أسرة صيداوية، عرفت بلقب «الأسير» نسبة الى أحد أجدادها الذي كان الإفرنج قد أسروه بمالطة. فلما أفرج عنه، وعاد الى موطنه صيدا لقب بالأسير.

نشأ يوسف بصيدا، وفيها حفظ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة. ثم قصد دمشق سنة 1832 م ليأخذ عن علمائها: فما مرت عليه ستة أشهر حتى توفي والده، فعاد إلى صيدا ليُعنى بشؤون إخوته، وبإدارة المتجر الذي ورثوه عن والدهم. وبدافع من طموحه العلمي سافر إلى مصر واستكمل العلوم في الجامع الأزهر، وعلم بالقاهرة أولاد بعض الأعيان. وقد انبهر بمنجزات محمد علي الحضارية، وبالنهضة العلمية والتقنية التي أطلقها رجال البعوث بعد عودتهم من إيطاليا وفرنسا، وبالكتب الأنيقة التي أخذت مطبعة بولاق في إخراجها ووضعها بين أيدي طلاب المعرفة، فارتسم كل هذا في ذهنه وظلّ أثره بارزا في جميع مراحل حياته.

وبعد غياب سبعة سنين عاد إلى موطنه متنقلا بين صيدا وطرابلس وبيروت والأستانة، ومشاركا في نشاط مشاهير عصره، ومُسْهِماً في إغناء المجالس والحلقات الفكرية، وكان يقصده التلاميذ من جميع الأنحاء مستفيدين من علمه.

تولّى القضاء في المتن وكسروان في عهد الأمير حيدر أبي اللمع أربع سنوات، وترأس محكمة الشرع في بيروت أعواما، وعهد إليه بمنصب الإفتاء في عكا. وبذلك يكون الشيخ

قد اتجه نحو مادة تخصصه الفقهي ليشق طريقه إلى الشهرة، ويؤمن لأسرته مكانة اجتماعية مرموقة. ثم تولى وظيفة المدعي العام في جبل لبنان زمن المتصرف داود باشا، وظل في مقامه هذا طول عهد المتصرف (1860-1868): ثم اختارته وزارة المعارف لتدريس اللغة العربية في دار المعلمين بالآستانة. وكان هناك أستاذا لعدة وزراء عثمانيين وبعض سفراء الدول إضافة الى مهمة تصحيح المطبوعات في نظارة المعارف.

ولمّا عاد الشيخ الأسير إلى بيروت مستقرّا فيها علّم اللغة والفقه والحقوق في المدرسة الوطنية للبستاني، وفي الكلية السورية الانجيلية للمرسلين الأمريكان، وفي مدرستي الثلاثة الأقمار للروم الأرثوذكس والحكمة المارونية. وقد تخرّج على يده علماء كثيرون أمثال المستشرق مارتين هرتمان الألماني، والبطريرك غريغوريوس الرابع.

وعاون الدكتور فانديك والشيخ ناصيف اليازجي في تعريب الكتاب المقدس، ونظم ترانيم روحية مسيحية يترنم بها الأنجيليون في المنازل والكنائس.

وتولى رئاسة التحرير لجريدتي «ثمرات الفنون»، و«لسان الحال» مدة.

وكانت وفاته في بيروت في السادس (وقيل الرابع) من ربيع الثاني 1307هـ/ 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 1889 م.

وهو في الجملة أديب ولغوي مدقق، وفقيه مرشد نبيه، تألق نجمه في المرحلة المعطاءة والنشطة من مراحل الإحياء والانبعاث والنهضة، فكان واحدا من رجال الرعيل الأول الذين أرسلوا طلائع الإصلاح، وأطلقوا العمل الصحافي، وجالوا في ميدان الشعر واستنهضوا الحركة اللغوية.

لقد بدأ الشيخ الأسير في بيئته الاجتماعية والفكرية؛ وفي النشاط الذي بذله نموذجا للعالم الذي يمثل عصره بصدق: عصر الانفتاح على المعرفة، والاستعداد الفائق لتقبل الثقافة بمختلف وجوهها، ولا سيما مفاهيم المعارف الدينية واللغوية والأدبية.

ولما أننا وجدنا اهتمامه ونتاجه يتجلى في أربعة اهتمامات أساسية شغلت علماء عصره وبصمت مرحلة سخية من مراحل العطاء النهضوي، جاز لنا أن نطلق عليها حركة الانبعاث والإحياء. فقد غدا الإحياء اللغوي المتمثل في نشر أمّهات التراث محققة نقية من الأخطاء نشاطا جادا صارت تتسع دائرته على أيدي العلماء باطراد وهو ما هيأ فرص الاطلاع على كنوز العربية وتطور التعليم. وفي خدمة هذا الاتجاه قدم الشيخ للقراء شرح كتاب «أطواق الذهب في المواعظ والخطب» للزمخشري حيث قام بضبطه وتقسيم أبوابه وترتيب موضوعاته وشرح ألفاظه وعباراته، جاعلا منه كتابا متداولا يفيد منه الناس.

واتصل بهذا الغرض اتجاه التبسيط العلمي رديفا لحلقات الدرس والنقاش في المعاهد والمساجد والمجلات الرائجة. وقد مثلت الأمالي التي كان يضفيها الشيخ الأسير على المتون اللغوية والدينية إضاءات مهمة في تفسير النص، وهو ما شكل حلقة تواصل حميمة بينه وبين طلابه ومريديه في صيدا وطرابلس وبيروت. ولعل شروحاته الرصينة لكتاب «رائض الفرائض»، وبيانه لقضايا

الميراث على المذهب الحنفي خير دليل على تبحّر الأسير في اللغة والفقه الإسلامي.

وفي صلب هذين الاتجاهين ينشغل الشيخ الأسير سنوات طويلة، وعلى مراحل متفاوتة، غير متصلة، بتصحيح المطبوعات عند المرسلين الأمريكان، وتحديدا عبارة الكتاب المقدس الذي ترجموه من لغاته المقدسة إلى اللسان العربي، ونظم لهم كثيرا من الترانيم المستمدة مواضيعها من المزامير والكتاب المقدس. وهي مطبوعة منتشرة ومستعملة في الكنائس الأنجيلية، وكذلك توليه رئاسة التصحيح في نظارة المعارف في الآستانة. وتمثل السنوات ما بين 1870-1889 ذروة نشاطه في حركة الإحياء على جميع الصُعد، إذ شارك في تأمين الدراسات اللغوية والفقهية وفي حل القضايا العويصة في الواجبات والحقوق والفرائض، وفي ما كان يكتبه من وقت إلى آخر في الجرائد والمجلات أمثال «لسان الحال» و«ثمرات الفنون» ناقدا ومناظرا وموجها ومتباريا مع أقرانه في المسائل اللغوية مما جعله في هذه الفترة الخصبة من نتاجه رمزا لشخصيات عهده المؤثرة والمكونة للحركة الفكرية.

ويشكل النقد اللغوي اهتماما مميزا في حياة الشيخ الأسير، فقد نظر للتطور اللغوي وفق مراعاة قانون الأصالة وما قامت عليه اللغة العربية من أسس جوهرية، ورأى من ثم أن كل تطور لا يراعي هذا المبدأ يبقى زيفا وخروجا على نظام المألوف في الحياة.

ونراه يتفق مع كوكبة من علماء اللغة على الاحتكام إلى القياس، والتمسك بالمعايير المحافظة في هذا الاحتكام.

وقد بدا هذا الاتجاه في موقفه من الخصومة الأدبية التي دارت رحاها عنيفة بين أحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي، ثم انسحبت على نقد الأعمال الصرفية والنحوية. فقد انبرى الشيخ سعيد الشرتوني وقتذاك مدافعا عن كتاب ناصيف اليازجي «نار القرى في جوف الفرا» ومنتقدا كتاب الشدياق «غنية الطالب» في كتاب أسماه «السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب». فما كان من الشيخ يوسف الأسير إلا أن انتقد كتاب «نار القرى..» انتقادا مرا، ثم رد على الشرتوني بكتاب أسماه « رد الشهم للسهم»، وكذلك فعل إبراهيم الأحدب (1826-1890) الذي دخل حلقة النقاش منتصرا للشدياق والأسير.

وأيّما كانت خصائص هذا الاتجاه، أو نتائج هذه النقاشات، وتلك الخصومة فإن النص الذي قدمه الأسير يشهد له عن علوّ كعب في قواعد اللغة وقدرة كبيرة في المحاججة ورد الدفوع. وقد تعقب الشيخ الأسير ناصيف اليازجي وردود الشرتوني على الشدياق في ما يزيد على السبعين مسألة في الصرف والنحو، وهو ما يشكل صلب كتابيه اللغويين: «إرشاد الورى في تخطئة جوف الفرا» و«رد الشهم للسهم».

ويقترن النقد الأدبي بتلك المحاججة اللغوية إذ قام الشيخ الأسير بالتصدي لأرجوزة الشيخ اليازجي المعروفة بـ «الدودية»، منتقدا هذه المرثية بيتا بيتا جاعلا إياها معرضا يحفل بالعيوب من قصور، وسرقة، وخطأ، وتعقيد لفظي ومعنوي.

أما اهتمام الشيخ الأسير بالشعر فكان من جملة نشاط علماء ذلك العصر وأحد

أغراضهم التقليدية، فقد كان شعره رائقا فصيحا، وكان أكثره مدحا حتى كاد يكون ربع ديوانه في مدح صديقه أحمد فارس الشدياق. وفي ديوانه أيضا الموشحات والمقتطعات الحكمية وشعر المناسبات والوجدانيات. ولعل في هذه الأبيات الثلاثة ما يشير الى رأيه في شعراء عصره ومفهومه للشعر فهو يقول:

خليلي كم قد جد في الناس شاعر
وليس له بيت من الشعر عامر

وأحسن شعر ما تراه مهذبا
بليغا، به يلتذ باد وحاضر

به تطرب الأسماع من كل منشد
وتجري به الأمثال وهي سوائر

آثاره

1 - إرشاد الورى لنار القرى، فيه رد على كتاب «نار القرى في جوف الفرا» للشيخ ناصيف اليازجي، مطبعة الجوانب، الآستانة 1290 هـ، 93 ص؛ 2 - شرح رائض الفرائض. (يتناول قضايا الميراث على المذهب الحنفي)، طبع سنة 1290 هـ، 268 ص؛ 3 - ردُّ الشهم للسهم، فيه رد على كتاب «السهم الصائب» لسعيد الشرتوني الذي انتقد كتاب «غنية الطالب ومنية الراغب» لأحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب، الآستانة 1291 هـ، 56 ص؛ 4 - شرح كتاب أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري، وقد احتوى على مائة مقالة في المواعظ والنصائح والحكم ومكارم الأخلاق. قام فيه الأسير بشرح الألفاظ اللغوية، مطبعة جمعية الفنون بيروت، ط 1، 1293 هـ، 72ص، وط. 3 المطبعة الأدبية بيروت 1314هـ، 112 ص؛ 5 - ديوان الأسير، المطبعة اللبنانية، بيروت 1306 هـ، 80 ص؛ 6 - المجلة (تناولت القوانين الشرعية والأحكام العدلية)، طبعت في بيروت سنة 1904، 272 ص؛ 7 - رسالة الجراد، في وصف الجراد وأسمائه وصفاته، طبعت في بيروت سنة 1865، 12 ص؛ 8 - سيف النصر، تمثيلية طبعت في بيروت، (مفقودة)؛ 9 - مجموع الأسير، مخطوطة في تركة الشاعر صلاح الأسير والكتاب كناية عن منتقيات شعرية ونثرية ورسائل ومقالات بخط الشيخ يوسف نفسه، ويقع في 672 ص.

المصادر والمراجع

الزركلي، الأعلام، 8/ 238-239؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 13/ 310-311؛ ● داغر، مصادر الدراسة الأدبية، 2/ 126-128؛ ● زيدان، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، 2/ 221؛ ● م. ن، تاريخ آداب اللغة العربية، 4/ 275؛ ● طرازي، تاريخ الصحافة العربية، 1/ 63، 135-138، 145، 2 / 25، 27، 122؛ ● شيخو، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، 2/ 75-77، 155؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، 1/ 449-450؛ ● أدهم، آل جندي، أعلام الأدب والفن، 2/ 325-327؛ ● عبود، مارون، المجموعة الكاملة، 1/ 448، 2/ 93-94، 124، 161، 189، 9/ 93-97، 213-221؛ ● البستاني، دائرة المعارف، 13/ 374-377؛ ● قاسم، رياض زكي، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم

العربي، 1/ 263، 336-377؛ ● تدمري، عمر، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، القسم الثالث، الجزء الخامس، 200-207؛ ● الأحمر، محسن، الشيخ يوسف الأسير (مخطوطة لنيل شهادة الكفاءة من كلية التربية في الجامعة اللبنانية).

د. رياض زكي قاسم
الجامعة اللبنانية - بيروت - لبنان

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات